نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف

- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات والأفكارالمؤسسة للتصوف بكل مقوماته-

الأستاذ الدكتور

خالد كبير علال

-دار المحتسب -
الجزائر- 1435/ 2014

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على النبي الأمين محمد وعلى آله و صحبه، و من سار على نهجه إلى يوم الدين ، و بعد:

أولا خصصتُ كتابي هذا لنقد الروايات التاريخية والحديثية التي أسس بها الصوفية للتصوف من جهة، وللأفكار والمفاهيم التي قام عليها التصوف بكل مكوناته من جهة أخرى. وقد عنونته ب: **نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .**

وسيتركز نقدي للتصوف في جانبين: الأول يتعلق بالروايات التاريخية والحديثية المؤسسة للتصوف ننقدها إسنادا ومتنا لتمييز صحيحها من ضعيفها .والجانب الثاني يتعلق بالأفكار والعقائد والتصورات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته: أصولا، وفروعا، وغاية ، لمعرفة حقيقتها وتمييز صحيحها من سقيمها بالاحتكام إلى الوحي الصحيح، والعقل الصريح، والعلم الصحيح. وقد اجتهدت وأخذتُ على نفسي أن لا أُحمّل مروياتهم وأفكارهم ما ليس فيها، وما لم تقله.

وثانيا لقد حرصتُ على الاعتماد الكلي على المصادر الصوفية المُتقدمة منها والمتأخرة في أخذ الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، اللهم إلا في حالات نادرة جدا. منها مثلا مُصنفاتهم الآتية: اللُمع في التصوف للسراج الطوسي، والتعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، و حِلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، و كشف المحجوب للهجويري، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وغيرها من مُصنفات الصوفية. وكل ما توصلتُ إليه من حقائق واستنتاجات يجد أدلته وشواهده في كتب الصوفية أنفسهم .

وأُشير هنا إلى أنه يوجد في كتابي هذا تكرار لكثير من الأفكار والاستنتاجات ،وهو أمر مطلوب وضروري وليس عيبا،لأن ترابط الموضوع وتداخله،واختلاف زوايا النظر إلى قضاياه وآثاره وتشعباته يحتم علينا تكرارها بأساليب وسياقات مختلفة .

وثالثا إنني على يقين أن كثيرا من أهل العلم لا يُعجبهم ما كتبته في كتابي هذا، ولا يُوافقونني على كثير مما قررته فيه . ولهذا فمن يرد عليّ منهم بالعلم فسأسمع له وأُناقشه ، فإن تبين أن الحق معه فسأتراجع عن مواقفي في نقدي للتصوف ،وآخذُ بالحق الذي معه، وإن لم يتبين ذلك فلن أتراجع عنها. وأما من يرد عليّ منهم بالتجهيل والاتهام والتهويل ، فلن أرد عليه ولا أدخل معه في أي نقاش علمي.

وأخيرا أسأل الله عزّ وجل السداد والتوفيق ،والثبات واليقين، والإخلاص في القول و العمل . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أ ، د : خالد كبير علال

الجزائر: ربيع الأول/1435 هـ – جانفي/ 2014 م

الفصل الأول
نقد الروايات المؤسسة لظهور الصوفية
في العهدين النبوي والراشدي

أولا : الزعم بأن كبار الصحابة كانوا صوفية !!
ثانيا: الزعم بأن أهل الصُفة بالمسجد النبوي كانوا صوفية!! .
ثالثا: إخفاء الصوفية لحقيقة فكرهم وجماعتهم: (ممارستهم للتقية).
رابعا : عوامل وزمن ظهور الصوفية .

نقد الروايات المؤسسة لظهور الصوفية
في العهدين النبوي والراشدي

عندما نشأ التصوف[1] في المجتمع الإسلامي أظهر أتباعه التنسك الزهد في الدنيا والتفرغ للعبادة، وأُشتهروا بالصوفية في القرن الثالث الهجري وما بعده. لكن بعض الروايات الصوفية أرجعت نشأتهم – فكرا ،وسلوكا، وجماعة- إلى العهدين النبوي والراشدي . فهل قولها هذا صحيح ؟. وما هي العوامل التي أدت إلى ظهور صوفية المسلمين ؟. ومتى ظهر التصوف وأهله في المجتمع الإسلامي ؟ .

<u>أولا : الزعم بأن الصحابة وكبار التابعين كانوا صوفية !!</u>

أرجع معظم كبار مؤرخي الصوفية نشأة الصوفية إلى العهدين النبوي والراشدي، وجعلوا الصحابة وكبار التابعين من الصوفية ، وهم الأوائل الذين أسسوا للجماعة الصوفية فكرا وسلوكا حسب زعمهم . من هؤلاء المؤرخين: أبو نعيم الأصبهاني (ت 430 هـ) جعل الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة من جماعة الصوفية[2] .

و أبو الحسن علي الهجويري الصوفي (ق: 5 هـ) **:** جعل أبا بكر الصديق- إمام الصوفية الأول، ثم من بعده عمر بن الخطاب، و عثمان وعلي –رضي الله عنهم – وغيرهم من الصحابة ، ومن جاء بعدهم من أعيان التابعين[3].

ومنهم الفقيه الصوفي عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ) في طبقاته -لواقح الانوار في طبقات الاخيار- بدأ بالخلفاء الأربعة ، ثم باقي أعيان الصحابة[4].

---

1 لا نتوقف هنا للبحث في المعنى الاصطلاحي واللغوي للتصوف ، فهذا ليس من موضوعنا في كتابنا هذا. وقد تناولت هذا الموضوع كثير من المصنفات التي كتبت عن التصوف قديما وحديثا.

2 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج 1 ص: 28 .

3 الهجويري: كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل،، مكتبة الأسكندرية، 1974، ص: 228 ، 267 وما بعدها.

4 الشعراني: طبقات الصوفية الكبرى ، ج 1 ص: 24 وما بعدها .

لكن الصوفي محمد الكلاباذي (ت 380 هـ) أرجع سلف الصوفية إلى بعض صغار الصحابة وكبار التابعين ، كالحسن، والحسين ،وزين العابدين ، والحسن البصري، وأُويس القرني، ومالك بن دينار، وجعفر الصادق، وغيرهم كثير[5]. وهؤلاء من أعيان القرن الهجري الأول، وبعضهم توفي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة كالحسن البصري(ت 110 هـ)، وجعفر الصادق(ت 148 هـ).

وأقول: إن ما قاله هؤلاء غير صحيح بدليل الشواهد الآتية: أولها: إنهم ذكروا أخبارا خطيرة من دون أسانيد، وهذا يعني أنها فقدت شرطا أساسيا من شروط صحة الأخبار، هو ضرورة وجود الإسناد . لأن توفر الإسناد يُمكننا من نقد الخبر إسنادا إلى جانب نقده متنا. وبدونه لا نستطيع نقد الخبر إسنادا ويصبح ضعيفا من دون شك . وعليه فالأخبار التي ذكرها هؤلاء ضعيفة إسنادا ، وما هي إلا مجرد مزاعم تحتاج إلى أدلة صحيحة لإثباتها . لأن الزعم في ذاته ليس دليلا صحيحا وإنما هو مجرد دعوى تحتمل الصدق والكذب، ولا يعجز عنها أحد .

والشاهد الثاني: إنه لا يُمكن أن يكون أبو بكر- رضي الله عنه- إماما للصوفية، لأسباب كثيرة، ومن الخطأ مناقشة هذا الأمر لأنه واضح البطلان وضوح الشمس، فالصوفية لم يكن لهم وجود في ذلك الوقت أصلا. ولم يكن الصديق على طريقتهم وأحوالهم، فقد كان غنيا ولم يكن فقيرا ، وهم يذمون الغنى ويمدحون الفقر[6]. وكان يتكسب ويطلب الرزق وهم يدعون إلى تركه بدعوى التوكل كما سنبينه لاحقا. وفي المدينة استمر في طلب الرزق، وإلا ما وجد مالا لينفقه في سبيل الله ، وقد تصدق بكل ماله كما هو معروف وقال كلمته المشهورة : ((أبقيتُ لهم الله ورسوله))[7]. ولو لم يكن يعمل ويطلب الرزق ما كان عنده المال . وجوابه شاهد على أنه تصدق بكل ماله، وسيتوكل على الله ويواصل العمل طلبا للرزق ، وهذا يعني أن التوكل لا يعني ترك التكسب كما يزعم الصوفية. وعندما بايعه المسلمون خليفة لهم اتخذ كل ما يستطيع من الأسباب المادية لتكوين الدولة الإسلامية، وفتح الأقاليم ،وإقامة العدل والمساواة بين المسلمين. وهذه أدلة دامغة على بطلان زعم الصوفية بأن أبا بكر هو إمامهم.

---

[5] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 21 وما بعدها .

[6] سنوثق ذلك ونتوسع فيه لاحقا .

7 الأباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 315 ، رقم: 1473 .

والشاهد الثالث : إن مما يرد أقوال هؤلاء أن أحد كبار مؤرخي الصوفيه خالفهم فيما قالوا به، وهو: أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري (ت 413 هـ)، فلم يبدأ طبقاته بالترجمة للصحابة ولا لكبار التابعين كما فعل هؤلاء، وإنما أورد في أول طبقة من طبقاته طائفة من أعيان تابعي التابعين ، أولهم: الفضيل بن عياض (105- 187 هـ) ، ثم ذكر من بعده ذا النون المصري (ت 245 هـ) ، وإبراهيم بن أدهم (ت 161 هـ) ، ثم باقي أعيان الصوفية من هذه الطبقة[8]. وموقفه هذا شاهد قوي على عدم صحة ما فعله هؤلاء عندما ألحقوا الصحابة وتابعيهم بالصوفية.

والشاهد الرابع : إنه من الثابت شرعا وتاريخا أن الصحابة لم ينتسبوا إلى الصوفية، ولا كانوا منهم ، وإنما كانوا مسلمين انتموا إلى الإسلام قلبا وقالبا ولم يكن لهم أي انتماء آخر. إنهم انتموا إلى الله ورسوله ، وكانوا من الذين قال الله تعالى فيهم : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ)(آل عمران : 110))،و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ-(آل عمران 102))، و((صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ)(البقرة : 138)). فالصحابة كانوا مسلمين والله تعالى هو الذي سماهم بذلك، ولم يكونوا صوفية، ولا سماهم الله تعالى بالصوفية، ولا يصح تسميتهم بذلك . ومن يسميهم صوفية فهو محرف للشرع والتاريخ ، ومتعصب للباطل إما جهلا ، وإما قصدا عن سبق إصرار وترصد لغاية في نفسه.

والشاهد الخامس: إن الثابت من تاريخ الصحابة أنهم لم يكونوا على أحوال التصوف وأهله سلوكا ولا فكرا. فقد خالفوهم في مواقفهم من الفقر والغنى، والكسب والأخذ بالأسباب، والدنيا والآخرة، ومصادر التلقي. ولم يفرقوا بين الشريعة والحقيقة، ولا بين الظاهر والباطن، ولا عقدوا مجالس الغناء والرقص، ولا تركوا العمل بدعوى التوكل كما هو حال الصوفية[9]. ولو كانوا كذلك ما نصر الله بهم الإسلام و، ما فتحوا الفتوح وكونوا دولة الخلافة . ولهذا فإن كل من يقارن بين أحوال الصحابة وبين أحوال الصوفية يجد أنه لا مجال للمقارنة بينهما حتى وإن وُجدت بعض الشواهد الشكلية التي قد تجمع بين الطرفين، لكنها سرعان ما تزول عندما نقارن بينهما في

---

[8] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 23 وما بعدها .

[9] سنوثق ما ذكرناه لاحقا ، وإن كان ما ذكرناه عن الصحابة هو من التاريخ المتواتر الذي لا يحتاج إلى توثيق .

الأصول والفروع والغايات[10] . وبما أن الصحابة خالفوا الصوفية فيما أشرنا إليه وغيره ، فإنه لا يُمكن أن يكونوا صوفية، ولا يصح القول بذلك .

لكن يجب أن لا يغيب عنا بأن كل الفرق الإسلامية المستقيمة منها والضالة تُظهر الانتماء إلى الإسلام أولا، ثم إلى الصحابة ثانيا لأنها تعلم أنه لا بقاء ولا مكانة لها بين المسلمين إن لم تنتم إلي الإسلام وأهله. فهي مُجبرة على إظهار انتمائها إلى الإسلام وأهله ، مما يعني أن هذا الإظهار ليس دليا كافيا على صدق وصحة الانتماء إلى الإسلام. وبما أن الحق واضح ومعروف، فلا نسمع إلى مجرد أقوال ومزاعم الفرق المنتمية إلى الإسلام ، وإنما يجب أن ننظر أولا إلى سلوكيات وعقائد أتباعها ، فهل هي مأخوذة من الشرع، وموافقة له و ملتزمة به، ومحتكمة إليه أم لا ؟. فإن كانت مخالفة له فهي فرق ضالة ومنحرفة عن الشرع، وإن اختلفت درجة انحرافها وبعدها عنه .

والشاهد الأخير- السادس- : إن من الأدلة الدامغة على بطلان كون الصحابة وتابعيهم من الصوفية ،أنه سيتبين في كتابنا هذا أن التصوف ليس من دين الإسلام، وانه معطل وهادم له. وبما أن الأمر كذلك، والصحابة وتابعوهم كانوا مسلمين أتقياء فلا يُمكن أن يكونوا من الصوفية، ولا التصوف ظهر على أيديهم .

وبذلك يتضح جليا أن ما زعمته روايات الصوفية بأن الصحابة والتابعين كانوا من الصوفية هو زعم باطل ، قالوه محاولة منهم لربط التصوف والصوفية بالإسلام والصحابة، ولإيجاد أصل شرعي وتاريخي للتصوف وأهله لتحقيق غايات في نفوسهم .

ثانيا: الزعم بأن أهل الصُفة بالمسجد النبوي كانوا صوفية:

زعمت كثير من الروايات الصوفية أن فقراء الصحابة من المهاجرين الذين سكنوا صُفة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وعُرفوا بأهل الصُفة. كانوا هم النواة الأولى الذين كونوا الجماعة الصوفية في العهد النبوي. ومن أشهر صفاتهم أنهم كانوا فقراء، ويلبسون مرقعات الصوف . فهل ما زعمته تلك الروايات صحيح ؟ ، وما تفاصيل ذلك ؟.

[10] سيتبين لنا ذلك لاحقا .

منها إن الهجويري زعم أن الأمة أجمعت على أنه كان للنبي-عليه الصلاة والسلام- فريق من الصحابة كانوا " يُلازمون مسجد ، وهبوا أنفسهم للعبادة، وكفوا أيديهم عن الدنيا ،واعرضوا عن الكسب" وأن الله اعتب نبيه فيهم بقوله: "((وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(الأنعام : 52))[11]. و" كان الرسول -عليه السلام- يرى واحدا منهم يقول: بأبي وأمي أولئك الذين عاتبني الله تعالى من أجلهم"[12] . وهؤلاء من الفقراء والمهاجرين الذين كانوا في المسجد النبوي أقاموا فيه " في حكم العبودية ، وصحبة النبي-عليه السلام ، وأعرضوا عن الأشغال كلية ، وقالوا بترك المعارضة ، واعتمدوا على الله تعالى في رزقهم ،وتوكلوا عليه " ، وفيهم نزل الوحي يقول للنبي-عليه الصلاة والسلام- : ((وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)(الأنعام : 52))، و((لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا)(الكهف : 28)[13].

وأقول: كلامه غير صحيح في معظمه ، لأن هؤلاء لم يتفرغوا للعبادة كما زعم الرجل، وإنما كانوا فقراء لم يجدوا أمولا لبناء أسر وبيوت لهم، ثم تخلصوا مما كانوا فيه تدريجيا منذ زمن النبي-عليه الصلاة والسلام- ثم تحسنت أحوالهم كلهم في زمن الخلافة الراشدة . وهم وإن تفرغوا للعلم فقد كانوا مع المسلمين في جهادهم وتعاونهم وفي كل أحوال الدعوة الإسلامية. فهم لم يتفرغوا للعبادة بمعناها الصوفي كما زعم الهجويري، وإنما تفرغوا لجانب منها مع المشاركة في باقي أنواع العبادات بمعناها الشرعي الواسع. فلم يتركوا الدنيا ولا تركوا الكسب، وإنما كانوا في كسب ، وهو التكوين العلمي والمشاركة في الجهاد.

والآية التي ذكرها"((وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(الأنعام : 52)) هي آية مكية وليست مدنية ، وهي شاهدة بنفسها بأنها مكية عندما كان المسلمون مستضعفين في مكة[14]، ولا تخص أهل الصفة في المدينة . وموضوع الآية هو الإيمان والكفر لا الفقر والغنى.فلماذا هذا التحريف المتعمد ، وهذه النفعية المقيتة والمحرفة للتاريخ؟؟!.

---

[11] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 285 .
[12] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 216 .
[13] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 215 .
[14] مسلم : الصحيح ، ج 7 ص: 127 ، رقم:6394 .

ومن المعروف أن الصحابة كان منهم الغني والفقير في مكة والمدينة. وعندما هاجروا إلى المدينة طلبوا الرزق ،فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي - صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن: ((بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق))[15] . وصح الخبر أن المهاجرين اهتموا بالصفقات التجارية ، والأنصار بتنمية أموالهم، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه أنه قال: ((إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم))[16]. وأما أهل الصفة فهم الذين لم يكن لهم مأوى . لكن ليس بصحيح أنهم تركوا الأخذ بالأسباب فهذا باطل لأن المسلمين كانوا في جهاد دائم . فمنهم من تفرغ للجهاد، ومنهم من تفرغ لطلب الرزق، ومنهم من تفرغ للعلم فالكل كان يعمل ويكد ، كما أمرهم الشرع. والقرآن قد سجل ذلك ((فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الْمزّمّل : 20))،و((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)(التوبة : 122)).

وأما فقراء المهاجرين الذين سكنوا صُفة المسجد النبوي ، فهم لم يكونوا قادرين على طلب الرزق بدليل قوله تعالى: ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة : 273)). فهم كانوا فقراء، وسكنوا الصُفة عجزا لا اختيارا وتصوفا كما زعم الهجويري وغيره من الصوفية.

والآيتان اللتان ذكرهما الرجل لا علاقة لهما بالفقر وهما صريحتان بأنهما تتعلقان بجماعة من المؤمنين من الضعفاء رفض كفار قريش الجلوس معهم.والآية ليست عتابا للنبي وإنما هي تنبيه وتوجيه له. وليست الآيتان مدحا للفقر ولا دعوة إليه، ولا علاقة لهما بأهل الصُفة.

---

[15] البخاري : الصحيح ، ج 5 ص: 69 ، رقم: 3937 .
[16] البخاري : الصحيح ، ج 5 ص: 69 ، رقم: 3937 .

وليس صحيحا أن الله عاتب نبيه في أهل الصُفة، فالآية واضحة بأن الله تعالى نبهه ووجهه وبين له كيف يتصرف مع كفار قريش في طلبهم منه إبعاد هؤلاء المؤمنين الضعفاء. فالآية لم تعاتبه، ولا مدحت هؤلاء لأنهم فقراء، وإنما لأنهم مؤمنون أولا، ثم هم ضعفاء ثانيا ، ولا هي مدحت الفقر والفقراء. وذلك الحديث المزعوم الذي أورده الهجويري لم أجد له أثرا في كتب الحديث و الجرح والتعديل، ولا في كتب التراجم والتواريخ والأدب. فهو حديث لا أصل له.

علما بأن الفقر الذي نعنيه هنا هو الفقر المادي لا المعنوي؛ فلاشك أن كل المخلوقات فقيرة إلى الله تعالى ، قال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(فاطر : 15)). لكن تفضيل الرجل للفقر المادي ومدحه للصوفية به لا يصح غالبا ، لأن الفقر المادي صفة نقص، والغنى صفة كمال .وسعي الإنسان ليكون غنيا كمال وليس نقصا. ونحن في عبادتنا لله عز وجل نسعى لنكون أغنياء بالله تعالى معنويا وماديا ،والإنسان الغني بالله روحيا وماديا أحسن حالا من الغني بالله روحيا فقط.

والرواية الثانية : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا أبو بكر بن خلاد ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو هانئ ، أن أبا علي الجنبي ، أخبره أنه ، سمع فضالة بن عبيد يقول : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى بالناس يخر رجال منهم من قامتهم في صلاتهم لما بهم من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب : إن هؤلاء مجانين . فإذا قضى النبي - صلى الله عليه وسلم- الصلاة انصرف إليهم فقال لهم : « لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة » . قال فضالة : وأنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذ))[17].

وأقول: هذا الحديث رواه الترمذي وصححه[18]. ، لكن في إسناده نظر يتعلق بأحد رواته، هو : أبو هانىء حميد بن هانىء المصري الخولاني (ت 142هـ) :قال أبو حاتم: صالح، قال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن عبد البر هو عندهم صالح الحديث لا بأس به[19]. وسُئل عنه الدارقطني فقال: "

[17] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 2 .
[18] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 314 ، رقم: 2368 .
[19] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ن ج 3 ص: 231 . والخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال، ج 1 ص: 208 . وابن حجر: تهذيب الكمال، ج 2 ص: 33 .

مصري لا بأس به ثم قال: ثقة"،[20]. لكن توثيق الدارقطني (ت 385 هـ) فيه نظر. لأنه متأخر عن أبي حاتم الذي وصفه بأنه صالح، والنسائي بأنه لا بأس به. وهي مرتبة تشعر بالعدالة لا بالضبط، وهي قريبة من التجريح[21]. والدارقطني وصفه أولا بأنه لا بأس به، ثم وثقه. ومرتبة لا بأس به تدل أيضا على التعديل ، ولا تُشعر بالضبط ، والمرتبتان صاحبهما لا يُحتج به[22]. ولهذا قال ابن عبد البر:هو عندهم صالح الحديث لا بأس به[23].. وعليه فإن توثيق الرجل لم يثبت، فإن ثبُت عدالة فلم يثبت ضبطا.

وعلى فرض أن الحديث صحيح فإنه يجب وضعه في إطاره الذي قيل فيه زمانا ومكانا وحالا من جهة ؛ والنظر إليه ضمن أصول وعقائد وتشريعات الإسلام التي تأمر بالعمل وطلب الرزق الحلال من جهة أخرى. فذلك الحديث لا يحث على الفقر ولا يمدحه، ولا يُفضله على الغنى، وإنما هو خاص بطائفة من فقراء المسلمين وصفهم الله تعالى بأنهم ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة : 273)) . فكان النبي- عليه الصلاة والسلام- يُصبّرهم ويشجعهم على ذلك حتى يُغير الله تعالى أحوالهم ، ويفتح عليهم خيرات الدنيا. وهذا الذي تحقق زمن الخلافة الراشدة، فكثرت الخيرات والأرزاق وعم العدل والرخاء،و اختفى الفقر وكثُر الأغنياء والميسورين .

وفي مقابل هؤلاء الفقراء من الصحابة وُجد كثير من الأغنياء في زمن النبي-عليه الصلاة والسلام- لم يقل لهم ما قاله للفقراء، ولا أمرهم بالتخلي عن أموالهم، وإنما كان يحثهم على الكسب الحلال والإنفاق في سبيل الله . وأثنى كثيرا على أغنياء الصحابة الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله ، كعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بكر الصديق . ووجود هؤلاء الصحابة الأغنياء هو شاهد دامغ على أنهم كانوا يجتهدون في جمع المال وإنفاقه في سبيل الله ، وأن النبي-عليه الصلاة والسلام- لم ينهاهم عن جمع المال، ولا قال لهم: لماذا لستم فقراء ؟ ؛ وإنما حثهم على الإنفاق في

---

[20] الدارقطني: سؤلات البرقاني للدارقطني، ص: 5 ، رقم: 95 .
[21] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، مكتبة رحاب، الجزائر ،ص: 152 .
[22] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ،ص: 151 .
[23] ابن أبي حتم: الجرح والتعديل ن ج 3 ص: 231 . والخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال، ج 1 ص: 208 . وابن حجر: تهذيب الكمال، ج 2 ص: 33 .

سبيل الله وأقرهم على ما هم فيه. وهذا الانفاق يتطلب مواصلة العمل لجمع المال وإنفاقه بالتوكل على الله تعالى.

ويجب أن لا يغيب عنا أن ما قدمه عثمان بن عفان- رضي الله عنه- من أموال للدعوة الإسلامية لم يقدمه كل فقراء أهل الصُفة. وقد جاد بأمواله في أحلك الظروف، وقد حثه نبي الله على الإنفاق، وبشره بالجنة عندما حفر بئر رومة ، وجهز جيش العسرة[24] ،فهو أفضل من أهل الصُفة . ولو كان جمع المال الحلال ليس محبوبا ولا مطلوبا لنهاه رسول الله على جمعه للمال، ولنهى كل الصحابة الأغنياء من المهاجرين والأنصار عن جمع المال. وقد كان أهل المدينة أكثر غنى وأيسر حالا بحكم أنهم هم أهل المدينة ، ولم يهاجروا ولا تركوا أموالهم كما حدث للمهاجرين. وعن نشاطهم الاقتصادي قال أبو هريرة- رضي الله عنه- :((كان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم))، وفي رواية :((إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم ،وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق))[25].

والرواية الثالثة : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب ، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عمر بن عمرو الأحموسي ، حدثنا المخارق بن أبي المخارق ، سمعت عبد الله بن عمر ، يقول : قال: النبي- صلى الله عليه وسلم- : « حوضي كما بين عدن وعمان ، أبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحا من المسك ، أكوابه مثل نجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا ، وأول الناس ورودا عليه صعاليك المهاجرين[26] » . قال قائل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : « الشعثة رءوسهم ، الشحبة وجوههم ، الدنسة ثيابهم ، الذين لا تفتح لهم السدد ، ولا ينكحون المتنعمات ، الذين يعطون كل الذي عليهم ، ولا يأخذون الذي لهم » . رواه الوضين بن عطاء ، عن سالم ، عن أبيه . والمشهور من حديث أبي سلام الأسود ، عن ثوبان))[27].

وأقول: هذا الحديث ورد من عدة طرق ، منها طريق أبي نعيم الأصبهاني المذكور أعلاه ، وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله : أحمد بن

---

[24] البخاري: الصحيح ، ج 4 ص: 13 ، رقم: 2778 .
[25] مسلم: الصحيح ، ج 7 ص: 166 ،167 رقم: 6552، 6555.
[26] هم فقراء المهاجرن .
[27] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 5 .

عبد الوهاب بن نجدة (ت 281 هـ) : لا بأس به[28]. وهذه المرتبة تدل على التعديل ولا تُشعر بالضبط، وصاحبها لا يُحتج بروايته[29].
ومخارق بن أبي المخارق عبد الله بن جابر الأحمسي الكوفي: ثقة من الطبقة السادسة[30]. لكن سماعه من ابن عمر لا يثبت، لأن هذا الراوي من الطبقة السادسة، ورجالها عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة، ، ومن رجالها ابن جريج[31]، المولود سنة 80 ، والمُتوفى سنة 150 للهجرة. وابن عمر توفي سنة 73 هـ . فالإسناد لا يصح من جهته . ومن الذين رووا عنه سفيان بن عيينة المتوفى سنة 198 هـ . ومما يؤيد ذلك أيضا أن الحافظ المزي عندما أشار إلى من روى عنهم مخارق لم يذكر من بينهم ابن عمر ، ولا صحابيا آخر، وإنما ذكر طارق بن شهاب الأحمسي فقط، ولو كان ثبت أنه روى عن أحد من الصحابة لذكر ذلك المزي[32].

و**الطريق الثاني:** قال الطبراني: ((حدثنا الحسين بن إسحاق قال نا علي بن بحر، قال: نا قتادة بن الفضيل بن قتادة الرهاوي، قال: سمعت أبا حاضر عن الوضين الثقفي ،عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه و سلم- يقول: يدخل فقراء امتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا قلت يا رسول الله صفهم لنا قال: "هم الدنسة ثيابهم الشعثة رؤوسهم الذين لا يؤذن لهم على السدات ولا ينكحون المتنعمات يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم " . لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الوجه ولم يحدث به إلا علي بن بحر))[33].

وأقول: إسناده لا يصح، لأن من رجاله: قتادة بن الفضيل بن قتادة الرهاوي (ت200 هـ): مقبول[34]، وهذه المرتبة لا تجعله حجة. وأبو حاضر عَبد المَلِك بن عبد ربه الطائي : مُنكر الحديث[35].والوضين بن عطاء بن كنانة الثقفي الشامي (ت 147 هـ عن 70 سنة) ، قيل فيه : ثقة، ليس به بأس، لا بأس به، صاحب خطب لم يكن في الحديث بذاك ، ضعيف ، واهي الحديث، يُعرف ويُنكر[36].

[28] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 12 ص: 36 .
[29] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ص: 151 وما بعدها .
[30] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 441 .
[31] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 24 .
[32] المزي: تهذيب الكمال ، ج 27 ص: 314 .
[33] الطبراني: المعجم الأوسط ن ج 4 ص: 9 ، رقم: 3477 .
[34] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 303 .
[35] ابن حجر: لسان الميزان ، ج 4 ص: 50 .
[36] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 82 . والذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 355 .

والطريق الثالث: قال الطبراني: ((حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا الحسن بن سهل الخياط، ثنا مصعب بن سلام ،عن عبد الله بن العلاء بن زبر ،عن أبي سلام الأسود، عن أبي أمامة الباهلي عن النبيصلى الله عليه و سل قال : ...))[37].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: مصعب بن سلام التميمي الكوفي ثم البغدادي، قيل فيه : ضعيف، لا يُحتج به، ثقة، مُنكر الحديث، له مناكير، شيعي، كثير الغلط[38].

وعبد الله بن العلاء بن زبر بن عطارد أبو زبر الدمشقي الربعي(ت 164هـ عن 89 سنة): ثقة ، صدوق، قال أحمد : مقارب الحديث . وقال ابن حزم: ضعفه يحيى وغيره. احتج به الجماعة سوى مسلم[39] . وقال ابن حجر: وثقه جمهور الأئمة ، و((شذ أبو محمد بن حزم فقال: ضعيف))[40]. وبما أن الرجل مُختلف في حاله، بين التوثيق والتضعيف، وهنا قد عنعن، ومتن الرواية مُنكر، فالإسناد لم يثبت اتصاله ولا صحته من جهته .

وأبو سلام ممطور الحبشي الدمشقي (من الطبقة الثالثة) :حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم[41]. غالب رواياته مرسلة، لذا لم يخرج له البخاري[42]. وهنا قد عنعن مما يعني أن الإسناد من جهته لم يثبت اتصاله.كما أن تحديثه عمن لم يسمع يطعن في عدالته وضبطه معا، لأنه كان يتعمد إسقاط الراوي الذي بينه وبين من عنعن عنه. فعل ذلك لغاية في نفسه، وإلا لماذا يتعمد ذلك ؟؟.

والطريق الأخير- الرابع -: قال الطبراني : ((حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، ثنا صفوان بن صالح ،ثنا الوليد بن مسلم، ثنا يحيى بن الحارث الذماري وشيبة بن الأحنف الأوزاعي قالا: سمعنا أبا سلام الأسود يحدث عن ثوبان مولى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ...))[43].

---

[37] الطبراني: المعجم الكبير ، ج 8 ص: 119 ، رقم:7562 .
[38] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 9 ص: 114 .
[39] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم : 602، ج 4 ص: 254 . الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 4466 ، ج 3 ص: 396 .
[40] ابن حجر: فتح الباري ، حرف (ع) ، ج 1 ص: 415 .
[41] أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 94 .
[42] الذهبي: الكاشف ، ج 2 ص: 147 .
[43] الطبراني: مسند الشاميين ، ج 2 ص: 426 ، رقم: 1625.

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: صفوان بن صالح بن صفوان الثقفي الدمشقي(ت 294 هـ): ثقة، مدلس تدليس التسوية[44]. ومعناه أن يُسقط المحدث راوٍ ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر. وهذا التدليس هو شر أنواع التدليس[45].و الحقيقة أن من يفعل ذلك فهو يتعمد التلبيس والتلاعب، بل والكذب على الناس . ومن هذا حاله لا يصح توثيقه ،ولا الاحتجاج بمروياته.

والوليد بن مسلم القرشي (119- 194 هـ)، قيل فيه :كان كثير الخطأ ، وصاحب تسهيل، له منكرات، واختلطت عليه أحاديث[46]. ثقة، صالح الحديث، مُدلس ، دلس عن الكذابين وغيرهم، أغرب بأحاديث لم يُشركه فيها أحد، كان ((يحدث حديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها عنهم))، وقد نُبه إلى ذلك وعُوتب عليه ، فلم يرجع عن فعله، روى عن مالك أحاديث ليس لها أصل. وقال الدارقطني : ((كان الوليد بن مسلم يرسل، يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع وعطاء والزهري فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي ،عن نافع ،وعن الأوزاعي عن عطاء))[47] . ورجل هذا حاله لا يصح الأخذ عنه ، سواء صرّح بالسماع ، أو لم يُصرح به، فهذا إنسان ضعيف ضبطا وعدالة، لأنه كان مُصرا على التغليط والتلاعب، والتحريف والكذب.

وأبو سلام ممطور الحبشي الدمشقي (من الطبقة الثالثة): لا يصح الإسناد من جهته لما ذكرناه عنه في الطريق السابق- الثالث- .

وأما متن الحديث فلا يصح أيضا، لأن الذي يُدخل الجنة أساسا ليس الفقر، ولا الغنى ، وإنما هو الإيمان والعمل الصالح، وأما الفقر والغنى فهما من مظاهر الامتحان والابتلاء ، كل منهما قد يُدخل إلى الجنة، وقد يدخل إلى النار. وعليه فلا يصح تفضيل ومدح أحدهما عن الآخر.

ومن جهة أخرى لا يصح القول بأن صعاليك المهاجرين- فقراء المهاجرين- هم أول الواردين على الحوض. لأن ورود الحوض لا علاقة

---

[44] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 436 .
[45] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ص: 80 .
[46] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، رقم: 2845 ، ج 4 ص: 88 .
[47] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10 ص: 106 .

لله بالفقر من عدمه ، وإنما بالإيمان والعمل الصالح، ومن الثابت أن أفضل الناس بعد- النبي- عليه الصلاة والسلام- هو أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- وقد كان من أغنياء المهاجرين وأنفق ماله في سبيل الإسلام، وفيه قال النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم خليل الله))[48]. فأبو بكر أولى بأن يكون أول من يرد على الحوض من غيره من الصحابة.

كما أن مدح الحديث لهؤلاء على تلك الصفات التي ذكرها، لا يصح ، لأنها ليست من أخلاق الإسلام، لأن الشرع لم يمدح الفقر وإنما أمر بالتخلص منه ، وحث على كسب المال الحلال لإنفاقه في سبيل الله ، والتمتع به وفق الشرع . ورسولنا-عليه الصلاة والسلام- لم يكن فقيرا ((وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)(الضحى: 8))، ولا كان دنسا ، ولا شعثا . فقد كان يهتم بنظافة جسمه ويعتني بهندامه، ويأمر بالسواك، وأمر من له شعر أن يكرمه. وعندما قال له أحد المسلمين : ((إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس »[49].

ولو كان الأمر كما زعمت تلك الروايات ما أمر الله تعالى بالغسل والوضوء، وما قال: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) ، و ((وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)(النحل: 6))، و((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)(المدّثر: 4))، و((إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)(البقرة: 222))، وهذه طهارة عامة غير مخصصة تشمل طهارة النفس والبدن واللباس .. ومن المعروف طبيا أن الفقر والوسخ يُسببان أمراضا كثيرة للفرد والمجتمع . فأية فضيلة فيهما حتى يمدحهما النبي-عليه الصلاة والسلام- ؟؟.

---

[48] الألباني: صحيح الترمذي، ج 3 ص: 200 ، رقم: 2894 .

[49] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح، ج 2 ص: 4 ، رقم: 888 . ومسلم: الصحيح، ج 1 ص: 65 ، رقم: 275. والألباني: الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 410، رقم: 1107.

والرواية الرابعة : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا المقدام بن داود ،ثنا خالد بن نزار، ثنا هشام بن سعد ،عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟، فقال: النبيون، فقلت: ثم أي ؟،قال: ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا التمرة أو نحوها وإن كان أحدهم ليبتلى فيقمل حتى ينبذ القمل ،وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحا منه بالرخاء))[50].

وأقول: الحديث لا يصح إسنادا ولا متنا ، فأما إسنادا فمن رجاله: هشام بن سعد المدني أبو عباد، أبو سعيد (ت 160هـ) : صدوق، له أوهام، مُتشيع ، ليس بالقوي، ضعيف ، ليس بشيء، لا يُحتج بحديثه[51] . و ذكر ابن قتيبة أنه كان شيعيا[52]. وذكره شيخ الشيعة أبو جعفر الطوسي في رجاله[53].

وزيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله وأبو أسامة المدني(ت 136 هـ): ثقة ،يرسل ، مدلس ، قال بن عيينة :كان زيد بن أسلم رجلا صالحا وكان في حفظه شيء ،وروى عن أقوام لم يسمع منهم، فلم يسمع من سعد بن أبي وقاص، ولا من أبي أمامة، وأرسل عن علي ، وأبي سعيد الخدري، وروى عن محمود بن لبيد ولم يسمع منه[54]. و ذكره ابن عدي في الضعفاء، و أنكر عليه الذهبي ذلك[55] . لكن الحقيقة أن ذِكر ابن عدي له في الضعفاء له ما يُبرره ، لأن ضعفه بسبب الإرسال والتدليس و العنعنة وقلة الضبط .

وعطاء بن يسار المدني الهلالي (ت 94هـ أو بعدها) : ثقة، حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم كأبي الدرداء، وبعضهم لم يثبت سماعه منهم كابن مسعود[56].وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن ، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته .

وأما متنا فإن مما يشهد على عدم صحته قوله: ((وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحا منه بالرخاء)) ، وهذا ليس من الشرع ، فمن المعروف أن الرخاء من فضل الله على عباده المؤمنين، ولا يصح الفرح بالبلاء وتفضيله على

---

[50] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 370 .
[51] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 80، ج 10، ص: 26 .
[52] المعارف، ص: 116 .
[53] المعارف، ص: 116 .
[54] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم : 728، ج 1 ص: 256 . و ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، حققه مصطفى العلوي، و محمد البكري، مؤسسة قرطبة، ج 4 ص: 339 .
[55] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، رقم: 704، ج 4: ص: 214 . و الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 2989 ، ج 3 ص: 80 .
[56] الذهبي: الميزان ، ج 2ص: 52. و العلائي: جامع التحصيل ، ص: 238. و ابن حجر: التقريب، ج 1ص: 676.

الرخاء. وقد مَنّ الله تعالى بالفضل على عباده المؤمنين، كما في قوله سبحانه: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور : 55))،و((يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(البقرة: 185))، و((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(الحج:78)) و((يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً)(النساء: 28)). وقد كان النبي- عليه الصلاة والسلام - ما خُير ((بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ...)) [57]. وكان يدعو بقوله : ((اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ...))[58].

وعليه فإن ذلك الحديث لا يصح لما ذكرناه، ولأنه مخالف للفطرة البشرية التي تفضل الرخاء على الشدة والبلاء.

والرواية الخامسة : قال أبو بكر الكلاباذي (ت 380 هـ) : ((ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا: " يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين، وكان لباسهم الصوف حتى إن كان بعضهم يعرق فيه فيوجد منه ريح الضأن إذا أصابه المطر" ،.هذا وصف بعضهم لهم، حتى قال عيينة بن حصن للنبي ﷺ: إنه ليؤذيني ريح هؤلاء، أما يؤذيك ريحهم ؟!))[59]. وقال الحسن البصري: ((لقد أدركت سبعين بدريا، ما كان لباسهم إلا الصوف "))[60].

وأقول: فيما يخص الحديث الأول فيه زيادات ليست منه ، منها " وكان لباسهم الصوف " . لما رواه الترمذي : ((عن فضالة بن عبيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انصرف إليهم فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة. قال

---

[57] البخاري: الصحيح، ج 4 ص: 189 ، رقم: 3560 .
[58] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 25 ، رقم: 3861.
[59] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ،، حققه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، 1993 ، ص: 13-14 .
[60] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 14 .

فضالة: وأنا يومئذ مع رسول اللهصلى الله عليه وسل قال أبو عيسى هذا حديث صحيح))[61]. فتلك الزيادة مقحمة في النص لغاية في نفوس واضعيها. بل حتى هذا الحديث فيه نظر لأنه يشجع على الفقر والرضا به ، وهذا ليس من دين الإسلام . وقد تغير حال فقراء الصحابة زمن الخلافة الراشدة من الفقر والشدة إلى الرخاء والغنى. والصواب هو أنه- عليه الصلاة والسلام- حثهم على الصبر، حتى يفتح الله عليهم ويعدهم بذلك مستقبلا لا أن يحثهم على طلب المزيد مما هم فيه. ولماذا يحثهم وحدهم فقط دون غيرهم من الصحابة ؟. وهذا الحديث سبق أن نقدناه في الرواية الثانية فلا نعيد ذلك هنا.

وأما قول الحسن البصري:" لقد أدركت سبعين بدريا، ما كان لباسهم إلا الصوف "))[62]. فلا يصح بدليل الشواهد الآتية: منها إن الصحابة كانوا يقتدون بالنبي –عليه الصلاة والسلام – في كل أحوالهم منها اللباس، وبما أنه عليه الصلاة والسلام لم يلبس الصوف فقط، وإنما لبس ملابس مصنوعة من مواد أخرى كالقطن ، والكتان[63]. فالصحابة كانوا على سنته ولم يكونوا يلبسون إلا الصوف فقط كما زعم الخبر. والثاني بما أن طائفة من الصحابة كانوا يلبسون الصوف في العهد النبوي ليس تصوفا ولا تحريما لغير ملابس الصوف، ولا تفضيلا لها ، وإنما بسبب الفقر ، فإن الذين عاشوا منهم زمن الخلافة الراشدة وأدركهم الحسن البصري، لاشك أن حالهم المادي قد تغير ، ولم يصبح فيهم فقير، وهذا يعني أنهم قد نوعوا من ملابسهم ولم يقتصروا على لباس الصوف فقط.

والشاهد الثالث مفاده إني عثرتُ على نفس الرواية عن الحسن البصري، لكنها خالفت الأولى في تأكيدها على أن هؤلاء الصحابة كانوا لا يلبسون إلا ملابس الصوف. فروت عنه أنه قال((لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف))[64]. فشتان بين الروايتين ، فهناك فرق كبير بين : لا يلبسون إلا ملابس الصوف. وبين: كان أكثر لباسهم الصوف. فهذا دليل دامغ على تلاعب الرواة بالخبر مما يرجح أنه مختلق أصلا. وحتى قولها: كان أكثر لباسهم الصوف، مردود بما ذكرناه في الشاهديّن السابقين.

---

[61] الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ج 5 ص: 368 ، رقم: 2368 .
[62] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 14 .
[63] أحمد بن حنبل: المسند، والحديث صححه شعيب الأرناؤوط ، ج 6 ص: 132 ، رقم: 25047 .و البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 147 ، رقم: 5813 . و السيوطي: الديباج على مسلم بن الحجاج، ج 5 ص: 128 .
[64] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2 ص: 134 .

ويجب أن لا ننس بأن أهل الصُفة كانوا فقراء بسبب الفقر، ولم يختاروا الفقر قصدا وتعبدا وتصوفا كما يزعم الصوفية، وإنما الظروف الصعبة التي كان يمر بها المسلمون في المدينة جعلتهم فقراء ، لكن أحوالهم وكل الصحابة تغيرت بتحسن ظروف الدعوة الإسلامية، وفي زمن الخلافة الراشدة لم يبق صحابي فقير، فأصبحوا كلهم من الأغنياء والميسورين بسبب ما فتحه الله عليهم من فتوحات. وكثير منهم مات وترك من بعده أموالا كثيرة[65] . وهذا يعني أن أهل الصُفة لم يبق لهم وجود كجماعة، ولا كطائفة فقيرة، وعليه فلا يصح الاقتداء بهم ولا الانتماء إليهم بدعوى أنهم من أهل الصفة.والحَكم هنا هو حالهم الأخير الذي انتهوا إليه وليس حالهم الأول الظرفي الذي مروا به ، ثم تخلصوا منه.

لكن الصوفية لما لم يجدوا دليلا شرعيا صحيحا لتأييد مذهبهم في لباسهم وتسميتهم ونشأة جماعتهم تمسكوا بحكاية أهل الصفة وانتسبوا إليهم؛ مع أن الأصل في ديننا هو الانتماء إلى الله ورسوله ، وليس الانتماء إلى أهل الصُفة ، ولا إلى أية جماعة أخرى . لكن القوم هذا هو ديدنهم يتمسكون بالروايات الضعيفة والموضوعة تعضيدا وتدعيما لتصوفهم الذي أقاموه على رغباتهم ومصالحهم[66] .

والرواية السادسة : قال الهجويري : قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- : ((عليكم بلباس الصوف لتدركوا حلاوة الإيمان))[67] .

وأقول: الحديث لا يصح إسنادا ولا متنا، فهو حديث موضوع[68] ، مع أن الرجل ذكره بصيغة الاثبات لا التمريض والشك. وهذا شاهد دامغ على أن الرجل لا يُميز بين صحيح الأخبار من سقيمها .

وأما متنه فهو باطل شرعا وواقعا، فأما شرعا فإن الإيمان لا يُكتسب بلباس الصوف، وإنما يُكتسب بالاعتقاد الصادق والإخلاص والالتزام بالشرع قلبا وقالبا. وأما واقعا فقد كان الصوفية من أكثر الناس لباسا للصوف، لكنهم من جهة أخرى كانوا من أكثر الناس انحرافا عن الشرع والعقل والعلم[69]. فلو أكسبهم الصوف حلاوة الإيمان ما كانوا من أكثر

---

[65] سنفصل ذلك ونوثقه لاحقا .
[66] سنقيم الأدلة القطعية على صحة ما قلناه من خلال ما يأتي من كتابنا هذا .
[67] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 247 .
[68] الألباني: الضعيفة ، ج 1 ص: 206 ، رقم: 90 .
[69] سنقيم الأدلة القطعية على صحة >لك من خلال كتابنا هذا .

الطوائف مخالفة للشرع ،وتعطيلا له ،وصدا عنه، بل وهدما له كما سنبينه لاحقا.

وهذا الرجل الصوفي يحرف ويغالط ، لأن لبس الصوف هو كغيره من اللباس ليست له أية ميزة شرعية تفضله عن غيره من أنواع الملابس. وقد لبسه الصحابة إلى جانب الملابس الأخرى المصنوعة من القطن والكتان مثلا . علما بأن مناخ الصحراء يتطلب لباس مختلف أنواع القماش، بسبب التباين الشديد بين حرارة النهار والليل. فالنهار حار عادة، والليل شديد البرودة عادة. وهذا يتطلب لباس مختلف الأنواع من صوف وقطن، ومن لباس خفيف وثقيل .

والهجويري نسي أو تناسى بأن الصحابة تغيرت أحوالهم وتنعموا بالدنيا الحلال بما فتحه الله عليهم من فتوحات؛ فكثرت أموالهم وعقاراتهم ، وتنوعت ملابسهم . ومن كان منهم يلبس الملابس العادية من الصوف مثلا، لم يلبسها عن ففر وتصوف، وإنما عن زهد وتواضع . ولا شك أنهم كانوا ينوعون ملابسهم حسب أذواقهم ضمن حدود الشرع، وإلا ما ذا فعلوا بأموالهم زمن الخلافة الراشدة ؟، ولماذا تركوها لورثتهم ، إن لم يتمتعوا هم بها أولا ؟؟.

والرواية السابعة : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو عمرو بن حمدان،ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو وهب الحراني، ثنا سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله ،عن عمه ،عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- عيينة بن حصين والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المسجد ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عندهم غيرها، جلسنا اليك وخالصناك وأخذنا عنك فأنزل الله عز وجل ((واتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)(الكهف:26-28)، حتى بلغ " أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا"(الكهف: 29). يتهددهم بالنار فقام نبي الله يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال رسول -الله صلى الله عليه و سلم- : "الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم أمتي معكم المحيا ومعكم الممات"))[70].

[70] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 345 .

وأقول: الإسناد لا يصح ، لأن من رجاله: سليمان بن عطاء بن قيس الحراني : منكر الحديث، في أحاديثه مناكير[71].ومسلمة بن عبدالله بن ربعي الجهني : مجهول[72].

وأما متنها فلا يصح بدليل الشواهد الآتية: أولها إن إسناد هذه الرواية ضعيف جدا ، وهذا ينعكس سلبا على مضمونها ، ومن الخطأ قبول متن خبر فيه ما يُنكر، ومن رواته الضعيف والمجهول .

والشاهد الثاني مفاده إن تلك الرواية وردت من طريق آخر -صححه الشيخ ناصر الدين الألباني- تشهد على أن رواية الصوفي أبي نعيم تعرضت للتلاعب والتحريف لتحقيق غايات صوفية. والرواية الثانية رواها ابن ماجة ، مفادها: ((حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعد الأزدي وكان قارئ الأزد ،عن أبي الكنود، عن خباب في قوله تعالى ((وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)(الأنعام : 52)) إلى قوله (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)(الأنعام: 52)) قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي -صلى الله عليه وسلم- حقروهم ،فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: نعم ،قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال ((وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)(الأنعام: 52)). ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال ((وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)(الأنعام: 53)) ثم قال (وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أ)(الأنعام: 54)) .قال فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته

---

[71] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 141 .
[72] الذهبي : المغني في الضعفاء، ج é ص: 143 .

وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)(الكهف: 28)) ولا تجالس الأشراف ((تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا)(الكهف : 28))) يعني عيينة والأقرع ((وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)(الكهف: 28)) قال هلاكا قال أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا قال خباب : فكنا نقعد مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم))[73].

واضح من هذه الرواية أنها حدثت في العهد المكي وليس في العهد المدني كما ذكرت الرواية الأولى. وليس فيها ذكر لسلمان الفارسي الذي هو من أهل المدينة لا من مكة، وقد أوردته رواية أبي نُعيم من بين أهل الصفة. وليس فيها ذكر للمؤلفة قلوبهم الذين ظهروا في العهد المدني لا المكي، لكن الرواية الصوفية أشارت إليهم. وليس فيها ذكر للجباب، ولا لجباب الصوف، لكن رواية أبي نعيم ذكرتها مرتين**!!** . فماذا يعني هذا ؟؟.

والشاهد الأخير- الثالث- إن تلك الآيات واضحة وصريحة بأنها لم تمدح الصحابة الذين ذكرتهم-أهل الصُفة حسب رواية أبي نُعيم- لفقرهم ،ولا لغناهم، ولا لتصوفهم ، وإنما مدحتهم لإيمانهم . فالأمر لم يكن طبقيا بين الأغنياء والفقراء، ولا بين الصوفية وغيرهم من المسلمين، وإنما كان بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الإسلام وغيره من الأديان. لكن الصوفية جعلوا الإسلام كله صوفيا ، وأن الصحابة كانوا فقراء لتصوفهم . وحالهم هذا هو حال كل الفرق المنحرفة عن الشرع اختصرت الإسلام كله في مذاهبها ، فما خالفها فهو غير صحيح، أو هو في الهوامش لا تأثير له. كحال الشيعة الإمامية الذين جعلوا الإسلام كله من أجل أئمتهم، وأن الدعوة الإسلامية بنبيها وصحابته كانت تدور حولهم[74] .

فالشيعة الإمامية اختزلوا الإسلام وأهله في علي وآل بيته، والصوفية اختزلوا الإسلام وأهله في أهل الصفة. وبهذا الغلو والتحريف تحولت الحبة الصغيرة عندهم إلى قبة كبيرة ، وأصبح الإسلام رهينة عقائد الشيعة والصوفية وأمثالهم من أهل الأهواء.

---

[73] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 2 ص: 396 ، رقم: 3328 .
[74] أنظر مثلا: الكليني : الكافي، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران، ج1 ص: 185 وما بعدها ، ج 1 ص: 285 . .

الرواية الثامنة : قال الصوفي شهاب الدين السهروردي (ق: 6 هـ): عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:((نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة ، وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم))[75].

وأقول: الرجل لم يذكر للحديث إسنادا ، وقد بحثت عنه فلم أجد له أصلا. فالحديث ضعيف قطعا، ومتنه منكر أيضا، فلا علاقة لتنوير القلوب بلباس الصوف. لأن تنوير القلوب يتعلق أساسا بالإيمان والإخلاص، والالتزام بالشرع كالمداومة على الذكر، قال سبحانه: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد : 28)). وليس صحيحا أن لباس الصوف مذلة في الدنيا ونور في الآخرة، فهو لباس كغير من أنواع الملابس الأخرى، ولا دخل للمذلة ولا للعزة بالملابس . فهل لباس النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته للصوف في الدنيا كان مذلة لهم ؟؟ طبعا لا وألف لا ، فقد لبسوه وهم أعزة في الدنيا قبل الآخرة . قال سبحانه : ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(المنافقون: 8)).

والرواية الأخيرة- التاسعة- تتضمن حديثين ، الأول : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أبو يحيى الرازي ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا حفص بن غياث ، عن صالح بن حسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب ، فإذا أردت اللحوق بي فإياك ومخالطة الأغنياء ، ولا تضعي ثوبا حتى ترقعيه »))[76].

والثاني : ((أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، في كتابه : حدثنا علي بن بندار بن الحسين ، حدثنا أبو الفوارس محمد بن علي بن سعيد المركب ، حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا ورقاء ، عن أبي إسحاق ، عن يحيى بن الحصين ، عن أم الحصين ، قالت : كنت في بيت عائشة وهي ترفع قميصا لها بألوان من رقاع بعضها من بياض وبعضها من سواد ، وبعضها غير ذلك . فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : قميصي أرقعه . فقال النبي -صلى الله

---

[75] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 165 .
[76] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 67 .

عليه وسلم- : « أحسنتِ ، لا تضعي ثوبا حتى ترقعيه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له))[77]. بمعنى لا جديد لمن لا يلبس الثوب القديم البالي .

وأقول: الإسناد الأول لا يصح لأن من رجاله: حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي (117-194 هـ)، قيل فيه: ثقة ، صدوق، كثير الغلط كان يرسل ،و يُدلس، مُخلط ، فقد حدث بحديث عن راوٍ لم يسمعه منه[78]. ، قال علي بن المديني: أحاديثه عن جعفر بن محمد- الصادق- مُنكرة ، وعن مالك مقاربة[79].

و جعله الشيعة من رجالهم ، ومن أصحاب بعض أئمتهم والراوين عنهم، و وثقوه ، و أثنوا عليه، و رووا عنه روايات إمامية، و اعتمدوها، لكن أشار بعضهم إلى أنه من العامة[80] . و مما يُؤيد صحة تشيعه و ممارسته للتقية أنه من أخص تلاميذ الأعمش في الكوفة ، فهو من رؤوس شيعة محدثي الكوفة الذن كانوا يخفون تشيعهم الإمامي[81]. ومنها حادثة تبين أن هذا الرجل كان يتظاهر بالتشدد من الرافضة ، بطريقة توحي بممارسته للتقية عندما كان قاضيا ، ومفادها أن الراوي طلق بن غنام ذكر أن امرأة قالت لحفص : ((أصلح الله القاضي، زوجني، فإن إخوتي يضرون بي، فالتفت إلي، وقال: يا طلق! اذهب، فزوجها إن كان الذي يخطبها كفوًا، فإن كان يشرب النبيذ حتى يسكر، فلا تزوجه، وإن كان رافضيا، فلا تزوجه))[82]. و منها أيضا أن أحاديثه عن جعفر الصادق مُنكرة ، فلماذا ؟، واضح انها من أحاديث الشيعة الإمامية ، لهذا هي منكرة ومن أدلة تشيعه أيضا .

والراوي الثاني: صالح بن حسان النضري أبو الحارث المدني نزيل البصرة ، قيل فيه : ليس بشيء، منكر الحديث، ليس بذاك، ضعيف ، متروك الحديث[83].

وأما الإسناد الثاني، فلا يصح أيضا ، لأن من رجاله: محمد بن جعفر البزاز أبو جعفر المدائني (ت 206 هـ)): صدوق فيه لين، يكتب حديثه ولا يُحتج به، لا بأس به[84]. فالرجل ليس بحجة ولا بثقة .

---

[77] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 68 .

[78] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، ج 1 ص: 252 ، رقم: 584. و ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 279.

[79] ابن أبي حاتم: الجرح و التعديل ، ج 2 ص: رقم: 265 .

[80] عبد الحسين الشبستري: أصحاب الإمام الصادق، رقم : 886 ، ج 1 ص: 424 . و أبو العباس النجاشي : رجال النجاشي ، رقم: 346 ، ج 136 . و ابن بابويه القمي: كتاب الخصال ، الحوزة العلمية، قم، 1403 ، ج 2 ص: 7 . و آغا برزك : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج 34 ص: 30 . و أبو جفر الطوسي : الفهرست، ج 1 ص: 187 .

[81] أبو إسحاق الجوزجاني: أحوال الرجال ، ص: 10 . ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 47 .

[82] الذهبي: سير أعلام النبلاء ، الطبقة التاسعة، رقم: 6 ، ج 17 ص: 21 .

[83] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 265 .

وأبو شكر ورقاء بن عمر اليشكري الكوفي نزيل المدائن، من الطبقة السابعة، قيل فيه: صدوق في حديثه عن منصورن المعتمر، لين، ثقة، فيه ضعف من جهة ضبطه، لا يُساوي شيئا[85].

و أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعي (ت 126 هـ) : كثير التدليس والإرسال[86]. وبما أنه هنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

وأما متن الحديثين فلا يصح أيضا بدليل الشواهد الآتية: أولها إنه من المعروف بداهة أن اللباس الجديد أحسن من القديم، وغير المرقع أفضل من المرقع . وعليه فليس من العقل ولا من الشرع الأمر بلباس القديم والمرقع وترك الجديد وعدم المرقع .

والشاهد الثاني مفاده أن الحث على ارتداء اللباس القديم والمرقع دون الجديد وغير المرقع مخالف للشرع الذي أمرنا بإظهار نعمة الله علينا. ولاشك أن إظهار النعمة تكون بالجديد وغير المرقع أولى من أن تكون بالقديم والمرقع . قال تعالى: ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى : 11))، وفي الحديث قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((إن الله إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))[87].

والشاهد الأخير- الثالث- مضمونه أن الشرع حث على لباس الجديد ، ولم يفضل عليه القديم ،ولا أمر بترقيعه. من ذلك قول النبي-عليه الصلاة والسلام- :(("البس جديدا و عش حميدا و مت شهيدا و يرزقك الله قرة عين في الدنيا و الآخرة"))[88].

علما بأنه قد يكون لباس المرقع من الرياء والتظاهر بالالتزام بالشرع والزهد في الدنيا، كما أنه قد يكون اللباس الجديد من باب التباهي والافتخار وقلة الصبر، وقد لا يكون كذلك. وعليه فلا يصح ذم المرقع ولا تحبيبه مطلقا ، ولا ذم الجديد وتحبيبه دائما. لأن الأمر يتعلق أساسا بالنية والالتزام بالشرع .

وأُشير هنا إلى أن الصوفية بعدما أصلوا لجماعتهم بالروايات الضعيفة والموضوعة كما سبق أن بيناه ، فإنهم اهتموا كثيرا بموضوع مرقعاتهم

---

[84] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 339 . و المزي: تهذيب الكمال ، ج 25 ص: 12 .
[85] ابن حجر: التقريب ، ج 3 ص: 58 . وتهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 79 . والذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 354 .
[86] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 46 ، 47 . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 5 ص : 398 .
[87] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 157 ، رقم: 1712 .
[88] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته ، ج 1 ص: 209رقم: 555 .

الصوفية- خرقة التصوف- . فوضعوا لها سننا وشروطا من عند أنفسهم ، وذكروا لها أسانيد كثيرة نسبوها إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته وكبار التابعين . فعلوا ذلك محاولة منهم لإيجاد أصل شرعي وتاريخي للتصوف وأهله : فكرا، وسلوكا ، وتنظيما .

فمن ذلك مثلا أن أبا طاهر المقدسي ذكر حديثا ، وجعل له عنوانا صوفيا يتعلق بخرقة الصوفية مع أن الحديث لا علاقة له بخرقتهم وشروط ارتدائها. فقال:((باب السنة في لبسهم الخرقة على يد الشيخ))[89]. و ((باب السنة فيما يشترط الشيخ على المريد عند لبس المرقعة))، ثم ذكر حادثة بيعة العقبة[90]. وصنف شيخ الصوفية في زمانه عبد القادر الجيلاني (ق:6هـ) رسالة في تلبيس الخرقة على طريقة الصوفية[91].

وقال الشهاب السهروردي: ((ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله . قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ... فَمَن نَّكَثَ)(الفتح: 10)). ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة، ويعرفه حقوق الخرقة))[92].

وأما بالنسبة لأسانيد خرقة –مرقعة- الصوفية ، فقد ذكروا لها روايات كثيرة، منها ثلاثة طرق أوصلوها إلى النبي –صلى الله عليه و سلم – ففي الطريق الأول يوجد فيه العبد الصالح الخضر . والثاني فيه علي بن أبي طالب ، و عنه أخذ الحسن البصري الخرقة . والثالث فيه علي بن أبي طالب و عنه أخذ جعفر الصادق الخرقة وعن هؤلاء أخذ الصوفية خرقتهم[93]. وهناك من يذكر الطريقين الأخيرين و يوقفهما عند علي دون ذكر للنبي- صلى الله عليه و سلّم-[94]. و لهم طريق رابع مفاده أن الصوفي أبا بكر بن هوار رأى في المنام أبا بكر الصديق فألبسه خرقتين ، فلما استيقظ وجدهما عليه ، و عنه توارثها الصوفية[95].

---

89 أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 222 .
90 أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 222 وما بعدها .
91 توجد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية . سيد فؤاد : فهرست المخطوطات ج1 ص :389 .
92 الشهاب السهروردي: عوارف المعارف، ملحق بكتاب الإحياء، ص: 79 .
93 ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ج3 ص :409 ،410 .
94 السبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج8 ص: 266 .
95 الشعراني : الطبقات الكبرى ج1 ص :154 . و ابن الوردي : ج2 ص :114 .

ومن ذلك أيضا : قال ابن النديم : ((قرأت بخط أبي محمد جعفر الخلدي وكان رئيسا من رؤساء المتصوفة وورعا زاهدا وسمعته يقول ما قرأته بخطه : أخذت عن أبي القاسم الجنيد بن محمد ،وقال لي أخذت ،عن أبي الحسن السري بن المغلس السقطي، وقال أخذ السري عن معروف الكرخي، وأخذ معروف الكرخي عن فرقد السنجي وأخذ فرقد عن الحسن البصري وأخذ الحسن عن أنس بن مالك ولقي الحسن سبعين من البدريين))[96].

ومنها تسعة طرق ذكرها الصوفي ابن الملقن في طبقاته، فقال: ((...عن ممشاذ. وممشاذ ورويم أخذا عن الجنيد، عن سرى السقطي، عن المعروف ابن فيروز الكرخي، عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري عن علي، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ...)) [97].

و((... ومعروف أخذ أيضاً عن على الرضا، عن أبيه موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر. عن أبيه على زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي، عن جده رسول الله -صلى الله عليه وسلم-...)) [98].
و((... جنيد، عن جعفر الحذاء، عن أبي عمر الأصطخري، عن شقيق البلخي، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد الراعي، عن أويس القرني، عن عمر وعلي، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ...)) [99].

و((...عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، عن أبي عبد الله احمد بن محمد المروزي الشيباني، عن إسماعيل بن إبراهيم ،عن الوليد بن أبي هشام ،عن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم بن عائشة -رضي الله عنها- ...)) [100].

و((... عن أبي تراب النخشبي، عن شقيق ،عن إبراهيم بن ادهم ،عن أبي عمران موسى بن يزيد الراعي ،عن أويس القرني ،عن عمر وعلي ،عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ...)) [101].

---

[96] ابن النديم: الفهرست ، ص: 319
[97] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 79 .
[98] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 79 .
[99] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 80.
[100] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 80.
[101] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 80.

و((... وهما لبسا من داود ابن محمد المعروف بخادم الفقراء لبس وهو من الشيخ أبي العباس بن الريس، عن الشيخ أبي عبد الله ابن عثمان،عن أبي يعقوب النهرجوري وصحب هو أبا يعقوب السوسي، وصحب هو عبد الواحد بن زيد وصحب هو على ابن أبي طالب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ...)) [102].

و((... وهو لبسها من أبي القاسم سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني وصحبه وهو صحب أباه احمد ابن أيوب الطبراني، وأبوه صحب الجنيد قال الجنيد: صحبت خالي سري ولبست منه، وقال صحبت معروفا ولبست منه قال: البسني داود الطائي وصحبته عن حبيب العجمي كذلك عن الحسن البصري كذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذلك)) [103].

و((... عن أبا بكر ابن أبوريه، عن محمد بن يوسف البناء، عن عبد الله بن عمران الزاهد، الفضيل بن عياض، عن منصور بن المعتمر، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن مسعود، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-...))[104].

و((... عن أبي يعقوب النهرجوري ،عن أبي يعقوب السوسي، عن عبد الواحد بن زيد ،عن كميل بن زياد، عن علي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-...)) [105].

وأقول: كل ما رواه الصوفية من أحاديث نبوية، وروايات عن الصحابة تتعلق بمرقعات الصوف وأسانيدها فهي أخبار غير صحيحة بدليل الشواهد الآتية:

أولها: إن أسانيد تلك الروايات غير صحيحة لأمرين أساسيين: الأول بما أنه سبق أن بينا في المبحث الأول بطلان زعم الصوفية بكون أصلهم يرجع إلى العهدين النبوي والراشدي. وبما أنه سيتبين لنا لاحقا أن التصوف ليس من دين الإسلام ، وانه معطل للشرع وهادم له . فإن هذا يعني قطعا أن روايات الصوفية- بمتونها وأسانيدها- المتعلقة بأهل الصُفة هي روايات غير صحيحة إسنادا ومتنا ، وإنما هي روايات مُختلقة لتأييد التصوف وأهله.

---

[102] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 80.
[103] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 81.
[104] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 81.
[105] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 82.

والأمر الثاني : بما أنه سيتبين من كتابنا هذا أن الصوفية يعتقدون بالتقية وأخفوا حقيقة عقيدتهم وجماعتهم عن المسلمين، وأنهم اختلقوا روايات كثيرة جدا انتصارا للتصوف على حساب الشرع والعقل والعلم؛ فإن هذا يعني قطعا أن الصوفية ضعفاء في روايتهم للأخبار، وأن مروياتهم ضعيفة من داخلها ولا يُوثق بها. اللهم إلا إذا شهدت لها بالصحة قرائن من خارجها.

والشاهد الثاني : لقد ثبت أن النبي-عليه الصلاة والسلام – لم يخص لباس الصوف بأية ميزة، ولا كان أحب اللباس إليه ، ولا لبس مرقعات الصوفية ولا حث عليها. فمن ذلك مثلا ((عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان أحب الثياب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحِبَرة))[106]. وعن عائشة- رضي الله عنها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين توفي سُجي ببرد حِبَرة))[107]. وهي ثياب من قطن أو كتان[108]. بل وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على كراهيته للباس الصوف، فعن عائشة انها قالت: ((جعلت للنبي -صلى الله عليه و سلم- بردة سوداء من صوف فذكر سوادها وبياضه فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف قذفها وكان يحب الريح الطيبة))[109].

والشاهد الأخير- الثالث- : لقد اتفق النقاد المحققون من المحدثين كابن الصلاح، والذهبي وابن حجر على أنه لم يرد في خبر صحيح ، ولا حسن ، ولا ضعيف ، أنّ الرسول – عليه الصلاة و السلام – ألبس الخرقة أحدا من أصحابه ، ولا أمر بها . وكل ما يروى في ذلك باطل ، ومن الكذب المفترى القول بأن عليا ألبس الحسن البصري الخرقة ، لأنّ أصحاب الحديث لم يثبتوا للحسن البصري سماعا منه[110] ، فضلا على أن يلبسه الخرقة[111]. و أما القول بأن الخضر أخذها عن النبي –صلى الله عليه و سلّم- فباطل لأنه توفي قبله بقرون مديدة زمن موسى –عليه السلام-[112].

---

[106] البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 147 ، رقم: 5813 .
[107] البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 147 ، رقم: 5814 .
[108] السيوطي: الديباج على مسلم بن الحجاج، ج 5 ص: 128 .
[109] أحمد بن حنبل: المسند، والحديث صححه شعيب الأرناؤوط ، ج 6 ص: 132 ، رقم: 25047 ..
[110] إذا كان ذلك باطلا في حق الحسن البصري المتوفى سنة 110 ه/ 728 م ، فإنّ الإدعاء بأنّ جعفر الصادق (ت 158 ه /774م) أخذ الخرقة عن علي فهو أولى بالبطلان .
[111] الشوكاني : الفوائد المجموعة ص : 253 . و ابن الديبع : تمييز الطيب من الخبيث ص :205 .
[112] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف ص :58 وما بعدها .

و يـرى المـؤرخ الناقـد عبـد الـرحمن بـن الجـوزي أن إسـناد خرقـة الصـوفية كلـه كـذب و محـال[113]. وأن تميـزهم بلبـاس الفـوط المرقعـات وتظاهرهم بهـا ، هو أمر مكروه و ليس من الشريعة لعدة وجوه ، منهـا : أنهم لبسوها من غير فقر ،ولم يلبس السلف الثياب المرقعات إلا ضـرورة . وأنهم ادعوا الفقر وقد أُمرنـا بإظهـار نعم الله علينـا .وأنهم أظهروا الزهد- الذي قد يورث فيهم الكبر- والمطلوب منهم ستره[114] .وفي ذلك يروى أن عالما قال لجماعة من أصحاب المرقعات : ((إخواني إن كان لباسكم موافقا لسرائركم ، لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ،وإن كانت مخالفة لسرائركم ، فقد هلكتم و رب الكعبة))[115].

ويقول شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميـة : ((وأمـا الخرقـة فقالوا : دخل على الشيخ العارف عقيل المنبجى والبسه الخرقة بيده ،والشيخ عقيل لبس الخرقة من يد الشيخ مسلمة المردجى، والشيخ مسلمة لبس الخرقة من يد الشيخ أبى سعيد الخراز . قلتُ: هذا كذب واضح، فإن مسلمة لم يدرك أبا سعيد بل بينهما أكثر من مائة سنة بل قريبا من مأتى سنة . ثم قالوا والشيخ أبو سعيد الخراز لبس الخرقة من يد الشيخ أبى محمد العنسى، والعنسى لبسها من يد الشيخ على بن عليل الرملى، والشيخ على بن عليل لبسها من يد والده الشيخ عليل الرملى، والشيخ عليل لبس الخرقة من يد الشيخ عمار السعدى ،والشيخ عمار السعدى لبس الخرقة من يد الشيخ يوسف الغسانى، والشيخ يوسف الغسانى لبس الخرقة من يد والده الشيخ يعقوب الغسانى، والشيخ يعقوب الغسانى لبس الخرقة من يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوم خطب الناس بالجابية، وعمر بن الخطاب لبس الخرقة من يد رسول الله، ورسول الله لبس الخرقة من يد جبرائيل ،وجبرائيل من الله تعالى. قلتُ: لبس عمر للخرقة وإلباسه ولبس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للخرقة وإلباسه ،يعرف كل من له أدنى معرفة أنه كذب .وأما الاسناد المذكور ما بين أبى سعيد إلى عمر فمجهول ،وما أعرف لهؤلاء ذكرا لا فى كتب الزهد والرقائق ولا فى كتب الحديث والعلم ،ومن الممكن ان يكون بعض هؤلاء كانوا شيوخا وقد رُكِب هذا الاسناد عليهم من لم يعرف ازمانهم والله اعلم بحقيقة امرهم))[116].

[113] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 216 .
[114] ابن الجوزي :صيد الخاطر ص : 338 .و تلبيس إبليس ص : 214 .
[115] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 215 .
[116] ابن تيمية : مجموع الفتاوى، ج 11 ص: 103-104 .

وذهب المؤرخ ابن خلدون إلى القول بأن الصوفية لما أرادوا أن يجعلوا للباسهم أصلا رفعوا لباس الخرقة إلى علي ابن أبي طالب الذي لم يكن يختص من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا حال . وقد كان الصديق و الفاروق أزهد الناس و أعبدهم بعد رسول الله ، ولم يختص واحد منهما في الدين بشيء[117] .

وهذا ردّ قوي من ابن خلدون على الصوفية ،ونقد وتكذيب لهم في دعواهم ، بطريقة لينة ذكية صحيحة . وأما دعواهم إلباس أبي بكر الصديق خرقتين لأحد الصوفية في المنام ، فهي هروب من الحقيقة وإحالة على مجهول . فهم عندما أعوزهم الدليل التاريخي الصحيح و تبيّن لهم بطلان رواياتهم المتعلقة بخرقة الصوفية لجؤوا إلى المنامات هروبا من النقد. وما أسهل الاستنجاد بالأحلام لاختلاق الأخبار ، فهي في متناول كلّ إنسان،فيُقال مثلا: لقد ثبت عندي في المنام عدم صحة نسبة خرقة الصوفية إلى الصحابة ولا إلى النبي-عليه الصلاة والسلام !!. و متى كانت المنامات من أدلّة الشرع والعقل والعلم ، ومن طرق إثبات الحوادث التاريخية ؟؟!! .

ويقول المؤرخ شمس الدين السخاوي: ((حديث " لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي ". قال ابن دحية وابن الصلاح :إنه باطل وكذا قال شيخنا- ابن حجر العسقلاني- إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك ،وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل. قال: ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة))[118].

وقبل إنهاء هذا المبحث أذكر هنا إضافات أخرى للرد على الصوفية في زعمهم بأن أهل الصُفة من الصوفية، وأن من أهم صفاتهم أنهم كانوا فقراء، وأن الشرع قد مدحهم على حال الفقر والجوع الذي كانوا عليه.

---

[117] ابن خلدون : المقدمة ص :386 .

[118] السخاوي: المقاصد الحسنة ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص: 527 .

فمن ذلك أولا: إن فقر أهل الصُفة لم يكن بأمر من الشرع، ولا اختيارا منهم، ولا تصوفا كما زعم الصوفية، وإنما كان امرا طارئا فرضته عليهم ظروف الدعوة الإسلامية بسبب الهجرة إلى المدينة. ولهذا اختفى أهل الصُفة كجماعة ولم يبقوا فقراء في زمن الخلافة الراشدة عندما كثرت الخيرات . فمن ذلك مثلا ما رواه[119] الحسن البصري- وهو شاهد عيان- ، فقال: ((أدركتُ عثمان على ما نقموا عليه ، قلّ ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على السمن والعسل ،والأعطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمنا ، ومن لقيه فهو أخوه ...))[120].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قد فضل المهاجرين عن غيرهم بالعطاء الوفير- معظم أهل الصُفة كانوا من فقراء المهاجرين- ، وقسم العطاء على عموم الصحابة كالآتي :

1-المهاجرون الذين شاركوا في غزوة بدر لهم 5 آلاف درهم سنويا .

2- الأنصار الذين شاركوا في غزوة بدر لهم 4 آلاف درهم سنويا .

3- المهاجرون قبل الفتح، لهم 3 آلاف درهم سنويا .

4- المهاجرون بعد الفتح لهم ألف درهم سنويا .وألحق الحسن و الحسين و سلمان الفارسي بأهل بدر وأعطى كلا منهم 5 آلاف درهم سنويا. وحتى الأولاد و النساء فرض لهم عطاءهم السنوي بما يكفيهم . علما بأنه زاد في عطاء العباس وعلي و أمهات المؤمنين لقرابتهم من النبي-عليه الصلاة و السلام-[121] .

وبذلك يتبين أن فقراء الصحابة من المهاجرين - وهم من أهل الصُفة- أصبحوا من الأغنياء والميسورين ، منهم: عمار بن ياسر، وبلال بن رباح،

---

[119] الرواية حسنة الإسناد رجالها هم : البخاري ، و موسى بن إسماعيل ، و مبارك بن فضالة ، و الحسن البصري ، و هم كلهم ثقات .الذهبي : الكاشف ، ج 2 ص: 238، ج 3 ص: 3012 . و علي الهيثمي: مجمع الزوائد ، ج 9 ص: 93 . 94 . 110 .

[120] ابن كثير : البداية ، ج 7 ص: 214 . و الهيثمي: مجمع الزوائد، ج 9 ص: 93 ، 94 . و الطبراني: المعجم الكبير ، ج 1 ص: 97 .

[121] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1 ص: 350 و ما بعدها .

والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن مسعود ،وعلي بن ابي طالب. وقد جعلهم عمر بن الخطاب في المرتبة الأولى بخمسة آلاف درهم سنويا، وكان علي أكثرهم عطاء[122]. وقد رُوي أن عمر أوصل عطاء عمار إلى 6 آلاف درهم[123].

ومن ذلك مثلا أن الصحابي المقداد بن الأسود(ت 33 هـ) –رضي الله عنه- ، تحسنت ظروفه المادية وأصبح من الميسورين ، بل من الأغنياء ، فقد كانت له أملاك متنوعة ، وعند وفاته أوصى للحسن والحسين لكل منهما 18 ألف درهم ،وأوصى لأمهات المؤمنين لكل واحدة منهن 7 آلاف درهم[124].

وعبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- كان من أعيان أهل الصُفة- كانت له ضيعة وأموال أخرى، وعندما توفي ترك من بعده تسعين ألف مثقال، سوى رقيق وعروض وماشية"[125].

و أما علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ، فقد كان يأخذ مبلغا كبيرا جدا من العطاء قُدر بأربعين ألف دينار سنويا[126] . و هذا المبلغ الكبير يبدو أنه مجموع ما كان يأخذه علي من عطائه وعطاء أفراد أسرته الكبيرة ، التي كانت تتكون عند استشهاده من : 4 زوجات ، و 11 سرية أم ولد ، و 31 ولدا-14 ذكرا ، 17 أنثى- ، هذا سوى الخدم و العبيد[127] .

وقد جمع علي أموالا طائلة تركها لورثته عندما تُوفي ،و بعضها أوصى به في وصيته قبل وفاته ، منها أنه ترك الضياع والنخيل والمزارع والأوقاف ، وترك ورثته من أغنياء قومهم و مياسيرهم .و تشهد وصيته التي كتبها سنة 39 هـ ، أنه كان يملك الأراضي و الآبار ،و الزروع والرقيق[128].

---

[122] نفسه ، ج 1 ص: 350 و ما بعدها .
[123] الذهبي : السير ، ج 1 ص: 622 .
[124] نفس المصدر ، ج 1 ص: 389 .
[125] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 3 ص: 388 .
[126] أحمد بن حنبل : المسند ، ج 1 ص: 159 . و فضائل الصحابة ، ج 1 ص: 539 . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 481 . و ابن كثير : البداية ، ج 7 ص: 333 .
[127] أنظر : الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ص: 163 . و ابن كثير : البداية ، ج 7 ص: 353 ، 356 . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 483 . و الذهبي: الخلفاء الراشدون ، ص: 398 .
[128] عمر بن شبة : أخبار المدينة ، ج 1 ص: 136 ، 138 ، 140 و ما بعدها . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 481 و ما بعدها .

ونفس الأمر ينطبق على صحابة آخرين من المهاجرين، كطلحة بن عبيد، والزبير بن العوام- رضي الله عنهما- . فالأول قُدر ما تركه من ((العقار والأموال وما ترك من الناض-النقد- ثلاثين ألف ألف درهم، و ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض"[129].

وعن الثاني قال عروة بن الزبير: ((ترك أبي من العروض خمسين ألف ألف درهم، ومن العين خمسين ألف ألف درهم... وروى ابن عيينة عنه، عن أبيه قال: أُقتسم مال الزبير على أربعين ألف أف. وادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة))[130]. و ((عن عروة قال: كان للزبير بمصر خطط ،وبالإسكندرية خطط ،وبالكوفة خطط ،وبالبصرة دور. وكانت له غلات عليه من أعراض المدينة))[131].

وبذلك يتبين عدم صحة وصف أبي نعيم الأصبهاني لأهل الصفة بأن من صفاتهم أنهم لا يأوون إلى أهل ولا مال، و حماهم الله عن التمتع بالدنيا والتبسط فيها، لكيلا يبغوا ولا يطغوا[132]. فالقوم لم يكونوا كذلك أبدا، وإنما مروا بمرحلة فقر فصبروا واحتسبوا واجتهدوا ، ثم مرت وعادوا إلى حياتهم الطبيعية كما سبق أن بيناه.

وليس صحيحا أن الله تعالى خص هؤلاء بما هم فيه من فقر وصبر، وإنما القرآن شاهد على أن ظروف هجرتهم وحصرهم وعدم قدرتهم على طلب الرزق هو الذي جعلهم كذلك وليس ما زعمه الرجل. بدليل أن أحوالهم تغيرت وتحسنت ، فتزوجوا وأنجبوا وكسبوا الأموال الكثيرة عندما فتح الله تعالى على المسلمين الأقاليم والبلدان، كما بيناه أعلاه . علما بأن أهل الصُفة- قبل تحسن أحوالهم- لم يكونوا كسالى بلا أعمال إيجابية منتجة يقومون بها،وإنما كانوا يطلبون العلم، ويشاركون في الجهاد ، ويتعاونون مع إخوانهم على البر والتقوى . فلم يكونوا عالة على المجتمع بلا عمل يقدمونه له .

---

[129] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3 ص: 187 .
[130] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 5 ص: 99 .
[131] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 3 ص: 91، 92 .
[132] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 337، 338 .

وثانيا إن القرآن الكريم قد حسم أمر أهل الصفة وبين وضعهم الصحيح الذي كانوا فيه ، ولا يصح ترك كتاب الله تعالى والالتفات إلى أباطيل وخرافات ومرويات الصوفية التي خالفوا بها الشرع والتاريخ الصحيح فيما يتعلق بأهل الصُفة . فالقرآن الكريم نص صراحة بأن هؤلاء كانوا فقراء غير قادرين على الكسب في قوله تعالى: ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة : 273)) . وأشار إلى النواة المكونة لأهل الصُفة هم أصلا من المهاجرين الذين تركوا أموالهم وممتلكاتهم بمكة وهاجروا في سبيل الله . فقال : ((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحشر: 8)).

ومن ذلك يتبين أن هؤلاء الفقراء ليسوا صوفية ، ولم يتخلوا عن أموالهم وأعمالهم ليتصوفوا ، ولا تركوا التكسب تصوفا ؛ وإنما فقدوا أموالهم عندما هاجروا إلى المدينة في سبيل الله. وهناك أُحصروا ولم يستطيعوا ضربا في الأرض ،و لم يكن حالهم هذا تصوفا ، وإنما كان نوعا من أنواع الجهاد في سبيل الله . ولما تغير حال المسلمين وفتح الله عليهم بالأموال ودولة الإسلام انفض هؤلاء ، وكل منهم كون أسرته وانصرف لشؤونه .

وبناءً على ذلك فلا يصح اتخاذ أهل الصُفة أصلا لظهور التصوف وأهله. فهذا تحريف سافر ومتعمد للتاريخ، ونفعية مكشوفة. فلماذا لم يقتدوا بهم قبل هجرتهم عندما لم يكونوا فقراء ؟؟، ولماذا لم يقتدوا بهم بعد ما زالت جماعتهم وأصبحوا بزوجاتهم وأولادهم وأموالهم ؟؟.

لكن أبا نعيم الأصبهاني أراد أن يوهمنا بأن هؤلاء الفقراء-أهل الصفة- هم الذين اختاروا تلك الحالة، وهذا باطل قطعا بدليل القرآن والتاريخ. فقال: ((إن الظاهر من أحوالهم والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الأطعمة لونان))[133]. وهذا زعم باطل ،و تحريف متعمد للتاريخ، لأن القوم فُرض عليهم الفقر فرضا بسبب تركهم لأموالهم ، وإحصارهم وعدم قدرتهم على التكسب كما ذكر القرآن الكريم . ثم عندما تحسنت أحوال المسلمين تركوا ما كانوا

[133] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 337، 340 .

فيه وتزوجوا وأنجبوا وكسبوا الأموال كما بيناه سابقا . فلو كان حالهم في الصُفة باختيارهم واتخذوه دينا صوفيا لهم ما تركوه عندما تحسنت أحوالهم، وما اختفت جماعة أهل الصُفة نهائيا .

علما بأنه لا يصح شرعا ولا عقلا أن نأتي إلى المجتمع المسلم الذي مدحه الله تعالى وزكاه ووصفه بقوله : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران : 110))، نأتي إليه فنركز على شريحة منه ونبرزها ونبالغ في مدحها ثم ننتمي إليها ونُكوّن منها فرقة ننسبها إليه، ونخصها بمذهب دون باقي شرائح المجمع المسلم كما فعل الصوفية. فهذا عمل مخالف للشرع، وفيه تحريف وتغليط وتلاعب وتفريق للمجتمع المسلم الذي كان يُمثل المسلمين بكل شرائحهم .

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن قول الصوفية بأن أهل صُفة المسجد النبوي كانوا صوفية، وهم الذين كونوا نواة الجماعة الصوفية هو زعم باطل قطعا بدليل القرآن والتاريخ . كما أن قولهم بأن هؤلاء اختاروا الفقر ولباس مرقعات الصوف تصوفا وانتماء للصوفية، هو قول غير صحيح تماما رغم كثرة الروايات التي اختلقوها لتأييد مزاعمهم . فعلوا ذلك انتصارا وتعصبا لغايات صوفية في نفوسهم . وقد رُوي أنه قيل لأحد الصوفية : أتبيع جبتك الصوفية ؟ قال : ((إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصطاد ؟؟ !!))[134].

ثالثا:إخفاء الصوفية لحقيقة فكرهم وجماعتهم(ممارستهم للتقية):

حرص الصوفية منذ ظهورهم على إخفاء حقيقة فكرهم وجماعتهم من جهة؛ وعلى حث أتباعهم ودعوتهم إلى عدم التصريح بحقيقة تصوفهم وطائفتهم من جهة أخرى. فاستخدموا الإشارات والتلغيزات والتمويهات بدلا من العبارات الواضحة في تعاملهم مع الناس. وبمعنى آخر أنهم كانوا يمارسون التقية في علاقاتهم مع غير الصوفية . فما تفاصيل ذلك ؟؟، ولماذا فعلوه ؟؟. وما تأثير ذلك على نشأة التصوف وأهله ؟ .

[134] أبو سعد الآبي : نثر الدرر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ج 2 ص: 130 .

أولا إن شيوخ الصوفية الأوائل المؤسسين للتصوف وللجماعة الصوفية مارسوا التقية بأنفسهم ونوّهوا بها،وحثوا أتباعهم على الأخذ بها ، والحرص على تطبيقها في تعاملهم مع غير الصوفية. منهم: سهل بن عبد الله التستري (ت 283 هـ) ، قال: ((للعالم ثلاثة علوم؛ علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلاّ لأهله، وعلم هو سرّ بين الله وبين العالم هو حقيقة إيمانه، لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن))[135].

والثاني شيخ الصوفية أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت 297 هـ)، له أقوال كثيرة في التقية وممارستها . منها أنه عندما كشف الحلاج عن حقيقة حاله قال الجنيد : ((لقد فضحنا الحلاج))[136].

وعندما وصلته رسالة من الصوفي أبي بكر الشلي (ت 334 هـ) تضمنت التلميح بكشف سر الصوفية في إلى القول بوحدة الوجود من دون تصريح ، رد عليه بخطاب ، منه قوله: ((يا أبا بكر، الله الله في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننشقها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئت أنت فخلعت العذار! بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفت))[137]. وفي رواية أنه قال له : ((نحن حبرنا هذا العلم تحبيرا ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ))[138].

ومن أقوال الجنيد أيضا ، أنه أنشد :

تروح بعز مفرد من صفاته *** وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ***وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمى به ما يصونه *** وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم *** وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه *** إلى أهله في السر والصون أجمل[139].

وقال الجنيد : ((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة. وقال مرة :لو سمعها العموم لكفروهم))[140]. و((لا ينبغي للفقير قراءة كتب التوحيد الخاص، إلا بين المصدقين لأهل

[135] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 337 .
[136] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، جمع وتعليق سعيد عاشور،، مكتبة الآداب ن القاهرة، 2002 ، ص: 215 .
[137] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 305-306 .. و محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 10 .
[138] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 145 .
[139] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 337 .
[140] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 6 ص: 422 .

الطريق، أو المُسَلّمين لهم))[141]. وقال في رسالة إلى أحد إخوانه : ((... وأنا أسأل المنان بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره ...))[142].

ومن ذلك أيضا ما ذكره الصوفي عبد الوهاب الشعراني عن الجنيد ، فقال: ((وكان الجنيد -رضي الله عنه- لا يتكلم قط في علم التوحيد، إلا في قعر بيته بعد أن يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول: أتحبون أن يكذب الناس أولياء الله تعالى، وخاصته، ويرمونهم بالزندقة، والكفر، وكان سبب فعله ذلك تكلمهم فيه كما سيأتي آخر هذه المقدمة، فكان بعد ذلك يستتر بالفقه إلى أن مات))[143].

ومن هؤلاء الصوفية أيضا: أبو الحسين أحمد النوري البغدادي (ت 295هـ) ، رُوي أنه قال للجنيد عندما التف الناس حوله، وتركوا النوري: ((يا أبا القاسم غششتهم فأجلسوك على المنابر ونصحتُهم فرموني في المزابل))[144].

ومنهم أبو العباس بن عطاء البغدادي (ت 310 هـ)، اعترف أنه يتعمد استخدام الإشارة لكي لا يكشف حقيقة تصوفه، فيجيب بالتلغيز والتعمية إخفاءً لحاله. من ذلك أنه أنشد :

إذا أهل العبارة سألونا **** أجبناهم بأعلام الإِشارة

نشير بها فنجعلها غموضاً ** ** تقصر عنه ترجمة العبارة[145].

والصوفي أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري ثم البغدادي (ت 328 هـ) ، سئل عن التصوف فقال: " الإشكال والتلبيس والكتمان". ثم أنشد يقول:

سري وسرك لا يعلم به أحد ** إلا الجليل ولا ينطق به نطق

وانشد أيضاً علي إثره:

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ** لكيلا يحسبوا أن الهوى حيث تنظر[146].

---

[141] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 277 .

[142] أبو نعيم الأصبهاني: الحلية ، ج 10 ص: 280 .

[143] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 15 .

[144] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 146 .

[145] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 89 .

[146] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 23 . وأبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 100 .

ومنهم شيخ الصوفية أبو بكر الشبلي (ت 334 هـ)، أظهر بالتلميح جانبا من سر الصوفية الذي حرصوا على إخفائه عن المسلمين، فأنكر عليه أبو القاسم الجنيد وأنبه بقوله : ((نحن حبرنا هذا العلم تحبيرا ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ))[147]. وروى الخطيب البغدادي بإسناده ((أنبأنا بن الفتح، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: " كنت أنا والحسين بن منصور-الحلاج- شيئا واحدا إلا أنه أظهر وكتمت"))[148].

وقال الصوفي أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البغدادي(ت371هـ) : ((عرّضوا ولا تصرحوا فان التعريض أستر))[149]. فالرجل نصح الصوفية وحثهم على إخفاء حالهم باستخدام المعاريض بدلا من التعبير عن أحوالهم بالكلام الواضح والمفهوم.

وذكر المؤرخ الصوفي السراج الطوسي أن الصوفية لهم رموز خفية أخفوا بها حقيقة تصوفهم . وعندما ذكر أقوالا ملغزة للجنيد، علّق عليها بقوله : ((فيها إشارات لطيفة، ورموز خفية، تعبر عن الحقائق المشكلة، وتنبئ عن السرائر والخصوصية التي تفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد، وحقيقة التفريد))[150]. وذكر أن بعض الصوفية وصف التقية بأنها((حرم المؤمن ،كما أن الكعبة حرم مكة))[151].

وأشار الطوسي إلى أن ((للصوفية أيضا مُستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب، وخبايا السر ومقامات الإخلاص ...))[152] .

ومنهم : أبو طالب المكي (ت 386 هـ) ، من أقواله في التقية : ((وإفشاء سرّ الربوبية كفر. وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره، وقال بعضهم: للربوبية سرّ لو ظهر

---

[147] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 145 .
[148] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص: 121 . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 11 ص: 534 .
[149] ابن الملقن : طبقات الأولياء ، ص: 36 .
[150] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 314 .
[151] السراج الطوسي: اللمع، ص: 303 .
[152] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .

لبطلت النبوّة ...))[153]. و((غير أنّ من له نصيب منه يشهد ما رمزناه، فيكشف له به ما غطيناه))[154]. و((حقيقة علم التوحيد باطن المعرفة، وهو سبق المعروف إلى من به تعرف بصفة مخصوصة بحبيب مقرب مخصوص لا يسع معرفة ذلك الكافة، وإفشاء سرّ الربوبية كفر.وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره، وقال بعضهم: للربوبية سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سرّ لو كشف بطل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهره الله تعالى لبطلت الأحكام، فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرّ، به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي، الله غالب على أمره))[155].

وكان الصوفي أبو بكر الحسين بن علي بن يزدنيار أو يزدنار(ق:4 هـ) يقول: ((تراني تكلمتُ بما تكلمتُ به، إنكاراً على التصوف والصوفية؟! . والله! ما تكلمت إلا غيرةً عليهم؛ حيث أفشوا اسرار الحق، إلى غير أهلها فحملني ذلك على الغيرة عليهم، والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى))[156].

وثانيا إن القول بالتقية وممارستها -إخفاءً للتصوف وأهله- لم يكن خاصا بشيوخ الصوفية الأوائل ؛وإنما استمر أيضا على أيدي شيوخ الصوفية المتأخرين الذين واصلوا مسيرة سلفهم في الدعوة للتقية وممارستها كوسيلة هامة وضرورية للدعوة للتصوف والدفاع عنه وإخفاء حقيقته وانحرافاته عن المسلمين .

من لك قول لعبد الكريم القشيري (ت 465 هـ): ((وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، واستخلص لحقائقها اسرار قوم))[157].

و أنشد شهاب الدين السهروردي المقتول(ت 587 هـ) :

---

[153] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ص: ج 2 ص: 2 .
[154] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1 ص: 488 .
[155] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 .
[156] أبو عبدالرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 112 .
[157] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 30 .

وا رحمتا للعاشقين تحملوا ... ستر المحبة والهوى فضّاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء العاشقين تباح[158].

وقال أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) : ((وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره ...)) . ثم قال : ((وأمثال هذه المعارف التى إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له ...))[159]. و((ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار. ولقد قال بعض العارفين (إفشاء سر الربوبية كفر)، بل قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله) . فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله، ومهما كثر أهل الاغترار وجب حفظ الأسرار على وجه الإسرار))[160]. و((فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر)) [161]. وقال أيضا:

إذا كان قد صح الخلاف فواجب ** على كل ذي عقل لزوم التقية[162].

وقال أبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـ) : «اجعل الفرق في لسانك موجودًا والجمع في جنانك مشهودًا»[163]. و((إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لون فيها، فليكن الفرق في لسانك موجوداً والجمع في سرك مشهوداً))[164].

وقال محي الدين بن عربي(ت 638 هـ) : ((ولما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم ولكنهم بينوا معناها ومحلها ووقتها فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم أو لأمر يقوم في نفوسهم . واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم ... فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا

---

158 يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 215 . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 8 ص: 113 .
159 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 337 .
160 الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 1 .
161 الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .
162 الغزالي: معارج القدس في مدراج معرفة امعرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: 191 .
163 نقلا عن : عبد الروف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ، ج 1 ص: 52 .
164 الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 300 .

بما هو الأمر عليه بالنص الصريح وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون ... فهذا معنى الإشارة عند القوم ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير أو في تآليفهم ومصنفاتهم لا غير))[165].

وآخرهم المفسر الصوفي أحمد بن عجيبة الشاذلي، من أقواله في الحث على ممارسة التقية :((والتحقيق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر))[166]. وقال عن أسرار الصوفية : ((وإنما هي رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تفشى إلا لهم وقليل ومن أفشى شيئاً من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه وتعرض لقتل نفسه كما قال أبو مدين رضي الله عنه:
وفي السر أسرار دقاق لطيفة ... تراق دمانا جهرة لو بها بحنا))[167].

وردا عليهم أقول:
أولا إنه واضح أن الصوفية يأخذون بالتقية ويقدسونها،ومارسوها وحثوا عليها، وجعلوها من أصولهم كالشيعة الإمامية. فعلوا ذلك إخفاءً لحقيقة أحوالهم وعقائدهم ، والتي هي مخالفة للشرع والعقل والعلم باعتراف بعضهم . مارسوا ذلك لكي لا يَعرف حقيقتهم من ليس منهم، مع تظاهرهم بالإسلام . فاستعملوا العبارة-الكلام الواضح- فيما بينهم والإشارة- الكلام المبهم والملغز- في تعاملهم مع غيرهم . حتى أن أبا محمد المرتعش حث الصوفية على أشكلة أقوالهم وتلغيزها لكي لا يفهمها غيرهم ويضمنون استمرار تصوفهم وخططهم في تآمرهم على الإسلام وأهله. وإلا لماذا حثهم على القيام بذلك ؟؟. إنه دعاهم إلى ممارسة الأشكلة، والتلبيس ، والكتمان ، وهي وسائل غير أخلاقية ، ومرفوضة شرعا وعقلا . ومن يأمر بذلك فهو ليس من أهل الصدق ولا الحياد العلمي . علما بأن أقوالهم في التقية وممارستهم لها كشفت جانبا خطيرا من أفكارهم وتاريخهم ،لا يصح إغفاله أبدا في دراسة التصوف وأهله.

وثانيا: إن إصرار هؤلاء الصوفية على ممارسة التقية بدعوى إخفاء أسرار التصوف هو اعتراف دامغ منهم على أنهم يعتقدون ما يخالف دين الإسلام. لأن ديننا دين واضح مُبين مفتوح مكشوف وليس فيه ما يُخبأ في

---

[165] ابن عربي: الفتوحات المكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992 ، ج 4 ص: 275 وما بعدها .
[166] ابن عجيبة: ايقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 140 .
[167] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص: 30 .

السراديب ولا الدهاليز، ولا في الكهوف ولا المغارات . وعليه فمن يُخفي عقائده عن المسلمين مع أنه ينتمي إليهم ، ويعيش بينهم فهو من دون شك يعتقد ما يخالف دين الإسلام وينقضه، ويخاف على نفسه وعقائده إن هو أظهرها. وإلا لماذا يُخفيها ؟؟!! .

ولا يصح تبرير الغزالي لما يقوم به الصوفية في كتمان أحوالهم وأفكارهم بدعوى أنها من أسرارهم ومعارفهم . لأن ما يكتمه هؤلاء إن كان صحيحا فهو بالضرورة موافق للشرع والعقل والعلم ، ونافع للمجتمع ؛ وهنا يجب إظهاره للناس ولا يصح كتمانه عنهم . وبما أن الغزالي وأصحابه دعوا إلى إخفاء أحوالهم وعقائدهم عن غير الصوفية، فهذا دليل دامغ على أنها أحوال فاسدة، وعقائد مخالفة للشرع والعقل والعلم. ولهذا فلا يصح الاهتمام بها، ولا الدعوة إليها، ولا كتمانها ، ويجب عليهم أن يتخلوا عنها .

ونحن لا ننكر بأنه توجد أمور من أحوال الناس يجب أن لا يعلمها كل فرد منهم ، و تبقى مستورة عن بعضهم، أو معظمهم . إنها تبقى في الكتمان لأنها لا تهمهم ، أو أنها تضرهم ولا تنفعهم . قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة: 101)). لكن هذا لا ينطبق أبدا على الدين في ذاته بأصوله وفروعه وغاياته . فالله تعالى قد بينه وفصله لنا ، وأمرنا بتدبر كتابه لاستخراج كنوزه وحِكمه ودُرره، ونشرها بين الناس، ودعوتهم على طلبها ، وليس لإخفائها كالصوفية الذين كتموا عقائدهم . قال سبحانه : ((: ((قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)(المائدة: 15))، و((طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ)(النمل : 1))،و(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(القمر: 17))، و((وَأَنَّ ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153))،و((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود: 1))، و((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص: 29))، و((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد: 24)) . ولهذا فأي إنسان يزعم أن أمور الدين والإيمان ملغزة، ويجب إخفاؤها فهو كاذب ومحرف ومتلاعب، وصاحب هوى،وعلى دين باطل ، لأن الدين الحق لا يقوم أبدا على التستر والتقية، ولا على التعمية والتلغيز والتأويل الفاسد.

وأما الحديث الذي أورده الغزالي بقوله : ((بل قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم (إن من العلم كهيئة...)) ففيه افتراء على النبي-عليه الصلاة والسلام- من جهتين: الأولى إن رسول الله لم يقل ذلك الحديث، لأنه لم يصح عنه ، فهو ضعيف[168]، وكان على الغزالي قبل أن ينسبه إلى النبي أن يتأكد أولا من صحته.

والثانية إن نبيانا-عليه الصلاة والسلام- لم يكن يُمارس التقية، ولا أخفى دين الله تعالى عن الناس، ولا دعا إلى إخفائه . وإنما أمره الله تعالى بأن يصدع بدينه ويُبلغ رسالته.،فقال له: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)(الحجر: 94))، و((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)) .

وثالثا إن تلك الأقوال بينت بوضوح أن شيوخ الصوفية كانوا يُخفون حقيقة التصوف وأهله عن عامة المسلمين . فيُظهرون الكفر فيما بينهم ويُخفونه ويُظهرون الإيمان في تعاملهم مع عامة المسلمين . لكن أفرادا منهم لم يُمارسوا التقية وأظهروا حقيقة ما يعتقده الصوفية بصراحة من دون تلبيس ولا تغليط . من ذلك مثلا حال الصوفيين الجنيد والنوري، الأول تكلم في الناس بلسان الفقه وأخفى حقيقة تصوفه، لكن الثاني أظهر حقيقته وخاطب الناس بلسان التصوف فتصدوا له ورفضوه. فالجنيد راج على الناس بممارسته للتقية وإخفائه لحقيقة عقيدته مُستخدما الإشارة لا العبارة ؛ فنال القبول عند عامة أهل السنة ، وجعله الصوفية شيخ طائفتهم، لأنه أتقن ممارسة التقية وأصبح رأسا فيها بدليل أقواله الكثيرة المتعلقة بالتقية، وقد أوردنا طرفا منها. لكن النوري كان نصيبه الذم والطرد ، لأنه لم يسلك طريقة الجنيد في تعامله مع غير الصوفية .

علما بأن أقوال الجنيد وأحواله تشهد على أنه من أكثر الصوفية ممارسة للتقية ، فكان يتكلم بدروسه في الناس بخلاف ما يخفيه ، ويستخدم الإشارة لا العبارة حسب تعبير الصوفية. إن هذا الرجل كان رأسا في اتقان ممارسة التقية فتعامل مع المسلمين بلسان، وتعامل مع الصوفية بلسان آخر. ولهذا جعله الصوفية شيخ طائفتهم .

---

[168] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ص: 9 .

لكن لا يغيب عنا أن حتى الذين كانوا يحرصون على إخفاء أحوالهم تقية كالجنيد مثلا ،كانت تظهر عليهم شواهد انحرافهم عن الشرع في اقوالهم وسلوكياتهم. ولهذا كل شيوخ الصوفية ظهرت منهم شطحات ومخالفات شرعية كثيرة ومتنوعة ، سنذكر شواهد منها لاحقا .

ورابعا : إن أقوال هؤلاء الشيوخ المتعلقة بالتقية هي اعتراف منهم،وشهادات هامة وخطيرة جدا تدين التصوف وأهله ، وتشهد بأن عامة الصوفية كانوا يُمارسون التقية كتماً لأحوالهم وعقائدهم . وهذا مظهر من مظاهر النفاق ، لأن التقية في حقيقتها النهائية كذب ونفاق. وهي من سلوكيات المنافقين الذين يُبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان . وهذا السلوك ليس من الإسلام ولا من سيرة النبي وصحابته ؛ فلم يكن باطنهم يخالف ظاهرهم ،ولا كانوا يُخالفون الإسلام، وإنما كانوا ملتزمين به قلبا وقالبا. وحالهم هذا من متواترات الشرع والتاريخ لا يحتاج إلى توثيق .

وخامسا: إن أقوال هؤلاء الصوفية المتعلقة بالتقية وممارستهم لها وحثهم على الأخذ بها تفقد التصوف وأهله الموضوعية والنزاهة في القول والعمل. فهم قد حكموا على أنفسهم وتصوفهم بالذاتية والتعمد في إظهار ما يُخالف تصوفهم ،والاعتقاد بما يناقض الشرع والعقل والعلم. ومن هذا حالهم لا يُوثق بمروياتهم ولا تُقبل إلا بعد تحقيقها إسنادا ومتنا . فالأصل فيهم وفي أخبارهم الذاتية لا الموضوعية، والتكذيب لا التصديق ، والتوقف لا الأخذ، وسوء الظن لا حسن الظن. مما يوجب علينا القراءة لهم بحذر شديد، وبنقد صارم لا تسامح ولا تهاون معه ، بعرض أفكارهم وأحوالهم على الوحي الصحيح ،والعقل الصريح، والعلم الصحيح .

وسادسا: إن اعتراف بعض هؤلاء الصوفية- كالجنيد وأبي طالب المكي والغزالي- بأن إفشاء سر ربوبية التصوف هو كفر، وإبطال للنبوة والشرع والعلم. هو اعتراف خطير جدا يكشف بوضوح حقيقة التصوف وأهله من جهة؛ ويشهد –من جهة أخرى- بأن سرهم المزعوم ليس كلاما صحيحا ، وإنما هو أوهام وأباطيل، وضلالات وتلبيسات شيطانية . ولو كان صحيحا ما أبطل النبوة والشرع، ولا العقل والعلم. لأن الحقيقة لا تناقض الحقيقة، والعلم لا ينقض العلم ، وكل ما يُخالف الشرع فهو باطل من دون شك، ومخالف للعقل والعلم أيضا. وبما أن سرهم الصوفي خالف الشرع والعلم

كما بينها في كتابنا هذا، فهو باطل قطعا، وما هو إلا أوهام وهلوسات ، وأباطيل وضلالات .

وسابعا: إن تبرير الصوفية لقولهم بالتقية وممارستهم لها بأن عملهم هذا هو غيرة على أسرار التصوف من أن تخرج عن أهلها، هو تبرير باطل. لأن الحق لا يصح إخفاؤه، ويجب على أهله أن يُبلغوه إلى الناس . ولهذا فإن السبب الحقيقي في ممارستهم للتقية هو أنهم عندما وجدوا العقيدة الصوفية مخالفة للإسلام والعقل والعلم، أخفوها عن غيرهم من الناس. فلو كانت موافقة للشرع والعقل والعلم ما أخفوها ، ولاجتهدوا في تبليغها إلى الناس، لأن الأمر في صالحهم. فلما تبين لهم خلاف هذا أخذوا بالتقية واجتهدوا في ممارستها لإخفاء أسرارهم . وهذا الأمر اعترف به الجنيد وأبو طالب المكي والغزالي وغيرهم عندما اعترفوا بأن السر الصوفي الذي يخفونه هو كفر في ميزان الإسلام وأهله، وأن سرهم مُبطل للنبوة والشرع والعلم . فلو كان سرهم الصوفي موافقا للشرع والعقل والعلم ما أخفوه أبدا.

علما بأن الحقيقة لا يصح ولا يجوز إخفاؤها عن الناس بل يجب تبليغها إليهم قدر المستطاع. وقد أنزل الله تعالى كتابه على نبيه وأمره أن يبلغه للناس، وأن يصدع بالحق لا أن يخفيه، وأمر المؤمنين بأن يقولوا الحق ولو كان ضدهم . لأن الله تعالى هو الحق ويحب الحق ويأمر به. والغيرة على الحق لا تتطلب إخفائه وإنما تتطلب تبليغه إلى الناس ليؤمنوا به. وقد كان نبينا-عليه الصلاة والسلام- يتألم كثيرا عندما رفض الناس الحق الذي جاء به، قال سبحانه :((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً)(الكهف: 6)). وكل من يُخفي عقيدته في مجمع إسلامي فهي بالضرورة مخالفة لدين الإسلام.

وأما قولهم بأنهم أخفوا سرهم عن غيرهم غيرة عليه ، فهذا تدليس وتغليط، وتهرب وتقية لإخفاء حقيقة تصوفهم التي تبين لهم مخالفتها للشرع والعقل والعلم.لأنه كان من الواجب عليهم أولا أن يغاروا وينتصروا للدين والعقل والعلم ، لا للتصوف . وثانيا إن الغيرة الصحيحة لا تكون على الباطل وإنما على الحق بالدفاع عنه ، وإظهاره، والدعوة إليه ،وليس بكتمانه. وكان عليهم أن ينتبهوا إلى أن أي فكر يخالف الوحي والعقل والعلم فهو باطل قطعا ، ولا يصح كتمانه ولا الغيرة عليه ، وإنما يجب رفضه وتحذير الناس منه.

ومن ذلك أيضا أن أحد المتكلمين قال للصوفي أبي العباس بن عطاء: ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتققتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد، هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب ؟. فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا كيلا يشربها غير طائفتنا))[169]. وجوابه هذا تنطبق عليه مقولة : " رب عذر أقبح من ذنب ". فهو جواب لا يصح شرعا ولا عقلا، وهو نفسه من التقية والسفسطة . لأن الشرع فرض علينا قول الحق وتبيانه للناس، والله تعالى أمر رسله بتوضيح وتبليغ رسالته إلى الناس جميعا . ووصف كتابه بأنه كتاب مبين ومُفصل ومُيسر للذكر . وعليه يجب على كل مسلم أن يبين للناس دين الإسلام، ويعرض أفكاره وسلوكياته على ميزان الشرع، ولا يصح أن يتخذ أفكارا، أو سلوكيات مخالفة له ، كما فعل الصوفية بدعوى الغيرة على عقائدهم فهذا مبرر باطل قطعا .

وأما عقلا فمن المعروف بداهة أن صاحب الحق لا يُخفيه عن الناس، ويحرص على نشره وتبليغه إليهم لينتفعوا به ، ويتألم كثيرا إذا رفضوه ، أو لم يقدر على توصيله إليهم . ولهذا وصف الله تعالى نبيه –عليه الصلاة والسلام- في حرصه على نشر الإسلام ودعوة الناس إليه بقوله : ((لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)(الشعراء: 3)) . وأما الذي يخفي ما عنده عن الناس فهو إما أنه أناني وحاسد لا يحب الخير للناس، وإما أنه على باطل يُخفي باطله عنهم لكي لا ينكشف ضلاله . وحال الصوفية ينطبق عليهم الاحتمال الثاني. لأن تصوفهم لو كان صحيحا وموافقا للشرع فليس عندهم جديد، ولا معنى ولا فائدة من إخفائه، وبما أنهم أخفوه فهذا دليل دامغ على ما عندهم مخالف للشرع ، وهذا الذي سيتبين لنا لاحقا بالتفصيل. وعليه فجوابهم عن سبب ممارستهم للتقية غير صحيح، وتهرب وسفسطة، وهو نفسه من التقية والتلاعب والتلبيس .

وأما قول أبي القاسم الجنيد: ((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة .وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم))[170]. فهو شاهد آخر على أن عقيدة الصوفية كانت مخالفة لما عليه علماء أهل السنة وعامتهم في الأخذ بعقائد القرآن الكريم والسنة الصحيحة الموافقة له . فالجنيد وأصحابه اعترفوا بأن عقائدهم الصوفية هي

---

[169] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 89 .

[170] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 341.

كفر في ميزان أهل السنة. لكنه من جهة أخرى مارس التغليط والتدليس عندما قال: " هي كفر عند العامة " ، ولم يقل: " هي كفر في الشرع وعند المسلمين ". مع أنه من المؤكد قطعا أن عقائد الصوفية كانت مخالفة للشرع وناقضة له، ومخالفة لما كان عليه أهل السنة. بدليل الشواهد الآتية: أولها لو كانت أفكار وأحوال وأسرار الصوفية موافقة للشرع لأظهروها واحتجوا لها به، وما أخفوها . والثاني : إن العامة الذين ذكرهم الجنيد ، وقال بأن عقائد الصوفية هي كفر عندهم ، هم أهل السنة من دون شك.وبما أنه من الثابت قطعا أن أهل السنة كانوا على منهاج الكتاب والسنة، فهذا يعني أن عقائد الصوفية التي أخفوها هي كفر أيضا في ميزان الشرع. لكن الجنيد تجنب ذكر الشرع لغاية في نفسه تندرج في ممارسته للتقية. والشاهد الأخير- الثالث- : إنه سيتبين لنا في بحثنا هذا أن التصوف مخالف للشرع بأصوله وفروعه وغاياته . ولهذا فإن الصواب في مقولة الجنيد هي أن تصبح هكذا: ((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر في دين الإسلام وعند المسلمين))[171].

وحتى الذين تظاهروا من الصوفية بإنكار بعض السلوكيات والمنكرات على أتباعهم فعلوا ذلك تقية وتدليسا على الناس وحرصا على التصوف وأهله من أن ينكشف أمرهم لعامة المسلمين. فعلوا ذلك انتصارا للتصوف وحماية له وليس نقدا له ولأصحابه ،ولا تأييدا ودفاعا عن دين الإسلام . وهذا الأمر صرّح به الصوفي الحسين بن علي بن يزدنيار عندما قال: ((تراني تكلمتُ بما تكلمتُ به، إنكاراً على التصوف والصوفية ؟! . واللّه! ما تكلمت إلا غيرةً عليهم؛ حيث أفشوا اسرار الحق، إلى غير أهلها فحملني ذلك على الغيرة عليهم، والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى اللّه تعالى))[172].

وثامنا : إنه يتبين من أقوال هؤلاء الشيوخ في التقية ومدحهم لها، ودعوتهم إلى ممارستها أن الصوفية من الباطنية والسفاسطة . لأن التقية لا يقول بها ولا يستطيع ممارستها قلبا وقلبا إلا من كان باطنيا في التأويل، وسفسطائيا في التعبير. وأقوالهم السابقة، والتي ستأتي أيضا هي أدلة قطعية على صحة وصدق قولنا هذا . ولو لم يكونوا باطنية وسفاسطة لعرضوا تصوفهم بشفافية ونزاهة ووضوح كما فعل المحدثون ، والفقهاء، والأدباء

---

[171] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 341.

[172] أبو عبدالرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 112 .

عندما أسسوا لعلومهم وحرروها. ومع أنه كانت لهم مصطلحات خاصة بعلومهم فإنهم لم يُمارسوا التقية في علومهم، ولا حثوا على الأخذ بها، ولا لغزوا علومهم عن قصد لكي لا يفهمها غيرهم كما فعل الصوفية . وإنما استخدموا مصطلحات علمية موضوعية يستطيع طالب العلم المجتهد أن يفهمها بسهولة . لكن إشارات الصوفية ملغزة ومُلغمة عن سبق إصرار وترصد لغايات في نفوس أصحابها، لا يفهما على حقيقتها أكثر أهل العلم. وهذا الذي اعترف به السراج الطوسي ومدح به الصوفية بقوله : ((فالصوفية مخصوصون من أولي العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد ، والوقوف على المشكل من ذلك ، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة ، والهجوم عليها ...))[173]. إنه مدح الصوفية بأمر هو طعن فيهم ، واتهام لهم ، وقدح فيهم، وليس مدحا لهم .

وكلامه هذا مردود عليه، لأن تلك الإشكالات والطلاسم والمُلغزات هي ليست كذلك عند الصوفية لأنهم هم الذين أشكلوها ولغزوها لتضليل غيرهم والانتصار لعقائدهم . فكيف يكونون هم الذين يحلون عقدها ويقفون عند إشكالاتها ؟؟. فهي عندهم واضحة وضوح الشمس، لأنهم يعرفون ألغازها ومنطلقاتها ومراميها. وإنما يتظاهرون بحل ألغازها لتضليل المسلمين بحمل شطحاتهم وإشاراتهم على غير حقيقتها ومعانيها المخالفة للشرع ، ويبحثون لها عن احتمالات تبعدها عن معانيها المقصودة، إمعانا منهم في التضليل والتلبيس، لكي لا يعرف المسلمون حقيقة التصوف وأهله.

وبسبب باطنية هؤلاء الصوفية وسفسطتهم برعوا في استخدام التقية والتمويه والتلبيس، والتلغيز والتعمية، وهذا ليس خاصا بهم، فكل من يعتقد بالتقية يبرع في التضليل والتلاعب، والتغليط والتدليس. فالتقية عندهم هي ممارسة سفسطائية فكرا وسلوكا. علما بأن العبقرية الصحيحة لا تكمن في القدرة على التعقيد والتعمية والتلغيز، والتدليس والغليط، وإنما تكمن في القدرة على توصيل الكلام إلى الناس بسهولة ووضوح ، وبصدق وإخلاص، وبقوة الدليل. من ذلك مثلا ما ذكره مؤرخ الصوفية السراج الطوسي عن تعبير الصوفية بطريقة إشارية عن رغبتهم سماع الغناء من جارية حاذقة ؛ فذكر السراج أن الشيخ الصوفي أبا علي الروذباري أرسل إلى سيد الجارية يستأذن منه أن يسمح للصوفية أن يسمعوا منها شيئا من غنائها. فكتب إليه يقول: ((بسم الله الرحمن الرحيم ، بلغني- بلّغك الله

[173] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .

سؤالك وأعطاك مأمولك- أن عندك من مناهل الورود منهلا يرد عليه قلوب أهل الوجود ، فيشربون منه بعقد الوفاء، شرابا يورثهم حقائق الصفا، فإن أُذن لنا بالدخول عليه ، فلنا على رب المنهل أن يزين المجلس بفقد الأغيار، ويُحجبه عن نواظر الأبصار، ومجيئك مقرون بإذنك والسلام !!))[174].

والمثال الثاني مفاده أن جماعة من الصوفية عندما أرادوا ممارسة الزنا مع بعض الصوفيات قال شيخ الصوفية ابن البغدادي(276-371هـ) لإحداهن : ((ههنا غير ،فقالت: لا غير، قال: فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنز البركات))[175].

وتاسعا: إني أُشير هنا إلى أنه ربما قد يعترض علينا المدافعون عن الصوفية لتبرير قولهم بالتقية وممارستهم لها، بدعوى أنها مباحة، وهي رخصة شرعية ، بدليل قوله تعالى: ((مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(النحل: 106))، و((لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ)(آل عمران : 28))، و((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...)(غافر: 28)).

وأقول: تلك الآيات أعطت رخصة استثنائية باستخدام التقية عند الضرورة، فهي ليست اصلا ولا ممدوحة، وإنما مباحة لمن يضطر إليها، ويعجز عن المقاومة والصبر . وهي رخصة للمسلمين كأفراد وليس كأمة. فعندما يتعلق الأمر بأصول الدين، ومصير الشريعة والأمة ومقدساتها فيجب على المسلمين أن يأخذوا بالعزيمة لا بالرخصة. قال سبحانه : إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 111)) ((انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(التوبة: 41)) و((فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ

[174] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 305-306 .
[175] ابن الجوزي: تلبيس لإبليس، ص: 326 .

وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(المائدة : 44))، و((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(آل عمران: 175)) . ولهذا فعندما ويُضطهد الأفراد ويُقهرون ، ويُمنعون من ممارسة عباداتهم ، فيُباح لهم هنا أن يخفوها ويُمارسونها في السر، وقد يضطرون إلى إظهار خلافها مع الايمان بها. فهم هنا تنطبق عليهم قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات. لكن سلوكهم هذا من الرخصة لا من العزيمة، فلهم أن يبقوا متمسكين بدينهم مُظهرين له إن اختاروا طريق العزيمة والصبر والجهاد والشهادة.

تلك هي التقية الشرعية، لكن تقية الصوفية كتقية الشيعة الإمامية ، هي أصل عندهم وليست استثناء[176] . فهي مطلوبة ومحبوبة، بل وواجبة وضرورية حسب الغزالي[177]. وبهذه التقية يُعطل الشرع ويُهدم من أساسه من أجل التصوف . لهذا اهتم الصوفية بالتقية لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي توفر لهم الطريق الآمن ، فيُظهرون عبادات الإسلام ويُخفون عقائد التصوف المخالفة لدين الإسلام .

علما بأن شروط التقية الشرعية لا تنطبق على الصوفية ، لأنهم كانوا يعيشون في مجتمع مسلم وينتسبون إليه ، ولا أحد أجبرهم على إخفاء إسلامهم. فمجتمع كهذا لا تصح فيه التقية الشرعية، ولا مبرر لممارستها. لكن الصوفية هم الذين أخفوا عقائدهم مع وجودهم بين المسلمين، في الوقت الذي كان فيه أهل الذمة يُظهرون عقائدهم .

فماذا يعني ذلك ؟؟!! . إنه يعني أن الصوفية لما لم يكونوا من أهل الذمة، وإنما كانوا ينتمون إلى المسلمين ويتظاهرون بالإسلام ؛وبما أنه تبين لهم أن تصوفهم مخالف لدين الإسلام وجدوا أنفسهم بين أمرين: إما أن يُظهروا العقيدة الصوفية المخالفة للشرع، وهذا كفر به ، وسيطبق عليهم المسلمون حد الردة. وإما أن يُخفوا عقيدتهم الصوفية مع التظاهر بالإسلام. بمعنى أنهم يأخذون بالتقية. فاختاروا الطريق الثاني ، وبه حافظوا على تصوفهم ودمائهم . فالتقية التي تبناها الصوفية مخالفة للشرع ومعطلة وهادمة له . فهي تقية لا مبرر لها شرعا ولا عقلا، لأنها هادمة للدين والعقل والعلم، كما سنفصله لاحقا .

---

[176] أنظر مثلا: الكليني : الكافي ، ج 2 ص: 447 .
[177] سبق توثيق موقفه .

وربما يُعترض علينا بقول الغزالي: ((ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار.ولقد قال بعض العارفين :إفشاء سر الربوبية كفر.))[178].ولهذا أوجب الغزالي الأخذ بالتقية كما بيناه سابقا .

وأقول: نعم هناك أمور لا يصح أن يعرفها كل الناس لأنها لا تهمهم ، وقد تضرهم كما قال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة: 101)) . هذه الأشياء التي نهى الشرع عن السؤال عنها تتعلق بفضول الكلام ، وجزئيات الحياة التي تضر ولا تنفع، أو التي ضررها أكثر من نفعها ، لكنها لا تتعلق بأصول الدين وفروعه وغاياته التي تهم كل البشر، ولا بما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، فهذه لا يصح كتمانها، والسؤال عنها مطلوب . قال سبحانه : ((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 43)). والله تعالى قد نهانا عن كتمان دينه وكلف الرسل وأتباعهم بتبليغ دعوته. قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة: 67)) ، و((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)(الأحزاب: 39)) .

وأما بالنسبة للتصوف فالأمر مخُتلف تماما، فلا تصح فيه تقية ، ولا رخصة ، ولا عزيمة. لأنه سبق أن بينا أن تقيته مخالفة للشرع والعقل. وأن الصوفية اتخذوها وسيلة لهدم الدين والعقل والعلم، انتصارا للتصوف ودفاعا عنه . وعليه فلا يصح ولا يجوز استخدام التقية لإخفاء عقائد التصوف وألغازه وطلاسمه ؛ وإنما يجب إظهارها والرد عليها، وتحذير الناس منها .

وربما يُعترض علينا أيضا بقول للصوفي أبي طاهر المقدسي استدل فيه بحديث نبوي على شرعية إشارات الصوفية . فوضع عنوانا سماه ((باب قولهم كلامنا إشارة))، ثم أورد الحديث الآتي: ((عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام -رضي الله عنهما- قال : أمر أبي بحريرة فصنعت ثم أمرني فحملتها إلى رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فقال لي : " ما هذا يا

[178]الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 3 .

جابر ألحم ذا ؟ " . قلت : لا يا رسول الله ولكن أبي أمرني بحريرة فصنعتها ثم أمرني فحملتها . قال : " ضعها " . فأتيت أبي فقال : ما قال لك رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ؟ قلت : قال لي : " ما هذا يا جابر ؟ ألحم ؟ " . قال أبي : أرى رسول الله -صلى الله عليه و سلم - أو أحسب - يشتهي اللحم . فقام إلى داجن فذبحها ثم أمر بها فشويت ثم أمرني فأتيت بها فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : " جزاكم الله معشر الأنصار خيرا ولا سيما آل عمرو بن حرام وسعد بن عبادة "))[179].

وأقول: الإشارات أنواع ، فمنها ما يكون من علامات الذكاء والفطنة والحذق، وفيها قيل: واللبيب بالإشارة يفهم. ومنها ما يكون من علامات المكر والخداع ، والغش والاحتيال . فإذا مُورست بطريقة شرعية لغايات مشروعة فلا عيب في ذلك، وقد تكون مطلوبة في مواقف تقتضيها. وإذا مورست بطريقة غير أخلاقية ،ولأخذ حقوق الناس والمكر بهم، ولهدم الدين والأخلاق، والدعوة للأفكار الهدامة، فهي مرفوضة شرعا وعقلا.

وبما أن إشارات الصوفية هي من وسائل ممارستهم للتقية انتصارا للعقائد الصوفية ودفاعا عنها. وبما أن عقائدهم مُعَطلة للدين وهادمة له وللعقل والعلم كما تبين في كتابنا هذا. فإن إشارات الصوفية ليست من النوع المشروع، وإنما هي من النوع المنوع والمحرم شرعا وعقلا.

وبناء على ذلك فلا يصح لابن طاهر الاستشهاد بالحديث النبوي الذي استدل به على شرعية إشارات الصوفية. لأن الحديث إن صح تصحيح الهيثمي له ، فهو ليس من نوع إشارات الصوفية، ولا من النوع الأول أيضا. فليس في الحديث ما يُثبت أن النبي-عليه الصلاة والسلام- استخدم الإشارة من أجل أمر آخر يريده . فمن الممكن أنه لم يتعرف على ما قُدم له في البداية ، فظن أنه لحم لبعده أو لوجود غطاء عليه. وحتى إذا افترضنا جدلا أن الحديث من الإشارة، فهو من إشارات النوع الأول لا من إشارات الصوفية.

وأما إذا قيل: ربما تكون تلك الأقوال المروية عن شيوخ الصوفية المتعلقة بالتقية غير صحيحة، وإنما هي مكذوبة عليهم . فأقول : هذا احتمال

---

[179] أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 428 . والحديث صححه الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر، بيروت ، ج 9 ص: 526 ، رقم: 15756 .

وارد ، لكنه لا يصح ، والصحيح أنها من أقوالهم لأن الصوفية هم الذين رووها عن شيوخهم . ولأنها وردت في كتبهم لا في كتب خصومهم . ولأنها تتفق مع حقيقة التصوف التي أخفوها عن الناس. فلما كان تصوفهم مخالفا للشرع والعقل والعلم-كما بيناه في بحثنا هذا - تطلب منهم الأمر تبني التقية أصلا عندهم وممارستها لإخفاء حقيقة التصوف، والتعيش بها بين المسلمين. فالتقية عند الصوفية هي من ضروريات التصوف، فلا تصوف دون تقية، كما أنه لا تشيع إمامي دون تقية . وهذا حال كل العقائد والاتجاهات المناقضة لدين الإسلام والهادمة له من جهة، والمنتسبة إليه من جهة أخرى .

وإنهاءً لهذا المبحث أذكر هنا جملة من أهم نتائجه: أولها، تبين من أقوال شيوخ الصوفية من المتقدمين والمتأخرين أنهم كانوا يخفون حقيقة جماعتهم فكرا وتنظيما ، مما يعني أن نشأتهم – فكرا وتطورا- شابها كثير من الغموض وعدم الوضوح لممارستهم التقية وإخفاء أحوالهم ،وتسترهم بالإسلام تظاهرا به. فالصوفية جماعة خطيرة وغامضة: نشأة وتنظيما ، فكرا وسلوكا.

والثانية مفادها أن التقية التي أخذ بها الصوفية وأقاموا عليها العقيدة الصوفية تشبه تماما تقية الشيعة الإمامية، وليست من دين الإسلام . فهي تقية تقوم على التغليط والتدليس، والكذب المتعمد عن سبق إصرار وترصد انتصارا للتصوف، وهدما للدين والعقل والعلم. بل إنها في الحقيقة مظهر من مظاهر النفاق ،ولا يُمكن أن تكون من دين الإسلام قطعا .

والنتيجة الثالثة مضمونها أن إخفاء الصوفية لحقيقة فكرهم وجماعتهم هو دليل دامغ على أن جماعتهم لم تظهر زمن النبي- عليه الصلاة والسلام- لأن دين الإسلام لم يقم على الكتمان ولا دعا إلى إخفاء دين الله تعالى. وهذا ثابت قطعا بالقرآن الكريم ، ولا كان النبي-عليه الصلاة والسلام- ولا صحابته يخفون عقائد الإسلام وشرائعه . وهذه الحقيقة الشرعية والتاريخية ثابتة بمتواترات الشرع والتاريخ . لكن الصوفية خالفوا ذلك وجعلوا التقية من أصول تصوفهم مما يشهد ضدهم على عدم صحة زعمهم بأن الصوفية ظهروا في زمن النبي- عليه الصلاة والسلام- .

والرابعة مفادها أنه اتضح من أقوال الصوفية المتعلقة بالتقية أنهم لم يكونوا ثقات ولا موضوعيين في تأريخهم للتصوف وأهله. وهذا يفرض علينا أن نأخذ مروياتهم بشك وحذر وتمحيص . لأن الذي يسمح لنفسه الاعتقاد بتقية الصوفية وممارستها، فهو قد فقد الموضوعية والنزاهة العلمية، وأصبح ذاتيا ومتعصبا لفكره بحق وبغير حق .

و النتيجة الأخيرة – الخامسة- : إن إخفاء الصوفية لحقيقة فكرهم وجماعتهم هو دليل دامغ على أن أحوالهم وأفكارهم الصوفية كانت مخالفة لدين الإسلام، وإلا ما أخفوها عن المسلمين ، ولما تواصوا فيما بينهم على إخفائها حفاظا على تصوفهم وجماعتهم . وبما الأمر كذلك فما تفاصيل أحوالهم وعقائدهم التي أخفوها عن المسلمين ؟! ، وما هي أصولها وفروعها وغاياتها ؟! . هذا الذي ستبينه فصول الكتاب لاحقا .

رابعا : عوامل وزمن ظهور الصوفية :

تشهد كتب الصوفية التي أرخت لظهور التصوف وأهله أن شيوخهم الأوائل المؤسسين للتصوف والمعروف أنهم من الصوفية ، كإبراهيم بن أدهم ، ورابعة العدوية ، منهم من عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ومنهم من عاش في نصفه الثاني[180]. فما هي العوامل التي أدت إلى ظهور التصوف وأهله ؟، وهل يُمكن تحديد زمن ظهور الصوفية بشيء من الدقة ؟.

أولا سبق أن بينا أن التصوف ليس له أصل شرعي فكرا ولا نشأة ، ولا هو ظهر في العهدين النبوي والراشدي، ولا على أيدي كبار التابعين. وعليه فيجب البحث عن العوامل والأسباب والمؤثرات التي أدت إلى ظهور التصوف وأهله بشكل واضح في القرن الثاني الهجري.

يتبين من النظر في عوامل نشأة التصوف عند المسلمين ، والظروف التي ظهر فيها –خلال القرن الثاني الهجري- أنه يُمكن إرجاعها إلى ثلاثة عوامل أساسية أثرت في ظهور التصوف وأهله . هي: عامل داخلي يتعلق بمختلف أوضاع المشرق الإسلامي . والثاني: عامل شخصي يتعلق بأحوال الصوفية أنفسهم . والثالث: عامل خارجي يتعلق بتأثير الأديان والمذاهب القديمة .

---

[180] سنوثق ذلك لاحقا .

فبالنسبة للعامل الداخلي فقد كان له تأثير كبير على ظهور الصوفية- فكرا وجماعة- . فمن الثابت تاريخيا أن المجتمع الإسلامي بعد مقتل الخليفة الشهيد عثمان بن عفان – رضي الله عنه- سنة 35 هـ بدأ في الانقسام والتفكك سياسيا واجتماعيا وفكريا . وفي القرن الثاني الهجري كان الانشقاق قد تكرس نهائيا ، ودخلت الأمة في صراعات سياسة وعسكرية ، ومذهبية وطائفية لا تكاد تتوقف . حدثت بين الأمويين وخصومهم من الخوارج والشيعة والعباسيين وغيرهم . وعندما انتصر بنو العباس على الأمويين سنة 132 هـ لم تتوقف الصراعات والحروب، وإنما استمرت بين العباسيين أنفسهم من جهة، وبينهم وبين خصومهم من الخوارج والعلويين والمنفصلين من جهة أخرى.
وكذلك من الناحية الفكرية والمذهبية، فقد كان الصراع قائما على أشده بين مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية . بل وبين أبناء الطائفة الواحدة، التي هي نفسها انقسمت إلى فرق متنازعة. فقد كان أهل السنة مثلا في صراع ونزاع دائمين مع مخالفيهم من الشيعة والمعتزلة والخوارج ، وحدثت بينهم مناظرات وردود كثيرة مواضيعها قضايا الفقه وأصول الدين، كالتي تتعلق بالإمامة ، والصفات، والصحابة .

تلك الظروف المضطربة والمتداخلة كان لها تأثير سلبي كبير على أحوال الناس اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا مما دفع طائفة منهم إلى الانسحاب من الحياة العملية الصاخبة والمتناحرة إلى الانزواء والسلبية التفرغ لبعض العبادات طلبا للسلامة في الدنيا والآخرة .

وأما العامل الثاني فيتعلق بالظروف والأحوال الخاصة بالصوفية أنفسهم، فلا شك أنه كان لها التأثير الأكبر في دفع طائفة منهم إلى الانسحاب من الحياة العملية والتفرغ للعبادات الصوفية . والشاهد على ذلك هو أنه يتضح للمتدبر في أحوال الصوفية وأقوالهم – التي سنذكر كثيرا منها- أن منهم من كان لديه انجذاب وميل إلى الجانب الروحي من الإنسان ، فترك طلب الرزق والتدافع على المصالح الدنيوية وأقبل على التصوف وأهله . ومنهم من كان فاشلا في حياته العملية لسلبيته وعجزه عن مواجهة مصاعب الحياة، فتركها وتفرغ للسلبية والتسول بدعوى التوكل والتفرغ للعبادة. ومنهم من كان يعيش حياة الفسق والمجون بكل ألوانها ، لكنه في لحظة من لحظات حياته تاب عما كان فيه ، ومال إلى الزهد فانتهى به الأمر إلى التصوف. ومنهم من مر بأزمة فكرية ووجدانية بسبب الصراعات الفكرية

الحادة التي كانت قائمة بين أهل العلم من الفقهاء ، والمتكلمين، والفلاسفة ، فكان يعيش في قلق وشك وجفاف روحي، فانتهت به الأزمة إلى ترك الجانب الفكري من الإنسان والإقبال على الجانب الروحي منه ، فأوصلته حالته إلى التصوف.و ممن يصدق عليهم هذا الحال من أعيان الصوفية : الحارث المحاسبي (ت 243 هـ) ، وعلى غيره أيضا ، كأبي حامد الغزالي فيما بعد.

والعامل الأخير- الثالث- يتعلق بتأثير الأديان والمذاهب القديمة في طوائف من المجتمع الإسلامي بأتباعها وأفكارها . والذي لا شك فيه أن تأثريها معروف، وواضح جدا في فرق أهل الأهواء التي انحرفت عن الشرع. فمن ذلك مثلا تأثير التراث اليهودي في نشأة التصوف وتطوره : فكراً وجماعة . والشاهد على ذلك أن كتب الصوفية المتقدمة والمتأخرة مملوءة بالروايات والأفكار المأخوذة من التراث اليهودي، وسنذكر منها نماذج كثيرة فيما يأتي من كتابنا هذا. وكتب الحارث المحاسبي الصوفية كالوصايا مثلا، تضمنت روايات إسرائيلية كثيرة استشهد بها تأييدا لمواقفه . ونفس الأمر ينطبق على كتب الصوفية الأخرى منها الرسالة لعبد الكريم القشيري، وإحياء علوم الدين للغزالي. من ذلك مثلا ما يتعلق بالوجد الصوفي وتمزيق الملابس، قال القشيري: ((وقال خير النساج: قص موسى بن عمران- صلوات الله عليه-على قوم قصة، فزعق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا، وبحبي باحوا، وبوجودي صاحوا، فلم تنكر على عبادي؟!))[181]. وخبره هذا لا يصح إسنادا ولا متنا، لأنه رواه بلا إسناد، ومتنه مُنكر؛ لكن الذي يهمنا هنا هو أن الصوفية تأثروا بالإسرائيليات واعتمدوا عليها في تأسيس تصوفهم ، ولم يكن لهم اهتمام بنقد الأخبار بحثا عن صحيحها وتركا لسقيمها.

وأما تأثير التراث النصراني في التصوف، فهو أيضا أمر ثابت من دون شك . فَكُتب الصوفية المتقدمة منها والمتأخرة تضمنت أخبارا وأفكارا كثيرة منقولة من التراث النصراني تتعلق بالمسيح-عليه السلام- والحواريين والرهبان . من ذلك مثلا تأثر الصوفية بالرهبان في لبس الصوف، وبما أنه سبق أن بينا أن لباس الصوف في العهدين النبوي والراشدي لم يكن تصوفا كما زعم الصوفية، وبينا عدم صحة رواياتهم التي زعمت ذلك. وبما أنه وجد من المسلمين من أنكر على أوائل الصوفية لباسهم للصوف لأنه تشبه

---

[181] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 517 .

بلباس رهبان النصارى دلّ هذا على أن تميز الصوفية بلباس الصوف كان بتأثير من النصارى وليس من الشرع. بدليل الشواهد الآتية:

منها ما رواه الشعراني أن الصوفي أبا العالية- من أوائل الصوفية- أنه كان ((يكره للرجل زي الرهبان من الصوف ، ويقول : زينة المسلمين التجمل بلباسهم))[182]. وروى البخاري ((عن أبي خلدة قال: جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوفٍ، فقال أبو العالية: "إنما هذه ثياب الرهبان، إن كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا"))[183]. وروى الصوفي أبو نعيم الأصبهاني بإسناده أن حماد بن أبي سليمان قدم إلى البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثوب صوف فقال له حماد: ((ضع عنك نصرانيتك هذه)) [184]. وأنكر سفيان الثوري على صوفي كان لابسا الصوف بقوله: ((لباسك هذا بدعة)) [185].

ومن ذلك أيضا أن الصوفية رووا أن إبراهيم بن أدهم- أحد مؤسسي التصوف- تأثر ببعض رهبان النصارى، فأخذ عنه المعرفة الصوفية،وما يتعلق بها من جوع وعزلة . فروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده عن بقية بن الوليد أنه قال : ((سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له أبا سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت له: يا أبا سمعان منذ كم أنت في صومعتك هذهظ، قال: منذ سبعين سنة ،قلت: فما طعامك؟ قال: يا حنيفي فما دعاك إلى هذا؟ قلت؟ أحببت أن أعلم ،قال: في كل ليلة حمصة، قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيه هذا الحمصة ؟، قال: ترى الدير بحذائك ؟، قلت: نعم، قال: إنهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حواليها ويعظموني بذلك فكلما، تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة ،وأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد، فوقر في قلبي المعرفة .فقال: حسبك أو أزيدك، قلت: بلى قال: انزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك ،فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى اليك الشيخ؟ قلت: من قوته، قالوا:وما تصنع به نحن أحق به؟، قالوا : ساوم قلت عشرين دينارا فأعطوني عشرين دينارا، فرجعت إلى الشيخ فقال: يا حنيفي ما الذي صنعت قلت: بعته قال: بكم ؟ قلت: بعشرين دينارا ،قال: أخطأت لو

[182] الشعراني : الطبقات الكبرى ، ص: 49 .
[183] الألباني: صحيح الأدب المفرد، ج 1 ص: 144 .
[184] حلية الأولياء، ج 4 ص: 222.
[185] حلية الأولياء، ج 7 ص: 33 .

ساومتهم عشرين ألفا لأعطوك ،هذا عز من لا يعبده ،فانظر كيف يكون عز من يعبده يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة))[186].

وفي رواية أن ابراهيم بن أدهم قال : ((مررت براهب في صومعته والصومعة على عمود والعمود على قمة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة ، فناديته قلت: يا راهب، فلم يجبني ،ثم ناديته فلم يجبني ،فقلت: في الثالثة بالذي حبسك في صومعتك إلا أجبتني، فأخرج رأسه من صومعته فقال: لِم تنوح، سميتني باسم لم أكن له بأهل، قلتَ: يا راهب ،ولستُ براهب إنما الراهب من رهب من ربه. قلتُ فما أنت ؟ قال : سجان سجنت سبعا من السباع ، قلت: ما هو ؟، قال: لساني سبع ضار، إن سيبته مزق الناس يا حنيفي، إن لله عبادا صما سمعا وبكما نطقا وعميا بصرا، سلكوا خلال دار الظالمين واستوحشوا مؤانسة الجاهلين ،وشابوا ثمرة العلم بنور الاخلاص، وقلعوا بريح اليقين حتى أرسوا بشط نور الإخلاص، هم والله عباد كحلوا أعينهم بسهر الليل ،فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطواقهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم . يا حنيفي: عليك بطريقهم قلت: على الإسلام أنت؟ قال: ما أعرف غير الإسلام دينا ولكن عهد إلينا المسيح -عليه السلام- ووصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا وإن دينك جديد وإن خلق. قال بقية: فما أتى على إبراهيم شهر حتى هرب من الناس))[187].

وأما فيما يخص تأثير الهنود وفكرهم في التصوف وأهله فكرا وجماعة؛ فهو أيضا معروف وثابت باعتراف الصوفية وبوجود تشابه كبير بين التصوف عند رهبان الهنود وصوفية المسلمين. من ذلك أن السراج الطوسي ذكر أن أبا يزيد البسطامي (ت 188- 261 هـ)- أحد مؤسسي التصوف- قال عن نفسه : ((صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً". وفي رواية أنه قال: "أنا أتعلم منه الفناء في التوحيد وهو يقرأ عندي الحمد))[188]. وأبو علي هذا هندي من السند .

ومنها أيضا تأثير الديانة البوذية في التصوف وأهله ، فهذه الديانة اهتمت كثيرا بالجانب الروحي والوجداني وأهملت الجوانب الأخرى من الإنسان ، ولها طريقتها وغايتها. فغايتها الاتحاد بمصدر الكائنات وجوهر الوجود.

---

[186] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 29 .

[187] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 30 .

[188] السراج الطوسي: اللمع، ص: 235 .و أحمد بن عبد العزيز القصير : عقيدة الصوفية : وحدة الوجود الخفية ، ط 1 ، مكتبة الرشد، الرياض، 1424 هـ ، ص: 110.

ومنهجها ترك الدنيا والاعتزال في الغابات، و الكهوف ، وحرمان النفس من شهواتها، و التأمل في الكون وخفاياه، وممارسة رياضات معينة ، كاليوجا و غيرها[189]. وكانت لهم مجالس سماع تشبه غناء الصوفية ورقصهم. فيجتمعون ويذكرون تراتيلهم على صوت واحد، ويرفعون أصواتهم ويتمايلون يمينا وشمالا[190]. وهذه الأحوال والمفاهيم هي نفسها موجودة في التصوف وأهله، وسنبين كثيرا منها بالتفصيل فيما يأتي من كتابنا هذا.

تلك العوامل بظروفها وتعددها وتأثيراتها هي التي أدت إلى ظهور التصوف وأهله بين المسلمين ؛ لكن حدوث ذلك لم يكن ضروريا ، فكان من المُمكن أن لا يظهر الصوفية والتصوف، وإنما تلك العوامل أوجدت الظروف الحاضنة والمستجيبة والمهيأة فأدت إلى ظهور التصوف وأهله . ولهذا لم يكن تأثير تلك العوامل لازما، فلو كان تأثيرها ضروريا لتصوف كل الناس، ولَمَا ظهرت الطوائف والمذاهب الأخرى المعروفة. والقصد من الإشارة إلى ذلك هو التأكيد على أن تلك العوامل بظروفها لم يكن تأثيرها في نشأة التصوف جتميا، وقد كان في مقدور أصحابه مقاومته والتمسك بالصراط المستقيم .

ومن جهة أخرى يجب أن نعلم أن العامل الأول في نشأة التصوف هو العامل الثاني- المتعلق بالصوفية أنفسهم- فشيوخ الصوفية الأوائل هم الذين أنشؤوه استجابة لأحوالهم ورغباتهم وأشواقهم، وهلوساتهم تلبيساتهم النفسية والشيطانية. فهذا هو العامل الأساسي في نشأته. لأن هذا السبب هو نفسه الذي أدى إلى نشأة التصوف قديما عند الهنود ، واليونان، والمصريين، واليهود والنصارى. وهذا لا يحتاج إلى تأثير خارجي لظهوره، وإنما هو يظهر في نفوس البشر بتأثير من النفس والشيطان. وعليه فإذا توفرت نفس الأسباب والمقدمات فستؤدي إلى نفس النتائج . ثم تتدخل عوامل أخرى تساعد في نشأته وتطوره، منها أن هؤلاء الصوفية تأثروا بالزهاد المسلمين من مختلف الفرق الإسلامية من سنة ، وشيعة ، وخوارج . ومنها تأثرهم بنُساك وعُباد أهل الذمة ، من يهود ونصارى، ومجوس ، وصابئة . ومنها تأثرهم بالفلسفة العرفانية و الإشراقية من هندية، وفارسية ، ويونانية، ومصرية . ومنها تأثرهم بدين الإسلام في نشأة التصوف ، وهذا أضعف العوامل المؤثرة في نشأة التصوف. فمع أن شيوخ

---

[189] عبد الله تومسك: البوذية، تاريخها، وعقائدها ، وعلاقتها بالتصوف ،، ط 1 ، أضواء السلف ، الرياض ، ص: 76 وما بعدها.

[190] عبد الله مصطفى نومسوك: البوذية : تاريخها ، وعقائدها ، وعلاقة الصوفية بها، ص: 319 وما بعدها .

الصوفية المؤسسين للتصوف كانوا من المسلمين إلا أن تأثرهم بالإسلام في تأسيس التصوف كان ضعيفا جدا، وبقيت تأثيراته في هوامش التصوف لغاية في نفوسهم. بدليل أنه بينا في كتابنا هذا أن التصوف مخالف لدين الإسلام في أصوله وفروعه و غايته ، بل وهادم له أيضا، فكان ثورة عليه من جهة، لكنه ظل مُتسترا به لغايات صوفية من جهة أخرى !! .

وبناءً على ذلك يُستنتج من ظروف وعوامل نشأة التصوف أن ردود فعل الناس تجاهها كانت متباينة . فمنهم من قاومها وعاد إلى الشرع عودة صحيحة . ومنهم من رجع إليه رجعة ناقصة، ومنهم من كانت سببا في إقباله على الدنيا ونسيانه للآخرة. ومنهم من أوصلته إلى التصوف فَضلّ وانحراف عن الشرع كما انحرف عنه غيره من أهل الأهواء . وهذا الذي سنبينه بالتفصيل فيما يأتي من كتابنا هذا بحول الله تعالى.

وثانيا فبالنسبة لتحديد زمن ظهور الصوفية ، فبما أنه سبق أن بينا أن الصوفية - فكرا وجماعة- لم يظهروا في العهدين المدني والراشدي، ولا في زمن كبار التابعين ، وناقشنا روايات الصوفية التي زعمت خلاف ذلك وبينا عدم صحتها إسنادا ومتنا؛ فإننا نحاول هنا تحديد زمن ظهورهم في القرن الثاني الهجري .

الشاهد القوي على ذلك هو ما ذكره المؤرخ الصوفي أبو عبد الرحمن السلمي (ت 413 هـ)، فقد أرجع بداية ظهور التصوف وأهله إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ولم يُرجعه إلى القرن الأول كما فعل غيره من مؤرخي الصوفية كأبي نعيم الأصبهاني، والهجويري. فذكر السلمي شيوخ الطبقة الأولى من الصوفية، فكان من بينهم: الفضيل بن عياض (105- 187 هـ) ،وإبراهيم بن أدهم (ت 161 هـ) ، ثم باقي أعيان الصوفية من هذه الطبقة[191] .

ومن هؤلاء الصوفية أيضا رابعة العدوية كانت من أعلام التصوف ومؤسسيه، وقد توفيت سنة 135 هـ[192] ،و بها بدأ أبو عبد الرحمن السلمي الترجمة للنساء المتعبدات الصوفيات[193].

---

[191] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 23 وما بعدها .

[192] ابن الملقن : طبقات الأولياء ، ص: 68 .

[193] أبو عبد الرحمن السلمي: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، ملحق بطبقات الصوفية ، حققه مصطفى عبد القادر عطا ،،دار الكتب العلمية، بيروت ، ص: 387 .

وبناءً على ذلك واستنتاجا من سنة ميلاد وفاة الفضيل بن عياض، ومن سنة وفاة رابعة العدوية وإبراهيم بن أدهم فإنه يتبين أن التصوف كعقيدة وعبادة - وليس كزهد- ظهر بشكل واضح في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ثم بدأ في التوسع إلى أن أُشتهر في القرن الثالث الهجري وما بعده . ولم أعثر على أية شواهد تاريخية تحدد زمن ظهور التصوف وأهله بدقة ، كذكر السنة، أوالعشرية الأولى، أو الثانية ، أو التي بعدها من النصف الأول من القرن الثاني الهجري .

وبذلك يتبين جليا أن التصوف ظهر في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، وليست له نشأة شرعية: فكرا ولا تاريخا، وإنما نشأته هي نشأة بشرية وليدة ثلاثة عوامل إنسانية أساسية متداخلة ومتفاعلة فيما بينها كما بيناه أعلاه .

وختاما لهذا الفصل- الأول- يُستنتج منه أولا إن ما زعمته الروايات الصوفية بأن الصحابة والتابعين كانوا صوفية هو زعم باطل مخالف للشرع والتاريخ الصحيح، وان تلك الروايات ما هي روايات مكذوبة اختلقها أصحابها محاولة منهم لإيجاد أصل شرعي وتاريخي للتصوف وأهله.

وثانيا فقد تبين أن زعم الروايات الصوفية بأن الصحابة من أهل الصُفة كانوا من الصوفية، وهم الذين كونوا النواة الأولى للتصوف وأهله، لِمَا كانوا عليه من فقر ولباس للصوف ، هو زعم باطل من دون شك بدليل الشرع والتاريخ الصحيح كما بيناه سابقا .

وأخيرا- ثالثا – فقد تبين أن الصوفية ليسوا ثقات لاعتقادهم بالتقية ودعوتهم إليها ،وممارستهم لها عن سبق إصرار وترصد . وبها أخفوا أحوالهم وأفكارهم ،وحقيقة تصوفهم عن المسلمين. وهي شاهد دامغ ضدهم على أن أحوالهم وأفكارهم كانت مخالفة لدين الإسلام، وإلا ما أخفوها عن المسلمين . ولهذا ليس للتصوف وأهله أصل شرعي: فكرا ولا تاريخا، وإنما هو نتاج تفاعل عوامل بشرية كما بيناه أعلاه .

....

الفصل الثاني
نقد الروايات والأفكار المؤسسة لأصول العبادة في التصوف

أولا: المحبة الصوفية .
ثانيا : ترك الدنيا وذمها عند الصوفية .
ثالثا : التوكل الصوفي .

....

نقد الروايات والأفكار المؤسسة لأصول العبادة في التصوف

يقوم التصوف على ثلاثة أصول أساسية عليها قامت العبادة لدي الصوفية ، هي: المحبة الصوفية لله ، وترك الدنيا وذمها من المنظور الصوفي ، والتوكل الصوفي.هذه الأصول أسستها الروايات والمفاهيم التي كونت التصوف بأصوله وفروعه وغاياته على أيدي شيوخه الأوائل وتلامذتهم ومن سار على نهجهم من أتباعهم . فما تفاصيل ذلك ؟ وما حقيقة تلك الأصول في ميزان الوحي الصحيح والعقل الصريح ؟.

أولا: المحبة الصوفية لله تعالى:

أقام الصوفية عبادتهم على مبدأ محبة الله لذاته ، وعبادته لذاته لا لأمر آخر. ولهذا ميزنا محبتهم بأنها محبة صوفية، ولم نسمها محبة شرعية، ولا إسلامية . فما سبب ذلك ؟؟، وما هي تفاصيل مواقف شيوخ الصوفية من المحبة الصوفية ؟، وما حقيقة محبتهم في ميزان الشرع والعقل ؟؟.

للصوفية روايات كثيرة عن شيوخهم تتعلق بالمحبة الصوفية أصّلوا بها للحب الإلهي الصوفي ، ودافعوا بها عن موقفهم ، وردوا بها على مخالفيهم . أذكر منها الروايات الآتية، ثم أعلق عليها ردا ومناقشة .

فمن أقوال رابعة العدوية أنه قيل لها يوما :((لكل عبد شريطة ولكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقالت: ما عبدت الله خوفاً من الله، فأكون كالأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبًّا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حبًّا له وشوقاً إليه))[194].

وقيل لها: كيف حبك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- ؟، فقالت : إني لأحبه ، ولكن شغلني حب الخالق عن حب المخلوق))[195]. ورأت يوما أحد العُباد يُقبل صبيا صغيرا ، فقالت له: أتحبه ؟، قال : نعم . فقالت: ما كنتُ أحسب أن في قلبك موضع محبة لغير الله عز وجل ، فخر الرجل مغشيا عليه . فلما أفاق قال: بل رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده[196].

ورُوي أن أحدا رآها تتمايل ، فسألها عن سبب تمايلها ، فقالت : ((سكرتُ من حب ربي الليلة فأصبحتُ منه وأنا مخمورة))[197] !! . ومن أقوالها في الحب الصوفي:

أحبك حبين حب الهوى ** وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ** فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ** فكشفك لى الحجب حتى أراكا[198].

وقالت أيضا:

كلُّهم يعبدوك من خوف نار ** ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجِنانَ فيحظُوا** بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لي بالجِنانِ والنار حظ** أنا لا أبتغي بحبي بديلا[199].

ومن أقوال إبراهيم بن أدهم ما رواه أبو نُعيم الأصبهاني ، فقال: ((حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم، حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجنيد، قال: سمعت المنصوري، يقول: سمعت إبراهيم بن بشار، يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: " اللهم أنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة، إذا أنت

[194] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 456 .
[195] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 388.
[196] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 388 .
[197] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 388 .
[198] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 310 .
[199] عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية ، ص: 23 .

أنستنى بذكرك، ورزقتني حبك، وسهلت على طاعتك، فأعط الجنة لمن شئت))[200] . .

وقال أيضا : ((حدثنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمى النبيسابوري، حدثنا محمد ابن المسيب الأرغياني، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثني محمد بن بحر، قال: قال إبراهيم بن أدهم: "اللهم أنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فما دونها، إذا أنت وهبت لي حبك وأنستني بمذاكرتك، وفرغتني للتفكر في عظمتك"))[201].

ورُوي أن أحدا قال لمعروف الكرخي : ((أخبرني عنك أي شيء أحاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت، فقلتُ: ذِكر الموت؟ فقال: وأي شيء الموت؟ قلتُ: ذِكر القبر والبرزخ فقال: وأي شيء القبر؟ فقلتُ:خوف النار ورجاء الجنة فقال: وأيّ شيء هذا؟ إنّ واحداً بيده هذا كله إن أحببته أنساك جميع ذلك، وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا))[202].

ومن أقوال أبي يزيد البسطامي في الحب الصوفي ، ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي : ((قال أبو يزيدَ: " إنَّ الله تعالى أَمَرَ العِبادَ ونَهاهُم، فأَطاعُوه، فَخَلَعَ عليْهِمْ خِلعَه، فاشتَغَلُوا بالخِلَع عنُه، وإني لا أُرِيدُ من اللهِ إلا اللهَ "))[203].

وقال: ((إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم -صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين-، فاطلب ما وراء ذلك، فإنّ عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به))[204]. و قال:((إذا جاء حب الله يغلب كل شيء ، لا حلاوة للدنيا ، لا حلاوة للآخرة ، الحلاوة حلاوة الرحمن))[205]. وقال : ((الجنة هي الحجاب الأكبر، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه ، فهو محجوب))[206].

---

[200] حلية الأولياء، ج 8 ص: 35 .

[201] حلية الأولياء، ج 8 ص: 35 .

[202] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 456 . هذا القول سواء صح عن معروف الكرخي أم لا ، فهو يتفق مع التصوف وأقوال شيوخه في موضوع الحب الصوفي . فنحن هنا يهمنا مفهوم الحب الإلهي عند القوم .

[203] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 72 .

[204] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 456 .

[205] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .

[206] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 47 .

وقال أيضا: ((((أحببتُ الله حتى أبغضت نفسي، وأبغضتُ الدنيا حتى أحببتُ الله ، وتركت الدنيا حتى وصلت إلى الله ،واخترت الخالق عن المخلوقين حتى أنست به))[207]. و ((الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم)) [208]. وقال: ((ما النار؟، لاستندن إليها غدا وأقول اجعلني لأهلها فداء ولأ بلعنها. ما الجنة الا لعبة صبيان)) [209].

ونقل أبو حامد الغزالي عن الصوفي أبي سليمان الداراني أنه قال : ((" إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة ". ثم علّق عليه بقوله: ((فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ؟))[210].

وقال الصوفي يحي بن معاذ (ت 258 هـ) ((فمن أحب الله لا يرجو من الله سوى الله ، كانت عبادته أفضل بكثير ممن يعبد الله طمعا في ثوابه أو خوف عقابه ، والكل خير))[211].

وعن الصوفي أبي الحسن بن الموفق (ت 265هـ) أنه كان يقول: ((« اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفا من نارك ، فعذبني بها ، وإن كنت تعلم أني أعبدك حبا مني لجنتك وشوقا إليها فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم إنما أعبدك حبا مني لك وشوقا إلى وجهك الكريم فأبحنيه مرة واصنع بي ما شئت »))[212].

ورُوي أن الصوفي ذا النون المصري روى خبرا عن الحب الصوفي وأثنى على صاحبه، ووافقه عليه، مفاده أنه قال: ((وُصف لي رجل باليمن قد برز على المخالفين وسما على المجتهدين وذُكر لي باللب والحكمة ووُصف لي بالتواضع والرحمة ... فخرجتُ حاجا فلما قضيت نسكي مضيت إليه لأسمع من كلامه وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب ،وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين وكان مصفار الوجه من غير مرض أعمش العينين من غير عمش ناحل الجسم من غير سقم ،يحب الخلوة ويأنس بالوحدة ،تراه أبدا كأنه قريب عهد بالمصيبة أوقد فدحته نائبة، فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام عليه وصافحه فأبدى له الشيخ البِشر والترحيب فسلمنا عليه جميعا، ثم بدأ الشاب بالكلام فقال : ... ثم قال يرحمك الله: ما علامة المحب لله ؟ قال له: حبيبي

---

[207] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 98 .
[208] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 99 .
[209] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 13 ص: 88 .
[210] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 310 .
[211] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 45 .
[212] الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 62 ص: 80 . و ابن الملقن: طبقات الأولياء ، ص: 58 .

إن درجة الحب رفيعة .قال: فأنا أحب أن تصفها لي قال: إن المحبين لله شق لهم من قلوبهم فأبصروا بنور القلوب الى عز جلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حجبية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة كالعيان وتشاهد ملك الأمور باليقين فعبدوه **بمبلغ استطاعتهم بحبهم له لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار** . فشهق الفتى شهقة وصاح صيحة كانت فيها نفسه. قال: فانكب الشيخ عليه يلثمه وهو يقول: هذا مصرع الخائفين هذه درجة المجتهدين هذا أمان ا لمتقين))[213].

وقال الصوفي أبو حازم المدني: ((إني لأستحي من ربّي أن أعبده خوفاً من العقاب، فأكون مثل العبد السوء إن لم يعطَ أجر عمله لم يعمل، ولكن أعبده محبة له))[214]. فعلّق عليه أبو طالب المكي بقوله: ((وقد روينا معنى هذا الكلام عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يكون أحدكم كالعبد السوء؛ إن خاف عمل، ولا كالأجير السوء إن لم يعطَ أجراً لم يعمل))[215].

وقال المؤرخ الصوفي السراج الطوسي عن محبة الصديقين والعارفين بأنها ((تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله بلا علة، فكذلك أحبوه بلا علة))[216].

وقال أبو حامد الغزالي : ((قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاءونا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط .وقالوا: من يعبد الله بعوض فهو لئيم، كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره. بل العارف يعبده لذاته ،فلا يطلب إلا ذاته فقط. فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام ،وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد))[217].

وقال الصوفي ابن عجيبة المغربي : ((فمن عبد الله تعالى لشيء يرجوه منه في الدنيا أو في الآخرة أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة في الدنيا أو

---

213 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 366 .
214 أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 456 .
215 أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 456 .
216 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 87 .
217 الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 25 .

في الآخرة فما قام بحق أوصاف الربوبية التي هي العظمة والكبرياء والعزة والغني ...))[218].

وأخيرا: روى أبو نُعيم الأصبهاني حديثا نبويا عن الحب الصوفي بقوله: ((((حدثنا أبي ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يزيد ثنا عبد الله بن عبد الوهاب، ثنا محمد بن عبد الله، ثنا إبراهيم بن الأشعث، ثنا محمد بن الفضل بن عطية ،عن عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم -: يقول الله تعالى إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه ولذته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني وعشقته، فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بينى وبينه وصرت معا لما بين عينيه، لا يسهو إذا سهى الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقا ،أولئك الذين اذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذابا ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم . كذا رواه عبد الواحد عن الحسن مرسلا وهذا الحديث خارج من جملة الأحاديث المراسيل المقبولة عن الحسن لمكان محمد بن الفضل وعبد الواحد وما يرجعان إليه من الضعف))[219].

وروى بإسناده ((حدثنا عثمان بن محمد ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: حدثني محمد بن يحيى السرخسي الناسك قال: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول: الحب لله على أربعة فنون، ففن منه وهو منته، وفن منك ،وهو ودك، وفن له وهو ذكرك له، وفن بينكما وهو العشق. قال يوسف: فذكرت ذلك لذي النون فقال: هذا الكمال، الزاهد يقول كيف أصنع؟ والعارف يقول: كيف يصنع بي ؟)) [220].

وعن أبي يزيد البسطامي أنه قال : ((وده ودي، وودي وده ، عشقه عشقي، وعشقي عشقه ، حبه حبي، وحبي حبه))[221].

وردا عليهم أقول:

أولا يتبين من أقول هؤلاء الصوفية أن الحب الإلهي الصوفي هو أول أصل عندهم قامت عليه العبادة الصوفية من جهة، وهو أصل صريح في

---

[218] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم، ص: 108 .
[219] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 6 ص :163 .
[220] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 242 .
[221] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 99 .

مخالفته للشرع وعدم قيامه عليه من جهة أخرى. وستترتب عن هذا ظهور مخالفات شرعية أخرى كثيرة : أصولا ، وفروعا ،وغاية، الأمر الذي سيزيد في توسيع مجال تلك المخالفات أفقيا وعموديا .

إن حب هؤلاء الصوفية لا يقوم على الشرع في أمرين أساسيين: الأول إن العبادة في الإسلام تقوم على العبودية لله تعالى بطاعته والالتزام بدينه، وهي عبودية فرضها سبحانه علينا لقوله: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(الذاريات :56- 58))، و((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(النحل: 36)). لكن العبادة في التصوف لا تقوم على ذلك ، وإنما تقوم على عبادة الله طلبا لذاته وحبا فيه حسب رغبات الصوفية ، ولا دخل هنا لدين الله تعالى مُنطلقا ، ولا طاعة ، ولا التزاما بالأوامر الإلهية .

والأمر الثاني مفاده أن الحب الصوفي مخالف للحب الشرع مع أن كلا منهما يسمى حبا إلهيا . فالحب الشرعي هو حب لله أمرنا الله به ضمن طاعته وعبوديتنا له وفق شريعته . فهو حب من الشرع ومُنضبط به، ومن أجله ، قال تعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). لكن الحب الصوفي لا ينطلق من العبادة الشرعية، ولا يلتزم بالحب الشرعي وضوابطه ،ولا يدعو إليه ، بل إنه يتعالى عليه ،ويُهاجمه ،ويزدريه ، ويتعالم عليه . فالحب الصوفي حب معاند للشرع ، فالله تعالى أمرنا بحبه وحب رسله وعباده المؤمنين ، وحب دينه وجنته ، والخوف من ناره وعذابه ، لكن الحب الصوفي خالف كل ذلك عن سبق إصرار وعناد وترصد !!!! . فلو كان حبا شرعيا وصحيحا ما كان معاندا للشرع ومخالفا له وحرابا عليه .

علما بأن هؤلاء الصوفية قد احتجوا على صحة موقفهم في قولهم بالحب الإلهي ، بأنه حب يقوم على البديهة ، ولا يحتاج إلى دليل لاثباته . لأنهم يعبدون الله طلبا له وحبا فيه، ولا حبا في جنته ولا خوفا من ناره حسب زعمهم. واستدلالهم هذا لا يصح ، فهو من التغليط والتلبيس ، لأن الحب الإلهي ليكون صحيحا يجب أن يكون ملتزما بالشرع قلبا وقالبا، لأن الحب في الله والبغض في الله . وأي حب إلهي مزعوم يُخالف الشرع ، فيزدري

به ، ويتعالم عليه، ويُخالفه فهو ليس حبا إلهيا صحيحا . ومن يفعل ذلك من الصوفية وغيرهم فلن ينال الحب الإلهي الصحيح، ولن يفوز به، ولن يتذوق طعمه ، وإنما هو يعبد هواه وشيطانه .

وثانيا إن في أقوال رابعة العدوية أباطيل ومخالفات شرعية كثيرة، فمن ذلك فهي قالت بأنها تحب الرسول-عليه الصلاة والسلام- ثم عادت وقالت: إن حب الخالق شغلها عن حب المخلوق ، بمعنى أنها لا تحب سواه . ومن ثم لا تحب النبي -عليه الصلاة والسلام- ولا بشرا غيره . فهي مشغولة بحب الله عن حب الأنبياء وغيرهم من الناس .
ثم أنها أكدت ذلك عندما استنكرت على الرجل كيف يكون في قلبه موضع حب لكائن لغير الله تعالى ؟. وهذا يعني أنها لا تحب أحدا إلا الله تعالى. وحبها هذا ليس صحيحا، فهو قائم على رغباتها لا على الشرع ، ولا حتى على العقل. لأن حب الرسول –عليه الصلاة والسلام – مأمور به شرعا ، فقد أمرنا به الله تعالى ، كما في قوله : ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)) . وصح عن الرسول-عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[222].

وعليه فإن الذي يحب الله تعالى حبا صحيحا كما أمر الله تعالى به يجب عليه أن يحب نبيه وعباده المؤمنين ، وإلا فهو غير صادق في حبه له. لأن من المعروف شرعا وعقلا أن المحب لمن يُحب مطيع . فما بالك بالله تعالى الذي أمرنا بحبه وحب أنبيائه وعباده الصالحين ؟.

وحسب زعم رابعة العدوية أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان حبه ناقصا لله تعالى لأنه كان يحب زوجاته وأصحابه – رضي الله عنهم- . وأن الصحابة كان حبهم لله تعالى ناقصا أيضا لأنهم كان يُحبون رسول الله، ويُحبون أولادهم وباقي المسلمين . وهذا زعم باطل من دون شك ، لكنه

[222] البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 12 ، رقم: 16 .

نتيجة ضرورية لما زعمته رابعة العدوية. فقولها هذا مخالف للشرع ولا يصح قوله أبدا ، فهو شاهد على نقص علمها ،وعدم التزامها بالشرع.

كما أنه لا يصح القول بأن حب الله تعالى يتطلب تفريغ القلب من حب أي مخلوق. فهذا باطل بالقرآن والسنة وسيرة الصحابة كما بيناه آنفا . والله تعالى يقول: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)) ، فالآية لم تنف ولا أنكرت على المسلمين حبهم لهؤلاء ، وإنما أمرتهم ان يكون حب الله ورسوله أحب وأعظم من حبهم لأولادهم وإخوانهم وأموالهم . فيجب أن يكون حبهم لهؤلاء بعد حب الله ورسوله و من اجلهما أيضا. فالحب الشرعي هو من أجل الله وله، فنحن نحب الرسول والصحابة والمسلمين طاعة لله ومن أجله ،لأن الحب في الله والبغض في الله. فلا يوجد تناقض بين حب الله وحب دينه ورسوله وعباده المؤمنين ، وحب كل ما أمرنا بحبه. فهذا يعني أن الحب الإلهي الصوفي لم يكن حبا شرعيا ،ولا كان من أجل الشرع ولا ملتزما به.

فقولنا في الحب الإلهي هو الموقف الصحيح الموافق للشرع والعقل ، وليس كلام رابعة العدوية المخالف لدين الإسلام مخالفة صريحة، بل والمعاند له عن قصد أيضا . لأن الحب الشرعي واضح وضوح الشمس، ولا يحتاج إلى علم غزير، ولا إلى تعمق في الفهم لمعرفته. لكن المرأة لتصوفها، وتقديم رغباتها على الشرع قالت بذلك المفهوم المخالف لدين الإسلام . علما بأن المطلوب منا شرعا وعقلا أن يكون الشرع هو منطلقنا وغايتنا ،وما علينا إلا التلقي والفهم الصحيح منه ، ولا يصح ان نتركه وراء ظهورنا، ولا نتقدم عليه ، ولا نزاحمه ، ولا نساوي أنفسنا به.

فتلك المرأة الصوفية - رابعة العدوية- أخطأت خطأ فاحشا ، فتكلمت بلسان حالها لا بلسان الشرع ، عندما رأت يوما أحد العباد يُقبل صبيا صغيرا ، فقالت له: أتحبه ؟، قال : نعم . فقالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضع محبة لغير الله عز وجل ، فخر الرجل مغشيا عليه . فلما أفاق قال: بل رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده[223]. فهي التي أخطأت كما بيناه أعلاه، وكان على ذلك العابد أن يرد عليها ويبين لها خطأها لا أن يُغشى

[223] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 388 .

عليه ثم يفيق ليعترف بخطئه ويُؤوّل موقفه بالرحمة .مع أن الحقيقة هي أن جوابها هو الذي تضمن خطأ فاحشا قد يكون سببا في سقوط من لم يدرك جسامة خطئها . فالرجل في الحقيقة لم يُخطئ، وإنما هي التي أخطأت ، لكن نظرا لقلة علمه، أو احتراما منه لها تظاهر بأنه هو المخطئ .

وأما قولها : ((سكرتُ من حب ربي الليلة فأصبحتُ منه وأنا مخمورة))[224]، فهو قول لا يصح في جنب الله تعالى ولا يليق به، وهو سوء أدب معه سبحانه، وفيه جهل ورعونة نفس، وعدم التزام بالشرع وتقدم عليه بالأحوال والرغبات. فقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام يبيتون لله تعالى سجدا ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمِّل: 20)) ، و ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6)). ومع ذلك لم يسجل القرآن الكريم، ولا السنة الصحيحة ، ولا التاريخ الصحيح أن رسول الله وصحابته قالوا ذلك الكلام الذي قالته رابعة العدوية ،و المرفوض والمستهجن والذي لا يصح قوله في جنب الله تعالى . لكن هذه الصوفية المغرورة جعلت الشرع وراء ظهرها ، وتكلمت بأحوالها وأهوائها ، فخالفت الشرع شكلا ومضمونا .

فكان عليها –وعلى كل الصوفية- أن تلتزم بالألفاظ الشرعية في أحوالها وأقوالها وعباداتها، لكنها لم تلتزم بذلك ، واستخدمت عبارتي: السكر، والخمر في موضوع الحب الإلهي. وهذا اللفظ لم يستخدمه الشرع في الحب الإلهي ، ، ونحن مأمورون بإتباع الشرع في كل أحولنا قلبا وقالبا. بل إن لفظي : السكر، والخمر ،هما من الألفاظ المذمومة شرعا ،. قال تعالى: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر: 72))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة: 90))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)(النساء : 43)). فلا يوجد أي عذر مقبول يجعلها تقول ذلك الكلام ؛ فإن كانت جاهلة عليها أن

[224] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 388 .

تتعلم الشرع قبل أن تتصوف، أو تسأل أهل العلم ،وإن كانت عالمة به عليها أن تلتزم به.

وربما يقول بعض الناس: إن ذلك هو أسلوب الصوفية في التعبير عن أفكارهم وأحوالهم ومواقفهم ، فعلوا ذلك لكي يُخفوا أحوالهم عن الناس.

وأقول: هذا تبرير لا يصح، لأنه بما أن الصوفية يقولون أنهم من المسلمين ،فهم كغيرهم من المسلمين مفروض عليهم شرعا الالتزام بالإسلام في كل أحوالهم شكلا ومضمونا ،ولا يحق لأحد منهم أن يخرج عليه. ومن يخالفه تعمدا فهو بالضرورة قد انحرف عنه وارتمى في أحضان الأهواء والشياطين. كما أنه ليس من الشرع ولا من العقل استخدام التعمية والألغاز في التعامل مع الناس ولا في الالتزام بشريعة الله تعالى. وقد سبق أن بينا بطلان قول الصوفية بالتقية، واتضح أنهم استخدموها لاخفاء أحوالهم وعقائدهم عن المسلمين . وقد كان نبينا -عليه الصلاة والسلام – يُبين للناس دينهم، ويتكلم بلسان عربي مبين ، وقد قال له ربه : ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل: 125)) ، و ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: 44)) . والله تعالى أنزل على رسوله كتابا حكيما واضحا مبينا ميسرا للتذكر والتدبر والتطبيق . قال سبحانه : ((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود: 1)) ، و ((قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)(المائدة): 15)) و((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص : 29)) ، و((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(القمر: 17)).

علما بأن العبقرية ليست في التعمية والتعقيد، وإنما هي في التبسيط وتسهيل الفهم والتوصيل . فلا يوجد للصوفية أي مبرر صحيح يبرر استخدامهم للتقية والتلغيز ،والتعمية والتمويه . مما يعني أن فعلهم لذلك القصد منه إخفاء أحوالهم وأفكارهم المخالفة للشرع والعقل . فلو كان موافقا للشرع لما أخفوه ، بل ويجب عليهم إظهاره. ولماذا يحرمون الناس من الخير الذي عندهم إن كان خيرا ؟؟. وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يفعل ذلك ، وأمره ربه بأن يُظهر لهم ما عنده ، ولم يكن يخفي شيئا من دين الله تعالى . حتى أنه عندما كان يتحرج من بعض الأمور يتدخل الوحي ويأمره بإظهاره ، كقوله تعالى : ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً)(الأحزاب: 37)) .

علما بأنه لا يصح لأية جماعة مسلمة أن تنفرد وتختص بأمور مخالفة للشرع، بدعوى أنها أحوال خاصة بها . فهذا زعم باطل، وكل المسلمين يجب عليهم شرعا وعقلا الالتزام بدين الله تعالى. قال سبحانه : ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)(الأنعام : 159)).

وثالثا إن قول هؤلاء الصوفية بأنهم لا يعبدون الله تعالى طمعا في جنته ولا خوفا من ناره ، وإنما يعبدونه طلبا له وحبا فيه ، هو اعتراف صريح من الصوفية، ودليل دامغ ضدهم بأن حبهم الإلهي مخالف للشرع ، ولا ينطلق منه، ولا يحتكم إليه ، ولا يلتزم به. فهم قد أقاموا الحب الصوفي على مخالفة الشرع ومعاندته عن سبق إصرار وترصد. فلو انطلقوا من دين الإسلام في عبادتهم الصوفية لالتزموا به، ولجعلوا أنفسهم عبادا لله تعالى يتلقون منه العبادة التي فرضها على عباده . وبما أن الله تعالى أمرنا بأن نخافه ونرجوه ، وندعوه ليُدخلنا الجنة ويصرف عنا النار ، فكان يجب على الصوفية أن يطيعوا الله تعالى ، وأن يلتزموا بشريعته قلبا وقالبا. فهذا هو منطق الحب والعبادة، وليس ما زعمه هؤلاء بأنهم يعبدون الله بلا ترغيب ولا ترهيب، وإنما حبا فيه وطلبا له. فهذا من رعونات النفس وأهوائها ، ومن تلبيسات الشياطين وتزييناتها، ومن قلة الأدب مع الله تعالى وشريعته.

كما أن ذلك القول هو دليل دامغ على أن الحب الصوفي لله هو حب غير شرعي، لأن الحب الشرعي هو الذي يقوم على طاعة الله تعالى وحبه بناءً على أوامره. لهذا قال سبحانه : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). فالحب الإلهي الشرعي والصحيح يقوم على الالتزام بشريعة الله وحبه كما أمرنا هو وأراده لنا ومنا ، ليس كما يريد الصوفية منه ، أو غيرهم من الناس. وعليه فشتان بين من يعبد الله ويحبه كما يريد هو من الله ، وهنا يكون هواه هو المنطلق والحَكم في حبه لله ، وبمعنى آخر يكون الشرع تبعا لهواه؛ وبين من يعبد الله ويُحبه كما أراد الله منه ، وهنا يكون هواه تبعا للشرع ،.

والشاهد على ذلك قوله سبحانه: ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص: 50)) . وعليه فمقولة هؤلاء الصوفية تعني أنهم أحبوا الله بناءً على ما أرادوه هم منه، وليس بناءً على ما يريده الله منهم. وفي هذه الحالة فهم محبون مُطيعون لمرادهم من الله ، وليسوا محبين ومطيعين لمراد الله منهم . فشتان بين الحالين، إن الفارق بينهما كبير وخطير جدا. إنه الفارق بين صراط الله المستقيم، وسُبل الشياطين. قال سبحانه: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)).

وهؤلاء الصوفية متناقضون مع أنفسهم ، فهم يقولون بأنهم يُحبون الله ، وتفرغوا لعبادته من جهة ؛ ثم هم يُخالفون شرعه ويردون أوامره ، وسنة نبيه من جهة أخرى !! . مع أن الحكمة البديهية تقول: إن المحب لمن يُحب مطيع . لكنهم خالفوها بغرور ورعونة نفس ، وقلة أدب مع الله تعالى، عندما قالوا صراحة بأنهم عبدوه حبا له، وشوقا إليه، ولم يعبدوه كالأجير خوفا من ناره ورجاء في جنته . فهم لم يعبدوا الله ولم يُحبوه طاعة له، ولا التزاما بشريعته ، وإنما عبدوه طلبا لجماله وعظمته ،وشوقا إلى لقائه ورؤيته حسب زعمهم . فهم يطلبون حظهم من عبادتهم له ، كالأجير يريد اجرا على عمله . فالحقيقة أن هؤلاء الصوفية هم الذين كالأجير مع أنهم تظاهروا بأنهم ليسوا مثله، وذموه!!. فليتهم عبدوا الله تعالى وأحبوه وفق شريعته، ولم يعبدوه بأهوائهم وهلوساتهم ،وتلبيسات شياطينهم !!.

وأما قول هؤلاء الصوفية بأنهم لا يعبدون الله خوفا منه ولا رغبة في جنته ، فهو قول باطل وفاسد ،لأنه مخالف لما أمر الله تعالى به وحببنا إليه ورغبنا فيه، وكان من أخلاق الأنبياء وأوامرهم لأتباعهم . قال سبحانه : ((لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ)(آل عمران : 198))، و((قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(المائدة : 119)) ، وعن أنبياء الله قال سبحانه:((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء : 90)) ،و((وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 72)) ،

وفـي الحـديث عـن النبـي-عليـه الصـلاة والسـلام قـال عـن الجنـة: ((حولهـا ندندن))[225].

وأما قول الصوفي أبي حازم المدني وتعليق أبي طالب المكي عليه بقولـه :((منهم: أبو حازم المدني كان يقول: إني لأستحي من ربّي أن أعبده خوفاً من العقاب، فأكون مثل العبد السوء إن لم يعطَ أجر عمله لم يعمل، ولكن أعبده محبة له. وقد روينا معنى هذا الكلام عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا يكون أحدكم كالعبد السوء؛ إن خاف عمل، ولا كالأجير السوء إن لم يعطَ أجراً لم يعمل"[226]. فهو كلام باطل، سبق بيان بطلانه شرعا وعقلا . لكني أُعلق على جوانب منه .

ففيما يخص الحديث الذي ذكره أبو طالب المكي تأييدا لقول أبي حازم ، فهو حديث لا أثر له في المصنفات الحديثية والرجالية، وهو موضوع[227]. ومتنه وُضع لتأييد قول الصوفية بنفس اللفظ، وهو باطل أيضا، لأن دين الإسلام قائم على خوف الله تعالى ورجائه وحبه ، فعن الخوف مثلا قوله تعالى : ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)(النازعات: 40))، و((لاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(البقرة : 150))و((وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ (النحل)).
وليس صحيحا أن الأجير الذي لا يعمل إلا بأجر، هو أجير سوء. فهذا الأجير من حقه أن لا يعمل إلا بأجر، ولا يحق لصاحب العمل أن يحرمه أجره . ولا يحق لأحد أن يجبره على العمل بلا أجر. وفي الحديث الشريف عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه))[228] .

كما أنه لا تصح المقارنة بين علاقة الأجير بصاحب العمل ، وعلاقة الإنسان بربه . فالإنسان ليس أجيرا عند الله ، وإنما هو عبد لله فرض عليه عبادته ، وأعطاه حرية الاختيار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، وحمّله مسؤولية أعماله . فلم يكن للإنسان أي دور في العبادة التي فرضها الله عليه ، وإنما الله سبحانه هو الذي فرضها عليه، وأمره بحبه وطاعته ، وخلق

[225] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 150، رقم: 742 .
[226] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 456 .
[227] الفتني الهندي : تذكرة الموضوعات ، ص: 189 .
[228] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 2 ص: 59 ، رقم: 1980 .

الجنة وحببها له، وخلق النار وخوّفه وحذّره منها . فالعلاقة بين العبد وربه ليست علاقة تأجير، ولا هي بين الأجير وصاحب العمل، وعليه فهذا المثال لا يصح للصوفية أن يستخدموه للطعن في الشرع وفي من يرجو الجنة ويخاف النار . فقول أبي حازم المدني، وأبي طالب المكي هو انتهازية وتضليل وتلبيس على الناس .

وبناءً على ذلك فمن لا يرجو الجنة يعني أنه قد خالف أوامر الله تعالى الذي أمره بطلبها من جهة،ويكون قد حرم نفسه رضوان الله تعالى ورؤيته يوم القيامة من جهة أخرى. لأن ذلك لا يتحقق إلا في الجنة ، ومن لا يطلبها لا يتحقق له ذلك . ومن لا يرجوها قد حرم نفسه السعادة الأخروية، وحكم على نفسه بالخسران المبين وبئس المصير. فهل الصوفية لا يُؤمنون بالمعاد الأخروي ، و يرجون معادا دنيويا ؟؟ !! .

ولا يصح قول بعضهم :((((فمن أحب الله لا يرجو من الله سوى الله ، كانت عبادته أفضل بكثير ممن يعبد الله طمعا في ثوابه أو خوف عقابه ، والكل خير))[229]. إنه لا يصح لأن من أحب الله لا يعبده على هواه، وإنما عليه أن يعرف أولا لماذا خلقه ؟، وماذا أراد منه ؟، وكيف يعبده ؟ يجب عليه أن يبحث عن ذلك ليعبد الله تعالى وفق دينه وشريعته التي فرضها على بني آدم. وأما من لم يعرف ذلك، ولا التزم به بعدما عرفه ، فهو في الحقيقة يعبد هواه لا خالقه.

لذلك فمن أحب الله عليه أن يُطيعه بما فرضه عليه . لأنه في هذه الحالة يحب ما أحب الله ، وأما الحالة التي ذكرها ذلك الصوفي فصاحبها يحب من الله ما أحبه هو من الله. فهي محبة حظ ورغبة في الجمال الإلهي وليست محبة طاعة وعبودية لله تعالى . فمن يحب الله تعالى طاعة له هو الذي على صواب ، وتكون عبادته مستقيمة على الشرع، وأما من يحبه على طريقة هذا الصوفي وأمثاله فهو منحرف عن الشرع وبعيد عنه ، لأنه أقام حبه وعبادته على هواه لا على ما أراده الله منه. فشتان بين من يحب الله ويعبده طاعة له والتزاما بشريعته، وبين من يحبه ويعبده طلبا للتمتع بجماله وجلاله !!. الأول عابد وطائع لله ، والثاني عابد لهواه من الله !! .

---

[229] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 45 .

وبما أن الصوفية قالوا صراحة بأن عبادتهم لله قائمة على حبهم له لا خوفا من ناره ولا رجاء لجنته ؛ وبما أنه لا حب دون خوف ولا رجاء، لأن من يحب شخصا ما فإنه يرجو لقاءه إن لم يكن معه ، ويرجو أن لا يُفارقه إن كان معه، ويخاف أن يُفارقه إن كان معه،ويخاف أن لا يأتيه إن كان بعيدا عنه . فإن هذا يعني بالضرورة أن الصوفية- في حبهم الصوفي لله- كان لهم خوف ورجاء، وليس صحيحا قولهم بأنهم لا يعبدون الله رجاء في جنته ،ولا خوفا من ناهره . فما تفسير ذلك ؟؟ !! . إن القوم كانوا صادقين في قولهم ، فهم نفوا الخوف والرجاء المتعلقين بالعبادة الشرعية في المعاد الأخروي، ولم ينفوا الخوف والرجاء المتعلقين بالعبادة في العقيدة الصوفية في المعاد الدنيوي الذي هو غاية التصوف وأهله. وهذا الأمر الخطير سيتضح أكثر فيما يأتي من كتابنا هذا .

ورابعا إن قول أبي يزيد البسطامي :((إن أعطاك مناجاة موسى ،وروحانية عيسى ،وخلة إبراهيم - صلوات اللّه وسلامة عليهم أجمعين-، فاطلب ما وراء ذلك، فإنّ عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به))[230]. هوزعم باطل قطعا ،وفيه غرور ورعونة نفس ، ودعوة إلى ترك منهج الأنبياء، وتعويضه بمنهج بالبشر، بل وتعويضه بمنهج أهل الأهواء والرغبات ورعونات النفس . لأن الثابت شرعا أن الله تعالى أرسل رسله وأنزل معهم الكتاب ليكونوا مبلغين عنه سبحانه ، و قدوة كاملة ومثلى لبني آدم . ونهانا وحذرنا من مغبة مخالفتهم وإتباع غير سبيلهم ، لأنه هو منهج الله تعالى وسبيله الذي اختاره وأمرنا بإتباعه، وكل سبيل آخر فهو سبيل انحراف وضلال، وطريق من طرق الشيطان . قال سبحانه: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)(الممتحنة 4))، و((أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)(الأنعام: 90))، و((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))، و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). لكن هذا الرجل المريض جعل منهج الله تعالى وراء ظهره ودعا إلى سبيل غير سبيل الأنبياء -وإن تظاهر بالصلاة والسلام عليهم- وزعم أن سبيله أكمل من سبيلهم، وأن سبيلهم

[230] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 456 .

يحجب عن الله، ، وأن الله تعالى لم يجعل منهج الأنبياء أكمل منهج ، وأن منهج الصوفية أكمل من منهجهم . وزعمه هذا باطل وضلال مبين ، ورد صريح لما أمر الله تعالى به، وتقدم على الله ورسوله، وازدراء بشريعة الله تعالى. فعجبا من هذا الصوفي وأمثاله ، فكيف سمح لنفسه أن يقول تلك الأباطيل الهادمة لدين الإسلام مع أنه يُظهر انتماءه إليه ؟؟ !! . فهذا تناقض صريح صارخ يشهد على الصوفية بأنهم يُخفون حقيقة أحوالهم وتصوفهم عن المسلمين، ويُخاطبونهم بإشاراتهم المُبهمة تضليلا وتلبيسا عليهم .

وخامسا إن قولهم في العشق ، كالحديث الذي أورده أبو نُعيم الأصبهاني ، وقول أبي يزيد البسطامي ، فهو قول غير صحيح في معظمه . فبالنسبة للحديث النبوي، فهو حديث إسناده غير صحيح باعتراف المؤلف نفسه، عندما أشار إلى أنه مُرسل بسبب الحسن البصري، وضعيف لضعف محمد بن الفضل وعبد الواحد[231].

وأما متن الحديث وقول أبي يزيد البسطامي ، فهما لا يصحان أيضا لأنهما تضمنا ما يشهد على عدم صحتهما . فهما قد وصفا علاقة الحب بين العبد الله بوصف العشق المتبادل بينهما . وهذا مخالف للشرع مخالفة صريحة، بدليل الشاهدين الآتيين: الأول مفاده أن الشرع وصف أعلى درجات الحب بين الله تعالى وبين بعض أعظم الأنبياء بالخلة ، ولم يصفها بالعشق ولا بالود . فقال سبحانه عن خليله إبراهيم : ((وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)(النساء: 125)). وعن النبي- صلى الله عليه و سلم- أنه قال عن نفسه: ((ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا إن صاحبكم خليل الله)) [232].
والشاهد الثاني مفاده أن الله تعالى وصف العلاقة التي بينه وبين عباده المؤمنين بالحب ولم يصفها بالعشق ولا بالود . قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)(المائدة: 54))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة: 165)). فلا يصح وصف العلاقة بين الله وعباده بالعشق ، لأن العشق يكون أساسا بين الرجل والمرأة .

---

[231] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 6 ص :163 .
[232] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 22 ، رقم: 76 .

وأما قوله : ((وده ودي، وودي وده ، عشقه عشقي، وعشقي عشقه ، حبه حبي، وحبي حبه))[233]. ، فمع أن الله تعالى وصف نفسه بأنه الودود ((وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ)(البروج: 14))، فلا يصح قول الرجل بالود، ولا بالعشق، ولا بالحب . لأنه قول ليس فيه تفريق بين الخالق والمخلوق ، مع أن الأمر يستلزم التفريق بين ذات الله وصفاته، وبين ذوات مخلوقاته وصفاتها.قال سبحانه : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11)) . ولهذا لا يُمكن أن يتطابق الفعل الذي يكون علاقة بين الخالق والمخلوق بحيث يتطابق تطابقا تاما، كفعل الحب، والود مثلا . ولهذا فإن الله تعالى قال: ((يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)(المائدة: 54))، فلم يقل: " حبه هو حبهم " ، ولا قال: " حبهم هو حبه " . وعليه فعدم تفريق البسطامي بين فعل الخالق و فعل المخلوق عندما يكون علاقة بينهما هو مخالف للشرع والعقل، ولا يصح القول به . لكنه من جهة أخرى هو قول يندرج ضمن إشارات الصوفية وتلغيزاتهم ، وليس من عباراتهم .فهو قول يتضمن الإشارة إلى عقيدة وحدة الوجود ، التي لا تُفرق بين الخالق والمخلوق، لأن الكل واحد حسب زعم أصحابها . فهل أبو يزيد البسطامي وأصحابه يقولون بهذه العقيدة الإلحادية الكفرية[234] **؟؟!!** .

وأما قوله : ((إذا جاء حب الله يغلب كل شيء ، لا حلاوة للدنيا ، لا حلاوة للآخرة))، فهو من أخطاء أبي يزيد البسطامي التي أوقعه فيها تصوفه . فهذا الحب الذي مدحه هو حب مزيف ومغشوش قطعا، وليس حبا شرعيا . لأن حب الله الصحيح يؤدي حتما إلى طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه . لقوله تعالى : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). ويؤدي أيضا بالضرورة إلى محبة الجنة ، لأن الله تعالى خلقها لنا ، وأمرنا بطلبها، وحببها إلينا، وفيها نلقى الأحبة ونرى الله تعالى. فمن لا يحب الجنة لا يحب الله تعالى حبا شرعيا ،وإنما يحبه حبا فاسدا زائفا بناه على هواه وتلبيسات شيطانه.

ولن ينال أحد الحب الصحيح ، ولا يجني ثماره الربانية إلا من عبد الله تعالى وفق العبادة الشرعية. ولهذا فكل من يعبد الله ولا يرجو جنته، فهو منحرف عن الشرع ،ومحجوب عن الله تعالى. فالأمر ليس كما زعم البسطامي، وعبادته الصوفية هي حجاب عن العبادة الشرعية .

---

[233] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 99 .
[234] ستتضح الإجابة عن ذلك لاحقا .

وأهل المحبة الصحيحة ليسوا محجوبين عن الله بمحبتهم الشرعية له، وإنما هم موصلون به بالمحبة الشرعية ، وبالتزامهم بشرعه ،والدعوة لدينه والجهاد في سبيله بأنفسهم وأموالهم. فتكون نتيجة ذلك أن يغمرهم الله تعالى برضوانه ومحبته وأنواره الربانية في الدنيا قبل الآخرة . قال سبحانه: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) و((أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(الزمر: 22))،و ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تقشعر مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر : 23))، و ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجلت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15)) .

وأما قوله : ((أحببتُ الله حتى أبغضت نفسي، وأبغضتُ الدنيا حتى أحببتُ الله ، وتركت الدنيا حتى وصلت إلى الله ...))[235]. فهو حال ليس من دين الإسلام ، قاله البسطامي انطلاقا من تصوفه وليس انطلاقا من الشرع ولا التزاما به . لأن حب الله تعالى في دين الإسلام لا يتطلب بغض النفس، وإنما يتطلب تزكيتها وتطهيرها وفق شرع الله تعالى. قال سبحانه : ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس:7- 10) . و((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)(النازعات : 40)). و((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)).

والحب الشرعي لله تعالى لا يتم ببغض الدنيا كما زعم الرجل، وإنما يتم بطاعة الله تعالى والالتزام بشرعه في حياتنا الدنيوية . والوصول الصحيح إلى الله تعالى لا يتم بترك الدنيا، ولا بذم النفس وبغضها، وإنما يتم بطاعة الله تعالى وتطبيق شريعته في هذه الدنيا أيضا . قال سبحانه: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

[235] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 98 .

فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِـكَ هُـمُ الصَّـادِقُونَ)(الحجـرات: 15))، و((فَـلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِـي أَنفُسِـهِمْ حَرَجـاً مِّمَّـا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَـا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32)).

وسادسا إن قول بعض هؤلاء الصوفية بأن المحبة هي ((استهلاك في لذة))[236]، وأنها محبة بلا عوض ، وافتتان بالمحبوب، و((إفراط الميل بلا نيل))[237]. وقول ابن عجيبة: ((فمن عبد الله تعالى لشيء يرجوه منه في الدنيا أو في الآخرة أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة في الدنيا أو في الآخرة فما قام بحق أوصاف الربوبية التي هي العظمة والكبرياء والعزة والغني ...))[238].

فهي أقوال تندرج ضمن تعريف الصوفية للحب الصوفي، وليست من المحبة الشرعية في شيء. لأن الذين قالوا منهم بأنهم يُحبون الله بلا عوض؛ فهم في الحقيقة يطلبون حظوظهم منه بتلك المحبة . لأن الذي لا يحب الله تعالى طاعة واستجابة له والتزاما بدينه ، فهو بالضرورة يحبه طلبا لهواه من الله من حيث يدري أو لا يدري.

وبذلك يبطل ما حكاه الغزالي عن الصوفية : ((وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره))[239]. وكذلك قول الكلاباذي: ((وشرط الواجب الإتيان به على غير مطالبة عوض وإن شهدته فضلا بل يستوفيك عن رؤية الفضل والعوض ما لله عليك في العمل في قوله: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم "قال: ليعبدوه بالرق لا بالطمع))[240].

وهؤلاء الصوفية قرروا ما يُخالف المحبة الشرعية بدعوى العوض، وهذا تضليل وتلبيس كما بيناه أعلاه. والغريب أن الكلاباذي استشهد بآية حسب هواه ولم يُكملها لغاية في نفسه ، هي أنها تهدم كل ما قرره فهي تقول: ((إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 111)) . فلماذا فعل هذا التضليل والتلبيس على الناس ؟؟.

---

[236] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 147 .
[237] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 154 .
[238] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم، ص: 108 .
[239] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 25 .
[240] الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 141 .

وماذا يتبع هذا الرجل، أيتبع الشرع أم هواه ؟. إنه تعمد ممارسة التحريف تعصبا للتصوف وتحريفا للشرع. وهذا شاهد دامغ على أن العبادة الصوفية قائمة على مخالفة الشرع وتحريفه عن سبق إصرار وترصد .وهذا سلوك ممقوت، وليس من الحق ولا من العلم ، ولا يليق أبدا بأهل العلم وطالبي الحقيقة !! . إنه منهج أهل الأهواء على اختلاف توجهاتهم ونِحلهم. وهذا الرجل وأصحابه نسوا أو تناسوا أن موقفهم مخالف للشرع أولا ، ويتضمن عوضا دنيويا ثانيا . هو أنهم قد صرّحوا أن غايتهم الكبرى من تصوفهم هي الفناء في الله[241] . وهذا الفناء المزعوم يتم في الدنيا لا في الآخرة، فهو جنتهم وهو أعظم عوض ينتظره الصوفية من ممارساتهم التعبدية، إنه عوض يصلون إليه بتعطيلهم للشرع وهدمهم له، فبئس العوض**!!** .

والمحبة الشرعية ليست هي استهلاك في لذة، وإنما هي طاعة لله والتزام بشريعته ، فتنتج عن ذلك المحبة الصحيحة ، لقوله تعالى : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)).

والمحبة الصحيحة ليست هي أن يكون العابد المحب مفتونا بالحبيب كما قال بعض الصوفية، وإنما أن هي أن يكون المحب عبدا لله ملتزما بدينه قلبا وقالبا ، مصداقا لقوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).

وأما قول ابن عجيبة فهو باطل أيضا، لأن الذي يقوم بحق العبودية هو الذي يعبد الله كما أمره وشرّع له ، فالذي يدعو الله ، فهو يعبد الله لأنه سبحانه هو الذي أمره أن يدعوه وحببه إليه. والذي يرجو جنة الله ويخاف ناره فهو يعبد الله حق العبادة ، لأنه هو الذي أمره بذلك . لكن الذي يعبد الله لمجرد حبه لجمال الله وعظمته وجلاله من دون انطلاق من الشرع والتزام به، فهو يعبد هواه وشيطانه ولا يعبد الله، ويطلب الدنيا لا الآخرة ، لأنه سبحانه لم يأمرنا بهذه العبادة. وعليه فمن الذي لم يقم بحق العبادة لله أهو المسلم الملتزم بالشرع- الأول- أم الصوفي- الثاني- المخالف للشرع والمُتبع لهواه ؟؟!! . لاشك أن الأول هو الذي قام بحق العبودية لله تعالى ، وليس الثاني .

---

[241] سنعود لموضوع الفناء عند الصوفية لاحقا بحول الله تعالى .

وأخيرا- سابعا- لا يغيب عنا أن الغزالي تعمد مخالفة القرآن وتحريفه انتصارا لقوله بالحب الصوفي عندما قال: ((وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام ،وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد))[242]. فالرجل نفى كون جهنم تتضمن العذاب القلبي وحصره في العذاب البدني، وهذا باطل قطعا، والرجل تعمد نفي ذلك لأن كلامه الذي قاله أصله من القرآن الذي نصّ صراحة على أن النار تطلع على الأفئدة وتعذب أصحابها بدنيا وقلبيا . قال تعالى: ((كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)(الهُمَزَة: 2 -7)). فالنار المذكورة في هذه الآية ليست هي نار الفراق كما زعم الغزالي ، وإنما هي نار جهنم وهي التي تطلع على الأفئدة وتُعذبها كما تعذب الأجسام. وهناك آيات كثيرة نصت صراحة على أن أهل جهنم يتعذبون جسميا ومعنويا، ويصرخون ويندمون، ويتحسرون. كما في قوله سبحانه: ((وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(سبأ: 33)). فانظر وتدبر فيما فعله هذا الرجل انتصارا للتصوف !!.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أولا إن الحب الصوفي هو أول أصل ومنطلق تقوم عليه العبادة في التصوف ، وهو أصل مخالف للشرع: مكانة ومفهوما . لأن دين الإسلام يقوم على عبادة الله تعالى طاعة له والتزاما بشريعته ، منها حب الله تعالى وأنبيائه وعباده الصالحين . لكن الحب الصوفي لا ينطلق من الشرع ، ولا يلتزم به، وإنما يُخالفه ويتعالى عليه ، ويزدريه من جهة؛ ويعبد الله حبا لذاته وجماله، لا طاعة له وخضوعا لشريعته . والحب الشرعي ينطلق من طاعة الله وخوفه طمعا في جنته وهروبا من ناره؛ لكن الحب الصوفي لا يرجو جنة ، ولا يخاف نارا في الآخرة ،وإنما يرجو معادا دنيويا لا أُخرويا. فالحب الصوفي لا علاقة له بالحب الشرعي إلا بالاسم بعبارة: حب الله !! . فهو حب ناقض للعبادة

[242] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 25 .

الشرعية وهادم لها، وستترتب عنه اتساع تناقضات التصوف وانحرافاته وابتعاده عن الشرع أُفقيا وعموديا .

وثانيا إنه تبين أن الحب الصوفي أخرج الصوفية من العبادة الشرعية إلى العبادة الصوفية ، فعبدوا الله حسب أهوائهم طلبا لجماله وللفناء فيه، لا طاعة له والتزاما بشريعته .فأصبحوا من طلاب الدنيا لا الآخرة، ومن المعطلين للشرع لا من الملتزمين به .لأن الذي لا يلتزم بالعبادة الشرعية في عبادته لله فهو بالضرورة سيعبده حسب هواه ، ومن يكن هذا حاله فهو في الحقيقة يعبد هواه وشيطانه ولا يعبد الله. وهو ضال مُضل ومُغرر به، ومُلبس عليه. ولهذا كان الأنبياء-وهم أعظم الناس إيمانا وصلاحا وحبا لله- يخافون الله تعالى ويرجون نعيمه، ولم يكونوا كالصوفية يتكبرون على الجنة التي أعدها الله لهم ،ولا كانوا يزدرون بالنار التي حذّرهم وخوفهم الله بها. فذكرهم سبحانه بقوله : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء: 90))، و((وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ)(الشعراء: 85))، و((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)(النساء: 69)).

ثانيا : ترك الدنيا وذمها عند الصوفية:

بعدما أصّل الصوفية للعبادة في التصوف بأول أصولها - وهو الحب الصوفي- أضافوا إليها أصلها الثاني، وهو : ترك الدنيا وذمها . وكما أنهم أعطوا للحب الصوفي مفهوما غير شرعي، فهم أيضا اتخذوا موقفا مخالفا للشرع في موقفهم من الدنيا لأنه يتفق تماما مع أصلهم الأول وهو امتداد له . فكما أنهم تبنوا الحب الصوفي بأحوالهم ورغباتهم بعيدا عن الشرع، فنفس الأمر طبقوه في موقفهم من الدنيا . فما تفاصيل ذلك ؟ ، ولماذا تبنوه مع مخالفته للشرع والعقل ؟ .

فمن أقوالهم المتعلقة بترك الدنيا وذمها ، قول الصوفي داود الطائي (ت 165 هـ) إنه قال : ((: صُمْ عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرَّ من الناس كفرارك من السبع))[243]. وقال: ((توحش من الدنيا كما تتوحش من السباع))[244].

[243] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف ،، دار المعارف، القاهرة ، ج 1 ، ص: 54 .
[244] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 343 .

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال: ((من تزوّج أو كتب الحديث أو طلب معاشاً فقد ركن إلى الدنيا))[245]. وُروي أنه قال لأحد أصحابه : ((إن كنت تحب أن تكون لله وليا وهو لك محبا فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما وفرغ نفسك منهما وأقبل بوجهك على الله يقبل الله بوجهه عليك ويلطف بك))[246]. وقيل أنه قال لرجل: ((أتحبُّ أن تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة؛ وفرغ نفسك لله تعالى، وأقبل بوجهك عليه ليُقبل عليك ويواليك))[247].

وجعل الحارث بن أسد المحاسبي(ت 243هـ) المال أصلا عظيما من أصول الفساد ، وأورد روايات حديثية وأخرى تاريخية عن بعض الأنبياء من دون إسناد مكتفيا بقوله بلغنا ،وقال[248]، وذم الدنيا بروايات من دون تحقيق ، منها الأحاديث الآتية:
و قال المحاسبي : ((بلغنا عنه -عليه السلام- أنه قال: ((لتأتينكم من بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب)) [249].

وقال أيضا : وقال عليه السلام : ((ما زال ربي معرضا عن الدنيا وعمن غرته واطمأن إليها منذ خلقها إلى يوم القيامة)) [250]. و: ((وبلغنا أن الله تعالى أوصى إلى موسى-عليه السلام- : أن يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا ، فلن تأتي بكبيرة هي أشد عليك من حب الدنيا "))[251].
وذكر خبرا عن عيسى -عليه السلام- بقوله: وبلغنا[252] .... ثم أن المحاسبي استشهد بآية قرآنية ، وأغفل الآيات التي تمدح الدنيا و أنها من نعم الله تعالى على عباده . فذكر قوله تعالى: ((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم ....))[253].

وأورد المحدث أبو سعد الماليني(ت 412هـ) قولا للصوفي بشر الحافي بإسناده، فقال: ((حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع ، أخبرنا محمد

---

[245] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 221 .
[246] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 82 .
[247] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 418.
[248] المحاسبي: الوصايا ، حققه عبد القادر أحمد عطا، ط 1 ،، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1986 ، ص:69 ، وما بعدها .
[249] المحاسبي: الوصايا ، ص:69 .
[250] المحاسبي: الوصايا ، ص:69 .
[251] المحاسبي: الوصايا ، ص: 70 .
[252] المحاسبي: الوصايا ، ص:70 .
[253] المحاسبي: الوصايا ، ص:71 .

بن مخلد ، أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : سمعت بشر بن الحارث ، يقول : « من طلب الدنيا فليتهيأ للذل »))[254].

وقال الصوفي أبو محمد سهل التُستري : ((من علامة حبّ الله تعالى حبّ النبي -عليه السلام-، ومن علامة حبّ النبي-صلى الله عليه وسلم- حبّ السنّة ومن علامة حبّ السنّة بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يأخذ منها إلا زاداً وبلغة))[255].

وعن الصوفي الشاعر سمنون بن حمزة الخواص البغدادي (ت 290هـ) أنه سئل عن التصوف فقال: ((أن لا تملك شيئاً ،ولا يملكك شيء))[256].

وعن شيخ الصوفية الجنيد بن محمد أنه قال: ((... إن الدار دارهم وغم وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره، فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول))[257].

وقال أيضا : ((ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله وأصله العزوف عن الدنيا ،كما قال حارثة: "عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري "))[258].

وعن حديث حارثة قال المؤرخ الصوفي الكلاباذي : ((وقال حارثة-ابن سراقة- حين سأله النبي ﷺ: {ما حقيقة إيمانك}؟ قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعادون ". فأخبر أنه لما عزف عن الدنيا، نوّر الله قلبه، فكان ما غاب منه بمنزلة ما يشاهده. وقال النبي ﷺ: {من أحب أن ينظر إلى عبد نور الله قلبه، فلينظر إلى حارثة}، فأخبر أنه منوّر القلب))[259].

---

[254] المالِيني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 67 ص: 86 .
[255] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 360 .
[256] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 441.
[257] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 270 .
[258] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 278 .
[259] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 16 .

وقال الصوفي أبو سليمان الداراني: ((إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا))[260]. و((لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار))[261].

وعن أبي يزيد البسطامي أنه سُئِل عن السُّنَّة و الفريضةِ. فقال: ((("السُّنَّةُ تركُ الدنيا، و الفريضةُ الصُّحْبةُ مع المولَى؛ لأنَّ السنةَ كلها تدلُّ على تركِ الدنيا، و الكتابُ كلُّه يدلُّ على صحبةِ المولى. فمن تعلَّم السنةَ والفريضةَ فقد كَمُل "))[262].

وقال الصوفي - كاشف سر الصوفية - الحسين بن منصور الحلاج البغدادي (ت 310هـ) ((علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة)) [263].

وقال يحيى بن معاذ : ((واعلموا أن ترك الدنيا هو الربح نفسه الذي ليس بعده أمر أشد منه، فإن ذبحتم بتركها نفوسكم أحييتموها، وإن أحييتم أنفسكم بأخذها قتلتموها، فارفضوها من قلوبكم تصيروا إلى الروح لراحة في الدنيا والآخرة، وتصيبوا شرف الدنيا والآخرة، وعيش الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون. عذبوا أنفسكم في طاعة الله بترك شهواتها قبل أن تلقي الشهوة منها أجسامكم في دبار عاقبتها، واعلموا أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة ودعاكم إليها فأسرع الناس إليها أتركهم لدنياه، وأوجدهم لذة لطعم تلك الوليمة أشدهم تجويعاً لنفسه ومخالفة لها))[264]. وقال أيضا : ((الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها))[265].

ويرى الصوفي عبد الكريم القشيري أن أن بداية الطريق الصوفي يجب فيها على العبد التجرد عن الدنيا ولا يملك شيئا[266].

---

[260] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 193.
[261] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 10 ص: 248 .
[262] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 74 . و أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 94 .
[263] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 142.
[264] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء،، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج 10 ص: 65 .
[265] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 183 .
[266] القشيري: ترتيب السلوك في طريق الله تعالى، حققه ابراهيم بسيوني، ص: 25 .

وقال أبو نُعيم الأصبهاني: ((وقد قيل: إن التصوف تطليق الدنيا بتاتا ،والإعراض عن منالها ثباتا)) [267].

وعن الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني أنه قال: ((يا غلام، اقرن بين الدنيا والآخرة، واجعلهما في موضع واحد، وانفرد بمولاك عز وجل عرياناً من حيث قلبك، بلا دنيا ولا آخرة ... يا غلام، لا تكن مع النفس ولا مع الهوى، ولا مع الدنيا، ولا مع الآخرة، ولا تتابع سوى الحق عز وجل))[268].

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده أن الصوفي أبا الأشهب قال : أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - يا داود حذر فأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة))[269].

وقال الصوفي أبو طالب المكي : ((وروينا أن عيسى -عليه السلام- مرّ في سياحته برجل نائم ملتفّ في عباءة فأيقظه وقال: قم يا نائم فاذكر اللّه تعالى فقال: ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له عيسى -عليه السلام-: نم حبيبي إذًا نم))[270].

وآخرهم : أبو نعيم الأصبهاني ، حذّر من الدنيا ونفّر منها ، ثم استدل بحديث ، فقال: ((حدثنا سليمان بن أحمد ، إملاء ، حدثنا أحمد بن داود المكي ، حدثنا إسماعيل بن مهران بن سليمان الواسطي ، حدثنا زيان بن عبد الله المدحجي ، عن عمر بن موسى بن وجيه ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، فأقبل جرير بن عبد الله فقال : السلام عليكم يا معشر قريش . أين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : « أسلم تسلم يا جرير ، إني أحذرك الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها »))[271].

وذكر أيضا أن من صفات الصوفية : عدولهم عن الترفه والتنعم احترازا من التولي والتصرم . ثم استدل على ذلك بحديث ، فقال: ((حدثنا محمد بن

---

[267] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 30 .
[268] عبد القادر الجيلاني: الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ص: 14، 15 .
[269] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 261 .
[270] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 367 .
[271] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 31 .

أحمد بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا كثير بن عبيد ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن السري بن ينعم ، عن أبي الحسن مريح الهوزني ، عن معاذ بن جبل ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له حين بعثه إلى اليمن : « إياك والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين »))[272].

وأُشير هنا إلى أن للصوفية أحاديث كثيرة نسبوها إلى النبي- عليه الصلاة والسلام- أيدوا بها موقفهم في ذم الدنيا والتنفير منها، سبق أن ذكرنا طائفة منها وهنا أورد أحاديث أخرى لم يتقدم ذكرها . أولها : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا محمد أبو عمرو بن حمدان ،حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك، حدثنا ابن عباس، حدثنا صفوان بن عمرو ،عن خالد بن معدان،عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ يا حذيفة إن في كل طائفة من أمتي قوما شعثا غبرا إياي يريدون وإياي يتبعون ،وكتاب الله يقيمون، أولئك مني وأنا منهم وإن لم يروني))[273].

والحديث الثاني: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا سليمان بن احمد، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عمرو بن هاشم، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن عروة ،عن أبيه ،عن عائشة -رضي الله تعالى- عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- من سأل عني أو سره أن ينظر إلي فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ،رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة أو النار))[274].

ونفس الحديث أورده السلمي وعلّق عليه بقوله: إن الصوفية ممدحون بلسان النبوة، لما رويت عائشة- رضي الله عنها- : ((قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: من سره أن ينظر فلينظر إلى أشعث أغبر شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، علم فشمر ليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار))[275].

---

[272] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 61 .
[273] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 9 .
[274] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 9 .
[275] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف وحقيقته ، حققه يوسف زيدان ،، مكتبة الكليات الأزهرية، ص: 85 .

والحديث الثالث مفاده أن عبد القادر الجيلاني قال : ((فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى)))[276] .

والحديث الأخير- الرابع - مضمونه أن الصوفي عبد الكريم القشيري عندما تكلم عن التصوف بدأ مبحثه بذكر الصفاء من باب المدح وأيده بحديث تضمن مدحا للصفاء وذما للدنيا ، وإشارة منه على أن الصوفية من أهل الصفاء ، فقال: ((أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال: حدثنا الحسين بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن نوفل قال: حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- متغير اللون فقال: " ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم "))[277].

وردا عليهم أقول:

أولا إنه واضح من أقوال هؤلاء الصوفية أنهم مصرون عن سبق إصرار وترصد على مخالفة الشرع في موقفهم من الدنيا كما خالفوه في موقفهم من الحب الإلهي . لأن الشرع لم يأمرنا بترك الدنيا ولا الآخرة، ولا أمرنا بترك جماعة المسلمين، وإنما أمرنا بعمارة الأرض والتعاون على البر والتقوى وفق شريعة الله ، ومن جهة أخرى رغبنا في الآخرة على أساس أن الدنيا هي مزرعة الآخرة . ولم يقل لنا الله تعالى : تفرغوا لعبادتي بترك الدنيا ، كما زعم هؤلاء الصوفية . لأن من يعبد الله حق عبادته وفق شريعته لا يقول بقولهم أبدا . فالقوم على منهج العبادة الصوفية، لا العبادة الشرعية .

علما بأنه لا يصح ذم الدنيا مطلقا ، ولا مدحها مطلقا ، لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، ولا بد لنا من عمارتها ، فمن عاش فيها وفق شرع الله تعالى سعد بها وأوصلته إلى الجنة ونعم المقام ، ومن عاش فيها معرضا عن شريعة الله تعالى ضل بها وأوصلته إلى جهنم وبئس القرار. ولهذا كما ذم الله تعالى الدنيا ، كما في قوله تعالى: ((إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ)(محمد: 36))، و((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ)(آل عمران : 185))، فإنه سبحانه مَنّ بها على بني آدم عامة

[276] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة والثلاثون .
[277] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 440.

وعلى المؤمنين خاصة ، وبارك فيها أقواتها وخيراتها وسخرها للإنسان، وحثه على الانتفاع بها وفق شريعته. ووعد بها المؤمنين ، وجعله من فضله عليهم، كما في قوله سبحانه: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور : 55))، و((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(الحج : 41)).

وثانيا ففيما يخص موقف الحارث المحاسبي والأحاديث التي استشهد بها ، فإن إسناد الحديث الأول ((بلغنا عنه -عليه السلام- أنه قال: ((لتأتينكم من بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب))[278]. لم أعثر له على اثر في كتب علم الحديث والجرح والتعديل، وقال فيه الحافظ العراقي: " لم أجد له أصلا"[279].

وإسناد الحديث الثاني ((ما زال ربي معرضا عن الدنيا وعمن غرته واطمأن إليها منذ خلقها إلى يوم القيامة))[280]. هو أيضا لم أجد له ذكرا في كتب الحديث والرجال ،والتواريخ والتفاسير. وقد أورده الحارث المحاسبي بصيغة الإثبات ولم يقل: بلغنا، ولا رُوينا ولا يُقال . مع أن الخبر لا أصل له. فمن أين له به ؟؟. لكن عثرت على حديث قريب منه ، مفاده : ((إن الله تعالى لم يخلق خلقا هو أبغض عليه من الدنيا و ما نظر إليها منذ خلقها بغضا لها)). وهذا حديث موضوع[281].

وإسناد الخبر الثالث ((وبلغنا أن الله تعالى أوصى إلى موسى-عليه السلام- : أن يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا)) . لم يذكر له إسنادا ، وإنما إسناده قوله: بلغنا ، فهو منقطع ، ولا يصح قطعا ، وعبارة بلغنا هي أخت زعموا .

والإسناد الرابع لا يصح أيضا، رواه المحاسبي عن نبي الله عيسى- عليه السلام- بقوله : وبلغنا[282] .... ثم أن الرجل استشهد بآية قرآنية ، وأغفل الآيات التي تمدح الدنيا وذكرت على أنها من نعم الله تعالى. فذكر قوله

---

278 المحاسبي: الوصايا ، ص:69 .
279 الحافظ العراقي: المغني في حمل الأسفار في الأسفار، ج5 ، ص: 35 .
280 المحاسبي: الوصايا ، ص:69 .
281 الألباني: صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج 3 ص: 136 .
282 المحاسبي: الوصايا ، ص:70 .

تعالى: ((مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ)(هود: 15))[283].

ويُلاحظ على المحاسبي عدم اهتمامه بنقد أسانيد رواياته، ولا حرصه على صحتها؛ ففي الإسناد الأولى قال بلغنا، وهي أخت زعموا . وفي الثاني قال: قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا أيضا لا يصح ، لأنه كان عليه أن يذكر الإسناد ويتأكد من الخبر . فالرجل استدل بروايات بلا أسانيد من جهة، وحرمنا من إمكانية تحقيقها إسنادا من جهة أخرى. فهي روايات لا أصل لها من طريقه ، ومن يحرص على دين الله تعالى ليس بهذه الطريقة يأخذ دينه .وإذا كان هو وأمثاله تساهلوا وأهملوا الأسانيد مع الأحاديث النبوية فمن باب أولى أن يتساهلوا ويُهملوا التوثيق مع أقوال البشر .

ومن جهة أخرى واضح من كلام المحاسبي أنه وجه تلك الروايات حسب موقفه الصوفي في الدعوة إلى ترك الدنيا وذمها؛ مع أن الحقيقة هي أن الدنيا لا يصح ذمها مطلقا من دون تحديد للجانب المذموم منها . لأن حب الدنيا له جانب إيجابي واضح وهام ومطلوب، يتمثل في حب الدنيا لمعرفة الله تعالى و عبادته ، وللجهاد في سبيله ، واكتشاف سننه واستغلال الثروات التي خلقها الله لنا . ولهذا نجد الله تعالى مدح الدنيا وأظهر فضله علينا بها، وإنعامه بها علينا ،وحثه لنا على عمارتها واستغلال ثرواتها وفق شريعته سبحانه وتعالى، كقوله : ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(لقمان: 20)) ، و((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ، و((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)(القصص: 77)) ، و((نِسَآؤُكُمْ ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)) فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))، ((قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)(يونس: 58))،و((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)(الحديد : 7)) . ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

[283] المحاسبي: الوصايا ، ص:70 .

مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)(الحج : 28)) ، ((قُلْ مَنْ ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) ،والله تعالى مَنّ على المسلمين بالغنائم وأباحها لهم فضلا منه ، وهي متاع دنيوي بلا شك قال تعالى : ((مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الحشر: 7)) ،و((فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الأنفال: 69)) .

ولذلك فلا يصح ذم الدنيا مطلقا من دون تحديد الجانب المذموم منها، وهي الجسر الذي يوصل المؤمنين إلى الجنة . ومن جهة أخرى إن الله تعالى ذم الدنيا ، لكنه ذم الدنيا التي توصل أهلها إلى الكفر وتدخلهم إلى جهنم ، كقوله سبحانه:((إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ)(محمد: 36))، و((وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ)(آل عمران : 185)) . فالدنيا بلا إيمان وعمل صالح مذمومة ويجب تركها، لكن الدنيا بالإيمان والعمل الصالحي ممدوحة ويجب الحرص عليها ، لأنها سبب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة .

وثالثا فبالنسبة لأقوال الجنيد ، فقوله : ((إن الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر ...))[284]. فهو مخالف للشرع قاله تصوفا لا التزاما بدين الله تعالى . نعم الدنيا دار فتنة وبلاء وابتلاء، لكنها من جهة أخرى فهي مزرعة الآخرة وفيها كثير من الخيرات والنعم الحلال التي أباحها الشرع وحث عليها. وفيها كثير من الجمال والعظمة والفرح والسرور. والله تعالى أمرنا بعمارة الأرض، واستخراج كنوزها وسننها وفق شرعه ولم يأمرنا بتركها. قال سبحانه: ((وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)(النحل 6))، و ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32))، و((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً

[284] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 270 .

وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(لقمان: 20))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال: 24)).

ومن جهة أخرى فهل حقا أن الصوفية تركوا الدنيا كما يزعمون ؟؟ كلا وألف كلا ، إنهم انغمسوا فيها إلى الأذقان ، فطلبوا الدنيا بدعوى تركها. والدليل الدامغ على ذلك ، هو أن مخالفاتهم للشرع و تقدمهم عليه، وحرصهم على تطبيق تصوفهم وتحقيق غاياته ، كل هذا هو استجابة لأحوالهم ورغباتهم، وهذا - بلا شك - من الدنيا لا من الدين**!!**.

والشاهد الثاني على ذلك أيضا هو أنه من الثابت تاريخا وحاضرا أن معظم هؤلاء الصوفية أمضوا حياتهم في ترك التكسب ، وتفرغوا لمجالس الغناء والرقص ،وانتظار صدقات الناس، والحرص على طلب الفناء في الله دنيويا[285] ،وهذه أعظم اللذات التي يرجونها من تصوفهم، وهي غايات صوفية دنيوية، وليست شرعية . ومن هذا حاله فهو في الحقيقة طالب دنيا لا طالب آخرة ، وطالب هواه لا طالب شرع الله .

وأما قوله : ((ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله ،وأصله العزوف عن الدنيا كما قال حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري))[286]. فهو كقوله السابق أقامه الجنيد على العبادة الصوفية لا الشرعية. لأن دين الإسلام بكل جوانبه الروحية والأخلاقية والعملية والعقدية لا يقوم على الجوع ، ولا على ترك الدنيا، ولا على ترك المستحسنات، وإنما يقوم على طاعة الله ورسوله والالتزام بشريعته قلبا وقالبا،و في كل أمور الدنيا والآخرة . قال تعالى:((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).

وليس من دين الإسلام أن نقيم الدنيا على الجوع ، وإنما نقيهما على الاعتدال في الأكل والشرب وفق شريعة الله تعالى. وليس هنا مجال التفصيل في هذا الموضوع ، فسنعود إليه لاحقا بحول الله تعالى .

---

[285] سنوثق تلك المعلومات لاحقا . علما بأن الفناء في الله عند الصوفية يعني التحقق بوحدة الوجود ، وسنبين هذا فيما يأتي من هذا الكتاب.

[286] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 278 .

وأما قوله بترك المألوفات والمستحسنات فهذا يحتاج إلى تفصيل، فإذا كانت مألوفات صحيحة وصحية، ومواقفة للشرع ،ومفيدة للمجتمع فيجب الحفاظ عليها لا قطعها . علما بأن الإنسان لن يستطيع الخروج عن العوائد والمستحسنات ،وإنما هو يستطيع أن يُغيرها لا القضاء عليها. لأنه ما من نمط حياة إلا و له مألوفات ومستحسنات. والصوفية أنفسهم عندما تصوفوا وانعزلوا وضعوا لأنفسهم مألوفات ومستحسنات، فمالوا إلى الكسل وترك طلب الرزق، وأقبلوا على اللهو والرقص بدعوى الذكر والسماع، ولبسوا المرقعات وتميزوا بها، وأظهروا زهدهم وتصوفهم للناس.

وفيما يخص قوله : ((كما قال حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري))[287] . ، فهو جزء من حديث اهتم به الصوفية كثيرا، كالمؤرخ الصوفي الكلاباذي ذكره وعلّق عليه بقوله : ((وقال حارثة-ابن سراقة- حين سأله النبي ﷺ: {ما حقيقة إيمانك}؟ قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعادون "، فأخبر أنه لما عزف عن الدنيا، نور الله قلبه، فكان ما غاب منه بمنزلة ما يشاهده. وقال النبي ﷺ: {من أحب أن ينظر إلى عبد نوّر الله قلبه، فلينظر إلى حارثة}، فأخبر أنه منور القلب))[288].

وأقول: هذا الحديث إسناده ضعيف[289]. ومتنه مُنكر جدا ، فليس صحيحا أن ترك الدنيا يُؤدي إلى ما ذكره الحديث ، لأن ترك الدنيا ليس من ديننا ، ولأن الإيمان والإخلاص والالتزام بالشرع هو الذي ينور القلوب، وليس الغلو في الجوع والسهر ، بدليل قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(التغابن: 11))،و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) .

وقد شهد الشرع للصحابة بالإيمان والعمل الصالح، وزكاهم في نصوص كثيرة، ومع ذلك لم يعزفوا عن الدنيا. وبعد العهد النبوي أصبحوا

---

[287] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 278 .
[288] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 16 .
[289] الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج 1 ص: 220، 221 . و الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج الإحياء، ص: 44 .

كلهم من الأغنياء وميسوري الحال، وفتحوا الفتوحات وكونوا دولة الإسلام في العهد الراشدي. فأين حكاية العزوف عن الدنيا ؟؟.

ومما يُبطل ذلك الحديث أيضا أن الصحابي المذكور فيه، وهو حارثة بن سراقة استشهد غلاما في معركة بدر وقيل في أحد، ولم يُرو عنه الحديث[290]. أليس هذا دليل دامغ على أن الحديث مكذوب ؟؟!! . فالجنيد وأمثاله من الصوفية لم تكن تهمهم صحة الحديث من عدمها، وإنما كان همهم التقعيد للعبادة الصوفية والانتصار لها ،حتى وإن كان الحديث مكذوبا!!. فالقوم لا مجال عندهم لنقد الأخبار وتمحيصها !! .

لكن ما سبب حرص الصوفية على الاهتمام بهذا الحديث؟؟. إنه عمدة القوم في المواضيع التي تكلم فيها . فهو قد تضمن ذكر أصل من أصول العبادة الصوفية، وهو: ترك الدنيا . وذكر اثنين من أساسيات الطريق الصوفي، هما: الجوع ،والسهر. وتضمن الإشارة إلى غاية العبادة الصوفية بطريقة غير مباشرة، وليست صريحة لكنه تضمن جانبا منها بحيث يستطيع الصوفية توجيهه لتأييد قولهم بغاية العبادة الصوفية الخفية، التي يسمونها الفناء في الله، وهي تعني أمرا خطيرا ومدمرا للدين والعقل والعلم،وسنتناولها بالتفصيل في الفصل الرابع من كتابنا هذا. والشاهد على غايتهم الخفية هي قوله :((وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا)). ومعنى كلامه أن ممارسة التعبد الصوفي بالجوع والسهر يوصل إلى رؤية عرش الله ؛ ومع أن الرواية لم تصرح أيكون ذلك بالرؤية المباشرة أم بالرؤية القلبية ، فإن الصوفية يُمكنهم الاعتماد عليها وتوجيهها في قولهم بالكشف والشهود، وعلم الباطن ، ليصلوا إلى غاية عبادتهم الخفية .

لكن تجب الإشارة هنا إلى أن الحديث مع أته متفق مع العبادة الصوفية في أكثر جوانبه، فإنه مخالف لها في ذكره لأهل الجنة والنار. لأن العبادة الصوفية تزدري المعاد الأخروي، ولا تعبد الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته كما بيناه سابقا؛ لكن القوم أخذوا من الحديث ما يتفق مع العبادة الصوفية ، وأعرضوا عما يُخالفها ، بطريقة نفعية ذرائعية عمادها:الغاية تبرر الوسيلة. ومن المُحتمل أيضا أن تكون هذه الزيادة- ذكر الجنة والنار- من باب التقية لإخفاء الصوفية حقيقة عبادتهم عن المسلمين .

[290] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 3 ص: 254 . وابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج 1 ص: 614 .

والحديث يشهد بنفسه أنه موجه لتأسيس التصوف وشرعنته، في قوله بترك التكسب وعدم عمارة الأرض، والدعوة إلى السهر والجوع. ولاشك أن من يسهر ليلا فإنه سينام نهارا ويكون صومه نوما. وهذا ليس من دين الإسلام ، لأن الإيمان لا يقوم على ذلك فقط ، وليس بذلك التطرف والغلو وإنما يقوم على :((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(البقرة: 277)). و((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة 2))، و((انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(التوبة: 41)). والقرآن الكريم حدد صفات الإيمان الشرعي المقبول بعدة صفات كقوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15)) . فالقوم فَصّلوا الحديث على مقاسهم.

ورابعا إن قول سهل التستري: ((من علامة حبّ الله تعالى حبّ النبي -عليه السلام-، ومن علامة حبّ النبي -صلى الله عليه وسلم- حبّ السنّة ومن علامة حبّ السنّة بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يأخذ منها إلا زاداً وبلغة))[291]. فهو قول مردود على صاحبه، ومخالف للشرع مخالفة صريحة.فهو كلام يُعبر عن مكانة الدنيا عند الصوفية ، وليس عن مكانتها في دين الإسلام . لأن الدنيا في شريعتنا ليست مذمومة لذاتها ، فهي من نِعم الله على عباده ؛ وإنما تُذم عندما تكون سببا في فساد وهلاك البشر في الدنيا والآخرة. وإما إذا كانت وسيلة لعبادة الله تعالى، وتطبيق شرعه، والتمتع بالطيبات الحلال التي فيها ،فإنها في هذه الحالة ليست مذمومة، وإنما هي ممدوحة، لأنها هي مزرعة المؤمنين التي توصلهم إلى جنة النعيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وليس صحيحا أن من علامة حب السنة النبوية بغض الدنيا مطلقا، فهذا افتراء عليها،لأن من أهداف السنة أنها جاءت لتسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، وتبين له الطريق الشرعي للتمتع بالحلال في الدنيا . من ذلك مثلا قول النبي- عليه الصلاة والسلام- ((أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي

---

[291] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 360 .

فليس مني)) [292]، و ((إن لأهلك عليك حقا و لنفسك عليك حقا))[293] ، و((نعم المال الصالح للمرء الصالح)) [294].

ولا يصح القول بأن من علامة بغض الدنيا أن لا نأخذ منها إلا زادا وبُلغةً.لأن بغض الدنيا لا يكون بذلك، وإنما يكون بأن نجعلها مزرعة لعبادة الله تعالى وفق شريعته، فنسعد بها في الدنيا والآخرة ، ولا نجعلها مزرعة للكفر والفساد والتمتع بالحرام، وتعطيل دين الله تعالى . ولهذا قال سبحانه : ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ،و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) و((نِسَآؤُكُمْ ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)) ، ولم يقل لنا: أبغضوا الدنيا ، بترك التمتع بحلالها . وقد زكى الله تعالى الصحابة، وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح ، وبشر كثيرا منهم بدخول الجنة، ومع ذلك كان بعضهم غنيا في العهد النبوي، ثم أصبحوا كلهم أغنياء وميسوري الحال زمن الخلافة الراشدة. ومع ذلك كانوا مؤمنين يُحبون الله ورسوله .

وأما قول بشر بن الحارث الحافي: « من طلب الدنيا فليتهيأ للذل »))[295]. فهوا على شاكلة أصحابه في الدعوة إلى ترك الدنيا وذمها ، من دون التمييز بين جانبيها الإيجابي والسلبي . لأن الدنيا في ذاتها كسيف بحدين ، قد تكون طريقا إلى الإيمان والفلاح والعز ، وقد تكون طريقا إلى الذل والضلال والخسران . ولهذا يجب تعديل مقولته لتصبح: من طلب الدنيا بالحرام فليتهيأ للذل.

وكذلك قول أبي يزيد البسطامي عندما سُئلَ عن السُّنَّة والفريضةِ. فقال: ((السُّنَّةُ تركُ الدنيا، والفريضةُ الصُّحْبةُ مع المولَى؛ لأنَّ السنةَ كلها تدلُّ على تركِ الدنيا، والكتابُ كلُّه يدلُّ على صحبةِ المولى. فمن تعلَّم السنةَ والفريضةَ فقد كَمُل "))[296].

---

[292] البخاري: الصحيح، ج 7 ص: 2 ، رقم: 563 .
[293] الألباني: السلسة الصحيحة، ج 1 ص: 393 ، رقم: 394 .
[294] الألباني: صحيح الأدب المفرد، ص: 127 رقم: 299 .
[295] المالبني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 67 ص: 86 .
[296] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 74 .

إنـه قـول أسـس بـه البسـطامي للعبـادة الصـوفية بـالافتراء علـى الشـرع وتحريفه تعمدا. لأن الثابت قطعا أن كلا من السنة والفريضة لا يدلان على ترك الدنيا ،ولا على صحبة المولى؛ وإنما يدلان ويأمران بعبادة الله تعالى وفق شرعه في حياتنا الدنيوية ، لقوله تعالى: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))، و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).))، و ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و((قل ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).

وليس صحيحا أن السنة هي ترك الدنيا، لأن السنة النبوية لا تدل على ذلك، وإنما تأمر بإقامة الدنيا وفق شريعة الله تعالى . وهذا الذي أقامه النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما كوّن دولة المدينة،واستمرت على أيدي أصحابه من بعده في تكوينهم للخلافة الراشدة.

والقرآن الكريم أمرنا بعمارة الدنيا وفق شريعة الله تعالى، ووعد المؤمنين بتحقيق لهم ذلك ، بقوله سبحانه:((هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)(هود: 61))،و((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(الحج: 41)) ، و ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: 55)). فكل من القرآن والسنة أمر بعبادة الله وعمارة الأرض وفق شريعة الله ، فأين ما زعمه البسطامي الذي عطل الشرع وجعله في خدمة التصوف ؟؟ !! .

والراجح عندي أن البسطامي - بذلك القول – أخفى حقيقة العقيدة الصوفية متسترا بعبارتي السنة والفريضة . لأن الفريضة في الحقيقة ليست صحبة المولى كما قال الرجل ، فهذا تعبير مشبوه ، لأن الله تعالى فرض علينا عبادته والتزام شرعه ، لقوله سبحانه : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، جِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و ((ثُمَّ ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))، مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))، و((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(النحل: 36)). فالله سبحانه وتعالى ولم يقل الله لنا صاحبوني ، أو رافقوني، وإنما أمرنا بعبادته وطاعته والالتزام بشريعته. فالله تعالى معنا بعلمه وإرادته وقدرته، وأوامره ، ونحن معه بالتزامنا بشرعه قليا وقالبا.

والحقيقة أن الرجل تكلم عن العبادة الصوفية لا الشرعية ، لأن عبادته هي التي من أُسسها ترك الدنيا، ومن غاياتها صحبة الله حسب زعم الصوفية في قولهم بالفناء في الله. ولهذا فالسنة عنده هي سنة التصوف التي تعني ترك الدنيا وليست السنة الشرعية التي تعني اتباع النبي-عليه الصلاة والسلام- في إقامته للدين والدنيا معا.والفريضة عنده هي فريضة التصوف التي تعني الالتزام بالطريق الصوفي الموصل إلى المعرفة الصوفية المزعومة، وليست هي الالتزام بما فرضه الله علينا.

وخامسا إنه تبين من أقوال هؤلاء الصوفية أنهم دعوا إلى السلبية وترك طلب الرزق، وهجر الأموال والأولاد ،والاتكال على غيرهم لتوفير ضروريات الحياة . وهذا موقف مخالف للشرع ومُدمر لحياة البشر الدنيوية والأخروية معا . حتى أن أحدهم عندما سُئل عن التصوف قال: ((أن لا تملك شيئاً ،ولا يملكك شيء))[297]، وقال آخر: ((لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار))[298]. وقال يحيى بن معاذ : ((واعلموا أن ترك الدنيا هو الربح نفسه الذي ليس بعده أمر أشد منه، فإن ذبحتم بتركها نفوسكم أحييتموها، وإن أحييتم أنفسكم بأخذها قتلتموها ...))[299].

إن هؤلاء الصوفية يُغالطون ويُلبسون على الناس دينهم ،فهم كانوا غارقين في رسومهم وأهوائهم ،وحريصين على عقد مجالس الغناء والرقص، ولباس المرقعات ،وازدراء من يعمل لطلب للرزق. وكانوا حريصين على التقرب من الملوك والأمراء والأغنياء ليبنوا لهم الزوايا، وينفقون عليهم الأموال ، ويعقدون لهم مجالس الطرب . ومن جهة أخرى

---

[297] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموددد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 441.
[298] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 10 ص: 248 .
[299] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 65 .

فقد كانوا حريصين على مخالفة الشرع والتقدم عليه بأحوالهم وتصوفهم ، وهذا أمر سبق أن بيناه ، وسيزداد تأكيدا أفقيا وعموديا فيما يأتي من كتابنا هذا.

علما بأن الله تعالى لم يخلقنا لترك الدنيا والانسحاب منها، وإنما أمرنا بعمارتها لأنها هي مزرعة الآخرة . فنحن مكلفون بعمارتها وزراعتها أحببنا أم كرهنا ، ولا غنى لنا عن ذلك. وعليه فيجب علينا أن نعمرها وفق شريعة الله تعالى لنفلح فيها وفي الآخرة. قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال : 24))، و((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)(هود : 61))، و((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)) .

والشرع لم يأمرنا بتعذيب أنفسنا وترك شهواتنا في هذه الدنيا، وإنما أمرنا بطاعة الله في استجابتنا لدوافع وحاجيات أنفسنا. فيجب أن نربيها ونجاهدها بأن نحملها على الالتزام بشريعة الله تعالى في تلبيتنا لأشواقنا ودوافعنا وغرائزنا النفسية والعقلية والجسدية. لأنها مخلوقة فينا لأداء مهام منوطة بها. فنستجيب لشهواتها ، ونعطيها حقوقها باعتدال ولا نحرمها حقوقها، لأن حرمانها مخالف للشرع، ومُفسد للنفس والجسم والمجتمع . قال سبحانه : ((يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)(البقرة : 185))، و ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))))، و((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) . وفي الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر))[300].

ولذلك فإن الصحيح في العلاقة بين الدنيا والآخرة ، ليست الدنيا مذمومة من أجل الآخرة، ولا أن الدنيا مجرد جسر إلى الآخرة، وإنما الصحيح في ذلك هو أن الدنيا مزرعة الآخرة، فلابد من العمل والاجتهاد لعمارتها وفق

[300] مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .

شريعة الله تعالى . قال سبحانه : ((ونفس وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7- 10))، و((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)(الليل: 5- 10)) .

وهؤلاء الصوفية ذكروا صراحة أن بداية الطريق الصوفي تتطلب التجرد عن الدنيا وعدم امتلاك أي شيء حسب القشيري[301]. وقولهم هذا مخالف للشرع منطلقا ومضمونا ، لأن الطريق إلى الله لا يصح لأي إنسان أن يتكلم فيه من دون الانطلاق من الشرع والاحتكام إليه . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي وضع لنا منهج الحياة، وهو الذي يعلمنا الطريق الذي نعبده به، وقد طبقه رسوله- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام . لكن هؤلاء الصوفية تركوا الشرع وراء ظهورهم وقرروا ما يُخالفه صراحة.

إن منهج عبادة الله تعالى يقوم أساسا على الإيمان والإخلاص والاستقامة على شريعته في عمارتنا للأرض، ولا يقوم أبدا على ترك الدنيا،وعدم امتلاك أي شيء كما زعم هؤلاء . ومن الثابت قطعا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم يكن يشترط على الذين يؤمنون به أن يتجردوا من الدنيا وأملاكهم. ولهذا وجدنا الصحابة الذين آمنوا به، وشهد لهم الشرع بالإيمان والعمل الصالح ، كانوا من مختلف شرائح المجتمع، من الأغنياء، والميسورين، والفقراء .فالطريق إلى الله تعالى لا يقوم ابدا على ترك الدنيا ولا على عدم امتلاك أي شيء ، وإنما يقوم على الإيمان والإخلاص والاستقامة على الشرع. فتكون نتيجة ذلك أن يظفر المسلم بالإيمان الصحيح الذي رزقه الله به. وأما الطريق الصوفي فهو ليس منهجا شرعيا، ولا يُورث أحوالا صحيحة، وإنما يورث أصحابه أحوالا فاسدة، ويوقعهم في مخالفات وانحرافات تهدم الشرع والعقل والعلم[302].

وأخيرا- سادسا – إن الأحاديث النبوية التي احتج بها الصوفية في قولهم بترك الدنيا وذمها انتصارا للتصوف لم يصح ولا واحد منها . وقد سبق بيان حال بعضها ، وهنا أذكر طائفة أخرى من أحاديثهم كنماذج تكشف حال الصوفية في إهمالهم للتحقيق، وحرصهم وانتهازيتهم في توظيف الأحاديث الموضوعة والضعيفة تأييدا للتصوف وانتصارا له ولأهله.

---

301 القشيري: ترتيب السلوك في طريق الله تعالى، حققه ابراهيم بسيوني، ص: 25 .
302 ذكرنا جانبا من ذلك، لكن سيأتي الكثير منه لاحقا .

أولها : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان ،حدثنا عبدا لوهاب بن الضحاكن حدثنا ابن عباس، حدثنا صفوان بن عمرو ،عن خالد بن معدان ،عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم- يا حذيفة إن في كل طائفة من أمتي قوما شعثا غبرا إياي يريدون وإياي يتبعون وكتاب الله يقيمون أولئك مني وأنا منهم وإن لم يروني))[303].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله : عبد الوهاب بن الضحاك العرضي، قيل فيه: متروك، يضع الحديث، ليس بثقة، كذاب[304]. وأما متنه فسنعلّق عليه مع الحديث الثاني.

والثاني : قال أبو نعيم الأصبهاني:((حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عمرو بن هاشم حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة -رضي الله تعالى- عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم- من سأل عني أو سره أن ينظر إلي فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة أو النار))[305].

وإسناده لا يصح لأن من رجاله: سليمان بن أبي كريمة : ضعيف ، عامة أحاديثه مناكير[306]. وهشام بن عروة بن الزبير (ت145 هـ عن 87 سنة) : ثقة ربما دلس[307]، و عندما حل بالعراق توسع في التحديث عن والده، فكان يحدث عنه ما سمعه منه، ثم أصبح يرسل عنه، فأُنكر عليه ذلك[308]. و حدث عن أقوام لم يثبت سماعه منهم، فَأصبح من المدلسين[309].

وأما متنا فهذا الحديث والذي قبله متنهما مُنكران ، لأنهما مخالفان للشرع الذي أمرنا بالنظافة والوضوء للصلاة خمسة أوقات . وأمرنا بالغسل من الجنابة، ولصلاة الجمعة . وقد أمرنا الشرع بأن نؤدي الحق الذي على جسمنا بالاهتمام بنظافته وصحته وإعطائه الغذاء الذي يكفيه من دون

---

303 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 9 .
304 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 310 .
305 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 9 .
306 الذهبي: الميزان ، ج 3 ص: 187 .
307 ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 267 .
308 الذهبي : تذكرة الحفاظ ، رقم: 138، ج 1 ص: 108 ، 109 .
309 أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 293، رقم: 748. و ابن حجر: طبقات المدلسين، ص: 26، رقم:30.

إسراف. وأمرنا بإظهار نعمة الله علينا والتحدث بها. قال سبحانه: ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)(المدّثر : 4)) ، و((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى: 11))، و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) ، و((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)).. ومن يفعل ذلك لا يكون أغبر، ولا أشعث ولا شاحب . وما كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- كذلك ، فقد كان نظيفا يتعطر و يهتم بهندامه[310]،وكانت له بيوت حسب زوجاته بناها بالقصب، أو بمواد أخرى. وكذلك الصحابة- رضي الله عنهم- كانوا على سنته ، فلبسوا الجديد وكسبوا الأموال ، وبنوا المنازل، ومصروا الأمصار ، وبنوا المدن كمدينتي البصرة والكوفة . ومع ذلك كانوا قمة في الالتزام بالإسلام، وقد مدحهم الله تعالى وزكاهم في عدة آيات، وشهد لطائفة منهم بدخول الجنة في قوله تعالى ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 100)) . فهؤلاء هم قدوتنا- بعد نبينا- وليس هؤلاء الصوفية المصرون على مخالفة الشرع عن سبق إصرار وترصد مع التستر به لغايات في نفوسهم .

علما بأن الحديثين مع عدم صحتهما لا ينطبقان تمام الانطباق على الصوفية. ففيهما ما يخالف حالهم ، فليست الصوفية ممن يُحافظون على كتاب الله، وإنما هم حرب عليه كما بيناه في كتابنا هذا. وليس التصوف ولا الصوفية ممن يرجون الجنة و يخافون النار. فهم أعلنوا مرارا وتكرارا أنهم لا يعبدون الله طمعا في جنته ولا خوفا من ناره. فلماذا هذه الذرائعية والنفعية والانتهازية في الاختفاء من وراء هذين الحديثين وغيرهما ؟؟.

والحديث الثالث : قال عبد القادر الجيلاني : ((فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى)))[311] .

[310] أحمد بن حنبل: المسند، والحديث صححه شعيب الأرناؤوط ، ج 6 ص: 132 ، رقم: 25047 .و البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 147 ، رقم: 5813 .
[311] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة والثلاثون .

وأقول: لم يذكر الجيلاني للحديث إسنادا ولا تثبت من صحته، والحقيقة أنه ليس حديثا نبويا، وإنما هو قول منسوب إلى عيسى-عليه السلام-[312]، ولا يصح إسنادا ، لأنه منقطع .

ومما يشهد على عدم صحته متنا أنه ليس صحيحا أن الدنيا والآخرة ضرتان لا يُمكن الجمع بينهما . إنه يُمكن الجمع بينهما إذا أخذنا بالشرع في موقفه منهما ، فتكون الدنيا في الجيب لا في القلب، ووسيلة لا غاية.وهذا الذي حدث عندما كون النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته دولة الإسلام في العهدين النبوي والراشدي. إنهم جمعوا بين الدنيا والآخرة، وهذا الذي وعدهم الله به وتحقق فعلا على أيديهم .قال سبحانه : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: 55))

فالدنيا والآخرة في دين الإسلام ليستا ضرتين ولا متناقضتين، وإنما كل منهما يوصل إلى الآخر. فلا تُطلب الدنيا بترك الآخرة، ولا أن تُطلب الآخرة بترك الدنيا، وإنما أن تُطلب الدنيا من أجل الدنيا والآخرة. لأنه لا آخرة بلا دنيا، ، والدنيا مزرعة الآخرة. وهي مزرعة ضرورية لا يُمكن لأحد أن يتجاوزها . فهي دار عمل توصل إلى الآخرة. فالمفهوم الشرعي للدنيا والآخرة يرفع التناقض الذي كرسه الصوفية بقولهم: الدنيا والآخرة ضرتان .

والحديث الرابع: قال عبد الكريم القشيري : ((أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي، قال: حدثنا الحسين بن جعفر ، قال: حدثنا عبد الله بن نوفل قال: حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة قال: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متغير اللون فقال: " ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم "))[313].

وأقول:الحديث ضعيف[314]. والمتن منكر وباطل قطعا، لأن عهد النبي-عليه الصلاة والسلام- كان أيام نور وبركة وإيمان ، وشهد خير أمة أخرجت للناس بدليل القرآن الكريم والتاريخ الصحيح . وإذا لم تكن أيامه هي أيام السعادة والهناء فمتى تكون؟؟. والله تعالى يقول : ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ

---

[312] الغزي العامري: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، دار ابن حزم، بيروت، ص: 100 .
[313] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 440.
[314] الألباني: السلسلة الضعيفة ، ط 1 ، دار المعارف ن الرياض، ج 14 ص: 914 .

فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2))، و((لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً)(الطلاق: 11)) .

ومما يُبطله أيضا هو أن الشرع جاء للدنيا أولا ، وأمر المسلمين بالجهاد وتبليغ الرسالة إلى العالم، وبشرهم بالانتصار ودولة الإسلام. فكيف يأمرهم ويبشرهم بذلك ثم هو يكرّه إليهم الدنيا ويدعوهم إلى تركها والركون إلى السلبية ؟؟. وأليس ما قام به النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته من بعده ينقض ذلك الحديث المزعوم نقضا تاما ؟؟. فليس صحيحا أن صفو الدنيا ذهب وبقي الكدر، فلو كان كذلك ما مدح الله تعالى العهدين النبوي والراشدي، وجعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس. والله تعالى وعد المسلمين بالفتوح والأمن وانتشار الإسلام . كما في قوله سبحانه : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور : 55)).

والحديث الخامس: قال الصوفي أبو طالب المكي: ((وروينا أن عيسى -عليه السلام- مرّ في سياحته برجل نائم ملتفّ في عباءة فأيقظه وقال: قم يا نائم فاذكر الله تعالى فقال: ما تريد مني؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له عيسى عليه السلام: نم حبيبي إذًا نم))[315].

وأقول: لم أعثر لهذه الرواية على أثر في كتب الحديث والجرح والتعديل، ولا في التواريخ والسير والآداب وإنما وجدتها عند هذا الرجل فقط. والحديث لا يصح إسنادا لأنه منقطع، ومتنه باطل أيضا بما سبق أن ذكرناه في نقدنا لمتون الأحاديث السابقة التي حثت على ترك الدنيا وذمها مُطلقا .

والحديث السادس رواه أبو نعيم الأصبهاني بإسناده عن ابن عباس ، قال : ((كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، فأقبل جرير بن عبد الله فقال : السلام عليكم يا معشر قريش . أين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ؟ فقال رسول الله- صلى الله

[315] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 367 .

عليه وسلم- : « أسلم تسلم يا جرير ، إني أحذرك الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها »))[316].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: عمر بن موسى بن وجيه : منكر الحديث، ليس بثقة، يضع الحديث[317]. ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري(نحو:52- 124هـ) : ثقة، متقن، مُدلس، كثير الإرسال، إرساله كالريح، حدث عن أقوام لم يسمع منهم[318]. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن ، ومتن الرواية فيه ما يُنكر فإن الإسناد من جهته لا يصح.

والحديث الأخير- السابع- قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا كثير بن عبيد ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن السري بن ينعم ، عن أبي الحسن مريح الهوزني ، عن معاذ بن جبل ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال له حين بعثه إلى اليمن : « إياك والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين »))[319].

وأقول: إسناده لا يصح ، لأن من رواته : بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي ، أبو يحمد الحمصي (ت 197 هـ)، قيل فيه : حدث عن مجاهيل وعمن أقبل و أدبر، لم يكن يُبالي عمن حدث ، ثقة إذا حدث عن المعروفين، كان يُدلس ، ضعيف عن غير الثقات، يُكتب حديثه ولا يُحتج به ، أحاديثه ليست نقية فكن منها على تقية[320].روى عن عبيد الله بن عمر العمري مناكير. مخلط ، له مناكير عن الثقات . كان أبو حاتم و ابن خزيمة لا يحتجان به . وكانت فيه جرأة كبيرة على رفع الأحاديث إلى النبي-عليه الصلاة و السلام-.و قال أحمد بن حنبل : ((توهمت أن بقية لا يحدث المناكر إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير ، فعلمت من أين أُتي))[321]. و من مظاهر تدليسه أنه كان إذا رأى في شيخه ضعفا عدل عن اسمه الذي اشتهر به إلى كنيته. كان بقية يدلس عن الضعفاء و يستبيح ذلك. و هذا مُفسد لعدالته، و لهذا ترك بعض الأئمة الاحتجاج به، كابن عبد البر[322] .

---

[316] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 31 .

[317] الذهبي: ميزان الاعتدال، ج 2 ص: 155 .

[318] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 8 ص: 332 . و أبو زرعة العراقي: كتاب المدلسين، ط1، دار الوفاء، 195، ص: 89 و ما بعدها .

[319] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 61 .

[320] ابن حجر: تهذيب ، ج 12 ص: 319 و ما بعدها.

[321] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 1 ص: 355. و الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 13 ص: 127 و ما بعدها.

[322] الذهبي: من تُكلم فيه و هو موثق أو صالح الحديث ، حققه عبد الله الرحيلي، ط1 ، مكتبة المدينة الرقمية، 2005 ، ص: 81، 82، رقم: 54.

وعليه أقول: إن الذي يحتاط لدينه، و يطلب اليقين، و يبحث عن الحقيقة لا يقبل روايات رجل كبقية وأمثاله، والذين تركوه على صواب. فرجل هذا حاله لا يصح الاعتماد على مروياته ، سواء أرسل ، أو دلس، أو صرّح بالسماع، فهو مجروح وضعيف عدالة وضبطا. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن والمتن فيه ما يُنكر فالإسناد لا يصح من جهته. وأية فائدة من التشبث بروايات هذا الراوي وأمثاله ؟؟. إنه يجب التشدد في تحقيق الروايات عامة والحديثية خاصة، ولا يصح التساهل في تحقيقها. لأن التشدد هو الذي يرفع درجة الصحة واليقين والتساهل يضعف ذلك ويفتح الباب واسعا أمام الروايات الظنية والضعيفة، بل والموضوعة. ولهذا فإن تضعيف حديث صحيح بسبب التشدد أحسن وأولى وأسلم من تصحيح حديث ضعيف بسبب التساهل.

والراوي الثاني: السري بن ينعم الجبلاني الشامي (الطبقة السادسة) : صدوق[323].ومرتبته هذا تدل على العدالة، ولا تُشعر بالضبط، وحديثها لا يُحتج بصاحبها[324].

والثالث: أبو الحسن مريح بن مسروق الهوزني : ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وكذلك ابن حجر في التعجيل، والبخاري في التاريخ[325]،وذكره ابن حبان في الثقات[326]. لكن توثيقه له لا يُعوّل عليه، ولا يُعتد به لأن ابن حِبان معروف أنه متساهل جدا في التوثيق، ولأن الذين سبقوه زمنيا لم يذكروا في الراوي جرحا ولا تعديلا. وبما أن الأمر كذلك ، والحديث فيه ما ينكر فلا يصح الإسناد من جهته.

وأما متنا فمما يرده هو أن التنعم الحلال ليس حراما ولا مكروها بل هو من النعم التي امرنا الله بالتمتع بها، ونهانا عن التمتع بالحرام وعن كل ما يُصرف عن الآخرة ، قال سبحانه : ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى : 11))، و ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32))))،و((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة

[323] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 339 .
[324] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، ص: 151 وما بعدها .
[325] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 6 ص: 441 . والبخاري : التاريخ الكبير ، ج 8 ص: 21 . وابن حجر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، ج 2 ص: 252 .
[326] ابن حبان: الثقات ، ج 5 ص: 187 .

: 223))، وفي الحديث ((حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)) [327]، و ((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر)) [328] . فذلك الحديث مخالف للشرع مخالفة صريحة، لأن التنعم الحرام هو المنهى عنه، وليس التنعم مطلقا كما ورد في الحديث.

وختاما لهذا المبحث يُستنتج منه أن الأصل الثاني المؤسس للعبادة الصوفية والمتعلق بموقف التصوف من الدنيا، هو موقف مخالف لموقف الإسلام من الدنيا . وعليه فإن أية رواية حديثية يحتج بها الصوفية لتأييد موقفهم من الدنيا، فهي رواية غير صحيحة، أو أنها مُؤوّلة تأويلا تحريفيا تعضيدا للتصوف.

وتبين أن دعوة الصوفية إلى ترك الدنيا وذمها، هو موقف معطل لدين الإسلام ، وهادم لمبدأ عمارة الأرض . لكنهم من جهة أخرى مع كثرة ذمهم للدنيا ، فإنهم في الحقيقة من أكثر الناس حبا لها وازدراءً بالآخرة!!. إنهم طلبوا الدنيا بطريقتهم الخاصة، طلبوها بمخالفة الشرع وذم الدنيا بدعوى التفرغ للعبادة الصوفية .فدعوتهم إلى ذم الدنيا وتركها لم تكن من أجل الإسلام في الدنيا ولا في الآخرة ، وإنما كانت من أجل الدنيا فقط .

واتضح أيضا أن الصوفية لم يهتموا بطلب الروايات الصحيحة، ولا مارسوا النقد التاريخي بأنفسهم إلا قلة قليلة منهم طبقته في مجال ضيق جدا.فعلوا ذلك ليسهل عليهم الاغتراف من المرويات الحديثية والتاريخية الضعيفة والموضوعة وتوظيفها لتأييد التصوف والرد بها على خصومه.

ثالثا : التوكل الصوفي :

يُعد التوكل الصوفي هو الأصل الثالث المؤسس للعبادة في التصوف. فبعدما تبنى الصوفية الحب الصوفي – والمخالف للشرع- وجعلوه أصلا أولا مُؤسسا للتصوف ، وألحقوا به أصله الثاني المتعلق بموقفهم من الدنيا – والمخالف للشرع أيضا- ؛ ختموا أصول العبادة الصوفية بالتوكل الصوفي، الذي أعطوه مفهوما صوفيا لا شرعيا ، برروا به سلبيتهم وتركهم للعمل، بدعوى التفرغ للعبادة والتوكل على الله. فجاء توكلهم موافقا ومنسجما

---

[327] مسلم: الصحيح ، ج 4 ص: 154 ، رقم: 3599 .

[328] مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .

واستجابة لموقفهم من الدنيا .فما حقيقة التوكل الصوفي ؟، ولماذا قال به الصوفية ؟، وهل هو توكل شرعي ؟.

فمن أقوال وروايات شيوخ الصوفية المؤسسة للتوكل الصوفي ما رواه عبد الكريم القشيري عن سبب تصوف أبي علي شقيق بن إبراهيم البلخي(ت 194 هـ)، فقال : ((قيل: كان سبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء، خرج للتجارة إلى أرض الترك، وهو حدث. فدخل بيتاً للأصنام، فرأى خادماً للأصنام فيه؛ قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أُرجوانية. فقال شقيق للخادم: إنَّ لك صانعاً حيًّا، عالماً، قادراً، فاعبده.. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع!!.فقال: إن كان كما تقول، فهو قادر على أَن يرزقك ببلدك، فلم تعنَّيت إلى هاهنا للتجارة؟ فانتبه شقيق.. وأخذ في طريق الزهد))[329].

و((قيل: كان سبب زهده: أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط، وكان الناس مهتمين به، فقال شقيق: ما هذا النشاط الذي فيك؟ أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط؟.فقال ذلك المملوك: وما عليَّ من ذلك، ولمولاي قريةٌ خالصة يدخل له منها ما يحتاج نحن إليه، فانتبه شقيق، وقال: إن كان لمولاه قرية، ومولاه مخلوق فقير، ثم إنه ليس يهتم لرزقه، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني؟!))[330].

ومن أقوال شقيق البلخي في التوكل : ((وتفسير التوكل على الله أن تعرف أن الله تعالى خلقك وهو الذي ضمن رزقك وتكفل برزقك ولم يحوجك إلى أحد وأنت تقول بلسانك والذي يطعمني ويسقيني فهذا التوكل على الله...))[331].

وقال حاتم الأصم البلخي(ت 227 هـ) عن نفسه : ((ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له، آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر))[332]. وقال أيضا: ((من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: ... وموتاً أخضر، وهو: طرح الرقاع بعضها على بعض))[333].

---

[329] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 55 .
[330] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 55 .
[331] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 61 .
[332] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 63 .
[333] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 63 . والخصلتان الباقيتان سيأتي ذكرهما في موضع آخر من كتابنا هذا .

و سُئل الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ) عن التوكل فقال: ((التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله وترك تدبير النفوس في الأغذية والإستغناء بالكفاية وموافقة القلب لمراد الرب والقعود في طلب العبودية واللجأ إلى الله))[334].

وعن سهل بن عبد الله التستري (ت 283 هـ) أنه قال: ((لا يصح الكسب لأهل التوكل إلا لاتباع السنة، ولا لغيرهم إلا للتعاون))[335].

وعن أبي سعيد الخراز البغدادي (ت 286 هـ) أنه قال : ((كنتُ في البادية، فنالني جوع شديد، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاما، فقلت: ليس هذا من فعل المتوكلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبرا، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول:

ويزعمُ أنه مِنّا قريب *** وأنا لا نُضَيِّع من أتانا

ويسألنا القوى عجزا وضعفا *** كأنّا لا نراه ولا يرانا))[336].

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص (ت 291 هـ) : ((... والرزق ليس فيه توكل إنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد))[337]. وحكى عن نفسه : ((حججتُ اربع عشرة حجة، حافياً، على التوكل، فكان يدخل في رجلي شوكة فأذكر أني قد اعتقدت على نفسي التوكل، فأحكها في الأرض وأمشي))[338].

وسُئل أبو عبد الله بن سالم البصري (ق:3 هـ) : ((أنحن مستعبدون بالكسب، أم بالتوكل؟. فقال: التوكل حال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، والكسب سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وإنما استن الكسب لمن ضعف عن حال التوكل، وسقط عن درجة الكمال، التى هى حاله صلى الله عليه وسلم. فمن اطاق التوكل، فالكسب غير مباح له بحال، إلا كسب معاونة، لا كسب اعتماد عليه. ومن ضعف عن حال التوكل، التى هى حال رسول الله ، -صلى الله عليه وسلم- ، أبيح له طلب المعاش والكسب ، لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله)) [339].

---

334 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 104 .
335 الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 97 .
336 الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 168-169 ، و 169 وما بعدها.
337 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 328 .
338 القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 77 .
339 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 312 .

وقال أبو طالب المكي (ت 386 هـ) : ((قد يفضل التارك للتكسب شغلاً بالعبادة عن المتكسب، من حيث فضل المتقدّمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل الله... وقد روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم-: "كفى بالموت واعظاً وبالتقوى غنى وبالعبادة شغلاً" .وقد علم التارك للتكسب توكلاً على الله وثقة به ورعاية لمقامه وصبراً على فقره وشغلاً بمعاده عن معاشه ومقاساة الفتنة، إنّ مولاه قد تكفّل له برزقه في الدنيا وقد وكل إليه عمل الآخرة، وأنه إن شغل بما وكله إليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه))[340].

وعن أبي علي الدقاق (ق:5 هـ) أنه قال: ((التوكل: صفة المؤمنين، والتسليم: صفة الأولياء، والتفويض: صفة الموحدِّين، فالتوكل: صفة العوامِّ، والتسليم: صفة الخواص: والتفويض صفة خواص الخواص. وسمعته يقول؛ التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم -عليه السلام-، والتفويض: صفة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-))[341].

وقال ابو سليمان الدراني (ت 215 هـ) : ((لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص))[342].

وعن ذي النون المصري(ت 245 هـ) أنه قال: ((التوكل: ترك تدبير النفس، والإنخلاع من الحول والقوة...))[343].

وقال أبو يزيد البسطامي (ت 261 هـ): ((لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون: ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل))[344]. و قيل له: ((ما نراك تشتغل بالكسب ، فمن أين معاشك ؟؟ . فقال: مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد))[345].

وعن الصوفي أبي حمزة الخراساني(ت 290 هـ) أنه قال: ((حججتُ سنة من السنين، فبينما أنا أمشي في الطريق، إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا والله، لا استغيث فما استتمت هذا الخاطر حتى

---

[340] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 414 .

[341] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 303.

[342] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 256 .

[343] القشيري: الرسالة، ص: 76 .

[344] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 75 .

[345] السهروردي: عوارف المعارف، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ص: 103.

مر برأس البئر رجلان: فقال أحدهما للآخر: تعالي حتى نسد رأس هذه البئر، لئلا يقع فيها أحد.. فأتوا: بصب وباربة، وطمو رأس البئر، فهممت أن أصيح ثم قلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب منهما!!. وسكنت، فبينما أنا بعد ساعة، إذ أنا بشيء جاء.. وكشف عن رأس البئر، وأدلى رجله، وكأنه يقول لي: تعلق بي، في همهمة له كنت أعرف ذلك منه، فتعلقت به.. فأخرجني، فإذا هو سبع، فمر. وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن!! نجيناك من التلف بالتلف))[346]. وعند الهجويري أن الذي دل رجله حية وليس سبع[347] .

وقال أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي (ت 303 هـ) : ((" التوكل اسقاطُ رُؤية الوَسائِط، و التعلُّق بأعلى العلائق "))[348].

وقال عبد الكريم القشيري: ((سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول: حج حسن القزاز الدينوري رحمه الله اثنتي عشرة حجة حافياً، مكشوف الرأس، فكان إذا دخل في رجله الشوك يمسح رجله بالأرض ويمشي ولا يطأطئ رأسه إلى الأرض من صحة توكله)) [349].

وسُئل أبو يعقوب إسحاق النهرجوري(ت 330 هـ) عن التوكل فقال: ((موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيات والآخرة))[350].

وقال المؤرخ الصوفي السراج الطوسي (ق:4 هـ) :((التكسب رخصة لمن لم يطق حال التوكل))[351]. و((التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة))[352].

وقال أبو عبد الله السلمي (ت 412 هـ) : ((وحكم الفقير أن يجلس تحت الرضا ، ينتظر المورود من السماء، فعيشه هنيء ، وباله رضي، ويعلم أن الكسب والحركة لا تزيد في رزق العبد ، وتركهما لا ينقص منه شيئا ، لأن الأرزاق بمشيئة المعبود، لا بمشيئة العباد))[353].

---

[346] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 358 .و القشيري: الرسالة ، ص: 79 .
[347] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 358 .
[348] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 62 .
[349] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 125 .
[350] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 79 .
[351] السراج الطوسي: اللمع، ص: 524 .
[352] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 78 .
[353] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف وحقيقته ، حققه يوسف زيدان ،، مكتبة الكليات الأزهرية، ص: 78.

وذكر عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ) أخبارا عن أسفار بعض الصوفية ، فمنهم كان يسافر بلا زاد ولا راحلة، ومنهم من يسافر حافيا، ومنهم من كان يأكل الحشيش في أسفاره. ومنهم من كان لا يحمل شيئا في أسفاره إلا الإبرة وركوة الماء. وزعم القشيري أن القوم فعلوا ذلك وغيره ((كي يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة))[354].

وقال المؤرخ الصوفي علي الهجويري (465 : ((رأيتُ في ما وراء النهر شيخا من أهل الملامة لم يكن يأكل أو يلبس شيئا للآدمي فيه نصيب ، فكان يأكل الأشياء التي يرميها الناس كالكراث العفن، والقرع المر، والجزر الفاسد، وأمثال ذلك . ويتخذ ملابسه من الخرق التي يلتقطها من الطريق، ويصنع منها مرقعة)) [355].

وقال أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) : ((فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين ،وهو بالعلماء أقبح، لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه، إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز و جل وإعانة للمعطى على نيل الثواب...))[356].

وأذكر هنا أيضا أشهر وأهم الأحاديث النبوية التي يحتج بها الصوفية لتأييد قولهم بالتوكل الصوفي. منها : يقول النسائي : ((أخبرنا الحسين بن حريث قال أنا جرير عن منصور عن مجاهد قال أنا العقار بن المغيرة عن أبيه فلم أحفظه فمكث بعد ذلك فأمرت حسان مولى لقريش أن يسأله فأخبرني أنه سأله فقال سمعت أبي يقول قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما توكل من اكتوى أو استرقى))[357].

والحديث الثاني: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا هارون بن علي ، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شفيق ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، عن

---

[354] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 452 وما بعدها.
[355] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 247 .
[356] الغزالي: الإحياء، ج 4 ص: 275 .
[357] النسائي: السنن الكبرى ، ج 4 ص: 334 .

عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها »))[358].

والحديث الثالث ذكره المؤرخ الصوفي الكلاباذي وعلّق عليه، فقال: ((قال النبي ﷺ: {يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب}، ثم وصفهم وقال: {الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون}، فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم، صحت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب، ثقة بالله ﷻ، وتوكلا عليه، ورضا بقضائه))[359].

وهذا الحديث ورد من عدة طرق ، سأذكرها لاحقا عندما نرد على الصوفية في موقفهم من التوكل .

والحديث الرابع ذكره عبد القادر الجيلاني بقوله: ((وقال عبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ): عن النبي- عليه الصلاة والسلام – أنه قال: (الاكتساب سنتي، والتوكل حالتي) أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذي هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التي هي التوكل قال الله تعالى : {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.المائدة23. وقال تعالى : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.الطلاق3. وقال تعالى : {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.آل عمران159))[360] .

وعندما تناول أبو طالب المكي موضوع التوكل والأخذ بالأسباب ذكر روايات حديثية وتاريخية تحث على التداوي منها حديث : (("ما من داء إلاّ وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلاّ السأم يعني الموت[361]"، وقال عليه الصلاة والسلام: " تداووا عباد اللّه[362]"، وسئل عن الدواء والرقي، هل يرد من قدر؟ فقال: "هي من قدر اللّه[363]")) ، ثم علق على تلك الروايات بقوله: ((وعلى ذلك كله فإنّ ترك التداوي أفضل للأقوياء، وهو من عزائم الدين، وطريقة أولي العزم من الصدّيقين، لأن في الدين طريقين: طريق تبتل وعزيمة، وطريق توسع ورخصة، فمن قوي سلك الطريق الأشد فهو أقرب وأعلى، وهذه للمقربين وهم السابقون، ومن

---

[358] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 21 .
[359] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 16 .
[360] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة والثلاثون .
[361] الألباني: صحيح الجامع الصغير ، ج 2 ص: 169 ، رقم : 1809 .
[362] الألباني: صحيح الجامع الصغير ، ج 2 ص: 279 ، رقم: 2930 .
[363] الألباني: ضعيف ابن ماجة ، ص: 278 ، رقم: 749 .

ضعف سلك الطريق الأرفه وهو الأوسط إلا أنه أبعد، وهو لأصحاب اليمين وهم المقتصدون، وفي المؤمنين أقوياء وضعفاء ولينون وأشداء))[364].

وذكر أبوطاهر المقدسي أحاديث نبوية استشهد بها على أن الصوفية يأخذون بالسنة في التوكل ، منها حديث ((يدخل الجنة من أمتي لا يسترقون ، ولا يتطيرون.. تقدم الحديث)). و ((من اكتوى أو استرقى فقد بريء من التوكل))[365].

وردا عليهم أقول:

أولا يتبين من أقوال هؤلاء الصوفية أن معنى التوكل عندهم هو عدم الأخذ بالأسباب عامة ، ومنها عدم التكسب خاصة، بمعنى عدم طلب الرزق. وهو مفهوم فصلوه على مقاسهم كنتيجة حتمية لأصلهم الثاني القائل بترك الدنيا وذمها. وهذا المعنى مخالف لمعنى التوكل في دين الإسلام الذي هو من أعمال القلوب المأمور بها شرعا، وليس من أعمال الجوارح ،و يعني الاعتماد القلبي على الله تعالى في كل أحوالنا وأعمالنا. وهذا المعنى نصت عليه وأكدته نصوص شرعية كثيرة ، منها قوله تعالى: ((وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 42))، و((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 99))، و ((فَإِذَا عزمت فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159)).

ومنها أيضا قوله تعالى : ((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود : 123)). فالآية أمرت بالقيام بالعبادة وهي تشمل كل أوامر الشرع من جهة، وأمرت بالتوكل على الله تعالى من جهة أخرى. وهذا يعني قطعا أن التوكل يعني الاعتماد القلبي على الله ولا يعني ترك العمل وعدم التكسب ولا عدم الأخذ بالأسباب كما يزعم الصوفية، لأن التوكل نفسه هو من الأسباب والأوامر المتعلقة بأعمال القلوب .

وأما من السنة النبوية ، فمنها قول النبي-عليه الصلاة والسلام - : ((« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك **واستعن بالله ولا تعجز** وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل

---

[364] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 404 .

[365] أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 445 .

الشيطان »))[366]،و ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه))[367].

والشاهد الأخير- الثالث - من السيرة النبوية ، ومفاده أن النبي- عليه الصلاة والسلام- مع أنه كان قمة في التوكل على الله تعالى ، لكنه من جهة أخرى كان يتخذ كل الأسباب المادية والمعنوية في حمله للدعوة الإسلامية في العهدين المكي والمدني، كما حدث في الهجرة إلى المدينة، وفي غزواته الكثيرة. وقد قال الله له ولأصحابه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً)(النساء : 71)) ، و((وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً)(النساء: 102)) .

فواضح من تلك النصوص أن التوكل الشرعي يعني الاعتماد القلبي على الله في كل أحوالنا، وهو نفسه من الأوامر الشرعية المتعلقة بأعمال القلوب من جهة ، ومن الأسباب الموصلة إلى طاعة الله تعالى من جهة أخرى . فهو من الأسباب ولا ينفي الأخذ بها في كل أحوال الأنسان. وهذا يعني أن التوكل الصوفي مخالف للتوكل الشرعي، بل هو تحريف مُتعمد له من أجل العبادة الصوفية لا الشرعية .

وثانيا إن قول حاتم الأصم : ((ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له، آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر))[368] . أراد به أن يُبين بأنه متوكل على الله ولا يهتم بتوفير مأكله ،ولا ملبسه، ولا مسكنه رغم نزغات الشيطان ووساوسه . وجوابه هذا خطأ ومخالف للشرع أوقعه الشيطان فيه من حيث أراد أن يسد عليه الباب. فكان عليه أن يُجيب: آكل وألبس الحلال، قال تعالى: ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و((يَا أَيُّهَا

---

[366] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .
[367] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 308، رقم: 2344 .
[368] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 63 .

النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (البقرة : 168))، و((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)(الأعراف: 26)).

وأوقعه أيضا في تناقض مع حياته العملية، فهو في الحقيقة لم يكن يطبق جوابه، عندما قال: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر. فمما لاشك فيه أنه لم يكن كذلك، وإنما كان يأكل الطعام ، ويلبس اللباس ، ويسكن في بيت من البيوت . وبما أنه كان سلبيا يطبق التوكل الصوفي، فكان يتكل على ما يقدمه له الناس من غذاء، ولباس وغيرهما. فهو كان آخذا بالأسباب وطالبا للرزق بطريقة الصوفية . فهذا الرجل نقض جوابه بأحواله ، وجوابه أوقعه في شباك الشيطان ولم ينقذه منها !!!! .

وأما ما ذكرته روايتا توبة شقيق البلخي عن سبب توبته وتصوفه ،فهو يندرج ضمن التوكل الصوفي لا التوكل الشرعي، ويشهد على تواكله،وعدم التزامه بالتوكل الصحيح . لأن رد خادم الأصنام باطل من أساسه، ويدل على قلة فهم شقيق البلخي لمعنى التوكل، وقلة علمه بالشرع. لأن الله تعالى قادر على رزق كل مخلوقاته من دون أية حركة، لكنه سبحانه أراد أن يكون رزقه لهم بالعمل والجد، وأن يكونوا طرفا في طلبه، ولهذا أمرهم بطلبه. وعليه فيسقط رد الرجل وفهم شقيق البلخي له .

ونفس الأمر ينطبق على الرواية الثانية، لأن الله تعالى الغني الحكيم خلق البشر لعبادته وامتحنهم وفرض عليهم عبادته والالتزام بشرعه. ومن هذا المنطلق كلفهم بالعمل والاجتهاد لنيل مبتغاهم في الدنيا والآخرة . فهذه هي سنة الله في خلقه، فلا يُنال شيء في هذه الدنيا إلا بالعمل والاجتهاد. وبهذا يسقط اعتراض الرجل من أساسه .

وثالثا إن قول سهل التستري: ((لا يصح الكسب لأهل التوكل إلا لاتباع السنة، ولا لغيرهم إلا للتعاون))[369]. هو شاهد دامغ على أنه وأمثاله تكلموا في التوكل الصوفي برغباتهم وأحوالهم ،ولم يتكلموا فيه بالشرع ولا بالعقل . لأنه لا تناقض بين الكسب والتوكل ، والشرع قد أمر بهما ، ومن لم يفعلهما فقد خالفه كما سبق أن بيناه .

---

[369] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 97 .

وهذا الرجل لا يفتي بالشرع وإنما يتكلم برغباته وخلفيته الصوفية . لأنه سبق أن بينا انه لا تعارض ولا تناقض بين الكسب والتوكل ، وأن الشرع قد أمر بهما، ومن لم يأخذ بهما فقد خالفه كما سبق أن بيناه . ولو كانا متناقضين ما أمرنا الله بهما ، وبما أنه أمر بهما دل هذا على أنهما غير متناقضين . علما بأن التوكل هو نفسه من الأسباب والأعمال القلبية التي أمرنا الشرع بها. فالكسب البشري لا ينحصر في العمل المادي فقط، وإنما يشمل أيضا أعمال القلوب والعقول . والإنسان مأمور شرعا بأن يتوكل على الله تعالى في كل أعماله وأحواله العضوية، والقلبية ، والعقلية.

ومن جهة أخرى فبما أن هذا الرجل لم يتكلم بوحي صحيح، ولا بعقل صريح، ولا بعلم صريح، فهو قد ازدرى وطعن في توكل الأنبياء الذين كانوا يتكسبون و في الصحابة الذين جمعوا بين التوكل والكسب والسعي في الأرض . قال سبحانه:((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)(الأنبياء: 80)) ، وعن يوسف ((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)(يوسف : 55)) ، و((عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(المزّمّل: 20))، و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))، وفي الحديث أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم – قال: ((« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[370].

وأما قوله : ((إلا لاتباع السنة))، فهو تغليط وتحريف وتناقض ، واعتراف منه بأنه يُخالف السنة ، ويتقدم عليها برأيه وأحواله . فكان يجب عليه أن يتبع السنة اتباعا صحيحا، ولا يعترض عليها بكلامه السابق. فالكسب عبادة أمر بها الشرع ، ولا يحق له أن يعترض عليه بتقيته وتلبيسه وتدليسه . قال سبحانه: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))، و ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ

[370] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .

لَهُـمُ الْخِيَـرَةُ مِـنْ أَمْـرِهِمْ وَمَـن يَعْـصِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلَالاً مُّبِيناً)(الأحزاب: 36)).

وواضح من كلامه أيضا أن الرجل كان يعتقد أن من حقه أن يقرر ما يُخالف الشرع في قوله بعدم صحة الكسب لأهل التوكل ؛ لكنه أباحه لهم تظاهرا باتباع السنة ، وإلا فلا يصح في حقهم . وهذا ضلال مبين، ودليل دامغ على تقديم هذا الصوفي وأمثاله لرغباتهم ومذهبيتهم على الشرع، وعلى انهم يتبنون أفكارهم من خارجه. ثم بعد ذلك يبحثون لها عن مبررات ومُسوغات من الشرع ، فإن وجدوها أخذوا بها تعضيدا لمواقفهم، وإن لم يجدوها، أو كانت مخالفة لهم قرروا خلافها وجعلوا الشرع من وراء ظهورهم .

ومن جهة أخرى فإن قوله قد تضمن أيضا الطعن في السنة النبوية عندما زعم بأنه لا يجتمع الكسب والتوكل، ولا يصح الجمع بينهما . وبما أن السنة جمعت بينهما كما بيناه سابقا. فإن هذا يعني أن السنة مُخطئة في ذلك حسب موقفه . وهذا بلا شك زعم باطل ، لكن قول الرجل تضمنه !!. فقوله هذا هو نموذج واضح يكشف مكانة الشرع عند الصوفية ، ويُبين أن رغباتهم وتصوفهم هو الأصل عندهم وليس الشرع ، فهم هنا كالمعتزلة والشيعة الإمامية وأمثالهم عندما قدموا أراءهم ومذاهبهم وأقوال مشايخهم على الشرع ،وتسلطوا عليه بالتأويلات التحريفية ليجعلوه موافقا لمذاهبهم من جهة، واختلقوا روايات لشرعنة وتأسيس مذاهبهم من جهة ثانية. ووضعوا روايات حديثية فسروا بها الآيات القرآنية وجعلوها تابعة لأحاديثهم المختلقة من جهة ثالثة[371].

مع أن الواجب على المسلم شرعا وعقلا وعلما أن يكون عبدا لله تعالى قلبا وقالبا، وأن يستسلم لدينه استسلاما كليا ، فلا يتقدم عليه، ولا يُنافسه، ولا يُزاحمه، ولا يتساوى معه ، ولا يُقرر ما يُخالفه. وما عليه إلا الفهم الصحيح والتطبيق والطاعة التامة لشريعة الله تعالى. قال سبحانه: ((((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))،))، و((إنا ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))،

[371] للوقف على ذلك أنظر مثلا: خالد كبير علال: جناية المعتزلة على الشرع والعقل . ولنفس المؤلف: تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام . والكتابات منشوران إلكترونيا .

))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).

وأما ما رُوي عن أبي سعيد الخراز أنه قال : ((كنت في البادية، فنالني جوع شديد، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاما، فقلت: ليس هذا من فعل المتوكلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبرا، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول:

ويزعمُ أنه مِنّا قريب *** وأنا لا نُضَيِّع من أتانا
ويسألنا القوي عجزا وضعفا *** كأنّا لا نراه ولا يرانا))[372].

فهو دليل قوي على جهل هذا الصوفي بالشرع، أو أنه تعمد مخالفته اتباعا للتوكل الصوفي لا الشرعي. لأن ما فعله مخالف للشرع بدليل أن الإسلام لا يأمر بالجوع من أجل الجوع ، فمن لم يكن صائما فمأمور بالأكل ، قال سبحانه: ((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) . والشرع نهى عن سؤال الناس بالنسبة للقادرين، وأما دعاء الله تعالى بأن يرزقنا من خيراته فهذا مأمور به لأنه عبادة ، لقوله تعالى: ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(غافر: 60)). وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال:((يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ورفعت الصحف"))[373] .

فهذا الصوفي يزعم أنه يعبد الله وهو مخالف لشرعه، وقَدّم هاتفه المزعوم على دين الله تعالى . فالرجل على انحراف كبير بسبب أخذه بالتوكل الصوفي . مع إن سؤال الله تعالى هو من العبادة، والتوكل هو أيضا منها أيضا ،ولهذا قال تعالى : ((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود: 123)) ،فجمع بينهما في موضع واحد، وفرق بينهما فذكرهما منفردين، مع أن التوكل من العبادة أيضا، لكن الله تعالى ميزه لأن

---

[372] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 168-169 ، و 169 وما بعدها.
[373] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 4 ص: 123، رقم: 3049 .

التوكل مقابل الممارسات التعبدية الأخرى ينفصل عنها لأن محله القلب ، تقابله أعمال القلوب والجوارح التي يتطلب القيام بها التوكل فيها على الله تعالى . فلو كان التوكل يتناقض مع الدعاء وطلب الرزق والاجتهاد في كل مظاهر الحياة، ما أمرنا الله تعالى بطلب الرزق وعمارة الأرض، وما أمرنا بأن نسأله ليرزقنا. وبما أنه أمرنا بذلك وبالتوكل فلا يوجد تناقض بيهنا. ويكون دعاء الله تعالى وسؤاله والالتزام بشريعته لا يتناقض مع التوكل الذي هو من الأوامر الإلهية أيضا .

علما بأن الرجل عندما لم يأخذ بالمعنى الشرعي للتوكل اضطرب واختلط عليه الأمر، وحار بين السؤال من عدمه ، ثم فضل عدم السؤال بدعوى ان السؤال ليس من فعل المتوكلين، وغاب عنه أن عدم السؤال هو أيضا نوع من أنواع الأخذ بالأسباب من جهة، وهو سلوك غير الملتزمين بالشرع من جهة أخرى. فليس أمامه إختيار بين الأخذ بالأسباب من عدمه؛ فإما أن يسأل الله فيكون أطاعه وأخذ بالأسباب، وإما لا يسأله فيكون قد خالفه واتخذ سببا حَرَمه من الدعاء وأجره !!.

ورابعا إن جواب الصوفي ابن سالم عندما سُئل ((أنحن مستعبدون بالكسب، أم بالتوكل؟. فقال: التوكل حال رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم-، والكسب سنة رسول الله، -صلى الله عليه وسلم-. وإنما...)) [374]. هو دليل دامغ على أن الرجل وأمثاله يُقررون ما يخالف الشرع والعقل والواقع صراحة، إما عن جهل، أو عن قصد لغايات في نفوسهم . إن كلامه هذا باطل، لأنه لا يصح التفريق بين الكسب والتوكل، وإنما الأمر يتطلب الفهم الصحيح لهما.وتوضيحا لهما أقول: إن الكسب يعني الأخذ بالأسباب، منها ما يتعلق بالأفكار في العقول، ومنها ما تعلق بأعمال القلوب، ومنها أسباب تتعلق بأعمال الجوارح . وعليه فإن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها، ومن يتوكل على الله تعالى فهو قد أطاعه، فيكون قد مارس التكسب والأخذ بالأسباب قلبيا . وفي المقابل فمن يخرج في طلب الرزق الحلال فهو أيضا قد أطاع الله تعالى ، ومارس التكسب والأخذ بالأسباب بالجوارح .

ومن جهة أخرى إن ذلك السؤال في ذاته غير صحيح،، لأن الله تعالى تعبدنا بالتوكل والكسب[375] معا ، ولم يتعبدنا بأحدهما. فكان على ذلك

[374] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 312 .
[375] بمعنى العمل بالجوارح، لأن التوكل هو نفسه من الكسب كما بيناه أعلاه .

الصوفي أن يُصحح السؤال أولا ، ثم يُبين له الصواب، لكنه لم يُصحح السؤال، ولا أصاب في الجواب . علما بأن الله تعالى تعبدنا بأعمال القلوب- منها التوكل- وبأعمال الجوارح- منها التكسب- . قال سبحانه :((فَإِذَا عزمت فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159))،و ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً)(النساء: 71)) ، وفي الحديث النبوي أن الرسول- عليه الصلاة والسلام- قال: ((«احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[376].)) ،و((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا))[377].

علما بأن قول الرجل بأن التوكل حال النبي، والكسب سنته، هو قول لا يصح . لأن كل أعمال النبي-عليه الصلاة والسلام- القلبية منها والعضوية هي من سنته . فتوكله على الله من سنته، وجهاده في سبيله من سنته. لأن كل أعماله كانت عبادة لله تعالى، لقوله سبحانه: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)).

كما أن جوابه على السؤال فيه قدح في الشرع ،وفي العقل، وفي الصحابة الذين كانت حياتهم كلها كسب وكدح ، جهاد وبناء. ففتحوا الفتوح وجمعوا الأموال،وتمتعوا بالحلال، وأقاموا دولة الحق والعدل. وبحسب زعمه فأن هؤلاء الصحابة كانوا ضعفاء، ونزلوا عن مرتبة الكمال، وأن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم ينههم عما كانوا عليه. وأنه كوّن صحابة ضعاف في توكلهم على الله تعالى. وبما هذا باطل من دون شك، فإن كلام الرجل باطل أيضا بلا ريب .

وأما قول أبي عبد الرحمن السلمي: ((وحكم الفقير أن يجلس تحت الرضا ، ينتظر المورود من السماء، فعيشه هنيء ، وباله رضي، ويعلم...))[378]. فهو قول مُخالف للشرع والعقل ، ومُفسد لهما وللعمران البشري . وهو باطل من دون شك بدليل الشواهد الآتية:

---

[376] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .
[377] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 308، رقم: 2344 .
[378] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص: 78.

أولها إن قوله مخالف لما نص عليه القرآن الكريم ،ولما كان عليه النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام، فقد كانوا مجتهدين في الدعوة إلى الله ، وفي طلب الرزق وتحصيل كل ما ينفعهم . فلم يكونوا أبدا كما زعم الرجل . فمن أين له بتلك المزاعم ؟؟ . والشرع الحكيم قرن التوكل بالحركة والعمل،والأخذ بالأسباب ، فمن القرآن الكرم قوله تعالى: ((فَإِذَا عزمت فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159))، و((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود : 123))، و ((الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 42)). و في الحديث أن النبي- عليه الصلاة والسلام- قال: ((« احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[379].)) ،و((" لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا.))[380]. فلم يقل أنها تبقى في أعشاشها تنتظر الطعام، وإنما ذكر أنها تخرج منها باكرا خاوية تبحث عن رزقها، ثم تعود إليها بطانا بعدما بذلت جهدها بحثا عن الطعام . فهي لم تحمل هَم وجود الرزق لأنها كانت متوكلة على خالقها، لكنها حملت هَم الخروج والاجتهاد طلبا له . فكذلك علينا نحن أن نخرج طلبا للرزق متوكلين على الله تعالى حاملين هم طلبه لا هم وجوده. قال تعالى: ((وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)(هود : 6))، و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة: 10)).

والشاهد الثاني لا يصح قوله بأن ما ذكره هو حكم يخص الصوفي- الفقير- ، لأن الصوفي إن كان مسلما فهو مأمور بتطبيق شريعة الله أحب أم كره، ويجب عليه أن يلتزم بها، وإن لم يكن مسلما فليترك الإسلام ويتخذ لنفسه دينا يُناسبه يتفق مع هواه . ولا يحق له أن يتستر بالإسلام وهو مخالف له من جهة ، ويعمل على إفساده وتعطيله وهدمه من جهة أخرى.

والشاهد الثالث ليس صحيحا أن السعي لطلب الرزق لا يزيد في الرزق وأن تركه لا ينقص الرزق. فهذا كلام باطل وفهم سيء لمعنى القضاء والقدر في الشرع . لأن الإنسان في مجال حريته هو الذي يصنع مصيره،

---

[379] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .
[380] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 308، رقم: 2344 .

ودخول أعماله في القضاء والقدر هو من باب الكشف والعلم والتسجيل وليست من باب القهر والجبرإلا أن يشاء الله تعالى أن يتدخل فيها بعلمه وحكمته وعدله . لكنه سبحانه أخبرنا أنه ليس ظلاما للعبيد ، وانه اعطى للأنسان الحرية في التصرف في المجال الذي حدده له،وهو المسؤول عن أعماله.. ولهذا قال الله تعالى: ((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة: 105))، و((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الروم: 41)) .و في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- ((يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »))[381] فالإنسان المجتهد النشط في دينه ودنياه يزيد من رزقه الدنيوي والأخروي ،والإنسان الكسول العاجز يُنقص من رزقه الدنيوي والأخروي.

والشاهد الأخير- الرابع- ليس صحيحا أن الذي يترك الكسب هو من المتوكلين على الله بلا تكسب. فهو في الحقيقة مخالف للشرع من جهة، وهو إنسان طماع يُمارس الكسب بطريقته الخاصة من جهة أخرى. فيتظاهر بالتوكل والزهد ليستعطف الناس فيتصدقون عليه . فهذا الرجل له كسبه وصنارته التي يصطاد بها . وليس صحيحا أنه ينتظر عيشه من السماء، فلو كان صادقا في طاعته لله وتوكله عليه لخرج للعمل استجابة له، واتباعا لسنة الأنبياء والصحابة. وانما هو في الحقيقة ينتظر صدقات الناس ، واليد العليا خير من اليد السفلى . فهو متسول وليس بمتوكل،لأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ،وقد نهى النبي-عليه الصلاة عن السؤال والتسول ، بقوله :((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[382]. ومن يكون حاله كما وصفه أبو عبد السلمي فهو طماع وفاشل، ولا يكون باله رضيا ولا عيشه هنيئا، اللهم إلا إذا كان لئيما طماعا يرضي بفتات الناس الذين

[381] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 16 ، رقم: 6737 .
[382] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .

يتصدقون به عليه . فهو في الحقيقة لا فرق بينه وبين المتسول ، فكلاهما ينتظر من يتصدق عليه بطريقته الخاصة التي يستعطف بها الناس.

ومما له علاقة بموضوع التوكل وطلب الرزق أن الصوفي يحيى بن معاذ يرى أن : ((وجود الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد))[383].

وأقول: إن الحقيقة المعروفة شرعا وواقعا انه لا رزق دون سعي وطلب. ومع أن الله تعالى هو الرزاق فإنه سبحانه ربطه بالسعي في طلبه، وجعله سنة كونية . والسعي قد يكون سعيا ماديا عمليا ظاهرا وقد يكون سعيا روحيا معنويا خفيا، وقد يجمع الإنسان بين السعيين .قال سبحانه : ((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))، و ((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ)(هود : 52)) . فلا رزق دون سعي في طلبه ، والرزق لا يطلب صاحبه إن لم يسع هو في طلبه . لأن هذا مخالف لسنة الله في رزق عباده ، والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . غير أن بعض الناس الأصحاء الكسالى الذين يصلهم الرزق من دون الخروج في طلبه يظنون أن الرزق هو الذي طلبهم . وهذا غير صحيح وإنما وصلهم من طرق أخرى استخدموها بسيعهم . كأستعطاف الناس، أو التظاهر بالتفرغ للعبادات ليعطف الناس عليهم. أواعتزال الناس ليشيع خبره بينهم بأن فلان معتزل تفرغ للعبادة فيزرونه لتعظيمه والتبرك به ، والتصدق عليه. وهناك أناس مرضى ومعوقون غير معروفين قد يصلهم رزقهم بإخلاصهم وصبرهم ودعائهم لله تعالى فيسخر لهم من يرزقهم . وهذا من الاجتهاد والسعي طلبا للرزق، لكنه سعي روحي إيماني من هؤلاء. وهناك آلاف من الناس يموتون سنويا في مناطق كثيرة من العالم بسبب الجوع ، ولم يصلهم رزقهم لينقذهم من الموت، فلماذا لم يطلبهم رزقهم ويسعى إليهم لينقذهم حسب قول الرجل ؟؟ . إن السبب في ذلك هو أن آجالهم التي حددها الله تعالى لهم انتهت ، فأوقف عنهم الرزق لأنه لا بد أن يموتوا ، فكان هذا سببا في موتهم.

---

[383] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 149 .

وخامسا إن قول أبي طالب المكي : ((قد يَفضُل التارك للتكسب شغلاً بالعبادة عن المتكسب، من حيث فضل المتقدّمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل الله... وقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "كفى بالموت واعظاً وبالتقوى غنى وبالعبادة شغلاً" ...))[384]. فهو قول قرر به مفهوم العبادة الصوفية لا الشرعية، ففضل التارك للتكسب على المتكسب، وجعل الشرع وراء ظهره وإن تظاهر به . وتفضيل ذلك فيما يأتي:

إن الحديث الذي استدل به ضعيف جدا[385]. وحتى إذ فرضنا جدلا أنه صحيح، فالحديث يتكلم عن العبادة الشرعية بمعناها الواسع، ولا يتكلم عن العبادة الصوفية المخالفة للشرع بأصولها وفروعها وغاياتها .وعليه فلا يصح له الاستدلال به سواء صح أم لم يصح . وهوفي استخدامه لذلك الحديث يسير على منهج الصوفية في تقرير عقائد التصوف ، فبعدما عرض التوكل الصوفي بعيدا عن الشرع بحث له عن مؤيدات من الروايات الحديثية والتاريخية تعضيدا للتوكل الصوفي وليس نقدا له بميزان الشرع.

وهذا الرجل لا يقول بمفهوم العبادة في الإسلام الذي يشمل كل جوانب الحياة البشرية قلبا وقالبا، وإنما كان يتكلم بمفهوم العبادة في التصوف ، ولهذا حصر مفهومها في الشعائر التعبدية كالصلاة، والذكر، والعزلة، والجوع ؛ وأخرج منها جانبها التطبيقي الذي يتعلق بكل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولهذا يجب أن ننتبه إلى أن الرجل كان يتكلم عن التوكل في العبادة الصوفية لا عن التوكل في العبادة الشرعية، لكنه لم يُصرّح بهذا، بل إنه كان يتستر بالإسلام تمريرا للتوكل الصوفي، وتحريفا للتوكل الشرعي ممارسة منه للتقية التي هي من أصول التصوف كما سبق أن بيناه في الفصل الأول. وهذا خداع منه للمسلمين وتحريف مُتعمد لدين الإسلام .

وبسبب ذلك الانحراف أن أبا طالب المكي فرّق بين المسلم المتفرغ للعبادة وبين المسلم المتكسب. وهذا خطأ واضح ، لأن التكسب من العبادة بمعناها الشرعي، بدليل أن الله تعالى أخبرنا أنه خلقنا لعبادته ، وأمرنا بالتزام شريعته في كل أحوالنا، وقال لنبيه-عليه الصلاة والسلام- : ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)). وفي

---

[384] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 414 .

[385] الألباني: الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، ج 2 ص: 79 ، رقم: 502 .

الحديث أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: ((من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة و من سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع))[386]، و((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر))[387] . فالرجل قد خالف الشرع عندما فرّق بين العبادة والتكسب، فعل ذلك انتصارا للتصوف لا للشرع . علما بأنه لا تطبيق لدين الله، ولا عمارة للأرض إلا بالأخذ بالأسباب ، منها طلب الرزق .

وأما احتجاجه بالمتقدمين من الصوفية في تفضيلهم للزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل الله . فهو لا يصح من جهتين: الأولى إن قول هؤلاء ليس حجة ، فهم بشر مثلنا يُخطئون ويُصيبون كغيرهم من البشر. والثانية إن موقفهم لا يصح لمخالفته للشرع ، لأن الشرع أمر بطلب الرزق وجعله من العبادة ، وحرم السؤال إلا على المضطرين . وجعل أيضا اليد العليا خير من السفلى[388] . وذلك الزاهد ترك التكسب المأمور به، ومال إلى المنهيات كالكسل والسلبية والطمع فيما عند الناس ليتصدقوا عليه ، وأهمل من يعول إذا كان متأهلا . و لا يصح أن يقول عن نفسه بأنه متوكل ،لأن عمله هذا ليس من الشرع . كما أنه لا يغيب عنا أن هذا الزاهد المزعوم هو في الحقيقة لم يترك التكسب ، وإنما اتخذ الزهد طريقا للتكسب ، فاتخذ شبكة على مقاسه ليصطاد بها المُغفلين والطيبين ، بدعوى الزهد والتفرغ للعبادة، فعندما يشيع خبره يأتيه الناس بصدقاتهم تبركا به وتعظيما له.

وأما قوله: ((وقد علم التارك للتكسب توكلاً على الله وثقة به ورعاية لمقامه وصبراً على فقره وشغلاً بمعاده عن معاشه ومقاساة الفتنة، إنّ مولاه قد تكفّل له برزقه في الدنيا وقد وكل إليه عمل الآخرة، وأنه إن شغل بما وكله إليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه))[389]. فهو كلام لا يصح، ومخالف لدين الإسلام، وقول على الله بلا علم، وتعمد في تحريف معنى العبادة في الإسلام انتصارا لمفهوم التوكل والتكسب في العبادة

---

[386] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 161، رقم: 1727 .

[387] مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .

[388] عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة « اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة » مسلم: الصحيح، ج 3 ص: 94، رقم: 2432 .

[389] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 414 .

الصوفية. علما بأن الله تعالى أمرنا بالعمل والاجتهاد في كل ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة ، فجعل النهار لنا معاشا والليل سباتا ، وأمرنا بالسعي في الأرض وطلب الرزق. قال سبحانه : ((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)(النبأ:9-11) ، و((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)(الملك : 15))) ،و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))، و((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة: 105)).

وعليه فلا تصح التفرقة بين المعاش والمعاد، فهذه نظرة ليست إسلامية، بل هي من الرهبانية النصرانية التي مثلت الأرضية التي قامت عليها العلمانية في أوروبا الحديثة والمعاصرة. ففي الإسلام الدنيا مزرعة الآخرة، والمعاش جزء من دين الإسلام ، وهو من العبادة أيضا ، وهو المقدمة الموصله إلى المعاد الأخروي.

وأخيرا إن الرجل أخطأ في تفريقه بين طلب الرزق في الدنيا والعمل للآخرة. لأن الصواب هو أن الإنسان مسؤول عن أعماله كلها في الدنيا والآخرة. ومن ثم فهو يقرر مصيره ، من جهة طلبه للرزق من عدمه . فهو طرف فيما قدّره الله عليه فيما يتعلق برزقه ومعاده . لأن الشرع أمرنا بالعمل والاجتهاد، كما في الحديث النبوي ((« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[390]. وعليه فالله تعالى قدر لنا أعمالنا التي نحن عملناها واخترناه في طلب الأرزاق وغيرها ، وفي الاستعداد ليوم القيامة. ومثال ذلك إنه إذا افترضنا وجود أربعة أشخاص خرجوا يطلبون الرزق، واحد اختار التسول وسيلة للتكسب. والثاني التحق بأحدى الشركات ليعمل موظفا فيها . و الثالث خرج إلى الأسواق للتجارة، والرابع التحق بعصابة من اللصوص للسطو على ممتلكات الناس . فماذا يعني هذا ؟؟. إنه يعني أن ذلك كله يدخل في قضاء الله وقدره ، وأن كلا من هؤلاء اختار لنفسه طريقا للتكسب ، وأنه هو الذي اختار الطريق الذي أراده وما يدره عليه من أموال، وأن كلا منهما مسؤول

[390] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .

عن رزقه في الدنيا، وأن الله تعالى سجل عليه الطريق الذي اختاره، والأفعال التي قام بها. ومن جهة أخرى فهو مسؤول أيضا عن آخرته. فتكفل الله تعالى بتوفير أرزاق مخلوقاته في الدنيا لقوله سبحانه : ((وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)(هود : 6)). لكن هذا لا يعني أن الإنسان لا دخل له في طلبه للرزق،ولا في اختيار نوعه وكميته ، بل إنه طرف أساسي في ذلك، لأن هذه هي سنة الله في خلقه، ولأن السماء لا تُمطر ذهبا ولا فضة. فالله تعالى يعطي كل إنسان بقدر سعيه في طلبه للأرزاق . فمن يعمل كثيرا ويجتهد في عمارة الأرض وطلب الأرزاق يُعطيه كثيرا، ومن لا يعمل إلا قليلا يُعطيه قليلا من الأرزاق، وهذا ينطبق على الأفراد والأمم ، والواقع الذي نعيشه شاهد على ذلك. وبذلك يكون الله تعالى قد تكفل بكل أرزاق الناس، حسب ما يبذله كل إنسان في طلب رزقه .

وعليه فمن يكون حاله كما قال الرجل، فهو في الحقيقة يكون قد مال إلى الكسل والسلبية والتواكل ،وخالف الشرع في أمره بالعمل وطلب الرزق ،ويكون قد رضي لنفسه ان يكون عالة على غيره،و يده هي السفلى لا العليا. فذلك الزاهد ، أو الصوفي الذي اختار العزلة كالذي اختار التسول يستجدي الناس، ويده هي السفلى، ويتقوت بفضلاتهم. وهذا الحال لا يصح أن يُمدح عليه، ولا يُجعل افضل من حال المتكسب كما اراد الرجل أن يُغالطنا بكلامه السابق.

ويجب أن لا يغيب عنا أن التصوف وأهله دعوا إلى ترك الدنيا من أجل الدنيا وليس من أجل الآخرة. لأن الشرع أمرنا بطلب الدنيا والآخرة على أن تكون الأولى مزرعة الآخرة. لكن بما أن الصوفية خالفوا الشرع وتقدموا عليه في موقفه من الدنيا دلّ هذا على أن القوم ينظرون إلى الدنيا من منطلق العبادة الصوفية لا العبادة الشرعية. فعبادتهم تنطلق من عقيدة أرضية لا أخروية كما بيناه وسيتبين أكثر فيما يأتي من كتابنا هذا.

وسادسا إن قول الصوفي أبي علي الدقاق : ((التوكل: صفة المؤمنين، والتسليم: صفة الأولياء، والتفويض: صفة الموحِّين، فالتوكل...))[391]، فهو قول فيه خلط واضطراب وانحراف عن الشرع. فمرة جعل التوكل من صفة المؤمنين، فهم من العوام ، ومرة جعله من صفة الأنبياء، وأخرج منه المفوضين الموحدين وجعلهم أحسن حالا من الأنبياء. وهذا لا يصح شرعا

[391] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 303.

ولا عقلا ، لأن الحقيقة هي أن المؤمنين بالضرورة أنهم من المتوكلين على الله ، ومن أوليائه والموحدين له. فمن أين للرجل بالتقسيم الذي ورد في قوله الأول.

علما بأن الشرع يشهد أن التوكل هو أصل التسليم والتفويض، فهما من درجاته ، فلا يوجد تسليم ولا تفويض من دون توكل. وعليه فكل الأنبياء والمؤمنين متوكلين على الله تعالى، ثم بعد ذلك تتفاوت درجات توكلهم حسب إيمانهم وأعمالهم ومراتبهم . وصفتا التسليم والتفويض ليستا خاصتين بالأنبياء ولا بالصوفية، فلا شك أنه يتصف بها المؤمنون من الصالحين والشهداء والمقربين مع الاختلاف في الدرجة. فالصحابة مثلا الذين يكونون مع نبينا-عليه الصلاة والسلام- في الجنة فلا شك أنهم من المقربين وأهل التسليم والتفويض ، وكلهم من المتوكلين . ولهذا كان التوكل صفة جامعة لخيار عباد الله من الأنبياء والصادقين والصالحين ، قال تعالى: ((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود : 123))، و((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً)(الفرقان : 58)) ، و((فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159))، و((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل : 99))،و((الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(العنكبوت : 59)).

ولذلك فلو رجع الرجل إلى الشرع لتبين له مخالفة قوله له، لكن الراجح أن الرجل كان يعرف ذلك، لكنه خالفه لأنه لم يكن في صدد تقرير التوكل الشرعي، وإنما كان في صدد تعريف التوكل الصوفي . فالرجل كان يتكلم باسم التصوف لا باسم دين الإسلام وإن تستر به تقية !!!! .

وأما ما ذكره القشيري من أخبار عن أسفار الصوفية في أسفارهم ، فمنهم من كان يسافر بلا زاد ولا راحلة، ومنهم من يسافر حافيا، ومنهم من كان يأكل الحشيش في أسفاره. ومنهم من كان...))[392]. فهي تصرفات مخالفة للشرع ونماذج دامغة على أن الصوفية يُقدمون رغباتهم وأحوالهم على دين الإسلام . فالله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نتزود في الحج بالزادين المادي والمعنوي بقوله:((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)(البقرة : 197))، وكان

[392] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 452 وما بعدها.

النبي-عليه الصلاة والسلام- وأصحابه يسافرون بالزاد والدواب، وينهى عن الحج ماشيا، ويأمر بالجمع بين المشي والجمع. فعن أنس رضي الله عنه أن ((النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى شيخا يهادى بين ابنيه قال ما بال هذا قالوا نذر أن يمشي قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني أمره أن يركب))[393]. و ((عن عقبة بن عامر قال نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله وأمرتني أن أستفتي لها النبي - صلى الله عليه وسلم- فاستفتيته فقال صلى الله عليه وسلم لتمش ولتركب))[394].

وعدم السفر بلا زاد ولا راحلة يضر الجسم كثيرا ، بل قد يقطعه عن السفر كلية. علما بأن التوكل على الله لا يعني عدم الأخذ بالأسباب ، وإنما هو اعتماد القلب على الله تعالى . وقد صح الحديث أن النبي- عليه الصلاة والسلام- نهي عن المشي بلا حذاء ((ومنها أن النبي- عليه الصلاة والسلام- حث على الانتعال خاصة في الأسفار، وشبه المنتعل بالراكب ، فقال : ((استكثروا من النعال ، فإنَّ الرجل لا يزال راكبًا ما انتعل)) ؛ وهذا كلام بليغ ، ولفظ فصيح ، بحيث لا ينسج على منواله ، ولا يؤتى بمثاله . وهو إرشاد إلى المصلحة ، وتنبية على ما يخفف المشقة ، فإنَّ الحافي المديم للمشي يلقى من الآلام ، والمشقات ، بالعثار ، والوجي ، ما يقطعه عن المشي ، ويمنعه من الوصول إلى مقصوده بخلاف المنتعل ؛ فإنَّه لا يحصل له ذلك فيدوم مشيه ، فيصل إلى مقصوده كالرَّاكب ، فلذلك شبهه بالرَّاكب حيث قال : ((لا يزال راكبًا ما انتعل))[395].

وأما تعليل القشيري بأن الصوفية فعلوا ذلك كي يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة[396]. فهو تعليل لا يصح، وفيه تغليط وتلبيس. لأنه لا يُمكن أن يتحرك إنسان على هذه الأرض من دون الأخذ بالأسباب. وعليه فهؤلاء الصوفية كانوا يتظاهرون بعدم الأخذ بالأسباب المعروفة، لكنهم في الحقيقة كانت لهم أسباب يعتمدون عليها. فالذي لم يركب الدابة كان يعتمد على المشي، والاستراحة عند التعب، أو يأمل ان يجد في الطريق من يحمله. والذي لم يحمل الزاد معه كان يعتمد على أكل الفضلات ، أو على الحشائش والثمار البرية ، أو على سؤال الناس ، وإذا وجد شيئا أكله وسماه فتحا أو كرامة. ولهذا كان بعضهم يأخذ الإبرة ليخيط لباسه إن تقطع ، والماء

---

393 البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 20 ، رقم: 1865 .
394 البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 20 ، رقم: 1866 .
395 القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، باب الانتعال، ج 4 ، ص: 97 .
396 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 452 وما بعدها.

ليشرب عندما لا يجد الماء ، لأنه يعلم أنه إذا تقطع ثوبه ستظهر عورته، وإن اشتد به العطش ولم يجد ماءً فسيموت. وأما إذا قيل: لا إنه حمل الماء من أجل الصلاة. فيُقال : إنه يستطيع أن يستنجي بالحجارة، ويتوضأ بالتيمم إن لم يجد الماء في الطريق، وبهذا يتخلص من حمل الماء. وعليه فالقوم عاشوا في مخالفة الشرع والعقل والاضرار بالجسم ، انتصارا لتصوفهم وأحوالهم وطمعا فيمنا عند غيرهم.

وأما حكاية الهجويري بأنه رأى صوفيا من الملاماتية لم ((يكن يأكل أو يلبس شيئا للآدمي فيه نصيب ، فكان يأكل الأشياء التي يرميها الناس كالكراث العفن، والقرع المر، والجزر الفاسد، وأمثال ذلك . ويتخذ ملابسه من الخرق التي يلتقطها من الطريق، ويصنع منها مرقعة)) [397]. فهي نموذج آخر من سلوكيات الصوفية التي خالفوا بها الشرع عن قصد وسبق إصرار وترصد. فهذا الصوفي قد خالف الشرع عندما ترك العمل المنتج وأكل الخبائث والمواد الفاسدة، وأضر بجسمه ؛ مع أن دين الإسلام يأمر بالعمل وأكل الطيبات لا الخبائث، وأمرنا بحفظ أجسامنا وعقولنا وكرامتنا.

ومن جهة أخرى ، فإن هذا الصوفي – وأمثاله- هو في الحقيقة لم يترك الكسب، ولا توكل على الله كما يدعي الصوفية، وإنما كان يعلم يقينا بأنه سيجد الطعام واللباس في المزابل ، فتوكل على فضلات الناس وقاذوراتهم ، وتكسب من مزابلهم .

وليس صحيحا ما قاله الهجويري بأن ذلك الشيخ لم يكن يأكل ولا يلبس شيئا للآدمي فيه نصيب. فهذا قوا باطل ويتناقض مع ما ذكره. لأن المرقعات التي كان يلتقطها من الطريق فيها عمل بشري ، رماها الناس بعدما بليت ،ثم هو نفسه كان يعيد ترتيبها وترقيعها، وكذلك الأكل الذي كان يتناوله فيه جانب من العمل البشري في قطفه، وتقشيره ،وطهيه ،ورمي الفاسد منه، ثم يأتي هو يأخذه ويتصرف فيه ليأكله. وعليه فإن كل ما كان يقوم به هذا الصوفي هو عمل بشري قائم على الأخذ بالأسباب ، من خروجه إلى المزابل إلى الأكل منها إلى أخذ المرقعات وإعادة ترتيبها وترقيعها ثم ارتدائها .

وأما قصة الصوفي أبي حمزة الخراساني الذي سقط في البئر ولم يستغث بالناس ليُخرجوه اعتقادا منه بأن هذا يتنافى مع التوكل، ثم خرج منه بعدما

---

[397] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 247 .

كاد أن يهلك عندما تعلق برجل السبع أو الحية[398]. فإن صدقنا حدوثها فهي تشهد على أن الرجل خالف الشرع، وتناقض مع نفسه .

إنه خالف الشرع لأنه من المعروف في دين الإسلام أنه يجب عى المسلم أن يحافظ على نفسه وعقله وجسمه، وأن يحرص على ما ينفعه ويبتعد عما يضره . من ذلك قوله تعالى: ((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)(النساء : 29))، و((وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(البقرة : 195))، و في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[399]. ولاشك أن ذلك الصوفي عندما لم يطلب النجدة ليخرج من البئر بعدما سقط فيه، ثم رُدمت فوهته فهو بلاشك قد أضر بنفسه وعمل على هلاكها،ولم يحرص على ما ينفعها .

وأما تناقضه فإن الصوفي وقع في تناقضين: الأول إنه لم يفرح بمجيء الرجلين اللذين ردما البئر، ولم يستغث بهما بدعوى التوكل على الله تعالى، لكنه بعدما رُدم البئر وجاء السبع ونزع الردم فرح بذلك وعده كرامة، أو هدية من الله تعالى على عمله الأول. مع أنه كان في مقدوره أن ينظر إلى مجيء الرجلين بأنه فتح وكرامة من الله أيضا .

والتناقض الثاني أن هذا الصوفي لم يقم بأي حركة طلبا للنجدة عندما سقط في البئر، و جاء الرجلان وردما البئر، فعل هذا بدعوى التوكل على الله. لكنه عندما جاء السبع ودلّ رجله تعلق به وخرج . فلماذا تعلق به ؟؟، أليس هذا نقضا للتوكل الصوفي؟؟، وأليس هذا اخذا بالأسباب؟؟، ولماذا لم يطلب النجدة في البداية ، ثم طلبها عندما تعلق برجل الأسد ؟؟.

وبناءً على ما ذكرناه يتبين أن سبب مخالفة هؤلاء الصوفية للشرع وتناقضهم في مواقفهم السابقة هو خطأ مفهوم التوكل الصوفي عندهم، والمخالف للتوكل الشرعي . فهو حسب مفهومهم يعني عدم الأخذ بالأسباب ، كعدم طلب الرزق . ولما كان الإنسان يستحيل عليه العيش دون الأخذ بالأسباب وقع الصوفية في تناقضات لا مخرج لهم منها، فمرة يُعممون تعريفهم للتوكل على سلوك الصوفي، ثم يستثنون منه سلوكيات معينة .

---

[398] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 358 .

[399] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .

ومرة يجعلونه في جانب من حياة الإنسان ويخرجون منه الجوانب الأخرى. ومرة يرفضون الأخذ بالأسباب باليد، لكنهم يأخذون بها بالرِجل، وكأن الرِجل ليس من الأدوات التي يُمارس بها الإنسان السببية. ومرة يرفضون حمل الزاد توكلا وتركا للأخذ بالأسباب، لكنهم قد يتسولون للحصول عليه، أو يلتقطونه من المزابل والطرقات، أو يأخذونه من الغابات والحقول !!!! . فالقوم غارقون في الأخذ بالأسباب بدعوى عدم الأخذ بها .

وسابعا إن قول شقيق البلخي: ((وتفسير التوكل على الله أن تعرف أن الله تعالى خلقك وهو الذي ضمن رزقك وتكفل برزقك ولم يحوجك إلى أحد وأنت...))[400]. فهو قول يُعبر عن التوكل الصوفي لا الشرعي، وقدسبق أن بينا أن التوكل الشرعي يعني الاعتماد القلبي على الله في مختلف حياتنا اليومية، وهو مقرون بالحركة والنشاط والاجتهاد في الطاعة وفي كل ما ينفع الإنسان. وأما الذي يدعي التوكل على الله مع الكسل والسلبية والخمول ، فهو مخالف للشرع، ومتوكل على خموله وسلبيته لا على الله تعالى .

ولذلك فلا توكل شرعي من دون طاعة الله والاعتماد عليه والاجتهاد في الأخذ بالأسباب. لكن واضح من كلام البلخي أنه أسقط السعي من مفهومه للتوكل لفظا ، وجعل التوكل هو نفسه القضاء والقدر وربطه بالرزق مع أن القضاء والقدر منفصل عن التوكل، لأن القضاء والقدر هو من فعل الله تعالى، فهو سبحانه الذي قضى وقدر كل ما سيحدث في العالم قبل خلقه له،فعله بعلمه وقدرته، وحكمته وعدله، وإرادته ورحمته ، لكن التوكل هو من أعمال الإنسان القلبية . والتوكل أوسع من طلب الرزق أيضا. فهو يتعلق بكل أعمال الإنسان المادية والمعنوية.
ومن جهة أخرى فإن البلخي لا يُمكنه أن يسقط السعي من التوكل عمليا كما أسقطه من تعريفه لفظيا . لأنه هو وأمثاله عندما أسقطوا السعي الإيجابي من التوكل فقد مارسوا السعي السلبي عندما طلبوا أرزاقهم بإظهار علامات تصوفهم، وممارسة التسول .

والرزق يندرج ضمن القضاء والقدر من جهة تقديره وقضائه ، ويتعلق بطلب الإنسان له في حياته العملية ، وهنا قد يطلبه بتوكل على الله تعالى أو بغير توكل عليه ، لكن كلا من التصرفين يدخلان في قضاء الله وقدره. لأنه لا يُمكن أن يوجد شيء في هدا الكون خارج عن قضاء الله وقدره وإرادته.

---

[400] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 61 .

لكن يوجد من البشر من يطلب رزقه بلا توكل على الله ، بل قد يطلبه بعصيانه ومحاربة دينه وعباده المؤمنين. لأن طلب الرزق مثلا يتعلق بأفعال الإنسان الحرة بحكم أنه مُخير فيها ، وسيُحاسب عليها أيضا. وإلا سيكون كل البشر متوكلين على الله بحكم أنهم يجتهدون في الأخذ بالأسباب تحصيلا لمصالحهم . وهذا لا يصح، فليس كل الناس يتوكلون على الله في أعمالهم ، فمنهم من لا يُؤمن بالله أصلا، ومنهم من يكفر بالقضاء والقدر، ومنهم من يتوكل على ماله، أو جاهه، أو قوته، أوأصحابه، أو دولته. ومنهم المؤمن يتوكل على الله تعالى في كل أحواله سواءً كان غنيا وقويا أم كان فقيرا وضعيفا .

وبناء على ذلك فإن الله تعالى ضمن الرزق لعباده في هذه الدنيا بأن وفره لهم ، ثم أمرهم بطلبه على أن يطلبوه بالطريق الحلال لا بالحرام . فمن اجتهد بطلبه والتزم بالشرع ، فقد فاز في الدنيا والآخرة. ومن طلبه بطريق مخالف للشرع ، فقد كسبه وتمتع به في الدنيا وسيُعاقبه الله تعالى يوم القيامة لأنه طلب رزقه بالحرام. ومن لم يجتهد في طلبه، ولا خرج للتكسب ، واكتفى بالسلبية والتسول ، واستعطاف الناس، أو التظاهر بالزهد والتصوف حتى يتصدق عليه الناس. فهو قد طلبه بطريقته الخاصة ، ووصله منه بقدر ما تصدق عليه الناس. وسيحاسبه الله تعالى على الطريقة التي كسب بها رزقه.
وبذلك يتبين أن ضمان الله تعالى الرزق لعباده لا يعني أنه سيصلهم من دون سعي في طلبه . ولا يعني أيضا أنه سيصلهم بنصيب واحد ، وإنما يعني أن الإنسان هو المسؤول الأول في طلبه للرزق الذي وفره الله له وأمره بطلبه، وسيصله منه بقدر نشاطه واجتهاده إلا أن يشاء الله تعالى. وعليه فلا يصح ولا يحق للإنسان أن يترك الكسب ويزعم أن رزقه سيصل إليه من دون سعي منه. ولهذا فمن مكث في بيته وحيدا ولم يخرج في طلب الرزق فلا يأتي إليه رزقه ، فإن استمر على ذلك حتى مات يكون قد تعمد في قتل نفسه، وسيُعاقبه الله تعالى على ذلك .

وأما قول إبراهيم الخواص ((والرزق ليس فيه توكل إنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد))[401]. فهو قول إن صح عنه يكون قد خالف به التوكل الشرعي والصوفي، لأن شيوخ الصوفية الآخرين ذكرنا أنهم

[401] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 328 .

أدخلوا الرزق في التوكل، ولهذا تركوا الخروج إلى التكسب ومالوا إلى الكسل والسلبية والتسول بدعوى التوكل، وأن رزقهم سيصل إليهم لا محالة.
وهو مخالف للشرع لأن الله تعالى أمرنا بالتوكل عليه في كل أعمالنا من دون استثناء، منها طلب الرزق ،فالخروج للتكسب من التوكل دون شك. وأما الصبر فهو من أعمال القلوب، ولا بد له من أساس يقوم عليه وينطلق منه. ولهذا نجد من الناس من يصبر متوكلا ومعتمدا على الله تعالى حتى وإن كان قويا وغنيا، ومنهم من يصبر متوكلا على قوته، أو ماله، أو جاهه، أو دولته .

وبذلك يتضح أن الرجل قد خالف الشرع عندما قال بأن الرزق ليس فيه توكل، وإنما فيه صبر. وقد صح عن النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)) [402]. فالحديث صريح بأن طلب الرزق فيه التوكل لمن أراد أن يتوكل على الله حق توكله وفي كل أعماله.

وثامنا إن قول أبي سليمان الداراني: ((لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص))[403]. هو قول يُعبر عن التوكل الصوفي الذي يعني عدم الأخذ بالأسباب، ولا يُعبر عن التوكل الشرعي الذي يعني الاعتماد القلبي على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب. فهذا الرجل وأمثاله فصلوا التوكل الصوفي على مقاسهم في تواكلهم وسلبيتهم بدعوى التوكل على الله .

ولو كان التوكل يعني عدم الأخذ بالأسباب كما زعم هؤلاء ما أمرنا الشرع بالسعي واتخاذ الأسباب وكل الاحتياطات الأمنية في تعاملنا مع أعدائنا. ولو كان كذلك أيضا ما اتخذ النبي-عليه الصلاة والسلام – حارسا يحرسه في الليل، حتى أمره الله تعالى بترك ذلك لأنه سبحانه تولى حمايته من أعدائه، و في الحالتين هو متوكل على الله، قال سبحانه: ((وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)) . وكان أيضا يعين من يتولى حراسة المدينة، وحفر حولها الخندق عندما جاءته الأحزاب . وفي صلاة الخوف أمرنا الله تعالى بالحذر وأخذ الاحتياطات الأمنية عند أداء الصلاة. قال تعالى: ((وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ

[402] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 308، رقم: 2344 .
[403] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 256 .

لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً)(النساء: 102)).

وحسب زعم هذا الصوفي أن النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام لم يفهموا معنى التوكل ولا توكلوا على الله حق توكله، لأنه من الثابت أنه كانت لهم بيوت ولها أبواب ونوافذ **!!** . وبما أنهم كانوا قمة في التوكل على الله تعالى في مقدمتهم الرسول –عليه الصلاة والسلام- فإن هذا يعني أن مفهوم الصوفية للتوكل غير صحيح ومخالف للشرع .

وبناءً على ذلك فلا يصح أبدا القول بأن التوكل على الله يعني عدم الأخذ بالأسباب . لكن الصوفية مصرون على موقفهم في القول بالتوكل الصوفي ومخالفة التوكل الشرعي عن سبق إصرار وترصد، وليس عن جهل ، وإنما عن عناد وإصرار انتصارا للعبادة الصوفية لا الشرعية.

وأما قول الحارث بن أسد المحاسبي بأن ((التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله وترك تدبير النفوس في الأغذية والإستغناء بالكفاية وموافقة القلب لمراد الرب والقعود في طلب العبودية واللجأ إلى الله))[404]. فهو قول فيه حق وباطل، وتناقض واضح. فقوله : ((التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله ...)). كلام صحيح موافق لجانب من التوكل الشرعي فيما يتعلق بالاعتماد القلبي على الله تعالى . لكن الرجل انحرف عن التوكل الشرعي عندما قال: ((وترك تدبير النفوس في الأغذية والاستغناء بالكفاية ...والقعود في طلب العبودية واللجأ إلى الله)). فنفى بالتوكل الأخذ بالأسباب المتعلقة بأعمال الجوارح ، منها طلب الرزق ، مع أن التوكل يتعلق بأعمال القلوب لا الجوارح . فلا يصح إثبات التوكل بنفي الأسباب المادية والمعنوية المتعلقة بالإنسان، لأن التوكل هو نفسه من الأوامر والأسباب الشرعية من جهة، وهي نفسها لا تتناقض فيما بينها من جهة أخرى .

وأما التناقض الذي ورد في تعريفه للتوكل، فيتمثل في أن الرجل نصّ على ((موافقة القلب لمراد الرب))، لكنه نقض كلامه عندما دعا إلى ترك الأخذ بالأسباب كطلب الغذاء والقعود تفرغا للعبادة. لأن دعوته هذه مخالفة

---

[404] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 104 .

للشرع وليست موافقة لمراد الرب !! . لأن من قطعيات الشرع أن الله تعالى أمرنا بطلب الرزق وعمارة الأرض ،ونشر دينه وتطبيق شريعته. وهذا يتنافى مع دعوة المحاسبي إلى ترك التدبير والقعود عن عمارة الأرض تفرغا للعبادة .

ويلاحظ على الرجل أنه حاول الجمع بين المفهومين الشرعي والصوفي للتوكل فوقع في الخطأ والتناقض اللذيّن أشرنا إليهما أعلاه. فهل الحارث المحاسبي أختلط عليه المفهومان، أو أنه فعل ذلك تقية وتلبيسا ليُمرر التعريف الصوفي للتوكل ؟؟. ربما يكون أخطأ في التعريف ، لأنه من المستبعد أن يكون يجهل المفهوم الشرعي للتوكل بحكم أنه كان عالما فحدث له خلط بين المفهومين .لكن الراجح عندي أنه قال بذلك التعريف قصدا لتقرير المفهوم الصوفي للتوكل بطريقة غير مباشرة لغاية في نفسه بحكم أنه صوفي يقول بمبدأ التقية الذي هو من أصول التصوف كما سبق أن بيناه في الفصل الأول.

وأما بالنسبة لما رواه القشيري عن الصوفي حسن القزاز الدينوري بأنه ((حج اثنتي عشرة حجة حافياً، مكشوف الرأس، فكان إذا دخل في رجله الشوك يمسح رجله بالأرض ويمشي ولا يطأطئ رأسه إلى الأرض من صحة توكله))[405]. فهونموذج يكشف جانبا من تناقضات الصوفية، ومخالفتهم للشرع في موقفهم من التوكل بدعوى طاعة الله تعالى.فليس من التوكل المشي والسفر حافيا لأنه هذا مخالف للشرع[406]. فقد فقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن ((النبي - صلى الله عليه وسلم- رأى شيخا يهادى بين ابنيه قال ما بال هذا قالوا نذر أن يمشي قال إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني أمره أن يركب))[407]. و ((عن عقبة بن عامر قال نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله وأمرتني أن أستفتي لها النبي صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فقال صلى الله عليه وسلم لتمش ولتركب))[408].

وليس من التوكل عدم نزع الشوك باليد من الرجل، بدعوى ترك الأخذ بالأسباب، لأن التوكل هو الاعتماد القلبي على الله تعالى وليس عدم الأخذ بالأسباب، لأن التوكل نفسه من الأسباب.

---

[405] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 125 .

[406] القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، باب الانتعال، ج 4 ، ص: 97 .

[407] البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 20 ، رقم: 1865 .

[408] البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 20 ، رقم: 1866 .

ولذلك تناقض الرجل مع نفسه ، فلا هو أخذ بالتوكل الشرعي، ولا التزم الأخذ بالتوكل الصوفي – ترك الأخذ بالأسباب- . إنه نقضه عندما خرج من بيته طلبا للحج ، فهو هنا اتخذ الأسباب وتحرك لتحقيق ما يريد. ونقضه أيضا عندما كان يمسح رجله على الأرض نزعا للشوك ، فكان عليه أن لا يحكه أصلا ، لأن فعله هذا يتناقض مع التوكل الصوفي . فلا فرق بين حك الرجل على الأرض لدفع الأذى عنه ، وبين طأطأة الرأس لنزع الشوك باليد ، فالأمر سيان وكلاهما أخذ بالأسباب، ونقض للتوكل الصوفي **!!**. فالرجل لم يأخذ بالتوكل الشرعي، ولا بالصوفي ، وإنما كان متوكلا على نفسه بجَلَدِه وصبره وعناده للشرع والعقل .

وتاسعا إن قول أبي يزيد البسطامي : ((لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون: ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل))[409]. يعني به أن الصوفي إذا اختار بين أمرين يكون قد خرج من التوكل لأنه أخذ بالأسباب في ممارسته للاختيار. وهو قول مخالف للتوكل الشرعي ، ومتناقض مع أحوال الصوفية في سلوكياتهم . لأنه من الثابت قطعا أن البسطامي وأصحابه تبنوا التصوف اختيارا لا قهرا. وهو كغيره من الصوفية الذين ازدروا الدنيا والآخرة، وخالفوا الشرع صراحة حبا لله وطلبا للفناء فيه حسب زعمهم[410] ، وهذا تمييز واختيار وممارسة للأخذ بالأسباب. وحتى في قوله السابق فإن البسطامي قد مارس التمييز والاختيار عندما اختار عدم التمييز والاختيار في نظره إلى أهل الجنة والنار. فهذا بحد ذاته موقف اختاره الرجل ويندرج ضمن الأخذ بالأسباب.ولا أدري هل هذا الرجل يعي ما يقول فيضحك على الناس بكلامه، أو أنه لا يعي ذلك **؟؟!!** .

وأما قول أبي محمد رويم بن أحمد البغدادي: ((التوكل اسقاطُ رُؤية الوَسائِط، و التعلّق بأعلى العلائق "))[411]. فهو تعبير آخر عن التوكل الصوفي القائم على عدم الأخذ بالأسباب، وهي التي سماها رويم: الوسائط.وهذا تعريف مخالف للتوكل الشرعي الذي يعني الاعتماد القلبي على الله تعالى من جهة، والذي يجعل التوكل من الأوامر والأسباب الشرعية من جهة أخرى. فلا عبادة ولا التزام بالشرع دون الأخذ بالأسباب

---

409 القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 75 .

410 سبق توثيق ذلك، وسيأتي المزيد منه .

411 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 62 .

الشرعية والبشرية والطبيعية. وهو أيضا تعريف مناقض لسلوكيات التصوف ،و تصوره نظريا يكفي وحده للحكم على بطلانه . لأنه تعريف مستحيل تحقيقه في الواقع ، ولا يصدق إلا على المعدوم . فالإنسان بما أنه حي يرزق لا يُمكن أن يسقط الوسائط من حياته أقر بذلك أم لم يقر به. والصوفية نقضوا تعريفهم للتوكل الصوفي بتأسيسهم للتصوف أصولا وفروعا وغاية، وبممارستهم له سلوكا وتطبيقا . إن كل ذلك وسائط تناسب تصوفهم وأحوالهم ، منها العبادات الصوفية، كالجوع، والصمت، والسهر، والعزلة، والطرب، والرقص، ولباس الخرقة، وترك العمل واحتراف التسول. أليست هذه الممارسات وسائط استخدمها الصوفية في ممارستهم للعبادات الصوفية ؟؟ نعم إنها كلك قطعا، وهي من شِباك القوم يصطادون بها الدنيا التي يطلبونها. ولن يستطيع التصوف وأهله الخروج من هذا التناقض وغيره من التناقضات الكثيرة إلا إذا تخلوا عن أصولهم وعرضوا أفكارهم على ميزان الشرع والعقل فما وافقهما أخذوه، وما خالفهما تركوه.فإذا فعلوا هذا تخلصوا من العبادة الصوفية ونجوا منها ،وعادوا إلى العبادة الشرعية.

وأما قول السراج الطوسي : ((التكسب رخصة لمن لم يطق حال التوكل))[412]. فهو شاهد على أن التوكل الصوفي يعني عدم الأخذ بالأسباب عامة والتكسب خاصة. وهو مفهوم لا يصح ومخالف للشرع ، لأن كلا من التوكل والتكسب من الأوامر والأسباب الشرعية . فهما غير متطابقين ولا متناقضين ، فالتوكل أمر إلهي يتعلق بأعمال القلوب ، وطلب الرزق أمر إلهي يتعلق بسعي الإنسان لتحصيل الرزق، فكل منهما في موضعه . ولهذا تناقض الصوفية في موقفهم من طلب الرزق، ففي الوقت الذي يزعمون أنهم تركوا طلب الرزق توكلا، نجدهم ينقضون توكلهم عندما يطلبون الرزق بالتسول واستعطاف الناس باظهار مظاهر الزهد الصلاح . وهذا يعني أنه لا حياة للإنسان على وجه الأرض إلا بالسعي والأحذ بالأسباب، ومنها طلب الرزق .فهل هذا يعني أنه لا أحد من البشر متوكل على الله، أم أنهم كلهم من المتوكلين عليه ؟؟ . واضح أنه لا يصح الحكم عليهم كلهم بعدم التوكل على الله ،ولا بالتوكل عليه . مما يعني قطعا أن التوكل ليس هو الأخذ بالأسباب المتعلقة بالجوارح كطلب الرزق ، ولا هو عدم الأخذ بها ، وإنما يعني أن التوكل من الأوامر والأسباب الشرعية المتعلقة بأعمال

---

[412] السراج الطوسي: اللمع، ص: 524 .

القلوب، ويعني الاعتماد القلبي على الله تعالى في كل الأحوال المادية والمعنوية .
فواضح من كلامه أن التوكل عنده يعني عدم التكسب الإيجابي، والصوفي الذي الذي لا يتكسب فهو إما أن يتسول، وإما أن يسرق، وإما أن يأكل من المزابل. فالتوكل الصوفي يُجبر الصوفية على ممارسة التكسب السلبي باستخدام الأسباب التي تتفق مع سلبيتهم ، كالأكل من المزابل **!!!!**.

ومن جهة أخرى إن السراج الطوسي قلب القاعدة الشرعية المتعلقة بطلب الرزق والتسول. فمن المعروف أن الإسلام حرم السؤال إلا في حالات خاصة يكون فيها السائل مضطرا حددها النبي- عليه الصلاة والسلام- ، بقوله :((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[413].
وهذا يعني أن القاعدة هي أنه يجب على المسلم أن يجتهد في طلب الرزق، إلا عند الضرورة القصوى، فيسأل الناس. لكن التصوف وأهله باسم التوكل الصوفي- المخالف للشرع- قلبوا القاعدة الشرعية المتعلقة بطلب الرزق. فزعموا أن الأصل في التوكل الصوفي هو عدم طلب الرزق،لكن يُباح طلبه رخصة واستثناء للضعفاء الذين لم يُطيقوا حال التوكل الصوفي **!!!!** . فانظر إلى هذا الانحراف عن الشرع والتعمد في مخالفته عن سبق إصرار وترصد **!!!!** . لكن العجب منهم يزول عندما نتذكر أن الصوفية قالوا ذلك تقريرا للتوكل الصوفي لا الشرعي مع تسترهم بالإسلام تقية وتلبيسا على المسلمين.

وعاشرا إن جواب أبي يزيد البسطامي عندما قيل له : ((ما نراك تشتغل بالكسب ، فمن أين معاشك ؟؟))، فقال: ((مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد))[414]. فهو جواب مخالف للشرع، وفيه تغليط وتلبيس، وهذا الرجل وأمثاله تركوا التكسب بدعوى التوكل، ثم أخلطوا بينه

[413] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .
[414] السهروردي: عوارف المعارف، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ص: 103.

وبين القضاء والقدر تبريرا لسلبيتهم وكسلهم وتواكلهم . لكنهم نقضوا ذلك عندما مارسوا التكسب السلبي بممارسة التسول والأكل من المزابل. فالتسول وأكل فضلات الناس هو عملهم وتكسبهم الي طلبوا به رزقهم**!!**.

ومع أن العمل في الإسلام عبادة وواحب كما بيناه أعلاه ، فإنه من جهة أخرى فيه أجر كبير لمن كسب المال وأخرج زكاته . لأن بالزكاة يطهرنا الله تعالى ويُزكينا. لقوله سبحانه: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)) . فالكسب الشرعي كله خير، وهذا خلاف ما يزعمه الصوفية في ذمهم له من جهة وممارستهم للكسب الحرام من جهة أخرى.

ولا يصح أبدا الاحتجاج بالقضاء والقدر لأن الإنسان هو المسؤول عن أعماله ، ومكلف بها . وعليه فهو طرف أساسي في تقرير مصيره الذي هو جزء من القضاء والقدر المتعلق بإرادة الإنسان الحرة. وعليه فأصحاب الهمم العالية يحققون ما يريدون غالبا ،ويكون هذا من القضاء والقدر، لأنهم ساهموا في وجوده، فيحصلون على العزة ، والأموال، والحياة المرفهة في الدنيا والآخرة إن كانوا أتقياءً . والكسلاء الفاشلون هم أيضا ساهموا في بناء مستقبلهم فرضوا بما هم فيه من الفقر، فوصلوا إلى ذلك بأعمالهم فكانوا هم بأنفسهم سببا في فقرهم . فكل جماعة وصلها رزقها الذي طلبته واجتهدت في تحصيله من جهة، وقدّره الله وقضاه عليهم من جهة أخرى. لكن شتان بين الحالين **!!**.

علما بأن الله تعالى ضمن لمخلوقاته توفير الرزق الكافي لهم ، لقوله سبحانه : ((وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ)(فصلت: 10)). لكنه لم يضمن وصول الرزق إلى كل إنسان كما يحب، ولهذا أمرنا بطلبه ، فمن جد وطلب الكثير وصله في الغالب. ومن تكاسل و طلب القليل وصله غالبا. ومن طلبه بالحلال ناله بالحلال، ومن طلبه بالحرام ناله بالحرام. ومن طلبه بعزة وصله بِعزة ، ومن طلبه بذل وصله بذل. وعليه فإن البسطامي طلب القليل وصله القليل من الرزق، وطلبه بكسل وتواكل فوصله بذل وكسل ، وكانت يده هي السفلى . فرضي لنفسه ذلك، فوصله رزقه بها. وبهذا تسقط مغالطاته وتلاعباته التي أخفى من خلالها سلبيته وتواكله وانحرافه عن الشرع.

ومن تلبيساته أيضا أنه برر عدم تكسبه بأن الله يرزقه كما يرزق الكلاب والخنازير. وهذا تبرير لا يصح ، لأن الحيوانات – منها الكلاب والخنازير- الغالب عليها أنها ليست سلبية ولا كسولة ، فهي تتحرك صباحا ،أو ليلا ،أو مساء وتخرج في طلب الرزق . فمنها من يلتقط غذاءه من الأرض، ومنها من يهاجم الحيوانات ، ومنها من يحفر في الأرض، ومنها من يطير في السماء التقاطا للحشرات . والحديث النبوي المعروف قد أشار إلى ذلك بوضوح في قوله عليه الصلاة والسلام- : ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا غماصا وتعودوا بطانا)) . فالحيونات كانت مجتهدة في طلب الرزق، لكن البسطامي هو الذي خالف سنة الحياة عندما ترك الكسب الحلال والشريف ، واتكل على الناس ومال إلى الكسل والسلبية، فطلب رزقه بالتسول واستعطاف الناس طمعا في صدقاتهم .. فرزق الله تعالى يصل إلى كل مخلوق حسب سعيه واجتهاده ووفق الطريقة التي يختارها للتكسب.

وأما قول أبي حامد الغزالي: ((فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد...))[415]. فهو قول غير صحيح، وفيه تلبيس وتغليط ، ومخالف للشرع والعقل والعلم. وقد بينا سابقا أن الشرع أوجب التكسب، وحرّم التسول إلا عند الضرورة القصوى، لقول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[416]. فلم يستثن النبي الذين استثناهم الغزالي - العالم، والمتفرغ للعبادة- وانما استثنى آخرين بشروط محددة ومقيدة .وعليه فلا يحق للغزالي ولا لغيره أن يُدخل في الحديث ما ليس منه . علما بأن التكسب وجمع المال بالحلال جعل الله فيه خيرا كثيرا ، لأنه يكون سببا في طهارة وتزكية صاحبه عندما يُخرج زكاته. فيتطهر بذلك ويتزكى ولا يحتاج أن يمر بالطريق الصوفي لكي يتطهر حسب زعم الصوفية .

[415] الغزالي: الإحياء، ج 4 ص: 275 .
[416] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .

علما بأنه لا يوجد في الشرع نص صحيح يأمر بترك التكسب ويدعو إلى الكسل والسلبية ، وإنما النصوص الشرعية تظافرت في الأمر بالعمل المنتج في كل مجالات الحياة، وشجعت على كسب المال الحلال، واستغلال الثروات التي خلقها الله تعالى للأنسان . منها قوله تعالى: ((وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(القصص: 73))،و((لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)(يس: 35))،و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))،و((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الجاثية : 13)).

ومن الحديث الشريف قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده و إن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))[417]. و ((لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)) [418].

وأما قول الغزالي : ((فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه ...))،فهو قول باطل قطعا، وافتراء على الشرع والعقل والتاريخ الصحيح ، لأن الحديث السابق لم يستثن أحدا من الذين ذكرهم الغزالي، وحتى الذين استثناهم فقد استثناهم ضرورة وظرفيا حتى يتحسن حالهم . ولأن الحديث كان موجها أولا وأساسا إلى الصحابة، وهم من ذوي الدين والعلم ، والصبر والجهاد ، والتقوى والصلاح، والزهد والتنسك . فلماذا وجه إليهم النبي- عليه الصلاة والسلام- قوله ولم يستثنهم منه ؟؟. ولماذا أوجب عليهم التكسب ،ولم يقل لهم إنه قبيح في حقكم ؟؟ **!!** فهل يُعقل بعد ذلك أن يكون طلب الرزق قبيح في دين الإسلام ؟؟**!!** .

لكن التعجب من أبي حامد الغزالي يرتفع عندما نعلم أنه كان يتكلم بلسان العبادة الصوفية لا بلسان العبادة الشرعية، ولا بلسان العقل ولا العلم

---

[417] الألباني: صحيح الجامع، ج 2 ص: 492 ، رقم: 5546 .
[418] البخاري: الصحيح، ج 3 ص: 57 .

. فهو قرر التوكل الصوفي لا الشرعي، لكنه كان يتستر بالإسلام تقية وتلبيسا على المسلمين.

وأما حكاية الفكر الباطن الذي تذرع به أبو حامد الغزالي فخرافة من خرافات العبادة الصوفية، لأن الله تعالى شهد للصحابة بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، وقال للسابقين منهم: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 100)). لكنه لم يأمرهم بترك أشغالهم، ولا هم تركوها ، وذكرنا سابقا أن الشرع أوجب عليهم طلب الرزق .

علما بأن القناعة لا تعني ترك التكسب وطلب الرزق بالتسول، وإنما العمل مطلوب في حق كل الناس من الزهاد وطلاب الدنيا معا، فكل إنسان يطلب الرزق حسب قدرته وظروفه وغايته. واما ترك التكسب وسؤال الناس فهو مخالف للشرع ، وليس من الكرامة ولا من الشرف، ولا من العزة ولا من الزهد.

وتلخيصا لما تقدم ذكره يتبين أن حقيقة موقف الصوفية من التكسب أنهم لم يتركوا التكسب كما زعموا، وإنما تركوا التكسب الإيجابي الذي يُنتج ويُعمر الأرض، ومارسوا التكسب السلبي الطفيلي في تحصيلهم لما يحتاجونه من ضروريات الحياة بالاعتماد على التسول واستعطاف الناس والتظاهر أمامهم بالزهد والتفرغ للعبادة ليتصدقوا عليهم . وبهذا فهم خالفوا المفهوم الشرعي للتوكل من جهة، ونقضوا مفهوم التوكل الصوفي عندما اتخذوا الأسباب وطلبوا الأرزاق بالكسب السلبي الطفيلي من جهة أخرى**!!**
.

وأما بالنسبة للأحاديث النبوية التي احتج بها الصوفية وأيدوا بها التوكل الصوفي الذي يعني عندهم عدم الأخذ بالأسباب عامة والتكسب خاصة، فأولها: يقول النسائي : ((أخبرنا الحسين بن حريث قال: أنا جرير ،عن منصور ،عن مجاهد قال: أنا العقار بن المغيرةعن أبيه..:قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ما توكل من اكتوى أو استرقى))[419].

---

[419] النسائي: السنن الكبرى ، ج 4 ص: 334 .

وأقول : إسناد هذا الحديث لا يصح، لأن من رجاله: جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي (107-188 هـ) ، قيل فيه : ثقة، يُدلس ، ليس بالذكي اختلطت عليه أحاديث حتى ميزها له بعض المحدثين كان يشتم معاوية علانية[420] . ووصفه سليمان بن حرب بأنه لا يصلح إلا أن يكون راعيا للغنم ، ولم يكن يحفظ، ولا يُحدّث إلا من كتبه . وكانت فيه غفلة أثناء التحديث، و كان يرسل ولا يُصرح بالتحديث في كثير من رواياته بطريقة فيها تغليط وتدليس[421] . ذكره ابن قتيبة من بين رجال الشيعة، ونسبه إلى التشيع المفرط[422] . وعده الشيعة من رجالهم[423]. فالرجل شيعي إمامي مُدلس، مُغالط كثير التخليط ، ضعيف من جهة ضبطه وعدالته. وهنا قد عنعن.

ومنصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي (ت 132هـ) قيل فيه : ثقة ، ثبت ، لا يُدلس ، كان فيه تشيع قليل من دون غلو حسب العجلي[424]. وقال أبو نعيم الملائي: ((سمعت حماد بن زيد يقول: رأيت منصور بن المعتمر صاحبكم، وكان من هذه الخشبية، وما أراه كان يكذب . قلت: الخشبية: هم الشيعة)). وهذا عند الذهبي تشيع حب وولاء فقط[425]. وجعله ابن قتيبة من رجال الشيعة[426] ، وذكره الجوزجاني من بين شيعة كبار محدثي الكوفة الذين لم يحمد الناس مذاهبهم ، فجمعوا بين مذموم المذهب وصدق اللسان . ثم حذّر منهم بقوله : ((فما روى هؤلاء مما يقوي مذهبهم عن مشايخهم المغموزين وغير الثقات المعروفين فلا ينبغي أن يغتر بهم الضنين بدينه الصائن لمذهبه خيفة أن يختلط الحق المبين عنده بالباطل الملتبس فلا أجد لهؤلاء قولا هو أصدق من هذا))[427]. فواضح من قوله أن الرجل لم يكن قليل التشيع كما ذكر العجلي . و قوله هذا شاهد دامغ على أن هؤلاء وأمثالهم كانوا يُمارسون التقية بإظهار الكلام المعسول ، ومخالفته بما يظهر من سلوكايتهم و مروياتهم المذمومة.

---

[420] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 116 ، ج 1 ص: 51، 52 .
[421] المزي: تهذيب الكمال ، ج 4 ص: 545 و ما بعدها .
[422] ابن قتيبة : المعارف، ص: 139 . و ابن حجر: مقدمة فتح الباري ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت، 1379 ، ص: 395 .
[423] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 18 ، ج 1 ص: 123 و ما بعدها . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 2105 ، ج 1 ص: 291 .
[424] بن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 547 ، ج 9 ص: 223 .
[425] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 5 ص: 407 ، 408 .
[426] المعارف ، ص: 139 .
[427] أبو إسحاق الجوزجاني: أحوال الرجال ، ص: 10 . ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 47 .

كما أن وصف يحيى بن سعيد لمنصور بن المعتمر بأنه من الخشبية هو دليل دامغ على أن الرجل لم يكن قليل التشيع، ولا كان من شيعة أهل السنة ، وإنما كان من الشيعة الإمامية ، وهم رافضة ، وكانوا يُسمون بالخشبية ، لأنهم قالوا: لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم ، و دعوا إلى القتال بالخشب[428]. فواضح من ذلك أن الرجل كان إماميا، والإمامي مغالٍ بالضرورة ، وإن اختلفت درجة غلو طوائف الإمامية- الرافضة ، السبئية- ، لكنها لا تخرج عن الغلو ،وعليه فإن مروياتهم ضعيفة من أساسها ، لأن مذهبهم يقوم على التحريف، واختلاق الأخبار ،وممارسة التقية باستحلال الكذب . ومن هذا حاله لا تُقبل مروياته ، حتى وإن صدق في بعضها ، ومنهم منصور هذا ، إن صح أنه كان خشبيا.

وأما الشيعة ، فإن الإمامية الاثنى عشرية جعلوه من أصحاب إمامهم الباقر ، لكنهم لم يجعلوه من طائفتهم، و إنما جعلوه من الزيدية البترية[429].وخلاصة حال الرجل أنه ضعيف، بل ومتهم خاصة وأن متن روايته مُنكر كما سنبينه قريبا.

والطريق الثاني لنفس الحديث رواه ابن ماجة : ((حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن علية عن ليث ،عن مجاهد ،عن عقار بن المغيرة ،عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه و سلم- قال: (من اكتوى أو استرقى فقد بريء من التوكل) [430].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله : إسماعيل بن علية: إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي المعروف بابن علية (100-193هـ): ثقة ثبت[431] . لكنه هنا قد عنعن عن ليث، مع أن له روايات أخرى صرّح فيها بالسماع منه[432]. وعاش في زمن كان التفريق فيه بين العنعنة والسماع معروفا ومطلوبا. وعليه فمن المحتمل جدا أن خبره هذا ليس سماعا، وإنما هو مُدلس. فالخبر لم يثبت اتصاله من جهته .

وليث بن أَبي سليم بن زنيم القرشي الكوفي (143 هـ) : ضعيف، مضطرب، مُخلط[433].

[428] ابن حزم: الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، ج 3 ص: 186 . و ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، ج 3 ص: 36 .
[429] الحسن بن المطهر الحلي: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، الباب الرابع ، رقم: 1، ج 2 ص: 195 .
[430] ابن ماجة: السنن ، ج 2 ص: 1154 ، رقم: 3489 .
[431] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 513 ، ج 12 ص: 183 .
[432] أنظر مثلا: ابن ماجة: السنن ، ج 1 ص: 18 ن رقم: 47 .
[433] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 331 .

ومجاهد بن جبر (ت نحو: 103هـ ، عن 83 سنة) : ثقة يرسل ، حدث عن بعض الصحابة و لم يسمع منهم كعلي و سعد -رضي الله عنهما-، كان يُدلس ، وعنعنته لا تفيد الوصل[434] .وهنا قد عنعن فلا يصح الإسناد من جهته.

والطريق الثالث رواه ابن حبان: ((أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع قال : حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثنا سفيان ،عن منصور ،عن مجاهد ،عن عقار بن المغيرة بن شعبة ،عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه و سلم- قال : (من اكتوى أواسترقى فقد برئ من التوكل))[435].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97- 161 هـ) : ثقة ، ثبت ، حجة ، مُدلس، وربما دلس عن الضعفاء ،ومُرسلاته شبه الريح ، فيه تشيع يسير ، يثلث بعلي، و قيل أنه رجع عن ذلك. وقال : ((مؤمل بن إسماعيل: عن سفيان، قال: تركتني الروافض وأنا أبغض أن أذكر فضائل علي)) . وسأله رجل عن من يشتم أبا بكر، فقال: كافر بالله العظيم))[436]. وبما أنه كان يُدلس، ومرسلاته شبه الريح، وهنا قد عنعن ، فالإسناد لا يصح من طريقه .

ومنصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي (ت 132هـ)، سبق تفصيل حاله وتبين أنه ضعيف .

ومجاهد بن جبر (ت نحو: 103هـ ، عن 83 سنة) سبق تفصيل حاله وتبين أنه مدلس، وعنعنته لا تفيد الوصل، وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فلا يصح الإسناد من جهته.

والطريق الرابع في مسند أحمد بن جنبل: ((حدثنا عبد الله ،حدثني أبي، ثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: ثنا شعبة ،عن منصور قال سمعت مجاهدا يحدث قال: حدثني عقار بن المغيرة بن شعبة حديثا فلما خرجت من عنده لم أمعن حفظه فرجعت إليه أنا وصاحب لي فلقيت حسان بن أبي وجزة وقد خرج من عنده فقال: ما جاء بك فقلت: كذا وكذا فقال حسان: حدثناه عقار

[434] بن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم: 68 ، ج 9 ص: 30 .
[435] ابن حبان : صحيح ابن حبان ، ج 13 ص: 452 ، رقم: 6087 .
[436] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 199 ، ج 3 ص: 72 و ما بعدها . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 82، ج 7 ص: 241، 242 ، 254 .

،عن أبيه ،عن النبي - صلى الله عليه و سلم- أنه قال :لم يتوكل من اكتوى واسترقى))[437].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: محمد بن جعفر غندر الهذلي البصري(ت193هـ) : ثقة ، فيه غفلة و بلادة، وكان يُخطئ في أسماء الرواة ، وعن أحمد بن حنبل: سمعت غندرًا يقول: لزمت شعبة عشرين سنة لم أكتب عن أحد غيره شيئًا، وكنت إذا كتبت عنه عرضته عليه، قال أحمد: أحسبه من بلادته كان يفعل هذا))[438]. وفي غير شعبة يُكتب حديثه ولا يُحتج به، ضعفه يحيى بن سعيد[439]. وبما أن ذلك حاله والمتن مُنكر فالإسناد فيه ضعف من جهته .
وحجاج بن محمد المصيصي (ت 206 هـ من أبناء الثمانين) : ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره[440].

و شعبة بن الحجاج بن الورد (82-160 هـ) قيل فيه : ثقة ثبت[441]. وكان كثير الخطأ في أسامي الرواة و يُقلبها[442]. وقد ورد في كتاب جامع التحصيل في أحكام المراسيل أن شعبة كان لا يُدلس، ويتشدد فيه. وقال أحمد بن حنبل: (لم يسمع شعبة من طلحة بن مصرف إلا حديثا واحدا من منح بمنيحة)[443]. فهذا يعني أنه لم يُحدث عنه حديثا آخر سماعا ولا عنعنة . لكن وجدت له روايات أخرى عنه معنعنة من دون ذلك الحديث ، وهذا يعني أنه لم يسمعها منه وإنما دلسها . منها أن البيهقي روى أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((زينوا القرآن بأصواتكم)) رواه من طريقين الثاني قال فيه: ((ورواه شعبة ، عن طلحة بن مصرف ، وزاد : قال عبد الرحمن : وكنت نسيت هذه الكلمة حتى ذكرنيها الضحاك بن مزاحم))[444]. و منها قوله ((... حدثنا شعبة عن طلحة بن مصرف قال سمعت عبد الرحمن بن عوسجة يحدث عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأتينا إذا قمنا إلى الصلاة فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول :« لا تختلفوا فتختلف قلوبكم إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول أو قال :« الصفوف الأول »))[445] .

---

[437] أحمد بن حنبل : المسند ، ج 4 ص: 253 ، رقم: 18242 .
[438] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 63 . و أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 2295 ، ج 3 ص: 224 .
[439] الذهبي: الميزان ، رقم: 7324، ج 5 ص: 419 . وابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 71.
[440] ابن حجر: التقريب ، ح 1 ص: 190 . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص: 474.
[441] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم : 590 ، ج 3 ص: 233 و ما بعدها .
[442] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ،رقم: 1161 ، ج 2 ص: 140 .
[443] أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب ، بيروت، 1966، ص: 196.
[444] السنن الصغري ، رقم: 1006- 1007 ، ج 1 ص: 320 .
[445] البيهقي : السنن الكبرى ، رقم: 5401 ،ج 3 ص: 103 .

ومن ذلك أيضا أن أحمد بن حنبل قال : ((لم يحدث شعبة عن أبي نعامة العدوي شيئا))[446] . ولكن الحقيقة خلاف ذلك إن صح قول أحمد، فقد حدث عنه رواية معنعنة مرفوعة رواها مسلم[447] ، و روى عنه أثرين معنعنين أيضا عن بعض السلف رواهما ابن أبي شيبة[448]، مما يعني أنه كان يُدلس.

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن مهدي ((عن شعبة سمعت أبا بكر بن محمد بن حزم ...)) ، فأنكره أحمد بن حنبل وقال : ((لم يسمع شعبة من أحد من اهل المدينة من القدماء ...))[449] . فإن صح هذا الخبر ، فهو شاهد دامغ على أن شعبة كان يُدلس، بل أنه تعمد الكذب.

ومن ذلك أيضا أن شعبة كان قد ذكر عن نفسه أنه لا يُدلس ، وأنه يبغضه[450] ، مما يعني أنه كان يُفرق في بين التحديث بالسماع ، وبين الرواية بالعنعنة في مروياته، وأنه كان حريصا على أن لا يُدلس. وهذا يتطلب منه الالتزام بذلك ، واستخدام الألفاظ الدالة على السماع والبعد عن الألفاظ الموهمة لذالك ، وعدم استخدام الألفاظ الدالة على التدليس. لكننا إذا رجعنا إلى المرويات التي صحت عنه لا نجده يلتزم بذلك. فمرة يُذكر أنه قال : ((... حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني ...))[451] ، و ((...حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن قتادة...))[452] و مرة يُذكر أنه قال : ((... حدثنا أبو أسامة عن شعبة حدثني خليد بن جعفر ...))[453] ،ومرة يروى أنه قال : ((... حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي قالا حدثنا شعبة قال يحيى عن عبد الله بن أبي المجالد ...)) ،و ((... حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة))[454] . و هذه أمثلة من باب التمثيل الضيّق لا الواسع ، ولا هي من باب الحصر أيضا، و إلا فالأمثلة على ذلك كثيرة جدا في كتب الحديث، وهي شواهد دامغة على أن شعبة لم يلتزم بالألفاظ الدالة على السماع ، مما يشهد على أنه كان يُدلس ، وانه كان يُفرق بين تلك الألفاظ . وإما إذا قيل: إنه لم يُدلس ، وإنما عبر عن السماع بألفاظ التدليس . فأقول : هذا اعتراض غير مقبول ، لأن الرجل كان يُميز

---

446 أحمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، رقم: 1325 ، ج 3 ص: 112 .

447 الصحيح، رقم: 1502 ، ج 2 ص: 122 .

448 مصنف ابن أبي شيبة، رقم : 11735 ج 3 ص: 22 و رقم: 16786 ، ج 3 ص: 528 .

449 ابن رجب : شرح علل الترمذي ، حققه نور الدين عتر، مكتبة الرشد، الرياض، 1421 ، ج 2 ص: 33 .

450 ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم : 590 ، ج 3 ص: 233 و ما بعدها .

451 الألباني: صحيح ابن ماجة ، رقم: 4215 ، ج 2 ص: 413 .

452 البخاري : الصحيح ، رقم: 15 ، ج 1 ص: 12 .

453 مسلم : الصحيح ، 6018 ، ج 7 ص: 47 .

454 مسلم: الصحيح، رقم: 7593 ، ج 8 ص: 208 .

بين تلك الألفاظ ، ولأنه ذكر أنه لا يُدلس ، وهذا يتطلب منه الإلتزام به بعدم استخدام الألفاظ الدالة عليه وإلا يكون قد نقض التزامه. ولأنه عاش في زمن كان التفريق فيه بين السماع والعنعنة معروفا ومطلوبا ومعمولا به، وهذا يتطلب منه الالتزام به . وقد سبق أن بينا أنه روى عن رواة لم يسمع منهم ، وهذا دليل دامغ على أنه كان يُدلس. و إذا قيل : إنه كان ثقة ، واستخدامه لألفاظ التدليس لا يعني أنه كان يُدلس . فأقول: هذا اعتراض تابع للأول ، وغير مقبول أيضا ، لأن التدليس لا يعني بالضرورة أن صاحبه ثقة أو ضعيف ، و لهذا وجدنا المدلسين من الثقات والصعفاء معا ، كهشيم ،و سفيان الثوري ، و ابن إسحاق . و بما أنه ذكر أنه لا يُدلس فيجب عليه أن يلتزم بذلك، ولا يُخلط علينا مروياته بألفاظ السماع والتدليس معا . فمن حق الناقد المحقق أن ينتقده في ذلك ويتوقف في مروياته، وإلا نحن كيف نميز بين المسموع والمُعنعن ؟؟!!. وفي إمكان أي راوٍ أن يقول كقوله، ثم يتصرف في مروياته كما يحب، ونحن من جهتنا لا نقبل منه ذلك إلا بحجة صحيحة، ونطالبه بأن يلتزم بالمنهج العلمي الصحح ، ولا يُشوش علينا مروياتنا، ولا يُفسدها علينا. والحَكم هنا هو الأفعال لا الأقوال ، لأن الأقوال وحدها لا تكفي، و إذا خالفتها الأفعال سقطت الأقوال ولا اعتبار لها .

وأُشير هنا إلى أن ابن قتيبة و الشهرستاني قد ذكرا شعبة بن الحجاج من بين رجال الشيعة[455]. لكن لم أعثر لدى أهل السنة ما يدل على أن شعبة كان من الشيعة الإمامية، وما ذكرناه عن ابن قتيبة والشهرستاني يعني أنه كان من شيعة أهل السنة لا من شيعة الإمامية . والشيعة الإمامية لم يذكروا في رجالهم على أنه كان إماميا، و إنما كان من الذين رووا عن بعض أئمتهم أخبارا، مع كونه كان عاميا- سنيا- . وهذا الذي أشار إليه الباحث الشيعي عبد الحسين الشبستري في كتابه : أصحاب الإمام الصادق ، بقوله : ((أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي وقيل العتكي بالولاء، الواسطي، البصري. من علماء ومحدثي العامة، ويعدونه من ثقاتهم وعبادهم وكان حافظا، مفسرا ...))[456]. وبما أن شعبة كان فيه ضعف من جهة ضبطه، وبينا انه كان يدلس ، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته.

---

[455] المعارف، ص: 139 . و الملل و النحل، ج 1 ص: 172 .

[456] رقم: 1588 ، ج 3 ص: 116 . و ذكره أبو جعفر الطوسي في : رجال الطوسي ، رقم : 3015 ، ج 1 ص: 380 . ذكره على أن من الذين رووا عن أحد أئمتهم ، لا أنه من الإمامية . و نفس الكلام ذكره علي البروجردي : طرائف المقال ، رقم: 4373 ، ج 2 ص: 44 .

وآخرهم: منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي (ت 132هـ)، سبق تفصيل حاله وتبين أنه ضعيف .

والطريق الأخير- الخامس- من مسند أحمد أيضا: ((حدثنا عبد الله، حدثني أبي ،ثنا سفيان ،عن بن أبي نجيح، عن مجاهد ،عن العقار بن المغيرة بن شعبة ،عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه و سلم- قال لم :يتوكل من استرقى واكتوى وقال سفيان مرتين أو اكتوى)) [457].

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97- 161 هـ) : بينا سابقا أنه كان يُدلس، ومرسلاته شبه الريح، وهنا عنعن ، فالإسناد لا يصح من جهته .
وعبد الله بن ابي نجيح يسار المكي (ت 131 هـ أو بعدها) : ثقة، مُدلس، معتزلي، روى عن مجاهد في التفسير من غير سماع منه[458] . كان يُدلس عن مجاهد[459]. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن عنه فلا يصح الإسناد من جهته.
ومجاهد بن جبر ،بينا سابقا أنه كان يُدلس ، وعنعنته لا تفيد الوصل[460].وبما أنه هنا قد عنعن فلا يصح الإسناد من طريقه.

وبذلك يتبين من تلك الطرق أن الحديث لم تصح أسانيده ، وأنه حديث آحاد مداره عن راوٍ واحد، هو: العقار بن المغيرة بن شعبة ،عن أبيه .

وأما متن الحديث فهو منكر ومخالف للشرع من دون شك ، ويتفق مع التوكل الصوفي لا الشرعي، لأنه نصّ صراحة على أن الأخذ بالأسباب في التداوي بالكي والرقية ليس من التوكل ومخالف له. وهذا لا يصح، لأنه سبق أن ناقشنا الصوفية في زعمهم هذا وبينا مخالفته للشرع والعقل والواقع، وأقمنا الأدلة الدامغة على أن الأخذ بالأسباب لا ينقض التوكل، بل وبينا أن التوكل نفسه من الأسباب الشرعية المتعلقة بأعمال القلوب.

---

457 أحمد بن حنبل : المسند ، ج 4 ص: 251 ، رقم: 18225 .
458 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 102 ، ج 5 ص: 36 . و الذهبي: السير ، ج 6 ص: 127 .
459 ابن حجر: طبقات المدلسين ، رقم : 77 ، ص: 39 .
460 بن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم: 68 ، ج 9 ص: 30 .

ولا يصح أيضا لأنه مخالف للصحيح من السنة النبوية، بل ويطعن في النبي-عليه الصلاة والسلام- لأنه هو نفسه أمر بالرقية. فقد صح عنه أنه أنه كان يرقي ورخّص في الرقية[461]. وأباح الكي أيضا[462]، وأمر بالتداوي كما في قوله: ((تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء))[463]، والاكتواء والاسترقاء من التداوي. فلو كان ذلك يُخالف التوكل وليس منه ما أمر به النبي- عليه الصلاة والسلام- .

وربما يقول بعض الناس :إن الحديث صحيح، لكنه أراد نفي كمال التوكل لا نفي التوكل. فأقول: هذا الوجه لا يصح ولا يحتمله الحديث لأنه صريح في نفي التوكل عمن اكتوى واسترقى. ولا يصح تحميله ما لم يقله ولا أشار إليه. كما أن هذا الاحتمال يتضمن الطعن في النبي-عليه الصلاة والسلام- فهو كان يرقي، وشرع الرقية والكي، فكيف يفعل ذلك ثم هو ينفي التوكل عمن مارسه **؟؟!!**. فهذا تناقض صارخ ، وفيه طعن في الشرع ، ولهذا لا يصح نسبته إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- .

والحديث الثاني: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا هارون بن علي ، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شفيق ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها »))[464].

وأقول: الحديث إسناده ضعيف[465]، ومتنه مُنكر لأنه يدعو إلى الانقطاع إلى العبادة وترك التكسب وعمارة الأرض، فيرزقه الله من حيث لا يحتسب. وهذا ليس من دين الإسلام ،لأن كلا من التوكل والتكسب من الأوامر والأسباب الشرعية، فهما لا يتناقضان ولا يتطابقان. والعبادة في الإسلام ليست تفرغا للصلاة والعزلة والجوع وترك جوانب الحياة الأخرى بدعوى التوكل، فهذا مفهوم خاص بالعبادة الصوفية، وليس من العبادة الشرعية. فالعبادة في الإسلام تشمل كل حياة البشر، قال سبحانه:((وَ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و ((قل إن صلاتي

---

[461] مسلم: الصحيح، ج 7 ص: 13 ، رقم: 5829 .والألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 266 ،268، رقم: 2834 ، 2843 .
[462] مسلم: الصحيح، ج 7 ص:22 ، رقم: 5877 ..والألباني: صحيح ابن ماجة، ج 4 ص: 68 ، رقم: 3485 .
[463] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 252 ، رقم: 2772 .
[464] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 21 .
[465] الهيثمي: مجمع الزوائد، ج 10 ص: 546 .تخريج أحاديث الإحياء، ابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ج 2 ص: 316. و الألباني: الأحاديث الضعيفة، ج 14 ص: 812 ، رقم: 6854 .

((قُـلْ إِنَّ صَـلاَتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَـايَ وَمَمَـاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ)(الأنعـام: 162)). فهذا هو الانقطاع الشرعي المطلوب الذي يجعل كل الحياة عبادة وفق شرع الله تعالى، جمعا بين التوكل والاجتهاد في العمل.

ومما يشهد على عدم صحة ذلك الحديث أيضا أن الله تعالى قال: ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)(الطلاق: 2- 3))، ولم يقل كما زعم الخبر : ((من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب)). فشتان بين المعنيين الأول المكذوب يدعوا إلى الاعتزال و ترك التكسب وعمارة الأرض لكي يرزقه الله من حيث لا يحتسب. والثاني يأمر بطاعة الله مطلقا في كل الأحوال ، وفي كل ما أمر الله تعالى ، لأن التقوى كلمة شاملة جامعة لكل ما أمر به الشرع ، فيترتب عن ذلك ان الله تعالى يرزق من فعل ذلك من حيث لا يحتسب. فالفرق الكبير وأساسي بين المعنيين، وبمعنى آخرإنه الفرق بين التصوف ودين الإسلام !!.

والحديث الثالث أورده الكلاباذي في التعلاف وعلّق عليه، فقال: ((قال النبي ﷺ: {يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب}، ثم وصفهم وقال: {الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون}، فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم، صحت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب، ثقة بالله ﷻ، وتوكلا عليه، ورضا بقضائه))[466].

وأقول: هذا الحديث صححه أهل الحديث، وفيه زيادات لم يذكرها الكلاباذي، لكني أرى أنه لا يصح إسنادا ولا متنا . فأما إسنالدا فقد رُوي من عدة طرق أولها: قال النسائي : ((أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ثنا عبثر بن القاسم قال: ثنا حصين عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أُسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - جعل يمر بالنبي والنبيين معهما القوم والنبي والنبيين معهما الرهط والنبي والنبيين ليس معهما أحد حتى مر بسواد عظيم قلت: من هؤلاء ؟، قيل: موسى وقومه ولكن ارفع رأسك وانظر وإذا سواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل: هؤلاء أمتك ،وسوى هؤلاء من أمتك سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يسألوه ولم يفسر

[466] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 16 .

لهم فقالوا نحن هم وقال قائلون هم أبناؤنا ولدوا في الإسلام فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: هم الذين لا يكتوون ،ولا يسترقون، ولا يتطيرون ،وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله قال: نعم، ثم قام رجل آخر فقال: أنا منهم فقال سبقك بها عكاشة))[467].

وأقول: إسناده لم يثبت اتصاله، لأن من رجاله: عبثر بن القاسم أبو زبيد الكوفي الزبيدي: (ت 178 هـ) : ثقة، روى عن حصين بن عبد الرحمن[468]. لكن لم أعثر على ما يدل على متى سمع من حصين ، فهل سمع منه قبل اختلاطه أم بعده ؟؟. وبما أن هذا لم نتأكد منه فيُحتمل الأمرين: السماع منه قبل الأختلاط أوبعده. مما يعني أن الإسناد لم يثبت إتصاله ولا عدم اتصاله من جهته.

وحصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي (ت 136 هـ عن93 سنة): ثقة[469]، ذكره ابن عدي في الضعفاء[470]، ساء حفظه في آخر عمره[471]. وأورده الذهبي في الضعفاء لتغيره عندما عُمّر ونسي[472]. ولم أعثر على ما يدل على متى حدث بهذا الحديث، فهل حدث به قبل اختلاطه أو بعده ؟؟.

وسعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي (ت 95 هـ عن 50 سنة): ثقة ، حجة، يُرسل ،وقد أرسل عن كثير من الصحابة[473]. وبما أنه حدث عن أقوام لم يسمع منهم ، وهنا لم يصرح بالسماع فمن المحتمل أنه أرسل هذا الحديث عن ابن عباس ولم يسمعه منه. فالحديث لم يثبت اتصاله.

والطريق الثاني: قال ابن حبان : ((أخبرنا الحسين بن محمد بن أبي معشر قال : حدثنا محمد بن وهب بن أبي كريمة قال : حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار ،عن أبي الصهباء ،عن عمران بن حصين قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : ... ثم قيل : إنه يدخل بعد هؤلاء من أمتك الجنة سبعون

---

[467] النسائي: السنن الكبرى ، ج 4 ص: 334 .
[468] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 4 ص: 98 .
[469] ابن حجر: التقريب ، ج1 ص: 222.
[470] ج 2 ص: 448 ، رقم: 519 .
[471] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 257.
[472] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1 ص: 173 .
[473] ابن حبان : صحيح ابن حبان،ط 2 ، حققه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 13 ص: 454 . وأحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 23 .

ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب... فقال : (الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون))[474].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: محمد بن وهب بن أبي كريمة (ت 243 هـ) : صدوق، لا بأس به ، صالح[475]. وهذه المراتب لا تجعل حديثه صحيحا، ولا صاحبه حجة، لأنها تدل على العدالة دون الإشعار بالضبط[476].

وزيد بن أبي أنيسة الكوفي ثم الجزري (91- 125هـ) : ثقة في حديثه بعض النكارة[477].

وعَمْرو بن مرة بن عَبد الله بن طارق الجملي الكوفي أبو عبد الله الأعمى (ت 118هـ) : صدوق ، ثقة ، مرجئ[478]. وقد حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم ، كعلي بن أبي طالب[479] . وزكاه أحمد بن حنبل في قول ،و في آخر ذمه بقوله: خبيث[480] . فماذا يعني هذا ؟!، فهل رآى منه ما لا يُعجبه، فهل تغير حاله ؟!. والراجح أنه طهر له منه ما يدل على خبثه. وعليه فيبدو أن الرجل كان يُخفي حقيقته ، وربما كان كاتما لتشيعه ممارسا للتقية ، لهذا وصفه أحمد بأنه خبيث ، وقد روى الشيعة الإمامية رويات من رجالها هذا الرجل رواها عنه الأعمش ، وهي روايات صريحة في الرفض والقول بحكاية الإمامة المزعومة[481] . من ذلك ((... عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري قال: لما أن جاء عائشة قتل علي عليه السلام سجدت))[482] . و قد كان الأعمش من بين الذين أثنوا على عمرو بن مروة ، فقال حفص بن غياث : ((ما سمعت الأعمش يثني على أحد إلا على عَمْرو بن مرة ، فإنه كان يقول : كان مأمونا على ما عنده))[483] . فهذه الشهادة النادرة من الأعمش للرجل ، تدل على وجود أمر ما مدحه عليه ،

---

[474] النسائي: السنن الكبرى ، ج 4 ص: 334 .

[475] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 372 .

[476] محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، دار رحاب، الجزائر، ص: 151 وما بعدها .

[477] الذهبي : المغني في الضعفاء ، ص: 245 .

[478] المزي: تهذيب الكمال ، رقم: 4448 ، ج 22 ص: 235 .

[479] أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل ، ص: 247 ، رقم: 584 .

[480] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج 6 ص: 274 ، 275 .

[481] أنظر مثلا: محمد الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ، ج 1 ص: 245-246 . و الموفق الخوارزمي: المناقب ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، 1411 ، ج 1 ص: 156 .

[482] القاضي النعمان الإمامي الإسماعيلي: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، مؤسسة النشر اتابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ج 1 ص: 129.

[483] المزي: تهذيب الكمال ، رقم : 4448 ، ج 22 ص: 235 .

ويشترك معه فيه ، لأن الأعمش نفسه مُتهم بالتشيع الإمامي ولم تثبت عدالته[484].

والراوي الأخير- الرابع -: صهيب أبو الصهباء: اختلف فيه، قيل ثقة، وقيل ضعيف[485]. فالرجل حاله معلق، لم يثبت توثيقه ولا تضعيفه.ومن هذا حاله الإسناد لا يصح من جهته .

والطريق الثالث من مُسند الإمام أحمد : ((حدثنا عبد الله، حدثني أبى، ثنا سريج، ثنا هشيم ،أنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير قال:... ثم قال ثنا بن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ... فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب... فقال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ...))[486].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: سريج بن النعمان البغدادي(ت 217 هـ): ثقة ، يهم قليلا ، غلط في أحاديث[487]. فالرجل فيه ضعف من جهة ضبطه، ومتن الرواية فيه ما ينكر ، فالحديث لم يثبت اتصاله من طريقه.

وهشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي (105- 183 هـ)، قيل فيه : ثقة ، ثبت ، كثير التدليس، إذا لم يُصرح بالتحديث فليس بشيء ،حدث عن كثيرين لم يسمع منهم، كجابر الجعفي ، حدث عنه كثيرا، ولم يسمع منه إلا حديثين[488]. وهذا عمل تحريفي تغليطي ، لا يليق ولا يصح أن يُعمل به، خاصة في أمر الدين . فلماذا هذا التلاعب بالدين والناس ؟؟. فمن كان هذا حاله من حقنا رفض أخباره ، خاصة إذا خالفت الصحيح . أليس هذا التلاعب والإصرار على التدليس قد يكون من مظاهر ممارسة التقية لغايات في نفسه ؟؟!. ومن أمثلة تدليسه : قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: ((حدثني أبي. قال: حدثنا هشيم، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله. قال: كنا لا نتوضأ من الموطىء. سمعتُ أَبي يقول: هذا لم يسمعه هشيم من

---

[484] نعم أكثر أهل الحديث وثقوه ، لكن الحقيقة التي توصلت إليها في كتابي: نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية ، أثبتت أن الرجل ليس ثقة ، وعلى أقل تقدير أن توثيقه لم يثبت. ولمن أراد التوسع في هذا الموضوع فعليه بالكتاب ، فهو منشور إلكترونيا .

[485] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 147 .

[486] أحمد بن حنبل: المسند، ج 1 ص: 271 ، رقم: 2248 .

[487] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 339.

[488] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم:100 ، ج 10 ص: 40 و ما بعدها .

الأعمش، ولا الأعمش سمعه من أبي وائل))[489]. فتدبر وتعجب من حال الرجلين ، وماذا تنستنتج منه ؟؟ !! .

وأشير هنا إلى أن ابن قتيبة جعل هشيم بن بشير من رجال الشيعة[490] ، لكن الشيعة لم يذكروه من بين رجالهم[491]، مما يُرجح بأن الرجل لم يكن شيعيا إماميا، ،وإنما كان شيعيا سنيا متهاونا ومتلاعبا بالأخبار، والله أعلم بحقيقة طويته. لكن مع هذا فإن الرجل بما أنه كان يتلاعب بالأخبار عن تعمد، وبما أن خبره هذا مُنكر المتن[492] فلا يُقبل منه، ولا يثبت من جهته حتى وإن صرّح بالتحديث . وبما أنه أظهره، وقد روى عن حصين بن عبد الرحمن الذي اختلط وتغير حاله في نهاية عمره[493] ولم أتمكن من تحديد متى سمع منه، فإن هذا يجعل إسناد الرواية غير ثابت الاتصال .

والطريق الرابع: عن عبد الله بن أحمد ((حدثني أبي ،ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر ،عن قتادة ،عن الحسن ،عن عمران بن حصين ،عن بن مسعود قال: أكثرنا الحديث عند رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال: ... فقيل لي ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ... فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون))[494].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: عبد الرزاق،و معمر بن راشد، وهما ضعيفان وسنبين هذا لاحقا[495] .وقتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي(ولد سنة 60أو 61 ، توفي سنة 116 أو 117 هـ) : قيل فيه : كان كحاطب ليل في جمعه للحديث ، يدلس ، روى عن أقوام لم يسمع منهم ، ثقة[496]. كان كثير التدليس و الإرسال، و قد حدث عن أقوام كثيرين من الصحابة والتابعين ولم يسمع منهم ، و لم يثبت سماعه من الصحابة إلا من أنس بن مالك المتوفى سنة 93هـ[497].

---

[489] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 4 ص: 35 .
[490] المعارف، ص: 139 .
[491] حسب كتب الرجال الشيعية ، ككتاب: رجال الطوسي ، و رجال بن داود، و رجال النجاشي .
[492] سنبين ذلك عندما ننقد المتن قريبا.
[493] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1 ص: 173 .
[494] أحمد بن حنبل: المسند، ج 1 ص: 401، رقم : 3806 .
[495] في الفصل الخامس .
[496] المزي: تهذيب الكمال ، رقم : 4848 ، ج 23 ص: 506 و ما بعدها . و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد، ج 3 ص: 151 .
[497] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 255.

والحسن بن أَبي الحسن البصري(110 هـ) : ثقة، كثير الإرسال والتدليس، حدث عن أقوام لم يسمع منهم[498]. وبما أن ذلك حاله،وهنا قد عنعن فالحديث غير متصل من جهته.

والطريق الخامس: عن عبد الله بن أحمد ((حدثني أبي، ثنا عبد الصمد ، ثنا حماد، عن عاصم ،عن زر، عن بن مسعود: أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أُرِيَ الأمم بالموسم ... قال: فَأُريتُ أمتي فأعجبني كثرتهم قد ملؤا السهل والجبل فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ،ولا يسترقون ،ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون...))[499].

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري (ت 207 هـ): ثقة مأمون ، صالح الحديث، ثبت في شعبة، يخطئ[500]. فالرجل ضعيف من جهة ضبطه .

وحماد بن سلمة بن دينار السلمي أبو سلمة (ت 167 هـ عن نحو 80 سنة) : ثقة له أوهام[501] . روى عن الزبير أبي عبد السلام مراسيل[502]، عابد، أمين، فيه غفلة، له أوهام وغرائب، وغيره أثبت منه[503] . وكان كثير الخطأ[504]. وذكر أحمد بن حنبل أن حمادا أسند عن أيوب السختياني أحاديث لم يسندها الناس عنه[505]. وقال ابن حجر: ((حماد بن سلمة بن دينار البصري أحد الأئمة الأثبات إلا أنه ساء حفظه في الآخر. استشهد به البخاري تعليقا ولم يخرج له احتجاجا، ولا مقرونا ،ولا متابعة إلا في موضع واحد قال فيه: قال لنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة فذكره .وهو في كتاب الرقاق وهذه الصيغة يستعملها البخاري في الأحاديث الموقوفة وفي المرفوعة أيضا إذا كان في إسنادها من لا يحتج به عنده))[506]. وبناء على هذا فإن حماد ضعيف عند البخاري.

---

[498] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 200 .
[499] أحمد بن حنبل: المسند، ج 1 ص: 403 رقم : 3819 .
[500] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5 ص: 226 .
[501] الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 2251، ج 1 ص: 394 .
[502] البخاري: التاريخ الكبير ، رقم: 1372 ج 3 ص: 125 .
[503] المزي: تهذيب الكمال ، رقم: 14 ، ج 2 ص: 8 . و الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم: 1711 ، ص: 185 .
[504] ابن عدي: الكامل ، في الضعفاء، رقم: 431 ، ج 2 ص:، 270 ، 275 ، و ما بعدها .
[505] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، رقم: 615 ، ج 1 ص: ، 270، 271 .
[506] أبن حجر: مقدمة فتح الباري ، ج 2 ص: 286.

وانفرد حماد بن سلمة بأحاديث عُرفت به، وقيل أنها دُست في كتبه من دون أن يعلم ، وكان لا يحفظ أحاديثه[507] . وقد اتهمه يحيى بن سعيد القطان بالكذب، و تفصيل ذلك أن أحمد بن حنبل قال : ((قال يحيى بن سعيد القطان : إن كان ما يروي حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد حقًا فهو . قلت له ماذا ؟ قال : ذكر كلامًا . قلت ما هو ؟ قال : كذاب . قلت لأبي : لأي شيء هذا . قال : لأنه روى عنه أحاديث رفعها إلى عطاء ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . قال أبي : ضاع كتاب حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد فكان يحدثهم من حفظه ، فهذه قضيته))[508]. فالرجل ضعيف من جهة ضبطه وعدالته، بما أن الرجل اتهمه بذلك !! . وهو في الحقيقة أن هذا الراوي ليس حجة ،ولا يصح الاعتماد عليه في رواية كالتي نحن بصددها. وبما أنه هذا حاله ،وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من طريقه.

وعاصم بن أبي النجود عاصم بن بهدلة الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ (ت 128هـ) : ثقة، كثير الخطأ في حديثه، صدوق، له أوهام ، لا بأس به، حجة في القراءات، حديثه في الصحيحين مقرون بغيره[509]. لكنه كان يُدلس ، فقد روى عمن لم يسمع منه ،قال الدارقطني : ((لم يسمع من أنس شيئا)) و((روى عن شهر بن حوشب والحارث بن حسان البكري ... والصحيح أن بينهما أبا وائل))[510].وقال أيضا: ((لا يصح لعاصم عن عطية ، يعني العوفي، شيء))[511]. وهو هنا قد عنعن عن زر بن حبيش، فبما أنه كثير الخطأ في الحديث، و كان يُدلس فإن إسناد الخبر لا يصح من جهته .

والطريق السادس: عن عبد الله بن أحمد: ((حدثني أبي ،ثنا عفان وحسن بن موسى قالا: ثنا حماد بن سلمة ،عن عاصم بن بهدلة ،عن زر بن حبيش ،عن بن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: عرضت علي الأمم بالموسم ... فقال: يا محمد ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ،ولا يتطيرون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون...))[512].

---

[507] ابن عدي: الكامل ، في الضعفاء، رقم: 431 ، ج 2 ص:، 270 ، 275 ، 282، 283 .
[508] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، رقم: 615 ، ج 1 ص: ، 270، 271 .
[509] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 454. و تهذيب التهذيب ، ج 4 ص: 28 ، رقم: 67.
[510] أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ج 1 ص: 203 ، رقم: 317 .
[511] الدارقطني: موسوعة أقوال الدارقطني ، ج 2 ص: 22 .
[512] أحمد بن حنبل: المسند، ج 1 ص: 454 ،رقم : 4339 .

وإسناده لا يصح بسبب ما ذكرناه عن حماد بن سلمة وعاصم بن بهدلة في الرواية السابقة.

والطريق السابع: عن عبد الله بن أحمد: ((حدثني أبي ثنا يزيد انا هشام عن الحسن عن عمران بن حصين ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ...))[513].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: هشام بن حسان الأزدي القردوسي البصري(ت148 هـ) : وثقه كثير من أهل الحديث وضعفه بعضهم ، مُدلس، يُرسل ، ومُتهم بالتحديث عمن لم يسمع، كان يُصر على التدليس في الرواية عن عطاء والحسن. لم يكن يحفظ، كان خشبيا- رافضيا-. قيل: عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره[514]. كان شعبة يتقي حديث هشام بن حسان عن عطاء بن أبي رباح ، ومحمد بن سيرين ، والحسن بن البصري. مُتهم بالتصرف في الأحاديث التي يرويها. كان يرفع أحاديث عن محمد بن سيرين لم يرفعها إلى النبي-عليه الصلاة و السلام-، فأنكر عليه أحد الرواة ذلك فتوقف[515].
فالرجل ضعيف ،ومُدلس ، ورواياته هذه غير مقبولة منه . وتبرير موقفه بأنه توقف عن رفع الأحاديث ، لا يرفع عنه الاتهام والتعمد في التدليس، لأنه كان يعمل ذلك تعمدا، وفعله هذا إن فعله عن جهل فهو ليس أهلا ليكون عالما بعلم الرواية، ومن ثم فهو ضعيف، وإن كان فعله عن قصد ، فهو محرف ومُدلس، بل وكذاب، وفي هذه الحالة لا تصح الرواية عنه. علما بأن تلك التصرفات تتفق مع مذهبه، فهي من مظاهر ممارسته للتقية ، التي هي من أساسيات مذهبه الشيعي الخشبي الإمامي.

والحسن البصري ذكرنا سابقا أنه يرسل ويدلس، وحدث عن أقوام لم يسمع منهم .وبما أنه كذلك،وهنا قد عنعن فالإسناد غير متصل من جهته.

والطريق الثامن: قال مسلم : ((حدثنا يحيى بن خلف الباهلى حدثنا المعتمر عن هشام بن حسان عن محمد - يعنى ابن سيرين - قال حدثنى عمران قال قال نبى الله - صلى الله عليه وسلم- « يدخل الجنة من أمتى

---

[513] أحمد بن حنبل: المسند، ج 4 ص: 436 ، رقم : 19927.
[514] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، رقم: 203 ج 8 ص: 110 . و ابن حجر: تهذيب، ج 10 ص: 22 و ما بعدها .
[515] المزي: تهذيب الكمال، ج 30 ص: 189.

سبعون ألفا بغير حساب ». قالوا ومن هم يا رسول الله قال « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون »))[516].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: أبو سلمة يحيى بن خلف الباهلي البصري الجوباري(ت 242هـ) : صدوق[517]. ومرتبته هذه لا تجعله حجة ، فهي تدل على العدالة ولا تُشعر بالضبط .

ومعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي (100- 187 هـ)، قيل فيه: ثقة ، صدوق، سيء الحفظ[518] ، رجل صالح يأخذ عن الكل ، ضعيف من جهة ضبطه ، من ذلك ما رواه يحيى بن سعيد ، قال : ((قال لي سفيان الثوري: كان عندي ابن التيمي- أي معتمر-، فلم يفرق بين ليث، ومنصور، إلا أنه كان رجلاً صالحًا))[519].

وهشام بن حسان الأزدي القردوسي البصري(ت148 هـ): ضعيف كما بيناه في الرواية السابقة.

والطريق التاسع: عن عبد الله بن أحمد: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الصمد ثنا حاجب بن عمر أبو خشينة الثقفي ثنا الحكم بن الأعرج عن عمران بن حصين ان رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قال من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون))[520].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري (ت 207 هـ):، صدوق ،لا بأس به، ثقة ، صالح الحديث ، يخطئ[521] . لكن ابن أبي حاتم ذكر أن عبد الصمد هذا شيخ مجهول[522]. فالرجل واضح أن فيه ضعفا من جهة ضبطه .

و الحكم بن عبد الله بن إسحاق الأعرج (ت : ثقة، فيه لين، لا بأس به، وذكره الذهبي في الضعفاء، واشار إلى من وثقه[523]. واضح أن الرجل فيه

[516] مسلم: الصحيح، ج 1 ص: 137 ، رقم: 546 .
[517] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 301.
[518] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 417 ، ج 9 ص: 162 .
[519] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم : 2575 ، ج 3 ص: 335 .
[520] أحمد بن حنبل: المسند، ج 4 ص: 443 ،رقم : 19998 .
[521] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5 ص: 226 . أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 255.
[522] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 6 ص: 50 ، رقم: 269 .
[523] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 288 . الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 87.

ضعف من جهة ضبطه، وبما أنه هنا عنعن ولم يصرح بالتحديث، وقد عاش في زمن كان التفريق فيه بينهما معروفا ومطلويا، فالإسناد لم يثبت أتصاله من جهته.

والطريق العاشر: عن عبد الله بن أحمد: ((حدثني أبي ثنا يزيد أنبأنا هشام عن محمد عن عمران بن حصين ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)) [524].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: هشام بن حسان الأزدي القردوسي البصري(ت148 هـ): ضعيف كما بيناه أعلاه .

ومحمد بن سيرين (ت110 هـ عن 77 سنة) : ثقة ثبت[525]، كثير الإرسال، حدث عن أقوام لم يدركهم، وآخرين لم يسمع منهم، فأرسل عن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة وغيرهم[526] . وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث فالإسناد لم يثبت أتصاله من جهته .

والطريق الحادي عشر: قال البخاري: ((حدثني إسحاق حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة قال سمعت حصين بن عبد الرحمن قال: كنت قاعدا عند سعيد بن جبير فقال عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون))[527].

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري(ت 205 أو 207هـ) : ثقة ، ليس بالقوي، وعن ابن أبي حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، صدوق[528]. فالرجل ليس حجة، وفيه ضعف واضح ، خاصة وأن متن الرواية منكر كما سنبينه قريبا.

---

[524] أحمد بن حنبل: المسند، ج 4 ص: 441 ،رقم : 19980 .
[525] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 85 .
[526] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 264.
[527] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 100 ، رقم: 6472 .
[528] الذهبي: المغني في الضعفاء ، رقم: 2140 ، ج 1 ص: 233 و ما بعدها . و ميزان الاعتدال ، رقم: 2802 ، ج 4 ص: 38 و ما بعدها .

وشعبة بن الحجاج بن الورد (82-160 هـ) قيل فيه : ثقة ثبت[529]، كثير الخطأ في أسامي الرواة و يُقلبها[530]. ومع ضعفه في الضبط فلم يتبين لي متى سمع من حصين، فهل سمع منه قبل اختلاطه أم بعده ؟. فالأمر يبقى معلقا يحتمل الأمرين. مما يعني أن الخبر من جهته لم يثبت اتصاله.

وحصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي (ت 136 هـ عن93 سنة): ثقة[531]، ذكره ابن عدي في الضعفاء[532]، ساء حفظه في آخر عمره[533]. وأورده الذهبي في الضعفاء لتغيره عندما عُمّر ونسي[534].

وسعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي (ت 95 هـ عن 50 سنة): ثقة ، حجة، يُرسل ،وقد أرسل عن كثير من الصحابة[535]. وبما أنه حدث عن أقوام لم يسمع منهم ، وهنا لم يصرح بالسماع فمن المحتمل أنه أرسل هذا الحديث عن ابن عباس ولم يسمعه منه. وعليه فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته.

والطريق الثاني عشر: يتضمن إسنادين ، قال البخاري: ((حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا ابن فضيل حدثنا حصين ح قال أبو عبد الله و حدثني أسيد بن زيد حدثنا هشيم عن حصين قال كنت عند سعيد بن جبير فقال حدثني ابن عباس قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : عرضت علي الأمم... قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ... قال: سبقك بها عكاشة)) [536].

إسناده الأول لا يصح، لأن من رجاله: محمد بن فضيل بن غزوان الكوفي الضبي (ت 195 هـ): صدوق، ثقة، كان يتشيع ، حسن الحديث، ليس به بأس ، كان شيعيا محترقا ، كان غاليا في التشيع ، لا يُحتج به[537].

---

[529] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم : 590 ، ج 3 ص: 233 و ما بعدها .
[530] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ،رقم: 1161 ، ج 2 ص: 140 .
[531] ابن حجر: التقريب ، ج1 ص: 222.
[532] ج 2 ص: 448 ، رقم: 519 .
[533] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 257.
[534] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1 ص: 173 .
[535] ابن حبان : صحيح ابن حبان،ط 2 ، حققه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 13 ص: 454 . وأحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 23 .
[536] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 112 ، رقم: 6541.
[537] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 298.

وجعلـه الشـيعة الإماميـة مـن رجـالهم ومـن أصـحاب أحـد أئمـتهم ووثقـوه، ورووا عنه روايات إمامية[538]. فالإسناد لا يصح بسبب هذا الراوي.

وحصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي (ت 136 هـ عن93 سـنة): ثقـة[539]، ذكـره ابـن عـدي فـي الضـعفاء[540]، سـاء حفظـه فـي آخـر عمره[541]. وأورده الذهبي في الضعفاء لتغيره عندما عُمّر ونسي[542].

وإسناده الثـاني لا يصـح أيضـا، لأن مـن رجالـه: أسيد بـن زيـد بـن نجيح الكوفي (توفي قبل: 220 هـ)، قيل فيه : ضـعيف، كذاب، متـروك، شيعي، يروي المناكير، يسرق الحديث[543].

وهشـيم بـن بشـير : سـبق تفصـيل حالـه ، وتبـين أنـه مجـروح، وكثيـر التدليس، وقد حدث عن أقوام لم يسمع منهم. وبما أنه كذلك ، وهنا قد عنعن عن حصين فالإسناد لا يصح من جهته. هذا فضلا على أنه لم يتبين لي متى سمع من حصين الذي اختلط آخر عمره.

وبذلك يتبين من طرق ذلك الحديث أن كل أسانيده لم تصح، وحتى إذا افترضنا جدلا أن بعضها صحيح، فإن صحته شكلية فقط، بحكم أن متن الخبر باطل[544]. مما يستلزم عدم صحة كل أسانيده. والذي صح منها قد يكون بسبب خطأ ،أو نسيان أحد رواته ، أو بفعل بعض الرواة المتسترين المندسين بين أهل الحديث، كالذين أشار إليهم الجوزجاني[545].

وأما متن الحديث فلا يصح أيضـا، لأنه تضمن مناكير ومخالفات شرعية، بدليل الشواهد الآتية:

أولها: إن الحديث ذكر أن هؤلاء السبعين ألف يدخلون الجنة بلا حساب. وهذا مخالف للقرآن الكريم مخالفة صريحة، فقد أخبرنا الله تعالى أن كل إنسان يُحاسب على أعماله يوم القيامة، والميزان هو الحَكم، ولا يوجد أي اعتبار آخر يُنجي الإنسان، قال سبحانه: ((وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى

---

[538] أنظر مثلا: الحسن بن المطهر الحلي: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ج 1 ص: 295. و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، ج 1 ص: 492. و علي بن طاووس: التحصين، مؤسسة دار الكتاب، إيران، 1413 ، ص: 16 .

[539] ابن حجر: التقريب ، ج1 ص: 222.

[540] ج 2 ص: 448 ، رقم: 519 .

[541] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 257.

[542] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1 ص: 173 .

[543] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 12 ص: 232 .

[544] سنبين ذلك في نقد المتن .

[545] سبقت الإشارة إليهم .

رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً)(مريم: 71-72))،و((وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ)(الأعراف: 9))، و((فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)(سورة القارعة: 6 - 11)) ،و((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)(الأنبياء: 47)) ، و((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الأعراف: 8)،و((فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)(المؤمنون: 102-103)).

والشاهد الثاني مفاده أن الذين ذكرهم الحديث يدخلون الجنة بغير حساب ليس بسبب أمر كبير وعظيم قاموا به كالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس والأولاد، وإنما لمجرد أنهم كانوا لا يكتوون ،ولا يسترقون، ولا يتطيرون.وفي المقابل أن ملايين من الشهداء والمجاهدين بأنفسهم وأموالهم وأولادهم - وقد وعدهم الله تعالى بجنات النعيم- سيُحاسبون يوم القيامة. وبما أن مكانة الشهداء والمجاهدين أعظم وسيُحاسبون في الآخرة. فمن باب أولى أن يُحاسب الذين ذكرهم الحديث، وغيرهم من المسلمين. وبما أن الحديث استثنى الذين ذكرهم فهذا دليل قوي على عدم صحته.

والشاهد الثالث: مفاده أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم كثيرا من صفات المؤمنين التي ينالون بها رضون الله وتدخلهم الجنة، كقوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15))،و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2)) . لكنه سبحانه لم يشر من قريب ولا من بعيد إلى الذين ذكرهم الحديث بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب لمجرد أنهم كانوا لا يكتوون ،ولا يسترقون ،ولا يتطيرون **!!**. فعدم ذكرهم في القرآن الكريم بصفاتهم ، دليل دامغ على عدم صحة ذلك الحديث.

والشاهد الرابع: إن ذلك الحديث يتناقض مع أحاديث نبوية صحيحة نصت على خلافه .فهي تنقضه وترده، وتشهد على أن النبي-عليه الصلاة والسلام- أمر بالرقية ورخص في الكي ، وأمر بالتداوي عامة. من ذلك انه

صح الخبر أنه عليه الصلاة والسلام- كان يرقي ورخّص في الرقية[546]. وأباح الكي أيضا[547]، وأمر بالتداوي كما في قوله: ((تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء))[548] . فلا يصح ولا يُعقل أن يأمر النبي-عليه الصلاة والسلام- أمته بطلب العلاج كالرقية والكي، ويحثها على التداوي ثم يُفضل عليها طائفة من أمته لم تفعل ذلك، بل خالفت سنته**!!** . مما يعني أن ما قاله ذلك الحديث غير صحيح .

والشاهد الخامس أن ذلك الحديث يتضمن الطعن في النبي-عليه الصلاة والسلام- بأنه لم يكن ناصحا لأمته، ولا حريصا على مصلحتها، ولا كان مُنصفا في تعامله مع أصحابه. فأخفى عنهم ما يُدخلهم إلى الجنة بلا حساب، وأمرهم بالأعمال الصعبة جدا كالجهاد بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الله ،ثم عندما سمعوا بذلك الحديث قال لهم أُغلق الباب، وحرمهم من العمل به . وبما أن الأمر كذلك ، فلا يُمكن أن يصدق ذلك في حق النبي –عليه الصلاة والسلام- الذي كان رحيما بالمؤمنين حريصا على ما ينفعهم. وبما أن الحديث نسب إليه ذلك، فهذا دليل دامغ على عدم صحته.

والشاهد السادس: إن ذلك الحديث هو هدم لجانب كبير من دين الإسلام وتقزيم له، فإذا كانت الأعمال التي ذكرها ذلك الحديث تُدخل صاحبها الجنة بلا حساب، فلا معنى للأوامر الشرعية الأخرى التي تأمر بالجهاد بالأموال والأنفس، وتأمر بالزكاة والحج . فهي حتى وإن قام بها لا تضمن له دخول الجنة لأنه سيُحاسب عليها وتوزن في الميزان الإلهي. وبما أن ذلك الحديث هادم لجانب كبير من الدين ومُقزم له ، فإن هذا دليل دامغ على عدم صحته .

والشاهد السابع: إن ما زعمه ذلك الحديث يتنافى تماما مع العدل الإلهي، فليس من العدل أن يُفتح المجال أمام سبعين ألف من المسلمين لدخول الجنة بلا حساب لمجرد أنهم لم يكتووا ولم يسترقوا، ... ثم يُغلق الباب أمام ملايين من المسلمين يريدون فعل ذلك، لكنهم يُحرمون منه. ومن جهة أخرى فإن ملايين من المسلمين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لا يدخلون الجنة بلا حساب، وسيُحاسبون وقد لا يدخلون الجنة إلا بعد دخولهم إلى جهنم **!!** . فهل هذا من العدل ؟؟، إنه ليس من العدل الإلهي ولا البشري، إنه ظلم

---

[546] مسلم: الصحيح، ج 7 ص: 13 ، رقم: 5829 .والألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 266 ،268، رقم: 2834 ، 2843 .
[547] مسلم: الصحيح، ج 7 ص:22 ، رقم: 5877 ..والألباني: صحيح ابن ماجة، ج 4 ص: 68 ، رقم: 3485 .
[548] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 252 ، رقم: 2772 .

ومحاباة بلا حق، وليس فيه مساوة في الفرص بين الناس. وبما أن هذا باطل، وأن الله تعالى أعدل العادلين، وأرحم الراحمين، ولا يظلم أحدا، وله الحجة البالغة على عباده ، فإن ذلك الحديث لا يصح ، لأنه نسب إلى الله تعالى ما لا يصح نسبته إليه .

والشاهد الثامن: إن مما يدل على عدم صحته أيضا أن الحديث ذكر أن الرجل الثاني قال: أنا منهم ، فقال له النبي-:" سبقك بها عكاشة ". وهذا جواب ليس من الإسلام، لأن دخول الجنة من عدمها ، أو بلوغ مرتبة من مراتبها ليس مرهونا بمجرد أن المسلم يسبق أخاه في الكلام في أمر ما ، وليس قائما على الحظ والصدفة، وإنما هو مرهون بالإيمان والالتزام بالشرع قلبا وقالبا وعليه فلو صح ذلك الحديث لما قال له النبي- عليه الصلاة والسلام- : سبقك بها عكاشة، وإنما يقول له: لست منهم لأن تلك الصفات لم تتوفر فيك . فلو توفرت فيه حسب الحديث لكان من هؤلاء سواء سبقه عكاشة أو لم يسبقه، وسواء دعا له النبي أو لم يدع له . فالسبق هنا من عدمه ليس في محله ، ولا يُؤهل صاحبه لبلوغ تلك الدرجة ما لم يكن عاملا بمقتضاياتها .لأن دخول الجنة أو النار لا يقوم ابدا على الحظ والعشوائية ، ولا على المحاباة والاحتيال ،ولا على النسب،والمال، ولا على الجاه والسلطان، وإنما يقوم على الإيمان والالتزام بالشرع قلبا وقالبا، قال سبحانه:، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15))،و((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)(الليل: 5- 10)). فقول الحديث أن النبي-عليه الصلاة والسلام- قال للرجل : سبقك بها عكاشة؛ هو دليل قوي على عدم صحته .

والشاهد التاسع: إن مما يشهد على عدم صحة ذلك الحديث أنه كافأ الذين يُخالفون الشرع في أمره بالتداوي والأخذ بالأسباب ، كافأهم بدخول الجنة دون حساب. وهذا كلام باطل شرعا وعقلا. وأنه فضل هؤلاء الذين لا يكتوون ولا يسترقون ... على الشهداء والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وهذا لا يصح ولا يُقبل !!. مع أن الله تعالى يقول : ((إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 111)). إنه سبحانه

قال لنا ذلك، ولم يقل لنا بأنه اشترى من المؤمنين الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون، ولا يتطيرون ... !!!! .

والشاهد الأخير- العاشر -: إن مما يشهد على عدم صحة ذلك الحديث ، انه تضمن المفهوم الصوفي للتوكل في دعوته إلى ترك الأسباب، ولم يتضمن المفهوم الشرعي للتوكل. فلو كان صحيحا لتضمن المفهوم الشرعي للتوكل، ولما تناقض مع النصوص الشرعية التي جمعت بين التوكل والأخذ بالأسباب عامة وطلب الرزق خاصة.

وأما الحديث الرابع الذي أورده عبد القادرالجيلاني بقوله : ((فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : (الاكتساب سنتي، والتوكل حالتي) أو كما قال. ...))[549]. فلم أعثر له على أثر في كتب الحديث والجرح والتعديل ، ولا في كتب التراجم والسير والتواريخ والأدب، فالحديث لا أصل له. والمؤلف لم يهتم بصحة الحديث ولا بتحقيقه، فهو على طريقة الصوفية المتقدمين والمتأخرين في إهمال تحقيق الروايات الحديثية والتاريخية. لأن غايتهم من مروياتهم التأسيس للتصوف والانتصار له، ولا يهمهم بعد ذلك أكانت الرواية صحيحة أم ضعيفة، ولم يهتموا أصلا بالبحث عن الأخبار الصحيحة لتمييز صحيحها من سقيمها .

وأما متنه فهو لايصح، لأنه مخالف للشرع، لأنه قرر التوكل الصوفي لا التوكل الشرعي. ومضمونه ظاهر البطلان، وقد سبق أن ناقشناه وبينا فساده في ردنا على أقوال الصوفية السابقة، فلا نعيد ذلك هنا .

وأخيرا أذكر هنا موقفا للصوفي أبي طالب المكي يتعلق بالأحاديث التي احتج بها الصوفية في قولهم بالتوكل الصوفي. من ذلك أنه ذكر بعض الأحاديث التي تأمر بالتداوي، ثم علّق عليها بقوله: ((وعلى ذلك كله فإنّ ترك التداوي أفضل للأقوياء، وهو من عزائم الدين، وطريقة أولي العزم من الصدّيقين، لأن في الدين طريقين: طريق تبتل وعزيمة، وطريق توسع ورخصة، فمن قوي سلك الطريق الأشد فهو أقرب وأعلى، وهذه للمقربين وهم السابقون، ومن ضعف سلك الطريق الأرفه وهو الأوسط إلا أنه أبعد،

---

[549] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة والثلاثون .

وهو لأصحاب اليمين وهم المقتصدون، وفي المؤمنين أقوياء وضعفاء ولينون وأشداء))[550].

وأقول: إن قوله هو نموذج آخر على تناقض الصوفية وتقديمهم لرغباتهم وتصوفهم على الشرع . فمع أنه ذكر الحديث فإنه إلتف حوله ، وازدرى به ،وطعن فيه بطريق غير مباشر، وقرر ما يُخالفه . إن التداوي لو كان نقصا ما مارسه النبي- عليه الصلاة والسلام- ولا أمر به أمته . وعليه فإن ترك التداوي-المادي والمعنوي- هو تعمد في مخالفة الشرع وتعالم عليه. وبما أن الشريعة أمرت بالتدواي، فإن ممارسته هو من الإيمان والأعمال الصالحة.

علما بأن مجالات وطرق التداوي واسعة، فقد يكون بالرقية وقراءة القرآن الكريم ، أو بالعقاقير، أو بالرياضة، أو بالنزهة والسياحة،أو بالتأمل في النفس والطبيعة . وعليه فإن الذي يستخدم الأدوية الروحية والمعنوية الشرعية فهي من التداوي المأمور به شرعا ،وهي أدوية قوية في بابها إذا استخدمت بتوكل وإخلاص. ولها تأثير كبير على الجانب العضوي من الإنسان، والعكس صحيح أيضا بالنسبة للأدوية المادية .
ولا يصح القول بأن من ترك التداوي المادي وأخذ بالتداوي الروحي يكون قد ترك التداوي. فهذا خطأ ، لأنه ثبت عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه كان يتداوى بالأدوية الروحية والمادية معا وأمر بهما. فكل من طلب هذين النوعين من العلاج، أو أحدهما فهو ممارس للتداوي وآخذ بالأسباب. ولهذا فإن أبا طالب المكي كان يقرر التوكل الصوفي في مجال التداوي لا التوكل الشرعي مُتسترا بالشرع تقية وتلبيسا على المسلمين. فذكر أحاديث ثم ألتف حولها و قرر خلافها انتصارا للتصوف .

وليس صحيحا أن ترك التداوي هو الأحسن وطريق المقربين وهم السابقون . فهذا افتراء على الشرع وتحريف للتاريخ . لأن الثابت أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يتداوى بالأدوية المادية والمعنوية، وأمر بالتداوي كما سبق أن بيناه ،وعلى نهجه سار صحابته الكرام من بعده،وهم من السابقين والمقربين ، فجمعوا بين التوكل والتداوي والأخذ بالأسباب في كل مجالات الحياة، فكانت نتيجة ذلك تكوين الخلافة الراشدة وفتح الأقاليم والبلدان . وبما أن ذلك هو حال النبي وصحابته فلا يصح القول بأن ترك التداوي أفضل من التداوي، وإنما الصحيح هو أن التدواي بنوعيه المادي

[550] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 404 .

والروحي هو المطلوب والأفضل والواجب، فحرام على الإنسان أن يترك الأمراض تنخر فيه، وتدمره ولا يبحث لها عن علاج .

وإثراءً لما ذكرناه عن توكل الصوفية، أُشير هنا إلى أنهم كانوا متناقضين ومتخبطين في موقفهم من التوكل . فمن ذلك أنهم قالوا بأن التوكل هو عدم الأخذ بالأسباب عامة وترك أسباب التكسب خاصة. لكنهم وقعوا في ثلاثة تناقضات واضحة : الأول هو أنهم ناقضوا بأقوالهم في التوكل حقيقة شرعية قطعية مُطلقة هي أن الشرع كله قائم على الأسباب، فالله تعالى جعل لنا أسبابا توصلنا إلى طاعته وجنته ، وأخرى توصل الكافرين والعُصاة إلى عصيانه ودخول ناره .

والتناقض الثاني هو أنهم ناقضوا بأقوالهم الطبيعة البشرية التي يستحيل عليها أن تعيش دون الأخذ بالأسباب سواء أقر بها الإنسان أم جحدها. فالصوفي الذي يزعم أنه لا يأخذ بالأسباب فهو إما جاهل ، وإما صاحب هوى يتلاعب بالكلام لغاية في نفسه ، ويضحك به على أتباعه. لأن كل ما يقوله، أو يفعله فهو قائم على الأسباب، ولن يستطيع أن يستجيب لحاجياته وغرائزه الطبيعية دون الأخذ بها .

والتناقض الأخير- الثالث- هو أنهم ناقضوا أقوالهم بسلوكياتهم، فهم ذموا طلب الرزق ، لكنهم اجتهدوا في طلبه بطرقهم الخاصة ، كالتسول، واستعطاف الناس، وإظهار مظاهر الزهد والتصوف جلبا لصدقات الناس.وقد كان بعضهم يقول بالتوكل الصوفي- عدم الأخذ بالأسباب- ثم يعود ويتخذ بعض الأسباب المادية علانية ويستثنيها من التوكل الصوفي حسب أحواله ورغباته. من ذلك ما رواه القشيري أن إبراهيم الخواص كان ((مجرداً في التوكل، يدقق فيه، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة، ومقراض فقيل له: يا أبا اسحاق، لِمَ تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل، لأن لله سبحانه، علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد؛ فربَّما يتَّخرق ثوبه، فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته، فتفسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته، فإذا رأيتَ الفقير بلا ركوة ولا إبرة، ولا خيوط، فاتهمه في صلاته))[551]. فهذا الصوفي نقض توكله بحمله لتلك الأشياء، فمهما ذكر من مبررات فقد نقضه، ويُمكن لصوفي آخر أن يستثني أشياءً أخرى ويجد لها مبررات أيضا . فَدلّ قول الخواص على أنه كان متوكلا على الأشياء التي حملها لا

[551] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 303.

على الله تعالى حسب التوكل الصوفي. فمثلا كان يُمكن أن لا يحمل ركوة الماء بدعوى الصلاة، لأن الشرع أباح لمن لم يجد الماء أن يتيمم، فلماذا يُثقل نفسه بحمل الركوة ؟؟، مما يدل على أن الرجل كان يحمل الركوة من أجل الشرب أولا لا الصلاة، ويملؤها عندما يجد الماء. فأين التوكل الصوفي المزعوم ؟؟ !! . فأنظر إلى تناقضات القوم التي أوصلهم إليها توكلهم .

وكان بعضهم إذا أراد الحج يتخذ كل الأسباب لأداء الحج ، فيأخذ ملابسه، منها لباس الإحرام ، ويتجه صوب الحرمين، ويأتي مع رفقة من الحجاج أوغيرهم ، لكنه يسير حافيا بدعوى التوكل ، فإذا أصابته شوكة حكها على الأرض ولا ينزعها بيده توكلا . لكنه نسي أو تناسى أن ما اتخذه من احتياطات ولوازم للذهاب إلى الحج ، وأن حكه للشوكة برجله لا بيده ، كل ذلك هوأخذ بالأسباب ، ونقض لتوكله المزعوم عندما خرج حافيا للحج.

ومن ذلك أيضا أن أحدهم كان إذا أراد أن يلتزم الصمت يخلو بنفسه ويعتزل الناس، لكنه يجعل من ((يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره))[552].فهذا الصوفي اتخذ كل الأسباب التي تسهل عليه مهمته، منها أسباب طعامه وشرابه . فأين التوكل الصوفي الذي ينكر الأخذ بالأسباب عامة والتكسب خاصة ؟؟ !! . فهل هو متوكل على الله حسب التوكل الصوفي، أم هو متوكل على الأسباب التي اتخذها ؟؟!! . إنه بناءً على التوكل الصوفي فهو متوكل على تلك الأسباب لا على الله تعالى. لأنه نقض التوكل الصوفي، وتناقض معه ومع نفسه بحكم أنه صوفي .

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن الصوفية أعطوا للتوكل مفهوما يتفق مع تصوفهم في الدعوة إلى التواكل والسلبية من جهة؛ ومخالف للشرع والواقع من جهة ثانية؛ ، ونقضوا توكلهم بسلوكياتهم العملية من جهة ثالثة. فتركوا التوكل الإيجابي المنتج والموافق للشرع والعقل ، وأخذوا بالتوكل السلبي الذي يتفق مع تصوفهم في دعوته إلى تعطيل الشرع وترك عمارة الأرض. وهو توكل تبين أنه مخالف للشرع والعقل والعلم، ويستحيل الأخذ به في الواقع ؛ وإنما الصوفية هم الذين فصلوه على مقاسهم ليتفق مع أصول العبادة الصوفية في دعوتها إلى ترك الدنيا والتفرغ للعبادة وفق المنظور الصوفي. إنهم قالوا به ليس جهلا بالشرع ، وإنما هو أمر مُتعمد عن سبق إصرار وترصد ليتفق مع العبادة الصوفية .

---

[552] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 76 .

واتضح أيضا أن زعم الصوفية بأنهم تركوا الأسباب توكلا ، ما هو إلا تغليط وتلبيس واحتيال تحصيلا لمصالحهم ورغباتهم بطرقهم الخاصة بهم . إنهم نقضوا توكلهم وطلبوا الأسباب بمرقعاتهم ودعاويهم العريضة والطويلة،وبجلوسهم للطرب والرقص، وبتسولهم واستعطافهم للناس ليتصدقوا عليهم . لكن المتأخرين منهم تجاوزوا المتقدمين ، وأصبحوا يسعون إلى الناس ويُعرضون عليهم حاجاتهم " توكلا "، لحضور ولائمهم، فيمضون ليلهم في الغناء والرقص إلى الصباح[553]. حتى أصبح يُقال: ((نعوذ بالله من العقرب والفار ، ومن الصوفي إذا عرف الدار))[554].

وختاما لهذا الفصل- الثاني- يُستنتج منه أولا أن الصوفية أسسوا عبادتهم على ثلاثة أصول أساسية مترابطة ، هي: الحب الصوفي، وترك الدنيا، والتوكل الصوفي . فتبين من نقدنا لها أنها أصول مخالفة للشرع، والعقل،والعلم .وأنها معطلة لدين الإسلام ،وتعمل على هدمه مع تسترها به. وأنها أصول أقامها الصوفية على ظنونهم وأهوائهم، وأوهامهم وخيالاتهم، وتلبيسات وشبهات نفوسهم وشياطينهم .

وتبين أيضا أن الصوفية استخدموا روايات حديثية وتاريخية كثيرة لتأييد أصول العبادة الصوفة من دون حرص على تحصيل الصحيح منها، وبلا أي تحقيق لها في الغالب الأعم. فتوصلنا من ذلك إلى أن أية رواية حديثية تتعلق بالحب الصوفي، أوبترك الدنيا، أوبالتوكل الصوفي فهي إما أنها روايات صحيحة لكن الصوفية حرّفوا معانيها ، وإما أنها روايات مكذوبة.مما يعني أنه لا توجد أية رواية حديثية صحيحة توافق أصول العبادة الصوفية.

•••••

[553] أنظر مثلا: قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ص: 291 .

[554] السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ص : 125 .

الفصل الثالث
نقد الروايات والأفكار المؤسسة للعبادات الصوفية
- نقد الطريق الصوفي-

أولا: العزلة والخلوة .
ثانيا : الجوع والعطش عند الصوفية .
ثالثا: الصمت والسهر(قلة النوم) .
رابعا : الحث على العزوبية وتفضيلها على الزواج.
خامسا: مدح الفقر وذم الغنى .
سادسا: الذكر والغناء عند الصوفية .

نقد الروايات والأفكار المؤسسة للعبادات الصوفية
- نقد الطريق الصوفي-

بعدما أصل شيوخ الصوفية للعبادة في التصوف بثلاثة أصول(الحب الصوفي، ترك الدنيا ، التوكل الصوفي)، أقاموا عليها ما يتفق معها من العبادات والممارسات المعروفة بالطريق الصوفي. منها: العزلة والخلوة، والجوع ، والصمت والسهر، والحث على العزوبية وتفضيلها على الزواج ، ومدح الفقر وذم الغنى، والذكر والغناء. أسسوها بالروايات الحديثية والتاريخية، وبمفاهيم أصول العبادة الصوفية، وبأفكار شيوخ التصوف . فما تفاصيل ذلك ؟، وما مدى انسجام العبادات الصوفية بأصولها الثلاثة ؟، وما حقيقة تلك العبادات في ميزان الشرع والعقل والعلم؟.

أولا: العزلة والخلوة[555] :

تُعد االعزلة أول عبادة صوفية مارسها الصوفية وحثوا عليها، وهي نتيجة حتمية لأصول العبادة الصوفية في قولها بترك الدنيا والتوكل السلبي. وعليها ستقوم عبادات وممارسات الطريق الصوفي قصد الوصول إلى

---

[555] ربما لا يفرق بعض أهل العلم بين العزلة والخلوة، لكن المُدقق فيهما يجد فارقا بينهما، فالعزلة تكون باعتزال الناس عامة، لكنها ليست عزلة تامة، فقد يبقى المعتزل مع بعض الناس. لكن الخلوة أخص، وفيها يختلي المعتزل بنفسه عن كل الناس، كأن يدخل زاوية أو بيتا ويغلق على نفسه .

غايات العقيدة الصوفية. ولهذا اهتم بها شيوخ الصوفية ومارسوها وحثوا مريديهم عليها وأشرفوا عليهم في دخولها .

فمن ذلك قول داود الطائي (ت 165 هـ) : ((: صُمْ عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس كفرارك من السبع))[556].

وقيل للحارث المحاسبي(ت 243 هـ) : ((ما علامة الأنس بالله ؟، قال: التوحش من الخلق، قيل له: فما علامة التوحش من الخلق ؟، قال: الفرار إلى مواطن الخلوات ،والتفرد بعذوبة الذكر ،فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش))[557].

وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال: ((من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة))[558]. وذكر أن مما انفرد به الصوفي: الخروج عن الأوطان، وقطع المحاب وترك ما علم وجهل))[559].

وعن الشبلي أنه قال: ((أَلزِم الوحدة ،وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت))[560].

وقال ذو النون المصري: ((" لم أر شيئاً أَبْعثَ لِطَلبِ الإخلاص، من الوحدة؛لأنه إذَا خلا، لم يرِ غيرَ الله تعالى؛ فإذا لم يرِ غيرَه، لم يُحرِّكْه إلا حكمُ الله. ومن أحبَّ الخَلْوة، فقد تعلَّق بعمودِ الأخلاص، واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصدق "))[561].

وعن يحيى بن معاذ أنه قال: ((الصبرُ على الخَلْوةِ من علامات الإخلاص)) [562]. وذكر سهل بن عبد الله التستري أن الخير اجتمع في أربع خصال ، منها اعتزال الناس[563].

---

[556] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 12 .
[557] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 107 .
[558] القشيري، الرسالة، ص: 50 .
[559] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 136 .
[560] ابن عساكر: تاريخ دمشق ، دار الفكر، بيروت ، ج 66 ص: 121 .
[561] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 25 .
[562] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 45 .
[563] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1 ص:136 .

وقال أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البغدادي: ((أصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفع الحدث وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما عُلم وجُهل))[564].

وعن شقيق البلخي أنه قال : ((العبادة حِرفة، وحانوتها الخلوة، و آلاتها الجوع))[565].

وقال أبو طالب المكي: ((الخلوة أفضل المعاني، وفيها يجد لذة الوجود وحلاوة المعاملة، ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره، فيحمل حاله على حال غيره فيقصر، أو يقوم بحكم آخر فيعجز، ويعالج شيطاناً آخر مع شيطانه، وتنضم نفس أخرى إلى نفسه، وله في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه أكبر الأشغال))[566].

وقال المؤرخ الصوفي أبو بكر الكلاباذي في وصف الصوفية، فذكر من صفاتهم أنهم : ((((قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الاخدان وساحوا في البلاد ...))[567].

وذكر أبو حامد الغزالي أن الطريق الصوفي يتكون من أربع ممارسات ، منها الخلوة[568].
وقال الشهاب السهروردي عن الخلوة الصوفية الأربعينية : ((فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا))[569]. وذكر أن مشايخ الصوفية اتفقوا على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء ، منها: الاعتزال عن الناس...))[570].

ومن الأحاديث التي احتج بها الصوفية في تأييد قولهم بالعزلة حديثان ذكرهما الصوفي أبو نعيم الأصبهاني ، الأول: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، ثنا سفيان بن وكيع، ثنا عبدالله بن رجاء ،عن ابن جريج ،عن ابن أبي مليكة، عن عبدالله بن

---

[564] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 135 .
[565] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 144 .
[566] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .
[567] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 21 .
[568] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .
[569] السهروردي: عوارف المعارف، ج 2 ص: 38 .
[570] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ،حققه عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ، ج 2 ص: 52 .

عمرو قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى بن مريم عليهما السلام))[571].

والثاني: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو غانم سهل بن اسماعيل الفقيه الواسطي، ثنا عبدالله بن الحسن، ثنا اسحاق بن وهب، ثنا عبدالملك بن يزيد ،ثنا أبو عوانة ،عن الأعمش ،عن أبي وائل ،عن عبدالله بن مسعود... قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- : يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا رجل يفر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر))[572].

وردا عليهم أقول:

أولا إن من يعتزل الناس مطلقا وينفرد بنفسه فهو مخالف للشرع مخالفة صريحة، ومن يفعل ذلك لا يسلم له دينه –أي دين الإسلام- وإنما تسلم له العبادة الصوفية، فهي التي تتفق مع العزلة والخلوة.فهما من علامات الإخلاص للعقيدة الصوفية ، وليستا من علامات الإخلاص لدين الإسلام. لأن من يفعلهما فقد خالفه وعمل على تعطيله لا على الاخلاص له والالتزام به. ومن يعتزل فهو يعطل الإسلام ولا يطبقه، فكيف يسلم له دينه وهو لم يطبقه؟؟ . ومن يعتزل العزلة الصوفية فهو وقع في شباك الشيطان لا أنه تغلب عليه كما زعم أبو طال المكي. وعليه فمن يفعلهما فقد خالف الشرع وحرم نفسه من صلوات الجماعة في المسجد، ومن التعاون مع إخوانه على البر والتقوى، ومن الجهاد في سبيل الله بالقول والمال والنفس. ومن هذا حاله لا يستريح بدنه، ولا قلبه ، وإنما يكون قد أضر بهما ضررا بليغا وعرضعهما لغضب الله وعقابه من جهة ، وأفسدهما بغوائل وسلبيات وضلالات التصوف من جهة أخرى. فالعزلة التي يدعوا إليها التصوف وأهله هي عزلة قاتلة ومدمرة لدين المسلم وعقله وبدنه ومجتمعه.

وأما قولهم بأن الصوفي يجد راحته وأذواقه في العزلة والخلوة ، فإن الحقيقة هي أن ما يجده هؤلاء من أحوال فهي أذواق ومواجيد مغشوشة وفاسدة غالبا، انعكست عليهم من مجاهداتهم الصوفية وبمخالفتهم للشرع وتعطيله.،وليست مواجيد شرعية، ولا إيمانية صحيحة ،لأن هذه الأنوار لا

[571] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .
[572] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .

ينالها إلا المؤمنون الأتقياء الملتزمون بدين الله تعالى. وما يحصل للصوفية من مواجيد لا يختلف عما يحصل للرهبان والنساك من مختلف الأديان والمذاهب.

وأما قولهم بأن الصوفي يجاهد نفسه في خلوته ويحملها على مخالفة هواها، فهو تغليط وتحريف وتحايل على الشرع وعلى الناس. لأن الذي يجاهد نفسه حق الجهاد يحملها على الالتزام بدين الله تعالى، ولا يحملها على مخالفته وتعطيله والدعوة إلى السلبية والكسل والتواكل كما هو حال التصوف وأهله. لكن القوم صادقون مع أنفسهم من جهة أنهم يُجاهدون أنفسهم ليس لطاعة الله ورسوله ، وإنما يُجاهدونها لتلتزم بالعبادة الصوفية المخالفة لدين الله منطلقا وفروعا وغاية.

ولذلك فإن قول أبي حامد الغزالي بأن المجاهدة الصوفية هي:((مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة))[573].فهو في الحقيقة مجاهدة ليست لمضادة الشهوات المحرمة فقط، وإنما هي لمضادة الشهوات والملذات الحلال أيضا التي هي تستجيب لغرائز ودوافع طبيعية فينا مخلوقة لأداء ضروريات حياتية واجتماعية، وتعطيلها يضر بالإنسان وعمارة الأرض. علما بأن المجاهدة الصوفية ليست من أجل تطبيق الإسلام والدعوة إليه ، وإنما هي من أجل مخالفته طلبا للفناء في الله التي هي كبرى غايات العقيدة الصوفية . لأن غايتهم هذه لن تتحقق لهم إلا بمخالفة الشرع والعقل والعلم كما سيتبين لنا لاحقا .

وثانيا إن العزلة المطلقة عن الناس ليست ركنا من أركان التربية في الإسلام . لأن دين الله تعالى يفرض على المسلمين الصلوات جماعة في المساجد، والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، والجهاد في سبيل الله. والأخذ بالعزلة الصوفية هو تعطيل للشرع وهدم له. لكن هذا لا يتنافى مع العزلة الجزئية التي لا ينفصل فيها المسلم عن أخوانه ، ولا يترك الصلوات في المساجد، وإنما يُكثر من المكوث في بيته للعلم أو لأمر آخر نافع. فهذه العزلة ليست مخالفة لديننا ، وإنما العزلة المطلقة التي يقول بها الصوفية هي المخالفة للدين والمعطلة له .

---

[573] الغزالي: الاحياء، ج 3 ص: 77 .

وحتى إذا أبيحت العزلة لبعض الأفراد في أيام الفتن كما جاء في الحديث: ((ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به))[574]. فهي ليست اصلا في الإسلام ، وإنما هي رُخصة مؤقتة لبعض الأفراد ، وليست أصلا مأمورا به ، ولا هي تشريعا للأمة. بدليل قوله تعالى: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(الحجرات: 9)). فالله تعالى لم يأمرنا بالاعتزال وترك الطائفتين تقتتلان ، وإنما أمرنا بأن نتدخل للصلح بينهما وإحقاق الحق حتى وإن تطلب الأمر مقاتلة الطائفة الباغية.

ومن الأحاديث التي تنهي عن العزلة: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه قال « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[575].

والثاني: عن أبي هريرة- رضي الله عنه – أنه قال : ((مر رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله...))[576].

وثالثا إن قولهم بالخلوة الأربعينية، فهي ليست من دين الإسلام ، فلم يثبت أن الشرع أمر بها، وهي مانعة من حضور الصلوات في المساجد، والتعاون على البر والتقوى . وعليه فلا يُمكن ولا يصح أن تكون سببا في زيادة الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع. قال سبحانه : ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة: 282))،و((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت: 45)). وبما أن تلك الخلوة أوقعتهم في المخالفات الشرعية ، فهي سبب في عصيان الله تعالى والبعد عنه لا في زيادة الإيمان.

---

[574] البخاري: الصحيح، ج 9 ص: 51، رقم: 7081 .

[575] مسلم : الصحيح، ج 1 ص: 50 ، رقم: 186 .

[576] الحديث حسن . الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ج 4 ص: 150 ، رقم: 1650 .

وهي من جهة أخرى دليل دامغ على تقديم الصوفية لعباداتهم على العبادة الشرعية، مما يجعلهم فريسة لأهوائهم وتلبيسات وشبهات نفوسهم وشياطينهم . وما يحصل لهم من مواجيد لا يُمكن أن يكون علما صحيحا ونافعا. لأن العلم الصحيح والنافع يحصل بتقوى الله والالتزام بشرعه لا بخلافه . لكنها من مواجيد العبادات الصوفية التي تنعكس على أصحابها في طريقهم الصوفي طلبا لغاية التصوف الكبرى التي يخفونها عن غيرهم.

ولا تصح المقارنة بين تلك الخلوة والخلوة الشرعية، ونعني بها الاعتكاف في العشر الأواخر في رمضان كما كان يفعل النبي-عليه الصلاة والسلام-[577] . وهي ليست خلوة مُطلقة، لأنها تتم في المسجد ولا تخلوا من اجتماع بالناس كحضور الصلوات الخمس . وهي ليست واجبة بها بل سنة. وهذا خلاف الخلوة الصوفية التي تتم عندهم بعيدا عن الناس ،أو في الصحاري، أو البيوت ، وفي كل الأوقات ، بل وهي من أساسيات الطريق الصوفي. فلا تصح المقارنة بين الاعتكاف الشرعي وبين الخلوات الصوفية.

علما بأنه كما للصوفية تلك العزلة الفردية، فلهم أيضا عزلة جماعية خاصة بهم يعقدونها بعيدا عن غير الصوفية لعقد مجالس الغناء ، وتبادل الخبرات، وإظهار عقائدهم وأسرارهم التي يخفونها عن المسلمين[578].فهي إنسحاب جماعي من المجتمع، وترك للتكسب ،وإهمال للعيال والواجبات الأخرى من جهة؛ وتكوين تجمع جديد متواكل متعاون على السلبية واللهو من جهة أخرى .

وبما أن تلك العزلة الصوفية ليست من دين الإسلام ، فهي متأثرة في ظهورها بأحوال شيوخ الصوفية وتجاربهم من ناحية ؛ وبخلوات اليهود والنصارى والهنود من ناحية أخرى[579].

ورابعا إن قول ذي النون: ((" لم أر شيئاً أَبْعثَ لِطَلَبِ الإخلاص، من الوحدة؛لأنه إذَا خلا، لم ير غيرَ الله تعالى؛ فإذا لم ير غيرَه، لم يُحرِّكْه إلا حكمُ الله. ومن أحبَّ الخَلْوة، فقد تعلَّق بعمودِ الأخلاص، واستمسك بركنٍ

---

[577] مسلم: الصحيح ، ج 7 ص: 8 ، رقم: 5809 .

[578] تكلمنا في الفصل الأول عن ممارسة الصوفية للتقية، وفي الفصل الرابع سنفصل في بعض أسرارهم وعقائدهم التي يخفونها عن المسلمين.

[579] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 113 . و أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 30 . و إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 102 وما بعدها .

كبير من أركان الصدق "))[580]. فليس صحيحا أن من تعلق بالخلوة يكون بالضرورة قد تعلق بعمود الإخلاص لله تعالى. لأنه أولا إن الله تعالى أمرنا بالأخلاص وتطبيق شريعته وعمارة الأرض، ولم يأمرنا بالخلوة الصوفية ولوكان الإخلاص يتحقق بها أساسا لأمرنا بها-أي الخلوة الصوفية- ولَمَا أمرنا بتطبيق دينه وعمارة الأرض. لأن هذه الأوامر تتنافى مع الخلوة الصوفية. وبما أنه سبحانه أمرنا بالأخلاص و تطبيق شريعته وعمارة الأرض فهذا يعني أن الأخلاص الشرعي لا يتحقق بالخلوة الصوفية وإنما يتحقق بالالتزام بالشرع وعمارة الأرض. وأما الخلوة الصوفية فهي تحقق الإخلاص الصوفي القائم على العبادة الصوفية المخالفة للشرع والمعطلة له.

ولأنه ثانيا فمن الممكن أن يختلي الإنسان ليس إخلاصا لله ، وإنما لغايات دنيوية في نفسه يريد تحقيقها آجلا أو عاجلا، كأن يُمارس عبادته مدة حتى يسمع به الناس، فيأتون إليه ، أو يخرج إليهم فيستخدمهم لمصالحه. وقد يختلي لرغبة نفسية في الخلوة لينفرد بنفسه إما عجزا عن مخالطة الناس، أو طلبا للراحة والتأمل. وقد يختلي بنفسه لوساوس شيطانية فيُؤثر فيه الشيطان ويجره إلى طريقه ويستحوذ عليه ويهلكه ، قال سبحانه: ((اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(المجادلة : 19)). فالخلوة لا توصل بالضرورة إلى الإخلاص لله تعالى كما زعم الرجل، وإنما قد توصل صاحبها إلى الإخلاص لغايات أخرى .

علما بأن الإخلاص الصحيح ليس مرتبطا بالخلوة ولا بالمخالطة، وإنما مرتبط بالنية وصدق التوجه إلى الله تعالى والالتزام بشرعه . بل إن الأصل في ديننا هو الخلطة لا الخلوة المطلقة، فنحن مُطالبون بالعزلة عن الشر لا بالعزلة عن الخير ومخالطة الناس. وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- سيد المخلصين ومعه أصحابه الكرام ومع ذلك كانوا مثالا رائعا في الجمع بين الإخلاص والمخالطة والاعتكاف من دون أن يُمارسوا الخلوة الصوفية.

لكن يجب أن ننتبه إلى أن ذا النون تكلم عن الإخلاص والخلوة بلسان العبادة الصوفية لا الشرعية. فقوله يتفق تماما مع عبادته ، ومخالف للشرع.فهذا الصوفي وأصحابه أقاموا أصول وأساسيات تصوفهم كله على مخالفة الشرع – كما تبين وسيتبين لاحقا- ؛ لكنهم من جهة أخرى كانوا

[580] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 25 .

حريصين جدا على أن يتستروا بالإسلام باستخدام العبارات والمصطلحات الإسلامية بمضامين صوفية لا شرعية لغايات صوفية في نفوسهم مُخطط لها سلفا .

وأما نصيحة داود الطائي (ت 165 هـ) :((: صُمْ عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرَّ من الناس كفرارك من السبع))[581]. فهي غير صحيحة في معظمها ، وهي نصيحة صوفية لا شرعية. لأن الأصل في حياة البشر الاجتماع وعمارة الأرض لا العزلة، والأصل في حياة المسلمين الخلطة بتطبيق الشرع ، كالتعاون على البر والتقوى وإقامة الصلوات الخمس جماعة في المساجد . قال تعالى: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة : 2))، و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))، و ((انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(التوبة : 41)).

ولذلك فنصيحة داود الطائي هي نصيحة صوفية مُعطلة للشرع،ومدمرة للعمران البشري ، وضررها أكثرمن نفعها حتى على الصوفية أنفسهم، وقد تُدخل صاحبها في مخاطر كثيرة وتجعله فريسة لوساوس وشُبهات نفسه وشيطانه.

وخامسا إن الأحاديث التي يحتج بها الصوفية لتأييد قولهم بالعزلة الصوفية، فهي إما أنها غير صحيحة، وإما أنها مُؤوّلة تأويلا فاسدا تعضيدا للتصوف . منها الحديثان اللذان رواهما الصوفي أبو نُعيم الأصبهاني بإسناده : ((عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم- أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء، قيل: ومن الغرباء، قال: الفرارون بدينهم يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى بن مريم -عليهما السلام-))[582].

والحديث الثاني :((قال ابن مسعود: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا رجل يفر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر))[583].

---

[581] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 12 .
[582] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .
[583] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .

وأقول: الحديث الأول: ضعيف الإسناد[584]. والثاني ضعيف أيضا[585]. وأما متنهما فلا يصحان لما سبق أن ذكرناه في الرد على الخلوة الصوفية، فلا نعيد ذكره هنا .

ومنها أيضا الحديث الثالث الذي ذكره أبو طالب المكي بقوله: ((وروينا عن عيسى عليه السلام: أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعلّ قلوبكم ترى الله عزّ وجلّ. وقد رواه عبد الرحمن بن يحيى الأسود عن طاوس رفعه إلى رسول الله -صلى الله عليه-))[586].

وأقول : هذا الحديث ذكره أبو طالب المكي بلا إسناد كعادة الصوفية، ولا حرص على توثيقه وتحقيقه . وقد ذكر الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء أنه لم يجد هذا الحديث[587]، مما يدل على أنه حديث مُختلق. وأما متنه فباطل أيضا بسبب إسناده ولما سبق أن ذكرناه في نقدنا للخلوة الصوفية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الصوفية قد يُدافع عن الخلوة الصوفية بما كان يفعله النبي-عليه الصلاة والسلام- قبل نبوته عندما كان يخلو بغار حراء يتحنث الليالي ذوات العدد[588]. وقد يحتج أيضا بقوله تعالى: ((وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ)(البقرة: 51)).

وأقول: لا يصح الاحتجاج بتلك الخلوة، لأنه أولا إن خلوة النبي عليه- الصلاة والسلام- في غار حراء لم تكن خلوة صوفية القصد منها بلوغ حالة الفناء في الله كما يزعم الصوفية . وثانيا إن خلوته عليه الصلاة والسلام كانت قبل نبوته، فهي ليست تشريعا ولا نحن مطالبون باتباعه قبل نبوته. ثم أنه عندما أكرمه الله تعالى بالنبوة، لم يرجع إلى تلك الخلوة، ولا أمر الصحابة بها .
وأما تلك الآية فهي أيضا لا يصح الاحتجاج بها لأنها خاصة بالنبي موسى -عليه السلام- ولم تحدث لغيره، ولا أمر أصحابه بها. ولأن شريعتنا نسخت كل الشرائع السابقة فنحن مطالبون باتباع شريعتنا لا شرائع الأنبياء

[584] الألباني: الضعيفة، ج 4 ص: 358 ، رقم: 1859 .
[585] الألباني: الضعيفة، ج 8 ص: 268 ، رقم: 3270 . و ضعيف الترغيب والترهيب، ج 2 ص: 111 ن رقم: 1637.
[586] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 113 .
[587] أنظر : ج 3 ص: 81 .
[588] البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 7 رقم: 3 .

السابقين التي اختصوا بها.قال تعالى: ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)(المائدة : 48)). وعليه فلا يصح فعل ما كان خاصا بموسى -عليه السلام- ،ولا بما كان خاصا بالأنبياء الآخرين وأقوامهم.

وبذلك يتضح مما ذكرناه أن العزلة الصوفية- الخطوة الأولى من الطريق الصوفي- هي عزلة تنسجم تماما مع أصول العبادة في التصوف، وتطبيق عملي لأصولها. وهي من جهة أخرى ليست عزلة شرعية: منطلقا ،ولا ممارسة، ولا غاية ، لأنها معطلة للدين وعمارة الأرض.

ثانيا : الجوع والعطش عند الصوفية :

يُعد الجوع والعطش عند الصوفية هما الخطوة العملية الثانية في تطبيق الطريق الصوفي.وقد اهتم بهما شيوخ الصوفية عامة والأوائل منهم خاصة اهتماما كبيرا ، لأنهما نتيجة طبيعية لموقفهم من الدنيا، ودعوتهم إلى الخلوة الصوفية. ولأنهما الخطوة العملية الضرورية التي تُدخل الصوفي في صراع عنيف مع أمعائه وأعصابه وكل كيانه قصد بلوغ غاية العبادة الصوفية التي يتحدث عنها معظم الصوفية بالإشارة لا بالعبارة.

فمن أقوالهم في مدح الجوع والعطش والحث عليهما، أن جارية داود الطائي قالت له : ((أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءةُ خمسين آية))[589].

وعن بشر الحافي أنه قال: ((إن الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق)) [590]. وقال له رجل : ((بأيِّ شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية وأجعلها إداماً ؟))[591].

وعن أبي سليمان الداراني أنه قال : ((عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي))[592]. وعن حاتم الأصم أنه قال: ((من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض، وهو الجوع ...))[593].

---

[589] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 54 .
[590] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج 2 ص: 284 .
[591] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 50 .
[592] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 84 .
[593] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 63 . والخصلتان الباقيتان سيأتي ذكرهما في موضع آخر من كتابنا هذا .

وقال أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي (ت 303 هـ):: ((اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان، فاستقيت من دار، ففتحت صبيَّة بابها، ومعها كوز، فلما رأتني قالت: صوفيٌّ يشرب بالنهار!! فما أفطرتُ بعد ذلك اليوم قط))[594].

وعن أبي حمزة الصوفي(ق: 3 هـ) أنه قال: ((من رُزق ثلاثة أشياء، فقد نجا من الآفات: بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم))[595]. وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع؛ وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات))[596].

وعن أبي يزيد البسطامي أنه قال: ((الجوع سحاب، فإذا جاع العبد مطر القلب الحكمة))[597]. وسُئِل : " بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفَة؟ " . فقال: ((" ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ "))[598].

وقال سهل التستري : اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالاً ، مها إخماص البطون[599] . وقال: ((لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع: المعصية والجهل، وجعل في الجوع: العلم والحكمة))[600]. قال : اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء، منها : قلة الطعام [601]. وقال : « الجوع سر الله في أرضه ، لا يودعه عند من يذيعه »))[602]. وقيل أنه ((كان لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً؛ فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال، وكان يفطر كل ليلة على الماء القَرَاح))[603]. أي الماء الصافي .

وعن يحيى بن معاذ أنه قال : ((لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره))[604]. و قال : ((

---

594 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 85 .
595 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 107.
596 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 78 .
597 أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 84
598 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 73 .
599 أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1 ص:136 .
600 القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 48 .
601 نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 102 .
602 الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 49 ص: 61 .
603 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270-271.
604 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270-271.

الجوع نور، والشبع نار، والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه))[605].

وقال أبو عبد الله محمد بن خفيف : ((دخل أبو طالب خزرج بن علي شيراز ، فاعتل علة الذرب ، فكنت أخدمه وأقدم إليه الطست في الليل مرارا ، وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة ، وكنت لا أفطر إلا على الباقلاء اليابس ، فسمع أبو طالب ليلة كسري الباقلاء بأسناني ، فقال لي : ما هذا ؟ فعرفته حالي وأني لا آكل غير ذلك ، فبكى وقال : الزم هذا يا أبا عبد الله ، فإني كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا في دعوة ببغداد ، فقدم إلينا حمل مشوي ، فأمسكت يدي ، فقال لي بعض أصحابنا : كل بلا أنت ، « فأكلت لقمة ، فأنا منذ أربعين سنة إلى خلف ، ثم تماثل وخرج إلى بعض النواحي ، وجلس في رباط وسود داخل الرباط وخارجه ، وقال : هكذا جلوس أهل المصائب ، فما خرج منه حتى مات »))[606].

وعن أبي علي شقيق بن إبراهيم البلخي(ت 194 هـ) أنه قال: ((العبادة حِرفة، وحانوتها الخلوة، و آلاتها الجوع)) [607]. وعن أبي علي الروذباري أنه قال : ((إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع، فالزموه السوق، وأمروه بالكسب))[608]. وقال أبو عثمان المغربي: ((الرَّباني لا يأكل في أربعين يوماً، والصمداني في ثمانين يوماً)) [609].

وذكر الحسين المغازلي أنه رأى الصوفي ((عبد الله القشاع ليلة قائما على شط دجلة وهو يقول: يا سيدي أنا عطشان يا سيدي أنا عطشان حتى أصبح فلما أصبح قال: يا ويلتي تبيح لي شيئا وتحول بيني وبينه وتخطر علي شيئا وتخلي بيني وبينه فأيش أصنع ورجع ولم يشرب منه))[610].

ووصف أبو بكر محمد الكلاباذي الصوفية بأنهم : ((قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الاخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد و ...))[611]. وقال أيضا: ((سمعت فارسا يقول: قلت لبعض الفقراء مرة -

[605] القشيري: الرسالة، ص: 66 . ويحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 134 .
[606] الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 60 ص: 77 .
[607] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 144 .
[608] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 48 .
[609] القشيري: الرسالة، ص: 66 .
[610] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل أهل التصوف ، ص: 148 .
[611] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 21 .

ورأيت عليه أثر الجوع والضر -: لِمَ لا تسأل الناس فيطعموك؟ قال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني، فلا يفلحوا؛ وقد بلغني عن النبي ﷺأنه قال: لو صدق السائل ما أفلح من مَنَعَه "))[612].

وقال الصوفي أبو طالب المكي: ((وفي خبر عن عيسى -عليه السلام-: يامعشر الحواريين جوّعوا بطونكم ،وعطشوا أكبادكم ،وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عزّ وجلّ))[613].

وقال عبد الكريم القشيري: ((ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك))[614]. وقال أيضا : ((وأوحى الله سبحانه إلى داود- عليه السلام-: يا داود، حذر، وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة))[615].

وعن أبي حامد الغزالي أنه قال: ((أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة))[616]. وذكر أن الطريق الصوفي يتكون من أربعة أمور أساسية ، منها الجوع [617].

وقال الشهاب السهروردي صاحب العوارف : ((فإذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع الإفطار جانبا ، فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : " من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا ، وعقد تسعين ...))[618].وذكر أن صوفيا قال: ((إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه ، فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا))[619].

---

[612] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 113-114 .
[613] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ص: 132.
[614] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270.
[615] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 286.
[616] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .
[617] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .
[618] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 143 .
[619] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 145 .

علما بأن الجوع عند الصوفية لا يقصدون به الجوع العادي الذي يحتمله كل الناس، كجوع الصيام ، وإنما يقصدون به الجوع الشديد المخالف للشرع، والمُضر بالإنسان والمُعطل لطاقاته؟ . وقد يُعبرون عنه بقلة الطعام ، كقول الشهاب السهروردي صاحب العوارف : ((وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام ،وقلة المنام ،وقلة الكلام والاعتزال عن الناس . وقد جعل للجوع وقتين ، أحدهما : آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين ، كما ذكرنا ، والوقت الآخر : على رأس اثنتين وسبعين ساعة ، فيكون الطي ليلتين والإفطار في الليلة الثالثة ، ويكون لكل يوم ثلث رطل ، وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ، ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل ، وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج عليه سآمة وضجراً وقلة انشراح في الذكر والمعاملة ، فإذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو في الوقت الواحد ، فالنفس إذا أخذت بالإفطار من كل ليلتين ليلة ، ثم ردت إلى الإفطار كل ليلة تقنع ، وإن سومحت بالإفطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الإدام والشهوات ، وقس على هذا ، فهي إن أُطمعت طَمعت ، وإن أُقنعت قَنعت . وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة بقدر نشاف العود . ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر. ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة . وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيّهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين))[620].

ومن أقوالهم وأحوالهم مع الجوع والعطش، أنه قيل لأبي يزيد البسطامي: ((ما أشد ما لقيتَ في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه. فقيل له: ما أهون ما لقيَت نفسُك منك؟ فقال: أمَّ هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمنعتها الماءَ سنة))[621].

وعن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: ((قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ ... ثم رجعت لي تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرْق فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر كلَّ ليلة على أوقية واحدة بحتاً، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم

---

[620] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف، ،ج 2 ص: 52.
[621] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 58 .

سنة. ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليالٍ، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر...))[622].

وقال أبو الفرج الموحد إبراهيم بن إسحاق بن البري : ((قال لي أبو صالح مفلح بن عبد الله : أقمت أربعين يوما ما شربت ماء ، فلما مضى أربعون يوما أخذ بيدي الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمدويه ، وحملني إلى بيته ، فأخرج لي ماء ، وقال : اشرب فشربت ، فحكت لي امرأته أنه قال لها : « اشربي فضلة رجل له أربعون يوما ما شرب » ، قال أبو صالح : وما اطلع على تركي لشرب الماء أحد غير الله تعالى))[623].

وقال أبو نعيم الأصبهاني ((حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا إسحاق بن أحمد الفارسي، قال: سمعت أبا زرعة يقول: كان يأتي على محمد بن عمرو المغربي ثمانية عشر يوما لا يذوق فيها ذواقا لا طعاما ولا شرابا ما رأيت بمصر أصلح منه))[624]. و: ((حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا محمد بن يحيى، ثنا إبراهيم بن أبي أيوب، ثنا محمد بن عمرو المغربي وكان يأكل في شهر رمضان أكلتين من غير تكلف يأكل في كل خمسة عشر يوما))[625].

وقال أيضا : ((سمعت أبا بكر الطوسي الدينوري بمكة يقول سمعت شيخي إبراهيم يقول سمعت أبا عبدالله المغربي يقول: كان لي شيخ أصحبه يشرب في كل أربعة أشهر شربة من ماء. يعني صاحبه علي بن رزين عاش مائة وعشرين سنة توفي سنة خمس وعشرين ومائتين))[626].

وروى ابن الملقن أن الصوفي مفرج الدمياني (ت648 هـ) مكث ستة أشهر لا يأكل ولا يشرب، وقد ضربه سيده لكي يُوقف ما هو فيه فأبى ، وحسبه مجنونا[627].

وقال القشيري: ((سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي: أقام بمكة أربع سنين لم يأكل، ولم

[622] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 60 .
[623] الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 81 ص: 102 .
[624] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 128 .
[625] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 128 .
[626] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 228 .
[627] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 76 .

يشرب، إلى أن مات))[628]. وعن الصوفي أبي عبد الله الحصري أنه قال: ((رأيت رجلا مكث سبع سنين لم يشرب الماء))[629].

وروى المؤرخ الصوفي عبد الوهاب الشعراني أن أبا السعود الجارحي(ت نحو: 930 هـ)) : ((كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان لا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية))[630].

وللصوفية روايات حديثية كثيرة احتجوا بها تعضيدا وانتصارا للعبادة الصوفية. منها، قال القشيري: ((أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمج بن عبيد الصفَّار قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال: حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال: حدثنا محمد بن عبد الله، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: " جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بكسرة خبز لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ " .قالت: قرص خبزته، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام. وفي بعض الروايات: جاءت فاطمة، -رضي الله عنها-، بقرص شعير")). ثم علّق القشيري على الحديث بقوله: ((ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك))[631].

والحديث الثاني: قال أبو نعيم الأصبهاني :((حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد ،ثنا أبو إسماعيل الترمذي، ثنا يحيى بن بكير، ثنا ابن لهيعة ،عن عمارة بن غزية ،أن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أخبره أنه سمع أنس بن مالك يقول: أقبل أبو طلحة يوما فإذا النبي - صلى الله عليه و سلم- قائم يقرئ أصحاب الصفة على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع))[632].

---

628 القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 34 .
629 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 408 .
630 الشعراني: طبقات الصوفية ، ص: 468 .
631 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270.
632 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 342 .

والثالث: حديث أورده الشهاب السهروردي في عوارفه: عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت : ((ما شبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر))[633].

والرابع : أورده السهروردي أيضا : عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت أيضا: ((سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم، قلت: وكيف نديم قرع باب الجنة يا رسول الله؟ قال: بالجوع والظمأ))[634].

وآخرها طائفة من الأحاديث أوردها أبو حاد الغزالي في إحيائه ، فقال: ((بيان فضيلة الجوع وذم الشبع: قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم: "جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش" ...وقال ابن عباس قال النبي- صلى الله عليه و سلم- : "لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه" ... وقيل يا رسول الله: " أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي مما يستر به عورته" ... وقال النبي -صلى الله عليه و سلم- : " سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف " ... وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- " البسوا و((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة" ... وقال الحسن قال النبي -صلى الله عليه و سلم- " الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة" ... وقال الحسن أيضا قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم- " أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب"))[635].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض شيوخ الصوفية الذين غالوا في الجوع كانوا إذا أكلوا قد لا يأكلون الطعام البشري وإنما يأكلون غيره. منهم مثلا إبراهيم بن أدهم يُقال أنه كان يأكل الطين . فمن ذلك ، قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن العباس ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن أبي عباد ثنا سعيد بن حرب قال قدم إبراهيم مكة فنزل على عبدالعزيز بن أبي رواد ومعه جراب من جلد ظبية فعلق جرابه

---

[633] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 142 .

[634] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 118 .و شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 142 .

[635] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 80 .

على وتد ثم خرج الى الطواف فدخل سفيان الثوري دار عبدالعزيز فقال لمن هذه الظبية يعني الجراب قالوا لأخيك إبراهيم بن أدهم فقال سفيان لعل فيه شيئا من فاكهة الشام قال فأنزله فحله فاذا هو محشو بالطين فشد الجراب ورده الى الوتد وخرج سفيان فرجع ابراهيم وأخبره عبدالعزيز بفعل سفيان فقال أما إنه طعامي منذ شهر))[636]. وقال أيضا: ((حدثنا عبد الله ثنا سلمة ثنا الحسن بن عياش عن أبي معاوية ألأسود قال رأيت إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما ثم قال يا أبا معاوية لولا أن أتخوف أن أعين على نفسي ما كان لي طعام الا الطين حتى ألقى الله عز و جل حتى يصفوا لي الحلال من أين هو)) [637].

وقال عبد الكريم القشيري- مادحا للصوفي محمد بن إسماعيل المغربي (ت 299 هـ) - : ((كان عجيب الشأن، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعوّد أكلها))[638].

وردا على هؤلاء أقول:

أولا بما أنه تبين من أقوال هؤلاء الصوفية وأحوالهم أن الجوع عندهم ليس هو الجوع العادي، وإنما هو الجوع الشديد المُضر بالإنسان: نفسا وعقلا وجسما ؛ فإن موقفهم هذا مخالف للشرع مخالفة صريحة. لأن الله تعالى لم يأمرنا بترك الأكل والشرب إلى درجة الجوع المُضر بنا، ولا أمرنا بالإسراف فيهما ، وإنما أمرنا بالاعتدال فيهما ، على أن يكونا من الطيبات لا الخبائث. قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(المؤمنون: 51))، و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف : 32))، و((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)).

وأما من السنة النبوية فإن الأحاديث التي تذم الجوع الصوفي كثيرة، منها قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة))[639] . فهو –عليه الصلاة والسلام- يتعوذ من من الجوع المُضر بالإنسان، كجوع الصوفية ، ولم يتعوذ من الجوع العادي والشرعي- الصوم- .

[636] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 381 .
[637] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 381 .
[638] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 99.
[639] الحديث حسنه الألباني: صحيح أبي داود ، ج 1 ص: 288 ، رقم: 1368. وصحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 238، رقم: 3345 .

ومنها قول النبي-عليه الصلاة والسلام- ((إن لأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا))[640]. والجوع الصوفي يحرم النفس من حقها في الأكل والشرب ويلحق بها أضرارا كثيرة وخطيرة جدا تنتهي به في النهاية إلى الهلاك.

ومنها أحاديث ذمت الصوم الصوفي، فعن عبد الله بن عمرو قال: ((قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم- : ((لا صام من صام الأبد))[641].و((أفضَلُ الصّومِ: صومُ أخي داود؛ كان يصُومُ يوماً، ويفطرُ يوماً))[642]. ، و((يا عثمان ! إني لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سنتي ؟ ! قال : لا يا رسول الله ! قال : إن من سنتي أن اصلي وأنام وأصوم وأطعم وانكح واطلق ؛ فمن رغب عن سنتي ؛ فليس مني))[643].

ومنها أن الرسول- عليه الصلاة والسلام- لم يكن يحرم نفسه من أكل مختلف أنواع المأكولات الطيبة، ولا كان يُكثر منها أيضا ، ولا يحرم نفسه منها، ولا يُجبرها على أكل الطين ، أو الحشائش. لكنه إذا لم يجد، أو صام كان جوعه جوعا شرعيا ، وليس جوعا صوفيا . ومن الأحاديث الدالة على ذلك ، حديث : ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الحلواء والعسل))[644] . وعن أنس قال: دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رجل فانطلقت معه فجيء بمرقة فيها دباء- قرع- فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأكل من ذلك الدباء ويعجبه - قال - فلما رأيت ذلك جعلت ألقيه إليه ولا أطعمه. قال فقال أنس فما زلت بعد يعجبنى الدباء))[645].

وقد لخص ابن قيم الجوزية ما كان يأكله النبي-عليه الصلاة والسلام- فقال: ((وكذلك كان هديُه صلى الله عليه وسلم، وسيرتُه في الطعام، لا يردُّ موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، فما قُرِّبَ إليه شيءٌ من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافَه نفسُه، فيتركَه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، كما ترك أكل الضَّبِّ لمَّا لَمْ يَعْتَدْهُ ولم يحرمه على الأمة، بل أُكِلَ على مائدته وهو ينظر. وأكل الحلوى والعسل، وكان يُحبهما، وأكل لحم الجزور، والضأن، والدجاج، ولحم الحُبارى، ولحم حِمار الوحش،

---

[640] الألباني: السلسة الصحيحة، ج 1 ص: 393 ، رقم: 394 .
[641] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 285، رقم: 1385 .
[642] الألباني: السلسلة الصحيحة ، ج 10 ص: 227 ن رقم: 3990 .
[643] الألباني: السلسلة الصحيحة ، ج 1 ص: 750 ، رقم: 394 .
[644] البخاري الصحيح ، ج 7 ص: 110 ، رقم: 5614 .
[645] مسلم : الصحيح ، ج 6 ص: 121 ، رقم: 5447 .

والأرنب، وطعامِ البحر، وأكل الشواء، وأكل الرُّطبَ والتمرَ، وشرب اللبنَ خالصاً ومشوباً، والسويق، والعسل بالماء، وشرب نقيع التمر، وأكل الخَزِيرَة، وهي حَسَاء يتخذ من اللبن والدقيق، وأكل القِثَّاء بالرُّطَبِ، وأكل الأَقِطَ، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة، وهى الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكَبِدِ المَشوِيَّةِ، وأكل القَدِيد، وأكلَ الدُّبَّاء المطبوخةَ، وكان يُحبُّها وأكلَ المسلُوقةَ، وأكلَ الثريدَ بالسَّمْن، وأكلَ الجُبنَ، وأكلَ الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرُّطَبِ، وأكل التمر بِالزُّبْدِ، وكان يُحبه، ولم يكن يردُّ طَيِّباً، ولا يتكلفه. بل كان هديه أكلَ ما تيسر، فإن أعوزه، صَبَرَ حتى إنه ليربِطُ على بطنه الحجر من الجوع، ويُرى الهلالُ والهلالُ والهلالُ، ولا يُوقد في بيته نارٌ. وكان معظمُ مطعمه يوضع على الأرض في السُّفرة، وهي كانت مائدَته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعَقُها إذا فرغ، وهو أشرفُ ما يكون من الأكلة، فإن المتكبِّرَ يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريصُ يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة. وكان لا يأكل مُتكِئاً))[646] .

وبذلك يتبين أن الجوع الشرعي إن لم يكن صياما فهو قائم على الاعتدال في الأكل والشرب ، وإن كان صوما فهو أيضا مُحكوم بالاعتدال في الأكل والشرب، وبمدة زمنية حددها الشرع طاعة لله تعالى. وهذا خلاف الجوع الصوفي الذي لا يلتزم بالصوم الشرعي زمنيا، ولا يقوم على الاعتدال في الأكل والشرب، وإنما يقوم على الغلو والمبالغة في الجوع والعطش التزاما بالعبادة الصوفية .

وثانيا إن مما يدل على أن موقف الصوفية من الجوع والعطش غير صحيح هو أنه توجد شواهد كثيرة تُبين أن موقفهم مُضر بالإنسان، وترتبت عنه آثار خطيرة ومدمرة للفرد والمجتمع. منها أنه أوقع الصوفية في مخالفات شرعية مكشوفة، وأدخلهم في رهبانية كرهبانية النصارى والبوذيين، وأفسد عقولهم ونفسياتهم . من ذلك مثلا ما ذكره الذهبي عن أبي بكر الشبلي فقال: ((كان يحصل له جفاف دماغ وسكر. فيقول أشياء يعتذر عنه، فيها[647] ...وله مجاهدات عجيبة انحرف منها مزاجه))[648].

---

[646] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1986،ج 1 ص: 148 .
[647] ذلك هو رأي الذهبي في موضوع الاعتذار للصوفية في أحوالهم الغريبة والسكرية . وسنناقش ا الموضوع لاحقا بحول الله تعالى .
[648] الذهبي: السير ، ج 15 ص: 367، 369 .

والشاهد الثاني ما ذكره المؤرخ قطب الدين اليونيني عن الصوفي أبي محمد عبد الله بن شكر اليونيني (ت647 هـ/1249م) كان – لقلة ماله- ((يصبر على خشونة العيش وكثرة الجوع إلى أن حصل يبس، أورثه تخيلات فاسدة، فتارة يتخيل أن جماعة عزموا على اغتياله وقتله، وتارة يتخيل أنه اطلع على أماكن فيها كنوز واموال جليلة ؛ واتصل ذلك ببعض الولاة ببعلبك فأحضره وسأله عن ذلك، فذكر أنه يعرف أماكن فيها مدافن تحتوي على أموال جمة فسأل عنه، فقال من يعرفه هذا من الأولياء الأفراد ولا يتجوز في القول وإنما لكثرة الجوع والمجاهدة حصل له يبس أفسد مزاجه))[649].

والشاهد الثالث يتعلق بوصف علمي دقيق قاله الذهبي في الجوع الصوفي وما يترتب عنه، فقال: ((إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ، فإذا كان سرد الصيام والوصال قد نهي عنهما، فما الظن ؟ وقد قال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: " اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ".ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب، وفسد عقله، وجف دماغه، ورأى مرأى، وسمع خطابا لا وجود له في الخارج، فإن كان متمكنا من العلم والإيمان ، فلعله ينجو بذلك من تزلزل توحيده ، وإن كان جاهلا بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق وقال: أنا هو ! نعوذ بالله من النفس الأمارة ، ومن الهوى ، ونسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا ، آمين))[650].

وثالثا إن مما يشهد على عدم صحة موقف الصوفية في غلوهم في الجوع والعطش أن كثيرا من متقدمي الصوفية وأكثر متأخريهم لم يلتزموا به. حتى أصبح كثرة الأكل عندهم هو الأصل، وقلته هو الاستثناء. فمن ذلك ما ذكر القاضي عياض أن عبد الله بن يوسف التنيسي الدمشقي (ت218 هـ) قال : ((كنا عند مالك بن أنس وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون. فقال مالك : أصبيان هم ؟ فقال : لا . قال : أمجانين هم ؟ قال : لا هم مشايخ وعقلاء . قال : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام

[649] قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ص: 392 .
[650] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص: 577 ، رقم: 381 .

يفعل هذا "))[651]. فهؤلاء الصوفية من المتقدمين لأن مالك بن أنس توفى سنة 179 هـ .

والشاهد الثاني يصف حال الصوفية مع الأكل واللهو في القرن الرابع الهجري وصفه الشاعرالطاهر الجزري سداد أبو النجيب (ت نحو: 400 هـ) بقوله[652] :

أرى جِيلَ التصَوُّفِ شَرَّ جِيلٍ ... فقُلْ لَهُم وأهْوِنْ بالحُلولِ
أقال الله حينَ عشِقْتُمُوهُ ... كُلوا أكْلَ البَهائِمِ وَارْقُصُوا لي

وقال فيهم أيضا :

لا تثق بالسكوت من كل صوفي ... واحترز منهم وكن في سُدُف
بالعكاكيز والمحابر والصحف ... وجمع كمثل جمع الزحوف
ويل داعيهم وحق له الويل ... إذا ما أتى بألفي خروف
وصنان فإن هم بايتوه ... أكلوا بيته بحشو السقوف
أترى ربهم يقول ارقصوا لي ... واتركوا ما افترضت من معروف
شر جيل تراه في عالم الحشر ... إذا أوقفوا ليوم مخوف[653]

والشاهد الثالث يتعلق بحال الصوفية زمن الفقيه تاج الدين السبكي(ت 771هـ/1369م) فذكر أن عددهم كان كبيرا ، واتخذوا الخوانق طريقا للدنيا ، فارتدوا لباس الزور ،و أكلوا الحشيش-المخدر- ،و انهمكوا في طلب الملذات ، حتى قيل فيهم : ((أكلة بطلة سطلة ، لا شغل ولا مشغلة)). وقيل كذلك: ((نعوذ بالله من العقرب والفار ، ومن الصوفي إذا عرف الدار))[654].

والشاهد الرابع مفاده أن المؤرخ الصوفي قطب الدين اليونيني ذكر عن نفسه أنه كان يسمع بأن الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار(ت662 هـ/1263م) يعقد مجالس الصوفية ،وينفق عليهم أموالا طائلة ، فكان يحمله على المبالغة والمجازفة ، فلما حضر مجلسا للصوفية دعاهم إليه هذا الأمير ، وجد أن الأمر أكثر مما وصف له[655]. وموجزه : بعد صلاة المغرب مُدّ سِماط عظيم فيه أنواع كثيرة من المأكولات ، منها : مائة خروف، وتسعمائة طير من الدجاج . وبعد صلاة العشاء افتتح مجلس الغناء

---

[651] القاضي عياض: ترتيب المدارك ن ج 1 ص: 124 .
[652] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ، ج 2 ص: 222 .
[653] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج 4 ص: 230 .
[654] السبكي : معيد النعم ص : 125 .
[655] نفس المصدر ج 2 ص : 301 .

والرقص ،واستمر إلى قرب صلاة الفجر ؛و قد قُسّم المجلس إلى ثلاث نوبات ، في الأولى غنوا و رقصوا ، ثم توقفوا لتناول الحلويات . ثم نهضوا للنوبة الثانية ، فغنوا ورقصوا ، ثم جلسوا لتناول الفواكه النادرة والمتنوعة . ثم قاموا للثالثة فغنوا و رقصوا ، ثم مدّ لهم سماط فيه البندق والفستق ،والزبيب والكعك ، وغيرها من المأكولات. ثم أدخلهم الأمير إلى الحمام ،وأعطى لبعضهم ملابس جديدة حسنة ، لأنهم كانوا قد خلعوا قمصانهم في الرقص ، ثم أخذهم إلى داره وسقاهم الأشربة وأعطاهم الحلويات[656] .

كل ذلك رواه قطب الدين اليونيني-هو شاهد عيان- من باب المدح والإعجاب و لم يستنكره ، مع أنه أخبرنا أن أسعار القمح واللحم والدجاج كانت غالية جدا[657] . ليبّين لنا أن الأمير جواد ومحب للصوفية ، وينفق عليهم بسخاء وبذخ رغم غلاء الأسعار ؛ و نسي أو تناسى أنه كان من الواجب شرعا وعقلا أن تعطي تلك الخيرات للمحتاجين ، ولا تنفق على هؤلاء الصوفية البطالين الأكالين ، والرقاصين الشرهين المبذرين**!!**.

والشاهد الأخير- الخامس- مفاده أن طائفة من مُتأخري الصوفية لما تركوا الجوع الصوفي أصبحوا يتعاطون الحشيش المخدر منذ القرن السادس الهجري وما بعده ، واهتموا به ومدحوه. فقال فيه بعضهم:

فحشيشَةُ الأفراحِ تشفعُ عندنا ... للعاشقينَ ببسطها للأنفُسِ
وذا هممتَ بصيد ظَبي نافرٍ ... فاجهدّ بأن يرعى حشيشَ القنبُسِ
واشكر عصابة حيدرٍ إذ أظهروا ... لذوي الخلاعةِ مذهبَ المتخمِّسِ
ودع المعطِّلِ للسرورِ وخلني ... من حسنُ ظنِّ الناسِ بالمنمّسِ[658].

فدلّ كل ذلك على أن موقف الصوفية من الجوع والعطش لا يتفق مع طبيعة البشر، وأنه مُضر ومُفسد لها، فلو كان موافقا لها لالتزم به هؤلاء.فمنهم من ترك الجوع وأسرف في الأكل ، ومنهم من تعاطى المخدرات كوسيلة سهلة وخفيفة لبلوغ غاية التصوف بدلا من الجوع الصوفي المُنهك للمريد . لكن الجميع انحرف عن الشرع وأضر بنفسه وعقله وجسده .

---

656 نفسه ج 2 ص : 301 ، 302 .
657 نفس المصدر ج 2 ص : 303 .
658 المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ج 2 ص: 291 .

ورابعا لاشك أن كثيرا من الصوفية مارسوا الطريق الصوفي ، فجاعوا وعطشوا، وحمّلوا أنفسهم ما لا تُطيق ، وداوموا على ذلك عدة أيام. لكن المشكوك فيه ، بل وغير الصحيح من أحوالهم أن الروايات بالغت وخرجت عن الحد المعقول في ذكر طول مدة جوعهم وعطشهم كما سبق أن بيناه. فقيل أن منهم من لم يشرب الماء أربعين يوما، وآخر سنة ، وآخر اربعة أشهر، وآخر سبع سنين، وآخر لم يشرب ولم يأكل ستة أشهر، وآخرظل أربع سنوات لم يذق فيها طعاما ولا شرابا**!!**. وهذه أخبار لا تصح إسنادا ولا متنا لأنها تضمنت أمورا مستحيلة الحدوث في الواقع.

فمن ناحية أسانيدها، فهي لا تصح لأن متونها مستحيلة، ولأن الرواية الصوفية ضعيفة من داخلها ، بحكم أن رواتها يتعمدون التحريف لقولهم بالتقية . ولأنهم يروون الأخبار المخالفة للشرع والعقل والعلم ، ولأنهم لا يحرصون على تحصيل صحيح الأخبار ولا يُحققونها لتمييز صحيحها من سقيمها.

وأما متونها فهي لا تصح قطعا لأنها تضمنت ما يُخالف حقائق الواقع والعلم . فإذا كان بعض الناس يستطيعون الامتناع عن الأكل ثلاثة أشهر مع شربهم للماء وتدهورصحتهم وقدراتهم العقلية والنفسية، فإنهم لن يستطيعوا أن يبقوا نفس الفترة دون أكل وماء . ولا أن يبقوا في تلك الحالة ستة أشهر، ولا سنة ، ولا أكثر من ذلك . لأنه من الثابت علميا أن الماء هو احد ضروريات الحياة، ويمثل من وزن الإنسان نحو 65 **%** ، وتُقدر احتياجات الجسم يوميا من الماء ما بين: 2- 3 لترات . و يستطيع الإنسان أن يتحمل نقص الماء عن احتياجاته بمقدار 2 % ، ولا يتحمل النقص إذا قرب من 10 %[659]. وأن أي نقص كبير للماء في جسمه سيؤدي إلى موته. و((الإنسان يستطيع أن يبقى على قيد الحياة لمدة أسبوع واحد فقط بلا ماء. ويموت إذا فقد جسمه أكثر من 20% من الماء))[660].

ولذلك فنحن لا نترك حقائق الواقع والعلم ونصدق روايات صوفية طنية مُنكرة ، بل ومستحيلة الحدوث. ومن يُصدقها فقد داس على الشرع والعقل والعلم وارتمى في أحضان خرافات الصوفية وأباطيلهم.ونحن برفضنا لها لا نخسر شيئا ، لكننا سنخسر عقولنا وحقائق الواقع والعلم إن صدقنا بها.

---

[659] سعد أحمد حلابو : الغذاء ومكوناته ، مؤسسة الشروق الدولية، 2008 ، ص: 75 وما بعدها.

[660] الموسوعة العالمية العربية ، مادة : الجسم ، الماء .

ومع أن تلك الحكايات مستحيلة لكنها من جهة أخرى تشير إلى موقف القوم من الجوع وغلوهم فيه، كعبادة صوفية موصلة إلى كبرى غايات التصوف التي يُدندن حولها الصوفية ويُخفونها عن الناس.

وخامسا إن تبريرات هؤلاء الشيوخ لِما كانوا عليه من جوع وعطش شديدين معظمها تبريرات لا تصح، وهي من المغالطات والتلبيسات والشبهات استخدموها تعضيدا وانتصارا للتصوف وليس التزاما بالشرع وغيرة عليه.فمن ذلك قول الجارية لداود الطائي ورده عليها. فقالت له: ((أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءةُ خمسين آية))[661].

وأقول: تبريره لا يصح، وفي غير محله، لأن أكل الخبز قد يكون عبادة، وهو زاد للقيام بالعبادات . والشرع أمرنا بالأكل والشرب مطلقا، بشرط عدم الاسراف . والأكل نفسه فيه جانب تعبدي من جهة مصدره ، والتسمية وحمد الله وشكره على الأكل ، كما في الحديث عن النبي –عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِىَ لَهُ وَلاَ مُئْوِىَ)) [662]، و((إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره)) [663]. فالشرع كما أمرنا بقراءة القرآن أمرنا بالشرب والأكل الحلال فالكل مأمور به شرعا .وعليه فلا يصح تبرير الرجل.

وأما تعليله فهو عليه لا له ، لأن القرآن الكريم أُنزل للتدبر والتطبيق قبل قراءته ، لقوله تعالى: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد: 24)) ، و((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص: 29))، و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). . ومن يتدبر فيه لا يُمكنه قراءة ذلك العدد الكبير من الآيات ، بل آية واحدة يتطلب تدبرها وقتا أطول من مضغ الخبز وشرب الماء. علما بأنه ليس من سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه يفضل قراءة القرآن على الأكل ومضغه، لأن لكل منهما مكانه المناسب. ومن غرائب الرجل أنه ذكر تركه لمضغ الطعام من أجل قراءة القرآن ونسي أو تناسى ان القرآن نفسه يأمره بالشرب والأكل من دون إسراف، وبتدبر القرآن ، و بقراءته أيضا .

[661] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 54 .
[662] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 79 ، رقم: 7069 .
[663] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 4 ص: 30 ، رقم: 2641 .

فخالفه في الأمر الأول والثاني وفي الثالث أيضا لأنه قرأه في غير مكانه، ومن دون تدبر كما أمر الشرع. فالرجل هنا خالف الشرع مخالفة صريحة، وتقدم عليه برغباته وأحواله انتصارا للتصوف وتسترا بالشرع.

ومنها قول بعضهم: ((الجوع سحاب، فإذا جاع العبد مطر القلب الحكمة))[664]. و((الجوع يصفي الفؤاد ، ويميت الهوى ، ويورث العلم الدقيق)) [665]. و((لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع: المعصية والجهل، وجعل في الجوع: العلم والحكمة))[666].

وأقول: نعم إن الجوع الشرعي والصحي ينفع الإنسان ، ويفتح له بابا من أبواب التقوى والعلم والحكمة ، لكن الجوع الصوفي الذي تكلم عنه هؤلاء فهو مُفسد للقلب والعقل والجسم،ويورث أصحابه الأوهام والأمراض والهلوسات كما سبق أن بيناه؛ ولا يُورث علما نافعا، ولا حكمة صحيحة.

ومن الثابت شرعا وعقلا وعلما أن العلم يُكتسب أساسا بالتعلم والعمل، والإيمان الصحيح يكتسبه المؤمن بإخلاصه وتقواه وطاعته الكاملة لله تعالى . والجوع الشرعي هو جزء من العبادات الشرعية ويختلف كلية عن جوع الصوفية.

فالعلم بمعناه الواسع لا يُكتسب بالجوع الصوفي، وإنما يُكتسب أساسا بالتعلم ، ولهذا قيل: " إنما العلم بالتعلم" . وهذا ثابت شرعا وعقلا واقعا. فقد امرنا الشرع بالتعلم ، وعلم النبي-عليه الصلاة والسلام- أصحابه بالقول والممارسة ، وحثهم على طلب العلم، وجعل من يخرج في طلبه فهو في سبيل الله حتى يرجع. مع أنهم كانوا يصومون رمضان، ويُكثرون من صوم التطوع . لكن مع ذلك فقد علمهم بنفسه ، وحثهم على طلب العلم. فلو كان الجوع يُغني عن طلب العلم ، ما أمرهم النبي-عليه الصلاة والسلام- بطلبه.

ولو كان الجوع الشديد يُورث العلم والحكمة ما أمرنا الشرع بالأكل وعدم الإسراف، ولا أمرنا بقراءة القرآن والتفكر في الكون والبحث فيه لاكتشاف أسراره وسننه ،وتسخيرخيراته لصالح الانسان.

---

[664] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 84

[665] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 142 .

[666] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 48 .

والشاهد على عدم صحة قولهم أيضا هو أنه من الثابت أن العلوم الحديثة من فيزياء وكيماء ، وطب وفلك ، كلها أُكتشفت بالتعلم والبحث التجريبي، ولم تُكتشف بالطريق الصوفي. فلماذا لم يكتشفها الصوفية – وهم كثيرون جدا- بالجوع وممارساتهم التعبدية ؟؟.

ومما يبطل زعمهم أيضا هو أن حصيلة ما عند الصوفية من علم صحيح قليلة وهزيلة جدا بالمقارنة إلى ما عندهم من أخطاء وأباطل وخرافات وأوهام[667] . فأين هذا العلم المزعوم الذي تحصلوا عليه من الجوع الصوفي؟؟.

ولا يصح القول: بأن الله تعالى جعل في الشبع: المعصية والجهل، وفي الجوع: العلم والحكمة[668]. فالله عزوجل لم يجعل في الشبع العادي- من دون إسراف- الجهل ولا المعاصي ، فلو كان كذلك ما قال لنا : ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) . والأكل والشرب دون إسراف ، هما من الشبع العادي الذي ينفع الإنسان ولا يضره .

ومن جهة أخرى لم يجعل الله تعالى في الجوع الشديد علما ولا حكمة . وإنما جعل في الجوع الشرعي- الصوم- وسيلة ومن وسائل التربية الإيمانية لتحقيق جانب من التقوى، قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة: 183))، و((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)).

وليس صحيحا أن الله جعل المعصية والجهل في الشبع، فهذا أمر نسبي فقد يحدث وقد لا يحدث، ونفسه يصدق على الجوع، فقد يكون الجهل والمعصية في الجوع . فكم من جائع عصى الله تعالى وارتد وكفر، وكم من شبعان عالم وحكيم وطائع لله تعالى. وكم من جائع أورثه جوعه السخط والانتقام والاعتداء على أملاك الغير. وكم من شبعان اعتدى على غيره، وأكل أموال الناس بالباطل. وكم من شبعان كثير الصدقات والإحسان إلى الفقراء، والعكس صحيح أيضا .

---

[667] سنتوسع في هذا الموضوع ونوثقه في الفصل الخامس .

[668] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 48 .

علما بأن الإيمان هبة وجائزة ربانية يرزق ويُجازي بها الله تعالى عباده المؤمنين ،وليس نتيجة حتمية للجوع وتعذيب النفس، فما ينتج من ذلك ليس من الإيمان الشرعي الذي يرزق الله به عباده المتقين، وإنما هو انعكاسات لذلك الجوع والتعذيب للجسم. فالإيمان الصحيح يناله المؤمن باخلاصه والتزامه بشرع الله تعالى ، فيأكل ويشرب، ويصوم ويجوع التزاما بدين الإسلام، وليس اتباعا للعبادة الصوفية التي هي امتداد لبرهبانية البوذيين والنصارى.

وعليه فكما أن الأكل الكثير يضر بالإنسان في كل جوانبه، فكذلك الجوع الشديد والدائم يضر بالإنسان ويفتك به عقلا وروحا وبدنا. فكل منهما ضرره أكثر من نفعه ، فإن ورّثا قليلا من العلم والحكمة، فإنهما بلا شك يورثان كثيرا من الأمراض ، والجهالات والجنونيات.

وأما ما رُوي عن عبد الله القشاع بأنه وقف ليلا على شط دجلة وهو يقول: ((يا سيدي أنا عطشان يا سيدي، أنا عطشان حتى أصبح فلما أصبح قال: يا ويلتي تبيح لي شيئا وتحول بيني وبينه، وتخطر علي شيئا وتخلي بيني وبينه، فأيش أصنع ورجع ولم يشرب منه))[669]. فإن صح الخبر فهو نموذج من جنونيات الصوفية ومهازلهم ، وتعمدهم مخالفة الشرع والعقل. لأن الله تعالى قال لنا : ((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)). فلماذا لم يشرب من النهر حتى يرتوي، ثم يحمد الله تعالى على ذلك ؟؟ **!!** . فهو الذي حرم نفسه حقها في الشرب وتركها تتعذب ، وليس الله تعالى هو الذي حال بينه وبين الماء ولا حظره عليه، وإنما هو مفترٍ على الله سبحانه وتعالى.

ولعل الرجل كان ينتظر أن يخرج الماء من النهر ليدخل في فمه **!!**. فعندما لم يتحقق له ذلك بدعوى التوكل ترك الشرب وزعم أن الله تعالى هو الذي حال بينه وبين شرب الماء. وهذا زعم باطل قطعا ، وإنما الرجل هو الذي خالف الشرع وسنة الحياة بأن الإنسان هو الذي يسعى متوكلا على الله تعالى في طلبه للرزق. فكما أنه خرج من بيته وجاء إلى شاطئ النهر كان عليه أن ينزل إلى النهر ويشرب الماء بيديه. وإلا كان عليه أن يبقى في بيته أحسن له من أن يخرج إلى النهر ويحرم نفسه من شرب الماء.

---

[669] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل أهل التصوف ، ص: 148 .

ومنها قول أبي علي الروذباري: ((إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع، فالزموه السوق، وأمروه بالكسب))[670]. فهو شاهد دامغ على أن الصوفية لا يجوعون تعبدا بالصيام الشرعي، وإنما يجوعون التزاما بالعبادة الصوفية طلبا لغايتها . فهو جوع صوفي ووسيلة لتحقيق غاية التصوف التي هي الفناء في الله - . فالقوم يجوعون ولا يصومون.لأن الصيام عبادة شرعية، وركن من أركان الإسلام، وأما الجوع الصوفي فهو من عبادات العقيدة الصوفية التي هي امتداد إلى رهبانية البوذيين والنصارى[671].

ومن ذلك أيضا أن القوم لهم أقوال وأفعال أفسدوا بها الصوم الشرعي- صوم رمضان والتطوع- انتصارا للجوع الصوفي. بل وبعضهم باسم رمضان خالف الصوم الشرعي. كمحمد بن عمرو المغربي ، فرُوي أنه كان ((يأكل في شهر رمضان أكلتين من غير تكلف يأكل في كل خمسة عشر يوما))[672]. ورُوي أيضا أن أبا السعود الجارحي كان ينزل في ((سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان لا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية))[673].وقال أحدهم: ((إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه ، فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا))[674].

وأقول: الأول وأمثاله يتظاهرون بصيام رمضان الذي هو من أركان الإسلام ، لكنهم يتعمدون مخالفة الأوامر والآداب الشرعية المتعلقة برمضان. ، فحسب ما رواة أبو نُعيم عن المغربي أنه كان يأكل أُكلتين طيلة شهر رمضان ، مرة في كل خمسة عشر يوما. وهذا ليس صوما شرعيا، وفيه تعمد وإصرار على مخالفة الصوم الشرعي. لأن الصوم الشرعي مُحدد في قوله سبحانه: ((وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ)(البقرة: 187)) وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه- أنه قال:((ثلاث من أخلاق النبوة : تعجيل الإفطار وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمال في الصلاة))[675]. فهذا الرجل لا يصوم رمضان وإنما يجوع جوع العبادة الصوفية، الذي يُمارسه

[670] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 48 .
[671] سبق أن وثقنا ذلك في الفصل الأول .
[672] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 128 .
[673] الشعراني: طبقات الصوفية ، ص: 468 .
[674] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 145 .
[675] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 290، رقم: 3038 .

الصوفية في شهر رمضان وخارجه. إنه مُتستر برمضان وحريص ومُصر على مخالفته **!!** .

وأما ما فعله الثاني، فليس من الشرع الخلوة تحت الأرض في شهر رمضان ولا في غيره . فالإسلام لا يأمر بذلك، ولم يكن النبي-عليه الصلاة والسلام- يعتكف في رمضان بتلك الطريقة ولا بتلك المدة. ولا كان يمتنع عن الأكل طيلة شهر رمضان ، وإنما كان يصوم الصيام الشرعي من الفجر إلى المغرب كما بيناه أعلاه . ويعتكف في العشر الأواخر في رمضان[676].ولا يترك صلوات الجماعة ولا صلاة الجمعة[677]. لكن هذا الصوفي ترك ذلك ومعه صلاة العيد التي هي فرض أيضا. فهذا الرجل باسم صوم رمضان خالف الصوم الشرعي جملة وتفصيلا .

وأما القول بأن هدا الصوفي- الجارحي- بقي 37 يوما بوضوء واحد، فيعني أنه لم ينم طول هذه المدة ، لأنه لو نام لنقض وضوءه . وهذا مستحيل الحدوث ، لأن الإنسان لن يستطيع البقاء دون نوم مدة 37 يوما، وسيبدأ في الانهيار وفقدان قواه منذ اليوم الثالث[678]. وعليه فلن يبقى متوضئاً. ولماذا يُحافظ على وضوئه وهو مُخالف للصيام الشرعي**؟؟!!** ، فهل يُطيع الله في الوضوء ويعصيه في آداب الصيام و صلواته؟؟. أليس هذا من غرائب القوم وأباطيلهم وتناقضاتهم **؟؟!!** .

وأما الصوفي الثالث فقد أفصح عن حقيقة موقفه من الصوم الشرعي انتصارا للجوع الصوفي. وهو موقف مردود عليه،لأن صوم التطوع هو من العبادة الشرعية ، ولا يصح اتهام من يفعله بأنه طالب للدنيا؛ وإنما الجوع الصوفي هو الذي من الدنيا بحكم أنه مخالف للصوم الشرعي، وأصحابه لا يريدون بتصوفهم الآخرة كما سبق أن بيناه.

ومنها أيضا قول أبي القاسم الجنيد: ((ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع؛ وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات))[679]. فهو قول صوفي ينطبق تماما على العبادة الصوفية التي هي امتداد لرهبانية البوذيين والنصارى،وليس هو من العبادة الشرعية. لأن دين الإسلام بكل

---

676 مسلم: الصحيح ، ج 7 ص: 8 ، رقم: 5809 .

677 عن شروط وكيفية ولوازم الاعتكاف أنظر: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 3 ص: 121 وما بعدها .

678 ألكسندر بوربلي: أسرار النوم، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، 1992، ص: 181 .

679 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 78 .

جوانبه الروحية والأخلاقية ،والعملية والعقدية لا يقوم على الجوع ، ولا على ترك الدنيا، ولا على ترك المألوفات المستحسنات لمجرد أنه كذلك، وإنما يقوم على طاعة الله والالتزام بشرعه قلبا وقالبا، قال تعالى: ((وَ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).

وليس من دين الإسلام أن نقيم الدين والدنيا على الجوع ، وإنما على الاعتدال في الأكل والشرب ، فهذا هو الأصل ، والصوم استثناء بأمر من الشرع. فلو كان أصلا لفرض الله علينا صوم أربعة أشهر، أو خمسة، أو ستة أشهر في السنة. وبما أنه سبحانه فرض علينا شهرا واحدا في العام دل هذا على أن الصوم استثناء في حياتنا وليس أصلا.

وأما قوله بترك المألوفات والمستحسنات فهذا يحتاج إلى تفصيل، فإذا كانت مألوفات صحيحة وصحية وموافقة للشرع ، ومفيدة للمجتمع فيجب الحفاظ عليها لا قطعها ، وأما إذا كانت ضارة فلابد من التخلص منها. علما بأن الإنسان لن يستطيع التخلص نهائيا من المألوفات والمستحسنات، وانما يستطيع أن يُغيرها ويُوجهها لا القضاء عليها. لأن ما من نمط حياة إلا وله مألوفات ومستحسنات. والصوفية أنفسهم عندما تصوفوا وانعزلوا عن المجتمع الإسلامي بمألوفاته ومُستحسناته وضعوا لأنفسهم مألوفات ومستحسنات تناسبهم ، فمالوا إلى الكسل وترك طلب الرزق، وأقبلواعلى الطرب والرقص بدعوى الذكر والسماع، ولبسوا المرقعات وتميزوا بها، وأظهروا زهدهم وتصوفهم للناس تسولا وطمعا فيما عندهم .

ومنها أيضا ما رواه الكلاباذي : ((سمعت فارسا يقول: قلت لبعض الفقراء مرة - ورأيت عليه أثر الجوع والضر -: لِم لا تسأل الناس فيطعموك؟ قال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني، فلا يفلحوا؛ وقد بلغني عن النبي ﷺأنه قال: لو صدق السائل ما أفلح من مَنَعَه "))[680].

وأقول: أولا إن الحديث الذي احتج به الصوفي غير صحيح، فهو موضوع ولا أصل له[681]. لكن الرجل –كغيره من الصوفية- لم يحرص على طلب الحديث الصحيح ولاصححه، واكتفى بقوله: بلغني . وكلمة بلغني هي أخت

[680] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 113-114 .
[681] مرعي بن يوسف الكري المقدسي: الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ،دار الوراق، ص: 12 . ومحمد بن درويش الحوت: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 233 .

زعموا . فالرجل لا يهمه أصح الحديث أم لم يصح، وإنما الذي يهمه هو أن يحتج لحاله ويُبرره بالدين تسترا به .
وثانيا إن ذلك الصوفي رضي لنفسه الجوع والضر ، وهذا جهل بالشرع ، وإضرار بالنفس. كما أنه كان على الذي سأله أن ينصحه بأن يخرج في طلب الرزق، وليس بسؤال الناس ، ويبين له أن الشرع يأمر بالعمل لا بالسؤال ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، لأن سؤال الناس منهى عنه شرعا إلا لضرورة . لكنه لم يفعل ذلك ، لأنه وصاحبه على منهج العبادة الصوفية، لا على منهج العبادة الشرعية.

وثالثا إن من جهل الرجل بالشرع أو تعمده في مخالفته أنه جعل البركة في نفسه وزكاها وزعم أنه لم يسأل الناس خوفا عليهم بأن لا يُفلحوا إن هم منعوه . فهذا الصوفي ترك العمل ، ورضي بالجوع والضر، وزكى نفسه ، مع أن الشرع أمر بالعمل ،ونهى عن السؤال ومدح النفس.قال سبحانه: ((فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)(النجم : 32)) .

وبما أن الشرع أمر بالعمل ونهى عن التسول، فإن من يمنع السائل فلا ذنب عليه ، لأن الله تعالى امرنا بعدم نهر السائل ،ولم يفرض علينا التصدق عليه ، لقوله سبحانه: ((وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)(الضحى : 10)). لكن هناك حالات يُستحب فيها التصدق، وأخرى يُحرم فيها التصدق إذا كان السائل نصابا ، أويمتهن التسول. وحتى إذا كان السائل يستحق التصدق ، والمُعطي لا علم بحاله فلا إثم عليه . وهناك حالات يكون فيها التصدق واجبا إذا كان السائل محتاجا ، والمُتصدق على علم به، وقادر على أن يُعطيه . فإن لم يتصدق عليه في هذه الحالة يكون آثما.

لكن جواب ذلك الصوفي غير صحيح في معظمه، وهو نموذج على تقدم الصوفية على الشرع برغباتهم وتصوفهم من جهة،وعلى تأسيسهم للعبادة الصوفية بالأحاديث الضعيفة ومرويات شيوخهم المخالفة للشرع من جهة أخرى.

وأما قول الصوفي أبي طالب خزرج بن على: ((... فَقُدم إلينا حمل مشوي ، فأمسكت يدي ، فقال لي بعض أصحابنا : كل بلا أنت ، « فأكلت لقمة ، فأنا منذ أربعين سنة إلى خلف ... »))[682]. فهو قول موافق للتصوف

[682] المالينى: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 60 ص: 77 .

لا للشرع ، لأن الأكل الحلال سواء كان لقمة ، أو لقيمات ، أو أكثر لا يُؤدي أبدا إلى تراجع القوة الإيمانية للمسلم ، بل قد تزيد في قوة إيمانه إذا تناوله حلالا وبنية ، وتدبر فيه، وأشرك غيره معه، ليتقوي به على القيام بأعمال الخير والالتزام بالشرع .

وأما قول ذلك الصوفي بأنه أكل لقمة من خروف مشوي فضّل أربعين سنة في تراجع ، فهذا ليس من دين الإسلام إن كان الطعام حلالا، وحتى إن كان حراما ، ولم يكن آكله على علم به فلا يحدث له ذلك. بل حتى وإن تعمد في أكل تلك اللقمة وتاب منها فلا يبقى أربعين سنة في تراجع ، بل يسطيع أن يتدارك ما فاته، بل وقد تكون تلك الحادثة دافعا قويا للنهوض من جديد وبلوغ أعلى المراتب الإيمانية. وعليه فإن هذا الرجل لا يتكلم عن العبادة الشرعية،، ولا يتعامل معها، وإنما يتعامل مع العبادة الصوفية ومجاهداتها وأحوالها وعقائدها . فكلامه مخالف للشرع، متفق مع التصوف ، لكنه مُتستر بالعبادة الشرعية.

ومنها أيضا قول عبد الكريم القشيري: ((وأوحى الله سبحانه إلى داود- عليه السلام-: يا داود، حذر، وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة))[683].

وأقول: إن هذا الخبر لايصح إسنادا ولا متنا، فأما إسناد فهو مُنقطع ولا أصل له، وتعمد في الافتراء على الانبياء عليهم السلام. وهو شاهد دامغ على أن الصوفية لا يبحثون عن صحيح الأخبار، ولا يُميزون بين صحيحها من سقيمها .

وأما متنا فلا يصح، لأن الشرع لم يحرم تناول الشهوات وإنما حرم الخبائث والشهوات الحرام ، واما أكل الشهوات الحلال فهي من الحلال، ومن نِعم الله تعالى على عباده. وهو الذي دعانا إلى تناولها، كقوله تعالى: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة : 223)) ، وقد كان داود – عليه السلام- من الأنبياء الأغنياء الذين جمع الله لهم بين النبوة والملك، وفتح عليه الكثير من خيرات الدنيا ، فكيف يأمره بترك أكل الشهوات مُطلقا دون تمييز بين حلالها وحرامها ؟؟!!.

---

[683] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 286.

ومنها أيضا قول يحيى بن معاذ: ((الجوع نور، والشبع نار، والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه))[684].

وأقول: إن الرجل وأصحابه تكلموا في الجوع والشبع بلسان التصوف، لا بلسان الشرع، ولا العقل، ولا العلم . لأن الحقيقة هي أن كلا من الجوع والشبع قد يكون نارا وداءً ، وقد يكون نورا ودواءً وغذاءً . فلا يصح ذمهما مطلقا ولا مدحهما مطلقا.

فالجوع الشرعي- كالصيام- ينقص من وزن الجسم ، ويريح أجهزته، ويصقل القلب ويقويه وينوره. لكن الجوع الصوفي- الشديد والدائم- يُقلق صاحبه، و ينغص حياته، وينهك جسمه ويُمرضه، ويدمر مناعته وأجهزته، ويُخرجه من الوعي إلى اللاوعي، وقد يوصله إلى السرقة والكفر.

وكذلك الشبع العادي- الأكل باعتدال من دون إسراف- فهو يغذي الجسم ويقويه ، وبتقوية الجسم تتقوى الروح أيضا. والعقل السليم في الجسم السليم. لكن الإفراط في الشبع والإكثار منه يضر بالجسم والروح معا. فالشبع الشرعي ليس نارا ولا دمارا، وإنما هو غذاء وعلاج للجسم والنفس والعقل. وهذا أمر ثابت شرعا وعقلا وواقعا وعلما. فلو كان نارا ما أمرنا الشرع بالأكل والشرب باعتدال، وما أمر الأطباء الناس بتناول الأكل الصحي . وإنما المبالغة في الشبع هي التي تضر الإنسان بدنيا ونفسيا وعقليا .

وأما الشهوة ، فهي طبيعية في الإنسان ، لأنها من غرائزه ودوافعه وحاجياته التي يعيش بها الإنسان، وبدونها لا يكون إنسانا . ولا بد من الاستجابة لها بالطريقة الصحيحة ، ولا يصح ذمها ولا قمعها ولا محاربتها والسعي لاستئصالها . وإنما يجب الاستجابة لها بميزان الشرع والعقل والعلم ،بلا افراط ولا تفريط .قال سبحانه : ((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (الفرقان : 67))، و((وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً)(الإسراء : 29)) ، و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)).

---

[684] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 134 .

فالشهوة ليست كالحطب ، وإنما هي غريزة من الغرائز التي خلقها الله تعالى فينا لأداء وظائف ضرورية للجسم شريطة أن نستجيب لها باعتدال . وفي هذه الحالة لا يتولد منها الاحتراق ، ولا الكبت عند تنظيم الاستجابة لها . لكن الرجل بسبب تطرفه وتعصبه لتصوفه تكلم بلا شرع ولا علم ولا عقل . وهذا هو الحال الغالب على التصوف وأهله .

وآخرها قول للصوفي سهل بن عبد الله التستري مفاده : ((« الجوع سر الله في أرضه ، لا يودعه عند من يذيعه »))[685].

وأقول: كلامه هذا مصدره التصوف لا الشرع، فالرجل يصف الجوع الصوفي لا الجوع الشرعي . ويندرج ضمن كلام الصوفية بلا علم، والتعمد في مخالفة الشرع . لأن الله تعالى تعبدنا بالصيام الشرعي، ولم يتعبدنا بالجوع الصوفي، وفرض علينا صوم شهر واحد في السنة من الفجر إلى المغرب ، وأباح للمريض والمسافر أن يفطر على أن يُعيد أيام فطره لاحقا . ورخص للعجزة ولذوي الأمراض المزمنة بالإفطار في رمضان مع الفدية . وقال لنا من جهة أخرى : ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ،و ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32))))، و((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(المؤمنون: 51)). فالأكل والصوم الشرعيان هما سر الله في خلقه، وليس الجوع الصوفي.

فالجوع الصوفي ليس سرالله في خلقه ، وإنما هو سر العبادة الصوفية، فبالجوع الصوفي ينتقل الصوفي من الوعي إلى اللاوعي، ومن العقل إلى اللاعقل، ومن الشرع إلى اللا شرع، ومن العلم إلى اللاعلم، ومن الحقائق إلى الأوهام والهلوسات . وهنا يكون الصوفي قد فقد قواه العقلية والنفسية والبدنية، فيجذبه الشيطان إليه ويستحوذ عليه ، ويصبح حاله يُشبه حال متناولي المخدرات المهلوسة .

[685] الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 49 ص: 61 .

وسادسا فبالنسبة للأحاديث النبوية التي احتج بها هؤلاء الصوفية تعضيدا وانتصارا للتصوف، فهي أحاديث لا تصح إسنادا ولا متنا. وتفصيل ذلك فيما يأتي:
أولها حديث أن النبي - صلى الله عليه و سلم- كان قائما يقرئ أصحاب الصفة وعلى بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع[686].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: ابن لهيعة: سبق ذكر حاله ، وتبين أنه ضعيف .
وللحديث طريق آخر لا يصح أيضا رواه الطبراني، من رجاله: عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم أبو صالح البصري (ت 222 هـ)، وسعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم المؤذن أبو العلاء المصري(ت نحو135هـ)[687]. الأول ، قيل فيه: صدوق، فيه غفلة ، كثير الغلط، مُتهم ليس بشيء ، لابأس به، ثم فسد حاله، كان يكذب في الحديث ، ليس بثقة، روى مناكير عن الليث بن سعد، روى عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات[688].

والثاني، قيل فيه: أرسل عن بعض الصحابة، لا بأس به، ثقة، يُخلط في الأحاديث، ليس بالقوي[689].

وأما متنا فهو لا يصح، وعلى فرض صحته، فهو ليس دليلا على أن النبي وأهل الصُفة كانوا يأخذون بالجوع الصوفي ؛ وإنما جاعوا وصبروا بسبب الفقر لا أخذا بالعبادة الصوفية، ولا تعبدا بالجوع. ولهذا لم يفعله الأنصار، ولا أغنياء المهاجرين ومتوسطي الحال منهم . فالنبي- عليه الصلاة والسلام- وأهل الصُفة لم يجوعوا تصوفا، وإنما جاعوا إما بسبب الصوم الشرعي كغيرهم من الصحابة، وإما جاعوا بسبب الفقر، فهو جوع مفروض عليهم. ولهذا كان هؤلاء عندما يحضر الطعام يفرحون ويأكلون مختلف أنواع الطعام ولا يستمرون على جوعهم كما يفعل الصوفية. بدليل أنه لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كان الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري يبعث إليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره . فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في

686 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 342 .
687 الطبراني، المعجم الأوسط ، ج 3 ص: 266 ، رقم: 3105 .
688 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم : 449، ج 4 ص: 187 و ما بعدها .
689 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 159، ج 3 ص: 61 و ما بعدها .

بيوت أزواجه . وكان سعد يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يُعشيهم ، ويُنادى على أطمهم من أحب الشحم واللحم فليأتِ[690].

والحديث الثاني أورده القشيري وعلّق عليه، ومفاده : ((جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بكسرة خبز لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ ".قالت: قرص خبزته، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام. وفي بعض الروايات: جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بقرص شعير".ثم علّق القشيري على الحديث بقوله :"ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك"[691].

وأقول: أولا إن الحديث ضعيف الإسناد[692]. ومتنه إذا فرضنا جدلا أنه صحيح فهو لا يتكلم عن الجوع الصوفي أبدا، وإنما يدل على أن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان إذا وجد الطعام أكل ، وإذا لم يجد صبر على الجوع . ولا يدل أبدا على أنه كان يأخذ بالجوع الصوفي، فهذا باطل قطعا بما ذكرناه سابقا عن موقف الشرع من الجوع والأكل؛ وبما أوردناه من سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- في مأكله ومشربه فلا نعيده هنا.

وثانيا إن القشيري نص صراحة أن الجوع الشديد هو أحد اركان الطريق الصوفي- العبادات الصوفية- ، وهذا صحيح بالنسبة للتصوف، لكنه غير صحيح قطعا بالنسبة لدين الإسلام . فالجوع الصوفي ليس من الشرع، بل وحتى الجوع الشرعي ليس مطلوبا دائما وفي كل الأحوال، كالصلاة والأكل والشرب باعتدال. فمع أن الصوم الشرعي من وسائل التربية الإيمانة لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة: 183))، لكن الله تعالى فرض علينا الصوم شهرا في العام فقط . وهذا خلاف الصلاة التي فرضها علينا دائما خمس مرات يوميا . وكذلك لوكان الصوم مطلوبا دوما لقال الله لنبيه وصحابته في الصوم كما قال لهم في الصلاة :((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن

---

[690] الذهبي: السير ، ج 1 ص: 232، 236 .

[691] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270.

[692] الحافظ الضياء، الأحاديث المختارة، ج 3 ص: 121 ، رقم: 2596 .و الألباني: الضعيفة، ج 10 ص: 481 .

سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمِّل: 20)) ، و ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6)) .

فالصيام ليس مطلوبا كالصلاة، وإنما قاله لنا : ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ، و((وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً)(الإسراء : 29)) و،((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) ، و((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً)(الفرقان : 67)). والسبب في ذلك واضح، هو أن روح الإنسان تحتاج إلى عبادة الصلاة دائما أكثر من حاجتها إلى الاكثار من الجوع ، ومن جهة أخرى أن جسم الانسان يحتاج يوميا إلى الضروريات من الماء، والطاقة، والبروتينات ، والأملاح المعدنية والسكريات . وإلا فإن الجسم سيتعب ويعجز ويمرض ، ولا يستطيع القيام بواجباته بتطبيق الشرع وعمارة الأرض.

وعليه فمن الخطأ الفادح التسوية بين الصلاة والجوع . فالصلاة والأكل بلا إسراف ضروريان للإنسان يوميا ، لكن الجوع الشديد ليس ضروريا له. ولهذا لما اختار الصوفية طريق الجوع والمبالغة فيه أصيبوا بالسلبية وانسحبوا من عمارة الأرض ، واعتزلوا مجتمعهم ومالوا إلى الكسل واللهو من جهة، وكثرت فيهم الهلوسات والصرع، والتخيلات الفاسدة من جهة أخرى. ومن المعروف في علم الطب أن كلا من الجوع الشديد، والأكل الكثير يضر يالإنسان . فلا بد من الاعتدال في الأكل والشرب وفق ما نص عليه الشرع ، وليس وفق ما تقوله العبادة الصوفية .

والحديث الثالث أورده الشهاب السهروردي في عوارفه ،عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: ((ما شبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر))[693].

[693] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 142 .

وأقول: الحديث أخرجه مسلم[694]، لكنه لا يعني أن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان يجوع تطبيقا للجوع الصوفي، وإنما يعني أنه لم يشبع من أكل خبز البر ثلاثة أيام متتباعة، ولا يعني أنه لم يشبع منه طول حياته، ولا أنه لم يشبع من طعام آخر. فلا شك أنه كان يأكل ما يكفيه، لأن الله تعالى يقول:: ((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) . ولأنه سبق أن ذكرنا أنه كان يصوم ويفطر، ويأكل من مختلف أطايب الطعام . وأن الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري كان يبعث إليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره . فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في بيوت أزواجه[695].

والحديث الرابع أورده أيضا الشهاب السهروردي في عوارفه، عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم، قلت: وكيف نديم قرع باب الجنة يا رسول اللّه؟ قال: بالجوع والظمأ))[696].

والحديث لا يصح ، ولم يجده الحافظ العراقي[697]، فالحديث لا أصل له . ومعناه مُنكر لأن باب الجنة لا يُقرع بالجوع والعطش وإنما يُقرع بالالتزام بشريعة الله تعالى قلبا وقالبا ، منها الاعتدال في الأكل والشرب وليس بالجوع الصوفي.

والحديث الخامس أورده الشهاب السهروردي في عوارفه أثناء دفاعه عن صوم الدهر، فقال: ((روى أبو موسى الأشعري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : " من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا ، وعقد تسعين ...))[698].

وأقول: لم يذكر الرجل للحديث إسنادا ، لكن الحديث له إسناد في كتب الحديث . وقد ورد من عدة طرق معظمها عن قتادة ،عن أبي تميمة، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي-عليه الصلاة والسلام-[699] .

---

[694] الصحيح ، ج 8 ص: 218 ، رقم: 7637 .
[695] الذهبي: السير ، ج 1 ص: 232، 236 .
[696] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 118 .و شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 142 .
[697] تخريج أحاديث إلإحياء، رقم: 2739 .
[698] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 143 .
[699] أورد طرقه ابن جرير الطبري: تهذيب الآثار ، ج 1 ص: 138 .

وبناءً على ذلك أقول: إسناد الحديث لا يصح ، لأن من رجاله: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي(ولد سنة 60أو 61 ، توفي سنة 116 أو 117 هـ) ، وُصف بأنه : كان كحاطب ليل في جمعه للحديث ، روى عن أقوام لم يسمع منهم ، ثقة[700]. كثير التدليس والإرسال، و قد حدث عن أقوام كثيرين لم يسمع منهم من الصحابة والتابعين، ولم يثبت سماعه من الصحابة إلا من أنس بن مالك المتوفى سنة 93هـ[701]. هذا فضلا على أن قتادة كان يُدلس وفيه ضعف واضح من جهة ضبطه. وهو هنا قد عنعن عن أبي تميمة الهجيمي. فالإسناد لا يصح من جهته .

والثاني: أبو تميمة طريف بن مجالد الهجيمي:(ت 97 هـ): ثقة، لكنه أرسل عن أبي هريرة ولم يثبت سماعه منه[702]. وهنا قد عنعن عن أبي موسى الأشعري. وبما أنه حدث عمن لم يسمع، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يثبت إتصاله من جهته .

لكن توجد رواية صرح فيها قتادة بالسماع من أبي تميمة، و إسنادها: حدثنا ابن المثنى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : سمعت أبا تميمة الهجيمي ، قال : سمعت أبا موسى يخطب على منبر البصرة وهو يقول:)) [703].

وإسنادها لا يصح أيضا ، لأن من رواته: شعبة بن الحجاج : سبق تفصيل حاله، وبينا أنه كان يدلس وكثير الخطأ . وهنا قد عنعن ، فالإسناد لا يصح من جهته . وقتادة بن دعامة السدوسي ، تقدم حاله أعلاه ، وحتى وإن صرح هنا بالسماع، فالرجل فيه ضعف .

ومن طرق الحديث أيضا ما رواه عبد الله بن أحمد، فقال : ((حدثني أبي قال وكيع وحدثني الضحاك أبو العلاء انه سمعه من أبي تميمة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ...))[704].

وأقول: الإسناد لا يصح، لأن من رجاله: وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (128-196هـ) : وثقه أكثر المحدثين، وأثنوا عليه[705]، و جعله ابن

[700] المزي: تهذيب الكمال ، رقم : 4848 ، ج 23 ص: 506 و ما بعدها . و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد، ج 3 ص: 151 .

[701] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 255.

[702] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 4 ص: 8 ، رقم: 20 . والعلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، عالم الكتب، بيروت ، ص:201 ، رقم: 309 .

[703] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 255.

[704] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 4 ص: 414 ، رقم: 19728 .

قتيبة من رجال الشيعة[706]. وقال ابن المديني : وكيع كان فيه تشيع قليل))[707]. والشيعة هم أيضا عدوه من رجالهم[708] . وكان وكيع يُدلس، كأن يُخفي أسماء الضعفاء عندما يروي عنهم ، وكان كثير الخطأ أيضا[709] . فما سبب ذلك، فهل هو قلة ضبط أو تعمد لتشيعه، أو هما معا ؟! . الراجح أن السبب في ذلك هو أن الرجل كان شيعيا إماميا يُمارس التقية في تعامله مع أهل الحديث.

والراوي الثاني: أبو العلاء الضحاك بن يسار : ضعيف[710]. فالإسناد لا يصح بسبب وكيع بن الجراح وهذا الأخير .

ونفس الطريق رواه البزار من دون وكيع فقال البزار: ((حدثنا عمرو بن علي ، قال : أخبرنا أبو داود ، قال : أخبرنا الضحاك بن يسار ، قال : أخبرنا أبو تميمة ، عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ، قال : ...))[711].

وإسناده لا يصح أيضا لضعف الضحاك بن يسار، ولعدم تصريح أبي تميمة سماعه الحديث من أبي موسى الأشعري ، لأنه ذكرنا سابقا أن الضحاك روى عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم. فمن المحتمل أنه لم يسمع هذا الحديث من أبي موسى الأشعري .

وبذلك يتبين أن الحديث لم يصح بكل طرقه، وأن مداره على راوٍ واحد هو: أبو تميمة الجهيمي، فالحديث حديث آحاد . وهذا يزيد في ضعفه.

وأما متن الحديث ففيه اضطراب، وإذا فرضنا جدلا أنه صحيح، فهو ليس في صالح الجوع الصوفي في الدعوة إلى صوم الدهر. لأن الحديث توعد من يصوم الدهر بأن جهنم تُضيّق عليه . فالحديث لا يُشجع على صوم الدهر، لأنه لو كان كذلك لكان جزاء من يفعله أن يدخل الجنة ، لا أن يدخل جهنم ثم تُضيّق عليه . فدلّ هذا على أن الحديث ذم صوم الدهر وحذّر منه ، وليس كما أراد السهروردي توجيهه انتصارا للجوع الصوفي.

---

705 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 211 ، ج 10 ص: 85 و ما بعدها .

706 المعارف ، ص: 139 .

707 الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج 4 ص: 220 .

708 محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم : 129 ج 2 ص: 228 . شرف الدين الموسوي: المراجعات ، ط 2 ، الجمعية الإسلامية، بيروت ، 1982 ، رقم: 94 ، ج 1 ص: 236 و ما بعدها .

709 أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2834 ، ج 1 ص : 76 و ما بعدها .

710 ابن عدي : الكامل في الضعفاء ، ج 5 ص: 99 . الذهبي: ميزان الاعتدال ، ج 3 ص: 278 .

711 البزار: مسند البزار ، ج 1 ص: 463 ، رقم: 3063 .

وآخرها مجموعة الأحاديث التي أوردها أبو حامد الغزالي في إحيائه تعضيدا للجوع الصوفي وانتصارا له . وقد سبق أن أوردناها فلا نعيدها هنا تخفيفا على القارئ. لكن الذي يهمنا هنا هو أن تلك الأحاديث ، لم يصح منها ولا حديث واحد، وعلّق عليها الحافظ العراقي بقوله: " لم أجد لهذه الأحاديث المتقدمة أصلا))[712].

علما بأن تلك الأحاديث هي نماذج من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي أوردها أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين. ، وإلا فهو قد ملأ كتابه بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة انتصارا للتصوف ودفاعا عنه. مع أنه قد صحت أحاديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام- حذّر فيها من الكذب عليه، منها ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...))[713]. ، و((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين))[714].. لكن الرجل وأصحابه لم يُبالوا بذلك أصلا، وتمادوا وتفننوا وتوسعوا في رواية الموضوعات تعضيدا للتصوف وانتصارا له، وردا للأحاديث الصحيحة المخالفة لتصوفهم . فالقوم بذلك قد ارتكبوا جريمة كبرى في حق السنة النبوية. فشاركوا في الكذب على النبي-عليه الصلاة والسلام- باختلاق الأحاديث، وبرواية الموضوعات**!!** .

وأخيرا- سابعا- إن ما ذكره القشيري عن الصوفي محمد بن إسماعيل المغربي (ت 299 هـ) بأنه ((كان عجيب الشأن، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعوّد أكلها))[715]. هو فعل يجب أن يُذم عليه ، لأنه تعمد مخالفة الشرع وطبيعة البشر في تركه للطعام البشري وأكله للحشيش كالحيوان. فالإسلام أمرنا بأكل الطعام البشري ، قال تعالى: ((كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأنعام : 141))،و((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل : 14)). وسبق أن بينا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يأكل مختلف أنواع الطعام البشري ، من لحم ،وثريد، وعسل، وخبز . فماذا يتبع هذا الرجل؟؟، إنه لا

---

[712] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 80 .
[713] الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 3 ص: 371، رقم: 1383 .
[714] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 13 ، رقم: 39 .
[715] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 99.

يتبـع الشـرع ، وإنمـا يتبـع العبـادة الصـوفية القائمـة علـى رغبـات وأهـواء وتلبيسات مؤسسيها.

وأما ما رُوي عن ابراهيم بن أدهم بأنه كان يأكل الطين ويُداوم عليه؛ فلاشك أنه فعل مخالف للشرع والعلم ولطبيعة البشر، ومُضر بجسم الإنسان ومُدمر له . ولهذا فالراجح إن صح أنه أكل الطين ، ربما أكله مرة أو مرتين عند الضرورة، ولم يأكله عشرين يوما ، أو شهرا . لكن الرواة الصوفية بالغوا في ذلك كعادتهم من باب ذكر الغرائب عن أحوال شيوخهم. وبما أنه قد تبين بالأدلة الدامغة أن الصوفية وأمثالهم كان يتعمدون اختلاق الروايات لغايات في نفوسهم ، فمن الراجح جدا أن خبر إكثار ابن أدهم من أكل الطين هو من بين تلك الروايات المختلقة .

واما ما ذكرته إحدى الروايات بأن ابن أدهم أكل الطين طلبا للحلال، فهو تبرير لا يصح ومردود على صاحبه .لأنه حتى إذا فرضنا جدلا أنه لم يجد الطعام الحلال، فإن الشرع يُبيح له أكل الطعام البشري المشبوه أو الحرام بدلا من أن يأكل الطين الذي ليس هو من الطيبات، ولا من طعام بني آدم، ولا فعله النبي وصحابته، ولا هو نافع للجسم وإنما مُضربه .

وعليه فبما أن الشرع أباح لنا أكل الميتة عند الضرورة فمن باب أولى أن يأكل الطعام المشبوه بدلا من أكل الطين . والشاهد على ذلك أيضا هو أن النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته في العهد المكي كانوا في مجتمع كافر ومحارب لهم ومع ذلك كانوا يأكلون مما عند قومهم ، ويُتاجرون مع المشركين، وأهل الكتاب والمجوس، ولم يأكلوا الطين بدعوى طلب الحلال. فأي شرع احتكم إليه ابن أدهم الذي كان يعيش في مجتمع مسلم وليس كافرا ليقال أنه لم يجد الحلال ؟؟!! . وحتى هذا المبرر لا يصح كما بيناه . فليس للرجل أي مبرر شرعي ولا عقلي يجعله يأكل الطين ، إلا واحد هو أنه كان يأخذ بالعبادة الصوفية لا الشرعية.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن الجوع الصوفي هو الخطوة الثانية من عبادات الطريق الصوفي؛ الذي هو التطبيق العملي لأصول التصوف. وقد اهتم به شيوخ الصوفية الأوائل اهتماما كبيرا ، وغالوا فيه غلوا شديدا، حتى أنهم رووا المستحيلات عن أحوالهم مع الجوع.

وتبين أيضا أن الجوع الصوفي مخالف للشرع، والعقل ، والعلم، وأنه جوع مُضر بالإنسان ومُدمر لقواه العقلية والنفسية والجسمية، فينقله من الوعي إلى اللاوعي، ومن الصحة إلى المرض. الأمر الذي جعل أكثر متأخري الصوفية يتركون الجوع الصوفي ويقبلون على كثرة الأكل وحضور الولائم، وعقد مجالس الغناء والرقص، ومنهم من عوّض الجوع الصوفي بتعاطي المخدرات كوسيلة سهلة وسريعة تنقل الصوفي من الوعي إلى اللاوعي .

ثالثا: الصمت والسهر(قلة النوم) :

يأتي الصمت بعد الجوع ،وهو الخطوة الأساسية الثالثة من عبادات وممارسات الطريق الصوفي، ثم يليه السهر- قلة النوم- الذي هو رابع وآخر أساسيات العبادة الصوفية الموصلة إلى غاية التصوف[716].

فبالنسبة للصمت فإن الصوفي بعدما يعتزل ويخلو بنفسه ويحملها على الجوع الشديد يُلزمها أيضا الصمت لأنه من ضروريات مواصلة الطريق عند الصوفية. ولهذا اهتم به شيوخ التصوف وحثوا عليه .

فمن ذلك : سُئل الصوفي أبو بكر الفارسي عن حقيقة الصمت فقال: ((ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل))[717].

وعن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: ((لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت))[718]. وقال: ((اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالاً ... منها : الصمت))[719].

وقال عبد الكريم القشيري: ((فأما إيثار أرباب المجاهدة السكوت: فَلِما علموا ما في الكلام من الآفات؛ ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من آفات في الخلق))[720].

---

[716] الممارسات التي تأتي بعد السهر ليست من أساسيات الطريق الصوفي، وإنما هي من فروعه ولواحقه وجزئياته .

[717] القشيري: الرسالة، ص: 58 .

[718] القشيري: الرسالة، ص: 57 .

[719] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 132 .

[720] القشيري: الرسالة، ص: 57 .

وذكر أبو حامد الغزالي أن الطريق الصوفي يتكون من أربعة أمور، منها : الصمت [721]. وقال : ((وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير))[722]. وعليه فينبغي على المعتزل أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشَرَه القلوب إلى الكلام عظيم، فإنه يُستروح إليه ويُستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يلقح العقل ،ويجلب الورع ،ويعلم التقوى))[723].

وذكر الشهاب السهروردي في عوارفه أن مشايخ الصوفية اتفقوا على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء، منها: قلة المنام[724].

وردا عليهم أقول:

أولا واضح من أقوال هؤلاء الصوفية أنهم مدحوا الصمت مُطلقا ، وهذا لا يتفق مع الموقف الشرعي من الصمت ولا ينطبق عليه. لأنهم اتخذوا موقفهم منه انطلاقا من التصوف لا من الشرع . وتفصيل ذلك هو أن الله تعالى أمرنا بالسكوت إذا كان الكلام حراما ، أو لغوا ، وأمرنا بالكلام إذا كان السكوت حراما، أو مضرا. قال سلحانه: ((وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً)(الإسراء: 53))، و((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)(البقرة : 83))، و((وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الحج: 77)). و((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل : 125)) و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة: 101)) .

وفي الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت))[725]، و(((المؤمن الذي يخالط الناس و يصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)) [726].

---

[721] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .
[722] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 76 .
[723] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 76 .
[724] نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 102 .
[725] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 296 ، رقم: 2961 .
[726] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 2 ص: 87 ، رقم: 6651 .

و((« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »))[727]، و((لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق))[728].

وبذلك يتبين أن الصمت مأمور به إذا كان الكلام باطلا ولغوا، ومُنهى عنه إذا كان الصمت إثما وسكوتا عن الباطل وتفويتا للحقوق. فلابد أن يخضع الصمت والكلام لميزان الشرع والعقل، فيُستخدم كل منهما في مكانه الصحيح. فهناك مواقف لا يصح فيها السكوت، ويكون الكلام فيها مطلوبا، وأخرى يكون فيها السكوت صحيحا ومطلوبا أيضا .

وأما تعليلهم لموقفهم بأنهم آثروا السكوت لما فيه من فوائد تعود عليهم، كتخلصهم من آفات الكلام ، فهو تعليل لا يصح على إطلاقه. لأن الصمت الدائم كما له إيجابيات فله سلبيات أيضا . وقد يكون الصمت من حظوظ النفس ، فيتظاهر صاحبه به للتباهي وإظهار الزهد وجلب الثناء ، ولنشر خبره بين الناس، وهذا حظه من سكوته. وقد يكون السكوت في حقه حراما إذا سكت عن المنكرات ،ولم يقم بالأوامر الشرعية التي يتطلب تطبيقها بالكلام لا بالصمت.

ومن جهة أخرى فهل حقا أن الصوفية آثروا الصمت على الكلام في كل أحوالهم؟؟ . طبعا لا ، فهم مع تشددهم في موقفهم من الصمت ، فقد نقضوه بحرصهم على عقد مجالس السماع، وفيها يُغنون ويرقصون، ويصيحون ويُمزقون ملابسهم **!!**.

وثانيا إن قول بعضهم بأن الصمت هو ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل[729]، هو قول لا يصح على إطلاقه ، مخالف للشرع وطبيعة البشر، وللعقل والعلم أيضا . فقد أمرنا الله تعالى بأن نعتبر بالماضي ونشتغل بالمستقبل لنتهيأ له ونجنب أنفسنا ما قد يحل بنا من خسران في المستقبل. قال سبحانه: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ)(يوسف: 111))، و((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)(آل عمران: 137))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(التحريم: 6))، و((يَا

---

[727] مسلم : الصحيح، ج 1 ص: 50 ، رقم: 186 .
[728] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 2 ص: 150، رقم: 7520 .
[729] القشيري: الرسالة، ص: 58 .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(الحشر: 18)).

ومن جهة أخرى فمن من المعروف عقلا وعلما أنه يجب على الإنسان أن يهتم بالماضي من أجل الحاضر والمستقبل ، ويهتم بالحاضر من أجل الماضي والمستقبل ، وأن يهتم بالمستقبل لخدمة ماضيه وحاضره. وهذا الاهتمام كله لا يتم بالصمت ، وإنما يتم أساسا بالعمل والكلام .

وثالثا إن الكلام إذا كان من أجل الحق والخير فهو من العبادة، ويزيد في الإيمان وتنوير القلوب. كما أن السكوت إذا كان سكوتا عن الحق والمنكرات مع المقدرة على تغييرها ، فهو حرام ، ويزيد في ظلمة القلب وقساوته، وينقص من إيمانه وسعادته من جهة؛ ويجلب عليه الخوف والسلبية والانهزامية من جهة أخرى .قال تعالى: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران: 104))،و((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل: 125))، و((وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً)(الإسراء: 53))، و((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران: 110)) . فالله تعالى أمر المسلمين بأن يتكلموا بحق وعدل ، وأن يسكتوا بحق وعدل. وهذا خلاف ما قرره أبو حامد الغزالي وأمثاله من هؤلاء الصوفية .

وأخيرا- رابعا- إن قول سهل التستري: ((لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت))[730]. هو قول مخالف للشرع ، وليس من العقل ولا من العلم ، لأن الصمت ليس مشروطا بالخلوة من عدمها ، وإنما هو مرتبط بالحق والعدل والمقدرة. فالمسلم مطالب بأن يقول الكلام الحسن والأحسن ويسكت عن الكلام الحرام ويبتعد عن فضوله، سواء كان مع الناس أو مُنعزلا عنهم.

وصحة التوبة ليست مشروطة بلزوم الصمت، وإنما هي مشروطة بشروط أخرى، منها الصدق في التوبة، والتوقف عن المنكرات التي كان

---

730 القشيري: الرسالة، ص: 57 .

يفعلها، ورد الحقوق إلى أصاحبها. وأما الصمت فليس شرطا أساسيا فيها. فقد يكون من شروط صحة التوبة الكلام بحق وعدل، وقد يكون من شروط صحتها السكوت عن الكلام الفاحش واللغو ، وعدم التحدث في أعراض الناس.

وأما بالنسبة للسهر - قلة النوم- عند الصوفية، فمن أقوالهم فيه ما ذكره القشيري من أن داود الطائي كان يقول في الليل: (إلهي همُّك عطَّل عليَّ الهموم الدنيوية، وحال بيني وبين الرقاد))[731].

وروى أبو نُعيم الأصبهاني بإسناده أن الصوفي إبراهيم بن أدهم كان ((في شهر رمضان يحصد الزرع بالنهار ويصلي بالليل، فمكث ثلاثين يوما لا ينام بالليل ولا بالنهار))[732].

وحكى سهل بن عبد الله التستري عن نفسه، فقال :((عزمتُ على أن أطوي ثلاث ليالٍ، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله))[733].

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده : ((حدثنا أبو محمد ثنا أحمد بن روح ثنا أحمد بن غالب ثنا محمد بن عبد الله الخزاعي قال: صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة))[734].

وذكر أبو نعيم الأصفهاني، أن من صفات الصوفية ((أنهم هجروا المراقد واستوطنوا المساجد . حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة ، أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال : « إن للمساجد أوتادا ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا تفقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم »))[735].

---

[731] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 54 .
[732] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 378 .
[733] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 60 .
[734] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 6 ص :163 .
[735] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 63 .

وقال عبد الكريم القشيري: ((سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما قال إبراهيم لإسماعيل، عليهما السلام: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك قال إسماعيل: يا أبت، هذا جزاء من نام عن حبيبه، لو لم تنم لما أمرت بذبح الولد . وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كذب من أدعى حبي، فإذا جنّه الليل نام عني .!! والنوم ضد العلم ؛ ولهذا قال الشبلي: نعسةٌ في ألف سنة فضيحة. وقال الشبلي: اطلع الحق على الخلق فقال: من نام غَفَل، ومن غَفَل حُجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح حتى كان لا يأخذه النوم، وفي معناه أنشدوا:

عجباً للمحب كيف ينام ... كل نوم على المحب حرامُ[736] . .

وقيل: لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له: هذه حواء لتسكن إليها، هذا جزاء من نام بالحضرة))[737].

وذكر أبو حامد الغزالي أن الطريق الصوفي يتكون من أربعة أمور، منها: السهر[738]. ونفس الأمر قرره الشهاب السهروردي في عوارفه، فذكر أن مشايخ الصوفية اتفقوا على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء ، منها: قلة النوم[739].

وآخرهم ما رواه الشعراني عن حال أبي السعود الجارحي(ت نحو: 930 هـ) ، فذكر أنه ((كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان لا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية))[740].

وردا عليهم أقول:

أولا إن دعوة هؤلاء الصوفية إلى السهر وعدم النوم إلا ضرورة ، هي دعوة مخالفة للشرع والعلم، ومُضرة بالإنسان ومُعطلة لطاقاته وقدراته، وقد تدمره في النهاية. وهي مخالفة للشرع لأن الله تعالى أمرنا بالوسطية والاعتدال وعدم الإسراف في تعاملنا مع غرائزنا وتلبية حاجياتنا النفسية والعقلية والبدنية، منها الأكل ، والشرب، والنوم . فالنوم من فضل الله علينا،((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً))(النبأ:9-11)، ومن ضروريات حياتنا، فيجب على الإنسان أن يأخذ حقه منه

---

736 القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 175 .
737 القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 175 .
738 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .
739 شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ،حققه عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ، ج 2 ص: 52 .
740 الشعراني: طبقات الصوفية ، ص: 468 .

بلا إفراط ولا تفريط. وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- ينام ويصلي، ولا يقوم كل الليل، ولا ينامه كله ، قال سبحانه: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمّل: 20))، و((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6)) .

ومن جهة أخرى فمن لا ينام في الليل سينام في النهار ولا يخرج في طلب الرزق، ولا يُؤدي حقوق الناس عليه. وهذا مخالف للشرع ولسنة الحياة ، لأن الله تعالى لم يجعل النهار للنوم وإنما جعله للعمل وعمارة الأرض. قال سبحانه: ((وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)(النبأ:9-11))، و((فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمّل: 20)) . ولهذا فمن كان يعبد الله حق عبادته ووفق شرعه لا يأخذ بموقف الصوفية في دعوتهم إلى السهر وقلة النوم، لأنه في هذه الحالة يعبد هواه ورغباته ولا يعبد الله تعالى وفق شريعته .

وثانيا إن مما لا شك فيه أن الاعتدال هو المطلوب في النوم ، لأن كثرته وقلته تضران بالإنسان. وفي هذا يقول المحقق ابن قيم الجوزية : ((وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات ، فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرى عظام : من سوء المزاج ويبسه ،وانحراف النفس وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل ،ويورث أمراضا متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا ببدنه معها ،وما قام الوجود إلا بالعدل فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير وبالله المستعان))[741]. وكلامه هذا صحيح ومجرب ، فقد بينت الأبحاث العلمية أنه يجب على الإنسان أن يأخذ القسط الكافي من النوم لأنه ضروري لجسمه، وأن الإقلال منه والمداومة عليه تسبب له مخاطر وأمراضا واضطرابات . منها اضطراب الادراك ، و ظهور خداعات الحواس، وصعوبة المشي ، ورؤوية أشياء لا وجود لها في الواقع، وفقدان التوازن في التفكير[742].

[741] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1973، ج 1 ص: 460 .
[742] ألكسندر بوربلي: أسرار النوم، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، 1992، ص: 179، 180، 181. والموسوعة العربية العالمية، مادة: النوم .

وثالثا إن قول داود الطائي : ((الهي همُّك عطَّل عليَّ الهموم الدنيوية، وحال بيني وبين الرقاد))[743]. ظاهره ربما يخدع كثيرا من الناس، لكن حقيقته أنه كلام صوفي مسموم مخالف للشرع ، ومُعطل للدين والدنيا.لأن الذي يكون همه الله تعالى يجب أن يكون عبدا له مُلتزما بشرعه قلبا وقالبا، ومجاهدا بنفسه وماله في سبيل الله، وينام ويصلي ، وينطبق عليه قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)). ولا يكون كما قال داود الطائي، بأن همه بالله منعه الرقاد . فهذا هم صوفي ، وليس هما شرعيا، لأن الهم الشرعي لا يمنع من عمارة الأرض، ولا من النوم، لقوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمِّل: 20)).

ورابعا إن قول أبي نعيم الأصبهاني : ((ومنها أنهم هجروا المراقد واستوطنوا المساجد))، وتأييده بحديث نبوي[744]، هو قول لا يصح شرعا ولا تاريخا. فبالنسبة للحديث فإسناده لا يصح، لأن من رجاله: عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري الأعدولي الغافقي القاضي (96- 174هـ)، قيل فيه : ضعيف، ليس بحجة، تركه كثيرمن المحدثين، ثقة، فيه غفلة، مُخلط، ليس بثقة، لا يُحتج بحديثه، مُتساهل كثير المناكير، يُدلس عن أقوام ضعفاء على أقوام ثقات قد رآهم. وكان يُقرأ عليه ما ليس بحديثه فيسكت[745] . و قد عده ابن عدي من الشيعة، ووصفه بأنه ((مفرط في التشيع))[746]. وذكره ابن قتيبة من بين رجال الشيعة[747].وعَدّه الشيعة الإمامية من رجالهم ، و مروياته الشيعية الإمامية في كتبهم المذهبية[748].

وأما قوله: ((أنهم هجروا المراقد واستوطنوا المساجد))، فهو ينطبق على العبادة الصوفية لا الشرعية، وقد بينا سابقا موقف الشرع والعلم من

743 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 54 .
744 أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 63 .
745 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 648، ج 4 ص: 271 و ما بعدها .
746 الذهبي: ميزان الاعتدال ، ج 4 ص: 333 .
747 المعارف، ص: 139 .
748 أنظر مثلا: أبو جعفر الطوسي : الغيبة، رقم: 479، ج 2 ص: 426 . و محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 68، ج 1 ص: 399 و ما بعدها . و القاضي النعمان الإسماعيلي: شرح الأخبار في فضائل الأئمة ، ج 4 ، ص: 159.

النوم فلا نعيده هنا. ومن جهة أخرى فهو قول مخالف لما كان عليه النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام، فمن الثابت أنهم لم يهجروا المراقد ولا استوطنوا المساجد، فقد كانت لهم بيوتهم وأعمالهم ،وجهادهم في سبيل الله، وجمعوا في ليلهم بين النوم القيام . وأما أهل الصُفة منهم فقد سبق أن بينا حالهم ، ومع ذلك فهم لم يهجروا المراقد ولا استوطنوا المساجد، وإنما سكنوا في صُفة المسجد النبوي، فيه ينامون ويأكلون، وفيه يُصلون ويطلبون العلم، مع الجهاد في سبيل الله كغيرهم من المسلمين. ثم لما تحسنت أحوالهم في الخلافة الراشدة تفرقوا واتخذوا بيوتا كغيرهم من الناس[749].

وخامسا إن ما رواه أبو نُعيم الأصبهاني بأن إبراهيم بن أدهم كان في شهر رمضان ((يحصد الزرع بالنهار ويصلي بالليل ،فمكث ثلاثين يوما لا ينام بالليل ولا بالنهار))[750]. فهو خبر لا يصح إسنادا ولا متنا ، بل إنه مستحيل الحدوث.

فأما إسناد فلا يصح لأن من رجاله: حجاج بن حمزة العجلي الرازي المعروف بالخشابي : شيخ ، صدوق[751]. وهذه المرتبة تشعر بالعدالة لا بالضبط، ولا تجعله حجة . وأبو يزيد عبد الرحمن بن مصعب بن يزيد الأزدي القطان الكوفي ، مجهول الحال[752].

وأما متنا فالخبر فباطل ، لأنه يستحيل على الإنسان لا ينام ثلاين يوما ويبقى إنسانا عاديا يعمل بالنهار ويُصلي بالليل. لأنه قبل أن يصل إلى عشرين يوما يكون قد انهار تماما وفقد كل قواه، وهنا إما ينام مضطرا رغم أنفه ، وإما يكون في غيبوبة تامة بين الموت والحياة، وربما قد يموت. وقد بينت التجارب الحديثة أن الإنسان إذا لم ينم ثلاثة أيام فلا يستطيع الحفاظ على توازنه، ويصبح يجد صعوبة كبيرة في التفكير، والنظر، والسمع، وتبدأ تظهر عليه الهلوسات ، فيرى أشياء لا وجود لها في الواقع، ويُخلط بين الحياة الحقيقية وأحلام اليقظة . وعندما تمكن بعض الأشخاص من البقاء أحد عشر يوما دون نوم بعد إجهاد ومعاناة كبيرة ،فإنهم بالإضافة إلى ما كانوا فيه، فإنهم فقدوا صلتهم بالواقع الذي يعيشون فيه. من ذلك أنهم

---

749 سبق تفصيل ذلك وتوثيقه في الفصل الأول .

750 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 378 .

751 الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 19 ص: 104 .

752 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 186 .

اعتقدوا بأن الطبيب ليس سوى حانوتي جاء ليدفنهم، أو أن الطعام الذي يتناولونه قد سُمّم لهم[753] .

وأخيرا- سادسا- إن ما قاله القشيري عن حب الله والنوم ، وما رواه عن عن آدم ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وداود - عليهم السلام- هو قول لا يصح. لأن ما ذكره عنهم لم يذكر دليلا عليه من القرآن ،ولا أورده بإسناد صحيح ولا ضعيف ، وهذا يعني أن الخبر لا أصل له. فمن أين له بما رواه عنهم ؟؟!! .

وأما القول بأن المحب لا يغفل عن محبوبه، ولا ينام عنه ، وحرام عليه أن ينام عنه . فهو قول غير صحيح ، ومخالف للشرع مخالفة صريحة ومكشوفة. لأنه من الثابت قطعا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- هو أعظم الخلق حبا لله تعالى، وهو القائل: ((ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا إن صاحبكم خليل الله)) [754]. ومن بعده صحابته- رضي الله عنهم- كانوا من أعظم الناس حبا لله تعالى، وقد شهد لهم بالإيمان والعمل الصالح. لكن مع ذلك كانوا يقومون الليل وينامون ، وصدرت منهم أفعال عاتبهم الله عليها. فليس صحيحا أن المحب لا يغفل ولا ينام ، فهذا قول مأخوذ من العبادة الصوفية لا الشرعية.

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه أن الصوفية اتخذوا من الصمت والسهر موقفا متطرفا موافقا للعبادة الصوفية، ومخالفا للشرع والعقل والعلم من جهة؛ وهو موقف ينسجم تماما مع أساسيات الطريق الصوفي من جهة أخرى.

<u>رابعا : الحث على العزوبية وتفضيلها على الزواج:</u>

لا يُعد الزواج والعزوبية من أركان وأساسيات الطريق الصوفي ،لكنهما من فروعه ونتائجه القائمة على أساسياته. وبما أن الصوفية أقاموا العبادة الصوفية على الخلوة ، والجوع، والصمت، والسهر، فمن الطبيعي جدا أنهم سيُفضلون العزوبية عن الزواج ويحثون عليها . لأن الذي يُمارس الطريق الصوفي لا يستطيع غالبا أن يتزوج ويتحمل مسؤولياته تجاه زوجته وأولاده. ولهذا وجدنا شيوخ الصوفية يحثون على العزوبية ويُفضلونها على الزواج، ويزدرون من يتزوج . مع أن موقفهم هذا مخالف للشرع والعقل والعلم. فما تفاصيل ذلك ؟؟. ولماذا خالفوا الشرع في موقفهم من الزواج ؟،

---

[753] الموسوعة العربية العالمية، مادة: النوم .

[754] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 22 ، رقم: 76 .

ولماذا العقيدة الصوفية تحث على العزوبية وتذم الزواج ؟؟. وهل موقفها من الزواج والعزوبية أصيل فيها، أم هو أمر طارئ عليها ؟؟.

فمن أقوالهم في ذلك ، ما رواه الصوفي أبو نُعيم الأصبهاني بإسناده : ((حدثنا أبو غانم سهل بن اسماعيل الفقيه الواسطي، ثنا عبد الله بن الحسن، ثنا اسحاق بن وهب، ثنا عبد الملك بن يزيد، ثنا أبو عوانة ،عن الأعمش، عن أبي وائل ،عن عبد الله بن مسعود قال: إذا أحب الله عبدا اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد))[755].

وعن الصوفية رابعة العدوية أن عبد الواحد بن زيد خطبها فقالت له : ((يا شهواني اطلب شهوانية مثلك، أي شيء رأيت فيَّ من آلة الشهوة؟))[756].

وروى بعض الصوفية عن مالك بن دينار أنه قال: ((لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب))[757]. وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال: ((من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح))[758].

وقيل لبشر الحافي: ((إنّ الناس يتكلمون فيك، فقال: وما عسى يقولون؟ قيل: يقولون إنك تارك لسنّة، يعنون النكاح، فقال: قل لهم: إني مشغول بالفرض عن السنّة))[759].

وعن أبي سليمان الداراني أنه قال: ((إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا))[760]. وقيل له مرة: ((ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال: لا آنسني الله بها...وقال: أيضا : كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم.))[761]. وقال أيضا: ((الذي يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة، إن أراد أن يأكل أو ينام أو

---

[755] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .
[756] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 456 .
[757] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 6 ص: 194 .
[758] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 210 .
[759] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .
[760] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 193.
[761] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 101 . و أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 264 .

يجامع نغص عليه وإن أراد أن يتعبد شغله)) [762]. و((ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الأول))[763].

ورُوي عن سهل بن عبد الله التستري ، أنه قال: ((إياكم والاستمتاع بالنساء ، والميل إليهن ، فإن النساء مبعّدات من الحكمة ، قريبات من الشيطان ، وهي مصايده وحظه من بني آدم ، فمن عطف إليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ، ومن حاد عنهن يئس منه ، وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء ، وإن الشر معهن حيث كنّ ، فإذا رأيتم في وقتكم من قدركن إليهن فايأسوا منه))[764].

وقال أبو طالب المكي: ((فالأفضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة وعود العصمة، ولم تنازعه نفسه إلى معصية))[765].

وذكر الصوفي أبو طاهر المقدسي أن بعض الصوفية آثروا العزوبية على التزوج، ثم أورد أحاديث تحذر من فتنة النساء ، منها : ((أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قام خطيبا فكان فيما قال: إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء))[766].

وقال أبو حامد الغزالي: ((اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله. ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى)) [767].و ((وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه و سلم : خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد))[768].

وعن الشهاب السهروردي أنه قال: ((التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ، وجوع من الترمح إلى النقص ، وتقيدا بالأولاد والأزواج ،

---

[762] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 264 .
[763] الغزالي: إحياء علوم الدين،ج 2 ص/ 24، ج 3 ص: 101 .
[764] نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 57 .
[765] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .
[766] أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 464 .
[767] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 101 .
[768] الغزالي: الإحياء، ج 2 ص: 24 .

ودوران حول مظان الاعوجاج ، والتفاف إلى الدنيا بعد الزهادة ، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة))[769].

وأخيرا قال عبد الكريم القشيري: ((وحُكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله، فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي؛ وهي كذلك كانت تهواني؛ فاتفق أنها زوجت مني، فليلة زفافها قلنا: تعال: حتى تحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة، ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين؛ أو ثمانين سنة، نحن على تلك الصفة كل ليلة: أليس كذلك يا فلانة، فقالت العجوز: كما يقول الشيخ))[770].

وردا عليهم أقول:

أولا إن موقف الصوفية في حثهم على العزوبية وذمهم للزواج هو موقف صوفي مخالف للشرع ومعاند له، ومزدرٍ به عن سبق إصرار وترصد . وهو من جهة أخرى مُعطل لجانب كبير من تشريعات الإسلام المرتبطة بالأسرة، ومُفسد للعمران البشري أيضا .

ولذلك فإن هؤلاء الصوفية قد انحرفوا عن الشرع انحرافا بينا لا لُبس فيه ، مع كثرة النصوص الشرعية ووضوحها في الحث على الزواج والترغيب فيه، والأمر به أيضا . فمن ذلك مثلا ، قوله تعالى: ((فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ)(النساء : 3)). و((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(النور: 32)). وجعل الشرع الزواج سببا لحصول السكينة والطمأنينة بين الزوجين ، كما في قوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الروم: 21)) .

ومن السنة النبوية: عن النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في

---

[769] عبد الرؤوف المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير ، ج 2 ص: 671 . وإحسان إلهي ظهير : التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 57 .

[770] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 82 .

الحلال ؛ كان له أجر)) صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر))[771]. و دعا النبي-عليه الصلاة والسلام للصحابي أنس بن مالك بقوله:((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته))[772]. وعن عائشة قالت: ((قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- :" النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء"))[773].

واضح من ذلك أن الزواج الحلال في الإسلام هو من العبادة ويزيد في الأجر والإيمان ، لكنه عند الصوفية مذموم ،وقاطع عن العبادة الصوفية لذا يجب محوه ومقاومته عندهم. مما يعني أنهم تعمدوا مخالفة الشرع، وأنهم يتلقون أفكارهم وأخلاقهم من التصوف لا من دين الإسلام.

ومع أن حث الصوفية على العزوبية وذمهم للزواج هو امتداد لرهبانية البوذيين والنصارى ؛ إلا أن شيوخ الصوفية تبادلوا الأدوار في إظهار موقفهم من الزواج ، فمنهم من فضل العزوبية على الزواج، ومنهم من جعله عائقا أمام المريد في الطريق الصوفي، ومنهم ذمه صراحة وحث على تركه، وجعله من مصائب الدنيا، ومن علامات ضعف الصوفي إذا تزوج . لكن النتيجة واحدة هي مخالفة الشرع في دعوته إلى الزواج، لكنهم تبادلوا تلك الأدوار تقيةً وتجنبا لإنكار المسلمين عليهم، ولهذا حرص أكثرهم على ستر مواقفهم بغطاء شرعي حتى وإن كان شفافا لا يكاد يستر شيئا من موقفهم المخالف للشرع .

وثانيا إن القول المنسوب للصحابي عبد الله بن مسعود بأنه قال: ((إذا أحب الله عبدا اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد))[774]. فهو قول لا يصح إسنادا ولا متنا ، فأما إسنادا فلا يصح لأن من رجاله:

أبو عوانة وضاح بن عبد الله اليشكري (176هـ)، قيل فيه : ثقة ، ثبت[775]، كثير الغلط إذا حدث من حفظه، في حديثه عن قتادة لين ،لأن كتابه

---

[771] مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .
[772] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 73 ، رقم: 6334 .
[773] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 310 ، رقم: 1496 ،
[774] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 25 .

كان قد ضاع منه[776]. قال عبد الرحمن بن مهدي: نظرت في كتاب أبي عوانة وأنا أستغفر الله[777].وقال أحمد: " إلا أنه بآخرة كان يقرأ من كتب الناس فيقرأ الخطأ، فأما إذا كان من كتابه فهو ثبت"[778]. كان ((يقرأ ولا يكتب ... ويستعين بمن يكتب)) [779]. قال له شعبة: ((قال شعبة لأبي عوانة كتابك صالح وحفظك لا يساوي شيئًا))[780].وقال أحمد بن حنبل: ((كان أبو عوانة وضع كتابا فيه معايب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفيه بلايا فجاء سلام بن أبي مطيع(ت 164هـ) فقال: يا أبا عوانة أعطني ذاك الكتاب فأعطاه فأخذه سلام فاحرقه. قال أبي: وكان سلام من أصحاب أيوب وكان رجلا صالحا))[781]. فالرجل مُتهم في عدالته ،وضعيف في ضبطه .

وسليمان بن مهران الأعمش ، فصلنا حاله سابقا، وتبين أنه ضعيف ومُدلس ، وهنا قد عنعن .

وأبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي(توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز عن 100 سنة هـ): مخضرم، من كبار التابعين، ثقة ، يُرسل[782]. وبما أنه يُرسل ، وهنا لم يُصرّح بالسماع ، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته عن ابن مسعود، فيحتمل أنه لم يسمعه منه .

وأما متنا فهو ظاهر البطلان ، لأنه مخالف لدين الإسلام كما بيناه أعلاه، ولا يُمكن لصحابي جليل كابن مسعود أن يقوله ، لأنه رد للشرع وطعن فيه.

وباطل أيضا لأنه من الثابت قطعا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام قد أحبهم الله تعالى وزكاهم وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح، ومع ذلك كانوا كثيري التزوج والتسري والأولاد، منهم ابن مسعود نفسه .علما بأن التزوج الشرعي ليس مشغلة عن عبادة الله تعالى، بل هو من العبادة، والمسلم له في ذلك أجر في تزوجه وتربية أولاده والإنفاق عليهم . مما يعني أن ذلك القول المنسوب إلى ابن مسعود، هو قول

---

775 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 240، ج 10 ، ص: 80 .

776 ابن حجر: هدى الساري مقدمة فتح الباري، ج 2 ص: 387.

777 أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج 9 ص: 171.

778 أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج 9 ص: 171.

779 الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 1ص: 174.

780 الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 1ص: 174.

781 أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج 2 ص: 113 .

782 ابن حجر: تهذيب ، ج 3 ص: 249.

مكذوب عليه، اختلقه أحد الصوفية أو غيرهم ونسبه إلى ابن مسعود لغاية في نفسه.

وثالثا إن قول رابعة العدوية لمن أراد أن يخطبها : ((يا شهواني اطلب شهوانية مثلك، أي شيء رأيت فيَّ من آلة الشهوة؟))[783]. هو جواب لا يليق ، وفيه قلة فقه واحترام وأدب ، وفيه اتهام للرجل وتهجم عليه بلا حق ، وليس هو من أخلاق الإسلام . لأن الزواج ليس عيبا ،ولا تهمة، ولا نقصا ، وإنما هو من شريعة الله تعالى وسنة أنبيائه وهدى أصحابهم . وعليه فلا يصح الازدراء به، ولا التهكم بمن يريد الزواج. وليس عيبا أن يطلب الإنسان شهوته الجنسية في الحلال ، فله أجر في ذلك . والزواج حصن وسكن وعفة ، قال سبحانه : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الروم: 21))، و ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)) . وهذه المرأة الصوفية قد طعنت في الشرع والنبي ، والصحابة وتابعيهم من حيث تدري أولا لا تدري.

وقولها -إن صح عنها- يندرج ضمن دعوة الصوفيه إلى العزوبية والرهبنة ، والانسحاب من عمارة الأرض، وإهمال القيام بأوامر الشرع في الدعوة إلى الإسلام وإقامة دولته. وعليه فإنه كان على رابعة العدوية أن لا تجيبه بذلك الجواب لأنها ازدرت بالشرع وأساءت التعامل مع الرجل. فإن كانت هي ليست عندها رغبة في الزواج فتعبر عن موقفها بجواب صحيح ورد جميل . وفي هذه الحالة قد يكون النقص فيها لا في الذي خطبها، لأن الزواج سنة الحياة، ومن لا يتزوج فقد خالفها وغير عادي في موقفه من الزواج.

وأما قول إبراهيم بن أدهم: ((من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح))[784]؛ فهو قول مبالغ فيه جدا، وحكم عام لا يصدق على كل من يُكثر الجماع، أو التزوج .ولهذا لا يصح الحكم على من ذلك حاله بأنه لم يفلح . فهذا حكم باطل، وليس في دين الإسلام أن من يتعود الجماع ويُكثر منه لا يُفلح، وإنما الذي لا يُفلح فهو الذي يطلبه من حرام، وأما الذي يطلبه من حلال فلا إثم

[783] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 456 .
[784] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 210 .

عليه، وله فيه أجر، وقد يكون له زادا يُحصن به نفسه وأهله. قال سبحانه: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)(المؤمنون :1- 5).

وحسب كلام ابن أدهم أن الأنبياء والصحابة وأتباعهم الذين أكثروا من التزوج والتسري لم يفلحوا!! . وبما أن كلامه هذا غير صحيح شرعا، لأن الله تعالى شهد لهؤلاء بالفلاح، فإن الفلاح الذي قصده الرجل هو الفلاح الصوفي لا الشرعي، لأنه نظر إلى التزوج ومعاشرة النساء نظرة صوفية لا شرعية.

ومن جهة أخرى فإن كلامه تضمن تعريضا بالشرع ،وتشهيرا به وطعنا فيه ، بحكم أنه حث على التزوج والاستمتاع بالنساء. وهذا شاهد قطعي على مخالفة الرجل للشرع ، وخطأ موقفه من الزواج وأنه تكلم فيه بلسان العبادة الصوفية لا الشرعية، فانتصر للتصوف وطعن في الشرع وأهله. وهذا ليس تبريرا لموقفه، وإنما هو كشف لحقيقة الرجل بخلفيته وغايته الصوفية .

وأما جواب بشر الحافي بأنه ترك سنة الزواج لأنه كان مشغولا بالفرض عن السنة[785]. فهو جواب فيه تغليط وتلبيس وممارسة للتقية، لأن معظم الذي هو فيه من عبادات ممارسات صوفية ليست من الفرائض ولا من السنن الشرعية، لأنها ليست من دين الإسلام أصلا. فأية فرائض شرعية قام بها فشغلته عن السنة ؟؟ !!. ومن أين له بأن على المسلم أن يطبق الفرائض أولا ثم السنن في مرحلة أخرى ثانيا ؟؟. فهذا ليس لازما، فنحن كثيرا ما نجمع في تطبيقنا للشرع بين الفرض والسنة في وقت واحد. كالصلاة مثلا ، فننحن نصلي ونجمع فيها بين الأركان والفرائض، والسنن والمستحبات في الصلاة الواحدة. وألم يكن النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام مُتزوجين أثناء تطبيقهم للإسلام كله بأركانه وفرائضه ،وسننه ومستحباته في وقت واحد ؟؟ .

ولذلك فإن حقيقة موقف الرجل من التزوج هو نفسه موقف التصوف وأهله في الدعوة إلى الرهبنة وترك التزوج على طريقة رهبان البوذية والنصرانية ؛ لكن الرجل أخفى موقفه تقيةً ، وعلله بتبرير مُضحك

[785] ابو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .

ومرفوض . فعل ذلك لأن حقيقة أمره أنه كان مشغولا بفرائض التصوف وسننه، لا بفرائض الشرع وسننه.

ورابعا إن قول أبي سليمان الداراني: بأن من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا[786]. فهو قول غير صحيح على إطلاقه ، لأن التزوج في ذاته له جانب دنيوي، وآخر أُخروي . فمن تزوج الزواج الشرعي فهو قد جمع بين الدنيا والآخرة، ويكون الزواج وسيلة تساعده على الوصول إلى الآخرة. وبما أن الصوفية سبق أن بينا أنهم لا يرجون الآخرة، فإن من يأخذ بقول الداراني يكون قد ركن إلى الدنيا بالتواكل والكسل والطمع ، وبمجالس الغناء والرقص انتظارا لصدقات الناس، كما هو حال الصوفية.

وقوله هذا فيه جهل ورعونة نفس، وتعالم على الشرع والمؤمنين، وفيه اتهام صريح للأنبياء والصحابة بأنهم ركنوا إلى الدنيا ؛ بحكم أنهم تزوجوا وتسروا كثيرا . ومن جهة أخرى فهو قول طَعَن به في الشرع طعنا صريحا، بحكم أن الله تعالى حث على الزواج وأمر به، وجعله من حكمته وفضله علينا . قال سبحانه: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الروم : 21)). مما يعني أن الداراني تكلم بلسان التصوف لا بلسان الشرع، أفصح عن موقفه بالعبارة الواضحة لا بالإشارة الصوفية المُلغزة .

وأما قوله بأن ((الذي يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة، إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وإن أراد أن يتعبد شغله))[787]. فهو قول هادم للدين والدنيا معا، وصريح في مخالفة الشرع ومعاندته ،والطعن فيه والتعالم عليه. وكلامه هذا لا يقوله مسلم، ولا عاقل، وإنما يقوله جاهل، أو صوفي ينتصر لتصوفه. ومعنى كلامه أن الشرع أحمق، لأنه حثنا على التناسل والإنجاب **!!** . وأن الأنبياء وأتباعهم حمقى لأنهم تزوجوا وأنجبوا البنين والبنات**!!** . هذا الباطل من لوازم كلام الدراني الذي أعماه تعصبه للتصوف حتى أوصله إلى مخالفة الشرع والطعن فيه وفي الأنبياء وأتباعهم. فهو قول يشهد على صاحبه برعونة النفس وقلة الأدب، وبالتكبر والتعالم على الإسلام وأهله.

---

[786] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 221 .

[787] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 264 .

وهو قول يشهد أيضا على أن الداراني- بسبب تصوفه- نسي أو تناسى أن إنجاب الأولاد وتربيتهم هو من العبادة. وأن الذرية الصالحة هي ذخر للوالدين وللأمة ، وقد تكون سببا في دخول أبائهم الجنة، كما في الحديث عن النبى - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار))[788]. والأولاد هم من زاد الدنيا والآخرة إن كانوا صالحين ، كما في الحديث، عن : ((رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له ...."))[789]. وقد مَنّ الله تعالى بالذرية الصالحة على الأنبياء وعباده الصالحين واثنى عليهم في طلبهم منه الذرية الصالحة ، قال سبحانه: ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)(الفرقان: 74))، و((هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء)(آل عمران: 38))، وعن إبراهيم ((وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ)(الصافات : 112)).

نَعم إن تربية الأولاد ليست سهلة ، ومسؤولية كبيرة ، قال سبحانه ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)(التحريم : 6))، و في الحديث عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال ((« ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ...»)) [790]. لكن هذا يقابله جانب إيجابي كبير ، من جهة عاطفة الأبوة، وبناء المجتمع المسلم ، واستمرار الجنس البشري، ومساعدتهم لآبائهم. فهذا الصوفي أخطأ خطأ فاحشا عندما اتهم من ينجب الأبناء بالحماقة، ونظر للموضوع نظرة ذاتية نفعية صوفية ، ولم ينظر إليه بنظرة إيجابية وشرعية شاملة.

وقوله هذا شاهد قوي على أن الصوفية أسسوا للتصوف برغباتهم وأحوالهم من جهة؛ وهو دليل دامغ على جرأة الصوفية على مخالفة الشرع والطعن فيه من جهة أخرى. فلماذا نظر هذا الرجل إلى الولد نظرة جنسية شهوانية ؟؟، ولماذا لم ينظر إليه نظرة شرعية ؟؟. فمن هو الشهواني، ومن هو المتعلق بالدنيا ؟؟ ، ولماذا لم ينظر إلى الولد على انه عون لأبيه في

[788] مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 38 ، رقم: 6862 .
[789] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 46 ، رقم: 197 .
[790] مسلم: الصحيح ، ج 6 ص: 7 ، رقم: 4828 .

دنياه وآخرته ؟؟ . ولماذا لم ينظر إلى شهوة الجنس والولد على أنهما آية من آيات الله ؟؟.

وخامسا إن قول أبي حامد الغزالي بأنه ينبغي على المريد المبتدئ أن لا ((يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك... ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله - صلى الله عليه و سلم- فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى))[791]. فهو غير صحيح في معظمه،لأن المريد أو غيره من المسلمين يجب عليه أن يخضع للشرع لا للتصوف ولا لنصائح شيوخ الصوفية إذا خالفت الشرع. لأن من الثابت أن الإسلام حث الشباب على التزوج لتحصين أنفسهم ، كما في الحديث ،عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال : ((من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء))[792]. لكن الغزالي خالف الشرع صراحة وأوجب على شباب ومريدي الصوفية عدم التزوج أثناء ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي بدعوى عدم الانشغال عن الله. وهكذا نجد دين الله تعالى يحث الشباب على التزوج ليُحصنوا أنفسهم أثناء سيرهم إلى الله تعالى وتطبيقهم لشريعته وطاعتهم له ، لكن الصوفية يأمرون أتباعهم بعدم التزوج ومخالفة الشرع في ممارستهم للطريق الصوفي**!!**. فماذا يعني هذا ؟؟، إنه يعني بصراحة أننا أمام عبادتين، أوعقيدتين ، بل وأمام دينين، لكل منهما عبادته وعلماؤه !! .

وأما قوله بأن التزوج يجر إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله. فهو كلام باطل في معظمه ، وفيه طعن صريح في الشرع والأنبياء ،والصحابة والمسلمين من جهة، وفيه أيضا تعالم وتعالٍ ومزايدة على الإسلام وأهله من جهة أخرى. إنه تناسى الشرع وجعله وراء ظهره وقرر خلافه، مع أن الله تعالى يقول : ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الروم: 21))، و ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)(الفرقان: 74))، ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي

---

[791] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 101 .

[792] الألباني: صحيح أبي داود، ج 2 ص: 385 ، رقم: 1801 .

سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))(التوبة: 24)) .

وليس صحيحا أن الأنس لا يكون إلا بالله، بل يكون بالمؤمنين والزوجات الصالحات ، وهذا الشرع نفسه ذكره وأمر به. والأنس بالله مجاله واسع يشمل طاعة الله في كل جوانب الحياة، وليس هو محصورا في عزلة الصوفية التي هي في الحقيقة عزلة عن الله وشرعه، وليست أنسا به ولا التزاما بدينه. فالأنس بالله الحقيقي هو أن يكون المسلم كما قال سبحانه لنبيه: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))(الأنعام: 162)).

وقد رد ابن الجوزي على الغزالي في موضوع الأنس بقوله: ((وإني لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فإنه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى ،والله تعالى قد مَنّ على الخلق بقوله : { خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الروم: 21)). وفي الحديث الصحيح عن جابر -رضي الله عنه -عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال له : [هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك] وما كان بالذي ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى أترى رسول الله-عليه الصلاة والسلام- لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة -رضي الله عنها- أكان خارجا عن الأنس بالله هذه كلها جهالات بالعلم))[793].

ولو كان الزواج الشرعي يصد عن الأنس الله ويشغلنا عنه ما أمرنا الله تعالى بالتزوج ، ولما حببه إلينا ، وما جعله من نعمه علينا، وما شرعه في كتابه بآيات كثيرة. ولا جعله من سنن الأنبياء الذين جعلهم قدوة لنا. فهل يُعقل أن الله تعالى يأمر عباده بفعل ما يُبعدهم عنه ؟؟ **!!** .

وحسب زعم الغزالي فإن الصحابة- من الشباب والكهول- الذين أكثروا من التزوج والتسري أنسوا بغير الله وشُغلوا عنه. ومع أن هذا لا يصح في حقهم لكن كلام الغزالي يشملهم ويطعن فيهم أيضا. وهو قد نسي أو تناسى أن الصوفية يرجعون تصوفهم إلى علي بن أبي طالب، وإلى أبي بكر وعمر، وهؤلاء تزوجوا وتسروا وكان لهم أولاد كثيرون. وبما أن هؤلاء

---

[793] ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص: 359 .

هم سلف الصوفية حسب زعمهم ، فلماذا يُخالفونهم في التزوج ؟؟، ولماذا يطعنون فيهم بذلك ؟؟.

وأما تبرير الغزالي بقوله : ((ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى)) [794]. فهو مرفوض وباطل ، وفيه تضليل وتلبيس انتصارا للتصوف وطعنا في الدين . لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- هو التطبيق العملي للشرع، وقدوتنا في تطبيقه ، ونحن مطالبون باتباعه . وبما أن القرآن الكريم حث على الزواج وحببه إلينا، وجعله من نِعم الله علينا، وأباح التزوج بأربعة نساء، ولم يُحدد التسري بعدد معين، فإن هذا يعني أن كثرة التزوج ليس خاصا بالنبي-عليه الصلاة والسلام-، ولا هو الوحيد الذي يستطيع تحمل تبعاته فلا يشغله عن الله ؛ وإنما يستطيع غيره من الصحابة وتابعيهم أن يُكثروا من التزوج ولا يُبعدهم هذا عن الأنس بالله ،ولا يشغلهم عنه أيضا. بل إن هذا قد تحقق فعلا وواقعا، فمن الثابت أن كثيرا من الصحابة أكثروا التزوج والتسري، ومع هذا زكاهم الشرع وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح . منهم مثلا الصحابي الجليل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عندما أُستشهد ترك من بعده : أربع زوجات ، واحدى عشرة سرية أم ولد ، و31 ولدا ، هذا سوى الخدم و العبيد[795]. فحسب كلام الغزالي وأمثاله فإن عليا قد أنس بنسائه، وأولاده وخدمه وعبيده، وانشغل عن الله تعالى **!!**. ومع أن هذا باطل، ولا يصدق عليه، فإن كلام الغزالي يستلزم ذلك ، مما يدل على أنه كلام غير صحيح في ميزان الإسلام، ولا يصدق على المؤمنين به، لكنه يصدق على أتباع التصوف وأمثالهم من رهبان البوذيين والنصارى الذين يشغلهم التزوج عن عباداتهم من جهة[796]؛ وأن الغزالي فيما قاله كان يتكلم بلسان الدين الصوفي لا بلسان دين الإسلام من جهة أخرى.

وأما قوله : ((وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم : خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد))[797]. فلا يصح ، لأن الحديث الذي برر به موقفه غير صحيح[798]. وأن الفكرة

---

[794] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 101 .

[795] أنظر : الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ص: 163 . و ابن كثير : البداية ، ج 7 ص: 353 ، 356 . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 483 . و الذهبي: الخلفاء الراشدون ، ص: 398 .

[796] أنظر مثلا: عبد الله مصطفى نومسك : البوذية ، تاريخها وعقائدها ، وعلاقة الصوفية بها ، ص: 446 .

[797] الغزالي: الإحياء، ج 2 ص: 24 .

[798] الألباني: الأحاديث الضعيفة ، ج 8 ص: 71، رقم: 3580 .

التي قررها فلم يذكر عليها دليلا صحيحا من الشرع ولا من العقل، وهي باطلة قطعا بما ذكرناه من نصوص شرعية وأدلة عقلية في الرد على أقوال الصوفية في الحث على العزوبية وتفضيلها على الزواج، والتحذير منه أيضا. نعم قد تظهر بعض السلبيات من الزواج، لكنها ليست منه في ذاته، وإنما هي من أخطاء التعامل بين الزوجين . علما بأنه لا يصح أبدا رد ما جاء في القرآن في الحث على الزواج بروايات ظنية حديثية وتاريخية، لأن نصوص القرآن قطعية الثبوت ، وقطعية الدلالة فيما يتعلق بالزواج . ولهذا فإن اليقين لا يزول بالظن أو الشك ، وخبر الآحاد لا يرفع المتواتر ولا يتقدم عليه بأي حال من الأحوال.

وسادسا إن قول الشهاب السهروردي : ((التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ، وجوع من الترمح إلى النقص ، وتقيدا بالأولاد والأزواج...))[799]. هو قول باطل قطعا، ولا يستحق الاهتمام به للتوسع في الرد عليه، وردودنا السابقة تنقضه من أساسه. لكني أقول: كلامه هذا فيه جهل كبير وتعصب أعمى للتصوف، وطعن صريح في الشرع والأنبياء، والصحابة وكل المسلمين.فهذا الرجل كشف حقيقة موقف الصوفية من العزوبية والزواج، فقد اتضح من قوله أن الصوفية على منهج رهبانية البوذيين والنصارى في موقفهم من الزواج. .فالرجل جعل التزوج جريمة، وطعن به في الشرع الذي أمر بالتزوج ، و حسب زعمه أن الأنبياء وأتباعهم بما أنهم تزوجوا فقد انحطوا من العزيمة إلى الرخصة، وأن الذين لم يتزوجوا من الصوفية وأمثالهم أحسن منهم لأنهم أخذوا بالعزمة دون الرخصة. وهذا زعم باطل من دون شك، لأن التزوج من سنن الحياة، وهو من الأوامر الشرعية التي حث عليها الإسلام ، وجعل فيها الأجر والخير الكثير. ومن ثم فإن التزوج عبادة ، وليس هو شرا ، ولا رخصة، ولا انحطاطا ، ولا اتباعا للهوى كما زعم هذا الرجل المريض الذي جعل الشرع وراء ظهره، ونسي أو تناسى أنه هو المتبع لهواه انتصارا للرهبنة الصوفية التي هي امتداد للديانتين البوذية والنصرانية. إنه طعن في الشرع صراحة ومن دون حياء انتصارا لعقيدته الصوفية**!!**.

وأما بالنسبة لما رواه القشيري عن الصوفي الذي تزوج ولم يُجامع زوجته حتى أصبح شيخا ولم يدخل بها. فهي إما أنها رواية مكذوبة ، وإما

---

[799] عبد الرؤوف المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير ، ج 2 ص: 671 . وإحسان غلهي ظهير : التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 57 .

أن الزوجين مريضين ليست عندهما القدرة على الجماع، أو أحدهما عاجز عنه. فإذا كانا صحيحين من جهة القدرة الجنسية ، فالرواية مكذوبة ، لأنه لا يُعقل أن يحدث ذلك بين زوجين يحب بعضهما بعضا ، فهذا مخالف لطبيعة البشر. ولا يصح القول أنهما لم يجدا الوقت ليتفرغ لبعضهما . فهذا لا يُقبل لأنهما يعيشان في بيت واحد في الليل والنهار، ويمكن أن يتفرغا لبعضهما في أي وقت من النهار أو الليل . وكيف يتفرغا للأكل والنوم ، والوضوء والاستحمام، ولا يتفرغا للجماع ؟؟ .

علما بأن هذه الرواية تتماشى مع التصوف وأهله في مخالفتهم للشرع وتعطيله ، وتقديم أهوائهم وأحوالهم عليه من جهة ، والحرص على إظهار مدى قوة تحكم الصوفية في نفوسهم وأهوائهم و التباهي بها من جهة أخرى. و لكن الحقيقة أن فعلهم هذا هو شاهد دامغ على انحرافهم عن الشرع وحرصهم على تعطيله ، والتحايل عليه . لأن الله تعالى يقول : ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))،و((فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)(النساء : 24)). وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((((حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)) [800]. و((عن جابر بن عبد الله قال قال :لي رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أتزوجت قلت نعم، قال: بكرا أم ثيبا؟، فقلت: ثيبا، قال: أفلا بكر تلاعبها وتلاعبك))[801]، و((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر))[802]. فهذا الصوفي الأحمق خالف الشرع ، وحرم نفسه حقها في أجرها من الجماع ، وحرمها نعمة الأبناء التي منّ الله تعالى بها علينا . وهذا شاهد على أن القوم يُعاندون الشرع ويحرصون على مخالفته . فأكثرهم شجع على العزوبية وذم التزوج، ثم رووا أن بعضهم حتى عندما تزوج ظل عازبا . وهذه دعوة للرهبانية وإصرار على مخالفة شريعة الإسلام في الزواج . علما بأن هذه الرواية سواء صحت أم لم تصح فهي تتفق مع التصوف وكان لها تأثير على الصوفية في الدعوة إلى العزوبية والتنفير من الزواج.

---

[800] مسلم: الصحيح ، ج 4 ص: 154 ، رقم: 3599 .

[801] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 2 ص: 385 ، رقم: 1803 .

[802] مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .

وأخيرا- سابعا- إن ذكر أبي طاهر المقدسي بأن بعض الصوفية آثروا العزوبية على التزوج، ثم تأييده لموقفهم بأحاديث تُحذر من النساء، منها حديث ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قام خطيبا فكان فيما قال: إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء))[803]. فهو استدلال لا يصح، لأن الحديث ضعيف[804]، وعلى فرض صحته ، فإن هذا الاستدلال في غير محله ، لأن الحديث حذر من فتنة النساء، ولم يحذر من الزواج. وهي فتنة قد يتعرض لها العازب والمتزوج معا. وهذه الفتنة قد تكون بسبب الجنس المحرم ، وقد لا تكون به وإنما بسبب سلوكيات المرأة الأخرى في علاقتها بالرجل. علما بأن كلا من الرجل والمرأة فتنة للآخر، بل وكل بني هم فتنة لبعضهم وهذه سنة الحياة ، لقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)(الفرقان: 20)). ومن جهة أخرى فإن أبا طاهر المقدسي ضرب صفحا عن النصوص الشرعية الكثيرة التي تحث على التزوج وتحذر من العزوبية، واستشهد بأحاديث ضعيفة لتأييد موقف التاركين للزواج والمُحذرين منه .

وأما قول بعضهم بأن النساء مُبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان، فهو قول باطل قطعا، لأن الأنبياء أتاهم الله الحكمة ومع ذلك كانت لهم زوجات صالحات، والشرع قد اثنى على نساء كثيرات كن حكيمات وتفوقن على كثير من الرجال كبلقيس ملكة سبأ ، وامرأة فرعون،وخديجة، وعائشة وغيرهن .

والشيطان يغوي الرجل والمرأة معا، وكل يُقاوم حسب إيمانه، ولهذا قال تعالى: ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(يس: 60)). وأليس رؤوس الكفر في العالم قديما وحديثا هم من الرجال أكثر مما هم من النساء، كنمرود، وفرعون، وقارون، وأبو جهل، وأبو لهب، وماركس، وهتلر، ولينين، وستالين **!!**.

وأية حكمة اكتسبها الصوفية من تصوفهم في دعوتهم إلى السلبية والكسل وترك الزواج ، وفي معاشرتهم للمردان ، وفي مخالفتهم للشرع وتعطيله، وهدمهم للدين والعقل والعلم ؟؟. فأين هذه الحكمة المزعومة التي

---

[803] أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 464 .

[804] الألباني: ضعيف ابن ماجة، ص: 321 ، رقم: 865 .

اكتسبوها من دعوتهم إلى العزوبية والبعد عن النساء ؟؟. إنهم من أكثر الناس بعدا عن الحكمة الصحيحة، فغالب ما عندهم أباطيل، وأخطاء، خرافات وهلوسات، كفريات وضلالات .و هذا أمر بيناه بالأدلة الدامغة في كتابنا هذا.

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن حث الصوفية على العزوبية، وتفضيلها على الزواج هو هدم صريح للزواج في الإسلام وطعن مباشر في الشرع والأنبياء والمؤمنين ؛ وهو من جهة أخرى موقف صوفي أصيل في التصوف لأنه يتفق مع أصول الطريق الصوفي، ولأنه امتداد لموقف رهبانية البوذيين والنصارى في دعوتها إلى العزوبية وترك الزواج. فهم في موقفهم من الزواج يُعبرون عن موقف العبادة الصوفية منه، ولا يُعبرون عن موقف الإسلام منه، لكنهم يتسترون به رغم مخالفتهم الصريحة له لغايات صوفية في نفوسهم .

خامسا: مدح الفقر وذم الغنى:

يُعتبر مدح الصوفية للفقر وذمهم للغنى من نتائج أصول التصوف وأساسيات طريقه. فبما أنهم دعوا إلى ترك الدنيا وعدم التكسب، وحثوا على العزلة والجوع والعزوبية، فمن المنطقي جدا أن يمدحوا الفقر وصفا لحالهم ومدحا له . فالقوم فعلا كانوا فقراء ، لأن من يترك الدنيا ويعتزل الناس ولا يطلب الرزق فبالضرورة أنه فقير. لكن ليس بالضرورة أنه يمدح الفقر ويذم الغنى ،بل إن الأصل هو أن كل الفقراء يحبون الغني ويكرهون الفقر ويسعون جاهدين للتخلص منه. فلماذا مدح الصوفية الفقر ؟؟، ولماذا ذموا الغنى في الحط عليه وعلى أهله ؟؟، وهل حقا أنهم فعلوا ذلك ؟؟، وهل التزموا بالشرع في موقفهم من الفقر والغنى أم خالفوه كعادتهم ؟؟.

لشيوخ الصوفية أقوال ومواقف كثيرة في مدح الفقر وذم الغنى، منها: قال الحارث المحاسبي : ((ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم))[805].

[805] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 265 .

وقال: ((ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما تجمع المال. ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال . وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال .كذبت ورب السماء على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رءوفا . نعم ،ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل لذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك. أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة)) [806].

وقال المحاسبي: ((وقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا ،وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله. وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا: مرحبا بشعار الصالحين. وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبا حزينا ،وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا))[807].

وعن الصوفي رويم بن أحمد البغدادي أنه قال : ((التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار))[808]. قال حاتم الأصم : (("...ومن ادعى حبَّ النبى، - صلّى الله عليه وسلّم -، من غير محبَّةِ الفَقْر، فهو كذاب "))[809].

وعن أبي حمزة الصوفي(ق: 3 هـ) أن قال : ((من رُزق ثلاثة أشياء، فقد نجا من الآفات: بطن خال مع قلب قانع ، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم))[810].

---

[806] المحاسبي: الوصايا ، ص:77 .
[807] المحاسبي: الوصايا ، ص: 80-81 .
[808] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 441.
[809] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 90 .
[810] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 107 .

وعن يحيى بن معاذ أنه قال: ((وجود الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد))[811]. وهذه دعوة منه لترك العمل وتفضيل الفقر. وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال: ((الزهد خلو الأيدى من الأملاك والقلوب من التتبع))[812].

وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده أن إبراهيم بن أحمد الخواص كان يقول: ((الفقير يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل، والغني يعمل على كثرة الوساوس وتفرقة القلب في مواضع الأعمال. والفقير ضعف بدنه في العمل قوة معرفته وصحة توكله، والفقير يعمل على إدراك حقيقة الإيمان وبلوغ ذروته ،والغني يعمل على نقصان في إيمانه وضعف من معرفته .والفقير يفتخر بالله عز و جل ويصول به، والغنى يفتخر بالمال ويصول بالدنيا . والفقير يذهب حيث شاء ،والغني مقيد مع ماله .والفقير يكره إقبال الدنيا ،والغني يحب إقبالها. والفقير فوق ما يقول ،والغني دون ما يقول))[813].

وروى الهجويري أن عالما من أهل الظاهر سأل أبا بكر الشبلي عن الزكاة ليختبره، فقال له: ((ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة ؟ . قال : حين يكون البخل موجودا ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ، ونصف دينار عن كل عشرين دينارا ، هذا في مذهبك . أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة))[814].

وزعم المؤرخ الصوفي السراج الطوسي أن الله تعالى لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات ، ولكن اباح لهم ذلك لعلمه بضعفهم[815].

وذكر أبو نُعيم الأصبهاني أن من صفات الصوفية : ((التحرز من مخالطة الأغنياء ، والتشمير في ملاحقة الأصفياء))[816].

وقال عبد الكريم القشيري : ((والفقرِ شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء. والفقراء: صفوة الله عزَّ وجلَّ من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلق،

---

[811] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 149 .
[812] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 93 .
[813] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 327-328 .
[814] نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 78 .
[815] السراج الطوسي: اللمع، ص: 141 .
[816] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 67 .

وببركـاتهم يبسـط علـيهم الـرزق. والفقـراء الصـبر جلسـاء الله تعـالى، يـوم القيامة؛ بذلك ورد الخبر عن النبي، -صلى الله عليه وسلم- : أخبرنـا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن رجاء الفزاري، قـال: حـدثنا عبـد الله بـن محمـد بـن جعفـر بـن أحمـد بـن خشـيش البغدادي قال: حدثنا عثمان بن معبد قال: حدثنا عمر بن راشد. عن مالك، عن نافع، عن أبي عمر، عن عمر بن الخطـاب -رضـي الله عنـه- قـال: قـال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لكل شـيء مفتـاحُ ومفتـاح الجنـة: حبُّ المساكين، والفقراء الصُبر: هم جلساء الله تعالى يوم القيامة "))[817].

وقال أبو حامد الغزالي- أثناء كلامه عن المريد- : ((وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل))[818].

وذكر شهاب الدين السـهروردي فـي عوارفـه: ((فـالفقر كـائن فـي ماهيـة التصوف ، وهو أساسه وبه قوامه))[819].

وبما أن الصوفية دعوا إلى ترك العمل ومدحوا الفقر، فإنهم ذموا ادخار الطعام ودعوا إلى تركه تطبيقا والتزاما بموقفهم من الفقر والغنى . من ذلك أن أبا الحسن محمد بن أحمد الفارسي ذكر أن أركان التصوف عشرة، منها: ترك الاكتساب، وتحريم الادخار)) . ثم شرح الكلاباذي كلامه ، فكان مما قاله : ((و" ترك الاكتساب ": لمطالبة النفوس بالتوكل.و" تحريم الادخار ": في حالة، لا في واجب العلم؛ كما قال النبي ﷺفي الذي مات من أهل الصفة وترك دينارا، فقال رسول الله ﷺ: " كيَّة "))[820].

وعن الحارث المحاسبي أنه سُئل عن تفسير مقولة: ((خير الرزق ما يكفي، قال: هو قوت يوم بيوم ولا تهتم لرزق غد))[821].

ومنها ما رواه قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أحمد بن جعفر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبـي ، ح وحـدثنا محمد بـن علـي بن حبيش ، حدثنا أحمد بـن الحسن ، حدثنا يحيـى بـن معين ، قـالا : حـدثنا

---

[817] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 430.
[818] الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ، ج 3 ، ص: 75 .
[819] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، 1982، ص: 62.
[820] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 103 .
[821] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 75 .

مروان بن معاوية ، حدثنا هلال بن سويد الأحمري ، سمعت أنس بن مالك ، يذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم- أهدى له ثلاث طوائر ، فأطعم خادمه طيرا ، فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « ألم أنهك أن تخبئ شيئا لغد ؟ إن الله يأتي برزق كل غد »))[822].

وقال أبو نُعيم الأصبهاني : ((حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن خلاد ، حدثنا بشر بن السري ، حدثنا عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن ابن أبي مليكة ، عن عقبة بن الحارث ، قال : صليت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العصر بالمدينة ، ثم انصرف يتخطى رقاب الناس ، حتى تعجب الناس لسرعته ، فتبعوه حتى دخل على بعض أزواجه ، ثم خرج فكأنه رأى في وجوههم من العجب لسرعته ، فقال : « إني ذكرت وأنا في الصلاة شيئا من تبر كان عندنا ، فكرهت أن يبيت عندنا فقسمته »))[823].

وقال أيضا : ((حدثنا أبو محمد بن حيان ،ثنا عبدالرحمن بن محمد بن سلم ،ثنا هناد بن السرى، ثنا محمد بن فضيل ،عن حصين عن مجاهد ،عن عبيد بن عمير قال: كان عيسى - عليه السلام- يلبس الشعر ويأكل الشجر ويبيت حيث أمسي ، لم يكن له ولد يموت ،ولا بيت يخرب ولا يخبئ شيئا لغد))[824].

وبعدما اعتزل الصوفية الناس، وتركوا التكسب، وفضلوا الفقر ونهوا عن الادخار، فإنهم مارسوا التسول بالطرق التي تناسبهم. وبرره لهم شيوخهم ، وزينوه لهم. من ذلك أن الصوفي جعفر الحداد- شيخ الجنيد- كان ((يقتات بخروجه بين العشاءين فيسأل من باب أو بابين))[825]. كان بعض الصوفية ببغداد لا يكاد يأكل شيئا إلا بِذُلّ السؤال . بدعوى أن نفسه كانت تكره ذلك فألزمها به [826].

وقال أبو طالب المكي: ((فقد حدثنا بعض إخواننا عن شيخ له فقال: رأيت أبا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال: فأعظمت ذلك واستقبحته، فأتيت الجنيد فأخبرته فقال: لا يعظم هذا عليك،

---

822 أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 9 .
823 أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 12 .
824 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 3 ص: 273 .
825 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2 ص: 167 .
826 اللمع ، ص: 253 .

فإن النوري لم يسأل الناس إلاّ ليعطيهم إنما سأل لهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرّه))[827].

وزعم المؤرخ الصوفي السراج الطوسي أن ((الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى))[828].

وذكر أبو حامد الغزالي أن الصوفي المنشغل بالله ((غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل ... وقال بعضهم: العبيد كلهم فى رزق الله تعالى ،ولكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار ،وبعضهم بامتهان كالصناع ،وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة))[829].

وللصوفية أحاديث كثيرة احتجوا بها على موقفهم في مدح الفقر وذم الغنى، منها[830]: قال أبو طالب المكي : ((رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رسولاً فقال: إني رسول الفقراء إليك فقال: مرحبًا بك وبمن جئت من عندهم من عند قوم أحبّهم قال: قالوا: يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجّون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه ،وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أبلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء، أما خصلة واحدة فإن في الجنة غرفًا ينظر إلها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، والثالثة إذا قال الغني: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير، وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البرّ كلها فرجع إليهم فقالوا:رضينا))[831].

---

[827] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 160 .

[828] اللمع ، ص: 255 .

[829] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .

[830] لا نتوسع في تتبع أحاديثه التي احتجوا بها على موقفهم، لأنه بما أننا سبق أن ناقشناهم وبينا أن موقفهم من الفقر والغنى مخالف للشرع والعقل والعلم، فكل الأحاديث التي احتجوا بها غير صحيحة، والصحيح منها أوّلوه ليتفق مع موقفهم، وإلا فهو لا يُوافق موقفهم.

[831] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 365 .

والحديث الثاني: قال أبو عبد الله السلمي : ((حدثنا عبد الواحد بن العباس، حدثنا على بن الجمال، قال: سمعت ابا بكر الشبلى، يقول: حدثنا محمد بن مهدى المصرى؛ حدثنا عمرو بن ابى سلمة؛ حدثنا صدقة بن عبد الله؛ عن طلحة بن زيد؛ عن أبى فروة الرهاوى؛ عن عطاء؛ عن أبى سعد، قال رسول الله،- صلى اللّٰه عليه وسلم- ،لبلال: ((الق اللّٰه فقيرا، ولا تلقه غنيا !؟؟؟؟ . قال: يا رسول اللّٰه كيف لى بذلك؟ ! . قال: ما سئلت فلا تمنع، وما رزقت فلا تخبأ. قال: يا رسول اللّٰه . كيف لى بذاك؟ . قال: هو ذاك، وإلا فالنار))[832].

والحديث الثالث : قال أبو عبد الرحمن السلمي : ((قال النبي-عليه الصلاة والسلام - : ((يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تثبتوا بثبوت فقركم وإلا فلا))[833].

والحديث الرابع: قال أبو طالب المكي: ((روينا في الخبر عن رسول اللّٰه -صلى الله عليه وسلم- : آخر الأنبياء دخولا ً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه، وآخر اصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه، وفي لفظ آخر: يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفاً))[834].

والحديث الخامس: قال أبو طالب المكي : ((وروينا عنه صلى الله عليه وسلم: اللّهم من أحبّني وأجاب دعوتي فأقلّل ماله وولده، من أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ما له وولده وأوطئ عقبيه كثرة الأتباع))[835].

والحديث السادس: قال أبو نُعيم الأصبهاني : ((حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أبو يحيى الرازي ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا حفص بن غياث ، عن صالح بن حسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : « إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب ، فإذا أردت اللحوق بي فإياك ومخالطة الأغنياء ، ولا تضعي ثوبا حتى ترقعيه »))[836].

---

[832] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 257 .
[833] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص: 53.
[834] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 285 .
[835] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 360 .
[836] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 67 .

والحديث السابع: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أبو يحيى الرازي ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا حفص بن غياث ، عن صالح بن حسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب ، فإذا أردت اللحوق بي فإياك ومخالطة الأغنياء ، ولا تضعي ثوبا حتى ترقعيه »))[837].

والحديث الثامن: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، في كتابه : حدثنا علي بن بندار بن الحسين ، حدثنا أبو الفوارس محمد بن علي بن سعيد المركب ، حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا ورقاء ، عن أبي إسحاق ، عن يحيى بن الحصين ، عن أم الحصين ، قالت : كنت في بيت عائشة وهي ترفع قميصا لها بألوان من رقاع بعضها من بياض وبعضها من سواد ، وبعضها غير ذلك . فدخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : قميصي أرقعه . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم -: « أحسنت ، لا تضعي ثوبا حتى ترقعيه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له))[838]. بمعنى لا جديد لمن لا يلبس الثوب البالي .

والحديث التاسع: قال القشيري: ((أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين بن موسى البزاز ببغداد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري قال: حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال: حدثنا قبيصة قال: حدثنا سفيان، عن محمد ابن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة؛ عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام: نصف يوم "))[839].

والحديث العاشر: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ثنا عبدالرحمن بن عبدالله القرشي ثنا أحمد بن يحيى الصوفي ثنا النفيلي ثنا الوليد بن عبدالله الحمصي عن خيثمة [بن سليمان عن] سليمان بن حيان ثنا واثلة قال: كنت من فقراء المسلمين من أهل الصفة فأتى رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ذات يوم قال: كيف أنتم بعدي إذا شبعتم من خبز البر والزيت فأكلتم ألوان الطعام ولبستم أنواع الثياب فأنتم اليوم خير أم ذاك

---

[837] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 67 .

[838] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 68 .

[839] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 429.

قال: قلنا ذاك ،قال: بل أنتم اليوم خير قال واثلة فما ذهبت بنا الأيام حتى أكلنا ألوان الطعام ولبسنا أنواع الثياب وركبنا المراكب))[840] .

والحديث الحادي عشر: قال أبو نُعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو عبدالله محمد بن عيسى الاديب ثنا عمير بن مرداس ثنا محمد ابن بكير ثنا القاسم بن عبدالله العمري عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- براءة من الكبر لبوس الصوف ومجالسة فقراء المسلمين وركوب الحمار واعتقال العنز أو قال البعير الشك من محمد بن بكير . هذا حديث غريب لم نسمعه مرفوعا إلا من حديث القاسم عن زيد ورواه وكيع بن الجراح عن خارجة ابن مصعب عن زيد مرسلا))[841] .

والثاني عشر: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو محمد بن حيان قال قرأت علي أبي بكر بن مكرم حدثني مسرف ابن سعيد حدثني حسن بن يحيى بن آدم عن أبيه قال كنا عند حماد بن زيد وهو على دكان معه قوم يحدثهم قد جاؤوه على دواب فركب أبو الربيع الأعرج على قصبة وجاء يقول الطريق الطريق فقال مالك يا أبا الربيع قال يا أبا إسماعيل إني رأيتك تحب أصحاب الدواب فستهتم بهم قال يا أبا الربيع إن لكم عندي أيادٍ فقال أبو الربيع: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم- : اطلبوا الأيادي عند فقراء المسلمين فان لهم دولة يوم القيامة فبكى حماد))[842] .

والحديث الثالث عشر: ذكره الغزالي والهجويري، مفاده : ((يقول الله عز و جل يوم القيامة: أدنوا منى أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك؟ فيقول: فقراء المسلمين فيدنون منه. فيقول: أما إني لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم علي ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا على ماشئتم اليوم))[843].

---

[840] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2 ص: 23 .

[841] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 3 ص: 229 .

[842] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 8 ص: 297 .

[843] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ' ص: 196 . و الهجويري: كشف المحجوب، ص: 215 .

والحديث الرابع عشر: قال الهجويري: ((وقال الرسول-صلى الله عليه وسلم- : الفقر عز لأهله". فالشيء الذي يكون عزا للأهل يكون ذلا لغير الأهل))[844].

والحديث الخامس عشر: قال الهجويري : ((قال الرسول -عليه السلام- : " الفقر وطن الغيب "))[845].

والحديث السادس عشر: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم ثنا هناد بن السرى ثنا أبو معاوية عن هشام عن الحسن قال جاء رسول الله -صلى الله عليه و سلم- إلى أهل الصفة فقال: كيف أصبحتم؟ قالوا: بخير، فقال رسول الله: أنتم اليوم خير وإذا غدي على أحدكم بجفنة وريح بأخرى وستر أحدكم بيته كما تستر الكعبة فقالوا يا رسول الله نصيب ذلك ونحن على ديننا، قال :نعم قالوا: فنحن يومئذ خير نتصدق ونعتق، فقال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: "لا بل أنتم اليوم خير إنكم إذا أصبتموها تحاسدتم وتقاطعتم وتباغضتم " كذا رواه أبو معاوية مرسلا))[846].

والحديث السابع عشر: قال أبو نُعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو يحيى الرازي ثنا هناد بن السرى ثنا يونس بن بكير ثنا سنان بن سيسن الحنفي حدثني الحسن قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوغلون اليها ما استطاعوا من خير فكان رسول الله -صلى الله عليه و سلم- يأتيهم فيقول: السلام عليكم يا أهل الصفة، فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله .فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير يا رسول الله، فيقول: أنتم اليوم خير من يوم يغدى على أحدكم بجفنة، ويراح عليه بأخرى ويغدو في حلة ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة؟ فقالوا: نحن يومئذ خير يعطينا الله تعالى فنشكر، فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: بل أنتم اليوم خير))[847].

والحديث الثامن عشر: قال أبو نعيم الأصبهاني : ((ما حدثناه جعفر بن محمد بن عمرو ثنا أبو حصين الوادعي ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا حماد

---

[844] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 216 .
[845] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 334 .
[846] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 340 .
[847] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 340 .

بن زيد عن المعلى بن زياد عن العلاء بن بشير عن أبي الصديق النادي عن أبـي سـعيد الخـدري - رضـي الله تعـالى عنـه- قـال : أتـى علينـا رسـول الله - صـلى الله عليه و سلم- ونحـن أنـاس مـن ضـعفة المسلمين ورجـل يقـرأ علينـا القرآن ويدعو لنـا مـا أظـن رسـول الله -صـلى الله عليـه و سـلم- يعـرف أحـدا منهم وإن بعضهم ليتوارى من بعض من العري فقال رسـول الله - صـلى الله عليه و سلم- بيده فأدارها شبه الحلقة فاستدارت لـه الحلقة فقال: بمـا كنتم تراجعون ؟قالوا: هذا رجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنـا، قـال: فعـودوا لمـا كنتم فيه، ثم قال: "الحمد لله الذي جعل في أمتي مـن أمـرت أن أصـبر نفسـي معهم ،ثم قال: ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنيـاء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء فـي الجنـة ينعمـون وهـؤلاء يحاسبون" رواه جعفـر بـن سليمان عن المعلى بن زياد بإسناده مثله ورواه جعفر أيضا عن ثابت البناني عن سلمان مرسلا)) [848] .

والحديث التاسع عشر : قال أبو نُعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو بكر بـن مالك ثنـا عبد الله بـن أحمد بـن حنبل ثنـا أبـي ثنـا سيار ثنـا جعفر يعنـي ابـن سليمان ثنا ثابت البناني قال كان سلمان فـي عصـابة يـذكرون الله عز و جل قال فمر النبي -صلى الله عليه و سلم- فكفوا، فقـال: مـا كنـتم تقولـون؟ فقلنـا: نذكر الله يا رسول الله، قال:قولوا فاني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها، ثم قال: الحمد لله جعل فـي أمتـي مـن أمـرت أن أصـبر نفسـي معهم. رواه مسلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان مطولا فـي قصـة المؤلفـة ذكرناه في نظائره في كتاب شرف الفقر))[849].

والحديث الأخير- العشرون- مفاده ((عن أنس ؛ كنا عند النبي- صلى الله عليه وسلم- ، إذ نزل عليه جبريل ، فقال : يا رسول الله فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، وهو نصف يوم ، ففرح فقال : أفيكم من ينشـدنا ؟ فقـال بـدوي : نعـم ، يـا رسـول الله ، فقـال : هـات ، هـات ، فأنشـد البدوي يقول :

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوى كَبِدِي *** فَلاَ طَبِيبٌ لَهُ وَلاَ رَاقِي

إلاَّ الحَبِيبُ الَّذِي شُغِفْتُ بِهِ*** فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وتِرْيَا قِي

فتواجد عليه السلام ، وتواجد أصحابه معه ، حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبَيْهِ ، فلما خرجوا ، أوى كل واحد إلى مكانه ، فقال معاوية : ما أحسن لَعِبَكُمْ يا

[848] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 342 .

[849] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 343 .

رسول الله! فقال : " مَهْ ، مَهْ ، يا معاوية ، ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ، " ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة))[850].

وردا عليهم أقول:

أولا يتبين من أقوال ومواقف شيوخ الصوفية في مدحهم للفقر وذمهم للغنى أن موقفهم هذا غير صحيح، لأنه مخالف للشرع والعقل والعلم. فلا يصح مدحهما ولا ذمهما مُطلقا، لأن لكل منهما جانب إيجابي وآخر سلبي. فالمال مثلا هو قوام الحياة وعمادها ، وطلبه مع انفاقه في الحلال عبادة، ووسيلة تزكية وتطهير أيضاً . قال تعالى: ((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)(النساء: 5)) و((وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأنعام: 141)). و((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)).

ومن الأحاديث الصحيحة التي مدحت الغنى والأغنياء، قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى »[851]. وقوله لسعد بن أبي وقاص: ((أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك))[852]، وقوله: (("ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر"))[853]، وقوله: ((نعم المال الصالح للمرء الصالح))[854]. و دعا لأنس بن مالك بقوله:((اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته))855، وكان الصحابي كعب بن مالك صاحب مال، فلما تاب الله عليه أراد أن ينخلع من ماله صدقة ، فقال له النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((أمسك بعض مالك فهو خير لك))[856].

علما بأن الشرع امتحن الناس بالفقر والغنى معا، فكل منهما يوصل إلى الجنة، أو إلى النار. وهذا الأمر ثابت بدليل القرآن والسنة، قال تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)(الأنبياء : 35)). وعن النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه قال:((اللهم فإنى أعوذ بك

---

[850] طاهر الفتني الهندي: تذكرة الموضوعات ، ص: 84 . وابن عجيبة : البحر المديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 ، ج 5 ص: 362 .

[851] مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 214 ، رقم: 7621 ،

[852] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 2 ص: 553 ، رقم: 2490 .

[853] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 314 ، رقم: 5808 .

[854] الألباني: صحيح الأدب المفرد، ص: 127 رقم: 299 .

[855] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 73 ، رقم: 6334 .

[856] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 105، رقم: 7192 .

من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر ،ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ... »))[857].

فواضح من تلك الأحاديث أن مدحها للغنى والأغنياء الصالحين هو من جهة أخرى ذم للفقر وتفضيل للأغنياء الأتقياء على الفقراء الأتقياء، وأنه على الفقراء أن يسعوا للتخلص من الفقر ولا يرضوا به، لأن الإيمان والعمل الصالح مع الغنى خير من الإيمان والعمل الصالح مع الفقر. ولا شك أن أي إنسان عاقل يُخيّر بين الحالتين إلا وأختار الإيمان والصلاح والغنى . لكن مع ذلك فلا شك أن الإيمان والصلاح مع الفقر خير من الإيمان والغنى مع عدم الصلاح، وخير من الكفر مع الغنى طبعا. بل وأن المؤمن الفقير الأتقى خير من المؤمن الغني الأقل صلاحا . لكن مع ذلك فإن الغنى في ذاته خير وأفضل من الفقر في ذاته. وبه يُطبق ركن من أركان الإسلام ، وهو الزكاة ، وبه يُجاهد المسلمون في سبيل الله.

وثانيا فيما يخص ما ذكره الحارث المحاسبي، فإن الحديث الذي استشهد به بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- نهى عن جمع المال، فهو حديث ضعيف[858]. ومتنه منكر من دون شك ، فلا يصح أبدا ولا يُعقل أن يصف النبي- عليه الصلاة والسلام- الذي يجمع المال - من دون تمييز وتحديد- بأنه من الفاجرين فهذا باطل قطعا. لأن الثابت أنه-عليه الصلاة والسلام- حث على جمع المال الحلال، ومدح الأغنياء الأتقياء كما سبق أن بيناه. ولا يمكن أن يقوله أيضا وطائفة من كبار الصحابة كانوا من الأغنياء، فلماذا لم يذمهم ولا نهاهم ؟؟. بل ولماذا حثهم على جمعه وإنفاقه في سبيل الله ؟؟.

وبما أن الشرع جعل المال قوام الحياة ،وأمر بطلب الرزق وكسب المال الحلال وإخراج زكاته ، فلا يصح تفضيل ترك كسب المال عن جمعه بدعوى التفرغ للعبادة . لأن طلب الرزق وكسب المال وإنفاقه في سبيل الله، هو من العبادة أيضا . وعليه فلا تصح الدعوة إلى ترك التكسب وعمارة الأرض بدعوى التفرغ للعبادة. فموقف الحارث المحاسبي مخالف للعبادة الشرعية، لكنه مُنسجم مع العبادة الصوفية !! . إنه موقف يدعو إلى السلبية والكسل والتواكل، بدعوى الزهد والإخلاص وتفريغ القلب للعبادة !! .

---

857 مسلم: الصحيح، ج 8 ص:75 .

858 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ، هامش ص: 265 .

وثالثا إن قول المحاسبي فيه حق قليل وباطل كثير، و تضمن تهويلات وتغليطات وتلبيسات ، ونسب إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- ما ليس من كلامه. فالرجل لم يحرص على رواية الحديث الصحيح، ولا حقق الأحاديث التي استشهد بها ، بل إنه تعمد نسبتها إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- مع أنها لم تثبت أنها من كلامه. وهذا تصرف مرفوض من رجل محسوب من العلماء، مما يعني أن المحاسبي كانت غايته من تلك الأحاديث الانتصار للتصوف لا للشرع . لأن من يحرص على الانتصار للدين عن وعي وفهم عليه أن يتثبت من الأحاديث النبوية ليُميز بين صحيحها من سقيمها.

ومن أخطاء المحاسبي أنه نهى عن جمع المال مطلقا، وفضل تركه عن جمعه ، ثم هو يقول بأن الصحابة الذين جمعوا المال لم يجمعوه تكاثرا وشرفا وزينة، ومن يتهمهم بذلك فقد طعن فيهم. وهذا كلام فيه تغليط وتناقض، لأن المحاسبي ذم جمع المال مطلقا ، ثم يعود ويقول بأن أغنياء الصحابة لم يجمعوه تكاثرا!!. والصواب هو أن جمع المال لا يُذم مطلقا، وإنما يُبين أن جمع المال له جانب إيجابي وآخر سلبي. فمن جمعه بالحلال وأنفقه في سبيل الله كأغنياء الصحابة فهو في عبادة وله أجر كبير، وهذا جانب محمود ومطلوب. ومن جمعه من أجل الدنيا والصد عن سبيل الله، فهذا جانب مذموم ويجب التخلص منه. لكن المحاسبي لم يفعل هذا وعمم حكمه انتصارا للعبادة الصوفية .

علما بأن كثيرا من الصحابة جمعوا الأموال في زمن النبي-عليه الصلاة والسلام - ، ثم أن معظمهم أو كلهم جمعوا الأموال في زمن الخلافة الراشدة. فلماذا أغفل المحاسبي هذه الحقائق ؟؟ !!.

وليس صحيحا أن من فَضّل جمع المال الحلال عن تركه فقد ازدرى محمدا والأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- ونسبهم إلى الجهل . إنه كلام باطل بدليل الشواهد الآتية: منها إن بعض الأنبياء كانوا من الأغنياء والملوك كداود وسليمان –عليهما الصلاة- والسلام- . ومنها إن الزهد في الدنيا لا يعني جمع المال ولا تركه ، فقد يكون الغني زاهدا في الدنيا والفقير ليس زاهدا فيها.

ومنها إن الأنبياء أصحاب رسالات إلهية كلفهم الله تعالى بأدائها ، وعليه فهم تفرغوا للدعوة لا لجمع المال، لكن الله تكفل لهم بتوفير حاجياتهم

المادية،كما فعل مع خاتم أنبيائه ((وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)(الضحى : 8))، وهذا غنى عام يشمل الماديات والمعنويات. لكنهم من جهة أخرى أمروا أتباعهم بجمع المال الحلال لعمارة الأرض وتطبيق شريعة الله . فلا يمكن تحقيق ذلك من دون جمع للمال.

ومنها إنه إذا كان كثير من الناس يضرهم الغنى وينفعهم الفقر، فإن العكس صحيح أيضا ، فإن كثيرا منهم ينفعهم الغنى ويضرهم الفقر. وإذا كان بعض الأفراد تركهم لجمع المال أحسن لهم من جمعه ، فإن جمع المال لمجموع الأمة أفضل وأحسن ، بل وواجب عليها لأنه لا يُمكن أن تُقام دولة الإسلام ، ولا الدعوة إليه والتصدي لأعدائه إلا بجمع الأموال وإعداد مختلف وسائل القوة.

ومنها إنه قد صحت الأحاديث بأن النبي- عليه الصلاة والسلام- قد مدح الغنى وحث عليه، وأثنى على الأغنياء الأتقياء كما سبق أن بيناه. وهذا يعني أن الذي مدح الغنى مُطلقا كما فعل المحاسبي هو الذي انحرف عن الشرع، و خالف محمدا وازدرى به وبأصحابه .

ولا يصح الاستدلال على أفضلية ترك المال الحلال على جمعه بدعوى أن الأنبياء لم يطلبوه . فهذا استدلال مرفوض، وفيه تغليط وتلبيس ، لأن هؤلاء أنبياء كلفهم الله تعالى بأداء الرسالة فهي مهمتهم ، وليست مهمتهم جمع المال الحلال. ومن جهة أخرى فقد ضمن الله لهم الرزق. ومع هذا كان بعضهم غنيا كثير المال والسلطان كداود وسليمان-عليهما السلام-.، بل إن داود كان حرفيا ، قال تعالى: ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)(الأنبياء: 80)) ، ولاشك أن من المهام التي كلفهم الله بها هي دعوة أقوامهم إلى كسب المال الحلال لعمارة الأرض والجهاد في سبيل الله ، وإقامة شريعته. وهذا الذي فعله خاتمهم محمد –عليه الصلاة والسلام- ، بدليل قوله تعالى: ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)(الأنفال: 60)). فهل يُمكن الإعداد لذللك وتطبيق هذا الأمر الإلهي دون جمع المال ؟؟ !! .

وليس صحيحا أن النبي-عليه الصلاة والسلام – نهى عن جمع المال ، وإنما نهى عن جمع المال الحرام وحث على الحلال ، كما سبق أن بيناه، كقوله: « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى »[859]. وقوله لسعد بن أبي وقاص: ((أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت بها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك))[860].وقد كان أغنياء الصحابة يتاجرون وينمون أموالهم ولم ينهاهم النبي عن ذلك.ومعنى هذا حسب زعم المحاسبي أن محمدا-عليه الصلاة والسلام- غش أصحابه الأغنياء عندما لم يبين لهم أن حالهم ناقص، ومن الأحسن لهم أن يتخلوا عن أموالهم ليلتحقوا بفقراء الصحابة. ومعنى ذلك أيضا-حسب زعم المحاسبي- أن النبي-عليه الصلاة والسلام- غش أمته عندما مدح الغنى الحلال وأثنى على الأغنياء الاتقياء ، ولم يُبين لها أن الغنى وأهله مذمومون في كل أحوالهم. ومعنى ذلك أيضا- حسب زعم المحاسبي- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- غش الصحابة الأغنياء عندما حثهم على الجهاد بأموالهم في سبيل ، فمع أنهم جاهدوا بها، فكان من الأحسن لهم عدم امتلاكها، ولا الجهاد بها طبعا، لأن هذا لا يُقدمهم على غير المنفقين يوم القيامة **!!** . وبما أن هذا كله باطل، وحاشا للنبي أن يغش أصحابه وأمته، فإن هذا يعني قطعا أن موقف الحارث المحاسبي من المال غير صحيح .

وليس صحيحا أن الله تعالى نهى عن جمع المال الحلال ، فهذا افتراء على الله تعالى ، والقرآن الكريم شاهد على أنه سبحانه جعل المال قوام الحياة ((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً (النساء : 5)) ، وأخبرنا أنه بارك الأرض بالخيرات والأموال وسخرها لنا وأمرنا باستغلالها وإنفاقها بالحلال، وفي كل أبواب الخير. وإلا لماذا أمرنا بإخراج الزكاة لو لم يكن جمع المال الحلال مطلوبا ؟؟ . ولماذا جعل إخراج الزكاة تطهيرا لنا لو لم يكن جمع المال مطلوبا ؟؟. قال سبحانه ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة : 103)) . فالله تعالى مَنّ على بالشر بالخيرات والأموال وأمرهم بجمعها وإنفاقها واستهلاكها بالحلال . فال سبحانه : ((وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي

[859] مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 214 ، رقم: 7621 .
[860] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 2 ص: 553 ، رقم: 2490 .

آتَاكُمْ)(النور: 33))، و((وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)(الحديد : 7)).

وبناءً على ذلك فلاشك أن موقف الصوفية – منهم المحاسبي- من المال مخالف للشرع ومعطل للإنسان من أداء مهمة تعمير الأرض بالمال الحلال. فلا عمارة للأرض بلا مال، وعدم طلبه هو تعطيل للدين والدنيا معا . والمال قوة وعزة بيد من يملكه ، والمسلم التقي أولى من غيره بأن يملك المال الحلال ليمتلك القوة ويُحقق بها قوله تعالى : ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)(الأنفال: 60)) ، وهذا لا يتحقق إلا بجمع المال الحلال ، ولا يُمكن أن يتحقق بالفقر .

وأما قوله بأن الاحتجاج بمال الصحابة هو من الشيطان ، فهو قول باطل لا يصدق على الصحابة ومن سار على نهجهم ، وإنما يصدق على من جمع المال من حرام. وأما مال الصحابة فكان من حلال ، وبمسمع ومرأى وتشجيع من رسول الله –عليه الصلاة والسلام - وهم قدوتنا في ذلك بعد رسول الله . قال سبحانه : ((وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً)(النساء : 115)) ، ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 100)). وعليه فإن عدم جمع المال الحلال والإكثار منه لبناء الفرد المسلم والدولة المسلمة ،والدعوة به إلى الإسلام والتصدي به لأعداء المسلمين هو الذي من الشيطان، وليس العكس . مما يعني أن موقف المحاسبي وأصحابه من المال هو هدم للدين والدنيا ، وإفقار للمسلمين وحكم عليهم بالضعف ليكونوا لقمة صائغة لأعدائهم .

ثم أن المحاسبي ذكر حديثا مفاده أن الصحابي عبد الرحمن بن عوف قال: ((سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا " .و"بلغنا أن

النبي ـ صلى الله عليه وسلم- قال لعبد الرحمن بن عوف:" أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا"))[861].

وأقول: الحديثان لا يصحان إسنادا ولا متنا، الأول في إسناده عبد الله بن شبيب ، وهو ضعيف[862]. والثاني ضعفه الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء[863]. فالرجل ذكر الحديثين من دون أي حرص ولا اهتمام بتحقيقهما، لأن همه كان في تعضيد التصوف والانتصار له، وليس في البحث عن صحيح السنة للاعتماد عليها والابتعاد عن الضعيف. فهذا أمر لم يهتم به المحاسبي، بل لم يهتم به كل الصوفية[864]، لأنهم يعلمون أنهم لو اهتموا به ما قامت للتصوف قائمة باسم الشرع **!!**.

والمتن مُنكر ولا يصح، لأن المال في الإسلام ليس ذنبا وإنما هو كنز من الكنوز التي تدخل الجنة ، لمن طلبه بالحلال وأنفقه في الحلال. ولأن الثابت أن ابن عوف- رضي الله – هو من السابقين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 100)) فعبد الرحمن بن عوف من هؤلاء الأخيار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ،وشهد لهم بدخول الجنة، وجعلهم قدوة لغيرهم . وبما أنه كذلك فهو يدخل الجنة مع هؤلاء السابقين وليس مع أغنياء أمته . فالله تعالى شهد للسابقين منهم بدخول الجنة دون تمييز بينهم بين الغني والفقير . بل إن الثابت أن أبا بكر كان من أغنياء الصحابة الذين بذلوا أموالهم في سبيل الله ، وهو أفضل الصحابة على الإطلاق. وفيه وفي ماله قال النبي-علايه الصلاة والسلام- : (("ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر"))[865]، وشهد له القرآن الكريم بالفضل والصحبة، بقوله تعالى: ((إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا)(التوبة: 40)).

---

861 المحاسبي: الوصايا ، ص:79 .

862 الهيثمي: مجممع الزوائد، دار الفكر، بيروت ، ج 9 ص: 227 .

863 الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 266 .

864 من اهتم منهم بذلك من محدثي الصوفية كان اهتماما انتقائيا وجزئيا ، كأبي نُعيم الأصبهاني، فقد أهمل معظم الأحداديث التي أيد بها التصوف وأهله. علما بأن الصوفي الذي يحقق الأخبار عن صدق وطلبا للحقيقة لن يبقى صوفيا ، لأن الأحاديث التي أسس بها الصوفية لتصوفهم كلها غير صحيحة ، أو هي مؤولة تأويلات فاسدة.

865 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 314 ، رقم: 5808 .

ومتى كان الغنى عيبا ونقصا لمجرد الغنى ؟؟، إنه يكون كذلك إذا كان من حرام، وأما إن كان من حلال وفي سبيل الله فهو عِز وكنز من كنوز الدنيا الموصلة إلى الجنة . ومتى كان الفقر المادي عزا وفخرا وقوة ؟؟. إنه قد يكون كذلك بالنسبة لبعض الناس، لكنه قد يكون ذلا وهوانا وضعفا وكفرا لأناس آخرين. والفقر ينفع صاحبه إذا كان مؤمنا تقيا ، وغير قادر على جمع المال فصبر واحتسب . لكنه قد يكون هو السبب في ضلال كثير من الناس وفساد أخلاقهم ، فيسرقون أموال غيرهم، ويأكلون من الحرام.فيكون الفقر سببا في هلاكهم كما كان الغنى سببا في هلاك من طلبه بالحرام، وأنفقه في الحرام . ولاشك أن المسلم التقي الغني القوي بإيمانه وماله ، أحسن من المسلم التقي الفقير الغني بإيمانه والضعيف بفقره.

و ليس صحيحا أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ،لأن الله تعالى امتحن الناس بالفقر والغنى، وكل منهما طريق يُوصل إلى الجنة، وإلى النار . والحَكَم هنا هو الميزان الإلهي، وليس الغنى ولا الفقر. قال سبحانه : ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7- 10)) ، و((فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)(القارعة: 6-11) ، و((وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)(الأنبياء: 35)). وعليه فإن المؤمن الغني الصابر على فتنة المال قد يدخل الجنة بماله ، قبل المؤمن الفقير، لأن الأول عمل الحسنات أكثر منه بماله ، وكان تقيا مثله وفعل ما كان يفعل الثاني. فكانت حسنات المؤمن الغني أكثر من حسنات المؤمن الفقير، وقد يحدث العكس.

ومما يبطل ذلك أيضا أنه من الثابت تاريخيا أن كل الصحابة الذين كانوا فقراء وعاشوا إلى زمن الخلافة الراشدة من السابقين والمتأخرين تحسنت أحوالهم المادية وأصبحوا أغنياء ، أو ميسورين، ولم يبق فيهم واحد فقيرا[866].وبما أن الأعمال بالخواتيم ، وهؤلاء لم يموتوا فقراء، فأين هؤلاء الفقراء الصحابة الذين ذكرهم الحديث، ويدخل معهم ابن عوف الجنة ؟؟.

وأما قول المحاسبي : ((وقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا ،وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله. وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا: مرحبا بشعار الصالحين. وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء

[866] سبق شرح ذلك وتوثيقه في الفصل الأول .

أصبح كئيبا حزينا ،وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا))[867].
فبالنسبة لخبره الأول ، فقد ورد في حديث مفاده: ((وفى الخبر إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبت))، ضعفه الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء[868].
والخبر الثاني لم أجد له أصلا، فهو موضوع. وهذا الرجل أكثر من ذكر المرويات ولم يهتم أصلا بالتثبت وتحقيق الأخبار، لأن هدفه منها هو تعضيد التصوف والانتصار له، وليس البحث عن الحديث الصحيح ليتخذه دينا. فلو كان هو وأصحابه حريصين على الالتزام بالشرع، والبحث عن صحيح السنة النبوية ، لاهتموا بتحقيق المرويات الحديثية والتاريخية لتمييز صحيحها من سقيمها، ليكون تصوفهم صحيحا موافقا للشرع .

وقوله السابق شاهد دامغ على أنه- أي المحاسبي- تكلم بلا علم وافتري على الشرع والتاريخ الصحيح عن تعمد، لأنه لم يهتم بالتحقيق وهو يعلم أن في الأحاديث الصحيح والضعيف والموضوع. والشواهد الآتية تُثبت ما أقول:
أولها إنه صح الخبر عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه كان يدخر الطعام كما سنبينه لاحقا . والشاهد الثاني مفاده لا شك أن أغنياء الصحابة من المهاجرين والأنصار كانت عندهم أموال طائلة ، وأنفقوها في سبيل الله ولم يتحرجوا منها، ولا ندموا على امتلاكها. ثم في زمن الخلافة الراشدة أصبحوا كلهم أغنياء ، أو ميسورين بما فتح الله به عليهم بسبب الفتوحات؛ثم ماتوا وتركوا أموالا كثيرة من بعدهم كالزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد. فلو فرحوا بالفقر، وندموا وحزنوا على الغنى ما كان ذلك حالهم .

والقرآن الكريم يشهد بأن الفقراء من المهاجرين في المدينة كانت عندهم أموال فلما هاجروا تركوها واستجابوا لله ورسوله: ((لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحشر : 8)). وكذلك الله تعالى ذكر جانبا من فقرهم ثم ذكّرهم بأنه رزقهم وأخرجهم منه، فقال سبحانه : ((وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن

[867] المحاسبي: الوصايا ، ص: 80-81 .
[868] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 196 .

يَـتَخَطَّفَكُمُ النَّـاسُ فَـآوَاكُمْ وَأَيَّـدَكُم بِنَصْـرِهِ **وَرَزَقَكُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ** لَعَلَّكُـمْ تَشْكُرُونَ)(الأنفال 26)). فليس صحيحا أن الصحابة كانوا يفرحون بالفقر ويحزنون بالغنى، فلو كانوا كذلك ما كانت عندهم الأموال ، وما ماتوا وتركوها من بعدهم .

ثم أن المحاسبي استشهد بحديث آخر على أن الفقر أفضل من الغني، مضمونه : ((اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا ، وأحشرني في زمرة المساكين ، ولا تحشرني في زمرة الأغنياء))[869].

وأقول: هذا الحديث لم يذكر له المحاسبي إسنادا ولا حققه، وقد عثرت عليه من طريقين: الأول : قال الترمذي: ((حدثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفي حدثنا ثابت بن محمد العابد الكوفي حدثنا الحارث بن النعمان الليثي عن أنس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة. فقالت عائشة: لِم يا رسول الله ؟، قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ،يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة" . قال أبو عيسى: هذا حديث غريب))[870].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: ثابت بن محمد العابد الكوفي أبو إسماعيل الشيباني ويقال الكناني (ت 215 هـ)، قيل فيه : صدوق، ثقة، ليس بالقوي ، لا يضبط ، يخطئ في أحاديث كثيرة [871]. فالرجل ضعيف من جهة ضبطه .
والراوي الثاني :الحارث بن النعمان بن سالم الليثي ، منكر الحديث، ليس بالقوي[872].

والطريق الثاني : قال ابن ماجة :((حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن سعيد قالا :حدثنا أبو خالد الأحمر عن يزيد بن سنان عن أبي المبارك عن أبي سعيد الخدري قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ـصلى الله عليه و سلمـ يقول في دعائه: ((اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين))[873].

---

[869] المحاسبي: الوصايا ، ص:91 .
[870] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 310 ، رقم: 2352 .
[871] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 9 ، رقم: 21 .
[872] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 106 .
[873] ابن ماجة: السنن ، ج 2 ص: 1382، رقم: 4126 .

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: سليمان بن حيان الأزدي أبو خالد الأحمر الكوفي(ت 190 هـ أو قبلها عن بضع وتسعون سنة) ، صدوق يخطئ ، ليس بحجة ، ثقة ، يغلط[874].

ويزيد بن سنان بن يزيد التميمي الجزري أبو فروة الرهاوي، ضعيف، له مناكير، ليس بشيء، ليس بثقة، لا يحتج به، محله الصدق[875]. والراوي الثالث: أبو المبارك ، مجهول[876].

وأما متنه فلا يصح أيضا ، بدليل الشواهد الآتية: أولها إن المسكنة المذكورة في الحديث لا تتعلق بالجانب الروحي، لأن كل المسلمين بل وكل البشر فقراء إلى الله تعالى ، لقوله سبحانه : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (فاطر : 15)))، وإنما يتعلقان بالجانب المادي.وبما أن الأمر كذلك، فإن الحديث يخالف أصلا أساسيا من أصول دين الإسلام المتعلقة بالجزاء الإلهي في الآخرة. ومفاده أن فلاح الإنسان وخسرانه لا علاقة لهما بالفقر ولا بالغنى، وإنما هما يتعلقان أساسا بالإيمان والعمل الصالح . فكم من غني أدخله غناه الجنة، وكم من فقير أدخله فقره جهنم ، والعكس صحيح**!!** . فالمسكنة المذكورة في الحديث، هي دليل على عدم صحته، لأن دخول الجنة لا يتم بها .

والشاهد الثاني مفاده أن الرسول –عليه الصلاة والسلام - لم يكن مسكينا ولا فقيرا ، لأن الله تعالى أغناه وهيأ له ما يكفيه ليتفرغ للدعوة، بدليل قوله تعالى: ((وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى: 6- 11)). وقال الرسول عليه الصلاة والسلام- : (("ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر"))[877]. و لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كان الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري يبعث إليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره . فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في بيوت أزواجه[878]. وعندما بدأت الغنائم تتدفق على المسلمين كان للنبي نصيب منها . فقد روى عمر - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم –

---

[874] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 121 .
[875] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 237 .
[876] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 11 ص: 141 .
[877] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 314 ، رقم: 5808 .
[878] الذهبي: السير ، ج 1 ص: 232، 236 .

((كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم))[879]. وهذا النخل كان مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب[880]. وعليه فهل يعقل أن الله تعالى منّ على رسوله وتفضل عليه بأن وجده عائلا فأغناه ، ثم يأتي الرسول-عليه الصلاة والسلام- ويدعو الله بدعاء مخالف لما تفضل الله به عليه، بأن يعيده فقيرا ومسكينا ؟؟ **!!** . طبعا لا ، وألف لا.

والشاهد الثالث : بما أن الفقر المادي عجز وضعف ونقص، وليس فضلا ولا شرفا ولا قوة، وهذا ينطبق على الأفراد والجماعات والدول. فلا يُعقل، ولا يصح أن يتمناه النبي-عليه الصلاة والسلام- ويدعو الله أن يُميته مسكينا ، أو فقيرا ؟؟ **!!**. وقد صح عنه أنه كان يتعوذ من الفقر بقوله: ((اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر ،ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ... »))[881]. وكان يحث أصحابه على العمل خير لهم من أن يسألوا الناس ، ونهاهم أيضا عن السؤال إلا عند الضرورة في حالات مُحددة[882]. فهل يعقل بعد هذا أن يدعو الله أن يميته مسكينا أو فقيرا ؟؟ **!!** .

والشاهد الأخير- الرابع - : إنه لا يصح أن يُنسب ذلك إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام –لأنه يعني أنه يرفض أن يُحشر مع كبار الصحابة من السابقين الأولين :كأبي بكر، وعمر ،وعلي، وعثمان ، وطلحة ،والزبير- رضي الله عنهم- وهؤلاء منهم من كان غنيا منذ العهد المكي كعثمان ، وأبي بكر ، وقد سجل القرآن أن المهاجرين تركوا أموالهم ((لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (الحشر : 8))). والباقي أصبحوا أغنياء أو ميسورين، ولم يبقوا فقراء في عهد الخلافة الراشدة عندما كثرت الفتوح والغنائم ، وكان عمر- رضي الله عنه- قد فضل المهاجرين عن غيرهم بالعطاء الوفير[883].

فهل يُعقل أن النبي-عليه الصلاة والسلام- يرفض أن يُحشر مع أصحابه الأوائل كأبي بكر وعمر ، وعثمان وعلي ، وطلحة والزبير ؟؟؟ !!!! . وهل

---

[879] البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 63 ، رقم: 5357 .
[880] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 2 ص: 573 ، رقم: 2569 .
[881] مسلم: الصحيح، ج 8 ص:75 .
[882] سبق توثيق ذلك .
[883] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1 ص: 350 و ما بعدها .

يُعقل أن فقراء المسلمين- الذي ماتوا فقراء- يتقدمون على معظم الصحابة في دخولهم إلى الجنة، بحكم أن معظم الصحابة لم يموتوا فقراء ؟؟!! . وهل يعقل أن المؤمنين الأتقياء الأغنياء الصالحين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم يتأخرون في دخول الجنة، ويسبقهم إليها الفقراء المسلمون لمجرد أنهم فقراء ؟؟ !! . إن ذلك لا يُعقل ولا يصح قطعا .

وهنا أذكر تعليقا للبيهقي على تلك الأحاديث ، فقال: ((قال أصحابنا: فقد استعاذ من الفقر وسأل المسكنة وقد كان له بعض الكفاية يدل على أن المسكين من له بعض الكفاية. قال الشيخ قد روى فى حديث شيبان عن قتادة عن أنس عن النبى -صلى الله عليه وسلم- : أنه استعاذ من المسكنة والفقر فلا يجوز أن تكون استعاذته من الحال التى شرفها فى أخبار كثيرة ولا من الحال التى سأل أن يحيى ويموت عليها ولا يجوز أن يكون مسألته مخالفة لما مات - صلى الله عليه وسلم- عليه فقد مات مكفيا بما أفاء الله تعالى عليه. ووجه هذه الأحاديث عندى والله أعلم أنه استعاذ من فتنة الفقر والمسكنة الذين يرجع معناهما إلى القلة كما استعاذ من فتنة الغنى)). و عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : ((قالت كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتعوذ يقول :« اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر اللهم إنى أعوذ بك من شر فتنة الدجال ». وذكر الحديث وهذا حديث ثابت قد أخرجاه فى الصحيح. {ق} وفيه دلالة على أنه إنما استعاذ من فتنة الفقر دون حال الفقر ومن فتنة الغنى دون حال الغنى وأما قوله إن كان قاله أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا فهو إن صح طريقه وفيه نظر والذى يدل عليه حاله عند وفاته أنه لم يسأل حال المسكنة التى يرجع معناها إلى القلة وإنما سأل المسكنة التى يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع فكأنه -صلى الله عليه وسلم- سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين وأن لا يحشره فى زمرة الأغنياء المترفين. قال القتيبى والمسكنة حرف مأخوذ من السكون يقال تمسكن الرجل إذا لان وتواضع وخشع ومنه قول النبى -صلى الله عليه وسلم- للمصلى :« تباءس وتمسكن ». يريد تخشع وتواضع لله))[884]. وكلامه هذا جيد يندرج في عمومه ضمن ما ذكرناه. علما بأن الفلاح من عدمه في الآخرة لا يقوم على الفقر ولا على الغنى ، وإنما يقوم على الإيمان والعمل الصالح .وهذا شاهد دامغ يكفي وحده لرد تلك الأحاديث التي استدل بها المحاسبي في موقفه من الفقر والغنى .

---

[884] البيهقي: السنن الكبرى ، دائرة المعارف النظامية، الهند ، 1344 هـ ، ج 7 ص: 12 .

ورابعا إن قول حاتم الأصم : ((ومن ادعى حبَّ النبى - صلّى الله عليه وسلّم- من غير محبَّةِ الفَقْر، فهو كذاب "))[885]. هو قول باطل، لأن النبي نفسه- عليه الصلاة والسلام- لم يكن فقيرا ، بل ومدح الغنى وذم اللفقر كما سبق أن بيناه . وصح الخبر عنه أنه كان يتعوذ من الفقر ، من ذلك قوله : ((« اللهم فإنى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ... »))[886]. وجاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا فقال: « أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ،ولفلان كذا وقد كان لفلان »[887]. وفي دعاء للنبي –عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((اقض عنا الدين وأغننا من الفقر))[888]. وبما أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحب الفقر، فمحبته لا تكون بمحبة الفقر، وإنما بمحبة ما كان يحب ويأمر.

علما بأن حب النبي- عليه الصلاة والسلام- لا يتطلب حب الفقر، وإنما يتطلب الجهاد في سبيل الله بدليل قوله تعالى: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة : 24)). ويتطلب أيضا الالتزم بالشريعة التي جاء بها من عند الله تعالى، قال سبحانه: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران : 31)).

ومما يدل على خطأ كلام الرجل أنه تضمن طعنا صريحا في الصحابة بعدم حبهم للنبي وتكذيبهم في قولهم بحبه. لأن معنى كلامه أن أغنياء الصحابة قبل الخلافة الراشدة كانوا كاذبين في حبهم للرسول-عليه الصلاة والسلام- بحكم أنهم كانوا أغنياء ولا يحبون الفقر. ومعنى كلامه أيضا أن كل الصحابة زمن الخلافة الراشدة لم يكونوا صادقين في حبهم للنبي بحكم أنهم لم يبقوا فقراء بعدما أصبحوا أغنياء أو ميسورين . فحسب زعمه أن

[885] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 90 .
[886] مسلم: الصحيح، ج 8 ص:75 .
[887] مسلم: الصحيح، ج 3 ص: 93.
[888] ابن ماجة: السنن ، دار الفكر، بيروت ، ج 2 ، ص: 1259.

معظم الصحابة كانوا صادقين في حبهم لرسول الله عندما كانوا فقراء، ثم أصبحوا كاذبين في حبهم له بعدما تحسنت ظروفهم المادية وأصبحوا أغنياء أو ميسورين !!!! . وبما أن هذا كلام باطل قطعا، فإن الرجل أخطأ خطأ فاحشا فيما قاله من جهة ؛ لكنه شاهد على صاحبه بأنه كان يتكلم بلسان العبادة الصوفية لا الشرعية من جهة أخرى. فالرجل كان صادقا مع تصوفه، ولم يكن صادقا مع دين الإسلام مع تستره به .

وأما قول رويم بن أحمد البغدادي : ((التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار))[889]. فهو قول فيه حق وباطل وتناقض. فالحق هو أن كل الناس فقراء إلى الله تعالى، وهذه حقيقة شرعية وكونية، وليست خاصة بالتصوف وأهله.

وأما الباطل فقوله هو دعوة إلى ترك التكسب والرضا بالفقر، وهذا ليس من دين الإسلام ، كما سبق أن بيناه مرارا. وأما التناقض فيتمثل في دعوته إلى الفقر والسلبية من جهة، ودعوته إلى البذل والإيثار من جهة أخرى. فمن لا يعمل ويُفضل الفقر ويرضى به، ويذم الغنى ويتسول ليقتات، فمن أين له بالأموال لكي يُنفقها ؟؟. وإن تصدق ببعض ما حصل عليه بالتسول، فهذا لا يليق ، لأنه حصل عليه بكسله وذل السؤال، وتصدق بمال غيره .

وخامسا إن قول أبي حامد الغزالي عن المريد :((إنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل))[890]. فهو قول غير صحيح في معظمه، وفيه تلبيس وتغليط، وفيه طعن صريح في الشرع والصحابة. لأنه لا يصح تخصيص المريد بذلك الكلام، لأن المريد إن كان مسلما فيجب عليه وعلى كل الصوفية والمسلمين الخضوع للشرع، ولا يختص واحد منهم بأمر يجعله فوق الشرع. وعليه فكلام الغزالي فيه تلبيس وتغليط وتحايل على الشرع ليُخرج المريد من دائرة الشرع ويجعله خاضعا للعبادة الصوفية لا الشرعية. وهذه الطريقة مارسها الصوفية قديما وحديثا كوسيلة للتهرب من الشرع والالتفاف حوله بدعوى أن الشرع يتعلق بكل المسلمين، لكن التصوف يخص أهله فقط، ومن ثم يحق للصوفي أن يترك

---

[889] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 441.
[890] الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ، ج 3 ، ص: 75 .

الشرع وراء ظهره تمسكا وخضوعا للتصوف. فهذا من طرق الصوفية في تعاملهم مع الشرع في مخالفته وتعطيله بل وهدمه أيضا انتصارا للتصوف وأهله .

وليس صحيحا أن الغني محجوب عن الله ، وأن الفقير غير محجوب عنه. لأن المحجوب عن الله تعالى ليس الفقير ولا الغني ، ،وإنما المحجوب عنه هو الكافر، والعاصي، والمعطل لشريعة الله. قال سبحانه : ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 146))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).

والمال عند المسلم هو وسيلة قرب وتزكية وتطهير وجهاد ، وليس طريقا إلى البعد عن الله تعالى كما زعم الغزالي.قال سبحانه : ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة : 103))، و((انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(التوبة: 41)). وبما أن المال الحلال والمُنفق في الطاعات وسيلة تزكية وتطهير وجهاد فكلام الرجل باطل وليس من الإسلام، وإنما هو من شريعة الدين الصوفي .

وبناءً على ذلك فليس صحيحا أن المال يُفسد النفوس مطلقا وعلينا أن نتخلص منه. إنه لا يصح لأن الناس معادن فهم ليسوا سواء في موقفهم من المال. فكم من غني منفق من غير تبذير، وكم من غني منفق بتبذير، وكم من غني مبذر على نفسه وأهله من دون تصدق على الفقراء . وكم من غني بخيل على نفسه وأهله وعلى الناس. وكم من فقير غني النفس عفيف. وكم من فقير لص طماع حسود حقود. وكم من غني أدخله ماله الجنة، وكم من فقير أدخله فقره النار، والعكس صحيح.

فقوله لا يصح على إطلاقه ، فقد يكون المال الحلال سبب استقرار واطمئنان وجهاد ، وإخلاص وثبات وتثبيت.ولهذا فرض الله تعالى نصيبا من مال الزكاة يُعطى للمسلمين الجُدد لتأليف قلوبهم، قال تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(التوبة : 60)) ، فالمال هنا وسيلة علاج وتربية وتحصين وتقريب إلى الله، وليس وسيلة حجاب وإبعاد عن الله حسب قول الغزالي.

ومن جهة أخرى قد يكون الفقر سببا في القلق والاضطراب والانحراف عن الشرع، فيجعل الفقير طماعا ملتفتا إلى ما عند الناس حسودا وقلقا لا يستطيع التفرغ للعبادة. ويشهد التاريخ المتواتر أن الصوفية كانوا من أكثر الناس طمعا فيما عند الأغنياء والسلاطين فكانوا يتقربون منهم،ويمشون في ركابهم، ليتصدقوا عليهم ،وليبنوا لهم الزوايا ،وليُقيموا لهم الولائم ومجالس الغناء والرقص[891]. فالقوم أورثهم فقرهم الطمع والحرص فيما عند الناس، فكانت قلوبهم معقلة بالمناسبات والولائم ،حتى قيل فيهم : ((أكلة بطلة سطلة ، لا شغل ولا مشغلة)). وقيل كذلك: ((نعوذ بالله من العقرب والفار ، ومن الصوفي إذا عرف الدار))[892]. وحالهم هذا كان وما يزال يصدق على أكثر الصوفية إلى يومنا هذا.

وسادسا إن ما ذكره القشيري في مدح الفقر وأهله واستشهاده بحديث نبوي تأييدا لموقفه، بقوله: ((والفقر شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء. والفقراء: صفوة الله عزَّ وجلَّ من عباده ... قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لكل شيء مفتاحُ ومفتاح الجنة: حبُّ المساكين، والفقراء الصُبر: هم جلساء الله تعالى يوم القيامة "))[893]. فأقول: الحديث لا يصح، بل موضوع[894]. ومتنه باطل ، لأن أقرب المؤمنين إلى الله تعالى بدليل القرآن الكريم والسنة الصحيحة الموافقة له هم : الأنبياء، والصديقون ، والأولياء، والشهداء، والصالحون. قال سبحانه: ((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)(النساء : 69))، و ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس:16- 63))، فليس من بينهم الفقراء ولا الأغنياء، ولا جعل الله تعالى الفقر ولا الغنى شرطا يجب توفره في هؤلاء. وإنما الشرط هو الإيمان والتقوى لا غير. ولهذا كان في الأنبياء الأغنياء والفقراء، والملوك وغير الملوك، وكان في الصديقين والأولياء الفقراء والأغنياء كما

---

[891] سبق توثيق ذلك في مبحث الجوع .

[892] السبكي : معيد النعم ص : 125 .

[893] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 430.

[894] أو الحسن الكناني : تنزيه الشريعة المرفوعة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 2 ص: 286. . والألباني: الضعيفة، ج 5 ص: 581.

هو حال الصحابة من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار. فالحديث باطل دون شك.

وأما قول القشيري: ((والفقرِ شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء. والفقراء: صفوة الله عزَّ وجلَّ من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق. والفقراء الصبر جلساء الله تعالى، يوم القيامة؛ بذلك ورد الخبر عن النبي، صلى الله عليه وسلم)). فهو كلام باطل بلاشك ، تكلم الرجل به بلا علم، أو تعمد قوله لغاية في نفسه انتصارا للتصوف وأهله. وهو ظاهر البطلان بما ذكرناه في نقدنا للحديث الذي استدل به . ولأن كلا من الفقر والغنى حال من أحوال الدنيا التي اختبر الله تعالى بها عباده . فكل منهما قد يكون طريقا إلى الجنة، أو طريقا إلى النار. وأكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم وليس أغناهم ،ولا أفقرهم، ولا أصوفهم .

وأما الحديث الذي ذم الأغنياء كما رواه القشيري ، فقال: ((ورُوي عن أبي الدرداء، أنه قال: لئن أقع من فوق قصر فأتحطم أحبُّ إليَّ من مجالسة الغنيّ؛ لأني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يقول: " إياكم ومجالسة الموتى!! قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ قال: الأغنياء))[895].

وأقول: الحديث لا يصح[896]، والمتن باطل قطعا ، لأن من الأنبياء من كان غنيا ،ونبينا كان فقيرا فأغناه الله تعالى. وطائفة من كبار الصحابة كانوا أغنياء، ثم أصبحوا كلهم أغنياء، أو ميسورين ، ولم يبق فيهم فقير واحد بما فتحه الله عليهم . وقد وعدهم بذلك ، ومدحهم به في قوله سبحانه : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور 55:))، وهذا إذا تحقق يستلزم وجود الغنى وذهاب الفقر وهذا الذي حدث فعلا زمن الخلافة الراشدة . وهذا شاهد دامغ على أن الصوفية يتعمدون مخالفة الشرع والتاريخ الصحيح عن سبق إصرار وترصد تعصبا لرغباتهم وأحوالهم وعقيدتهم الصوفية .

وسابعا إن المقارنة التي عقدها إبراهيم الخواص بين الفقير والغني وانتصر فيها للفقير، هي مقارنة غير صحيحة في معظمها وذاتية صوفية

---

[895] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 432.
[896] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ج 3 ص: 58. و السبكي: أحاديث الاحياء التي لا أصل لها، ص: 23 .

متعصبة للتصوف ، وليست متعصبة للشرع ولا للحق. وهي نظرة جزئية متحيزة وليست نظرة موضوعية شاملة لموضوعي الفقر والغنى. وفيها مبالغات وتغليطات وتلبيسات ، وهي نموذج دامغ على تقديم الصوفية لرغباتهم وأحوالهم وتصوفهم على الشرع والعقل والعلم. إنها كذلك بدليل الشواهد الآتية: أولها لا يصح مدح الفقر ولا ذم الغني بدعوى أن الغنى يُفسد الانسان والفقر يصلحه. فهذا خطأ لأن كلا منهما قد يكون سببا في إصلاحه وسعادته، وقد يكون سببا في لإفساده وتعاسته وخسرانه للدين والدنيا معا. فكم من إنسان أضله فقره وأطغاه، وكم من إنسان أسعده غناه وأصلحه ؟!! . والعكس صحيح أيضا، فالرجل اتخذ موقفا متحيزا ، وهذا الذي أوقعه في أخطاء كثيرة تضمنها كلامه .

والشاهد الثاني: إنه لا علاقة للإخلاص بالفقر والغنى، لأن الإخلاص يقوم على النية الحسنة ومحلها القلب ، فقد يكون الغني مخلصا والفقير مرائيا أو منافقا. وقد يكون الغني مخلصا ثابتا مطمئنا مجموع القلب بما له من إيمان ويملك من مال ، فهو غير قلق على معاشه. لكن قد يحدث خلاف ذلك مع الفقير ، فقد يكون مشتتا مهموما لأنه لا يملك قوت يومه وأولاده في البيت ينتظرونه، وليس عنده ما يقدمه لهم، وقد ينتهي به الأمر إلى السرقة، مما يجعله يفتقد توكله وصبره ورضاه ، بسبب ضغط الفقر عليه، بل ربما قد يصل به الأمر إلى الانتحار، أو قتل أولاده . قال تعالى: ((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً)(الإسراء: 31)) .

والشاهد الأخير- الثالث- : إن الإيمان محله القلب ولا علاقة له في الأصل بالفقر ولا بالغنى ، وقد يجمع الإيمان المؤمنين في جماعة واحدة، مع أن منهم الفقير ومنهم الغني، وهذا يصدق على الصحابة- رضي الله عنهم- فقد جمعهم الإيمان ولم يجمعهم الفقر ولا الغني .قال سبحانه : ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(الفتح: 29))، و((وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال: 63)) .وقد يكون الغني أكثر إيمانا

وإخلاصا من الفقير بما يخرجه من زكاة ماله، وبما ينفقه في سبيل الله من دون الزكاة ، فيتزكى بهذه الصدقات لقوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)). ويستطيع الغني أن يتحرك في الدنيا بسهولة بما له من وسائل وأموال، ونفوذ ومعارف. وبهذا يكون الغني قد جمع بين قوة الإيمان وقوة المال، وقوة النفوذ والتأثير في الواقع ،فجمع بين حسن الدنيا والآخرة.

وقد يكون الفقير أقل إيمانا وإخلاصا بما فيه من طمع ، وحرص على طلب الدنيا، وبما فيه من قلة الصبر وكثرة الطمع والحقد على الأغنياء والميسورين من الناس. ومن جهة أخرى فهو لا يستطيع أن يتحرك ويجول في الأقطار للسياحة، أو لطلب الرزق، أوللعبادة لقلة ماله وحيلته وضعف ونفوذه وتأثيره في المجتمع.فيكون قد جمع بين الفقر والضعف في الدنيا ، وسيُحاسبه الله تعالى يوم القيامة على عدم صبره على فقره في الدنيا. ومن هذا حاله قد يفضل البقاء في الدنيا ولا يحب الآخرة .

وأما ما رواه الهجويري عن رد أبي بكر الشبلي على من سأله : مالذي يجب أن يُعطى من الزكاة ؟، فكان مما أجاب به: ((...هذا في مذهبك . أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة))[897].

فأقول: إن الشبلي أوجب أمرا مخالفا للشرع مخالفة صريحة ، وهو دليل قاطع على أن الصوفية يرجعون في عقائدهم وسلوكياتهم إلى العبادة الصوفية لا الشرعية . وقوله هذا هو دعوة إلى تعطيل الجانب الاقتصادي من الإسلام ، الذي من ثماره الزكاة وهي ركن من أركان ديننا الحنيف. فالرجل وأمثاله يعملون على تعطيل الإسلام وهدمه من حيث يدرون أو لا يردرون. ومن جهة أخرى إنه نسي أو تناسى أنه لا يصح له أن يجعل الزكاة مشغلة ، لأنها عبادة وركن من أركان دين الإسلام ، وهي وسيلة هامة من وسائل التربية الإيمانية لأنها تربي النفس وتطهرها وتزكيها. قال سبحانه : ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة : 103)). وذلك الموقف هو من تناقضات الصوفية، فهم يدّعون أنهم يجاهدون أنفسهم لتربيتها وتزكيتها ثم

[897] نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 78 .

هم يعطلون فريضة الزكاة التي هي من أهم وسائل التربية الإيمانية الروحية الأخلاقية في الإسلام **!!** .

علما بأن الشبلي وأصحابه تركوا الدنيا من أجل الدنيا وليس من أجل الآخرة. فلو تركوها من أجل الآخرة ما خالفوا الشرع وما عطلوه ، وما ازدروا الآخرة، وما شرعوا لأنفسهم عبادة علمانية –دنيوية- لا آخرة فيها. والذي لا يطلب الآخرة ولا يعبد الله خوفا من ناره ولا رجاء فيما عنده من نعيم فهو بالضرورة يطلب الدنيا ويعبد الله من أجلها ومن أجل أهوائه وأحواله التي توصله إلى سر التصوف الذي حرص الصوفية على إخفائه، وقد سموه الفناء في الله . فهو جنة الصوفية التي يطلبونها، إنهم تركوا الدنيا من أجل الدنيا ولم يتركوها من أجل الآخرة**!!** .

وأما ما زعمه السراج الطوسي بأن الله تعالى لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات ، ولكن اباح لهم ذلك لعلمه بضعفهم[898].فالأمر ليس كذلك ، لأن الله تعالى أمرنا بعمارة الأرض ، وسخر لنا ما في السموات والأرض ، وجعل الأموال لنا قياما، وأمرنا أن نجاهد بها في سبيله، وأن نُخرج منها الزكاة، وأمرنا بالإنفاق مما جعلنا مستخلفين فيه . ومن جهة أخرى فرض علينا شريعته دعوة وتطبيقا ، وقال لنا : ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)(الأنفال: 60))، وحثنا على العمل وأكل الحلال، ونهانا عن التسول . وكل هذا لا يتأتى إلا بوجوب عمارة الأرض وجمع الأموال ، واتخاذ مختلف وسائل القوة بالطرق الحلال. علما بأن دين الله تعالى الذي فرضه الله علينا وكلفنا بالدعوة إليه لا يُمكن أن يتم له ذلك إلا بوجوب جمع الأموال واتخاذ كل أسباب القوة لتسخيرها في سبيل الله، ومن أجل خير البشر.

وأخيرا- سابعا- إن قول الشهاب السهروردي بأن الفقر: ((كائن في ماهية التصوف ، وهو أساسه وبه قوامه))[899]. فهو اعتراف من الرجل بأن الصوفية أخذوا موقفهم من الفقر والغنى من التصوف لا من الشرع. فالفقر المادي عندهم من أصول ممارسات الطريق الصوفي ،ويندرج ضمن تركهم للدنيا والتكسب بدعوى التفرغ للعبادة. وهذا أصل عملي عندهم ،وهو

---

[898] السراج الطوسي: اللمع، ص: 141 .
[899] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، 1982، ص: 62.

مخالف لدين الإسلام ولهذا اختلقوا الأحاديث لتأييد موقفهم ، وتركوا النصوص والحقائق التي ضدهم وراء ظهورهم . مع أن الفقر المادي في حقيقته هو نقص وعجز ، وسلبية ودعوة إلى تدمير الإسلام و أهله. لكن هل صحيح أن الصوفية كانوا فقراء ماديا ؟؟. إنهم ليسوا كذلك، فهم إن ذموا الفقر بألسنتهم ومظاهرهم فإنهم لم يرضوا به في باطنهم وحقيقة أحوالهم وسعوا بطريقتهم الصوفية لتأمين غناهم وسد جوعهم بالتسول وعلاقاتهم بالناس والأغنياء والحكام، وبعرض أنفسهم في الولائم والأعراس . فهم كانوا أغنياء بما عند الناس لأنهم يعلمون أنهم سيجلبون أموال هؤلاء إليهم بطرقهم الخاصة. ولهذا يُمكن القول: إن الصوفية لم يرضوا بالفقر، ولا كانوا فقراء. فالقوم لم يذموا الفقر حبا في الفقر، ولا ذما للغنى، وإنما فعلوا ذلك انسجاما مع تصوفهم في السلبية وممارسة التقية وجلبا للدنيا بالطرق الصوفية. إنهم تصوفوا وافتقروا طلبا للدنيا لا طلبا للآخرة، لأنهم ذموا أيضا من يطلب الآخرة . إنهم طلبوا الدنيا بعدة وسائل، منها الفقر. إنهم ذموا الفقر جلبا للأموال لا جلبا للفقر !!.

وأما فيما يتعلق بموقف الصوفية من الادخار، فيُلاحظ عليهم أنهم لما دعوا إلى ترك الدنيا، واعتزلوا الناس، وذموا التكسب والغنى، وحثوا على العزوبية والفقر، فإنهم ذموا أيضا ادخار الأرزاق، وطعنوا في من يدخرها!! . وموقفهم هذا هو من العبادة الصوفية، وليس من الشرع ، ولا من الحكمة ، ولا من العقل ، ولا من مصلحة الناس.

إنه لا يصح أولا لأن الشرع أباح الادخار، وحث عليه، ولم يمنعه إلا لضرورة ظرفية آنية، لكن الأصل أنه مطلوب، و يندرج ضمن التخطيط الاقتصادي للفرد والأمة في المجتمع الإسلامي. والشاهد على ذلك الأحاديث الآتية: منها ما رواه عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم))[900]. وهذا النخل كان مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب[901].وقوله عليه الصلاة والسلام : ((اتخذوا الغنم فإنها بركة))[902]. وقوله هذا دعوة إلى طلب الرزق وكسب الأموال ادخارا وتخطيطا للمستقبل .

---

[900] البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 63 ، رقم: 5357 .
[901] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 2 ص: 573 ، رقم: 2569 .
[902] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 1 ص: 19 ، رقم: 82 .

ومنها قول النبي - صلى الله عليه وسلم – ((" من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منه شيء" فلما كان العام المقبل قالوا" يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي. قال : " كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها"))[903].

ومنها ((عن عمر بن الخطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي فقال: رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ما أبقيت لأهلك ؟، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا))[904]. وهذا شاهد قوي على أن الصحابة كانوا يتكسبون ، وأن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يأمرهم أن يدخروا بعض أموالهم لأهاليهم .

ومنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول))[905]. والذي يتصدق عن ظهر غنى ، يعني أنه تصدق ببعض ماله وترك قسما منه .

ومن ذلك أيضا أن الصحابي كعب بن مالك كان صاحب أموال، فلما تاب الله عليه عندما تخلف عن إحدى الغزوات ، قال للنبي –عليه الصلاة والسلام : ((قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر))[906]. والإمساك ببعض المال هو من الادخار احتياطا وتحسبا للمستقبل .

ومما ينقض قول الصوفية بعدم الادخار هو أن ادخار الأرزاق يندرج ضمن التخطيط الاقتصادي المستقبلي للأمة ، وهذا أمر أكد عليه الإسلام وجعله من أركان النظام الاقتصادي الإسلامي، والمتمثل في فريضة الزكاة التي هي من أركان الإسلام أيضا. فالزكاة بأنواعها وأنصبتها ،ومصاريفها وشروطها، تُمثل ادخارا وتخطيطا اقتصاديا للأمة. قال سبحانه: ((كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأنعام : 141)).

[903] البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 103 ، رقم: 5569 .
[904] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 3 ص: 202 ، رقم: 2902 .
[905] البخاري: الصحيح ، ج 2 ص: 112 ، رقم: 1426 .
[906] البخاري: الصحيح ، ج 2 ص: 112 ، رقم: 1426 .

وقد أعطى الله لنا نموذجا رائعا للكسب والادخار وأسبابه ودواعيه في قصة يوسف –عليه السلام- وإشرافه على مشروع اقتصادي ادخاري ضخم لمدة 14 سنة . وعندما كثرت الغنائم في خلافة عثمان- رضي الله عنه- ادخرها للمسلمين في مخازن[907].

والشاهد على ذلك أيضا ما فعله الصحابة وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنهم- عندما جعلوا أراضي السواد بالعراق خراجية ولم يُقسموها على الفاتحين[908] لكي يضمنوا للمسلمين مصادر رزقهم وقوتهم في المستقبل. وهذا عمل عبقري وعظيم تضمن إدخارا وتخطيطا اقتصاديا لعقود وقرون قادمة.

وثانيا: إن تحريم أبي الحسن الفارسي للإدخار ، وتعليق الكلاباذي عليه وتأييد موقفه بحديث نبوي، بقوله: ((و" ترك الاكتساب ": لمطالبة النفوس بالتوكل.و" تحريم الادخار ": في حالة، لا في واجب العلم؛ كما قال النبي ﷺفي الذي مات من أهل الصفة وترك دينارا، فقال رسول الله ﷺ: " كيَّة "))[909]. فهو موقف مخالف للشرع كما سبق أن بيناه لأن الإسلام حث على الادخار ولم يُحرمه ، والحديث الذي ذكره بلا إسناد، ورد في كتب الحديث مُسندا، لكنه لا يصح ، وتفصيل ذلك فيما يلي:
قال عبد الله بن أحمد : ((حدثني أبي ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ان رجلا من أهل الصفة مات فوجد في بردته ديناران فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: كيتان))[910].
وإسناده فيه مقال ، بل لا يصح، لأن من رجاله: حماد بن سلمة بن دينار السلمي أبو سلمة (ت 167 هـ عن نحو 80 سنة) : سبق تفصيل حاله ، وتبين أنه ضعيف من جهة ضبطه، فكان كثير الخطأ ، وله أوهام وغرائب .
وعاصم بن أبي النجود عاصم بن بهدلة الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ (ت 128هـ) ، قيل فيه : ثقة، كثير الخطأ في حديثه، صدوق، له أوهام ، لا بأس به، حجة في القراءات، حديثه في الصحيحين مقرون

---

907 السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص: 156 . و ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج 29 ص: 258 .
908 ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1 ص: 435 . و وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر الفكر، دمشق، ج 6 ص: 382 . وعمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 72 .
909 الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 103 .
910 أحمد بن حنبل : المسند ، ج 1 ص: 214 ، 39 ، 14 .

بغيره[911]. لكنه كان يُرسل ، فقد روى عمن لم يسمع منه ،قال الدارقطني : ((لم يسمع من أنس شيئا)) و((روى عن شهر بن حوشب والحارث بن حسان البكري ... والصحيح أن بينهما أبا وائل))[912].وقال أيضا: ((لا يصح لعاصم عن عطية ، يعني العوفي، شيء))[913]. وهو هنا قد عنعن عن زر بن حبيش، فبما أنه كثير الخطأ في الحديث، وكان يُرسل فإن إسناد الخبر لا يصح من جهته .

لكن على فرض صحة الحديث[914]، فهو لا يتعلق بالنهي عن الادخار، ولا عن طلب الكسب، وإنما يتعلق بالشخص الذي يتظاهر بالفقر، أو يعيش مع الفقراء ، ويخفي أموالا فلا ينفقها على نفسه ولا على أولاده ، ولا على إخوانه، بل ويأخذ حقوق غيره من الفقراء ، ثم يموت ويترك ماله الذي ادخره وأخفاه عن غيره من الناس . وهذا سلوك مذموم من دون شك .

وأخيرا – ثالثا - ففيما يخص الأحاديث الثلاثة التي ذكرها أبو نعيم الأصبهاني ، والمتعلقة بالادخار، ، فالأول: « ألم أنهك أن تخبئ شيئا لغد ؟ إن الله يأتي برزق كل غد »[915]. لا يصح ، لأن من رجاله: أبو يعلى هلال بن سويد الأحمري : ضعيف[916].

ومروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري الكوفي ثم المكي (ت 193 هـ) : قيل فيه: ثقة ثقة، و((ثقة فيما يروي عن المعروفين وضعفه فيما يروي عن المجهولين)) . و ((كان يلتقط الشيوخ من السكك .. ثقة ثبت ما حدث عن المعروفين فصحيح وما حدث عن المجهولين ففيه ما فيه وليس بشيء))[917]. و قيل فيه : ((كان يغير الأسماء يعمي على الناس)). وكان يحدث ((عن الحكم بن أبي خالد وإنما هو حكم بن ظهير)) [918] . وقال فيه ابن معين : ((ما رأيت احيل للتدليس منه))[919]. وهذا الرجل عده الشيعة من رجالهم[920] .

---

[911] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 454. و تهذيب التهذيب ، ج 4 ص: 28 ، رقم: 67.
[912] أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ج 1 ص: 203 ، رقم: 317 .
[913] الدارقطني: موسوعة أقوال الدارقطني ، ج 2 ص: 22 .
[914] حسنه الألباني ، الأحاديث الصحيحة، ج 6 ص: 136 ، رقم: 2637 .
[915] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 9 .
[916] ابن حجر: لسان الميزان ، ج 6 ص: 152 .
[917] ابن حجر: تهذيب التهذسب ، ج 9 ص: 69 .
[918] ابن حجر: تهذيب التهذسب ، ج 9 ص: 69 .
[919] سبط ابن العجمي: التبيين لاسماء المدلسين ، رقم: 76، ص: 11 .
[920] أبو جعفر الطوسي: رجال الطوسي ، رقم: 4583 ، ج 2 ص: 24 . و عبد الحسين الشبستري: أصحاب الإمام الصادق ، ط1 ، قم ، إيران ، 1418 ، ج 4 ص: 234 .

وتلك المواقف والأحوال- التي وُصف بها الرجل- ليست علمية ولا أخلاقية ، و إنما هي مواقف نفعية تنطلق من خلفية مذهبية فاسدة . لأن تحليلها يوصلنا إلى : إن الراوي الثقة الصادق هو صادق في كل أحواله ما لم يُكره على أمر لا طاقة له به . و أما أن يجمع بين الثقة وعدمها في مروياته عن قصد ، فهذا موقف غير أخلاقي، وصاحبه مجروح ، لأنه يفعل ذلك عن قصد و سبق إصرار و ترصد لغاية في نفسه . فهو يُمارس التقية . ولا يصح وصفه بأنه صادق، و لا أن يُبحث له عن المخارج . فحاله واضح مكشوف فلا معنى لتلك التبريرات الفاسدة . فهل من تلك أحواله يصح أن يكون ثقة ؟؟!.

وقد فسر الذهبي مواقف مروان هذا وبرره بقوله: ((قلت: إنما الضعف من قبلهم، كان يروي عن كل ضرب، وقد كان سفيان الثوري مع جلالته يفعل كذلك))[921]. وأقول : تفسيره هذا تبرير ضعيف ، و لا يرفع الاتهام الموجه للرجل في نيته. لأن الضعفاء و الثقات موجودون في المعروفين وغير المعروفين، وهذا يتطلب من الثقة أن يكون ثقة في كل الأحوال ، وليس كحال هذا الرجل . فكيف يكون حاله أنه ثقة في المعروفين دون المجهولين ؟؟!! . و لهذا فواضح من أحواله أنه كان يتعمد أن يكون ثقة في المعروفين لكي لا ينكشف أمره بسهولة، و هذا خلاف ما يتعلق بالمجهولين ، فهم غير معروفين للناس يمكنه أن يتصرف بحرية في المرويات، و يتلاعب و يتحايل ، و قد ذُكر عنه أن كان يتلاعب حتى بالمعروفين، و اكتشفوا أمره . فأية ثقة في هذا الرجل ؟؟!! . إنه ضعيف عدالة وضبطا .

والحديث الثاني: ((« إني ذكرت وأنا في الصلاة شيئا من تبر كان عندنا ، فكرهت أن يبيت عندنا فقسمته »))[922]. رواه البخاري وغيره[923]. وهو لا ينفي العمل وطلب الرزق ولا ينكر ادخار الانسان لما يكفيه من القوت. وإنما يتعلق بوجود مال زائد في البيت ليس من ضروريات القوت اليومي. لأنه صحت الأخبار عن النبي-عليه الصلاة والسلام- وعن صحابته أنهم كانوا يدخرون الأقوات كما سبق أن بيناه . وهذا الحديث لم يحرم ولا منع ابقاء اموال زائدة في البيت، وإنما النبي-عليه الصلاة والسلام- كره أن يبيت ذللك الشيء من التبر في بيته. ربما لحاجة الناس إليه في ذلك الظرف، وإلا فلاشك أنه كان في بيته ذهب عند زوجاته، لأن

---

[921] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص: 49 .

[922] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 12 .

[923] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 170 ، رقم: 851 .

الذهب من زينة المرأة وهو حلال على النساء وحرام على الرجال المسلمين. والشرع لا يحرم ترك الذهب وغيره في البيت وإنما يُحرم كنز الذهب والفضة وغيرهما من الأموال وعدم إخراج زكاتها. وأما من أبقى عنده شيئا من ذلك في بيته وأخرج زكاته فليس ذلك حراما ، ولا يجب عليه إخراجه من بيته. بل عليه أن يُحافظ عليه ليستثمره ويُنفقه في سبيل الله.

والأخير- الثالث- فهو حديث رواه أبو نعيم الأصبهاني بإسناده عن عيسى -عليه السلام- بأنه كان ((يلبس الشعر ويأكل الشجر ويبيت حيث أمسي لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبئ شيئا لغد))[924].

وأقول: الإسناد لا يصح، لأنه منقطع، وهو نموذج لعدم حرص الصوفية على رواية الأخبار الصحيحة، وشاهد دامغ على إهمالهم لتحقيق المرويات ، ورواياتهم للضعيف والموضوعات . وأما متنه فباطل ، لأنه مخالف للشرع، ولسنة الحياة، كما سبق أن بيناه.

ثم أن الصوفية بعدما اعتزلوا الناس، وفضلوا العزوبية، وتركوا طلب الرزق، ومدحوا الفقر وذموا الغني، وحرموا الادخار، فإنهم خرجوا يطلبون الرزق بالطرق الصوفية، وبها نقضوا جانبا من أصولهم وطريقهم الصوفي . منها : التسول، و الاحتيال، والتقرب إلى الأغنياء والأمراء والسلاطين .

وهم قد مدحوا التسول وبرروا ممارستهم له بتبريرات ضعيفة جدا، بل لا تصح ، وفيها تغليط وتلبيس. وأول أمر يجب التنبيه إليه هنا هو أن مدح الصوفية للتسول وممارستهم له هو أمر مخالف للشرع وحرام عليهم ممارسته من الناحية الشرعية لا الصوفية. لأن القوم كانوا يُطبقون العبادة الصوفية على أنفسهم لا الشرعية، لكن يجب علينا التنبيه إلى مخالفة هؤلاء للشرع لأنهم مع مخالفتهم له وخروجهم عليه، فإنهم كانوا حريصين جدا على التستر به تقية وتلبيسا على المسلمين.

وأما لماذا هو حرام عليهم لأنه التسول حرام في دين الإسلام، والمسألة لا تحل إلا لمضطر وفي حالات حددها الشرع ، لقول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله

[924] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 3 ص: 273 .

فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[925].

فالصوفية لا تحل لهم المسألة لأن تلك الحالات لا تنطبق عليهم، وهم قد خالفوا الشرع من بداية الطريق الصوفي إلى نهايته كما سبق أن بيناه، وليس في التسول فقط ، الذي يندرج ضمن سلسلة مخالفات الطريق الصوفي لدين الإسلام.

وثانيا إن مدح أبي حامد الغزالي لتسول الصوفية وتبريريه له ، وقوله بأنهم يأخذون رزقهم من يد الله ولا يرون الواسطة [926]. فهو موقف غير صحيح ، ومخالف للشرع وللحقيقة في الواقع .

إنه لا يصح لأن الغزالي شجع الصوفية على ترك العمل بدعوى التفرغ للعبادة، وأنهم يأكلون رزقهم بعز . فهذا باطل لأن الصوفي الذي تفرغ للعبادة وترك التكسب هو في الحقيقة في طاعة هواه وشيطانه، وليس في طاعة الله تعالى، لأنه سبحانه فرض علينا شريعته وكلفنا بتطبيقها والالتزام بها. منها أمرها لنا بالعمل والخروج لطلب الرزق. لكن الغزالي يُغالط ويتلاعب بالكلام لغاية في نفسه. وقوله ليس من التوكل ولا هو أفضله ، وإنما هو من المخالفات الشرعية. ومن يفعل ذلك هو في الحقيقة ليس متوكلا على الله لأنه سبحانه لم يأمره بذلك، ولا جعل عمله توكلا ،وإنما هو متوكل على الناس ، أو على أصحابه ليأتوه بالطعام . بدليل أن الغزالي قال بأن من تفرغ للعبادة و ((أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [927]. فهذا متوكل على فتح الباب ليراه الناس وليس متوكلا على الله !! .

والغزالي متناقض مع نفسه ومغالط لغيره في مدحه للتسول وحثه عليه ، بدعوى التوكل على الله . فقال بأن الصوفي المنشغل بالله ((غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل...))[928]. لكنه نقض كلامه عندما قال بأن من تفرغ للعبادة و((أغلق

[925] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .
[926] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[927] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[928] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .

باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [929]. فلماذا يترك الباب مفتوحا ولا يغلقه توكلا على الله حسب المفهوم الصوفي؟؟، أليس تركه مفتوحا هو طمع واستشراف إلى الناس، وانتظار لمن يدخل؟؟. وسواء انتظر من يدخل أو لم ينتظر، فبما أنه ترك الباب مفتوحا ليأتي من يتصدق عليه ، فهو في انتظاره سواء أظهر ذلك أم لم يُظهره، لأن شبكة الصيد قد نصبها وستعمل عملها **!!** .

وليس صحيحا أن طعام الصوفي التارك للتكسب هو طعام بعز وبشرف ، لأن الشرع نهى عن السؤال إلا عن العاجز والصوفية ليسوا عاجزين وإنما هو عاطلون وسلبيون ونصابون . ولأن اليد العليا خير من اليد السلفى فتكون يد الصوفي هي السفلى لأنها هي الآخذة. فعن عبد الله بن عمر ((أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة « اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة »)) [930]. ولا يصح القول بأن ذلك من رعاية الله لهم، فهذا باطل لأن الشرع أمر بالعمل ونهى عن التسول، فكيف يكون تسول الصوفية وطمعهم من رعاية الله لهم؟؟ !!. فهذا نوع من الاحتجاج بالقدر ،وهو مرفوض وباطل ،وإلا من حق حتى اللصوص الذين يستولون على أموال الناس أن يجعلوا ما يستولون عليه من أشرف المكاسب ومن رعاية الله لهم لأنه مكنهم من أخذ وجمع ما سرقوه من أموال الناس بالباطل !!. وبما أن هذا باطل قطعا، فكذلك قول الغزالي لا يصح .

وأما زعمه بأن الصوفية يأخذون صدقات الناس من يد الله بلا واسطة ، فهذا كلام باطل ، وتلبيس وتضليل وتغليط، لأن الصوفية يتسولون ويسألون الناس ويطمعون فيهم . والغزالي نقض كلامه هذا عندما نص على أن من تفرغ للعبادة و ((أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [931].فهم يأخذون من أيدي الناس بطمعهم وتسولهم وتحايلهم ولا يأخذون من يد الله كما زعم الرجل.ولا يصح الاحتجاج بالقدر، لأن كل الكائنات تأخذ ما كتبه الله لها ، فهذا قانون كوني تخضع له كل المخلوقات وليس خاصا بالصوفية . لكن مع ذلك يبقى الإنسان مسؤولا ومكلفا بأن يأخذ ماله وغذاءه بالعمل، وأن يكون حلالا أيضا .

---

[929] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[930] مسلم: الصحيح، ج 3 ص: 94، رقم: 2432 .
[931] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .

ومما يبطل زعم الرجل في دفاعه عن كسل الصوفية وتركهم للتكسب، هو أن الصوفية لم يتركوا الأخذ بالأسباب حسب مفهومهم للتوكل،وإنما نقضوه عندما كانوا يعملون بطرقهم السلبية الانتهازية، والطمعية والتحايلية لاستعطاف الناس تحصيلا للرزق ؛ مما يشهد عليهم أنهم طلبوه بذل وطمع وتحايل . من ذلك مثلا أن الصوفي محمد الشرنوبي كان من عادته أنه ((يأمر مريديه بالشحاتة على الأبواب دائماً في بلده))[932].

ومنها أيضا أن الصوفي يوسف العجمي الكوراني كان يتسول مع أصحابه الصوفية بالتناوب، فكان ((يُخرِج كل يوم فقيراً –صوفيا- من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار، فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء – الصوفية- ذلك النهار كائناً ما كان، وكان يوم الفقراء يأتي أحدهم بالحمار محملا خبزاً، وبصلا وخياراً، وفجلا، ولحماً))[933].

وعندما يكون يوم شيخهم في التسول يأتي الشيخ ((ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقيراً واحداً ؛ فسألوه عن ذلك فقال: أنتم بشريتكم باقية، وبينكم،وبين الناس ارتباط، فيعطونكم، وأنا بشريتي فنيت حتى لا تكاد ترى فليس بيني، وبين التجار والسوقة، وأبناء الدنيا كبير مجانسة، وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب، ويقول: الله، ويمدها حتى يغيب، ويكاد يسقط إلى الأرض، فيقول من لا يعرفه هذا الأعجمي راح في الزقزية))[934].

وكان هذا الشيخ ((يغلق باب الزاوية طول النهار لا يفتح لأحد إلا للصلاة، وكان إذا دق داق الباب يقول **:**للنقيب اذهب فانظر من شقوق الباب، فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء، فافتح له، وإلا فهي زيارات، فشارات ...))[935].

ومن مظاهر مخالطتهم للأمراء والأغنياء جمعا للمال،ما ذكره ابن الجوزي(ت 597هـ) عن صوفية زمانه بقوله : ((فأما اليوم فقد برح الخفاء أحدهم يتردد إلى الظلمة و يأكل أموالهم و يصافحهم))[936].

---

[932] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 477 .

[933] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .

[934] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .

[935] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .

[936] ابن الجوزي: صيد الخاطر ، ص: 252 .

ومنها ما رواه المؤرخ قطب الدين اليونيني(ق: 8هـ)، فقال: ((لما دخلنا الديار المصرية اتفق أن بعض الأمراء الأكابر عمل سماعاً-مجلس غناء- وحضر بنفسه إلى الأمير جمال الدين رحمه الله ودعاه فوعده بالمضي إليه والحضور عنده فلما كان العشاء الآخرة مشى ونحن معه جماعة من خواصه ومماليكه إلى دار ذلك الأمير فلما دخل وجد في الدار جماعة من الأمراء جلوساً في إيوان الدار وجماعة من الفقراء- الصوفية- جلوساً في وسط الدار فوقف ولم يدخل وقال لصاحب الدار وللأمراء: أخطأتم فيما فعلتم كان ينبغي أن تقعد الفقراء- الصوفية- فوق وأنتم في أرض الدار، ولم يجلس حتى تحول الفقراء إلى مكان الأمراء والأمراء إلى مكان الفقراء وقعد هو ونحن بين الأمراء. فلما غنى المغاني قام أحدهم والدف بيده ودار على الجماعة لينقطوه وهذه كانت عادة المغاني في سماعات الديار المصرية فلما رآه الأمير جمال الدين انتهره وقال: ألك أنت في الحلق وأشار إلى خازنداره فوضع في الدف كيساً فيه ألف درهم، فلما رقص الجمع دار بينهم ورمى على المغني بغلطاقه وهو أبيض قطن بعلبكي ما يساوي عشرين درهماً فرمى سائر مماليكه بغالطيقهم موافقة له وقيمتها فوق ثلاثة آلاف درهم . ثم دار في النوبة الثانية ورمى على المغني منديله وهو أبيض كتان يساوي درهمين فرمى سائر أصحابه مناديلهم وفيها ما هو بالذهب وغيره ولعل قيمتها فوق ألف وخمسمائة درهم فحسبت أن المغاني حصل له منه ومن غلمانه في تلك الليلة قريب ستة آلاف درهم))[937].

وثالثا إن ما ذكره السراج الطوسي بأن ((الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى))[938]. وأن بعض الصوفية ببغداد كان لا يكاد يأكل شيئا إلا بِذُل السؤال ، بدعوى أن نفسه كانت تكره ذلك فألزمها به[939]. فهو أمر لا يصح شرعاً ،وفيه تغليط وتحايل . لأن الإسلام حرّم التسول كما بيناه مرارا ، ويجب تربية النفس بما يُوافق الشرع لا بما يُخالفه ، فلا يصح تربية النفس بالحرام، لأن طرق التربية كثيرة وتُغني عنه ، وتربيتها بالحرام هو إفساد وتشجيع لها على عدم الالتزام بالشرع، وليس العكس . ومن يتعبد بالحرام فهو ليس في طاعة الله، وإنما هو في طاعة هواه وشيطانه ،وهذا هو حال الصوفية، فهم غارقون في مخالفة الشرع وتعطيله تطبيقا والتزاما بالعبادة الصوفية.

---

[937] قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ص: 291 .
[938] اللمع ، ص: 255 .
[939] اللمع ، ص: 253 .

وأما قوله بأن الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى؛ فهو عِناد ومكابرة وتعصب للتصوف بالباطل . ومن الخطأ والعبث مناقشته في زعمه هذا، لأن الثابت شرعا وعقلا أن التسول ذل وعجز ونقص، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى .

وبالنسبة لما رواه أبو طالب المكي عن تسول أبي الحسن النوري، ودفاع الجنيد عنه وتبرير فعله بقوله: ((فإن النوري لم يسأل الناس إلاّ ليعطيهم إنما سأل لهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرّه.))[940]. فهو تبرير لا يصح، وفيه تغليط وتحايل في الدفاع عنه . فكان على الجنيد أن ينكر ذلك ويذمه، لأن الشرع نهى عن السؤال وأمر بالعمل، وجعل اليد العليا خير من اليد السفلى[941]. لكنه لم يفعل ذلك التزاما بالعبادة الصوفية لا الشرعية .

وأما النوري فهو قد خالف الشرع ورضي لنفسه التسول وذل السؤال ، مع أن الشرع يوجب عليه أن يعمل ،لأنه لم يكن معذورا في تركه للعمل. ولماذا لم يعمل ليتصدق هو على الناس؟؟، فيكون له الأجر الكبير، وينتفع به العاجزون عن العمل، وتكون يده هي العليا . لكنه لم يخرج للعمل، وألحق نفسه بالضعفاء والعاجزين كسلا وتصوفا وطلبا للراحة ، فكان قدوة سيئة لغيره .

وليس صحيحا أن النوري سأل للناس ليعطيهم، وإنما الحقيقة هي أنه سأل لنفسه ليعطيه الناس، وأما هم فقد يُؤجرون على تصدقهم عليه، وقد لا يُؤجرون ، فحسب نواياهم وإخلاصهم . لكن المُؤكد أن النوري سأل لنفسه، وأما نيل هؤلاء الأجر من تصدقهم عليه فغير مُؤكد. وحتى وإن صدقوا في نوياهم وأخذوا الأجر فليس النوري هو الذي أعطاهم ، وإنما الله تعالى هو الذي أعطاهم الأجر، والنوري يستحق الذم والمنع لأنه مخالف للشرع لتسوله. وهو بهذه الطريقة قد أذل نفسه، وحرم غيره من المحتاجين من أخذ ما أخذه هو. فكان من الأولى والأنفع أن يتصدق المتصدقون على المحتاجين أولى من التصدق على الكسالى المتسولين كالنوري وأمثاله. وفي هذه الحالة يكون التصدق في مكانه والأجر أكثر وأنفع .

---

940 أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 160 .

941 ((عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة « اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة »)) . مسلم: الصحيح، ج 3 ص: 94، رقم: 2432 .

وبذلك يتبين أن خروج الصوفية لطلب الرزق بالتسول واستعطاف الناس، وبالتقرب إلى الأغنياء والأمراء، هو نقض صريح لمبدأ التوكل عندهم – عدم الأخذ بالأسباب- . فلا فرق بين من يخرج إلى السوق للبيع وحمل السلع وبين الصوفي الذي يتسول ويتقرب من الأغنياء طلبا للرزق. فكل منهما يعمل ويطلب الرزق ويأخذ بالأسباب حسب الطريقة التي تناسبه، لكن الذي لا شك فيه أن الصوفي طلب رزقه بذل وتحايل وسلبية، فكانت يده هي السفلى . فالصوفية نقضوا مفهومهم لمعنى التوكل، وطلبوا الدنيا بالتسول وانتظار صدقات الناس. وهم بهذه الطريقة يسيرون على منهج رهبان البوذية ، فهم قديما وحديثا لا يحترفون ، ويعيشون بصدقات المحسنين ، ويُمارسون التسول أيضا[942].

وأُشير هنا إلى أن الصوفية لم يكتفوا بمخالفة الشرع في تركهم للعمل وتفضيلهم للفقر على الغنى والتسول على الكسب، وإنما بلغ الأمر ببعضهم إلى إضاعة الأموال . فمن ذلك ما رواه السراج الطوسي عن الحسين النوري أنه حمل إليه ثلاثمائة دينار ، من عقار باعه ، فجلس على ((قنطرة الصراة وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء، ويقول: سيدي تريد أن تخدعني عنك بهذا))[943].

ونقل ابن الجوزي عن السراج الطوسي أنه قال: ((ربما كان الشبلي يلبس ثيابا مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار قال : وذُكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار. وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار. قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله. قلتُ : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله))[944].

وأقول: في كلام النوري غرور وسوء أدب مع الله تعالى، لأن الله تعالى أفعاله لا تخرج عن الحكمة والرحمة والعدل، وقد أمرنا بالتمتع بالدنيا باعتدال ،ونهانا عن الفساد وتبذير الأموال . لكن النوري يتظاهر بأنه رمى أمواله خوفا من الفتنة وقد واقع فيها، لأنه ضيّع المال وهذا حرام . فالنوري والشبلي هما من السفهاء لأنهما من المفسدين والمُضيعين للأموال. قال تعالى: ((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا

---

[942] عبد الله مصطفى نومسوك : البوذية: تاريخها، وعقائدها، وعلاقة التصوف بها، ص: 511 .
[943] السراج الطوسي: اللمع، ص: 257 .
[944] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 424 .

وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)(النساء: 5))، و قال النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((وأنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال))[945].

وقال سبحانه ((وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)(الحديد: 7)). فكان على النوري أن يتصدق بماله على من يستحقه، ولا يرميه في البحر، ولو وضعه على رصيف الطريق لكان أحسن من رميه في البحر. ونفس الأمر ينطبق على الشبلي، فلماذا لم يتصدق بما كان عنده بدلا من حرقه ؟؟**!!**. أليس هذا حرام وإفساد مُتعمد ، وطاعة للشيطان وعصيان للرحمن ؟؟. فعجبا من الصوفية ففي الوقت الذي خرجوا للتسول واستعطاف المحسنين ليتصدقوا عليهم، وجدنا بعضهم يتلف ما عنده من الأموال ولا يتصدق بها على المحتاجين**!!**. فأي عبادة وعقيدة يتبعها هؤلاء الصوفية ؟؟**!!** . لاشك أنهم لا يتبعون شريعة الإسلام، فلو اتبعوها ما خالفوها وما عطلوها ولا تعالموا عليها وتقدموا عليها . وإنما هم يتبعون العبادة الصوفية مع الحرص على التستر بالإسلام قدر طاقتهم**!!**.

وأما بالنسبة للأحاديث النبوية التي ذكرنا أن الصوفية احتجوا بها لتأييد موقفهم في مدح الفقر وذم الغنى، فهي إما أنها غير صحيحة، أو أنها مُؤوّلة تأويلا فاسدا .

أولها الحديث الذي رواه أبو طالب المكي بقوله: ((رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً فقال: ... فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: أبلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء، أما خصلة واحدة فإن في الجنة غرفًا ينظر إلها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، والثالثة إذا قال الغني: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير، وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البرّ كلها فرجع إليهم فقالوا:رضينا))[946].

---

[945] الألباني: الصحيحة، ج 2 ص: 298 ، رقم: 685 .
[946] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 365 .

وأقول: الحديث ضعفه الحافظ العراقي[947]. وأما متنه فالظاهر أنه مركب من حديث صحيح وآخر موضوع ، ولهذا فإن الصحيح ينقض هذا المختلق الذي ذكره أبو طالب المكي. و الصحيح فلم يقل للفقراء أن حالهم أفضل من حال الأغنياء، ولا خصهم بأمر دون غيرهم، ولا قال لهم ما ورد في ذلك الحديث. وتفصيل ذلك أن فقراء المهاجرين ((أتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم. فقال « وما ذاك ». قالوا: يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ». قالوا بلى يا رسول الله. قال: « تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة ». قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »))[948]. فأين ما زعمه ذلك الحديث المختلق ؟؟.

وأما إذا احتج الصوفية بحديث آخر رواه مسلم مفاده أن يهوديا سأل النبي- عليه الصلاة والسلام- عن أول الناس إجازة يوم القيامة ، فقال: ((فقراء المهاجرين)) [949].

فأقول: هذا الحديث ليس فيه دعوة إلى الفقر، ولا تفضيل للفقر على الغنى ، ولا الفقراء على الأغنياء، لأن التفضيل يوم القيامة يكون بالإيمان والعمل الصالح. وفقراء المهاجرين هم السابقون الأولون من المهاجرين، وهم الذين كانوا فقراء إلى الله تعالى، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله. وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله : ((لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحشر: 8)). فهؤلاء كانت لهم أموال لكنهم فقدوها في سبيل الله، فلماء هاجروا إلى المدينة أصبحوا فقراء، ثم بدأت ظروفهم تتحسن تدريجيا ، حتى أصبحوا كلهم أغنياء، أو ميسورين زمن الخلافة الراشدة ، وكثير منهم ماتوا وتركوا أموالا طائلة من بعدهم كما سبق أن بيناه . لكن مع هذا ، فهم الفقراء الذين ذكرهم القرآن الكريم، لأنهم كانوا فقراء عندما هاجروا إلى المدينة، فوصفهم الله بذلك ، وهذا لا يعني أنهم

[947] المغني عن حمل الأسفار، ص: 41 .
[948] مسلم، الصحيح، ج 2 ص: 97 ، رقم: 1375 .
[949] مسلم، الصحيح، ج 1 ص: 73 ، رقم: 742 .

سيبقون كذلك، بدليل ما ذكرناه من تحسن أحوالهم، ولأن الله تعالى قد وعدهم بالنصر والتمكين وتحسن أحوالهم مستقبلا ، وقد تحقق لهم ذلك . قال سبحانه: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: 55))، و ((الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(الحج : 41)).

علما بأن فقراء المدينة لم يكنوا فقراء عن اختيار وتعمد كما يفعل الصوفية، وإنما ظروفهم الصعبة التي كانوا فيها هي التي أجبرتهم على ذلك. بدليل قوله تعالى: ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة : 273). فهؤلاء أحصروا ، ولم يستطيعوا ضربا في الأرض.

والحديث الثاني: ((... قال رسول الله، -صلى الله عليه وسلم- ،لبلال: الق الله فقيرا، ولا تلقه غنيا !؟؟؟؟ ... : هو ذاك، وإلا فالنار))[950]. هذا الحديث ضعيف[951]، ومتنه لا يصح لأنه مردود بالشوهد الشرعية والعقلية التي سبق أن بيناها في ردنا على مدح الصوفية للفقر وذمهم للغنى.

والثالث: قال أبو عبد الرحمن السلمي : قال النبي-عليه الصلاة والسلام - : ((يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تثبتوا بثبوت فقركم وإلا فلا))[952].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: أحمد بن الحسن بن أبان المصري ، وهو متهم بالكذب ووضع الحديث[953]. ومتنه فيه ما يُنكر لأنه يمدح الفقر، ويحث على الرضا به مُطلقا من دون تخصيص، وهذا مخالف للشرع، وليس من دين الله تعالى كما سبق أن بيناه .

---

950 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 257 .

951 الحافظ العراقي: المغني في حمل الأسفار، ج 6 ص: 35 . والألباني: ضعيف الترغيب والترهيب، ج 1 ص: 137 .

952 أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص: 53.

953 الحافظ العراقي: المغني في حمل الأسفار، ج 6 ص: 40 .

والحديث الرابع: ((عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود -عليهما السلام- لمكان ملكه، وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه ...))[954].

وأقول: الحديث ضعيف[955]، ومتنه مُنكر، بل إنه باطل ، لأن ابن عوف هو من السابقين الأولين من المهاجرين ، وهؤلاء هم أول من يدخل الجنة من الصحابة لقوله تعالى: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة :100)). فابن عوف ليس هو آخر الصحابة دخولا إلى الجنة ، وإنما يتقدم حتى على السابقين من الأنصار ومن كل المسلمين الذين أسلموا بعد الهجرة.

والشاهد الثاني مفاده أنه ليس ابن عوف هو الغني الوحيد من الصحابة، حتى يكون آخرهم دخولا إلى الجنة ، وإنما الأغنياء من الصحابة كثيرون من المهاجرين والأنصار فلماذا لا يكونون معه بحكم غناهم. بل أصبح كل الصحابة أغنياء، أو ميسورين زمن الخلافة الراشدة ، وكثير منهم مات وترك أموالا طائلة من بعده كما سبق أن بيناه. فلماذا لم يكونوا مع ابن عوف ؟؟، وهل كل هؤلاء سيكونون آخر من يدخل الجنة ؟؟، وإذا كانوا كذلك فمن يسبقهم إلى دخولها ؟؟!!. فالحديث ليس بصحيح من دون شك.

علما بأن الشرع لم يجعل الفقر، ولا الغنى مقياسا لدخول الجنة ، ولا مبررا لدخولها من الأوائل ولا من الأواخر. وإنما جعل كلا منهما من حالات الامتحان والاختبار . لأن كلا منهما قد يُسعد صاحبه فيدخله الجنة، وقد يضله فيدخله النار. فكل من الغني والفقير مُمتحن. قال سبحانه : ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)(الأنبياء : 35))، و((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)(الأنفال : 28))، و ((فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)(الفجر: 15)).

---

[954] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 285 .

[955] طاهر الفتني: تذكرة الموضوعات ، ص: 76 . و الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار ، ص: 37 .

والحديث الخامس: ((اللّهم من أحبّني وأجاب دعوتي فأقلّل ماله وولده، من أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ما له وولده وأوطئ عقبيه كثرة الأتباع))[956].

وأقول: الحديث ضعيف[957]. ومتنه ظاهر البطلان وُضع على مقاس الصوفية . لأن كلا من الأولاد والأموال فتنة سواء كانوا قلة أو كثرة ، وهم أيضا من نعم الله تعالى على عباده . وقد كان لبعض الأنبياء أولاد كثيرون كيعقوب -عليه السلام- وجمع داود وسليمان -عليهما السلام- بين الأموال والأولاد ، فهل هذا يعني أن الله تعالى قد عاقبهم ؟. وهل الصحابة الذين كانوا أغنياء ولهم أولاد كثيرون لم يُحبوا النبي ولا استجابوا لدعوته ؟؟!!. وهل أن الله تعالى لما فتح الدنيا على الصحابة ومكن لهم في الأرض عاقبهم بذلك، وأن حبهم للنبي كان ضعيفا ؟؟!!. فهذا حديث مكذوب على النبي-عليه الصلاة والسلام- اختلقه المفترون لتعضيد موقف الصوفية من المال والدنيا.

والحديث السادس: ((« إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب ، فإذا أردت اللحوق بي فإياك ومخالطة الأغنياء ، ... »))[958].

إسناده لا يصح ، لأن من رجاله: حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي (117-194 هـ)، فصلنا حاله في الفصل الأول ، وتبين أنه ضعيف. وصالح بن حسان النضري أبو الحارث المدني نزيل البصرة : ليس بشيء، منكر الحديث، ليس بذاك، ضعيف ، متروك الحديث[959].

وأما متن الحديث فهو باطل من دون شك، لأنه مخالف لموقف الشرع من الفقر والغنى كما سبق أن بيناه. وليس صحيحا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- أمر بعدم مخالطة أغنياء الصحابة، فهذا كذب عليه بلا ريب. فقد صحت الأخبار بأنه أثنى على أغنياء الصحابة عندما جاهدوا بأموالهم في سبيل الله، كعثمان بن عفان- رضي الله عنه- . وهل يُعقل أن يأمر بعدم مخالطة عثمان ، ثم يُزوجه باثنتين من بناته ؟؟ !! . ولو كان أَمَر بعدم مخالطة عثمان ، فهل يختاره غالبية المسلمين خليفة لهم ؟؟. وبما أن كل

---

[956] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 360 .
[957] الهيثمي : مجمع الزوائد، ج 10 ص: 509. والألباني: ضعيف أبن ماجة، ج 1 صك 320 ، رقم: 4123 .
[958] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 67 .
[959] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 265 .

الصحابة أصبحوا أغنياء، أو ميسورين زمن الخلافة الراشدة، فهل امتنع الناس من مخالطتهم، واعتزلوا بعضهم بعضا ؟؟!! .

علما بأنه لا يصح ذم الغنى ولا الاغنياء ما دام الشرع أمر بالكسب الحلال، وحث على التصدق ونوه بالمنفقين في سبيل الله . فالله تعالى مدح الأغنياء المؤمنين ولم يدعوا إلى عدم مخالطتهم كما زعمت تلك الرواية، وإنما أمرنا بأن نجاهد بأموالنا وأنفسنا في سبيله . فهل يُعقل ان يأمر الشرع الأغنياء بإخراج زكاة أموالهم، وبانفاقها في سبيل الله ليُطهرهم بها، ثم يذم الغنى والأغنياء ؟؟ !! . وهل يُعقل أن يجعل الله تعالى الزكاة ركنا من أركان الإسلام ثم يذم الأغنياء يطبقونه ؟؟ !! .

والحديث السابع: ((... فدخل النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : قميصي أرقعه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أحسنتِ ، لا تضعي ثوبا حتى ترقعيه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له))[960].

وهذا الحديث لا يصح إسنادا ولا متنا، وقد سبق أن حققناه وبينا عدم صحته في الفصل الأول ، فلا نعيد ذلك هنا .

والحديث الثامن: ((" يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام: نصف يوم "))[961]. هذا الحديث ورد عند الترمذي من ثلاثة طرق:

أولها: ((حدثنا محمود بن غيلان حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام نصف يوم " قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح))[962].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي أبو عامر (ت 215 هـ) : ثقة، لكنه ضعيف في سفيان الثوري[963]، وهنا قد روى عنه .

---

[960] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 68 .
[961] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 429.
[962] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 310 ، رقم: 2353 .
[963] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 248 .

وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97- 161 هـ) ، سبق تفصيل حاله، وتبين أنه مُدلس، ومرسلاته شبه الريح . وبما أنه كذلك ، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

والرواي الثالث: محمد بن عَمْرو بن علقمة بن وقاص المدني (ت145 هـ) ، قيل فيه: اتقى الناس حديثه، ليس بقوي في الحديث، ليس به بأس، ثقة، شيخ، يخطئ[964].

والطريق الثاني: ((حدثنا أبو كريب حدثنا المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمس مائة عام " . وهذا حديث صحيح))[965].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي أبو محمد الكوفي(ت 195 هـ)، قيل فيه : لا بأس به، يدلس، صدوق، ثقة ، يروي المناكير عن المجهولين، كثير الغلط، مضطرب[966]. وبما أن كذلك فهو ضعيف، وقد عنعن وهو مدلس.

ومحمد بن عَمْرو بن علقمة بن وقاص المدني (ت145 هـ) : اتقى الناس حديثه، ليس بقوي في الحديث، ليس به بأس، ثقة، شيخ، يخطئ[967].فالرجل ضعيف .

والطريق الأخير- الثالث- :((حدثنا العباس الدوري حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:" تدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا". هذا حديث حسن))[968].

---

964 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 275 وما بعدها .
965 الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 310 ، رقم: 2354 .
966 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 636 ، ج 5 ص: 183 .
967 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 275 وما بعدها .
968 الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 310 ، رقم: 2355 .

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: عمرو بن جابر الحضرمي أبو زرعة المصري (ت بعد: 120 هـ): ضعيف، شيعي، يكذب ، فيه جهل وحماقة،لا يُحتج به، ليس بثقة[969].

وأما متنه ، فهو باطل أيضا، لأن الذين يدخلون الجنة ويكونون من المقربين هم أولياؤه ، الذين قال فيهم: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(يونس:62-64)) ، فلم يقل أنهم كانوا فقراء ولا مساكين ولا أغنياء . فلا دخل هنا للغنى ولا للفقر، لأن كلا منهما من الامتحان والفتنة. وبما أن الله تعالى رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وشهد لهم بالجنة، وهم أولياؤه ، وأفضل الناس بعد نبيه، وفيهم الأغنياء، والميسورون، والفقراء، بل ومعظمهم أصبحوا أغنياء وميسورين زمن الخلافة الراشدة، فإن ذلك الحديث لا يصح بلا شك .

والحديث التاسع: ((... : كيف أنتم بعدي إذا شبعتم من خبز البر والزيت فأكلتم ألوان الطعام ولبستم أنواع الثياب، فأنتم اليوم خير أم ذاك قال: قلنا ذاك، قال: بل أنتم اليوم خير. ...))[970] .

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: خيثمة بن سليمان بن حيدرة أبو الحسن الأطرابلسي (ت 250- 343 هـ) : ثقة[971] . لكنه لم يلحق بسليمان بن حيان . فالإسناد منقطع من جهته.

و سليمان بن حيان أبو خالد الأزدي الأحمر الكوفي: (119- 190هـ) : صدوق ، يُخطئ[972] . ومع ضعفه فهو لم يلحق بالصحابي واثلة بن الأسقع المتوفى سنة 83 هـ ، فالإسناد منقطع بينهما.

و الحديث العاشر: ((" براءة من الكبر لبوس الصوف ومجالسة فقراء المسلمين وركوب الحمار واعتقال العنز أو قال البعير" ...))[973] . وإسناده ضعيف جدا[974] ، وقد أشار أبو نُعيم الأصبهاني إلى أنه مرسل[975] .

---

[969] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 730 . وتهذيب التهذيب، ج 7 ص: 7، رقم: 13.
[970] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2 ص: 23 .
[971] الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 3 ص: 52 .
[972] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 384 .

[973] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 3 ص: 229 .

والحديث الحادي عشر: ((قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: اطلبوا الأيادي عند فقراء المسلمين فان لهم دولة يوم القيامة. ...))[976]. وهذا الحديث موضوع[977].

والحديث الثاني عشر: ((يقول الله عز و جل يوم القيامة أدنوا منى أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه...))[978]. وهذا الحديث لم يذكر له علي الهجويري وأبو حامد الغزالي إسنادا[979]، وهو ضعيف[980].

والحديث الثالث عشر، أورده الهجويري في كشفه، ورفعه إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- ((الفقر عز لأهله))[981]. لم أجد لهذا الحديث أثرا في مصنفات الحديث والجرح والتعديل ، ولا في كتب التراجم والسير والتواريخ، ولا في مصنفات الأدب والزهد والرقائق . فعجبا من هذا الرجل وأصحابه من الصوفية على جرأتهم في نسبة أي كلام إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- من دون حرص على إيراد الصحيح، ومن دون تحقيق ولا تمحيص للروايات. والغريب أن الهجويري رفع الحديث بصيغة التأكيد والاثبات لا بصيغة التمريض والشك !! .

ومتن الحديث ظاهر البطلان أيضا، لأن العز في الشرع أساسه الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(المنافقون : 8)) . فالإيمان هو الأصل وليس الفقر ولا الغني ولهذا فالمؤمن عزيز سواء كان فقيرا أو غنيا. وكم من فقير ذليل وحقير ، وكم من فقير عزيز وكريم ، ونفس الأمر ينطبق على الغني.

والحديث الرابع عشر: قال الهجويري : ((قال الرسول عليه السلام : " الفقر وطن الغيب "))[982]. وهذا الحديث لا أصل له ، فقد بحثت عنه كثيرا في مصنفات الحديث والجرح والعديل، والتراجم والأعلام والتواريخ، فلم

---

974 الألباني: السلسلة الضعيفة، ج 4 ص: 167 . وصحيح وضعيف الجامع الصغير ، ص: 608، رقم: 6074.

975 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 3 ص: 229 .

976 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 8 ص: 297 .

977 ابن قيم الجوزية: المنار المنيف، ص: 140، رقم: 220 .

978 الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ' ص: 196 . و الهجويري: كشف المحجوب، ص: 215 .

979 الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ' ص: 196 . و الهجويري: كشف المحجوب، ص: 215 .

980 الحافظ العراقي: تخريج أحاديث الإحياء، ص: 412 ، رقم: 3912 .

981 الهجويري: كشف المحجوب، ص: 216 .

982 الهجويري: كشف المحجوب، ص: 334 .

أعثر له على أثر. ومتنه باطل أيضا لأنه مردود بما ذكرناه في نقدنا لموقف الصوفية في مدحهم للفقر وذمهم للغنى. والغريب أن الرجل ذكره بصيغة الاثبات لا بصيغة التمريض والشك. فأين الاحتياط والحرص والتمحيص في ذكر الأخبار عامة والأحاديث خاصة ؟؟.

والحديث الخامس عشر: ((... كيف أصبحتم قالوا بخير. فقال رسول الله: أنتم اليوم خير وإذا غدي على أحدكم بجفنة وريح بأخرى وستر أحدكم بيته كما تستر الكعبة ...))[983].

والحديث السادس عشر: ((... السلام عليكم يا أهل الصفة ،فيقولون وعليك السلام يا رسول الله ،فيقول: كيف أصبحتم ؟... بل أنتم اليوم خير))[984].

وأقول:الحديثان لا يصحان ن لأنهما مرسلان عن الحسن البصري، وهو تابعي تابع وليس بصحابي. ومُختلقان بدليل الشرع والعقل ، فأما شرعا فهما مخالفان للشرع الذي أمر بالعمل والكسب الحلال، وحرم التسول والسؤال، وجعل اليد العليا- المنفقة- خير من اليد السفلى- القابضة -. وأما عقلا فلا يعقل أن يكون حال المتسول والسائل أحسن حالا من المتصدق. ومما يبطله أيضا أن فقراء الصحابة أصبحوا أغنياء فيما بعد أو من الميسورين ، فهم لم يبقوا فقراء، فلماذا لم يأخذوا بوصية النبي-عليه الصلاة والسلام- لهم بتفضيل حال الفقر على الغنى ؟؟. فلو كان قال لهم ذلك كما في الحديثين لأصروا على البقاء فقراء، وبما أن هذا لم يحدث دل على أن الحديثين غير صحيحين.

علما بأنه ليس صحيحا أن الغنى يؤدي إلى التحاسد والتباغض والتقاطع. وإنما الصحيح أنه قد يُؤدي بالأغنياء إلى ذلك ، وقد لا يِؤدي بهم إلى ذلك وإنما قد يِدفعهم إلى التعاون وتنمية ثرواتهم بالحق والعدل. والواقع يشهد على ذلك، فكثير من الأغنياء تعاونوا وكونوا شركات عملاقة نفعوا بها أنفسهم وأوطانهم . ونفس الأمر ينطبق على الفقراء، فقد يجمعهم الفقر ويوحد كلمتهم ويدفعهم إلى التعاون ، وقد يوصلهم إلى التحاسد والتآمر على بعضهم ، وإلى ظلم الضعفاء منهم . فالأمر يتعلق بنفوس ونوايا هؤلاء، بغض النظر عن الفقر والغنى.

---

[983] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 340 .

[984] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 340 .

والحديث السابع عشر: ((... ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون...)) [985].

وإسناده لا يصح[986]، وقد أشار المؤلف إلى أن الحديث مُرسل[987]. ومتنه لا يصح بما سبق أن ذكرناه في إبطال مدح الصوفية للفقر وذمهم للغنى وأهله. لكن زيادة في الإثراء أقول:

نعم إن الفقر الكوني من جهة أن الإنسان فقير إلى الله تعالى ، وأن الكون كله فقير إليه ، فهذا صحيح ومفروض على كل المخلوقات من دون شك. فالمخلوقات كلها فقيرة إليه إليه سبحانه وتعالى . و هو عز للمسلم ، وفيه قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(فاطر: 15)). لكن الفقر المادي ليس ممدوحا، وإنما هو نقص وامتحان ، وعلى كل إنسان أن يسعى للتخلص منه. وهذا الذي أمرنا الشرع به، وجازى به الصحابة لما صبروا وجاهدوا في الله حق جهاده . والمال هو أساس قيام الحياة وعصبها ، لقوله تعالى: ((وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)(النساء: 5)). وهو ركن من أركان الإسلام المتمثل في الزكاة ، فهذا لن يتحقق ولا يطبق إلا بالكسب وطلب الرزق وعمارة الأرض. لكن ابا نُعيم الأصبهاني جعل الفقر المادي شرفا ، فعكس الأمر**!!** .

ومن جهة أخرى لماذا لا يُحاسب الفقراء ؟، فهم كالأغنياء، كل منهم مبتلى بحاله ، لأن الفقر قد يدفع بصاحبه إلى السرقة، أو إلى الحسد ، أو إلى الجهل ، أو إلى الكفر ...إلخ . وقد لا يدفع به إلى تلك الأحوال. ونفس الأمر ينطبق على الأغنياء. فكل منهما قد يوصل صاحبه إلى النار، وقد يدخله إلى الجنة. وعليه فكل منهما يُحاسب على حاله وأعماله. وقد يُحاسب الفقير أكثر مما يُحاسب الغني، فقد يوصل الفقر بعض الفقراء إلى ممارسة الحرابة ، فيقتل الناس ، ويأخذ أموالهم . فهو يُحاسب أكثر من الغني الذي تماطل في دفع الزكاة أو أنقص منها .

وأما إذا قيل: إن الحديث يتكلم على الفقراء المؤمنين ، والأغنياء المؤمنين، ولا يتكلم عن غيرهم وفي هذه الحالة يدخل الفقراء قبل الأغنياء.

---

[985] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 342 .

[986] الهيثمي: مجمع الزوائد ، ج 7 ص: 340 ، رقم: 11659 . والألباني: صحيح وضعيف أبي داود ، ج 8 ص: 166 ، رقم: 3666 .

[987] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 342 .

فأقول: إن الأمر لا علاقة له بالفقر ولا بالغنى ، وإنما الأمر يقوم أساسا على أعمال وأعمار كل فرد ، فقد يطول حساب فقير عن حساب فقير آخر. وقد تقصر مدة حساب غني عن كثير من الفقراء. فإذا كان الغني تقيا صالحا مزكيا لأمواله قليل الكلام والخلطة للناس، فلا شك أن حسابه يكون أخف وأسرع من الفقير الذي دخل الجنة ، لكن كانت له علاقات كثيرة مع الناس، وتولى مسؤوليات عليهم.
علما بأن الفقراء هم الأكثرية في الجنة والنار ، والأغنياء هم الأقل فيهما معا بحكم أن عددهم في الدنيا قليل عادة في كل الشعوب. فهم قلة في الجنة والنار كما كانوا قلة في الدنيا ، والعكس ينطبق على الفقراء أيضا.

وأُشير هنا إلى أن أبا نعيم الأصبهاني لم يكتف بما ذكره في تعظيم الفقراء، وإنما روى أيضا حديثا زعم فيه أن الفقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل الملائكة. فقال : ((حدثنا سليمان بن أحمد ثنا هارون بن ملول ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ثنا سعيد بن أبي أيوب ثنا معروف بن سويد الجذامي أن أبا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : هل تدرون أول من يدخل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فقراء المهاجرين الذي تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فتقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئا تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[988].

وأقول: الحديث لا يصح إسنادا ولا متنا ، فأما إسنادا فمن رجاله: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني،(336 - 430 هـ): تبين لي من خلال تتبع حال أبي نعيم أنه كان ضعيفا عدالة وضبطا، فمن جهة عدالته فإن تصوفه أفسد فيه جانبا من شخصيته جعلته يتأثر به في مواقفه من المرويات الحديثية والتاريخية. بل إن التصوف يحمل أتباعه المخلصين له على التحريف المتعمد للروايات، وهذا سبق أن أثبتناه بعشرات الروايات. وبما أن التصوف قام على التقية والتحريف والتلاعب ومخالفة الشرع والعقل والعلم، فإن الرجل تأثر بذلك . وهذا الرجل كان يتعمد ذكر المرويات الباطلة تدعيما وانتصارا للتصوف حتى أنه جعل أمهات المؤمنين

[988] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2 ص: 34 .

من أهل الصفة، بل وجعل النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته من الصوفية. وهذا زعم باطل وتحريف متعمد للتاريخ. فالرجل كان متعصبا بالباطل للتصوف، ومن هذا حاله ليس بثقة. وأما ضبطا فالأمر واضح جدا، فالرجل ملأ كتابه حلية الأولياء بالروايات الضعيفة والموضوعة ، وسكت عنها في معظم الأحيان. وانتصر بها للتصوف عن سبق إصرار وتعمد، وقد سبق أن ذكرنا منها أمثلة كثيرة. ومعروف عنه أنه يتساهل في روايته للأخبار، والغالب عليه عدم التحقيق كما في حلية الأولياء[989]. فلماذا فعل ذلك ؟؟. أليس هذا ضعف من جهة عدالته وضبطه ؟؟. ومن هذا حاله لا تُقبل منه رواية تتفق مع تصوفه، ومخالفة للشرع مخالفة صريحة .

والراوي الثاني: هارون بن ملول بن عيسى المصري (ت 285 هـ): يبدو أن الرجل مجهول الحال، فلم أعثر له على حال في الجرح ولا في التعديل. وقد ترجم له الذهبي ولم يذكر شيئا عن حاله[990]. فالإسناد لا يثبت من طريقه.

والثالث: معروف بن سويد الجذامي (توفي قبل: 150 هـ) : ترجم له البخاري وابن ابي حاتم ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وأورده ابن حبان في الثقات[991]. لكن توثيقه لا يُعوّل عليه، لما هو معروف عنه بتساهله في التوثيق. وعليه فالرجل لم يثبت توثيقه.

وأما متنه فباطل، لأن الشرع لم يميز المسلمين بالفقر أو بالغنى وإنما ميزهم بالإيمان والعمل الصالح وكل منهما قد يوصل صاحبه إلى الجنة، أو إلى النار. فمنطلق التفضيل الذي ذكره ذلك الحديث لا يصح، وهذا تقسيم طبقي للمسلمين وباطل من دون شك . والدليل على ذلك أن الله تعالى جمع كل السابقين من المهجرين وشهد لهم بالرضوان ودخول الجنة دون تمييز بفقر ولا بغنى ، قال سبحانه: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(ا . ومن المعروف أن أفضل الناس بعد النبي-عليه الصلاة والسلام- الخلفاء الأربعة- رضي الله عنهم- لم يكونوا فقراء، ولا كانوا من أهل الصفة. ولا شك انهم

[989] أشار الذهبي إلى جانب من ذلك . تذكرة الحفاظ ، ج 3 ص: 197 . وكذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 18 ص: 73 ، ج 27 ص: 98 .
[990] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 21 ص: 319 .
[991] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 6 ص: 323 . والبخاري: التاريخ الكبير، ج 7 ص: 139 . وابن حبان: الثقات، ج 7 ص: 203 .

سيدخلون الجنة بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام- ، ثم من بعدهم باقي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

وفقراء المهاجرين هم من الذين أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 100)). وذكرهم الله تعالى منفردين في قوله سبحانه : ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة : 273)) . ووصف الله تعالى لهم بذلك ليس مدحا للفقر والفقراء، وإنما هو وصف لحالهم الذي كانوا فيه في زمن نزول الآية، وإلا فهم مؤمنون كغيرهم من الصحابة ولا أفضلية لهم لمجرد أنهم فقراء. فهم من الأولين ليس لأنهم فقراء، وإنما لأنهم من المؤمنين الأوائل الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

والحديث الثامن عشر:((قال: قولوا فاني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال الحمد لله جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم))[992].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: سيار بن حاتم العنزي أبو سلمة البصري:(ت 199 أو 200 هـ) ، قيل فيه: لم يكن له عقل، جماع للرقائق، في حديثه مناكير، ضعفه ابن المديني[993].

وجعفر بن سليمان الضبعي أبو سليمان البصري (ت 178 هـ): ثقة، ضعيف ، تركه بعضهم لتشيعه، عنه أخذ عبد الرزاق الصنعاني التشيع، كان شديد البغض للشيخين أبي بكر و عمر- رضي الله عنهما- ، و ذكر أنه روى أحاديث في الشيخين ليست منكرة[994]. و وقد جعله الشيعة الإمامية رجالهم و وثقوه[995]. و ذكر ابن حبان أن عامة أحاديثه فيها نظر ومنكرة[996].

[992] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 343 .
[993] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 198 .
[994] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 145 ، ج 1ص: 65 و ما بعدها .
[995] ابن داود الحلي: رجال ابن داود، رقم: 308 ، ص: 77 . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 2081، ج 1 ص: 289.
[996] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 145 ، ج 1ص: 65 و ما بعدها .

وثابت بن أسلم البناني البصري أبو محمد (ت بعد:122 هـ عن 86 سنة): ثقة ، أرسل عن أبي هريرة. كان أيوب السختياني لا يكتب عن ثابت[997]. وقال يحيى القطان : ثابت اختلط[998].وقال أحمد بن حنبل قال أهل المدينة إذا كان حديث غلط يقولون بن المنكدر عن جابر وأهل البصرة يقولون ثابت عن أنس يحيلون عليهما[999]. وبما أنه حدث عمن لم يسمع ،وهنا لم يصرح بالسماع، ولم يثبت أنه سمع من سلمان الفارسي[1000]، فالإسناد من طريقه لم يثبت اتصاله .

والحديث الأخير- التاسع عشر- : ((... إذ نزل عليه جبريل ، فقال : يا رسول الله فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، وهو نصف يوم... فقال : " مَهْ ، مَهْ ، يا معاوية ، ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ، " ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة))[1001].

وهذا الحديث لا يصح، وقد أنكره كثير من أهل العلم منهم بعض الصوفية ، فمن ذلك : ((قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: تفرد به أبو بكر عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر، وقال أبو موسى المديني: لا أصل لهذا الحديث بهذا السياق والظاهر أنه موضوع. وقد سمعت غير واحد من أهل العلم عاب المقدسي بإيراد هذا الحديث في كتابه ،وأورده السهروردي في العوارف وقال: يخالج سري أنه غير صحيح وقد تكلم فيه أصحاب الحديث والقلب يأبى قبوله، وقال سيف الدين: لا تعصب أبلغ من إيراد الحديث الذي لا يخفى وضعه على الجهال، فلو خبت يداه عن كتابته لكان خيرا له. وقد وقفت على استفتاء فيه أفتى الإمام عبد الرحمن المقدسي بأن هذا الحديث غير صحيح، لأن محمد بن طاهر وإن كان حافظا لكنهم تكلموا فيه ونسبوه إلى الإباحة وله كتاب في صفة التصوف روى فيه عن أئمة الدين حكايات باطلة، مع أن هذا لا يناسب شعر العرب وإنما يليق بالمولدين، وكذلك ألفاظ متن الحديث لا يليق بكلام النبي - صلى الله عليه وسلم- ولا بكلام أصحابه. وكذلك معناه لا يليق بأحوالهم من الجد والاجتهاد. وكذلك تمزيق أربعمائة قطعة لا يليق بهم، وأفتى النووي فيه بأنه باطل لا يحل روايته ويعزر من رواه عالما بحاله))[1002].

---

[997] ابن حجر: تهذيب ، ج 1 ص: 1 .
[998] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 1 ص: 385 .
[999] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 2 ص: 99، رقم: 318 .
[1000] المزي: تهذيب الكمال، ج 4 ص: 342 وما بعدها. و ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج 1 ص: 1 ، رقم: 2 .
[1001] طاهر الفتني الهندي: تذكرة الموضوعات ، ص: 84 . وابن عجيبة : البحر المديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 ، ج 5 ص: 362 .
[1002] طاهر الفتني الهندي: تذكرة الموضوعات ، ص: 84 .

وقال أبوالحسن بن عراق الكناني: ((قال الحافظ أبو موسى المديني قد عاب غير واحد من أهل العلم ابن طاهر بإيراد هذا الحديث في كتابه وكتب شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي وقد سئل عن هذا الحديث ما ملخصه إن الواقف عليه يظهر له أنه موضوع لركة ألفاظه ومباينة شعره لأشعار العرب في جزالة ألفاظها ومخالفته لما صح من النهى عن إضاعة المال ونفرة القلوب منه. وكتب شيخ الإسلام النووي وقد سئل: عنه باطل لا تحل روايته، ولا نسبته إلى النبي ويعزر من رواه عالما به تعزيرا بليغا ولا يغتر بكونه في عوارف المعارف وغيره مع أن صاحب العوارف قال: يتخالج سري أنه غير صحيح ويأبى القلب قبوله. (قلت) :وقال الحافظ الذهبي رواته ثقات غير عمار بن إسحاق فكأنه واضعه والله تعالى أعلم))[1003].

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أولا إن مدح الصوفية للفقر وذمهم للغنى هو موقف مخالف للشرع والعقل ومصلحة الإنسان ؛ وعليه فكل رواية توافق موقفهم فهي باطلة. لكن هذا لا يعني أننا نذم الفقر والفقراء ونمدح الغنى والأغنياء مطلقا دون تقييد، وإنما الصواب هو أنه يجب النظر إلى الموضوع نظرة صحيحة تجعل الحالين في مكانهما الصحيح ، وعلى كل إنسان أن يسعى ليكون غنيا في روحه وبدنه وفقيرا إلى خالقه ،وهنا يجمع بين الحسنيين، لكن من جهة أخرى فمن ابتلي بأحدهما فعليه أن يصبر ويتعامل معه وفق الشرع ، لأنه مُمتحن بأحدهما، وكلا منهما قد يدخله الجنة أو النار.

وثانيا تبين أنه لا يصح الاحتجاج بفقراء الصحابة في المدينة ، لثلاثة أمور: أولها إن كثيرا من فقراء الصحابة كانوا من الأغنياء، أو من الميسورين قبل الهجرة ، وهذا أمر سجله القرآن الكريم. . والثاني إن فقرهم في المدينة لم يكن اختيارا وتفضيلا على الغنى، ولا تصوفا اتباعا للعبادة الصوفية، وإنما كان مفروضا عليهم بسبب ظروف الدعوة الإسلامية. والأمر الثالث إن كل فقراء الصحابة الذين عاشوا إلى دولة الخلافة الراشدة لم يبقوا فقراء، وإنما أصبحوا من الأغنياء، أو من الميسورين . منهم فقراء المهاجرين كعمار، وبلال، والمقداد بن الأسود، وعلي بن ابي طالب. لأن عمر ابن الخطاب لما قسم العطاء جعل هؤلاء في المرتبة الأولى بخمسة

[1003] أبو الحسن بن عراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 2 ص: 287.

آلاف درهم سنويا[1004]. و قد رُوي أن عمر بن الخطاب أوصل عطاء عمار إلى 6 آلاف درهم[1005].

وثالثا: فقد اتضح جليا وبالأدلة الدامغة أن الصوفية مدحوا الفقر وذموا الغنى اتباعا للعبادة الصوفية لا اتباعا للشرع، لكنهم لما رأوا موقفهم مخالفا للشرع احتجوا بالروايات الضعيفة والموضوعة تبريرا وتسترا بالإسلام لغايات في نفوسهم. وإلا فإن حقيقة موقفهم أنهم خالفوا الشرع عن سبق إصرار وترصد من جهة ،و حرفوا الشرع عندما اختلقوا أحاديث لرد الصحيح و تأييد تصوفهم من جهة أخرى . فالقوم ارتكبوا جريمتين : رد الشرع ، واختلاق الأحاديث لرد الصحيح والشرعنة للعبادة الصوفية.

وهم من ناحية أخرى نسى هؤلاء الصوفية أو تناسوا أن الفقر والغني يندرجان ضمن سنة الله تعالى في الامتحان، لقوله سبحانه : ((((وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)(الأنبياء: 35)). ولقول النبي- عليه الصلاة والسلام- :((اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر ،ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ... »))[1006]. فليس الفقر طريقا إلى الجنة فقط، وليس الغنى طريقا إلى النار فقط، وإنما هما طريقان كل منهما يُؤدي إلى الجنة والنار حسب الطريق الذي يختاره الإنسان لنفسه في هذه الدنيا . فالصوفية تعمدوا إفراغ عبارتي الفقر والغنى من مضمونهما الشرعي وملؤوهما بمضمون صوفي مخالف للمفهوم الشرعي.

وأخيرا - رابعا – فقد تبين أيضا أن الصوفية اتخذوا الفقر وسيلة من وسائل طلبهم للدنيا، فتخلّصوا من الفقر بالفقر طلبا للغنى، وذموا الغنى تظاهرا به ليتفق مع عزلتهم وسلبيتهم . وبمعنى آخر إنهم طلبوا الأموال بلا تكسب ولا تملك ولا حيازة، فنالوا منها بقدر كفايتهم وهي عند أصحابها !!. فالناس يملكون ويكدحون جلبا للأموال، والصوفية يتمتعون بها بلا تعب ،ولا ادخار ،ولا امتلاك !! . فحقيقة القوم أنهم مدحوا الفقر وذموا الغنى طلبا للراحة والغنى، وليس طلبا للفقر.

سادسا: الذكر والغناء عند الصوفية:

[1004] نفسه ، ج 1 ص: 350 و ما بعدها .
[1005] الذهبي : السير ، ج 1 ص: 622 .
[1006] مسلم: الصحيح، ج 8 ص:75 .

يُعد الذكر والسماع- الغناء- عند الصوفية من فروع الطريق الصوفي الأساسية، لأنهم لما اعتزلوا الناس وخَلَوا بأنفسهم وحَمَلوها على الجوع وترك طلب الرزق، وحببوا لها الفقر والتسول؛ فإنهم اتخذوا وسائل مُكملة للطريق الصوفي ومُنشطة له، مُحببة لهم فيه، منها الذكر والغناء الصوفيان. فما تفاصيل ذلك ؟؟، ولماذا اهتم بهما الصوفية اهتماما كبيرا ؟؟، وما هي الأدلة الشرعية التي احتجوا بها لتأييد موقفهم من الذكر والغناء الصوفيين؟.

فبالنسبة للذكر وقراءة القرآن عند الصوفية ، فمن ذلك أن الصوفي يزيد بن هارون الواسطي (ت 286 هـ) سُئل أن يدعو، فقال: ((أخشى أني إن دعوت أن يُقال لي: إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور))[1007].

وعن أبي يزيد البسطامي أنه قال: ((ذكر الله باللسان غفلة))[1008]. وقال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عمر بن أحمد ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أحمد بن محمد ثنا عثمان عن أبي موسى قال قال أبو يزيد: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالا لله أن أذكره))[1009].

وعن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: ((قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرِّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليَّ، الله شاهد عليَّ. فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمت، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرةَ مرَّة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرِّي ....))[1010].

وذكر القشيري أن أبا القاسم الجنيد قيل له: ((قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيتُه فأذكره !! وأنشد :

حاضر في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره

1007 القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 121 .

1008 أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 87 .

1009 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 35 .

1010 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 60 .

فهو مولاي ومعتمدي ... ونصيبي منه أوفر)) [1011].

وذكر أبو حامد الغزالي أنه على المريد أن ((يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ،ولا بالتأمل في تفسير ،ولا بكتب حديث ولا غيره؛ بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه: الله الله على الدوام مع حضور القلب...))[1012].

وقال أيضا: ((القرآن أفضل لعموم الخلق ،والذكر أفضل للذاهب إلى الله في جميع أحواله في بدايته ونهايته. فإن القرآن مشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى له، فإن جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة الذكر أولى به، فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق))[1013].

ورُوي أن الصوفي ابن سبعين قال لأحد تلاميذه : ((وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمه به))[1014].

وذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية أن من الصوفية ((من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان، حتى يقول: لا فرق بين قولك يا حي وقولك يا جحش . وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان))[1015].

وذكر الصوفي عبد الوهاب الشعراني أن شيخه نور الدين المرصفي أخبره بأنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات ! ،وقرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة !![1016].

[1011] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 139 .
[1012] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 19 .
[1013] نقلا: عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 3 ص: 149 .
[1014] نقلا عن: محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية، ج 1 ص: 252 .
[1015] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 10 ص: 397 .
[1016] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 466 .

وأخيرا فإن من الذكر الصوفي المشهور : المُسبعات العشر المنسوبة إلى العبد الصالح الخضر، أوردها أبو طالب المكي بقوله : ((المسبعات العشر التي أهداها الخضر -عليه السلام- إلى إبراهيم التيمي ووصاه أن يقولها غدوة وعشية وقال له الخضر: أعطانيها محمد -صلى الله عليه وسلم- وذكر من فضلها وعظَّم شأنها ما يجل عن الوصف وإنه لا يداوم على ذلك إلا عبد سعيد قد سبقت له من الله عزّ وجلّ الحسنى وحذفنا ذكر فضائلها اختصاراً، فإن قال ذلك فقد استكمل الفضل والمداومة عليهن تجمع له جميع ما فرّقناه من الأدعية. روى ذلك سعيد بن سعيد ،عن أبي طيبة، عن كرز بن وبرة قال: وكان من الأبدال، قال: أتاني أخ لي من الشام فأهدى لي هدية، وقال: يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية، فقلت: يا أخي من أهدى لك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها إبراهيم التيمي، قلت: أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه؟ قال: بلى، قال: كنت جالساً في فناء الكعبة، وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد فجاءني رجل فسلّم عليّ وجلس عن يميني فلم أرَ في زماني أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ولا أشدّ بياضاً ولا أطيب ريحاً، فقلت: يا عبد الله من أنت ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر، فقلت: في أي شيء جئتني؟ قال: جئتك للسلام عليك، وحباً لك في الله عزّ وجلّ، وعندي هدية أريد أن أهديها إليك، فقلت: ما هي؟ قال: هي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وتبسط على الأرض، وقبل أن تغرب سورة الحمد سبع مرات، و"قل أعوذ برب الناس" سبع مرات، و"قل أعوذ برب الفلق" سبع مرات، و"قل هو الله أحد" سبع مرات، و"قل أيها الكافرون" سبع مرات، وآية الكرسي سبع مرات، وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إليه إلا الله و الله أكبر سبع مرات وتصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- سبع مرات، وتستغفر لنفسك ولوالديك وما توالدا ولأهلك وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات سبع مرات، وتقول اللّهم يا ربّ افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له أهل، إنك غفور حليم، جوّاد كريم رؤوف، رحيم سبع مرات، وانظر أن لا تدع ذلك غدوةً وعشية، فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية، فقال: أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت: أخبرني بثواب ذلك، فقال لي: إذا لقيت محمّداً -صلى الله عليه وسلم- فسله عن ثوابه فإنه سيخبرك، فذكر إبراهيم التيمي رحمه الله أنه رأى ذات ليلة في منامه أن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها، ووصف وصفاً عظيماً مما رأى في صفة الجنة،

قال: فسألت الملائكة فقلت: لمن هذا كله؟ فقالوا: للذي عمل مثل عملك وذكر أنّه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة، كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلّم عليّ وأخذ بيدي، فقلت: يا رسول اللّه إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث، فقال: صدّق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود اللّه عزّ وجلّ في الأرض، فقلت: يا رسول اللّه فمن فعل هذا ولم يرَ مثل الذي رأيت في منامي، هل يعطى ممّا أعطيته؟ قال: والذي بعثني بالحق إنه ليعطي العامل بهذا وإن لم يرني ولم يرَ الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع اللّه عزّ وجلّ عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من السيّئات إلى سنة والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه اللّه تعالى سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه شقياً))[1017].

وردا عليهم أقول:

أولا يتبين من أقوال هؤلاء الصوفية أن الذكر الصوفي في صميمه مخالف للذكر الشرعي ومعاند له في أصوله ومظاهره وغايته . مما يعني أن التوافق بين الذِكرين هو توافق ظاهري يتعلق بالاسم الذي يجمع بينهما ، وهو: الذكر، وببعض الألفاظ المتشابهة لفظا والمختلفة مضمونا . والذكر الشرعي هو عبادة من العبادات الإسلامية، وله معنى واسع ، وقد حث عليه الشرع كثيرا ورغب وجعل فيه أجرا كبيرا ، كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً))(الأحزاب:41- 42)). لكن الذكر الصوفي ليس ذكرا شرعيا، وإنما هو من صميم العبادة الصوفية، ووسيلة من وسائل الطريق الصوفي ينشغل بها الصوفي حتى وإن كانت ألفاظه ومعانيه صريحة في مخالفتها للذكر في الإسلام. لأن الذكر الشرعي هو من عبادات دين الإسلام، لكن الذكر الصوفي وسيلة يستخدمها الصوفي للوصول إلى مرحلة الفناء في الله حسب زعم الصوفية. فهو ذكر يصد عن ذكر الله وصراطه المستقيم .

[1017] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 7- 8 .

وثانيا إن جواب يزيد بن هارون الواسطي (ت 286 هـ) لمن سأله بأن يدعو ، هو جواب غير صحيح جملة وتفصيلا، ومخالف للشرع مخالفة صريحة، وهو نموذج لتقديم الصوفية لأحوالهم وأهوائهم على الشرع والتعمد والحرص على مخالفته أيضا . لأن الله تعالى أمرنا بالدعاء، وحببه إلينا وجعله من العبادات ومن صفات عباده المقربين . كقوله سبحانه : ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة : 186))، و((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(غافر: 60))، و((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء : 90))، و((هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(غافر: 65)). فعدم دعاء الله تعالى قصدا هو أمر مخالف للشرع ، وتكبر عليه ، صاحبه إما جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى تعمد قوله ضلالا وزندقة.

وتبرير الرجل لا يصح أيضا ، لأن دعاء العبد لله تعالى لا يندرج ضمن ما قاله الواسطي، فهو عبادة كغيرها من العبادات تندرج ضمن قضاء الله وقدره ولا تخرج عنه . والدعاء هو رجاء من الله بأن يرزقنا من فضله ، وليس إهانة له، ول سوء أدب معه، ولا اعتراض على قضائه وقدره. فإن استجاب لنا أو لم يستجب فكل ذلك يندرج ضمن قضاه الله تعالى وقدره علينا. لأن الإنسان وكل المخلوقات لن تستطيع الخروج عن قضاء الله وقدره. فلن يحدث شيء في الكون إلا بإرادة الله تعالى وعلمه.

وجواب يزيد الواسطي يندرج ضمن حرص الصوفية على مخالفة الشرع وتعطيله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فقد حرصوا على تعطيله بأحوالهم ورغباتهم وتحججوا لها بمبررات فيها تلبيس وتغليط وتحايل على الشرع وعلى المسلمين.فهذا الرجل امتنع من ممارسة عبادة الدعاء مع ما فيه من الأجر والتقرب إلى الله تعالى، فحرم نفسه منه وانتصارا للتصوف .

علما بأن قوله : ((أخشى أني إن دعوت أن يُقال لي: إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور))[1018].

[1018] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 121 .

فهو باطل قطعا ،وافتراء على الله تعالى لأنه سبحانه هو الذي أمرنا بأن ندعوه خوفا وطمعا ، وفي كل أحوالنا. فكيف يزعم الرجل أنه يخشى الله أن يقول له ذلك !! . فهذا الرجل لو احتكم إلى الشرع ما قال بذلك الجواب، إنه يتكلم بهواه وتصوفه لا بشريعة الله تعالى !! .

وثالثا إن جواب الجنيد لمن قال له: قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيتُه فأذكره!! وقال:

حاضر في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتمدي ... ونصيبي منه أوفر)) [1019].

فهو جواب مخالف للشرع ، وتقدم وتعالم عليه ، بل وازدراء به بطريقة تلبيسية . مع أن الله تعالى قد فرض علينا ذكر شهادة التوحيد في كل صلاة عند تكبيرة الإحرام . وقد صحت الأحاديث النبوية في الحث على التعبد بها والتذكير بما فيها من أجر كبير . منها قول النبي - صلى الله عليه وسلم-:((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ،ومحيت عنه مائة سيئة ،وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك))[1020]. فالشرع أمرنا بقول كلمة التوحيد تعبدا وطاعة وتقربا إلى الله تعالى، ولم يقل لنا : قولوها فقط عندما تنسوني، وإلا فلا تقولوها **!!**.

لكن الجنيد جعل ذلك وراء ظهره، وتعالم على الشرع وتقدم عليه، وازدراه وخالفه بجواب فيه خداع وتلبيس .فالرجل حسب قوله لا تعنيه الأوامر الشرعية التي نصت على التعبد بشهادة التوحيد والإكثار من ذكرها.ولهذا أهمل التعبد بها،لكن تعليله لموقفه غير صحيح قطعا ، وهو يتفق مع العبادة الصوفية، وفيه غرور ورعونة نفس. والراجح عندي[1021] أن الرجل رفض ذكر شهادة التوحيد لقوله بعقيدة الفناء في الله التي تقول بالتوحيد الصوفي المناقض للتوحيد الشرعي والهادم له أيضاً كما سنبينه لاحقا في الفصل الرابع.

[1019] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 139 .
[1020] البخاري: الصحيح ، ج 4 ص: 126 ، رقم: 3293 .
[1021] سأذكر الأدلة على ذلك في الفصل الرابع .

وليس صحيحا قوله: ((لست أنساه فأذكره)، لأن النسيان من طبيعة البشر، ومهما حرص الإنسان على أن لا ينسى فإنه سينسى . وبما أن الأنبياء نسوا وغفلوا عن أمور في دعواتهم وكان الوحي يتدخل لتذكيرهم وتوجيههم، فإن غيرهم سينسى من دون شك . بدليل قوله تعالى: ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)(طه : 115))، و((إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً)(الكهف : 24))، و((قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً)(الكهف : 73)). وقد صح الخبر أن النبي-عليه الصلاة والسلام- سها في الصلاة، وقال: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ،فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين))[1022].

وأما قول أبي يزيد البسطامي: ((ذِكر الله باللسان غفلة))[1023].، فهو غير صحيح على إطلاقه، لأن الشرع أمرنا أن نذكر الله تعالى بألسنتنا وقلوبنا ، وشرع لنا عبادات نجهر فيها بالدعاء، كما في الحج، " لبيك اللهم لبيك ...". وعليه فلا يصح الحكم على الذكر باللسان على أنه غفلة من دون شرط، ولمجرد أنه باللسان. فهو قد يكون كما قال الرجل إذا ذكر العبد ربه من دون نية، وبلا حضور قلب وخشوع . ولهذا فمن ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه فهو في عبادة وليس غافلا عن الله تعالى، وهو أحسن من يذكره بقلبه فقط.

وحتى في حالة ذكر العبد لله بلسانه فقط، فهو أحسن حالا من الذي لا يذكر الله أصلا بقلبه ولا بلسانه، فله في ذلك أجر ، ويكون له بعض الأثر على قلبه وإن كان ضعيفا. فهو وإن كان غافلا عن الله تعالى بقلبه، فهو أقل غفلة من الذي لا يذكر الله أصلا .

وأما قوله عن نفسه بأنه لم يزل ((ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالا لله أن أذكره))[1024]. فهو شاهد دامغ على عدم التزام الصوفية بالذكر الشرعي، وعلى التقدم عليه برغباتهم وأحوالهم وتصوفهم. لأن الشرع لم يأمرنا بالتمضمض عند ذكر الله تعالى، ولا كان النبي- عليه الصلاة والسلام- يفعل ذلك . قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

[1022] البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 89، رقم: 401 .
[1023] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 87 .
[1024] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 35 .

اذْكُـرُوا اللَّهَ ذِكْـراً كَثِيـراً)(الأحـزاب: 41))، و((الَّـذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامـاً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَـا عَذَابَ النَّـارِ)(آل عمران: 191))، و((فَـإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّـلاَةَ إِنَّ الصَّـلاَةَ كَانَـتْ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ كِتَابـاً مَّوْقُوتـاً)(النسـاء: 103)). وقد كـان النبي- عليه الصلاة والسلام- يذكر الله فـي كل أحوالـه، وشرع لأمتـه أذكـار الصـباح والمسـاء، والأكـل والنـوم، ودخـول بيـت الخـلاء ، ولـم يأمرنـا بالتمضمض لذلك **!!** .

وفيما يتعلق بما رُوي عن التستري بأن خاله علّمه ذكرا يقوله في الليل ، وأنه أخذ به سنين من عمره . فكان مما قاله لـه: ((قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أن تحرِّك بـه لسانك: الله معـي، الله نـاظرٌ إلـيَّ، الله شاهد عليَّ ...)) [1025]. فهو ذكر لـم يرد فـي أوراد اليوم والليلـة التـي فـي شريعتنا، وكـان علـى الخـال أن يـأمره بـالتزام الأوراد الشـرعية أولا، وكـان على التستري بعدما كَبُر أن يرجع إلـى الأذكـار الشـرعية ، فهـي التـي أُمرنـا بالتعبد بها ، ثم بعد ذلك لـه أن يدعو بالدعاء الحلال بألفاظ من عنده غير مقيدة بأوقات ولا بشروط مُحددة، ولا تكون بديلا عن الأذكار الشرعية.لأن الشرع هو وحده الذي يُقيد ذلك، وأوراده هي التي أُمرنا بالتعبد بها .

ومن جهة أخرى فإن الخال قد خالف الشرع عندما أمر ابن اخته أن يدعو بالقلب دون اللسان. لأن الله تعالى أمرنا بالدعاء اللفظي والقلبي معا، كما في قوله تعالى: ((وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَـالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَـافِلِينَ)(الأعـراف: 205))،و((وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً)(الإسـراء : 110))،و((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد : 28)).

فكان على الخـال أن يُعلم ابن أختـه أوراد النبـي- عليـه الصـلاة والسـلام – التي كـان يقولهـا عندما يـأتي إلـى النوم ، منهـا أنـه كـان إذا ((أراد أن يرقد وضـع يـده اليمنـى تحـت خـده ثـم يقـول : اللهـم قنـي عـذابك يـوم تبعـث عبادك)) [1026]. لكن الرجل ترك الأوراد الشرعية وراء ظهره واخترع لابن أخته دعاء من عنده ليس من أوراد النـوم ، وفيـه مـا يُخـالف الشـرع أيضـا.

[1025] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 60 .
[1026] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج1 ص: 432 ، رقم : 4656 .

وقوله هذا ينسجم مع منهج الصوفية في تعبدهم بالعبادة الصوفية لا الشرعية، فالرجل فعل ذلك عن قصد وليس خطأ ولا سهوا منه .

ورابعا إن ما قاله الغزالي عن الذكر عامة وتفضيله للذكر الصوفي على الشرعي خاصة، هو قول غير صحيح ، وشاهد دامغ على ترك الرجل للأوراد الشرعية وراء ظهره وتقديم الورد الصوفي عليها. فليس في الذكر الشرعي الصحيح دعاء، أو ذكر يأمرنا بأن نذكر الله كما زعم الغزالي بقوله: ((فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه **الله الله** على الدوام مع حضور القلب...))[1027]. فهذا الذكر المزعوم من مختلقات الصوفية التي أسسوا عليها تصوفهم .

ولا يصح القول بأن ذلك خاص بالمريد دون غيره من الناس. فهذا مبرر باطل ومرفوض، لأن المريد والصوفي عامة-بحكم انتمائه إلى ألإسلام وأهله- يجب عليه أن يلتزم بالشرع في كل أحواله قلبا وقالبا ولا يصح له أن يخالفه ،ولا أن يختلق عبادات من عنده. وأما إن أصر على موقفه ، فهنا يجب عليه أن يُعلن صراحة أمام المسلمين بأنه ليس مسلما، لأنه لا يحق له أن يتستر بالإسلام انتصارا للتصوف ،وكيدا للشرع وأهله.

وأما ما قاله في مقارنته بين قراءة القرآن الكريم وممارسة الذكر الصوفي، وتفضيله للثاني على الأول بالنسبة للصوفي؛ فهو غير صحيح، بل وكلام باطل مردود على صاحبه. فهو شاهد قطعي على أن الغزالي على طريقة الصوفية في تقديمهم لأهوائهم وتصوفهم على الشرع من جهة، وتقدمهم وتعالمهم عليه، وازدراؤهم به من جهة أخرى. فهل يعقل أن يكون كتاب الله تعالى قاطعا لطريق الإيمان الصحيح، والطريق الصوفي دالا عليه ؟؟ . طبعا لا وألف لا ، لكن الرجل قال ذلك أخذا بالعبادة الصوفية لا الشرعية، وبهذا يزول تعجبنا منه وينكشف أمره رغم محاولته إخفاء حاله وتبرير موقفه .

ومما يُؤكد ذلك أيضا أن هذا الرجل ذكر صراحة بأنه على الصوفي الذي يريد الله لا ينبغي أن له يلتفت إلى الجنة ونعيمها !!. وهذا كلام باطل قطعا لا يقوله مسلم يعي ما يقول، ولا يصح أن يصدر عنه. ومن يقوله، إما جاهل ، أو أنه لا يعي ما يقول، أو تعمد قوله لغاية في نفسه. والحقيقة أن الغزالي

[1027] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 19 .

وإخوانه لا يريدون عبادة الله كما أمرنا هو سبحانه، وإنما يريدون عبادته حسب أهوائهم ومرادهم منه تحقيقا لغايات العبادة الصوفية التي سنفصل فيها لاحقا بحول الله تعالى.

وأُشير هنا إلى أن الغزالي فرق بين المسلم العادي وبين الذاهب إلى الله فالأول يلتزم بالقرآن والثاني جعل له منهجا صوفيا خاصا ليصل به إلى الله ، وهذا كلام فيه حق وباطل. لأن الحقيقة هي أن المسلم الملتزم بالقرآن هو السائر إلى الله تعالى السير الصحيح، إنه سائر إليه بإتباع دينه والالتزام بشريعته قلبا وقالبا، والسير إليه سبحانه يكون كاملا وشاملا وفق شرعه ولا يكون بالذكر فقط كما زعم الرجل. وأما الصوفي الذي خصه الغزالي بالسير إلى الله فهو في الحقيقة ليس سائرا إلى الله -وإن ادعى ذلك وتوهمه- وإنما هو سائر إلى هواه وشيطانه ، وإلى ضلاله وهلاكه. لأن من يطلب الفناء في الله – وحدة الوجود- لا يُمكن أن يكون سائرا على الله بأي حال من الأحوال ، وإنما هو مُهلوّس ومخدوع ومُلبس عليه .

وهذا الرجل- بذلك المنهج الذي تبناه ودعا إليه- فهو في الحقيقة يصد به عن سبيل الله ويعمل على افساد شرعه والكفر به في النهاية. وكلامه لا يقوله مسلم صادق الإيمان ، وهو طعن صريح في القرآن ورد له وتعالم عليه، وتقزيم له. بل وفي كلامه غرور وقلة أدب مع الله تعالى وكتابه.

وأما بالنسبة لما رواه عبد الوهاب الشعراني عن شيخه المرصفي بأنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، وفي حالات قرأ ثلاثمائة وستين ألف ختمة في يوم وليلة[1028].

فأقول: إن الله تعالى أنزل كتابه لفهمه وتدبره ، وتطبيقه واكتشاف كنوزه ومعانيه وأسراره ، ولم ينزله لمجرد الإكثار من قراءته وختماته. بدليل قوله تعالى: ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص : 29))، و((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)(النساء : 82))، و((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد : 24)).
ومن السنة النبوية عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث))[1029]. فذلك الصوفي

[1028] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 466 .

لم يلتزم بالشرع في قراءة القرآن الكريم، ولا تدبره ولا انتفع به. وهو بهذه الطريقة يسير على منهج إخوانه الصوفية في تعمدهم مخالفة الشرع والحرص على ذلك حتى في قراءتهم للقرآن الكريم ، فمع أنه يقرأ في القرآن فإنه لا يلتزم بآداب قراءته،ويُفوّت على نفسه تدبره والانتفاع به**!!** .
فأية فائدة من قراءة خمس ختمات بين المغرب والعشاء، أو قراءة 360 ألف ختمة في يوم وليلة حسب زعمه **؟؟!!** . أليس هذا تلاعب بالشرع **؟؟** ، فالله تعالى أمرنا بتدبر كتابه وتطبيقه ، وهذا الصوفي يزعم أنه قرأ تلك الختمات من جهة ، مع أنه غارق في مخالفة الشرع وتعطيله والصد عنه من جهة أخرى.فإذا فرضنا جدلا أنه قرأ كل تلك الختمات كما زعم ، فلماذا اجتهد وأجهد نفسه لقراءة تلك الآلاف من الختمات ، ولم يجتهد لعرض التصوف على ميزان الشرع والعقل ليتخلص من انحرافاته وضلالاته ، ثم يحمل نفسه على الالتزام بالشرع قلبا وقالبا **؟؟**. أليس هذا هو الأنفع له ، بل والواجب عليه بدلا من أن يبقى على تصوفه ويقرأ تلك الختمات **؟؟**.

وأما بالنسبة لعدد الختمات الذي ذكر الشعراني أن شيخه قرأه، حتى أنه قرأ خمس ختمات بين المغرب والعشاء، وقرأ 360 ألف ختمة في يوم وليلة. فهذا مستحيل الحدوث، وخبر مكذوب من دون شك . ونحن لا نترك عقولنا وحقائق الواقع ونصدق رواية ظنية وصوفية مخالفة لطبيعة البشر. وعليه فإن الرجل ولا غيره يستطيع أن يختم القرآن خمس مرات بين المغرب والعشاء، فنحن نرى في صلوات التراويح وغيرها أسرع القراء قد يقرأ أربعة أحزاب في ساعة ، وعليه فلا يستطيع قراءة ختمة واحدة بين المغرب والعشاء.

وأما زعمه بأنه قرأ 360 ألف ختمة في يوم وليلة ، فهو مستحيل قطعا، وبعملية حسابية سريعة يتبين استحالة ذلك ،فحسب زعمه أنه قرأ 360 ألف ختمة في يوم وليلة = 24 ساعة ، 360000 ÷ 24 = 15000 ختمة في الساعة الواحدة . وهذا من المستحيلات من دون شك ؛ فانظر كيف يضحك الصوفية على أنفسهم ، وعلى الناس ويتلاعبون بعقولهم ، ولا يتورعون عن اختلاق الأخبار المستحيلة وروايتها على أنها من فضائل الصوفية وكراماتهم **!!!!** .

[1029] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 225 ، رقم: 1108 .

وأخيرا- خامسا- إن ما ذكره أبو طالب المكي عن حكاية المسبعات العشر، هو زعم باطل جملة وتفصيلا، بل ومستحيل قطعا. لأنه أولا بالنسبة لإسناد الخبر فهو لا يصح لأن من رواته رجل – الشامي- مجهول العين والحال. ولأنه مرسل بين إبراهيم التيمي والنبي-عليه الصلاة والسلام- لأن التيمي هذا تابعي وليس صحابيا[1030]. علما بأنه لا يُمكن قبول حديث عن غير صحابي، لأن الصحابة هم الذين عاشوا مع النبي-عليه الصلاة والسلام- ، وأية رواية من غير طريقهم فهي لا تُقبل. وأما وصل الحديث بالخضر، فهذا باطل، لأن الخضر ليس صحابيا وقد عاش ومات زمن موسى -عليه السلام-[1031].

وقال الحافظ العراقي في ذلك الحديث : ((ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخَضِر بالنبي - صلى الله عليه وسلم- ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته)).

وثانيا إن متن الحديث يشهد بنفسه على عدم صحته ، لأنه زعم أن الخَضِر هو الواسطة بين النبي-عليه الصلاة والسلام- وإبراهيم التيمي، وهذا زعم باطل قطعا ، لأن الخَضِر قد مات زمن نبي الله موسى-عليه السلام- . وأما الزعم بأنه كان ما يزال حيا زمن النبوة، بل وإلى يومنا هذا كما يدعي الصوفية، فهو زعم باطل من دون شك بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن القول ببقاء الخضر حيا إلى زمن النبوة وبعده هو مجرد زعم لا يوجد دليل يُثبته ، وليس عند القائلين به دليل موضوعي صحيح يُثبت زعمهم لا من التاريخ الصحيح، ولا من الواقع المشهود ، ولا من الوحي الصحيح . وليس عند القوم إلا الروايات الضعيفة والمختلقة ومنامات شيوخهم .

والمنامات ليست مصدرا للشرع ، ولا للتاريخ، ولا للعلم ، وهي أمور ذاتية قد تكون من النفس، أو من الشيطان ، أو من الملائكة. وهي لا تحمل أي دليل موضوعي يُثبتها لتكون حجة موضوعية يُحتج بها، ويستطيع أي إنسان أن يدعي باسم المنامات ما يريد، ويستطيع إنسان

[1030] الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 1 ص: 59 .

[1031] سنرد على زعم الصوفية في قولهم ببقاء الخضر حيا لاحقا .

آخر أن يُكذبه ويأتي هو بأمور أخرى مخالفة لما قاله الأول ،وهكذا دواليك . وعليه فلا يصح الاحتجاج بها أبدا. علما بأن الله تعالى لم يتعبدنا إلا بكتابه وسنة نبيه- الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم . وعليه فلا يُؤخذ الشرع إلا منهما ، ولا يُتلقى من المنامات ولا من آراء البشر. ولو كانت المنامات مصدرا من مصادر الشرع لنص عليها ديننا ، ولأمرنا الله تعالى بالأخذ بها، ولاستخدمها الصحابة لتلقي السنة النبوية. ومن الثابت تاريخيا أن الصحابة عندما كانوا يحتاجون إلى السنة لم يلجؤوا إلى المنامات وإنما كانوا يسألون عنها الصحابة هل عندهم أحاديث سمعوها من النبي-عليه الصلاة والسلام- تتعلق بالموضوع المطروح. فإن لم يجدوا كانوا يجتهدون بآرائهم و لا يعودون إلى المنامات أبدا[1032].

والشاهد الثاني : إن القرآن الكريم نص صراحة على أن الله تعالى لم يجعل لأحد من قبل النبي الخلد ، قال تعالى : ((وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)(الأنبياء : 34)). وبما أن الخَضِر كان زمن موسى-عليه السلام- فهو قد مات ولم يلحق بنبينا-عليه الصلاة والسلام- .

والشاهد الثالث : إن القول ببقاء الخضر حيا من زمن –موسى عليه السلام- إلى ما بعد العهد النبوي، هو قول لا يصح، لأنه مخالف لسنن المجتمع وطبيعة الإنسان الذي لا يُمكنه أن يعيش هذه المدة الطويلة جدا. فهذا أمر مخالف للطبيعة ، ولا يُعقل ولا يصح القول بأن إنسانا واحدا لا يخضع لهذه السنة الكونية . فهذا مخالف للطبيعة ومن حقنا رفضه ويجب رفضه ، لأن الله تعالى لم يجعل لأحد من البشر الخلد في هذه الحياة الدنيا ، وهذا أمر ثابت بالشرع والواقع . وعليه فكل إنسان يزعم خلافه فكلامه باطل، ومن حقنا رفضه، بل ويجب رفضه، ونحن لسنا أغبياء ولا مغفلين حتى نتخلى عن عقولنا و ندوس عليها ، من أجل رواية صوفية ومستحيلة. بل إنه حتى إذا افترضنا جدلا إمكانية حدوث ذلك، فعلينا أن نرفضها لأنها مخالفة للشرع والعقل والعلم، فما بالك وأنها مستحيلة الحدوث بدليل الشرع والعقل والعلم .

[1032] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب، الجزائر، ص: 64 وما بعدها .

والشاهد الأخير- الرابع- إن تلك الرواية نقضت مبدأ ختم النبوة، وهذا دليل دامغ على بطلانها ، لأنها زعمت أن الصوفي التيمي تلقى أوامر وتشريعات عن طريق الخضر بأمر من النبي حسب زعمها . وهذا باطل لأن دين الإسلام قد اكتمل بوفاة نبينا-عليه الصلاة والسلام- ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة: 3))، وعليه فلا يصح تلقي أية أوامر تشريعية من بعده . ولأن وجود الخضر بعد النبي يعني أنه وجد نبي بعده ، وهذا نقض لمبدأ ختم النبوة. وعليه فالخبر باطل بالضرورة . وكل من يزعم أنه تلقى الأوامر الشرعية بعد وفاة الرسول-عليه الصلاة والسلام- منه أو من غيره فهو إما جاهل لا يعي ما يقول، أو مُخطئ ملبس عليه، أو أنه كذاب تعمد القول بذلك لغاية في نفسه .

ويلاحظ على تلك الرواية ومختلقها أنهما نقضا ختم النبوة وشرّعا ما لم يشرعه الله تعالى بطريقة ظاهرها الحرص على الذكر وعبادة الله تعالى، وباطنها تحريف الدين والافتراء عليه . وهذه من أخطر الوسائل التي استخدمها الصوفية انتصارا للدين الصوفي، ومخالفة لدين الإسلام وهدما له .

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه أن الذكر الصوفي يختلف عن الذكر الشرعي منطلقا ومفهوما وغاية . وأنه وسيلة عند الصوفية لجمع النفس وإشغاله لبلوغ غاية التصوف الفناء في الله- وحدة الوجود- ، هو ليس عندهم عبادة شرعية، ولهذا لم يلتزموا بالأوراد الشرعية، وخالفوها صراحة . حتى أن الصوفي ابن سبعين قال لأحد تلاميذه : ((وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمه به))[1033]. ونفس الأمر أكده الشيخ تقي الدين بن تيمية بقوله: ((وابلغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان ،حتى يقول: لا فرق بين قولك يا حي ،وقولك يا جحش .وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه ومقصودهم بذلك ان تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان))[1034].

[1033] نقلا عن: محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية، ج 1 ص: 252 .
[1034] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 10 ص: 397 .

ويجب أن لا يغيب عنا أن مبالغة هؤلاء في الذكر لا يعني تعظيما للشرع والتزاما به، وإنما الذكر عندهم هو وسيلة يشتغل بها المريد اثناء مجاهداته في خلوته وجوعه وسهره. لكنهم من جهة أخرى حرصوا على استخدام ألفاظ شرعية بمضامين صوفية ، كتسمية أورادهم بالذكر، مع أنه ذكر مخالف للذكر في الإسلام مُنطلقا ومفهوما وغاية. فعلوا ذلك- كعادتهم- تقية وتسترا بالإسلام لغايات في نفوسهم .

وأما بالنسبة للسماع عند الصوفية - الغناء الصوفي- فمن أقوالهم فيه، ما رواه أبو نعيم الأصبهاني بقوله : ((سمعت عثمان بن محمد العثماني يقول: سمعت حكيم بن محمد يقول: حضر الجنيد أبو القاسم موضعا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق قيل له: يا أبا القاسم ما تراك تتحرك قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب))[1035].

وعنه أيضا أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقولون إلا عن وجد...)) [1036].

وسُئل ذو النون المصري عن السماع فقال: ((وارد حقٌ يزعج القلوب إلى الحقِّ؛ فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغًى إليه بنفس تزندق))[1037].

وعن بعض الصوفية أنه قال : ((السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة.)) [1038]. وقال أبو علي الروذباري: ((السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب[1039].

وقال أبو نعيم الأصبهاني : ((سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أحمد بن أبي طلحة يقول سمعت محمد بن أحمد الجرجاني يقول سمعت ابن كمال الجرجاني يقول سئل يحيى بن معاذ عن الرقص فأنشأ يقول ... دققنا الأرض بالرقص ... على غيب معانيك ... ولا

1035 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 271 .
1036 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 153 .
1037 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 153 .
1038 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 153 .
1039 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 153 .

عيب على الرقص ... لعبد هائم فيك ... وهذا دقنا الأرض ... إذا طفنا بواديك ...))[1040].

وعن الصوفي أحمد بن عطاء أنه قال: ((سِرُّ السماع ثلاثة أشياء: بلاغة الفاظه، ولطف معانيه، واستقامة منهاجه. وسرُّ النغمة ثلاثة: طيب الخلق، وتأدية الألحان، وصحة الإيقاع. وسرُّ الصادق فى السماع ثلاثة: العلم بالله، والوفاء بما عليه، وجمع الهمِّ. والوطن الذى سمع فيه يحتاج ان يجمع فيه ثلاث خصال: طيب الروائح، وكثرة الأنوار، وحضور الوقار؛ ويُعدم ثلاث: رؤية الأضداد، ورؤية من يُحتشم، ورؤية من يتلهى. ويسمع من ثلاث: الصوفية، والفقراء، والمحبين لهم. ويسمع على ثلاث معانٍ: على المحبى، والوجد، والخوف. والحركة فى السماع على ثلاث: الطرب، والخوف، والوجد. والطرب كله ثلاث علامات: الرقص والتصفيق، والفرح. والخوف له ثلاث علامات: البكاء، واللطم، والزفرات. والوجد له ثلاث علامات: الغيبة، والاصطلام، والصرخات))[1041].

وروى أبو نعيم بإسناده أن أبا الحسين النوري البغدادي ، أوصى بعض أصحابه عشر وصايا، حثهم على حفظها والأخذ بها ، منها : ((والتاسعة فقير لا تراه عند السماع حاضرا فاتهمه واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره وتبديد همه))[1042].

وذكر المؤرخ الصوفي أبو عبد الرحمن السلمي أن رجلا قال لأبي حفص عمرو بن سلم النيسابوري (ت 267 أو 270 هـ): " إنَّ فلاناً، من أصحابِك، أبداً يَدورُ حولَ السَّماعِ؛ فإذا سمِعَ هاجَ و بَكَى، ومَزَّق ثيابَه. فقال أبو حفصٍ: أَيْشُ يعملُ الغريقُ؟! يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يظنُّ نجاتَه فيه "))[1043].

وقال عبد الكريم القشيري : ((سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: السماع حرام على العوام؛ لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد؛ لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا؛ لحياة قلوبهم))[1044].

[1040] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 61 .
[1041] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 128 .
[1042] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 252 .
[1043] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 74 .
[1044] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 509.

وقال أيضا : سمعت الشيخ أبا القاسم الرازى، يقول: ((السماع - على ما فيه من اللطافة - فيه خطر عظيم، إلا لمن يسمعه بعلم غزير، وحال صحيح، ووجد غالب من غير حظ فيه))[1045]. وكانت عادتهم أنهم يعقدون مجالس السماع- الغناء- بعد الأكل[1046].

وذكر عبد الكريم القشيري أن الصوفي جهم الدقي كان أثناء السماع يهيج ويثور ، حتى أنه روي أنه أخذ شجرة بيده فقلعها[1047].

وقال القشيري في إباحته للسماع ودفاعه عنه : ((ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان))[1048].

وذكر الهجويري في كشفه أن الصوفية في زمانه كانوا يمزقون ملابسهم أثناء السماع[1049].

وفضّل أبو حامد الغزالي سماع الغناء على سماع القرآن، فقال: ((فإن قلت: فإن كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين ؟، فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين، وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لأقوال، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة .فاعلم أن الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه ...))[1050].

ومن مجالسهم الغنائية : مجلس غناء ورقص حضره المؤرخ الصوفي قطب الدين اليونيني بالديار المصرية، فكان مما ما ذكره : ((... فلما غنى المغاني قام أحدهم والدف بيده ودار على الجماعة لينقطوه وهذه كانت عادة المغاني في سماعات الديار المصرية فلما رآه الأمير جمال الدين انتهره وقال ألك أنت في الحلق وأشار إلى خازنداره فوضع في الدف كيساً فيه ألف

1045 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 74 .
1046 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 103 .
1047 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 39 .
1048 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 151 .
1049 الهجويري: كشف المحجوب، ص: 248 .
1050 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 298 .

درهم فلما رقص الجمع دار بينهم ورمى على المغني بغلطاقه وهو أبيض قطن بعلبكي ما يساوي عشرين درهماً فرمى سائر مماليكه بغالطيقهم موافقة له وقيمتها فوق ثلاثة آلاف درهم ثم دار في النوبة الثانية ورمى على المغني منديله وهو أبيض كتان يساوي درهمين فرمى سائر أصحابه مناديلهم وفيها ما هو بالذهب وغيره ولعل قيمتها فوق ألف وخمسمائة درهم فحسبت أن المغاني حصل له منه ومن غلمانه في تلك الليلة قريب ستة آلاف درهم))[1051].

وحضر مجلسا آخر للصوفية عقده لهم الأمير المملوكي الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار(ت662 هـ/1263م)، فذكر أن الصوفية بعدما أكلوا كثيرا بعد صلاة المغرب، قاموا للرقص والغناء بعد صلاة العشاء إلى قرب صلاة الفجر ؛و قسّموا المجلس إلى ثلاث نوبات ، في الأولى غنوا ورقصوا ، ثم توقفوا لتناول الحلويات . ثم نهضوا للنوبة الثانية ، فغنوا ورقصوا ، ثم جلسوا لتناول الفواكه النادرة والمتنوعة . ثم قاموا للثالثة فغنوا ورقصوا ، ثم أكلوا المُكسرات وغيرها من المأكولات[1052].

وردا عليهم أقول:

أولا: إن السماع الصوفي- الغناء برقصه وصياحه،ومعازفه وتمزيق الملابس- الذي حث عليه شيوخ الصوفية وحضروه وعظّموه ليس من دين الإسلام ، فلا يوجد دليل من القرآن يأمر بذلك السماع ،ولا مدحه، ولا حثّ عليه، بل ولا له ذِكر فيه أصلا. وإنما الذي في القرآن الأمر بقراءته ، وقول الكلام الأحسن، واستماع وإتباع القول الأحسن أيضا. قال سبحانه: ((فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)(المزّمّل: 20))، و((وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً)(الإسراء : 53))،و((الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(الزمر: 18)).والقول الحسن والأحسن هما ما وافق الشرع والعقل والعلم، ولاشك أن الغناء الصوفي -الذي هو من ممارسات الطريق الصوفي - ليس من القول الأحسن ولا الحسن، لما فيه من لهو وتضييع للوقت، وصياح وتمزيق للملابس، ولِمَا يُثيره من غرائز وشهوات محرمة.ولأنه عند الصوفية هو عبادة من عبادات التصوف، وهذا ليس من الشرع ولا من العقل،لأنه لا يصح أن يكون

[1051] قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ص: 291 .

[1052] نفسه ج 2 ص : 301 ، 302 .

الطرب والغناء والصياح وتمزيق الملابس من العبادات الشرعية، فإذا جعلنا ذلك من العبادات فعلى الشرع والعقل السلام، ولا فرق إذن بين طريق الجنة وطريق النار **!!**.

ومن جهة أخرى فإن مما يُبطل الغناء الصوفي أنه لم يثبت ولم يصح أن النبي-عليه الصلاة والسلام- عقد مجالس للغناء، ولا حث عليها، ولا حضرها، ولا جعلها من العبادات الشرعية. ونفس الأمر ينطبق على صحابته من بعده، فلم يثبت أنهم عقدوا مجالس للغناء كما يفعل الصوفية. وقد صح أن الرسول-عليه الصلاة والسلام- سمع زمارة راع فسد أذنيه[1053]. وعنه أنه قال : ((ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف ...))[1054].

وأما إذا احتج الصوفية بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- أباح الحُدَاء، والإنشاد والغناء في الأعراس. فأقول: صحيح أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أباح قول الرَّجَزِ والحُدَاء في الأسفار، وأباح الانشاد والغناء في الأفراح[1055]. لكن هذا ليس من العبادات الشرعية كالغناء الصوفي الذي هو من العبادات الصوفية، وإنما هو من الأمور الدنيوية المباحة ، والتي يجب فيها أيضا الالتزام بالشرع . وعليه فلا يصح الاحتجاج بالحداء والإنشاد لتأييد وتبرير الغناء الصوفي، الذي لا أصل له في دين الإسلام، وإنما هو امتداد لما كان عليه رهبان البوذيين ومن تأثر بهم من رهبان النصارى. فقد بينت بعض الدراسات الحديثة أن غناء الصوفية يُشبه كثيرا غناء هؤلاء الرهبان؛ الذين يجتمعون ويذكرون تراتيلهم على صوت واحد، ويرفعون أصواتهم ويتمايلون يمينا وشمالا[1056].

ومما يُؤكد ما قلناه أيضا أن كثيرا من كبار علماء المسلمين أنكروا الغناء الصوفي. منهم الإمام مالك بن أنس ، فقد ذكر القاضي عياض أن عبد الله بن يوسف التنيسي الدمشقي (ت218 هـ) قال : ((كنا عند مالك بن أنس وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون. فقال مالك :

[1053] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 321 ، رقم: 1542 .

[1054] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 491 ، رقم: 5466 .

[1055] البخاري: الصحيح ، ج 2 ،ص: 17 ، رقم: 952 و، ج 8 ص: 34 وما بعدها ، رقم: 6145 .

[1056] عبد الله مصطفى نومسوك: البوذية : تاريخها ، وعقائدها ، وعلاقة الصوفية بها، ص: 319 وما بعدها .

أصبيان هم ؟ فقال : لا . قال : أمجانين هم ؟ قال : لا هم مشايخ وعقلاء . قال : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا "))[1057].

وقال الفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي عن السماع الصوفي: ((هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وصفقت وصاحت ومزقت الثياب وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ. وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي قال : وقد قيل له : إنه لما نزلت : {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ}(الحجر: 43)} صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام ... والجواب : أما ما ذكروه عن سلمان فمحال وكذب ثم ليس له إسناد والآية الكريمة نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا))[1058].

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: ((فهذا ايضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبى -صلى الله عليه و سلم- لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص ولا سقط عنه ثوب من ثيابه فى ذلك ولا قسمه على أصحابه، وكل ما يروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته))[1059].

لكني أُشير هنا إلى أن بعض الصوفية رُوي عنهم أنهم لم يستحبوا السماع وجعلوه من الضعف والبطالة ، كأبي عمرو الزجاجي[1060]، وأبي حفص عمرو النيسابوري[1061]. لكن هؤلاء عددهم قليل بالمقارنة إلى أن معظم الصوفية أخذوا بالسماع الصوفي وحثوا عليه ، وقد ذكرنا طرفا من أقوال كبار شيوخ الصوفية الذين أيدوا السماع الصوفي ومارسوه. والراجح أن هؤلاء الذين لم يستحبوا السماع الصوفي أنهم فعلوا ذلك لما رأوا اتساعه ومبالغة الصوفية في الاشتغال به، وما ترتب عنه من فساد أخلاقهم.كما أن بعضهم يبدو انهم تظاهروا بعدم استحبابهم للسماع الصوفي تقية وتلبيسا على الناس ودفاعا عن التصوف وأهله لما كثرت مجالس الصوفية وإنكار المسلمين عليهم ؛ فتظاهروا بذلك الانكار تطبيقا لقولهم بالتقية إخفاءً

1057 القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج 1 ص: 124 .
1058 ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص: 207 .
1059 ابن تيمية : مجموع الفتاوى، ج 11 ص: 88 .
1060 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 117 .
1061 عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 116 .

للتصوف . والشاهد على ذلك أن الصوفية رووا أنا أبا حفص النيسابوري قال: ((إذا رأيت المريد يحب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة))[1062]. لكنهم رووا ايضا أن رجلا قال له: " إنَّ فلاناً، من أصحابِك، أبداً يَدورُ حولَ السَّماع؛ فإذا سمِعَ هاجَ و بَكَى، ومَزَّق ثيابَه. فقال أبو حفصٍ: أَيْشُ يعملُ الغريقُ؟! يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يظنُّ نجاتَه فيه "))[1063] **!!** .

وثانيا إن أقوال هؤلاء الصوفية تشهد بأن مجالس الغناء الصوفي ظهرت مبكرا مع شيوخهم الأوائل، ثم ازدادت اتساعا وعمقا كما تجلت في المجالس التي حضرها المؤرخ الصوفي قطب الدين اليونيني الذي صوّر لنا منها جانبا من طربهم ورقصهم ،وتسولهم وكثرة أكلهم، وتمزيقهم لملابسهم. وفيهم قال الشاعر الطاهر الجزري سداد أبو النجيب (ت نحو: 400 هـ):

أرى جِيلَ التصَوُّفِ شَرَّ جِيلٍ ... فقُلْ لَهُم وأهْوِنْ بالحُلولِ
أقال الله حينَ عشِقْتُمُوهُ ... كُلوا أكْلَ البَهائِمِ وَارْقُصُوا لي[1064].

وأما قولهم بأن ما يحدث للصوفية في تلك المجالس هو من الوجد وأنوار الإيمان والعبادة الصوفية، وأنه يُقربهم إلى الله تعالى؛ فهو في الحقيقة ليس أنوارا إيمانية، ولا تزكية روحية، وإنما ما يحدث لهم هو طرب وهيجان عاطفي وتلبيس شيطاني ليس خاصا بهم، وإنما يحدث لكل أهل الأهواء في مجالس لهوهم قديما وحديثا. من ذلك مثلا ما يحدث للمغنين والحاضرين معهم من هيجان وصراخ وتصفيق في الحفلات الغنائية، ونفس الأمر يحدث للمؤيدين والمشاهدين لمقابلات كرة القدم سواء كانوا في الملاعب ،أو أوفي بيوتهم، أو في الطرقات .

وبالنسبة لقول أبي على الدقاق : ((السماع حرام على العوام؛ لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد؛ لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا؛ لحياة قلوبهم))[1065]. فبما أنه سبق أن بينا أن الغناء الصوفي حرام شرعا ، فهو حرام على كل المسلمين دون استثناء، وعليه فتحليل الدقاق للغناء على الزهاد والصوفية باطل ، وفي حقهم أبطل ، لأن من المفروض شرعا وعقلا أن الزهاد والعُباد هم أكثر الناس التزاما بالشرع لا العكس؛ مما يعني أنه عليهم أن يبتعدوا عن المحرمات والشبهات ولا يحومون حولها. لكن هذا

[1062] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 116 .
[1063] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 74 .
[1064] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ، ج 2 ص: 222 .
[1065] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، ص: 509.

الصوفي قلب الوضع لأنه لا يتكلم بلسان الشرع وإنما يتكلم بلسان التصوف. وهذا هو منهج الصوفية في أصول دينهم إلى غاياته مرورا بعباداته، لكنهم دوما يخالفون الشرع ويُعطلونه ويعملون على هدمه مع التستر به تقية وتلبيسا على المسلمين ونشرا للتصوف وانتصارا له.

وأخيرا- ثالثا- إن قول القشيري :((ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان))[1066]. فهو قول فيه تلبيس وتلاعب ، ولا يصح أيضا ، لأنه سبق أن بينا أن الغناء الصوفي مخالف للشرع، فهو من المحرمات لا من المباحات الدنيوية، وهذا خلاف الشعر الذي سمعه النبي-عليه الصلاة والسلام- فليس حراما ولا شبهة فيه. ولا تصح المقارنة بين سماع الشعر المباح وبين مجالس غناء الصوفة لأمور: منها إن سماع الصوفية عبادة عندهم ومن أساسيات فروع الطريق الصوفي، لكن سماع الشعر ليس عبادة من العبادات الشرعية . ومنها أن غناء الصوفية تصاحبه منكرات منها الرقص، والصياح، وتمزيق الملابس، واستخدام المعازف، وكل هذه المنكرات لم تكن موجودة عندما سمع النبي- عليه الصلاة والسلام- الشعر في بعض المواقف . ومنها أن غناء الصوفية كان غناء لهو وبطالة وغرور ومزاعم جوفاء،وهروب من واجبات الشرع ومتطلبات الحياة الاجتماعية، وهذا خلاف الشعر الذي سمعه رسول الله وصحابته، فقد كان شعر دعوة وجد وجهاد إعلاءً لدين الإسلام وتمكينا له في الأرض.

وأما تفضيل أبي حامد الغزالي سماع الغناء الصوفي على سماع القرآن ، فهو تفضيل ينسجم مع التصوف الذي أقامه الصوفية على أحوالهم ورغباتهم وهلوساتهم وتلبيساتهم . والرجل صادق في كلامه هذا ويُشكر عليه ، لأنه كشف نفسه وأصحابه في موقفهم القرآن الكريم الذي جعلوه وراء ظهورهم وقرروا ما يُخالفه بل ويُهدمه بأصوله وفروعه وغاياته. وموقفه هذا دليل دامغ على أن أحوال التصوف وأهله ليست أحوالا شرعية ولا ربانية، وأنهم ليسوا على الصراط المستقيم ،فلو كانوا كذلك ما فضلوا مجالس الطرب والرقص على سماع القرآن الكريم ، فزين لهم الشيطان أعمالهم وأضلهم عن السبيل، وحبب إليهم سماع الصوفية ن فضلوا وأضلوا**!!**.

[1066] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 151 .

والقرآن الكريم نص صراحة على أن المعرضين عن كلام الله لا يفقهون القرآن ، وأنهم معرضون عنه، وأن الله صرف قلوبهم عن فهمه بسبب ما هم فيه من انحراف من جهة ، وسلط عليهم الأهواء والشياطين تزيدهم بعدا وضلالا عن الصراط المستقيم من جهة أخرى . فلن يتذوق أحوال القرآن الإيمانية إلا من كان مستقيما عليه مخلصا لله ملتزما بشرعه. قال سبحانه : ((وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً)(الإسراء: 46))، و ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً)(الكهف: 57))،و((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 146)) ، و ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الزمر: 45))،و((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة : 10)) .

وعليه فإن كل من يفضل سماع كلام البشر على كلام الله فهو منحرف عن الشرع ومتبع لهواه على قدر مخالفته له . وتفضيل الصوفية لسماع الغناء عن القرآن أمر يتفق مع دينهم تمام الاتفاق، فهم قد خالفوه في الأصول والفروع والغايات ، فمن الطبيعي جدا أن يُفضلوا سماع الغناء على القرآن الكريم، ليكون هذا دليلا آخر على أن عبادات الطريق الصوفي مخالفة للعبادات الشرعية .

وأما تبريرات الغزالي في تفضيله سماع الصوفية على سماع القرآن فهي تشهد عليه وعلى أصحابه أنهم يقدمون رغباتهم وأحوالهم على الشرع، ويحتكمون إليها بدلا من الاحتكام إلى الوحي والعقل والعلم . وهي تبريرات باطلة قطعا ، لأنه لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما تقديم سماع غناء الصوفية على سماع كلام الله تعالى. فهذا الموقف نفسه هو دليل قطعي على بطلانه حتى وإن ذكرنا له ألف تبرير . لأن الغزالي لم يحتج في ذلك بدليل صحيح من الشرع ولا من العقل ولا من العلم، وإنما احتج بما يجده الصوفية في نفوسهم من طرب ووجد ولذة ، وهذه ليست أدلة صحيحة ،

وإنما هي أحوال وجدانية عاطفية أثارها الشيطان والغناء والرقص فيهم، كما هو حال أهل الأهواء من المغنين ومتعاطي المخدرات، ومتفرجي المقابلات الرياضية. ولهذا كان على الغزالي وأصحابه أن يحكموا على موقفهم بدليل الشرع والعقل لا بأحوالهم ومواجيدهم . ولو فعلوا ذلك وفضّلوا سماع القرآن على الغناء، واستمعوا له بصدق وإخلاص لرزقهم الله تعالى مواجيد وأحوال إيمانية ربانية نورانية صحيحة، لا مجال للمقارنة بينها وبين ما كانوا يجدونه من مواجيد فاسدة في سماعهم للغناء الصوفي.قال سبحانه: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)).

وإنهاءً لما ذكرناه في هذا المبحث يُستنتج منه أن الصوفية – كعادتهم- خالفوا الشرع في موقفهم من الذكر والسماع الصوفيين. فجعلوا الشريعة وراء ظهورهم واتخذوا لأنفسهم طريقا صوفيا يتفق مع عبادتهم. فاختاروا الطرب والرقص عن سماع القرآن الكريم والحديث الشريف، وجعلوا الغناء والرقص طريقا إلى الولاية حسب زعمهم !! . وقد أحسن من انتقدهم بقوله:

ذهب الرجال وحال دون مجالهم ** زمر من الأوباش والأنذال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ** نبذ المسافر فضلة الأكال
جعلوا السماع مطية لهواهم ** وغلوا فقالوا فيه كل محال
هجروا له القرآن والأخبار ** والآثار إذ شهدت لهم بضلال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى ** من أوجه سبع لهم بتوال[1067].

ومن طريف ما يُذكر أن أحد ملوك فارس رأى شيخا صوفيا جمع الناس على السماع-الغناء- الصوفي، فلما رأى ما فيه من لهو قال الملك له: ((يا شيخ إن كان هذا هو طريق الجنة فأين طريق النار ؟؟ !!))[1068].

وقبل إنهاء فصل عبادات الطريق الصوفي أُشير هنا إلى جملة فوائد نقدية هامة تتعلق بمنهج التربية الصوفية ومجاهداتها.

منها أولا إن الصوفية أسسوا للتصوف بالدعوة إلى حرمان الجسم من شهواته الضرورية والطبيعية والشرعية .وهذا موقف غير صحيح ،ومخالف للشرع والعقل والعلم وشاهد على خطأ نظرة الصوفية إلى دور

[1067] ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، دار المعرفة، بيروت، ج 1 ص: 231 .
[1068] ابن تيمية: الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المدينة المنورة، ج 1 ص: 317 .

وجود الغرائز في الإنسان وأهميتها له في حياته. ومن جهة أخرى فقد تبين في كتابنا هذا أن هؤلاء الصوفية تظاهروا بمجاهدة الشهوات لكنهم كانوا غارقين فيها إلى الأذقان . إنهم قاوموا الشهوات الحلال وقمعوها ،فوقعوا في الشهوات الحرام وقبلوها وباركوها ودعوا إليها؛ فحرموا أنفسهم من الأحوال الإيمانية الصحيحة ،وأورثوها الأحوال الفاسدة والشيطانية . فقال بعضهم: ((ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها. وقال آخر: ((الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة))[1069].

وأقول: هذا كلام بلا علم ، ومخالف للشرع والعلم . لأن الشهوة لها وظيفة حيوية واجتماعية في حياة الإنسان ، ويجب الاستجابة لها بالاعتدال من دون إفراط ولا تفريط. والشهوة في ذاتها ليست عيبا ولا نقصا، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نأكل الحلال وباعتدال، وقال لنا عن شهوة الجنس : ((((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)))). وليس صحيحا أن الملح في الطعام شهوة لكونه زيادة بعد الخبز، لأن الملح ضروري لجسم الإنسان وليس زيادة و ينتشر في الدم وخلايا الجسم، ويجب على الإنسان تناوله باعتدال، وأي نقص فيه يعرض الجسم للمرض[1070].

والذي يضر الإنسان ليست الاستجابة للشهوات باعتدال، وإنما عدم الاستجابة لها ومقاومتها ومقارنتها ، أو الاستجابة لها بالحرام ،أو بلا اعتدال، أو بهما معا. فهذا الذي يضر الإنسان، وليس ما يزعمه الصوفية .

وليس صحيحا أن ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام سنة وقيامها، فهذا في شريعة العبادة الصوفية أما في ديننا فلا . لأن الله تعالى خلق فينا هذه الشهوات لأنها ضرورية لنا ، لكنه أمرنا أن نلبيها بالحلال والاعتدال ، بل وجعل لنا فيها أجرا إذا أشبعناها بالحلال وكانت لنا في ذلك نية العبادة. قال سبحانه : ((((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))،و((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))))، وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في

[1069] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 95 .
[1070] الموسوعة العربية العالمية، مادة: الملح ، العطش .

حرام ؛ أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ؛ كان له أجر))[1071].

وبسبب انحراف الصوفية عن الشرع وجدوا لذاتهم في مخالفته، فهم يقومون بممارسات ظاهرها شرعي ومضمونها فاسد ومناهض للشرع وحرب عليه وتعطيل له ، وتعالم وتعالٍ عليه. كقول الصوفي أبي سليمان الداراني : ((لئن أترك لقمة من عشائي أحبّ إليّ من قيام ليلة))[1072]. وعن سهل التستري أنه كان يرى أن ((صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل))[1073].

ومنها أيضا قول أبي حامد الغزالي: ((وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى ..)) [1074].

وأقول: إن الغزالي نسي أو تناسى لذات وشهوات الصوفية التي كانوا غارقين فيها، كالحرص على لبس المرقعات ، وتسلط شيوخ الصوفية على مريديهم ، وعقد مجالس الغناء والرقص، والحرص على حضور الولائم، والتقرب من الحكام والأمراء والأغنياء ليعقدوا لهم مجالس الطرب والأكل والرقص ، كالتي وصفها المؤرخ الصوفي قطب الدين اليونيني .

فهؤلاء الصوفية تشددوا في موقفهم من الشهوات وكأنها شيطان رجيم، أو مارد جبار مدمر للإنسان، مع أن الحقيقة ليست كذلك تماما؛ فهي من غرائز الإنسان ودوافعه خلقها الله فيه لأداء مهام منوطة بها. وعليه فيجب التعامل معها بالشرع والعقل والعلم لتؤدي وظيفتها الصحيحة، ولا يصح قمعها ولا إهمالها وإنما يجب التعامل معا بطريقة علمية لتؤدي وظيفتها على أكمل وجه ، فتكون في صالح الإنسان لا ضده. ومن جهة أخرى فإن من غرائب هؤلاء الصوفية أنهم نسوا أو تناسوا شهواتهم التي كانوا غارقين فيها إلى الأذقان .

1071 مسلم: الصحيح ، ج 3 ص: 82 ، رقم: 2386 . والألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 3 ص: 279 . و الصحيحة، ج 5 ص: 497 .

1072 أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 75 .

1073 الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 89 .

1074 الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 91 .

وثانيا ليس صحيحا أن الطريق إلى الله والوصول إليه يتطلب قمع شهوات الإنسان وحرمانه منها إلا بقدر الضرورة. فهذا الطريق مع أنه مخالف للشرع ولفطرة الإنسان، فإنه مُضر بجسم الإنسان وصحته، ومُدمر لصاحبه ، ومُبعد عن منهج الله تعالى في التربية والتزكية الشرعيتين، ولا يُمكن أن يكون طريقا صحيحا موصلا إلى الله تعالى. وإنما هو منهج صوفي موصل إلى العبادة الصوفية وغاياتها فقط .

ومن ذلك مثلا قول الغزالي: ((اعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات . ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قمم الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة. وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال: ((ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)(المائدة : 82))[1075].

وأقول: هذا الرجل يتعمد مخالفة الشرع، لأن ديننا له منهجه في التربية الإيمانية مخالف لرهبانية النصارى والصوفية في كل مجاهداته كما سبق أن بيناه .ومن حقائق دين الإسلام أنه دين جاء ليُطبق في الأرض ويُعمرها لتكون مزرعة للآخرة ، ولم يأمر بالرهبانية، ولا دعا إلى رهبانية النصارى والصوفية التي مدحها الغزالي وحث عليها. وليس صحيحا أن الشرع مدح النصارى على رهبانيتهم في الجوع والعزلة وتعذيب الجسم بل ذمهم في قوله : ((وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(الحديد : 27))، ولا يُمكن أن يمدحهم عليها وهي مخالفة لدين الإسلام . وأما الآية التي ذكرها ((ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (المائدة : 83) (المائدة : 82 -83) " فهي لم تمدحهم على رهبانيتهم وإنما مدحت طائفة من النصارى آمنت بالنبي محمد-عليه الصلاة والسلام- ، كما هو واضح في الآية ،وإلا فإن الإسلام قد ذم عامة النصارى وكفرهم لأنهم انحرفوا عن دين الله تعالى، كقوله تعالى : ((لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ

[1075] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 266 .

ثَلاَثَـةٍ وَمَـا مِنْ إِلَــهٍ إِلاَّ إِلَــهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُـواْ عَمَّا يَقُولُـونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(المائدة: 73))، و ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُـواْ ثَلاَثَـةٌ انتَهُـواْ خَيْـراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّـهُ مَـا فِي السَّمَاوَات وَمَـا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء: 171))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّـهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(المائدة: 51)) ،و((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)(البينة: 1))، و((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران: 85)). فالغزالي مارس التضليل والتحريف انتصارا للتصوف ،وتحريفا لدين الإسلام ،وتلبيسا على المسلمين، ودفاعا عن الرهبانية .

وثالثا إن منهج التربية عند الصوفية قائم على الغلو من ناحيتين: الأولى في تعذيب الجسم بالعزلة والجوع وقلة النوم . والثانية الإسراف في الكسل والتواكل، والطرب والرقص، وحضور الولائم وكثرة الأكل كما سبق أن بيناه . وهذا منهج مُنكر شرعا وعقلا وعلما، ومُضر بالإنسان روحيا وجسديا واجتماعيا . فمن غلوهم في تعذيب الجسم أن المؤرخ الصوفي الكلاباذي عنوّن مبحثا من مباحث كتابه بعنوان: لطائفه بهم فيما يُحَمِّلُهم. بمعنى لطائف الله بالصوفية فيما يُحمِّلهم من المواقف التي يختارونها. منها أنه قال: ((سمعتُ فارسا يقول: سمعتُ أبا الحسن العلوي تلميذ إبراهيم الخواص يقول: رأيت الخواص بالدينور في جامعها، وهو جالس في وسطه، والثلج يقع عليه، فأدركني الإشفاق عليه، فقلت له: لو تحولت إلى السكنّ؟ فقال: لا، ثم أنشأ يقول:

لقد وضح الطريق إليك قصدا *** فما أحد أرادك يستدلُّ

فإن ورد الشتاء ففيك صيف *** وأن ورد المصيف ففيك ظل

ثم قال لي: هات يدك؟ فناولته يدي، فأدخلتها تحت خرقته، فإذا هو يتصبب عرقا!))[1076].

وأقول: تعليق الكلاباذي لا يصح، وهو تبرير غير مقبول، فكان عليه أن يستنكر ذلك الفعل. ومن جهة أخرى لا يصح وصف ما فعله الرجل وأمثاله من الصوفية ، بأنه لطف من الله بهم فيما يُحِّملهم حسب قول الكلاباذي. فهذا زعم باطل وافتراء على الله تعالى، لأن ما فعله ذلك الصوفي ليس من

[1076] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 174 .

الشرع ،ولا هو مأمور به. وإنما هو فعل من حماقات القوم وشطحاتهم الغريبة والمضحكة. فهو لم يتبع الشرع ولا العقل ولا العلم . لأن فعله مخالف لما مَنّ الله به علينا من بيوت وظِلال ولباس و ستر، لقوله سبحانه : ((وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)(النحل: 81)).

ومخالف أيضا لما كان عليه النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته فقد كانت لهم بيوت تقيهم من البرد والحر،ومن المطر والعواصف،والرمال والغبار. وعندما كثرت الأمطار وتأذي بها من كثرة السيول وانقطاع الطرق في المدينة طلب أحد المسلمين من النبي– عليه الصلاة والسلام- أن يدعو لهم الله تعالى بامساكها ، فدعا الله تعالى بقوله: ((... "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال،والآجام والظراب،والأودية ومنابت الشجر ". قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس....))[1077]. فلم يأمر عليه الصلاة والسلام صحابته بالجلوس ولا جلس هو في العراء لتسقط عليهم الأمطار، وتجرفهم السيول والرمال !! .

علما بأن ذلك التصرف قد يكون سببا في مرض صاحبه ، فمن المشاهد في الواقع، ومن المعروف طبيا أن تعرض الإنسان لما فعله إبراهيم الخواص يضر بالجسم ،وقد يكون سببا في هلاكه . هذا فضلا على أنه فعل مستهجن ولا يليق بعاقل ، ويجعل صاحبه مسخرة ومضحكة للناس.

وأما قول الكلاباذي: ((ثم قال لي: هات يدك؟ فناولته يدي، فأدخلتها تحت خرقته، فإذا هو يتصبب عرقا!))[1078].فهذا لا يصح ومن مفتريات الصوفية ، لأن خبره هذا مخالف لقوانين الطبيعة. ولأن الرواية الصوفية ضعيفة من داخلها، لممارسة الصوفية للتقية. ولأنهم خالفوا الشرع والعقل والعلم بمعظم مروياتهم التي أسسوا بها للتصوف. ومن هذا حالهم لا تُقبل أخبارهم المخالفة لطبائع الأشياء، وحقائق الشرع، وبدائه العقول.

ورابعا إن اهتمام الصوفية بمجاهدة النفس وحملها على ما تكره ، ليس أمرا خاصا بالتصوف، فهو من دين الإسلام ، ومن عزائم الأمور ،ومن ضروريات والدعوات والأديان والمذاهب في كل زمان ومكان. فالعبرة هنا

[1077] البخاري: الصحيح ، ج 2 ص: 28 ، رقم: 1013 .
[1078] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 174 .

ليست في مجاهدة النفس، وإنما هي في مدى صحتها بأصولها وفروعها وغاياته. فشتان بين من يتحمل مجاهدة نفسه طاعة لله والتزاما بشريعته، وبين من يتحمل مشاق مجاهدة نفسه للكفر بالله ومحاربة دينه وأوليائه!! .والغالب على مجاهدات الصوفية لأنفسهم أنها كانت سلبية تواكلية لا إيجابية ولا جامعة بين الدين والدنيا. بل إن معظم مجاهداتهم كانت في حمل نفوسهم على مخالفة الشرع وممارسة التقية عن سبق إصرار وترصد !! . ومجاهدة هذا حالها لا يصح مدحها ولا الدعوة إليها، لأنها مجاهدة مُفسدة للشرع، ومدمرة للإنسان ومُهلكة له في الدنيا والآخرة !! .

علما بأن مدح الصوفية لأنفسهم بأنهم من المجاهدين لها في ذات الله، هو مدح لها على سلبيتها وانحرافها عن الشرع حتى وإن برروا ذلك بالنصوص الشرعية. لأن أدلتهم الشرعية التي يعتمدون عليها إما أنها أحاديث غير صحيحة، وإما أنها آيات وأحاديث مُؤوّلة تأويلات فاسدة، أو أنها نُصوص ضدهم لا لهم . من ذلك مثلا ذِكر أبي نُعيم الأصبهاني لبعض صفات الصوفية التي مدحهم بها ، فقال: ((ومنها الجد والمواظبة على جهاد النفس والمخالفة : حدثنا أبو بكر بن خلاد ، حدثنا أبو الربيع الحسين بن الهيثم ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا أبو خليد عتبة بن حماد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن أبي ذر ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الجهاد أفضل ؟ قال : « أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله » . رواه سويد بن حجير ، عن العلاء بن زياد ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص))[1079].

وأقول : ذلك الحديث لا يصح إسنادا، لأن من رجاله: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي(ولد سنة 60أو 61 ، توفي سنة 116 أو 117 هـ) : قيل فيه : كان كحاطب ليل في جمعه للحديث ، روى عن أقوام لم يسمع منهم ، ثقة[1080]. كان كثير التدليس والإرسال، و قد حدث عن أقوام كثيرين لم يسمع منهم من الصحابة والتابعين، و لم يثبت سماعه من الصحابة إلا من أنس بن مالك المتوفى سنة 93هـ[1081]. وبما أنه كذلك، وعنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته.

[1079] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 27 .

[1080] المزي: تهذيب الكمال ، رقم : 4848 ، ج 23 ص: 506 و ما بعدها . و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد، ج 3 ص: 151 .

[1081] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 255.

والثاني: العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي أبو نصر البصري (ت 94 هـ) : ثقة، لكن روايته عن أبي ذر مرسلة[1082]. فالإسناد غير مُتصل من جهته .

وقال أيضا: ((حدثنا محمد بن طاهر بن يحيى بن قبيصة ، حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن حفص ، حدثني أبي قال ، : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن الحجاج بن الحجاج ، عن سويد بن حجير ، عن العلاء بن زياد ، قال : سأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص : « أي المجاهدين أفضل ؟ قال : من جاهد نفسه في ذات الله . قال : أنت قلت يا عبد الله بن عمرو أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قال : بل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- »))[1083].

وأقول: إسناده لا يصح أيضا ، لأن من رواته: طاهر بن يحيى بن قبيصة الفلقي (ت 315 هـ) : معروف، لكن المصنفات التي ترجمت له لم تذكر فيه جرحا ولا تعديلا. فهو مجهول الحال لا العين .

وأحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري أبو علي بن أبي عمرو(ت 258 هـ): صدوق[1084]. ومرتبته هذه تدل على التعديل ولا تشعر بالضبط . ومن هذا حاله لا يُحتج بحديثه كما سبق أن بيناه.

وحفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري أبو عمرو(ت 209 هـ) : صدوق[1085]. فينطبق عليه ما ذكرناه عن ابنه .

وسويد بن حجير بن بيان الباهلي أبو قزعة البصري : ثقة، لكنه أرسل عن بعض الصحابة[1086]. وبما أنه كذلك، ولم يذكر المِزي العلاء بن زياد من بين الذين روى عنهم سويد[1087]، فإن هذا الإسناد لا يثبت اتصاله، لاحتمال لأنه لم يسمع حديثه من الصحابي .

[1082] المزي: تهذيب الكمال ، ج 22 ص: 497 .
[1083] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 28 .
[1084] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 30 .
[1085] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 224 .
[1086] الخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال ، ج 1 ص: 351 .
[1087] المزي: تهذيب الكمال ، ج 1 ص: 351 .

وآخرهم: العلاء بن زياد : ثقة ، لكن بما أنه كان كثير الإسرال ، بمعنى أنه حدث عن أقوام لم يسمع منهم[1088]، وهنا لم يصرح بالتحديث ولا بالسماع فالإسناد من جهته لا يثبت اتصاله.

وأما قول أبي نُعيم للصوفية : ((ومنها الجد والمواظبة على جهاد النفس والمخالفة ...)) . فهو قول يمدح الصوفية على سلبيتهم وتواكلهم وتعطيلهم للشرع وعمارة الأرض، وليس وصفا إيجابيا لهم. فمجاهدة الصوفية لأنفسهم هو من مُتطلبات عبادتهم الصوفية، كما هو من ضروريات كل الأديان والدعوات والمذاهب، وعليه فلا يصح مدح الصوفية بذلك وتخصيصهم به. علما بأن أي عمل يقوم به الإنسان في حياته اليومية إلا ويعتمد على مجاهدة النفس وحملها على إتيانه. فلا يُمكن مثلا للمسلم أن يطيع الله تعالى من دون جهاد لنفسه، ليحملها على عبادته والالتزام بشريعته. لكن الصوفية لم يُجاهدوا أنفسهم إلتزاما بدين الإسلام قلبا وقالبا كما سبق أن بيناه، وإنما جاهدوها التزاما بالعبادة الصوفية ونشرا لها. وبمعنى آخر إنهم جاهدوا أنفسهم وحملوها على مخالفة الشرع انتصارا للتصوف. والشاهد على ذلك ما ذكرناه عن أصول التصوف وفروعه، ومما سيأتي عن غاياته، ومن كلام أبي نُعيم الأصبهاني عندما ذكر المخالفة صراحة بقوله: ((ومنها الجد والمواظبة على جهاد النفس والمخالفة ...)). فهم حقا قد بذلوا جهودا كبيرة ومُضنية لمخالفة الشرع والعقل والعلم التزاما بالتصوف وانتصارا له !!!! .

وخامسا إن منهج مجاهدات الطريق الصوفي يُركز على القلب وينطلق منه بطريقة سلبية تواكلية وليس بطريقة إيجابية فعالة مُنتجة، ومُطبقة للشرع في الأرض ومُعمرة لها. ولهذا فإن الصوفية اهتموا بالقلب وركزوا عليه لتبرير سلبيتهم تجاه مجتمعهم، وللتهرب من الأوامر الشرعية والتكاليف الاجتماعية. فلو كان منطلقهم من القلب مُنطلقا صحيحا ما خالفوا الشرع والعقل والعلم بتصوفهم: أصولا ، وفروعا ، وغاية . من ذلك مثلا قول يحيى بن معاذ: ((مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب))[1089] .

وأقول: قوله هذا لا يصح، ومخالف للشرع والواقع ،وصوابه : إن مفاوز الدنيا تُقطع بالقلوب والأقدام ، ومفاوز الآخرة هي أيضا تُقطع بالقلوب والأقدام . لأن طلاب الدنيا قبل أن يتحركوا لطلبها يُحبونها أولا ،

[1088] المزي: تهذيب الكمال ، ج 22 ص: 497 .

[1089] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 181 .

ثم يتحركون لطلبها حبا فيها وطلبا لها ، وبحبهم لها يصبرون على عناء طلبها ويضحون من أجلها. ولولا حب قلوبهم لها وصبرهم عليها ما ضحوا من أجلها.

وكذلك مفاوز الآخرة لا تُقطع إلا بالقلوب والأقدام ، وبالقلوب تتحرك الأقدام ، وبالأقدام تتفاعل القلوب بالجوارح ،وبالجوارح تحقق القلوب مرادها، وبالقلوب تستطيع الجوارح الصبر والصمود والتضحية من أجل غاياتها . ولهذا قال تعالى : ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة : 82))، و((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة: 105))، و ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة : 2)). و((انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)(التوبة : 41)) ، و ((وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)(البقرة: 43))، و عن الحج ((وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)(آل عمران: 97)). فلا يُمكن أن تُقطع مفاوز الآخرة بالقلوب فقط، ولا بالأعمال فقط، فلا بد من الجمع بينهما. لكن الصوفية كعادتهم لما انحرفوا عن الشرع في أصل العبادة انحرفوا أيضا في نظرتهم إلى الحياة ودورهم فيها . فمالوا إلى السلبية والكسل بدعوى تطهير القلوب ، فأفسدوها أكثر مما أصلحوها، وعطلوها عما ينفعها أكثر مما شغلوها بما ينفعها؛ بل أوردوها الموارد والمهالك فأفسدوها وضللوها .

وهناك عبادات شرعية لها أنوارها القلبية لا تتحقق إلا بالسعي بالأقدام والقلوب معا ، منها الحج، والصلاة، والتعاون على البر والتقوى، والجهاد بالمال والنفس، وإخراج الزكاة . قال سبحانه: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج : 32))،و((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)(المؤمنون : 60))،و((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(المؤمنون: 2)).

وبذلك يتبين جليا أن موقف الطريق الصوفي من القلب هو موقف غير صحيح، مخالف للشرع والواقع، لكنه يتفق مع سلبية الصوفية وتواكلهم فصّلوه على مقاسهم انطلاقا من العبادة الصوفية ومن أجلها أيضا.

وأخيرا - سادسا- إن منهج المجاهدة الصوفي -الطريق الصوفي- يقوم أساسا على مخالفة الشرع ومعاندته ، وعلى حمل أتباعه على إهانة أنفسهم ،وتربيتهم بما يُخالف الأوامر الشرعية قصدا وتعمدا. فالمنهج التربوي الصوفي يقوم أساسا على مخالفة شرع الله وتعطيله بدعوى عبادة الله!!!! . فهل يُعقل أن يُعبد الله بعصيانه وهدم شريعته ؟؟!! . إنه لا يُعقلا شرعا ولا عقلا ولا علما، لكنه معقول جدا في التصوف، لأن العبادة الصوفية أقامها أصحابها على مخالفة الشرع ومعاندته، فأصبح هذا من ضروريات التصوف !! .فلا تصوف دون مخالفة الشرع وتعطيله وهدمه في النهاية، مع الحرص على التستر به تقية وتلبيسا على المسلمين، وانتصارا للتصوف.

والشواهد الدالة على ذلك ذكرنا منها نماذج كثيرة في كتابنا هذا، أذكر منها هنا النموذج الآتي: ذكر أبو طالب المكي رواية عن أبي يزيد البسطامي بقوله: ((وقد كان شاهد من شهود بسطام عظيم القدر فيهم لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوماً: يا أبا يزيد، أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر، وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي شيئاً من هذا العلم الذي تذكر، وأنا أصدق به وأحبه، فقال له أبو يزيد: لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة، قال: ولِم؟ لأنك محجوب بنفسك، قال: أفلهذا دواء؟ قال: نعم، قال: قل لي حتى أعلمه قال: لا تقبل،قال: فاذكره لي، قال: اذهب الساعة إلى المزين واحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله تقول لي مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك قال: كيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها قال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره قال: ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال: لا أطيقه فقال: قد قلت لك إنك لا تقبل))[1090] .

[1090] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 480 .

وأقول: هذا الخبر نموذج دامغ على أن الصوفية أسسوا عبادتهم على مخالفة الشرع ومعاندته . لأن المنهج الذي جاء به الإسلام في تربية النفس لا يقوم على إهانتها وإذلالها بتلك الطريقة التي ذكرها البسطامي ، لأن النفس الإنسانية مُكرمة ، لقوله سبحانه : ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (الإسراء 70))، ولأن النفس المؤمنة عزيزة ، لقوله سبحانه : ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(المنافقون: 8))،و((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)(الحج : 38)) . ولأن النبي -عليه الصلاة والسلام- ربى الصحابة تربية ربانية بتوفيق وأمر من الله تعالى، لقوله سبحانه: ((لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال: 63))،و((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران : 110)) . فربى الصغار والكبار، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ،ومن الشرك إلى الإيمان، وأعاد بناء أخلاقهم ونفوسهم وعقولهم بناءً جديدا . قال سبحانه : ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)). لكنه عليه الصلاة والسلام لم يأمرهم بما أمر به البسطامي، وإنما رباهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالوسائل الشرعية، لقوله سبحانه: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). فكل سبيل غير سبيل الشرع فهو من سبل الشيطان . فالتربية تكون بالتأديب الحسن ،ولا تكون بالتأديب السيئ والمُهين للإنسان كالذي أمر به البسطامي .

ومن جهة أخرى إن قول البسطامي للرجل : ((قولك سبحان الله شرك قال: كيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها)) . لا يصح، واتهام للرجل وسوء ظن به ، وهذا مُنهى عنه شرعا . لأن الرجل لم يسبح نفسه ، وإنما استنكر على البسطامي عندما أمره بمخالف سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- في تربيته لأصحابه. وإنما الذي أشرك بل وادعى الألوهية هو أبو يزيد البسطامي عندما قال: ((سبحاني ما أعظم شأني))[1091] . فهذا هو الجنون والغرور والإصرار على معاندة الشرع واستخدام الألفاظ الملغزة

[1091] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 480 .

والمنفرة والمخالفة لدين الإسلام لغايات في نفس البسطامي. فالله تعالى أمرنا بأن نسبح باسمه وحمده، ((سبح باسم ربك))،و((قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً)(الإسراء : 93)،و((سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)(المؤمنون : 91)))،و((سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)(الزخرف : 82)) ، فجاء البسطامي ونهى عن التسبيح بالله، وسمح لنفسه بادعاء الألوهية والتسبيح باسمه لا باسم الله تعالى الذي خلقه وأمره بأن يسبح باسم خالقه!! . فهذا هو المنهج التربوي الصوفي الذي أقامه الصوفية على مخالفة الشرع ومعاندته، ثم هدمه بادعاء الألوهية كما فعل أبو يزيد البسطامي، علما بأن قوله ((سبحاني ما أعظم شأني))[1092]، هو تعبير عن عقيدة الصوفية التي حرصوا على إخفائها !! .

وإنهاءً لهذا الفصل- الثالث- يتبين منه أولا أن الطريق الصوفي أقامه الصوفية على أربعة أُسسس، هي: العزلة ، والجوع ، والصمت والسهر، ثم ألحقوا بها فروع أسياسية، هي: الحث على العزوبية وتفضيلها على الزواج ، ومدح الفقر وذم الغنى، والذكر والغناء . وكل هذه الأسس وفروعها هي متداخلة فيما بينها ومُؤثرة في بعضها من جهة؛ وهي نتائج وآثار ضرورية للأصول المؤسسة للتصوف من جهة أخرى.

وثانيا فقد اتضح أيضا أن كل تلك الممارسات والمجاهدات المؤسسة للطريق الصوفي كانت مخالفة للشرع ومعاندة له بشكل واضح من ناحية، وأن تشابهها مع العبادات الشرعية كان مجرد تشابه في الاسماء لا في المضمون من ناحية أخرى. فتبين من ذلك أن ممارسات الطريق الصوفي من عزلة وجوع، وعزوبية وبطالة، وطرب ورقص ليست من دين الإسلام ، وإنما هي امتداد لرهبانية البوذيين والنصارى[1093]. وهي عندهم مجرد وسيلة من وسائل المجاهدة الصوفية، وممارستهم لها ليس التزاما بالشرع ولا طاعة له . فتبين منها أن الطريق الصوفي هو تعطيل للعبادات الشرعية وهدم لها مع حرص أتباعه على التستر بها تقية وتلبيسا على المسلمين انتصارا للعبادة الصوفية.

وثالثا فقد بينت أقوال الصوفية وممارساتهم للطريق الصوفي أنهم ذموا الدنيا والآخرة معا ، فلم يكن هدفهم طلب الآخرة ولا الدنيا التي يتصارع

[1092] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 480 .

[1093] سبق توثيق ذلك، وزيادة في التوثيق أنظر أيضا : إحسان إلهي ظهير: التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 102 وما بعدها .

حولها معظم البشر. وإنما مارسوا مجاهداتهم طلبا للدنيا التي بشرهم بها الدين الصوفي ، وهي السر المُلغز الذي اجتهد عامة الصوفية على إخفائه عن المسلمين ، مع التلميح لها بالإشارة لا بالعبارة، وقلة منهم أفصحوا عنها بالعبارة. تلك الدنيا المستورة هي جنة التصوف وأهله التي سنكشف عنها ونفصلها في الفصل الآتي بالإشارة والعبارة معا .

....

الفصل الرابع

نقد الروايات والأفكار المؤسسة لغايات العبادة الصوفية

أولا:المعرفة الصوفية
ثانيا: الحيرة
ثالثا: الوَلاية الصوفية .
رابعا: الفناء الصوفي (وحدة الوجود)
خامسا: التوحيد الصوفي
سادسا: المعاد الصوفي دنيوي لا أخروي ! .

....

نقد الروايات والأفكار المؤسسة لغايات العبادة الصوفية

أسس شيوخ الصوفية للتصوف بثلاثة أُسس هي الأصول النظرية والعقدية للتصوف: الحب الصوفي، وترك الدنيا، والتوكل الصوفي، وعليها أقاموا ممارسات الطريق الصوفي ومجاهداته طلبا لغايات العبادة الصوفية التي هي جنات التصوف ونعيمه حسب زعمهم ، كالمعرفة الصوفية، والحيرة، والوَلاية ،ووحدة الوجود، والتوحيد الصوفي ، والمعاد الصوفي. فما تفاصيل ذلك ؟ ، وما هي غاية غايات العبادة الصوفية ؟، وهل المعاد الأخروي من غايات التصوف ؟ ، وما هي آثار غايات التصوف على الشرع والعقل والعلم ؟ .

أولا: المعرفة الصوفية:

أكد الصوفية على أن المريد الذي يلتزم بممارسات الطريق الصوفي يصل إلى مرتبة المعرفة الصوفية في تعامله مع الله تعالى، فيصبح من العارفين به . ولهم في ذلك روايات كثيرة عن شيوخهم في مدح العارفين ومعرفتهم، ولهم من جهة أخرى أحاديث نبوية أيدوا بها قولهم بالمعرفة الصوفية كعادتهم في التستر بالإسلام والتظاهر به . والمعرفة الصوفية عندهم تعني العلم بالتصوف والتحقق به وبلوغ أكبر غاياته، التي هي سر أسرار التصوف الذي أخفوه عن الناس، وسينكشف لنا تدريجيا فيما يأتي من مباحث هذا الفصل.

فمن ذلك أولا إنهم احتجوا بأحاديث نبوية أيدوا بها قولهم بالمعرفة الصوفية، وردت فيها عبارة: المعرفة، فضمنوها مفهوم المعرفة الصوفية واستدلوا بها انتصارا للتصوف . منها حديث أورده أبو طالب المكي وعلّق عليه ، مفاده: ((وقد جاء رجل إلى النبي فقال: علمني من غرائب العلم فقال: "هل عرفت الرب". فأخبر أن غرائب العلوم في المعرفة))[1094].

والحديث الثاني: قال الكلاباذي:((روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله))[1095].

والحديث الثالث: قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أنس بن سلم الخولاني ، حدثنا محمد بن رجاء السجستاني ، حدثنا منبه بن عثمان ، حدثني عمر بن محمد بن زيد ، عن سالم بن عبد الله ، عن

[1094] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 172 .
[1095] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 100 .

أبيه ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- : « إن لكل شيء معدنا ، ومعدن التقوى قلوب العارفين »))[1096].

والحديث الرابع أورده أبو نُعيم الأصبهاني بقوله: ((ومنها تقديم مقام العارفين على مقامات المريدين : حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله المنقري ، حدثنا الحارث بن منصور الوراق ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد في صعيد واحد من بطنان العرش : أين أهل المعرفة بالله ؟ أين المحسنون ؟ » قال : « فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدي الله فيقول وهو أعلم بذلك : ما أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل المعرفة الذين عرفتنا إياك وجعلتنا أهلا لذلك . فيقول : صدقتم . ثم يقول للآخرين : ما أنتم ؟ قالوا : نحن المحسنون . قال : صدقتم ، قلتُ لنبيّ (ما على المحسنين من سبيل ، ما عليكم من سبيل ، ادخلوا الجنة برحمتي » . ثم تبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال : « لقد نجاهم الله من أهوال بوائق القيامة » هذا طريق مرتضى لولا الحارث بن منصور وكثرة وهمه))[1097].

والحديث الخامس : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا أبو بكر بن خلاد ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا عباد يعني ابن كثير عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن أبي سعيد ، قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- يقول : « قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء ، فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمره »))[1098].

والحديث السادس: قال القشيري : ((أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل، قال: حدثنا محمد بن القاسم العتكي، قال: حدثني محمد بن أشرس، قال: حدثنا سليمان بن عيسى الشجري عن عباد بن كثير، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن القاسم بن محمد، عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " إن دعامة البيت أساسهُ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقينُ والعقل القامع فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع؟ قال الكف عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله "))[1099].

[1096] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 86 .
[1097] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 88 .
[1098] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 86 .
[1099] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 477.

والحديث السابع : قال عبد القادر الجيلاني : ((وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً))[1100] .

والحديث الثامن: قال أبو عبد الرحمن السلي: ((وقال أبو الدرداء : سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عن المعرفة ، فقال: سألت جبريل –عليه السلام- قال: سألت الله عز وجل عن المعرفة فقال عز وجل: سر من أسراري لا أودعه إلا في سر يصلح لمعرفتي))[1101].

والحديث الأخير – التاسع - : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الرحمن بن العباس، ثنا إبراهيم بن اسحاق الحربي، ثنا احمد بن يونس، ثنا زهير بن معاوية ، ثنا خالد بن أبي كريمة ،عن عبد الله بن المسور أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه و سلم – فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم .قال: ما فعلت في رأس العلم فتطلب الغرائب ؟،قال: وما رأس العلم .قال: هل عرفت الرب؟، قال: نعم، قال: فما صنعت في حقه؟، قال ما شاء الله ،قال: عرفت الموت، قال: نعم قال: ما أعددت له؟، قال: ما شاء الله، قال: انطلق فاحكم هاهنا ثم تعال أعلمك من غرائب العلم))[1102].

وثانيا إن من الأقوال التي احتج بها الصوفية على قولهم بالمعرفة الصوفية، قول نسبوه إلى أبي بكر الصديق ، قال أبو عبد الرحمن السلمي: ((وقال أبو بكر الصديق : سبحان من لم يجعل لخلقه طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته))[1103].

وقول آخر نسبوه إلى الصحابي عبد الله بن عباس مفاده أنه فسر قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)). قال ابن عباس : أي ليعرفون "))[1104]. وعلّق أبو عبد الرحمن السلمي على ذلك بقوله : ((فأما المعرفة فأول فرض افترضه الله على عباده)).

[1100] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السابعة والعشرون .
[1101] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:36 .
[1102] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 24 .
[1103] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف وحقيقته ، ص:35 .
[1104] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:35 .

وقول آخر عن أبي يزيد البسطامي أنه سُئل : ((" بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفَة؟ " . فقال: " ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ "))[1105]، وفي رواية" ببطن جائع عن الكل، وبدنٍ عارٍ"[1106].

وقال القشيري: ((سمعت محمد بن الحسين؛ رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت الفراغاني يقول: سمعت الجنيد؛ وقد سئل: من العارف؟ قال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت))[1107].

وقال أبو نعيم الأصبهاني: ((أخبرنا محمد بن الحسين ،قال سمعت محمد بن علي النهاوندي يقول: سمعت موسى بن محمد يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: أهل المعرفة وحش الله في الأرض لا يأنسون إلى أحد))[1108]
.

وقال أبو سليمان الداراني : ((أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس، وهمتهم غير همة الناس))[1109].

وبيّن عبد الكريم القشيري معنى المعرفة وغايتها عند الصوفية بقوله:((عند هؤلاء القوم المعرفة: صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ثم صدق الله تعالى في معاملاته: ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وأفاقه ؛ ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله ... فإذا صار من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه بريا؛ ومن المساكنات والملاحظات نقياً؛ ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار مُحدَّثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة.وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه))[1110].

وسُئل عبد الرحمن الفارسي عن كمال المعرفة فقال: ((إذا اجتمعت المتفرقات، واستوت الأحوال والأماكن ، وسقطت رؤية التمييز))[1111].

[1105] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 73 .
[1106] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 59 .
[1107] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 78 .
[1108] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 60 .
[1109] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 9 ص: 256 .
[1110] القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 141 .
[1111] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 62 .

وآخرهم ما ذكره الصوفي ابن عجيبة في المقارنة بين العالم والعارف، فقال: ((وقال بعضهم في تفضيل العارف على العالِم: إنّ العارف فوق ما يقول، والعالِم دون ما يقول. يعني: أن العارف إذا تكلم في مقام من مقامات اليقين، كان قَدَمُه فوق ما وصف، لأنه يسلكه دوماً ثم يصفه، والعالم إنما يصفه بالنعت. وأيضاً: العالِم يدلك على العمل، والعارف يُخرجك عن شهود العمل. العالِم يحملك حِمل التكليف، والعارف يروحك بشهود التعريف. العالِم يَدُلك على علم الرسوم، والعارف يُعرّفك بذات الحي القيوم. العالِمَ يَدُلك على الأسباب، والعارف يدلك على مُسبِّب الأسباب. العالِم يَدُلك على شهود الوسائط، والعارف يَدُلك على محرك الوسائط. العالِم يُحذّرك من الوقوف مع الأغيار، والعارف يُحذّرك من الوقوف مع الأنوار ويزج بك في حضرة الأسرار. والعالِم يُحذّرك من الشرك الجلي، والعارف يُخلِّصك من الشرك الخفي. والعالم يدلك على العمل ، والعارف يدلك على العمل بالله . والعالم يعرفك بأحكام الله ، والعارف يعرفك بالله . والعالم من أهل البرهان ، والعارف من أهل العيان . والعالم من أهل قوله تعالى: ((أياك نعبد))، والعارف من أهل قوله تعالى ((إياك نستعين)) .والعالم يدلك على العمل خوفا وطمعا، والعارف يدلك على العمل محبة وشكرا))[1112].

وردا عليهم أقول:

فبالنسبة للأحاديث التي احتج بها هؤلاء الصوفية ، فالأول: ((وقد جاء رجل إلى النبي فقال: علمني من غرائب العلم . فقال: "هل عرفت الرب". فأخبر أن غرائب العلوم في المعرفة...))[1113]. فهو حديث ضعيف جدا حسب ما قاله الحافظ العراقي[1114].

ومتنه لا يصح أيضا، اختلقه الصوفية وأمثالهم على مقاس الصوفية في قولهم بالمعرفة الصوفية لا الشرعية. والدليل على عدم صحته الشاهدان الآتيان: الأول : إن أبا طالب المكي قصد بغرائب العلوم التصوف، مما يعني أن الحديث أمر بطلب التصوف ومعرفته . وهذا زعم باطل، لأن التصوف بينا في كتابنا هذا أنه مخالف للشرع وهادم له ، ومن ثم فلا يُمكن أن يحث النبي- عليه الصلاة والسلام- على طلبه. والثاني: إن

[1112] ابن عجيبة : البحر المديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 ، ج 7 ص: 523 . وأكملت المقارنة من كتاب: جواهر التصوف ، ليحيى بن معاذ ، كان محقق الكتاب قد أوردها في جمعه وترتيبه للكتاب ، ص: 221 .

[1113] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 172 .

[1114] في كتابه: المغني في حمل الأسفار ، ج 1 ص: 15 .

الرجل جعل التصوف من غرائب العلوم التي حث عليها الحديث، وهذا لا يصح ، لأن التصوف ليس علما بأصوله ولا بفروعه ولا بغاياته،وإنما هو أفكار واجتهادات ، وأهواء وهلوسات ،وأباطيل وخرافات، وتلبيسات نفسية وشيطانية .

والحديث الثاني: ((روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله))[1115].
وهذا الحديث ضعيف حسب الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء[1116].ومتنه مُنكر ، وعلى مقاس الصوفية، في قولهم بالمعرفة الصوفية.

والحديث الثالث: « إن لكل شيء معدنا ، ومعدن التقوى قلوب العارفين »))[1117]. فهو حديث لا يصح، لأنه موضوع[1118].

والحديث الرابع : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((ومنها تقديم مقام العارفين على مقامات المريدين . .. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد في صعيد واحد من بطنان العرش : أين أهل المعرفة بالله ؟ ... ثم تبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال : « لقد نجاهم الله من أهوال بوائق القيامة » .هذا طريق مرتضى لولا الحارث بن منصور وكثرة وهمه))[1119].

وهذا الحديث ضعيف، لأن من رجاله: الحارث بن منصور الوراق، وقد أشار إلى ضعفه أبو نُعيم الأصبهاني، وهذا الراوي، قيل فيه : صدوق ، في حديثه اضطراب، كثير الوهم[1120]. فالرجل ضعيف من جهة ضبطه، ومرتبته لا تجعله حجة يُحتج بروايته.

والثاني: حماد بن سلمة بن دينار السلمي أبو سلمة (ت 167 هـ عن نحو 80 سنة) : سبق تفصيل حاله في الفصل الثاني، وتبين أنه ضعيف .

[1115] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 100 .
[1116] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ص: 9 .
[1117] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 86 .
[1118] الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: 251 .والألباني: السلسلة الضعيفة، ج 3 ص: 574 ، رقم: 1391 .
[1119] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 88 .
[1120] ابن حجر: تهذيب ، ج 1 ص: 105 .

والحديث الخامس : « قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء ، فمن كن فيه كمل عقله ، ومن لم يكن فيه فلا عقل له : حسن المعرفة بالله ... »[1121]. وهذا الحديث لا يصح، بل ومذكور في الموضوعات[1122].

والحديث السادس : قال القشيري : ((" إن دعامة البيت أساسهُ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقينُ والعقل القامع فقلت: ...")) [1123]

وإسناده لا يصح لأن من رجاله: سليمان بن عيسى الشجري : كذاب ، يضع الحديث[1124]. و عباد بن كثير: ضعيف[1125].

والحديث السابع : ((أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً))[1126] . لا يصح بذلك اللفظ ، مما يعني أنه وُضع على مقاس الصوفية لمدح المعرفة الصوفية، وإنما الصحيح هو قوله عليه الصلاة والسلام : ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا))[1127].

والحديث الثامن : ((... سألت الله عز وجل عن المعرفة فقال عز وجل: سر من أسراري لا أودعه إلا في سر يصلح لمعرفتي))[1128]. فهو حديث لا يصح إسنادا ولا متنا، لأن الرجل رواه بلا إسناد، وقد بحثتُ عنه كثيرا فلم أعثر له على ذكر في المصنفات الحديثية والرجالية، ولا في التواريخ والتراجم .

وأما متنا فهو منكر ومردود على راويه، لأن الله تعالى عرفنا بذاته وصفاته، وأخبرنا عن كثير من أسراره وعظيم مملكه بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فهو سبحانه لم يجعل ذلك سرا ، ولا خص به أحدا من الصوفية، ولا غيرهم .

1121 أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 86 .
1122 ابن الجوزي: الموضوعات في الأحاديث المرفوعات ، ج 1 ص: 172 . والألباني: السلسلة الضعيفة ، ج 11 ص: 357 ، رقم: 5213 .
1123 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 477.
1124 الذهبي: الميزان ، ج 4 ص: 148 .
1125 ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 466 .
1126 عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السابعة والعشرون .
1127 البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 13 - رقم: 20 .
1128 أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:36 .

والحديث الأخير- التاسع - : ((...قال: ما فعلت في رأس العلم فتطلب الغرائب ؟ ... قال: انطلق فاحكم هاهنا ،ثم تعال أعلمك من غرائب العلم))[1129]. فهو حديث ضعيف جدا، ومذكور في الموضوعات[1130].

وأما بالنسبة لأقوال الصوفية المتعلقة بالمعرفة الصوفية، فمنها ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي بأن المعرفة هي أول فرض افترضه الله على عباده، لقوله تعالى :((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، وأن ابن عباس فسر ذلك بقوله: "أي ليعرفون "[1131]. فهو قول غير صحيح بدليل الشواهد الآتية:
أولها إن نسبة ذلك التفسير لابن عباس- رضي الله عنه- لم يثبت عنه، وقد ورد عنه أنه فسر تلك الآية بقوله : إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا .وفي رواية أخرى: ((إلا ليقروا بالعبودية طوعا وكَرها))[1132]. ومن جهة أخرى لا يصح نسبة ذلك التفسير إلى ابن عباس، لأنه لا يغيب عن عالم مثله الفرق الكبير والأساسي بين المعرفة والعبادة، فهما مختلفتان وغير متطابقتين .

والشاهد الثاني: لا يصح تفسير لفظ العبادة بالمعرفة، لأن لفظ المعرفة لم يرد في الشرع بمعنى العبادة التي هي بين العبد وربه . وإنما ورد بين البشر بمعنى مخالف ، كما في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(البقرة: 146)). فمعنى المعرفة هنا هو العلم ، وهي تحدث بعد جهل، لكن معنى العبادة في الشرع واسع جدا يشمل طاعة الله تعالى في كل ما فرضه على عباده ، قال سبحانه: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18))، و((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)).

والشاهد الثالث: إنه لا يصح تفسير لفظ العبادة بالمعرفة، لأن العبارتين غير متطابقتين، فلا تطابق ولا توافق بينهما، ولا يُعوضان بعضهما. فلفظ المعرفة لا يتضمن لفظ العبادة ،ولفظ المعرفة هو المدرج في عبارة العبادة وليس العكس، لأن المعرفة تعني العلم، والعلم مُتضمن في العبادة وليس

[1129] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 1 ص: 24 .
[1130] ابن عراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1 ص: 277 .
[1131] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:35 .
[1132] الطبري: جامع البيان ، ج 22 ص: 444 وما بعدها .

العكس. بدليل قوله تعالى:((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(يس: 60))، فلا يصح تعويض " أن لا تعبدوا" ب" أن لا تعرفوا ، لتصبح الآية هكذا " أن لا تعرفوا الشيطان". فهذا معنى لا يتطابق ولا يصح مع معنى الآية .

ولذلك كان الأنبياء يقولون لأقوامهم : ((اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)(الأعراف: 65))، وقال الله لنا: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة : 21)). ولم يقل الله لنا ، ولا قال الأنبياء لأقوامهم: اعرفوا الله .

والشاهد الأخير- الرابع- مفاده أنه لا يُمكن أن تكون المعرفة الصوفية تعني العبادة الشرعية ، لأنه بما أن المعرفة الصوفية هي من العبادة الصوفية وغاياتها، وبما أنه بينا في كتابنا هذا أن التصوف- بأصوله وفروعه وغايته- هو تعطيل لدين الإسلام وهدم له ، فلا يُمكن أن تكون العبادة الشرعية تعني المعرفة الصوفية، ولا العكس. لكن السلمي وأصحابه يُمارسون التحريف والتلبيس والتغليط انتصارا للتصوف، ولا يهمهم بعد ذلك موافقة الشرع أو مخالفته !! .

وفيما يتعلق بالمقولة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- فهي غير ثابتة النسبة إليه، وأبو عبد الرحمن السلمي الذي رواها لم يذكر لها إسنادا ولا حققها ولا تثبت منها،وقد بحثتُ عنها فلم أعثر لها على أصل . فهي مردودة على راويها، ولا يصح الاعتماد عليها لتعضيد المعرفة الصوفية، لعدم ثبوت نسبتها إلى أبي بكر الصديق .

وأما متنها فلا يصح أيضا، لأنه مخالف للشرع والواقع.لأن الله تعالى أعلمنا بنفسه ،وعرفنا بصفاته ليس بالعجز، وإنما بالقرآن الكريم والسنة النبوية من جهة، وبالعقل والعلم اللذان بفضلهما تعرفنا على الله تعالى بصفاته وأفعاله من خلال كتبه ومخلوقاته. نعم إننا عجزنا عن العلم بكنه ذاته سبحانه ، وبالإحاطة به، لأنه سبحانه ((ليس كمثله شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11))، و((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام: 103)) ، لكننا علمنا بصفاته وعظمته من خلال وحيه ومخلوقاته .

وأما قول أبي يزيد البسطامي بأنه وجد المعرفة الصوفية ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ[1133]. فهو دليل دامغ على أن المعرفة الصوفية مخالفة للشرع والعقل ، لأن المعرفة الصحيحة- وهي العلم- لا تُكتسب بشدة الجوع ولا بالبدن العاري، وإنما تُكتسب بطاعة الله تعالى وبإتباع المنهج العلمي الصحيح في طلب العلوم حسب مواضيعها. قال سبحانه: ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة : 282)))، و((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)(العنكبوت: 20))، و((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)(الإسراء: 36)).

وفيما يخص جواب الجنيد عندما سئل: من العارف؟ فقال: "من نطق عن سرَّك وأنت ساكت"[1134]. فهو جواب غير صحيح، ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى، قال سبحانه: ((فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)(طه: 7))، و((إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى)(الأعلى : 7)) ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)(غافر : 19))، و((إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل : 74))، ولا يُمكن لبشر أن يكون حاله كما قال الجنيد، فذلك مُستحيل بالنسبة للإنسان. نعم يستطيع بعض الناس أن يتفرسوا ويستنتجوا بعض ما يجول في خواطر بعض الناس بما يظهر من أحوالهم وملامحهم ،وبما نعرف من ظروفهم، لكنه لن يستطيعوا معرفة ذلك دوما، ولا حتى في الغالب، ولا في إنسان آخر لا تظهر عليه ملامح تعبر عن أحواله الداخلية . وهذه الإصابات هي استثناء لا أصلا، وليست من علم الغيب ولا الكشف عن الأسرار ، وإنما هي استنتاجات موضوعية من الشواهد والملامح والظروف المحيطة بالإنسان المعني. وهذا الاستنتاج ليس خاصا بالعارف ولا بغيره، فقد يستطيع ممارسته واستنتاجه أي إنسان آخر ركز على ذلك، خاصة الخبراء بنفوس البشر من المربين والأطباء . فالرجل تكلم بلا علم صحيح من الشرع، ولا من العقل ولا من الواقع.

وجواب الجنيد لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما، لأن من ذلك حاله ليس عارفا ولا عالما بالله ، وإنما هو عالم أو عارف ببواطن وأسرار الناس، ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى. وهذا باطل قطعا في البشر، لكن كلام الرجل يُشير إلى ذلك، بل هو من أسرار التصوف التي يُخفيها الصوفية فيُعبرون عنها بالإشارة لا بالعبارة الواضحة. وهذا الذي سنركز عليه

[1133] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 73 .
[1134] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 78 .

ونبينه لاحقا.فجواب الرجل مع أنه غير صحيح كما بيناه فإنه يتفق تماما مع التصوف، لأن الجنيد لم يتكلم بلسان الشرع ولا العقل ولا العلم، وإنما تكلم بلسان التصوف فأخطأ فيما قاله !! .

وأما قول يحيى بن معاذ : ((أهل المعرفة وحش الله في الأرض لا يأنسون إلى أحد))[1135] . فهو قول ليس من دين الإسلام في شيء، وإنما هو من العبادة الصوفية التي تأمر بالعزلة والخلوة. فليس ذلك من صفات المؤمنين ، فقد كان نبينا- عليه الصلاة والسلام- قدوة المؤمنين رحيم رؤوف مخالط لصحابته لين الجانب معهم ،وكذلك كان أصحابه فيما بينهم. قال تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159))، و((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(التوبة : 128))، و ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)(الفتح : 29))، و((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ)(البقرة : 83))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الحج : 77)). و(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة : 2)). ومن كان كالوحش مفارقا للمسلمين لا يُمكن أن يكون كما أمر الإسلام . فكلام الرجل مخالف للشرع مخالفة صريحة. وهو وأصحابه لم يتخذوا الرسول ولا الصحابة قدوة لهم، ولا التزموا بما أمر به القرآن الكريم، وإنما اتبعوا رغباتهم وأحوالهم ،وأقاويل شيوخهم ، وتلبيسات شياطينهم !! .

وأما ما قاله القشيري في تعريفه للمعرفة والعارف ، فمعظمه غير صحيح، وجمع فيه بين الحق والباطل تقية وتلبيسا انتصارا للتصوف. بدليل الشواهد الآتية: أولها إن الله تعالى سمى طاعتنا له عبادة، وسمى الطائعين له مؤمنين . لكن القشيري خالف ذلك، وسمى طاعة الصوفية معرفة، وسمى القائمين بها عارفين. وهذا شاهد ضده بأنه يتكلم عن العبادة الصوفية لا الشرعية، لكنه يتستر بالشرع كعادة الصوفية تطبيقا للتقية.

[1135] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 60 .

والشاهد الثاني : إن القشيري جعل من صفة العارف أن يعتزل الناس ويكون أجنبيا بينهم . وهذا مخالف للشرع الذي أمرنا بالتعاون على البر والتقوى، وليس من سنة نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- الذي كان مخالطا لأصحابه، وهم قد ساروا على سنته زمن الخلافة الراشدة وما بعدها.

والشاهد الثالث: إن الرجل قال بأن العارف عندما يُداوم على القيام بمتطلبات المعرفة يصل مرحلة حتى يصبح فيها " مُحدَّثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره "[1136]. وهذا كلام باطل قطعا ، لأن الله تعالى لا يُكلم إلا الأنبياء، ثم أنه لن يُحدث بشرا بعد ختم النبوة بمحمد-عليه الصلاة والسلام-، وكلامه الذي وجهه لبني آدم موجود في القرآن الكريم. ومن يقول خلاف هذا فهو إما جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه مُلبس عليه من نفسه وشيطانه ، وإما أنه صاحب هو يتعمد قول ذلك لغاية في نفسه.

والشاهد الأخير- الرابع- إن قوله ((وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه))[1137]. فهو ليس من دين الإسلام، وإنما هو من العبادة الصوفية، لأن المعرفة الصحيحة بالله ودينه لا تتم بأجنبية الإنسان عن نفسه، وإنما تتم بطاعة المسلم لله تعالى طاعة كاملة بإخلاص وصدق ،وتربيته لنفسه تربية صحيحة . قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(التحريم : 6))، و((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة : 282)).

علما بأن قول القشيري: ((وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه))[1138]. يحمل إشارة إلى سر وغاية التصوف، ويعني أن الصوفي ليكون عارفا يجب أن يصل إلى حالة الفناء عن نفسه وعن الخلق ليفنى عن الخلق، وهذا سنركز عليه ونبينه قريبا بحول الله تعالى.

وأخيرا فبالنسبة للمقارنة التي أوردها ابن عجيبة بين العالم والعارف وفضّل فيها العارف على العالم ؛ فهي ليست مقارنة شرعية ،ولا علمية، ولا عقلانية ، وإنما هي مقارنة صوفية ذاتية مُتعصبة تندرج ضمن تعالم

[1136] القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 141 .
[1137] القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 141 .
[1138] القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 141 .

وازدراء الصوفيه بغيرهم من الناس عامة وأهل العلم خاصة . وهي موازنة مليئة بالتغليط والتلاعب والتلبيس وغير صحيحة في معظمها ، بدليل الشواهد والمعطيات الآتية:

منها أولا إن ذلك التقسيم بين العالم والعارف هو تقسيم غير شرعي، وإنما هو تقسيم صوفي موجه مبني على خلفية صوفية مقصودة عن سبق إصرا وترصد لتحقيق غايات في النفوس . والصحيح في شرعنا أنه يوجد: عالم رباني ، وعالم دنيوي ، لقوله تعالى: ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)(آل عمران: 79))، و((كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)(فاطر: 28))، و((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)(النساء: 83))، و((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 43)).

وعن النوع الثاني قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(آل عمران: 77))، و ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(التوبة : 34))، و ((اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (التوبة : 31)))، و((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)(البقرة: 159)).

وحكاية العارف، هي من العبادة الصوفية لا الشرعية، ولا محل لها في دين الإسلام ، وإنما فيه المؤمنون، مقابل الكفار على اختلاف مللهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب. ثم في هؤلاء المؤمنين يوجد من بينهم العلماء الربانيون ، وهم الذين جمعوا بين الإيمان والعلم والعمل قلبا وقالبا .فدين الإسلام لا فناء فيه، ولا معرفة ، ولا عارفون ، وإنما فيه العبادة ، والإيمان والمؤمنون، و هم صنفان : المقربون ، وأصحاب اليمين . قال

سبحانه : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، جِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات 56)، و ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد: 28)) ، و ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)) ، و((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ... وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ... ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ)(الواقعة:10-14 ، 27- 28 ، 39-40).

وثانيا إن العالم الرباني تديّنه قائم على العبادة الشرعية التي تعني الطاعة الكاملة لله تعالى وفق شرعه. قال تعالى : ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)). لكن العارف الصوفي أقام تديّنه على عقيد فاسدة هي العبادة الصوفية وغايتها الفناء في الله –وحدة الوجود- وقد بيّنا في كتابنا هذا أن العبادة الصوفية بفنائها مخالفة للعبادة الشرعية وهادمة لها ولا يُمكن الجمع بينهما . وعليه فإن العالم الرباني –بالعبادة الإسلامية- يكون قد جمع بين الإيمان الشرعي والعمل المشروع ،والعلم والخشية، قال سبحانه : ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة : 82))، و((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)(فاطر: 28)). فالعلماء الربانيون أهل إخلاص وخشية ، وعلم وعمل. وهم بهذا يتفوقون على العارف الصوفي الذي لا أصل صحيح لعبادته ولا لتدينه ،ولا له انضباط بالشرع إلا ما وافق تصوفه، أو مارسه تقية ، وإنما هو محكوم بأحواله وهلوساته وتلبيساته وتصوفه.

وثالثا إن العالم الرباني مصادر علمه هي: الوحي الصحيح ، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح[1139] .قال سبحانه : ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج : 8)) . فمنها يأخذ علمه وإليها يحتكم في مواقفه . وبذلك يكون علمه علما صحيحا منضبطا بموازين موضوعية ، يغلب عليها الصواب ويقل فيها الخطأ. لكن علم العارف الصوفي علمه ناقص ، بل غير صحيح في معظمه، وغير منضبط بضوابط موضوعية، لأنه أهمل الوحي الصحيح، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح، واعتمد على أحواله وهلوساته وعلى العبادة الصوفية التي بينا أنها عبادة فاسدة، ومخالفة للشرع والعقل والعلم . ومصدر هذا حاله لا يُمكنه أن يغطي

[1139] العلم الصحيح بمعناه الواسع الذي يشمل الطبيعة والواقع البشري قلبا وقالبا.

مصادر العلم الأخرى ومجالاتها من جهة ،ولا يكون يقينيا في أحكامه من جهة أخرى، بحكم أن الأحوال الوجدانية ذاتية تشوبها الوساوس والشبهات ،والشهوات والهلوسات،والتلبيسات النفسية والشيطانية ، وليس فيها من الصواب إلا القليل. وبحكم أن التصوف بأصوله وفروعها وغاياته مخالف للشرع وهادم له، مما يعني بالضرورة أنه عبادة فاسدة. ولهذا كان الغالب على علم العارف الصوفي أنه غير منضبط بميزان الشرع ،ولا العقل ،ولا العلم . فكانت أخطاؤه كثيرة وقاتلة ، وهادمة للوحي والعلم ،وصوابه قليل جدا لا يكاد يظهر. وهذا أمر أثبتناه بالأدلة الدامغة والقطعية، وبيناه في نقدنا لأصول التصوف وفروعه وغاياته . مما يدل على فساد منطلق ومسلك المعرفة الصوفية وآثارها ، وهذا لا يظهر إلا عند الصوفية وأمثالهم من المنحرفين عن الشرع، ولا يظهر عند العلماء الربانيين لأنهم ملتزمون بالشرع منطلقا ومسلكا، قلبا وقالبا.

ورابعا ليس صحيحا أن العالم الرباني يتكلم بالرسوم فقط ولا يتكلم الأذواق والأحوال الإيمانية . فهذا زعم لا يصدق على العالم الرباني. لأن العلماء الربانيين جمعوا بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح، والعلم النافع، فأورثهم ذلك الأحوال والأذواق الربانية الصحيحة . فهم من الذين قال فيهم الله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (الأنعام : 122))، و ((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)).))، ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)) . ولهذا فإن العالم الرباني عندما يتكلم في الله وشريعته فإنه يتكلم بعلم وأذواق ومواجيد ربانية وأحوال صحيحة، وانضباط كامل بالشرع ؛ لكن العارف الصوفي إذا تكلم فإنه يتكلم بالمعرفة الصوفية القائمة على مخالفة الوحي والعقل والعلم من جهة، والمحكومة بأحواله وهلوساته ،وتلبيساته النفسية والشيطانية من جهة أخرى. فشتان بين الرجلين ،وبين المنطلقين، وبين الحالين !! .

وأخيرا- خامسا- إن العالم الرباني هو الذي يدل الناس على العبادة الصحيحة التي فرضها الله سبحانه على عباده. فهي عبادة تقوم على طاعة الله وفق شريعته الخاتمة . فيبين لهم أنه عليهم أن يعبدوا الله ويحبوه

ويخشوه طاعة له ، وأن يسألوه الجنة ويُجنبهم دخول النار طاعة له أيضا. فهذه هي العبادة الشرعية التي أمرنا الله تعالى بها، قال سبحانه: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)). لكن العارف الصوفي لا يدل الناس على هذه العبادة التي فرضها الله علينا ، وإنما يدلهم على العبادة الصوفية التي بينا أنها مخالفة للعبادة الشرعية في أصولها وفروعها وغاياتها. فالعارف الصوفي لا يُمكن أن يكون دالا على الله تعالى ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه. فهو لا يدل الناس على عبادة الله طاعة له والتزاما بشرعه ، وإنما يدلهم على عبادته بعصيانه وتعطيل شريعته التزاما بالعبادة الصوفية. لكن العالم الرباني هو الذي يرشدهم ويحثهم على حب الله وشكره، والالتزام بشريعته طاعة وعبادة له .

وبلك يتبين أن الفارق كبير جدا بين العالم الرباني والعارف الصوفي، فالأول أفضل من الثاني، ومُتفوق عليه مُنطلقا، ومسلكا، وغاية . بل ولا تصح المقارنة بينهما، فشتان بين من يدعوا الناس إلى عبادة الله وفق شرعه، وبين من يدعوهم إلى عبادة الله بأهوائهم وهلوساتهم وشياطينهم !!. وهذا خلاف ما أراد أن يُوهمنا به ابن عجيبة في تفضيله للعارف الصوفي على العالم .

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين أن المعرفة الصوفية هي من غايات التصوف ،ومن أسراره التي حرص الصوفية على إخفاء حقيقتها عن المسلمين. فمع أنهم تكلموا فيها واحتجوا لها بأحاديث نبوية ، فإن حقيقة الأمر ليست كذلك، فقد تبين أن أحاديثهم غير صحيحة، وتأويلاتهم في الجمع بين معرفتهم والعبادة الشرعية فاسدة. لكنهم فعلوا ذلك تقية وتسترا بالإسلام لإخفاء غاية المعرفة الصوفية التي هي الفناء في الله حسب المفهوم الصوفي للفناء، والذي سيتضح معناه الحقيقي قريبا .

ثانيا: الحيرة والاضطراب والجنون :

من غرائب التصوف وأهله أنهم جعلوا بلوغ الصوفي إلى مرتبة الحيرة والاضطراب والجنون هو من علامات الوصول، ومن مظاهر التحقق بغايات العبادة الصوفية !! . فمن ذلك مثلا قول أبي يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري(ت 330 هـ) : ((أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه))[1140] .

[1140] أبو عبد الرحمن السلي: طبقات الصوفية، ص: 106 .

وقال أحد متقدمي الصوفية:((أما التوحيد فهو الذي يعمي البصير، ويُحير العاقل، ويُدهش الثابت))[1141].

وقال أبو نعيم الأصبهاني: ((اخبرني محمد بن هارون، قال: سمعت علي بن الحسين الغلاب يقول: قيل للجنيد: هل عاينت أو شاهدت؟ قال: لو عاينت تزندقت. ولو شاهدت تحيرت، ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة))[1142]. وعن الجنيد أنه قال: ((إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة)) [1143].

وقال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا ظفر، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثني أحمد بن عبد الله ابن ميمون، قال: سمعت ذا النون يقول- وقد سئل عن أول درجة يلقاها العارف- قال: التحير ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة))[1144].

وعن الصوفي أبي بكر الشبلي أنه سُئل عن المعرفة، فقال: أولها الله تعالى، وآخرها ما لا نهاية له)[1145]. وعن أبي حفص عمرو بن سلمة النيسابوري(ت 270 هـ) أنه قال: ((مذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل))[1146].

وقال الصوفي ابن عجيبة : ((ومنهم من يغلب عليه الدهشة والحيرة قال بعضهم: أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه. وفي الحديث" اللهم زدني فيك تحيراً "))[1147].

ومن مظاهر حيرة الصوفية واضطرابهم وقلقهم أن بعضهم بلغ به الأمر إلى الهذيان والحماقة ،والجنون مع كثرة الدعاوى والغرور والتعالم. من ذلك حالة أبي بكر الشبلي، قال أبو نعيم الأصبهاني: ((سمعت أبا نصر النيسابوري يقول: سمعت أبا علي أحمد بن محمد، يقول: سمعت الشبلي

[1141] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 52 .
[1142] أبو نعيم الأصبهاني: الحلية ، ج 4 ص: 383
[1143] الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 66 .
[1144] أبو نعيم الأصبهاني: الحلية، ج 9 ص: 374 .
[1145] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 141 .
[1146] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 141 .
[1147] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 181 .

يقول: قوم أصحاء جئتم إلى مجنون ،أي فائدة لكم فِي أُدخلتُ المارستان كذا وكذا مرة ،وأُسقيتُ من الدواء كذا وكذا دواء، فلم أزدد إلا جنونا))[1148].

وقال أيضا:((سمعت أبا نصر يقول: سمعت أحمد بن محمد النهاوندي يقول: مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا، فجزت أمه شعرها عليه ،وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا فقال جزّت هذه شعرها على مفقود، فكيف لا أُحلق لحيتي أنا على موجود))[1149]**!!** .

ومن ذلك أيضا أن الصوفي شعبان المجذوب (ت بعد: 900 هـ) كان يُدخل في القرآن ما ليس منه ، ويقرأ كلاما مسجوعا على أنه من القرآن وهو ليس منه[1150].

وكان الصوفي إبراهيم العريان (ت بعد: 930 هـ) يخطب على المِنبر عرياناً فيقول **:**((السلطان، ودمياط، باب اللوق بين القصرين، وجامع طيلون ،الحمد لله رب العالمين))[1151]**!!!!**، وزعم الشعراني أن الناس كانوا يتقبلون ذلك ، ويحصل لهم " بسط عظيم" [1152]**!!!!** .

وآخرهم أن الصوفي إبراهيم الدسوقي كان يقول: ((أنا موسى -عليه السلام- في مناجاته. أنا علي - رضي الله عنه -في حملاته **.**أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ،ألبس منهم من شئت. أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته .أنا بيدي أبواب النار غلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس))[1153].

وردا عليهم أقول:

أولا لا يصح شرعا ،ولا عقلا، ولا علما مدح الحيرة والاضطراب، والدهشة والهذيان، والحماقة والجنون. فأما شرعا فإن الله تعالى ذم الحيرة والنفاق، والاضطراب وقلة العقل ، وحرم تناول ما يُزيل العقل، وجعل ذلك من علامات الضلال والخسران من جهة؛ ومدح اليقين والثبات ، وأثنى على أولي الألباب والعقول، وجعل ذلك من علامات الهداية والفلاح من

1148 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 368 .
1149 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 370 .
1150 الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 185 .
1151 الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 142.
1152 الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 142.
1153 الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 1 ص: 170 .

جهة أخرى. قال تعالى: ((كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 71)) ، و((مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)(النساء : 143))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)(النساء: 43)). و((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(ابراهيم: 24-25))، لكن العبادة الصوفية يصدق عليها قوله تعالى: ((وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)(إبراهيم: 26)) . فشتان بين الحالين والشجرتين **!!.**

وأما عقلا فمن الثابت بداهة أن اليقين والثبات والاطمئنان هي صفات صحية محبوبة ومطلوبة لدى الإنسان ،لكن الشك والحيرة، والقلق والاضطراب هي صفات مرضية مكروهة ومرفوضة لدى بني آدم.وبما أن الأمر كذلك، والصوفية جعلوا الحيرة والاضطراب ، والهذيان والجنون من غايات العبادة الصوفية،فإن هذا دليل دامغ على عدم صحة موقفهم هذا.

وأما علما فمن المعروف طبيا أن الحيرة والاضطراب، والجنون والهذيان من الحالات المرضية لا الصحية. وهذا يعني إن هؤلاء الصوفية مرضى وغير عاديين ويجب عرضهم على أطباء أخصائيين في الأعصاب والأمراض النفسية لفحصهم وعلاجهم. ويعني أيضا أن التصوف أمرض أتباعه وأهلكهم ولم يُشفهم ولا أنجاهم . ولو كان التصوف بأصوله وفروعه وغاياته موافقا للشرع والعقل والعلم ما أوصل أتباعه إلى الحيرة والاضطراب، وإلى الجنون والهذيان، والحماقة وقلة الحياء. وبما أن هذا حالهم فهو دليل دامغ على خطأ قولهم بالحيرة والاضطراب، بل وعلى عدم صحة التصوف من أساسه كما سبق أن بيناه.

وثانيا إن قول بعضهم بأن التوحيد يعمي البصير ويُحير العاقل، ويُدهش الثابت[1154]. فهو قول غير صحيح شرعا ولا عقلا، لأن التوحيد الشرعي يُنور القلوب والعقول،ويُثبت النفوس ، ويوحد الغايات والقدرات ، ويُفجر الطاقات والعبقريات . وهذا يعني أن التوحيد الذي تكلم عنه الرجل هو

[1154] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 52 .

التوحيد الصوفي لا الشرعي. فهو الذي أعمى الصوفية وأورثهم التحير والاندهاش، وأقعدهم عن العمل وعمارة الأرض.

وأما قول ابن عجيبة :((ومنهم من يغلب عليه الدهشة والحيرة قال بعضهم أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه. وفي الحديث" اللهم زدني فيك تحيراً "))[1155]. فهو قول باطل دون شك ، لأن أعلم الناس بالله وأتقاهم له لا يُمكن أن يكون مُتحيرا ولا أشد الناس تحيرا. بدليل ما ذكره الله تعالى عن إيمان وأحوال أنبيائه وعباده المؤمنين من ثبات ويقين وصمود في الدعوة إليه والجهاد في سبيله سبحانه وتعالى. ولهذا قال الله تعالى لنبيه ، وهو أعرف الناس به: ((وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)(طه : 114))، ولم يقل له : ((وقل ربي زدني تحيرا فيك))**!!**. والمسلم الصادق الإيمان لا يطلب الحيرة، ولا يكون حائرا في إيمانه ، وإنما يكون مؤمنا تقيا منوراً ثابتا على الحق. قال تعالى: ((يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ)(إبراهيم : 27))، و ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)). فاليقين هو الذي يُمدح و يُحث على طلبه والتحلي به، وليس التحير!!.

وأما الحديث الذي استدل به ابن عجيبة، فهو حديث لا أصل له، ولم أعثر عليه في أي مصدر من المصادر الحديثية. وفيه يقول الشيخ تقي الدين بن تيمية: هو من الأحاديث ((المكذوبة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث ،وإنما يرويه جاهل أو ملحد . فإن هذا الكلام يقتضي أنه كان حائرا وأنه سأل الزيادة في الحيرة وكلاهما باطل .فإن الله هداه بما أوحاه إليه وعلمه ما لم يكن يعلم وأمره بسؤال الزيادة من العلم بقوله : { رب زدني علما }- طه:114- وهذا يقتضي أنه كان عالما وأنه أمر بطلب المزيد من العلم ولذلك أمره هو والمؤمنون بطلب الهداية في قوله : { اهدنا الصراط المستقيم }- الفاتحة: 6- وقد قال تعالى : { وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم }- الشورى: 52-. فمن يهدي الخلق كيف يكون حائرا والله قد ذم الحيرة في القرآن في قوله : ((قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ)(الأنعام : 71))) . وفي الجملة فالحيرة من جنس

[1155] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 181 .

الجهل والضلال ومحمد -صلى الله عليه و سلم- أكمل الخلق علما بالله وبأمره وأكمل الخلق اهتداء في نفسه وأهدى لغيره وأبعد الخلق عن الجهل والضلال))[1156].

وأخيرا- ثالثا - إن قول ذي النون المصري بأن أول درجة يلقاها العارف هي ((التحير ، ثم الافتقار، ثم الاتصال ،ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة))[1157]. فهو قول فاسد، ويصدق على العبادة الصوفية لا الشرعية. وهو قول يندرج ضمن قوله تعالى: ((وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)(إبراهيم: 26)). فلو كانت العبادة الصوفية شجرة طيبة ما كانت مخالفة للشرع والعقل والعلم، وما كانت ثمارها مرة وخبيثة ومُدمرة للفرد والمجتمع.
لكن العبادة الشرعية تختلف تماما عن العبادة الصوفية ، لأن منطلقها نور ويقين- الوحي الصحيح- ونهايتها نور ويقين في قلوب المتقين، ثم جنة نعيم يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وليس صحيحا أن عقل العقلاء ينتهي إلى الحيرة، فهذا قول لا يصح، وإنما عقول الصوفية وأمثالهم من أهل الأهواء هم الذي تنتهي بهم عقولهم إلى الحيرة والقلق والاضطراب بسبب انحرافهم عن الوحي الصحيح ، والعقل الصريح، والعلم الصحيح. وأما عقول العقلاء الطالبين للحق فعقولهم تنتهي بهم إلى اليقين والثبات، والاستسلام لله وشريعته. وعقول العقلاء هي التي مدحها الشرع ونوّه بها،وحث على استخدامها والاحتكام إليها. كما في قوله سبحانه: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الرعد : 3))،و((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى)(طه : 54))،و((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)(العنكبوت: 43))، و((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ)(آل عمران: 190)).

وأما قول أبي بكر الشبلي بأن المعرفة أولها الله تعالى، وآخرها ما لا نهاية له. فهو قول لا يصح، وهو يصدق على الشبلي وأمثاله ولا يصدق على العبادة الشرعية . لأن الإيمان الصحيح يبدأ بالله وينتهي إليه مهما ازداد وتعمق وتوسع فهو لن يخرج عن الأحوال الإيمانية والعبادة الشرعية. لقوله

[1156] ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج 5 ص: 57 .
[1157] أبو نعيم الأصبهاني: الحلية، ج 9 ص: 374 .

تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)) ، و((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).

وأما قول أبي حفص النيسابوري ((مذ عرفتُ الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل))[1158]. فهو غير صحيح شرعا ولا عقلا، وإنما هو قول يصف حال العارف الصوفي ، ولا يصف حال المسلم التقي . لأن العبادة الصحيحة تملأ قلب المؤمن بالحقائق الربانية كمعرفة الله تعالى بصفاته ، وتذوق أنواره ، وفهم كتابه ، واكتشاف أسراره وحِكمه وسننه في مخلوقاته. فالأمر ليس كما زعم أبو حفص النيسابوري ، والمعرفة التي قال أنه عرفها ليست من دين الإسلام في شيء، وإنما هي من العبادة الصوفية، التي هي ضلالات وأباطيل، وتلبيسات ورعونات، وغايتها الفناء في الله حسب تعبير القوم وهي المعروفة بوحدة الوجود.

وبذلك يُستنتج مما ذكرناه أن مدح شيوخ الصوفية للحيرة والاضطراب، والجنون والهذيان هو دليل دامغ على فساد العبادة الصوفية مُنطلقا وغاية.لأنه لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما مدح تلك الصفات والتنويه بها.

ثالثا : الولاية الصوفية :

تُعد الولاية الصوفية من غايات التصوف ، وقد اهتم بها الصوفية اهتماما كبيرا لأنها تعد عندهم خطوة عملية أولى لدخول بداية الفناء في الله حسب زعمهم. وقد صرح بعضهم بتفضيل الولاية الصوفية على النبوة، فكان هذا دليلا كاشفا لحقيقة الوَلاية عندهم، وبطلان قولهم بها.

فمن ذلك مثلا ما ذكره الحارث المحاسبي أن ابراهيم بن أدهم قال لأخ له في الله: ((إن كنت تحب أن تكون لله وليا وهو لك محبا فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما ،وفرغ نفسك منهما وأقبل بوجهك على الله يقبل الله بوجهه عليك ويلطف بك))[1159].

وذكر الحافظ الذهبي أن الصوفي أحمد بن أبي الحواري ((شهد عليه قوم أنه يفضل الاولياء على الانبياء وبذلوا الخطوط عليه، فهرب من دمشق

[1158] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 141 .
[1159] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 82 .

إلى مكة، وجاور حتى كتب إليه السلطان، يسأله أن يرجع، فرجع)). ثم قال الذهبي: ((قلت: إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك))[1160].

ويُعد الصوفي محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذي المؤذن المعروف بالحكيم الترمذي (توفى نحو سنة 320 هـ))، من أشهر الذين قالوا بتفضيل الوَلاية الصوفية على النبوة ؛فأنكر الناس عليه ذلك وهجروه بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه كتاب ختم الوَلاية وعلل الشريعة . وكان يحتج على موقفه بحديث" يغبط به النبيون" فقال: لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم. وذكر ابن العديم أن هذا الصوفي: ((ملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة))[1161].

وقال عبد القادر الجيلاني: ((قال الله تعال في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون)، وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم))[1162].

وأشير هنا إلى أن الصوفية اهتموا كثيرا بحديث الولي ووجدوا فيه مدخلا للقول بالولاية الصوفية التي هي مدخل وأول خطوة إلى القول بالفناء الصوفي[1163]- وحدة الوجود- . والحديث كما رواه البخاري وغيره هو: ((حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد ،حدثنا سليمان بن بلال ،حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ،وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ،ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه .وما ترددت

[1160] الذهبي: السير ، ج 12 ص: 93 .
[1161] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 242 .
[1162] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة عشرة .
[1163] أنظر مثلا: أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ص: 5 . وأبو طالب المكي: قوت القلوب، ص: 470 . والبرهان البِقاعي: مصرع التصوف، حققه عبد الرحمن الوكيل، د ن ، مكة المكرمة ، ص: 89 .

عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) [1164].

وردا عليهم أقول:

أولا واضح من كلام هؤلاء أن الوَلاية الصوفية ليست وَلاية شرعية، وإنما هي وَلاية صوفية، لأن الوَلاية الشرعية تقوم على الالتزام بالشرع قلبا وقالبا لقوله سبحانه : ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62-63)). لكن الوَلاية الصوفية تقوم على مخالفة الشرع والتعالي عليه ، حتى أن بعضهم فضّلها على النبوة ، ومنهم من جعل عدم طلب الآخرة شرطا للولاية الصوفية. ومن يقول بهذا فهو معاند للشرع ومُعطل له وعاصٍ لله تعالى وليس طائعا له ، لأنه سبحانه هو الذي أمرنا بطلب الآخرة، فكيف يأتي بعضهم ويحث على عدم طلبها ؟؟. فهذا ليس عابدا لله وإنما هو عابد لهواه وشيطانه **!!** .

ولذلك فإن وَلاية الصوفية هي وَلاية زائفة ،زينتها لهم أحوالهم وهلوساتهم وشياطينهم؛ بدليل أنها أوقعتهم في مخالفة الشرع والعقل والعلم. فلو كانت وَلاية صحيحة ما نتج عنها ذلك.

وثانيا إن الطريق الذي بيّنه ابن أدهم للرجل ليكون وليا لله ، هو طريق فاسد، ومخالف للشرع ، وكان عليه أن يدله على الطريق الشرعي لا الصوفي. مما يعني أنه تكلم بلسان العبادة الصوفية لا الشرعية. والطريق الشرعي واضح بينه الله تعالى يقوله: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62-63))، و((وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)(الأنفال: 34)) . فالرجل لم يرشده إلى الطريق الصحيح، وإنما صده عنه .

ومن جهة أخرى فإن جواب ابن أدهم فيه غرور ورعونة نفس، وجرأة على مخالفة الشرع. لأن الوَلاية الشرعية لا تتحقق إلا بالإيمان وتقوى الله تعالى في كل مجالات الحياة . والذي لا يتعامل في الدنيا بالشرع ولا يرجو الآخرة لا يُمكن أن يكون وليا لله تعالى. لكن ابن أدهم أمر الرجل بأن لا يرغب في الدنيا ولا في الآخرة ويُقبل على الله مباشرة. وهذا خطأ فاحش لا يقع فيه مسلم تقي عالم بما يقول، وإنما يقع فيه إما جاهل بما يقول، أو

[1164] البخاري: الصحيح ، ج 8 ص: 105 .

صاحب هوى لغايات في نفسه. ومن يأخذ بموقف ابن أدهم فهو في الحقيقة يعبد هواه وشيطانه ولا يعبد الله تعالى وفق شريعته. وهذا هو منطلق العبادة الصوفة كما سبق أن بيناه وأشرنا إليه مراراً.

وثالثا إن تصريح أحمد بن أبي الحواري ، والحكيم الترمذي بتفضيل الوَلاية الصوفية على النبوة، ليس أمرا غريبا على التصوف،فهو من ضرورياته بحكم أن غايته الأساسية هي الفناء في الله حسب زعمه، والمُعبر عنه أيضا بوحدة الوجود ، لأن الصوفي إذا بلغ هذه المرتبة فهو- عند الصوفية- أفضل المخلوقات على الإطلاق.

علما بأن تفضيل هؤلاء للوَلاية الصوفية على الشرعية هو تفضيل باطل، لأن الله تعالى أخبرنا أنه أصطفى أنبياءه من بين البشر وخصهم بالوحي، فهم في أعلى درجة بين البشر. قال سبحانه: ((إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(آل عمران : 33))، و((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم)(الشورى: 51))، و((تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)(البقرة : 253))،و((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)(النساء : 69))، فهذا ترتيب لهم، في المكانة.

ومن المعروف أن الوَلاية الشرعية هي نتيجة وثمرة الالتزام بالشريعة التي جاء بها الأنبياء، لقوله تعالى: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62-63)). (((وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)(الأنفال: 34)). فكيف يكون الولي أفضل من النبي ؟؟. وكيف يكون الولي الصوفي أفضل من النبي ومن الولي المؤمن؟؟. إنه لا يكون كذلك لأنه ليس نبيا، ولأنه عابد مخالف للشرع ومُعاند ومُعطل له من جهة، ومُتبع لعبادة ليست من العبادة الشرعية من جهة أخرى.

وأما تبرير الذهبي لما رواه عن أبي الحواري بقوله: ((قلت: إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، هو كان أعلم بالله من أن يقول

ذلك))[1165]. فهو تبرير ضعيف جدا مصدره حسن ظن الذهبي بالرجل وأصحابه، ولم يُؤيده بدليل صحيح. لأن قول ابن الحواري يتفق تماما مع التصوف، وقوله من ضروريات العبادة الصوفية ،ومخالف للشرع مخالفة صريحة وتندرج ضمن مخالفة التصوف لدين الإسلام أصولا وفروعا وغاية .

وأما حديث الغبطة الذي أشار إليه الحكيم الترمذي، فورد من عدة طرق، منها: قال الترمذي: ((حدثنا أحمد بن منيع ،حدثنا كثير بن هشام ، حدثنا جعفر بن برقان ،حدثنا حبيب بن أبي مرزوق ،عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي مسلم الخولاني ، حدثني معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))[1166].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: جعفر بن برقان الكلابي) (ت 150هـ) قيل فيه : ثقة، فيه ضعف واضح من جهة الضبط ، روى مناكير، حدث عن بعض الرواة ولم يسمع منهم[1167] . كان كثير الخطأ في حديثه . وقال فيه أبو بكر بن خزيمة: لا يُحتج به إذا انفرد بشيء[1168].

وعطاء بن أبي رباح: عطاء بن أبي رباح القرشي المكي أبو محمد ، اسمه أسلم(27- 114هـ) ، قيل فيه : ثقة، كثير الإرسال ، يأخذ عن كل ضرب ، ومرسلاته من أضعف المرسلات[1169]، و كان يدلس، وفي هذا قال أحمد بن حنبل: ((ورواية عطاء عن عائشة لا يحتج بها، إلا أن يقول: سمعت))[1170]. وقد حدث عن ابن عمر كثيرا ، وهو لم يسمع منه[1171].وبما أن الرجل ضعيف من جهة ضبطه، وهنا قد عنعن ، ومتن الخبر فيه ما ينكر فالإسناد لا يصح من جهته .

والطريق الثاني: قال النسائي: ((أخبرنا واصل بن عبد الأعلى بن واصل، أنا محمد بن فضيل ، عن أبيه وعمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة

1165 الذهبي: السير ، ج 12 ص: 93 .

1166 الترمذي : السنن ، ج 4 ص: 323 ، رقم : 2390 .

1167 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 131 ، ج 1 ص: 57-58 . و العلائي: جامع التحصيل ، ص: 154.

1168 المزي: تهذيب الكمال ، رقم: 934 ، ج 5 ص: 15 .

1169 المزي : تهذيب الكمال ، رقم : 3933، ج 20 ، ص: 83 .

1170 أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 5 ص: 46 .

1171 ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج 6 ص: 148 .و أبو داود: السنن ، رقم: 1132 ، ج 1 ص: 439 ، و رقم: 4902 ، ج 4 ص: 426 .

، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن من العباد عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء. قال: من هم يا رسول الله ؟قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب وجوههم نور. يعني على منابر من نور ...))[1172].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: محمد بن فضيل بن غزوان الكوفي الضبي (ت 195 هـ) : صدوق، ثقة، كان يتشيع ، حسن الحديث، ليس به بأس ، كان شيعيا محترفا ، كان غاليا في التشيع ، لا يُحتج به[1173] . وجعله الشيعة الإمامية من رجالهم و من أصحاب أحد أئمتهم ، ووثقوه، ورووا عنه روايات إمامية[1174]. ورجل هذا حاله لا تُقبل روايته، فالإسناد لا يصح من طريقه.

والطريق الثالث : قال ابن أبي شيبة : ((حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا عبد العزيز بن عمر قال حدثني إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي أن العلاء بن زياد كان يحدث عن نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم- قال: (عباد من عباد الله ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة ...))[1175].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: عبد العزيز بن عمر: صدوق، يُخطئ[1176]. فالرجل فيه ضعف، ولا يُحتج به .

والعلاء بن زياد بن مطر العدوي أبو نصر البصري أحد العباد ثقة من الرابعة مات سنة أربع وتسعين هجرية[1177]. لكن الإسناد لا يصح من جهته لأنه مرسل ، فهو تابعي وليس صحابيا ، فكيف يُحدث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- ؟؟ .

والطريق الرابع: قال الطبراني: ((حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ،عن عبد الرزاق ،عن معمر ،عن ابن أبي حسين ،عن شهر بن حوشب ،عن أبي مالك الأشعري قال : كنت عند النبي -صلى الله عليه و سلم- :

1172 النسائي : السنن ، ج 2 ص: 65 .

1173 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 8 ص: 298.

1174 أنظر مثلا: الحسن بن المطهر الحلي: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ج 1 ص: 295. و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، ج 1 ص: 492. و علي بن طاووس: التحصين، مؤسسة دار الكتاب، إيران، 1413 ، ص: 16 .

1175 ابن أبي شيبة : المصنف ، ج 10 ص: 90 ، رقم: 143 .

1176 ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 104 .

1177 ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 260 .

فنزلت هذه الآية { لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم } قال : فنحن نسأله إذ قال : إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم ...))[1178].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن أبو عروة(ت 154هـ عن 58 سنة)، سنفصل أحواله في الفصل الخامس، وسيتبين لنا أنه ضعيف ، خاصة وهنا قد عنعن .

وشهر بن حوشب الأشعري الشامي (ت 112هـ)، قيل فيه: متروك ، ليس بالقوي، ضعيف، ينبغي أن لا يُغتر به ولا بروايته ، ثقة ما أحسن حديثه ، ليس به بأس، ثبت، ساقط ، أنفرد بأحاديث لم يُشاركه أحد فيها. رُويت عنه أحاديث طوال عجائب . و روى عن النبي-عليه الصلاة و السلام – أحاديث في القراءات لم يأت بها غيره . روى المعضلات عن الثقات، والمقلوبات عن الأثبات . لا يُحتج بحديثه ولا يُتدين به[1179]. وقد عده الشيعة من أصحاب بعض أئمتهم و رووا عنه روايات إمامية[1180].

والطريق الخامس: قال أبو داود : ((حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبى شيبة قالا حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير أن عمر بن الخطاب قال قال النبى -صلى الله عليه وسلم- « إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى . ... »[1181].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي (107-188 هـ) ، قيل فيه : ثقة، يُدلس ، ليس بالذكي اختلطت عليه أحاديث حتى ميزها له بعض المحدثين كان يشتم معاوية علانية[1182]. ووصفه سليمان بن حرب بأنه لا يصلح إلا أن يكون راعيا للغنم ، ولم يكن يحفظ، ولا يحدث إلا من كتبه . وكانت فيه غفلة أثناء التحديث، و كان يرسل، ولا يُصرح بالتحديث في كثير من رواياته بطريقة فيها تغليط

[1178] الطبراني: المعجم الكبير، ج 3 ص: 290، رقم: 3433 .

[1179] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 254.

[1180] انظر مثلا : علي الأبطحي: تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال للنجاشي، ط2 ، قم ، ج 7 ص: 132. و الكليني: الكافي، ج 2 ص: 200.

[1181] أبو داود : السنن ، ج 3 ص: 311 .

[1182] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 116 ، ج 1 ص: 51، 52 .

وتـدليس[1183] . ذكـره ابـن قتيبــة مـن رجـال الشـيعة[1184] . وعـده الشـيعة مـن رجالهم[1185] . وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته.

والطريـق السـادس: جـاء فـي مسند أحمـد بـن حنبـل : ((حـدثنا عبـد الله حـدثني أبـي ثنـا محمـد بـن جعفـر ثنـا عـوف عـن أبـي المنهـال عـن شـهر بـن حوشب قال: كان منا معشر الأشعريين رجل قد صـاحب رسـول الله -صـلى الله عليه و سلم- وشهد معه المشـاهد الحسـنة الجميلـة قـال عـوف حسـبت انـه يقـال لـه مالـك أو أبـو مالـك قـال سـمعت رسـول الله -صـلى الله عليـه و سـلم- يقول: لقد علمت أقواما مـا هـم بأنبيـاء ولا شـهداء يغبطهـم الأنبيـاء والشـهداء بمكانهم من الله عز و جل...))[1186].

وإسـناده لا يصـح لأن مـن رجالــه: محمـد بـن جعفـر غنـدر الهـذلي البصـري(ت193هـ) : ثقـة ، فيـه غفلـة و بـلادة[1187] . فـي غيـر شـعبة يُكتـب حديثه و لا يُحتج به[1188] .

والثاني عوف بن أبي جميلة (ت 146هـ عن 86سنة) . ((قـال عبـد الله بـن المبـارك : مـا رضـي عـوف ببدعـة واحـدة حتـى كانـت فيـه بـدعتان كـان قدريا وكان شيعيا))[1189]. و قال محمد بندار وهو يقرأ حديث عوف: ((يقولـون عـوف ، والله لقـد كـان عـوف قـدريا رافضـيا شـيطانا))[1190] . و قيـل فيــه : صــدوق، صــالح، ثقــة ، ثبــت[1191] . وعــده ابــن قتيبــة مــن رجــال الشيعة[1192]. وجعله الشيعة من رجالهم[1193] . و رووا مروياته في كتبهم[1194] . وبمـا أنـه كـذلك، وهنـا قـد عـنعن فالإسـناد لا يصـح مـن طريقـه. وآخـرهم- الثالث- شهر بن حوشب: ضعيف كما بيناه سابقا.

[1183] المزي: تهذيب الكمال ، ج 4 ص: 545 و ما بعدها .
[1184] ابن قتيبة : المعارف، ص: 139 .
[1185] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 18 ، ج 1 ص: 123 و ما بعدها . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 2105 ، ج 1 ص: 291 .
[1186] أحمد بن حنبل : المسند، ج 5 ص: 342 ، رقم: 22948 .
[1187] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 63 . و أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 2295 ، ج 3 ص: 224 .
[1188] الذهبي: الميزان ، رقم: 7324، ج 5 ص: 419 .
[1189] العقيلي : الضعفاء الكبير ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1418هـ ، 1998 ، رقم : 1471، ج 1 ص: 422 .
[1190] العقيلي : الضعفاء الكبير ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1418هـ ، 1998 ، رقم : 1471، ج 1 ص: 422 .
[1191] المزي : تهذيب الكمال ، رقم: 4545 ، ج 22 ص: 437 و ما بعدها .
[1192] ابن قتيبة: المعارف ، ص: 139 .
[1193] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 98 ، ج 2 ص: 60 .
[1194] أنظر مثلا: فرات بن إبراهيم الكوفي: تفسير فرات الكوفي، ط1 ، طهران، 1990 ، ج 2 ص: 86 . و الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الايات النازلة في اهل البيت ، ط1 ، طهران ، 1411 ، ج 4 ص: 169 .

والطريق الأخير- السابع- : ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو النضر ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري عن شهر بن حوشب ثنا عبد الرحمن بن غنم أن أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: ... إن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- لما قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال: يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز و جل عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم ...))[1195].

وإسناده لا يصح لأن من رجاله: عبد الحميد بن بهرام الفزاري : صدوق، ثقة، لا يُحتج به، لم يُحدث عنه بعض كبار المحدثين كعبد الرحمن بن مهدي[1196]. و شهر بن حوشب، بينا سابقا أنه ضعيف .

وأما متنا ، فالحق أن الحديث صريح في تفضيل بعض المؤمنين على الأنبياء بمكانة لم يصلها الأنبياء فغبطوهم عليها، ولا تنفع معه التأويلات. وهذا إشكال كبير ولا يصح القول به ، لأنه من الثابت قطعا أن أفضل البشر هم الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- كما بيناه أعلاه. وهذا شاهد دامغ على أن الحديث كما أنه لم يصح إسنادا فهو لم يصح متنا .

وأما بالنسبة لقول عبد القادر الجيلاني : ((قال الله تعال في بعض كتبه : (يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون)، وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم))[1197].

فأقول: إن الرجل ما ذكر لخبره إسنادا ولا حققه ، وهو خبر عن مجهول، وليس هذا من الشرع ولا من العقل ولا من العلم، ولا من الحرص على طلب الحقيقة . وقد بحثتُ عن خبره فلم أجد له أصلا ، وهو مُنكر بلا شك ، و ذريعة لأهل الأهواء يستخدمونه لمخالفة الشرع والانتصار لأهوائهم ومذاهبهم.

علما بأن الخلق لا يكون إلا لله ، وتعليق الجيلاني على الرواية ليس دليلا على صحته، لأن الإحياء الذي حدث لبعض كان خاصا بهم وبظروفهم كما حدث لإبراهيم-عليه السلام- وحادثة بني إسرائيل مع البقرة. وهذا الإحياء

[1195] أحمد بن حنبل : المسند، ج 5 ص: 343، رقم: 22957 .
[1196] ابن حجر: التقريب، ج2 ص: 52 . و تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 74 . والذهبي : المغني في الضعفاء، ص: 177 .
[1197] عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة السادسة عشرة .

تم بأمر من الله تعالى ، فإبراهيم –عليه السلام- ليس هو الذي أحيى الموتى ، وإنما هو الذي طلب من الله تعالى أن يُريه كيف يُحيي الموتى. فاستجاب له سبحانه وأمره أن يقوم بالخطوات المذكورة في قوله سبحانه: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(البقرة : 260)). ونفس الأمر ينطبق على حادثة بقرة بني إسرائيل، فالله تعالى هو الذي أمرهم بما يفعلون، وهو الذي أحيى الميت لقوله سبحانه : ((فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(البقرة : 73)).

ومن جهة أخرى فكما أن ذلك كان خاصا بالأنبياء، والخلق تَمّ بأمر الله ، فإنه لا يصح إخراج ذلك من إطاره الخاص به وتعميمه على غير الأنبياء، ليشمل غيرهم كالأولياء والصديقين مثلا.، فهذا لا يصح، وهو تحريف للشرع . وأولياء الله ليس من صفاتهم إحياء الموتى، ولا أن يقولوا لشيء ما : كن فيكون، وإنما من صفاتهم: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(يونس:62-64)) . وقد كان الصحابة قمة في الإيمان والعمل الصالح ، وشهد لهم الله تعالى بالرضى والقبول، وأنهم كانوا خير أمة أُخرجت للناس. ومع ذلك عانوا كثيرا ، وقال لهم الله تعالى : ((وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً)(النساء: 104)). و بذلوا جهودا جبارة في حروب الردة والفتوحات، لكنهم مع ذلك لم يكن أحدهم يقول للشيء: كن فيكون. فلو كان الأمر كما ذكر الرجل في خبره لكان هؤلاء الصحابة أولى من غيرهم بتلك الخاصية، ولمارسوها عندما كانوا في حاجة إليها . وبما أن ذلك لم يحدث لهم دلّ على أن الخلق خاص بالله تعالى ، فلا خالق إلا هو، ولا أحد يقول للشيء: كن فيكون إلا هو سبحانه وتعالى . فكلام الرجل غير يصح ، بل ومرفوض قطعا .

وأخيرا- رابعا- فبخصوص حديث الولي ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ...)) . فقد بحثت، عن طرقه فلم أجد له إلا طريقا واحدا، فهو حديث أحاد. وإسناده لا يصح لأن من رجاله: خالد بن مخلد القطواني، قيل فيه: صدوق ،لا بأس به ، قال أحمد بن حنبل: له أحاديث مناكير. وقال ابن سعد: منكر الحديث مفرط التشيع. وذكره ابن عدي في الكامل فساق له

عشرة أحاديث منكرة. وقال الجوزجاني: كان شتاما معلنا بسوء مذهبه. وقال أبو حاتم :يكتب حديثه ولا يحتج به[1198]. فالرجل ضعيف ، وتشيعه المُفرط يمنعه من أن يكون موضوعيا، ومن الخطأ قبول حديثه .

والثاني: سليمان بن بلال التيمي مولاهم المدني أبو محمد، و أبو راتب(ت 177هـ) ، قيل فيه : ثقة، لا بأس به، ليس ممن يُعتمد على حديثه[1199].

والثالث: شريك بن عبد الله بن أبي نمر: صدوق، يُخطئ. قال ابن معين والنسائي: ليس بالقوي. وقال ابن معين في موضع آخر لا بأس به[1200] .فالرجل فيه ضعف، ومرتبته لا تجعله حجة.

والرابع: عطاء : اختلف فيه فقيل : هو ابن أبى رباح ، وقيل أنه عطاء به يسار. فإن كان الأول فهو:

عطاء بن أبي رباح القرشي المكي أبو محمد ، اسمه أسلم(27- 114هـ) ، قيل فيه : ثقة، كثير الإرسال ، يأخذ عن كل ضرب ، ومرسلاته من أضعف المرسلات[1201]، و كان يدلس، وقال أحمد بن حنبل: ((ورواية عطاء عن عائشة لا يحتج بها، إلا أن يقول: سمعت))[1202]. وقد حدث عن ابن عمر كثيرا ، وهو لم يسمع منه[1203].وبما أن الرجل ضعيف من جهة ضبطه، وهنا قد عنعن ، ومتن الخبر فيه ما يُنكر فالإسناد لا يصح من جهته .

وإن كان الثاني: عطاء بن يسار المدني الهلالي (ت 94هـ أو بعدها)، قيل فيه : ثقة، حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم كأبي الدرداء، وبعضهم لم يثبت سماعه منهم كابن مسعود[1204].وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن ، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته .

وعلق الذهبي على ذلك الحديث- حديث الولي- بقوله: ((فهذا حديث غريب جدا ، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد ،

[1198] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 97 .

[1199] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 304، ج 3 ص: 116 .

[1200] الذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 141 . وابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 416 .

[1201] المزي : تهذيب الكمال ، رقم : 3933، ج 20 ، ص: 83 .

[1202] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 5 ص: 46 .

[1203] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج 6 ص: 148 .و أبو داود: السنن ، رقم: 1132 ، ج 1 ص: 439 ، و رقم: 4902 ، ج 4 ص: 426 .

[1204] الذهبي: الميزان ، ج 2ص: 52. و العلائي: جامع التحصيل ، ص: 238. و ابن حجر: التقريب، ج 1ص: 676.

وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ ، ولم يُرو هذا المتن إلا بهذا الاسناد ، ولا خرجه ما عدا البخاري ، ولا أظنه في مسند أحمد))[1205].

واضح من كلام الذهبي أنه يتضمن القول بعدم بصحة الحديث إسنادا ولا متنا. إنه حكم عليه بعدم الصحة بطريقته الخاصة، بل إنه صرّح بذلك. علما بأنه لا عبرة لأقوال الرجال إذا كانت بلا أدلة صحيحة تُثبتها .

وأما متنا فالحديث فيه ما يُنكر، فمع أنه فرق بين الخالق والمخلوق إلا أنه يتضمن أيضا القول بجزء من الفناء الصوفي . ولهذا تشبث به الصوفية في قولهم بفناء الأفعال، الذي هو أول مرتبة من مراتب وحدة الوجود ، فيصبح الصوفي يستشعر أن أفعاله هي أفعال الله حسب زعمهم . فوجدوا في هذا الحديث مُتكأً لهم في قولهم بالفناء في أفعال الله، وفي الانتصار للتصوف والتستر بالإسلام . ولهذا فإن تضمن ذلك الحديث لجانب من الفناء الصوفي هو دليل قوي على عدم صحته.

ويُضعفه أيضا قوله: ((وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) [1206].فهذا كلام فيه ما يُنكر، لأن الموت هو من سنن الكون وقوانينه، التي لا تتبدل ولا تتحول لقوله تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)(الأنبياء: 35))، و((سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)(الفتح: 23)). وبما أن الأمر كذلك فلا يصح القول أن الله تعالى يتردد في قبض نفس المؤمن. فحديث الولي لا يصح إسنادا ، ومتنه فيه ما يُنكر، ويزيده ضعفا عدم صحة إسناده ، فهو حديث غير صحيح .

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن الوَلاية الصوفية ليست وَلاية شرعية، وما هي إلا غاية من غايات العبادة الصوفية. وهي من جهة أخرى أول مرتبة من مراتب الفناء الصوفي المعروف أيضا بوحدة الوجود.

رابعا: الفناء في الله (وحدة الوجود):

لم يُصرّح معظم الصوفية بحقيقة ومعنى قولهم الفناء في الله- وحدة الوجود-،فمارسوا الإشارة دون العبارة في مخاطبتهم للمسلمين . فعلوا ذلك تكتما وتسترا لكي لا ينكشف أمرهم أمام الناس. وهم مع ممارستهم للتقية في

[1205] الذهبي: الميزان ، ج 1 ص: 429 .

[1206] البخاري: الصحيح ، ج 8 ص: 105 .

معظـم أحـوالهم ، إلا إنهـم مارسـوها فـي قـولهم بوحـدة الوجـود أكثـر ممـا مارسوها في كتمان عقائدهم الأخرى . لذا فعلى القارئ أن يُركز جيدا لكـي يستطيع فهـم كلامهـم ، ومعرفـة طـرقهم وتلبيسـاتهم فـي التعبيـر عـن عقيـدة وحدة الوجود.

علما بأن الفنـاء فـي الله عنـد الصـوفية يمـر بمراحـل، وفيهـا تختفـي صـفات الصـوفي وتنمحـي وتضـمحل وتـزول تـدريجيا حتـى يفقـد إحساسـه بـالخلق وبنفسه. وهنا يكون قد فنى عن نفسه وعن الخلق وبقي بالحق- الله- ،أي فنى فيه حسب زعم الصوفية[1207]. وهنـا يصـل الصـوفي إلـى وحـدة الوجـود التـي تعني أنه لا موجود إلا الله ، وفيها يستشعر الصوفي أنه هو الله ، وأن الكـون كلـه هو الله ، وأن الله هو الكون. فلا موجود إلا واحد هو الله ، وغيـره مـن الكائنات أشباح وظلال له[1208].

وقد يُعبر الصوفية عن الفناء في الله- وحدة الوجود- بعبـارة الاتحـاد، ولا يقصـدون بـه امتـزاج كـائنيّن متميـزين، فهـذا عنـدهم مُحـال. ولهـذا عَرّفـوا الاتحاد بأنه ((شـهود الوجـود الحـق الواحـد المطلـق الـذي الكـل بـه موجـود بالحق؛ فيتحد به الكل من حيث كون كل شـيء موجـودا بـه، معـدوما بنفسـه، لا من حيث أن لـه وجـودا خاصـا اتحـد بـه فإنـه محـال))[1209]. فواضـح مـن تعـريفهم للإتحـاد أنهـم يقصـدون بـه الفنـاء فـي الله، الـذي يعنـي أيضـا وحـدة الوجود ، فلا موجود إلا الله حسب زعمهم !!!! .

وفـي ذلك يقول ابـن قـيم الجوزيـة: ((فـزعم أهـل الاتحـاد القـائلون بوحـدة الوجود أن الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوى فـلا يثبـت للسـوى وجـود ألبتة لا في الشهود ولا في العيان بل يتحقق بشهود وحدة الوجود فيعلم حينئذ أن وجـود جميـع الموجـودات هـو عـين وجـود الحـق فمـا ثـم وجـودان بـل الموجود واحد . وحقيقة الفناء عندهم أن يفنى عما لا حقيقـة لـه بـل هـو وهـم وخيال فيفنى عمـا هـو فـان فـي نفسـه لا وجـود لـه فيشـهد فنـاء وجـود كـل مـا سواه في وجوده وهذا تعبير محض، وإلا ففي الحقيقة ليس عند القوم سوى ولا غير وإنما السوي والغير في الوهم والخيال))[1210].

[1207] الرسالة القشيرية، ج 1 ص: 171.
[1208] الرسالة القشيرية، ج 1 ص: 171.
[1209] رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مكتبة لبنان، بيروت ، ص: 6 .
[1210] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 3 ص: 378.

ووصف الباحث محمود القاسم الفناء الصوفي بقوله : ((الخلاصة: الفناء هو الجذبة، أو ما يحصل أثناء الجذبة من غيبوبة عن الخلق، وهذا هو الفناء عن الخلق، أو ما يحصل من غيبوبة يتوهمونها أنها في الحق، ويسمونها: الفناء في الله، وهي شعور المجذوب بالألوهية))[1211].

وأما بالنسبة لأقوال شيوخ الصوفية التي تشهد على قولهم بوحدة والوجود واعتقادهم بها فهي كثيرة جدا، أذكر منها طائفة متنوعة في سبع مجموعات :

المجموعة الأولى : تتضمن أقوالا لجماعة من أوائل شيوخ الصوفية، أولها قول لسهل بن عبد الله التُستري مفاده: ((يا مسكين كان ولم تكن ،ويكون ولا تكون، فلما كنت اليوم صرت تقول: أنا وأنا ،كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان))[1212].

وقوله هذا تضمن أمرين أساسيين ، الأول: دعوة التستري إلى الفناء في الله ((كن الآن كما لم تكن)) لينمحي الصوفي ويزول ويستشعر الألوهية حسب زعم الصوفية. والأمر الثاني: تقرير عقيدة وحدة الوجود (كان ولم تكن ...وإنه اليوم كما كان). وخلاصة كلامه أنه لا موجود إلا الله ، والكون هو الله[1213].

والقول الثاني هو أيضا للتُستري: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول: سمعت ابن سالم يقول: سئل سهل بن عبد الله عن سر النفس فقال: للنفس سر ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون فقال:" أنا ربكم الأعلى" ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية فكلما يدفن العبد نفسه أرضا سما قلبه سماء فإذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب إلى العرش))[1214].

وأقول: واضح من كلامه أن سر النفس عنده هو أنها هي الرب، وما ظهر إلا على فرعون الذي صرّح بأنه الرب الأعلى . فحسب زعم التستري

[1211] محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ، ج 1 ص: 86 .

[1212] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 258 .

[1213] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 106.

[1214] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 10 ص: 208 .

أن حقيقة النفس أنها هي الله !!!!. وهذا قول يندرج ضمن القول بوحدة الوجود، ولهذا جعل التستري كلام فرعون سرا وأقره عليه ونوّه به.

علما بأن التستري قرر هنا موقف التصوف في قوله بوحدة الوجود، ولم يقرر الحكم الشرعي من قول فرعون وحقيقة النفس وسرها. ولهذا أقر قول فرعون وقرر ما يُخالف الشرع الذي ذم فرعون وحكم عليه بالكفر والضلال والهلاك من جهة، وبيّن لنا أصل النفس البشرية وسرها ووظيفتها من جهة أخرى. قال تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 172))، و((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الروم: 30))، وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء))[1215]. فهذا هو أصل النفس البشرية وسرها ، ثم بعد ذلك جعل الله تعالى فيها اتجاهين : الخير ، والشر ، وأعطاها حرية التصرف ، وكلفها بحمل الأمانة. قال سبحانه : ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7- 10))، و ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)(البلد : 10)) ، و ((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (الليل: 5- 10)). فإن اتبعت طريق الخير فازت وسعدت في الدنيا والآخرى ، وإن اتبعت طريق الشر كان مصيرها الجحيم حتى وإن تمتعت بالدنيا. فسر النفس ليس أنها هي الله كما زعم التستري، وإنما سرها كما أخبرنا به الشرع . لكن الرجل شهد على نفسه وتصوفه بأنه يعتقد بأن سر النفس أنها هي الله ، وهذا يندرج ضمن وحدة الوجود .

والقول الثالث لأبي عبد الله يحيى بن الجلاء (ت 306 هـ) :((من حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله، فهو مُوحِّد لا يرى إلا وَاحداً))[1216].

[1215] البخاري: الصحيح، ج 2 ص: 100 ، رقم: 1385 .

[1216] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 84.

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، ويتضمن القول بوحدة الوجود، وفيه افتراء على الشرع والعقل والعلم. لأنه أولا إن العابد في دين الإسلام ليس هو فقط من حافظ على الفرائض في أول مواقيتها، وإنما هو الذي يلتزم بالشرع في كل أحواله بصدق وإخلاص قلبا وقالبا.

وثانيا إن الرجل قرر عقيدة وحدة الوجود – الفناء الصوفي- ، لأن من يعتقد بأن الأفعال الطبيعية والبشرية هي من أفعال الله فهذا يعني أنها ليست من أفعال المخلوقات ، وإنما هي من أفعال الخالق. وبما أن الأمر كذلك فكل ما يحدث ونراه في الطبيعة من كائنات هي نفسها الله بحكم أنها أفعاله. لأن الأفعال مرتبطة بصاحبها ولا تنفصل عنه، وإنما مفعولاته هي التي تنفصل عنه. وبما أن الرجل قرر أن كل ما في الطبيعة من كائنات هي من أفعال الله، فهي نفسها الله وليست من مفعولاته ومخلوقاته . والرجل أكد ما قررناه عندما قال: ((فهو مُوحِّد لا يرى إلا وَاحداً))[1217]. فلا موجود إلا الله ، ولا وجود لكائن آخر معه. وهذه هي عقيدة الفناء الصوفية التي ينمحي فيها الصوفي وينفصل عن الكون ونفسه ليصبح يستشعر أنه هو الله !!!!.

وثالثا إن الرجل بنى قوله بوحدة الوجود على مبدأ غير صحيح، ومخالف للشرع والعقل والعلم، عندما جعل الأفعال كلها من الله. لأن الأمر الثابت قطعا والذي لا يصح الشك فيه ، هو أن الكائنات منها الخالق، والباقي مخلوقات ولا ثالث لها، والأفعال الموجودة في الكون منها ما هو من نتائج وآثار أفعال الله تعالى ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82))، كخلقه للكون وما فيه من مخلوقات. ومنها ما هي من أفعال الله كمخاطبته لأنبيائه وكتبه المُنزلة عليهم. ومنها ما هي من أفعال البشر وآثارها في الأرض وعلى الطبيعة. وعليه فلا يصح جعل أفعالنا وآثارها من أفعال الله ، ومن يلحقها بها فهو إما جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه مريض رُفع عنه القلم ، وإما أنه صاحب هوى مُغالط سفسطائي قال بذلك لغايات في نفسه.

وبناء على ذلك فلا يُمكن أن تكون الأفعال كلها من الخالق، لأن الله تعالى خلقنا وجعل فينا القدرة على الفعل، وهدانا النجدين ، ثم كلفنا بعبادته . وعليه فنحن من مخلوقاته ومفعولاته ، ولسيت أعمالنا وافعالنا من أفعاله وإنما هي منا نحن ،ولهذا قال سبحانه: ((وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(الأعراف: 43))، و((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ

[1217] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 84.

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة : 105))، و((الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(غافر: 17))، و ((وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)(النجم: 39)))، و((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (الليل: 5- 10)).

علما بأن دخول أفعال البشر وكل ما يحدث في الكون في علم الله تعالى وقدرته وقضائه ومشيئته لا دخل له أبدا في نفي حقيقة أن أعمال البشر هي من أفعالهم لا من أفعال الله تعالى. لأن سبق العلم بها ، لا ينفي صدورها عن الناس ومسؤوليتهم عنها[1218].

وحتى عندما يكون العابد المُلتزم بالشرع في حالة وجد وخشوع وعاطفة إيمانية عالية فإن هذه الحالة لا تنفي أفعاله ولا تجعله يفقد التمييز بينه وبين خالقه، بدليل الصفات الإيمانية التي وصف بها الله تعالى عباده المؤمنين، وبما كان عليه نبينا –عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام من إيمان وثبات ، وصدق وإخلاص، وجمع بين أعمال القلوب والجوارح. لكن قد يحدث خلاف ما ذكرناه عندما تكون العبادة مبنية على الأهواء والوساوس والتلبيسات الشيطانية، وحالات التوهم والهلوسة بسبب انحراف العابد عن الشرع ، ولِمَا هو فيه من شدة الجوع والنعاس . وفي هذه الحالة يُلبّس عليه الشيطان أحواله ويجعله يتوهم أمورا لا حقيقة لها ، كأن يجعله يحس بأنه هو الله . ومع هذا ، فإنه عندما يفيق سيعود إلى وعيه ويدرك يقينا أنه كان مخطئا مريضا مُلبسا عليه.

والقول الرابع هو أيضا لأبي عبد الله يحيى بن الجلاء (ت 306 هـ)، قال القشيري : ((سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سئل ابن الجلاء: ما معنى قولهم صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى صوفيّاً))[1219].

وقوله يتضمن القول بوحدة الوجود ، وأن القول بها غاية الصوفي النهائية .والرجل عبّر عنها بالإشارة لا بالعبارة حسب مصطلح الصوفية.

[1218] للتوسع في هذا الموضوع أنظر كتابنا جناية المعتزلة على العقل والشرع .

[1219] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 444.

لأن من ليس له أفعال ولا مكان يعني أنه قد انمحى من الوجود وزالت صفاته وذاته، وأصبح معدوما ككائن مُستقل بذاته ، وفنى في الله في علاقته به. فيصبح الصوفي هو الله ، والله هو الصوفي، وهذا قول بوحدة الوجود.لأن الصوفي في هذه الحالة يشعر بداخله أنه هو الله، وأن كل مظاهر الطبيعة هي مجرد أشباح له. فالله هو الكون، والكون هو الله، فلا موجود إلا هو حسب زعم الصوفية.

والقول الخامس لأبي إسحاق إبراهيم بن المولد الرقي (ق: 3 هـ)، كان يقول: ((ثمن التصوف الفناء فيه فإذا فنى فيه بقى بقاء الأبد لأن الفاني عن محبوبه باق بمشاهدة المطلوب وذلك بقاء الأبد)) [1220].

وقوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود ،وهو شاهد على أن غاية التصوف هي تحقق الصوفي بذلك .ومعنى كلامه أن الصوفي عندما ينمحي ويزول بأفعاله وصفاته وذاته ينقله فناؤه إلى البقاء الأبدي، وفيه يكتشف أنه هو الله حسب زعم الرجل .

والقول السادس ليزيد بن هارون الواسطي (ت 286 هـ) : ((لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه))[1221]. فشرحه القشيري بقوله: " أراد الواسطي بهذا أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه؛ لأنهما من صفاته، والعارف محو في معرفة، فكيف يصح له ذلك؟"[1222].

وأقول: إن القشيري شرح قول الواسطي بشيء من الوضوح ، ومعنى كلامه أن الافتقار والاستغناء بالله يعني الاثنينية، أي أن الصوفي ما زال يفرق بينه وبين الله، وبين الله ومخلوقاته. فهو مايزال صحوا لم تتلاش ولا انمحت صفاته وذاته البشرية . وعندما ينمحي ويزول منه ذلك يصل إلى المعرفة التي تجعله يعرف ويكتشف أنه هو الله حسب زعمه. فلا يُمكن- حسب الواسطي والقشيري- أن يصل الصوفي إلى مرتبة استشعار وحدة الوجود ما دام يفرق بين ذاته وخالقه.

[1220] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 364 .
[1221] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 141 .
[1222] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 141 .

ومن جهة أخرى فإن ما قاله الواسطي والقشيري هو شاهد بنفسه على أنهما على طريقة العبادة الصوفية لا الشرعية، وأنهما قد خالفا دين الإسلام مخالفة صريحة، بل هدماه عندما حثا على عدم الاستغناء بالله والافتقار إليه، وقررا عقيد وحدة الوجود التي هي هدم للدين والعقل والعلم. قال تعالى: ((وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)(محمد: 38)). وهذه الآية وحدها تهدم كل ما قاله الصوفية عن وحدة الوجود .

والقول السابع هو أيضا للواسطي، مفاده: ((إذا ظهر الحق على السرائر، لا يبقي فيها فضلة لرجاء ولا لخوف)) . وسبب ذلك عند القشيري هو أنه إذا ((اصطلت شواهد الحق تعالى الأسرار ملكتها، فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية))[1223].

وأقول: كلام الرجلين يحمل معنى واحدا هو القول بخرافة وكفرية وحدة الوجود . فالأول زعم أنه إذا ظهر الله على سرائر الصوفي وباطنه- بعد فنائه فيه- ارتفع إحساسه بصفات البشرية كالخوف والرجاء، وأصبح يستشعر الألوهية. والقشيري كرر نفس المعنى بكلام ملغز مقصود ، مفاده أن الصوفي إذا تجلت عليه شواهد وصفات الألوهية انمحت صفاته الحادثة كالخوف والرجاء ،وهما من صفات الإنسان قبل إحساسه بالألوهية حسب زعمه. وهذا دليل دامغ على فساد العبادة الصوفية أصلا وفرعا وغاية . لأن العبادة الشرعية تُعبّد العباد لرب العباد، لكن العبادة الصوفية تُخرجهم من عبادة رب العباد إلى الكفر به وتحويلهم إلى أرباب وآلهة !! .

والقول الثامن للحسين بن منصور الحلاج (ت 309 هـ)، قال عن خرافة وحدة الوجود :

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني
توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[1224].

وقال أيضا :

سبحان من أظهر ناسوته *** سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ** في صورة الآكل والشارب[1225]

[1223] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155 .
[1224] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .
[1225] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .

وأقول: أولا يجب أن نعرف أن الحلاج لا يختلف عن غيره من الصوفية في قولهم بوحدة الوجود- الفناء في الله- فهو منهم وهم منه ، لكنه خالف معظمهم في أنه عبّر عن كفرية وحدة الوجود بالعبارة لا بالإشارة. فأعلن صراحة قوله بها، وهم لم يفعلوا ذلك وعبروا عنها بالتلغيز والتمويه والإشارة والتلبيس . وعندما أظهر الحلاج حقيقة الصوفية في قولهم بوحدة الوجود أنكروا عليه فعله ، ليس إنكارا لوحدة الوجود ، وإنما أنكروا عليه إظهاره لحقيقة قولهم وكشفه لهم. منهم أبو القاسم الجنيد الذي قال: ((لقد فضحنا الحلاج))[1226].

وهم يُعظمون الحلاج لكن كثيرا منهم لا يُظهر ذلك تقية وتسترا وتلبيسا على المسلمين . وقد يذكرون أقواله دون نسبته إليه . فمن ذلك مثلا أن الكلاباذي استدل على كفرية وحدة الوجود عند الصوفية بحديث قدسي وفسره بقول للحلاج دون ذكر لاسمه بقوله: ((في قوله تعالى: " الصوم لي وأنا أجزى به" . قال بعض الكبار: "أي أنا الجزاء به "))[1227]. وهذا أحد الكبار هو الحلاج[1228].

علما بأن تفسير الحلاج لذلك الحديث ظاهر البطلان، لأن الحديث أكد على التفريق بين الخالق والمخلوق ، وهذا هدم لعقيدة وحدة الوجود. وقول الحلاج شاهد على ممارسته للتأويل التحريفي ليتفق الحديث مع قوله بضلالة وحدة الوجود .

ومن جهة أخرى فإن الحلاج لم يقل بالحلول الذي يعني حلول ذات في ذات، ولا بالاتحاد الذي يعني امتزاج ذات في ذات ؛ وإنما قال بوحدة الوجود التي تعني أن الكون هو الله، والله هو الكون، فلا موجود إلا الله .

وثانيا إن الحلاج بيّن بوضوح عقيدته في وحدة الوجود بقوله:

سبحان من أظهر ناسوته *** سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ** في صورة الآكل والشارب[1229].

[1226] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 215 .

[1227] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 143 . وعبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص: 56 .

[1228] عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص: 66 .

[1229] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .

فالله حسب زعم الحلاج ظاهر بذاته في كل مكان بأشكال مُتعددة ومتنوعة، فكل ما يظهر في الطبيعة من كائنات هي رسوم وأشباح وظلال لا وجود حقيقي لها، وإنما هي تجليات للذات الإلهية .

ونفس الأمر قرره بقوله:

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني

توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[1230].

فالرجل يقول بوحدة الوجود لا بالحلول ولا بالاتحاد غير الصوفي، فذكر عن نفسه أنه هو الله، والله هو الحلاج، وكل ما في الكون هو الله كما في البيت الأخير . لكنه عبّر عن وحدة الوجود عن طريق التعبير بالجزء عن الكل ، وهو نفسه التعبير بالكل عن الجزء، لأن الكل يُعبر عن وحدة الوجود، والجزء يُعبر عنها أيضا بحكم أن مظاهرها في الواقع هي أجزاء لا مجموع واحد . قال تعالى: ((وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ)(الزخرف: 15)). وهذه الآية الكريمة تتضمن الإشارة إلى وحدة الوجود الكلية والجزئية، وقد كَفّر الله تعالى من يقول بها.

والقول التاسع هو ايضا للحسين الحلاج ، روي أن أحدا قال له :" كيف الطريق إلى الله تعالى؟ .قال :الطريق بين اثنين وليس مع الله أحد .فقلت : بيّن .قال:من لم يقف على إشاراتنا لم ترشده عباراتنا .ثم قال:

أأنت أم أنا هذا في إلهيينِ ** حاشاك حاشاك من إثباتِ إثنينِ[1231].

فالرجل نفى الاثنينية، بمعنى التفريق بين الخالق والمخلوق، وأثبت وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية ويُعبرون عنها غالبا بإشاراتهم لا بعباراتهم. فالحلاج نص صراحة بأنه لا موجود إلا الله بقوله: ((ليس مع الله أحد))، و((حاشاك حاشاك من إثباتِ إثنينِ))[1232].

والقول العاشر لأبي العباس بن عطاء البغدادي، مفاده : ((قيل لابن عطاء: ما يفعل الذِكر بالسرائر؟ فقال: ذِكر الله تعالى إذا ورد على السرائر بإشراقه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها))[1233].

[1230] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .

[1231] ابن الساعي: أخبار الحلاج ، ص: 15 .

[1232] ابن الساعي: أخبار الحلاج ، ص: 15 .

[1233] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 290 .

وقوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، لأن معنى كلامه أن الذكر الصوفي يُوصل صاحبه إلى الفناء في الله ، فيُزيل بشريته ويفنيها لتحل الألوهية محلها حسب زعمه.

فالذِكر الصوفي طريق موصل إلى كفرية وحدة الوجود، مما يعني أنه ذِكر مخالف للذكر في الإسلام مخالفة صريحة، ولهذا كانت نتيجته القول بضلالة وحدة الوجود . لكن الذكر الشرعي هو عبادة شرعية وغايته طاعة الله تعالى وتنوير القلوب، فهو لا يمحي البشرية وإنما يُنورها ويربطها بخالقها في تعاملها مع الناس . فهو ليس وسيلة إلى الضلال والكفر وهدم دين الإسلام كما هو حال الذكر الصوفي . قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد: 28)) .

والقول الحادي عشر لذي النون المصري، سُئل عن نهاية العارف فقال: ((إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون))[1234].

وقوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود ، ومفاده أن الصوفي بعدما يُمارس عبادات الطريق الصوفي ويصل إلى نهايته ويصبح عارفا كاملا ، يكون قد بلغ درجة الفناء في الله، وفيها يفنى ويزول وينمحي تماما بصفاته وذاته ، كما كان قبل أن يُوجد . وبمعنى آخر فقبل وجوده لم يكن موجودا، وعندما وُجد مارس الطريق الصوفي حتى فنى في الله وزالت ذاته ، فأصبح غير موجود كما لم يكن موجودا من قبل ،لأن ذاته فنيت في الله، وأصبح هو الله ، وعادت ذاته إلى أصلها الأول حسب زعم الصوفية. لأنهم يزعمون أن ما نراه من كائنات في الطبيعة ليس لها وجود حقيقي، وما هي إلا صور وأشباح للذات الإلهية. كقول الحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته *** سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ** في صورة الآكل والشارب[1235].

والقول الثاني عشر لذي النون أيضا ،قيل له :((بم عرفت ربك ؟، قال: عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي))[1236].

1234 الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 137 .
1235 ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .
1236 القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 142 .

وأقول: كلامه هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، ومعناه أنه عندما مارس الطريق الصوفي وبلغ إلى الفناء في الله ، زالت وانمحت أوصافه وذاته في الله، حتى أصبح هو الله فعرف الله بالله حسب زعمه.

ذلك هو المعنى الذي قصده الرجل ، لأن الحالة التي تكلم عنها لا تحدث للصوفية إلا بالفناء الصوفي حسب وصفهم لأحوالهم وتلبيسات الشياطين عليهم . علما بأن المعرفة الصحيحة بالله تعالى لا تتم بالطريق الصوفي، وإنما تتم بالوحي الصحيح، والعقل الصريح- الفطرة والبديهة- ، والعلم الصحيح. ونتعرّف عليه سبحانه ونتقرب إليه، ونتذوق لذة الإيمان به باتباع دينه ، والتأمل في كتابه ومخلوقاته، واكتشاف سنن كونه وتسخيرها لخير بني آدم . وبمعنى آخر إننا نعرف الله بوحيه ومخلوقاته، ولا نعرف الله بالله مباشرة كما زعم ذو النون المصري، فهذا مستحيل الحدوث. والرجل قال بذلك بدعوى الفناء في الله- وحدة الوجود- ، وهذا زعم باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم كما سنبينه لاحقا .

والقول الثالث عشر لأبي سعيد الخراز البغدادي (ت 277 هـ)، شرح معنى الجمع عند الصوفية بقوله: ((معنى الجمع: أنه أوجدهم نفسَه في أنفسهم، بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له))[1237]. ثم شرح الكلاباذي كلامه بقوله : ((معناه قوله: كنتُ له سمعا وبصرا ويدا فبي يسمع وبي يبصر الخبر. وذلك أنهم كانوا يتصرفون بأنفسهم لا لأنفسهم فصاروا متصرفين للحق بالحق))[1238].

وأقول: واضح من كلام الخراز أنه يتكلم عن معنى الجمع عند الصوفية وليس عن معنى الفرق عندهم ، فبين أن الجمع عندهم يعني القول بوحدة الوجود . لأنه صرّح بأن الصوفي في حالة الجمع ينعدم وينمحي تماما بذاته وصفاته ، فيجد نفسه هي الله ، لأن الله أوجد نفسه فيهم. وهذا قول صريح بوحدة الوجود . لكن الكلاباذي عندما رأى كلام الخراز واضحا في قوله بوحدة الوجود حرّفه وأخرجه من سياقه وفسّره بحديث الولي الذي يختفي من ورائه الصوفية ويُفسرونه على مقاسهم وطريقتهم. وهذا الحديث سبق أن بينا أنه غير صحيح، وعلى فرض صحته فهو مناقض لقول الخراز، لأنه يقوم على التفريق بين الخالق والمخلوق وليس على الجمع بينهما

[1237] الكلاباذي : التعرف ، ص: 121 .
[1238] الكلاباذي : التعرف ، ص: 121 .

حسب عقيدة وحدة الوجود. فتفسيره لقول الخراز غير صحيح ويندرج ضمن ممارسة الصوفية للتلبيس والتغليط لإخفاء حقيقتهم عن المسلمين.

والقول الرابع عشر لأبي سعيد الخراز البغدادي (ت 277 هـ)، عرّف الفناء بقوله : ((الفناء هو التلاشي بالحق))[1239]. بمعنى أن الصوفي يزول ويفنى بالله ليصبح هو الله . فالفناء عنده يعني وحدة الوجود.

والقول الخامس عشر هو أيضا للخراز ، مفاده : ((إذا أراد الله عز وجل أن يوالي عبداً من عبيده فتح له باب ذكره فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب فأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ، صار العبد فانياً فوقع في حفظ الله وبرئ من دعاوى نفسه))[1240].

وأقول: خلاصة كلامه أنه يتضمن القول بوحدة الوجود، فحسب كلامه أن الصوفي الذي يُمارس العبادات الصوفية يصل في النهاية إلى حالة الفناء وفيها تنمحي وتزول نفسه فيبقى " بلا هو "، وهنا يرى ويستشعر الفردانية، بمعنى أنه أصبح لا يُفرق بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والله، وإنما أصبح يتذوق الفردانية التي تعني الجمع لا الفرق، فيصبح هو الله حسب زعم الصوفية . فلا وجود إلا لفرد واحد ، ولا موجود إلا الله.

والقول السادس عشر للصوفي أبي عبد الله الكوفي المعروف بشكثل ، كان لا يكلم الناس و((يأوي إلى الخرابات في سواد الكوفة. وكان لا يأكل إلا المباح والقمامات))، فقال له أحد الصوفية يوما : ((سألتك بالله إلا أخبرتني ما الذي منعك عن الكلام .فقال: يا هذا الكون توهم في الحقيقة ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له، والحق تقصر عنه الأقوال دونه فما ،وجه الكلام وتركني ومر))[1241].

وأقول: هذا الرجل بسبب ممارسته لعبادات الطريق الصوفي-المخالف للعبادة الشرعية- ، بلغ درجة الغيبة عن الخلق ، فأصبح لا يرى للكون بكائناته وجودا حقيقيا له ، وإنما هو أشباح وتوهمات وخيالات ، ومن هذا

[1239] الشهاب السهروردي: عوارف المعارف، ج 2 ، ص: 312 .
[1240] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 134-135. والقشيري: الرسالة القشيرية، ص: 118 .
[1241] الكلاباذي: التعرف لمذهب التصوف ، ص: 148 .

حاله فلا يصح الكلام معه . فالرجل لم يكن يرى للناس وجودا حقيقيا، ولهذا لم يُكلمهم ، وإنما الوجود الحقيقي الوحيد هو لله – الحق كما سماه الرجل. فكل ما في الكون أشباح ومظاهر للحق، فهي الله ، وهو هي . وهذا قول بوحدة الوجود .

والقول السابع عشر لأبي يعقوب المزابلي(ق: 3 هـ)، عرّف حقيقة التصوف ونهايته بأنه : ((حال تضمحل فيها معالم الإنسانية)) [1242].
ومعنى كلامه أن الصوفي تزول وتفنى بشريته بممارسته للعبادات الصوفية ، فيصبح يستشعر الألوهية بعدما تخلص من بشريته. وبمعنى آخر يصبح هو الله ، وهذا قول بوحدة الوجود ، وكُفر بالشرع والعقل والعلم.

والقول الثامن عشر لعلي بن بندار الصيرفي النيسابوري(ت 359 هـ)، عرّف حقيقة التصوف بأنه ((إسقاط رؤية الخلق، ظاهراً وباطناً))[1243].
وقوله هذا يُشبه قول الصوفي أبي عبد الله شكثل ، فعندما يصل الصوفي- بعد ممارساته للعبادات الصوفية- إلى غاية التصوف يغيب ويفنى عن رؤية نفسه وغيره من الكائنات التي هي مجرد أشباح للحق. وهنا يستشعر الألوهية حسب زعم الصوفية.

والقول التاسع عشر لمحمد النفري (ت 354 هـ) ، زعم أن الله أوقفه في الأدب وقال له : ((طلبك مني وأنت لا تراني عبادة، وطلبك مني وأنت تراني استهزاء))[1244].
وقوله هذا يرسم بعض معالم الطريق الصوفي، ويتضمن القول بوحدة الوجود ، فحسب زعمه أنه عندما كان ما يزال بشرا أثناء ممارسته للعبادات الصوفية كان طلبه من الله عبادة، لكنه بعدما بلغ غاية التصوف وتخلّص من بشريته وبلغ مقام المشاهدة وأصبح ربا فلا يصح له أن يطلب منه شيئا ،ولا أن يكون عابدا له لأنه في هذه الحالة يكون يستهزئ به . لأن الله لا يطلب من نفسه ، والطلب في هذه الحالة استهزاء.

ولاشك أن ما قاله النفري كلام باطل، وافتراء على الله ورسوله، وعلى العقل والعلم والناس . وذلك الموقف الذي حكاه هو أوهام وخيالات وهلوسات وتلبيسات نفسية وشيطانية. لأن الإنسان لن يصبح ربا ، ولا

1242 القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 128 .

1243 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 129 .

1244 محمد النفري : المواقف والمخاطبات في التصوف ، ص: 5 .

يستغني عن دعاء خالقه ، والله تعالى أمرنا بدعائه في كل أحوالنا. وقد كان الأنبياء- وهم أفضل البشر- ومعهم المؤمنون يدعون الله تعالى خوفا وطمعا في كل أحوالهم ، ولم يأمرهم الله تعالى بعدم دعائه بدعوى أنهم بلغوا أعلى درجات الإيمان والعلم به. بل العكس ، فإنه مدحهم وأثنى عليهم بدعائهم له ، بقوله سبحانه : ((فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء: 90))، و((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(السجدة : 16)) .

والقول العشرون لعبد الرحمن الفارسي ، سُئل عن كمال المعرفة فقال: ((إذا اجتمعت المتفرقات، واستوت الأحوال والأماكن ، وسقطت رؤية التمييز))[1245].

وقوله هذا يكاد يكون صريحا في القول بوحدة الوجود ، ومفاده أن الصوفي عندما تكتمل معرفته الصوفية تنمحي وتزول ذاته ، ويغيب عن رؤية الخلق، ويسقط التمييز بين مظاهر الكائنات . فكل ما كان يراه من موجودات مُتفرقة ومُتباينة أصبح يراها كلها مجتمعة تمثل أمر واحدا هو الله . وهنا يكون الصوفي قد انتقل من مقام الفرق إلى مقام الجمع حسب زعم الصوفية. وفيه انمحت الفوارق الزمانية والمكانية، وزال التمييز بين الخالق والمخلوق، وأصبح الكل هو الله ، والله هو الكل حسب خرافة وحدة الوجود ، التي هي غاية العبادة الصوفية.

والقول الواحد والعشرون للمؤرخ الصوفي السراج الطوسي(ت 378هـ)، ذكر فيه أهم صفات التصوف وأهله، فقال : ((وللصوفية أيضا مُستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب، وخبايا السر ومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المُحدث إذا قورن بالقديم ... وجمع المتفرقات ... والهجوم على سلوك سبل منطمسة ، وعبور مفاوز مهلكة))[1246].

[1245] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 62 .
[1246] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .

وأقول: أولا إن الرجل اعترف أن الصوفية أخفوا أسرار العبادة الصوفية بإشاراتهم الملغزة ومصطلحاتهم المُبهمة؛ أخفوها عن المسلمين لكي لا يكتشفوا مخالفة التصوف وأهله لدين الإسلام .

وثانيا إن السراج الطوسي اعترف أن من غايات التصوف بلوغ الصوفي إلى مقام وحدة الوجود ، بقوله : ((ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المُحدث إذا قورن بالقديم ... وجمع المتفرقات)) . ومعنى كلامه أن الصوفي يصل مرتبة ينمحي فيها ككائن مُحدث بالأزل والقِدم ، أي يزول ويفنى بالله وفي الله ، فيصبح هو الله حسب زعمه .

وأما قوله: ((وجمع المتفرقات)) فيعني أن الصوفي يخرج من حال الفرق بين العابد والمعبود، وبين الله والكائنات ليصل إلى حال الجمع بين الله ومخلوقاته. وهنا تجتمع عند الصوفي المتفرقات، ويصبح الكون مجموعا في الله، فالله هو عين الكون ، والكون هو عين الله. وهذا هو الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود التي يُدند حولها الصوفية.

والقول الثاني والعشرون للسراج الطوسي ، مفاده أن من غايات التصوف حالة يصل إليها الصوفي تسمى التفريد، وهو: ((إفراد المفرد برفع الحدث وإفراد القِدم بوجود حقائق الفردانية))[1247].

وقوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، ومعناه أن الصوفي يصل إلى حالة ينمحي فيها المخلوق، ويزول فيها إحساسه بالحوادث، فيرتفع الحدث، ويُفرد فيها الله بالبقاء . وهنا يستشعر الصوفي مظاهر الفردانية لإفراده الله بالوجود والقِدَم ، دون غيره من الكائنات التي هي مجرد أشباح لا وجود حقيقي لها حسب خرافة وحدة الوجود .

والقول الأخير- الثالث والعشرون من المجموعة الأولى- هو أيضا للسراج الطوسي ، عرّف فيه معنى الرسم بقوله : ((و" الرسم" ما رُسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق ، فيمتحي باظهار سلطان الحق عليه))[1248] .

[1247] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 425 .
[1248] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 427 .

ومعنى قوله أن ما نراه من كائنات هو مجرد رسوم وأشكال تظهر لنا كصفات لما نراه من الخلق؛ لكنها في الحقيقة هي رسوم وهمية لا حقيقة لها في الوجود. ولهذا فهي تزول وتختفي عند الصوفي الذي وصل إلى حال الفناء في الله . وهنا تزول تلك الرسوم منها الصوفي ذاته، ليجد نفسه أنه هو الله ، ويكتشف أن الكون كله هو الله حسب زعم السراج الطوسي.

وأما المجموعة الثانية فتتضمن أقوالا لأبي القاسم الجنيد شيخ الطائفة الصوفية قال فيها بوحدة الوجود بطريقة إشارية خفية دون التصريح بها. أولها ، ((سُئل الجنيد عن رجل غاب اسمه ،وذهب وصفه وامتحى رسومه فلا رسم له . قال: نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه ولنفسه في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله: امتحى رسومه، بمعنى علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه . قال القائل : برسوم دارسات وطَلَل))[1249].

وقوله هذا يحمل القول بوحدة الوجود، ومعناه نفس معنى كلام السراج السابق . ومفاده أن الصوفي الذي زالت رسومه وصفاته البشرية بممارسته للطريق الصوفي يكون قد وصل إلى حالة الفناء في الله، وفيها يستشعر الألوهية بقيام الله- الحق- له بنفسه ولنفسه، فيجد نفسه أنه هو الله حسب زعم الجنيد وأصحابه .

وقوله الثاني مؤداه أن الجنيد أرسل رسالة إلى أحد أصحابه من الصوفية، فكان مما قال له فيها : ((أماتك الله عنك، وأحياك به، وأيدك بالفهم، وفرغ قلبك من كل وهم، وأفناك بالقرب عن المسافة، وبالأنس عن الوحشة))[1250].

وقوله هذا تضمن الدعاء لصاحبه بأن يصبح ربا ويشهد وحدة الوجود، بأن يفنيه الله ويُميته ويُزيل عنه رسومه وصفاته البشرية، وهذا معنى قوله" أماتك الله عنك ". ثم دعا له بأن يُحييه بعدما أماته فيجعله يستشعر الألوهية بأنه هو الله ، وهذا معنى قوله: " وأحياك به "!!!! .

ونفس ذلك القول رُوي عن الجنيد أنه عرّف به التصوف بقوله: ((إن التصوف هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به))[1251]. ومعنى كلامه أن غاية التصوف هي أنها تنقل الصوفي من الفرق إلى الجمع ، ومن البشرية

[1249] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 427 .
[1250] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 315 .
[1251] القشيري: الرسالة، ص: 127 .

إلى الربوبية والألوهية ، ومن الاعتقاد بتعدد الوجود- الخالق والمخلوق- إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود- لا موجود إلا الله- !!!! .

والقول الثالث- من المجموعة الثانية- مفاده أن الجنيد كتب رسالة إلى أحد الصوفية، مطلعها : ((هنأك الله كرامته، فأنت غيث لأهل مودته ... ومنتسب إلى وحدانيته ، ومُخبر عنه به ، ومن اصطنعه لنفسه في قديم أزليته ، وأطلعه على مكنون سره ...))[1252].

وأقول: كلامه هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، فقوله " منتسب إلى وحدنيته" هو تعبير مشبوه ولا يصح استخدامه شرعا ، وإنما هو تعبير صوفي يندرج ضمن قول الصوفية بأن كل الكائنات التي نراها ومنها الإنسان ليس لها وجود حقيقي، وإنما هي أشباح ورسوم دالة على الله وتجليات وامتداد له. فذلك الصوفي وغيره من الكائنات كلها تنتسب إلى وحدانية الله بحكم أنها تجليالت له حسب زعم الصوفية . ولا شك أن قوله هذا باطل قطعا، لأن الحقيقة هي أن الإنسان لا ينتسب إلى الوحدانية، وإنما هو من مخلوقات الله ونحن عبيده ولسنا أشباحا له .

وأما قوله " مخبر عنه به "، فهو يصف حالة الفناء النهائية التي يصل إليها الصوفي، فعندما يتخلص من رسومه وصفاته البشرية يستشعر الألوهية ويصبح إلهاً . وهنا يُخبر عن الله به، بمعنى آخر أنه يُخبر عن الله بالله ، ويتحدث عن الله بالله . وهذا يعني أنه هو الله ، والله هو الصوفي أيضا . فالرجل لغز كلامه وضمنه القول بخرافة وحدة الوجود.

والقول الرابع من أقوال الجنيد مضمونه : ((قيل للجنيد: قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيتُه فأذكره!! وقال:

حاضر في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتمدي ... ونصيبي منه أوفر)) [1253].

وأقول: كلامه هذا يتضمن قول الجنيد بوحدة الوجود ، بدليل الشاهدين الآتيين: الأول إنه رفض قول كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، مع أن الشرع أمرنا بقولها والتعبد بها. ورفضه هذا سببه أن كلمة التوحيد الشرعية تخالف كلمة التوحيد الصوفية، وهي: لا موجود إلا الله . والفرق بين التوحيدين

[1252] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 316 .
[1253] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 139 .

كبير ومتناقض أيضا. لأن كلمة التوحيد الإسلامية نفت وجود إله مع الله، لكنها لم تنف وجود مخلوقاته معه . لكن كلمة التوحيد الصوفية نفت وجود أي كائن آخر مع الله، لا إله ولا مخلوقات معه . ولهذا رفض الجنيد قول كلمة التوحيد الإسلامية لأنها مخالفة لكلمة التوحيد الصوفية التي كان يُؤمن بها.

والشاهد الثاني مفاده أن امتناع الجنيد من قول كلمة التوحيد الإسلامية بدعوى أنه ما نسي الله حتى يذكره، بل وقال :" لست أنساه فأذكره ". هو دليل قوي على أنه كان يعتقد بوحدة الوجود، لأن الذي لا ينسى هو الله تعالى ((قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)(طه: 52))،و((وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً)(مريم: 64))، وأما بني آدم فمن طبيعتهم النسيان. قال تعالى لنبيه : ((وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً)(الكهف: 24)). وبما أن الجنيد أكد أنه لا ينسى الله ، لذا لا يذكره، فهذا يعني أنه كان يعتقد أنه هو الله حسب خرافة وحدة الوجود. لأن الذي يعتقد أنه هو الله ليس في حاجة إلى ذكر الله ، ولا ينساه أيضا، لأنه هو الله حسب زعم الصوفية !!!! .

وقوله الخامس عرّف به الجنيد التصوف بقوله: ((إنما هذا الاسم - يعني التصوفَ - نَعْت أقيم العبدُ فيه". فقيل له : " يا سيدي نَعْت للعبد؟ أم نَعْت للحق؟. فقال: نعت للحق حقيقةً، و نعت للعبد رَسْمًا "))[1254].

وقوله هذا صريح في قوله بوحدة الوجود، ومعناه أن الصوفي – بعد ممارسته للعبادات الصوفية- يصل إلى صفة- حالة- يكون فيها هو الحق- الله - حقيقة ، ويكون عبدا رسما وشكلا فقط لا حقيقة، وإنما هو شبح دال على الله ومن تجلياته .

والقول السادس يتعلق بتفسير الجنيد لقول حكاه الصوفي أبي يزيد البسطامي عن شطحاته وأوهامه مع الله حسب زعمه ،فقال البسطامي: ((رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا))[1255].

[1254] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 56 .
[1255] السراج الطوسي: اللمع، ص: 461 .

وأما الجنيد فعلّق على كلام البسطامي بقوله: ((هذا كلام من لم يلبسه حقائق وحدة التفريد في كمال حق التوحيد، فيكون مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأله.. وسؤاله لذلك يدل على أنه مقارب لما هناك، وليس المقارب للمكان بكائن فيه على الإمكان والاستمكان.. وقوله: ألبسني وزيني، وارفعني يدل على حقيقة ما وجده مما هذا مقداره ومكانه، ولم ينل الحظوة إلا بقدر ما استبانه)) [1256].

واضح من كلام الجنيد أنه نقد قول البسطامي بأنه يشهد على صاحبه بأنه كان ما يزال ناقصا في طريقه الصوفي، ولم يصل إلى غايته النهائية. لأن كلامه يشهد بأنه تكلم من مقام الفرق لا الجمع ولا التفريد ، ومن مقام تعدد الوجود لا من وحدة الوجود. فالكمال الصوفي عند الجنيد هو أن يصل الصوفي إلى مقام وحدة الوجود**!!** .

وزيادة في التوضيح والإثراء أذكر هنا شرح الباحث عبد الرحمن عبد الخالق لكلام الجنيد وتعليقه عليه، فقال : ((وبالطبع لن يستطيع أحد أن يفهم شرح الجنيد لكلام صاحبه أبي يزيد إلا من فهم عقيدة القوم، وعرف محتواها على الحقيقة. وإليك شرح كلامه حتى كأنك تحسه وتراه إن شاء الله. أقول: حكم الجنيد على صاحبه أبي يزيد بأنه لم يصل بعد إلى كمال حقيقة التفريد (ومعنى التفريد أن يعتقد الصوفي أنه ما ثم في الحياة إلا فرد واحد، هو الله، تعددت وجوداته بحسب ما يظهر للناس، ولكن الحق واحد !! ولذلك قال عن أبي يزيد: "هذا كلام من لم يُلبسْهُ (أي الله تعالى) حقائق وحدة التفريد"، أي لم ير غير الله غيراً كما مر من كلام الحلاج.. ولذلك قال عنه أيضاً بأنه لو رأى التفريد على الحقيقة لكان مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأله، فقد سأل البسطامي ربه أن يلبسه أنانيته، ويرفعه إلى أحديته.. ولو كان متحققاً من القول بوحدة الوجود لم يقل ذلك، ولم يطلبه، لأنه سيعلم يقيناً أنه هو الله.. ولذلك رآه الجنيد بسؤاله هذا مقارباً للحقيقة الصوفية النهائية، فقال: "وسؤاله لذلك يدل على أنه مقارب لما هناك.." ثم شرح هذا القول بقوله: "وقوله ألبسني وزيني وارفعني: يدل على حقيقة ما وجده مما هذا مقداره ومكانه، ولم ينل الحظوة إلا بقدر ما استبانه" أي فهذا مكان أبي يزيد في فهم الحقيقة الصوفية، ولم يصل بعد إلى فهمنا على الحقيقة. فانظر أيها

[1256] السراج الطوسي: اللمع، ص: 461 .

الأخ المنصف أين كان الجنيد سيد الطائفة الصوفية من قضية التوحيد في الإسلام))[1257].

والقول السابع : سئل الجنيد عن العارف فقال: ((لون الماء لون الإناء))[1258].وقوله هذا يحمل القول بوحدة الوجود، لأن العارف عند الصوفية يكون قد وصل غاية التصوف بالفناء في الله، فتكون صفاته البشرية قد زالت وتلاشت، وعندها يستشعر الربوبية ويتصف بالصفات الإلهية. فهو هنا كالماء يأخذ لون الإناء الذي يُصب فيه.

والقول الثامن – من المجموعة الثانية- : عرّف الجنيد المعرفة بقوله : ((المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه ، قيل له زدنا قال: هو العارف وهو المعروف)). وشرحه الكلاباذي بقوله: ((معناه أنك جاهل به من حيث أنت ،وإنما عرفته من حيث هو)) [1259].

وأقول: قوله هذا فيه تلغيز وتلبيس، لكنه يتضمن القول بوحدة الوجود ، بدليل قوله: ((هو العارف والمعروف))، فبما أن العارف هو العبد والمعروف هو الله ، فعندما يصبح العارف هو المعروف فهذا يعني أن العبد هو الله ، والله هو العارف. وهذا قول بوحدة الوجود .

وأما شرح الكلاباذي لمقولة الجنيد، فهو قد لَغز كلامه أكثر مما شرحه، وأصبح يحتاج إلى شرح آخر لتوضيح قوله بوحدة الوجود. فكأن الكلاباذي تعمد ذلك لأنه رأى كلام الجنيد فيه تصريح بوحدة الوجود أكثر مما هو مسموح به عند الصوفية. وقد شرح الباحث محمود القاسم كلام الكلاباذي بقوله: ((وقول الكلاباذي: (أنك جاهل به من حيث أنت..)، فضمير المخاطب (أنت) يرمز به إلى (الفرق)، فهو يريد أن يقول: (إنك جاهل به) (أي: بالحق) من حيث تعتقد أنك (أنت) ولست (هو)، وإنما عرفته من حيث أنك (هو)))[1260]. بمعنى آخر أن الصوفي عندما يكون في مقام الفرق يكون جاهلا بالله، لكنه عندما يصل مقام الجمع والتفريد يعرفه لأنه يكتشف أنه هو الله حسب الكلاباذي وأمثاله .

[1257] عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص: 63 .
[1258] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 138 .
[1259] الكلاباذي: التعرف ، ص: 66 .
[1260] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 105.

والقول الأخير- التاسع- بيّن فيه الجنيد غاية التوكل وآثاره على الصوفي، بقوله: ((حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل))[1261].

وقوله هذا يحمل القول بوحدة الوجود، وتفسيره هو أن الصوفي المتوكل ينتهي به توكله إلى الفناء عن ذاته وعن المخلوقات . بمعنى أنه ينمحي ويتلاشى بصفاته وذاته ، فيفنى عن نفسه وعن الخلق.وهنا يصبح غير موجود كما كان قبل أن يُوجد، وفي هذه الحالة يستشعر الألوهية والأزلية ويدرك أنه هو الله ، ولا موجود على الحقيقة إلا الله حسب زعمه .

وأما المجموعة الثالثة فتتضمن أقوالا لأبي بكر الشبلي تشهد عليه بأنه كان يقول بوحدة الوجود . أولها مفاده أن الشبلي سئل عن قوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ)(ق: 37)) . فقال: ((لمن كان الله قلبه وأنشد: ليس مني قلب إليك معنى ... كل عضو مني إليك قلوب))[1262].

وأقول: قوله فيه تحريف مُتعمد للآية، لأنه حرفها عن سياقها وقوّلها ما لم تقل. وفيه أيضا القول بوحدة الوجود. لأن العابد أو الصوفي الذي يصل إلى حالة يكون فيها قلبه هو الله ، فهو قد أصبح ربا. ثم أن الرجل أكد ذلك عندما أنشد: ليس مني قلب إليك معنى ... كل عضو مني إليك قلوب. فوصف نفسه بأنه هو بذاته مُتحقق بذلك الحال، وأن جسمه كله هو الله وليس خاصا بقلبه فقط، لأن جسمه كله قلوب حسب زعمه . وقوله هذا شاهد قوي على أنه يعتقد بخرافة وحدة الوجود .

والقول الثاني مضمونه أن أبا عبد الله بن جابان قال: دخلت على الشبلي فلما قمت لأخرج كان يقول لي ولمن معي إلى أن خرجنا من الدار: مروا أنا معكم حيث ما كنتم، وأنتم في رعايتي وكلاءتي))[1263]. ففسر السرج الطوسي كلامه بقوله: ((أراد بقوله ذلك: إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم وهو يرعاكم)) [1264] .

[1261] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 101 .
[1262] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 372 .
[1263] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 478 . و ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 414 .
[1264] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 478 .

وأقول: أولا إن شرح السراج لكلام الشبلي هو تحريف مُتعمد لكلامه، وليس شرحا ولا توضيحا ، وإنما هو إخفاء لما صرّح به الشبلي بأنه هو الله . فجاء السراج ونسب ذلك إلى الله مباشرة . لأنه رأى أن الشبلي كشف سر أسرار الصوفية الذي تظافرت جهودهم على إخفائه عن المسلمين قديما وحديثا.ففعل السراج مرفوض فيه تضليل وتلبيس، لكنه من جهة أخرى شرحه وبيّن مقصود الشبلي، بأنه كان يعتقد بأنه هو الله.

وثانيا إن الشبلي أعلن صراحة بأنه هو الله ، لأن تلك الأفعال والصفات التي نسبها إلى نفسه لا يتصف بها إلا الله تعالى . فقال الشبلي: ((مروا أنا معكم حيث ما كنتم، وأنتم في رعايتي وكلاءتي))[1265]. ويبدو أنه صرّح بذلك لأنه كان مع أصحابه وفي مأمَن من انكشاف أمره. فالرجل مدعٍ للربوبية والألوهية، وهذا جنون وكفر وضلال مبين، لا يقوله مسلم ولا عاقل .

والقول الثالث: ذكر السراج الطوسي أن أبا بكر الشبلي قال: ((كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق، فهي مردودة عليهم، حتى يشيروا إلى الحق بالحق، ليس لهم إلى ذلك طريق))[1266].

وأقول: كلامه هذا باطل شرعا وعقلا وعلما، وهو يتضمن القول بوحدة الوجود . لأنه أولا إن في الشرع نصوصا كثيرة جدا أشارت إلى الله تعالى بأنه مُرسل الأنبياء، ومُنزل الكتب وخالق الكون، وجعلت كل ذلك أدلة عليه. منها قوله تعالى: ((قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(الأنعام: 91))،و((ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(البقرة: 176))، و((قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (المؤمنون : 86))،و((قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ)(إبراهيم: 10))، و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)(فاطر: 3)) .ومعنى ذلك أن الله تعالى يُشار إليه

[1265] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 478 . و ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 414 .
[1266] السراج الطوسي: اللمع، ص: 295 .

ويُستدل على وجوده بمخلوقاته ، وأنبيائه وكتبه، وبأنواره الإيمانية التي يُفيضها على قلوب عباده المؤمنين الصالحين .

وثانيا بما أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ومفارق لمخلوقاته ،ولا يُمكن رؤيته في الدنيا ، فإنه لا يوجد دليل للإيمان به وإثبات وجوده إلا بالاستدلال على وجوده بكتبه ورسله ومخلوقاته، وبالفطرة التي فطر عباده عليها . وكل من ينكر هذا فهو إما جاهل ، وإما صاحب هوى ينكر ذلك لغاية في نفسه، كأن يكون من القائلين بوحدة الوجود . لأن الذي لا يُرى لا يُمكن أن نشير إليه بذاته، أو نستدل على وجوده بنفسه . فبما أنه لا يُرى ولا يُحس ، ولا يُتذوّق فلا يُمكن أن يُشار إليه بنفسه. ولا يستطيع فعل ذلك إلا هو بنفسه، فهو سبحانه يستطيع أن يُشير إلى نفسه بنفسه . وهذا أمر منطقي ينطبق على كل كائن لا يُرى ولا يُحس، ولا يُتذوق . وبما أن الأمر كذلك فلا يُمكن للشبلي ولا لغيره من الصوفية أن يُشير إلى الله بالله ، ومن زعم منهم أنه فعل ذلك فهو إما أنه مغالط كذاب، وإما أنه مريض مهلوس مُلبس عليه، وإما أنه مدعٍ لوحدة الوجود ، فيكون هنا هو الله فيشير إليه بنفسه. وهذا هو الذي قاله الشبلي وأمثاله.

والقول الرابع: عرّف الشبلي التصوف بأنه ((هو العصمة عن رؤية الكون))[1267].

وقوله هذا مضمونه القول بوحدة الوجود، لأن الصوفي – كغيره من الناس- لابد أن يرى الكون ما دام حيا، إن لم يره بعينيه فإنه يحس به بحواسه الأخرى. وبما أنه الشبلي قال بأن التصوف غايته أن يجعل الصوفي يتلاشى وينمحي ويفنى عن ذاته وعن الخلق، حتى يصبح معصوما عن رؤية الكون ، فهذا يعني أن الكون عنده أصبح هو الله، والله هو الكون، والصوفي هو الله أيضا بحكم أنه من الكون الذي هو الله. وهذا معنى قول الصوفية: لا موجود إلا الله . فمقولة الشبلي المُلغزة مضمونها القول بكفرية بوحدة الوجود ، عبّر عنها بطريقة غير مباشرة ((العصمة عن رؤية الكون))[1268].

والقول الخامس مفاده أن الشبلي سُئل عن الزهد، فقال: ((الزهد غفلة، لأن الدنيا لا شيء، والزهد في لا شيء غفلة))[1269].

[1267] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 127 .
[1268] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 127 .
[1269] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 73 .

وأقول: قوله هذا مضمونه القول بوحدة الوجود ، لأنه لم يذم الدنيا، ولا حذّر من مفاتنها، وإنما أكد بصراحة مرتين أن " الدنيا لا شيء، والزهد في لا شيء غفلة". وبما أنه أنكر أن يكون للدنيا وجود حقيقي، وبما أنه كان يعيش فيها ويراها أمامه ، فهذا يعني أنه كان يعتقد – كغيره من الصوفية- أن ما نراه من كائنات في الدنيا هي مجرد أشباح ورسوم دالة على الله وتجليات له؛ ولا وجود حقيقي لها، وإنما هي الله، ولا موجود في الحقيقة إلا هو. وهذا هو القول بخرافة وحدة الوجود كما يعتقد الصوفية.

والقول السادس: سُئل الشبلي عن التوكل فقال: ((أن تكون لله كما لم تكن ،ويكون الله تعالى لك كما لم يزل))[1270].

وأقول: كلامه هذا يُشبه قول سهل التستري الذي ذكرناه في المجموعة الأولى، ويتضمن القول بوحدة الوجود ، لأن القوم يأخذون من مورد واحد. ومفاده أن الشبلي نصّ على أن غاية التوكل مع الله هو أنه يمحي الصوفي ويجعله يتلاشى ويفنى عن ذاته ومحيطه كما كان قبل أن يظهر إلى الوجود، وفي هذه الحالة يستشعر الربوبية والأزلية ، ويصبح هو الله الذي لا موجود إلا هو منذ الأزل. وبهذا يكون الكون هو الله، والله هو الكون حسب زعم الصوفية.

والقول الأخير- السابع- : قال رجل للشبلي: ((ما لي أراك قلقا أليس هو معك وأنت معه ؟، فقال الشبلي: " لو كنت أنا معه فاتني، ولكن محو فيما هو)). فشرح السراج الطوسي كلامه بقوله : ((ليس مني شيء، ولا بي شيء، ولا عني شيء، والكل منه ، وبه ، وله))[1271].

وأقول: كلام الشبلي وشرح الطوسي له يحمل معنى واحدا، هو القول بوحدة الوجود . ومفاده أن الشبلي نفى الفرق وأثبت الجمع، فذكر أنه تلاشى وانمحى عن ذاته ومحيطه ، وفنى في الله فناء المحو والمحق فأصبح هو الله. فالكل منه ، وبه، وله على حد تعبير الطوسي !!!!.

[1270] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 79 .

[1271] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 431- 432 .

وأما المجموعة الرابعة فتتضمن أقولا لأبي يزيد البسطامي قال فيها بوحدة الوجود تصريحا أو تلميحا . أولها : قال أبو يزيد : ((للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه محيت رسومه. فنيت هويته بهوية غيره، وغيبت آثاره بآثار غيره))[1272].

وقوله هذا مضمونه القول بوحدة الوجود، ومفاده أن الصوفي الذي وصل مقام المعرفة الصوفية لا حال له كباقي الخلق، لأن صفاته ورسومه البشرية تلاشت وزالت بممارسته للعبادات الصوفية، وبها فنى عن ذاته ومحيطه، وفنى في الله . فزالت هويته بهوية الله، وهنا أصبح هو الله حسب زعم البسطامي.

والقول الثاني: سُئل البسطامي عن صفة العارف، فقال: ((إن لون الماء من لون إنائه ، إن صببته في إناء أبيض خِلته أبيض ، وإن صببته في إناء أسود خِلته أسود ، وكذلك الأصفر والأحمر... تتداوله الأحوال، وولي الأحوال وليه))[1273].

ومعنى كلامه أنه كما أن الماء يأخذ لون إنائه، فكذلك الصوفي العارف الذي انمحت رسومه وصفاته البشرية فتلاشى بها عن نفسه ومحيطه ، وفنى بها في الله، فإنه يأخذ صفات الله ، فيستشعر الربوبية ويصبح هو الله حسب زعمه. وهذا قول بكفرية وحدة الوجود .

والقول الثالث: قال أبو يزيد : ((انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو))[1274].

وقوله هذا يحمل الاعتقاد بضلالة بوحدة الوجود، عبر عنها بكلام يكاد يكون صريحا . فهو بعدما مارس الطريق الصوفي-كما بيناه سابقا- تلاشت صفاته ورسومه البشرية، فانمحى عن ذاته وعن الخلق وفنى في الحق، فوجد نفسه أنه هو الله حسب زعمه !!!! .

والقول الرابع: قال أبو يزيد البسطامي:((عجبت لمن عرف الله كيف يعبده))[1275].

1272 القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 141.

1273 السراج الطوسي: اللمع، ص: 57 .

1274 الغزالي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص: 153 .

1275 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 37 .

وقوله هذا مضمونه القول بوحدة الوجود، فبما أن الصوفي عندما يصبح عارفا يكون قد تلاشى وانمحى عن نفسه ومحيطه، وفنى في الحق، واستشعر الألوهية وأصبح هو الله ، فمن الطبيعي أنه لا يعبد الله. فكيف ولماذا يعبد الله وهو الله حسب زعمه ؟؟!! فالله لا يعبد نفسه، وإنما العبد هو الذي يعبد الله . وبما أن البسطامي زعم أنه أصبح ربا ، فتعجبه يتفق مع حاله !!!!. ونحن جارينا الرجل في كلامه وأوهامه وخرافاته لنبين أنه كان يعتقد بكفرية بوحدة الوجود، وإلا فإن كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، كما بيناه مجملا وسنبينه لاحقا بشيء من التفصيل.

والقول الخامس: قال أبو يزيد: ((حججت فرأيت البيت، ولم أر رب البيت ثم حججت ثانية، فرأيت البيت، ورأيت رب البيت ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيت، ولم أر البيت))[1276].

وفي رواة أخرى أنه قال: ((صرت مرة إلى مكة، فرأيت البيت مفردا، فقلتُ: حجي غير مقبول، لأني رأيت أحجارا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخرى فرأيت البيت ورب البيت، قلتُ: لا حقيقة التوحيد بعد . وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت ، ولا بيت . فنوديت في سري: يا أبا يزيد ، إذا لم تر نفسك ورأيت العالم كله لما كنت مشركا. وإذا لم تر العالم كله ورأيت نفسك كنت مشركا. ،عندئذ تبت ، وتبت أيضا عن رؤية وجودي))[1277].

وأقول: هذا الرجل حكى لنا ما رآه في الحرم المكي عندما حج ثلاث مرات حسب مساره في تطبيق عبادات الطريق الصوفي. فكانت أحوال هذا الطريق ومقاماته هي التي تتحكم فيما رآه البسطامي في الحرم المكي. فلما وصل حال الفناء الصوفي، تلاشى وانمحي عن نفسه ومحيطه، وفنى في الله حسب زعمه؛ رأى في الحرم المكي الله دون أن يرى البيت الذي رآه من قبل. لأنه في هذه الحالة أنتقل من الفرق إلى الجمع وأصبح هو الله ورأى نفسه متجليا في الكون كله حسب زعمه. وهذا قول صريح بضلالة وحدة الوجود التي هي غاية التصوف الكبرى.

[1276] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 375 .

[1277] الرسالة القشيرية، ج 1 ص: 171.

والقول الأخير- السادس- مفاده أنه قُرئ عنده يوما قوله تعالى: ((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً)(مريم: 85))... فهاج ثم قال: من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأن جليسه أبدا))[1278].

وقوله هذا مخالف للشرع وتعالم وتقدم عليه كعادة الصوفية في مخالفتهم للشرع، لأنهم يتكلمون بلسان العبادة الصوفية لا الشرعية. وعليه فإن الذي يهمنا هنا هو أن قول البسطامي يتضمن القول بوحدة الوجود، وبها تعالم على تلك الآية الكريمة. فهو قد نفى أن يُحشر مع المتقين إلى الرحمن وفدا ، لأنه قد تلاشت نفسه، وفنى في الله ، فأصبح هو الله ، وفي مجالسة أبدية معه ، ومن هذا حاله لا يُحشر مع المتقين حسب زعمه واعتقاده بضلالة وحدة الوجود .

وأما المجموعة الخامسة فتتضمن أقوالا لجماعة من أعيان الصوفية عاشوا في القرنين الخامس والسادس الهجريين. أولها للمؤرخ الصوفي أبي بكر الكلاباذي مضمونه أنه عرّف الفناء الصوفي وأوصاف الفاني بقوله : ((فالفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز فناء عن الاشياء كلها شغلا بما فنى به))[1279]،و((إن الفناء هو الغيبة عن صفات البشرية بالحمل الموله من نعوت الالهي))[1280].

وأقول: واضح من كلامه أن الفناء عند الصوفية يعني وحدة الوجود، بمعنى أن يصبح الصوفي ربا . لأنه ذكر أن الصوفي الذي بلغ حال الفناء فهو قد تلاشت صفاته البشرية، وانمحى عن تمييز الأشياء المحيطة به. وبمعنى آخر أنه فنى عن نفسه وعن الخلق من جهة ، وفنى في الحق- الله- من جهة أخرى، فأصبح هو الله ، وكل ما يراه هو الله أيضا ، لأنه أصبح لا يفرق ولا يُميز بين الخالق والمخلوق، فالكل عنده هو الله حسب زعم الكلاباذي وأمثاله !! .

والقول الثاني هو أيضا للكلاباذي تكلم فيه عن الصوفي الذي بلغ مقام الفناء ثم رُد إلى الأوصاف، فقال: ((فإن رُد الفاني إلى الأوصاف لم يُرد إلى أوصاف نفسه ،ولكن يُقام مقام البقاء بأوصاف الحق))[1281].

[1278] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 40- 41 .
[1279] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 123 .
[1280] الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 126 .
[1281] الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 131 .

وقوله هذا مضمونه القول بوحدة الوجود ، لأنه قرر أن الصوفي الفاني في الله – مقام وحدة الوجود- إذا رُد إلى الأوصاف برؤية أوصافه وأوصاف الخلق فإنه مع ذلك يبقى في مقام وحدة الوجود مستشعرا للربوبية-أوصاف الحق- فيبقى هو "الله " ، لأن الأوصاف التي رُد إليها هي رسوم وأشباح ليس لها وجود حقيقي، وإنما هي تجليات لله . وعليه فإن ذلك الفاني يبقى "ربا" معتقدا بوحدة الوجود حسب زعم الكلاباذي.

والقول الثالث للهجويري ، وصف فيه حقيقة التصوف بقوله: ((إن حقيقة التصوف تقتضي فناء صفة العبد، وفناء صفة العبد يكون ببقاء صفة الحق، وهذا نعت الحق. ورسمه يقتضي دوام مجاهدة العبد ، والمجاهدة صفة العبد))[1282].

وأقول: واضح من كلامه أن غاية التصوف النهائية هي تلاشي وزوال الصوفي عن صفاته ورسومه البشرية وعن محيطه مع بقاء صفة الله-الحق- فيه . لأن الصوفية يزعمون أن كل ما نراه من كائنات هي أشباح ورسوم وتجليات لله، فعندما تزول تلك الأشكال والأوصاف عن الصوفي يكتشف أنه هو الله حسب زعمهم وضلالهم. ولهذا قال الهجويري: " وفناء صفة العبد يكون ببقاء صفة الحق " ، فهو لا يكتسب صفات الله -الحق-، وإنما تظهر فيه ويكتشفها الصوفي الفاني بعد فنائه عن أوصافه ومحيطه ن لأن الأصل هو صفات الحق لا الخلق حسب زعم الهجويري وأمثاله .

والقول الرابع للشهاب السهروردي، قسم فيه الفناء إلى: فناء في الأفعال، وفناء في الصفات ،وفناء في الذات[1283]. ثم عرّف الفناء المُطلق- بأنه: ((ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كونُ الحق سبحانه وتعالى كون العبد[1284].

وأقول: واضح من كلامه أن الرجل يعتقد بخرافة وحدة الوجود، وسماها الفناء. وذكر أن الصوفي يتدرج ليصل إلى التحقق الكامل بها، فهو أثناء ممارسته للعبادات الصوفية يدخل الغيبة تدريجيا، فيصبح أولا يستشعر أن أفعاله هي نفسها أفعال الله وليست أفعالا بشرية- الفناء في الأفعال-. ثم ثانيا

[1282] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 232 .

[1283] الشهاب السهروردي: عوارف المعارف، ج 2 ، ص: 313 .

[1284] الشهاب السهروردي: عوارف المعارف، ج 2 ، ص: 313 .

يستشعر أن صفاته هي نفسها صفات الله – الفناء في الصفات. ثم ثالثا يستشعر الصوفي أن ذاته هي الله – الفناء في الذات- وهنا يصل الصوفي الى مقام كفرية وحدة الوجود حسب زعم الصوفية .

والقول الخامس يتعلق بحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي، فقال: ((سئل النبي-عليه الصلاة والسلام: بماذا عرفت الله عز وجل ؟، ما شاء الله ! ، إني لا أعرف ربي بشيء ، بل عرفت الأشياء به))[1285].

وأقول: هذا الحديث المزعوم هو حديث صوفي غير صحيح إسناداً ولا متنا، ويتضمن القول بوحدة الوجود .لأنه أولا إنه حديث رواه الرجل بلا إسناد، ولا حرص على تحقيقه ،ولا التأكد من صحته . وقد بحثتُ عنه كثيرا فلم أجد له ذكرا في كتب الحديث ولا في مصنفات علم الجرح والتعديل، ولا في التواريخ والتراجم . فالحديث لا أصل له.

وثانيا إن متنه مُنكر ومخالف للشرع والعقل والعلم . لأنه من الثابت شرعا وعقلا وواقعا أن الله تعالى استدل على وجوده وأخبرنا عن نفسه بواسطة وحيه ومخلوقاته ، وليس العكس، وهذا كثير جدا في القرآن الكريم كقوله تعالى: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)(يونس: 3))، و ((قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)(المؤمنون: 86)).

وبالنسبة للنبي-عليه الصلاة والسلام- ليس صحيحا أنه عرف الأشياء الأولية بالله، فهو قد كان على علم بها كغيره من البشر. وكان يُؤمن بالله قبل أن ينزل عليه الوحي. وكان يعرف معنى كلمة القراءة والقلم، قبل أن ينزل الوحي ويذكرهما في القرآن الكريم.

وهناك فرق كبير بين أن نعرف الأشياء بالله، وبين أن نعرفها بواسطة الوحي. لأن العبارة الأولى مشبوهة وغير دقيقة وتتضمن القول بوحدة الوجود، لكن العبارة الثانية واضحة ودقيقة في معناها. ولهذا فإن النبي-عليه الصلاة والسلام- علمه الله تعالى وهداه إلى الصراط المستقيم بالوحي، وليس بالله. قال تعالى: ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ

[1285] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:36 .

عَائِلاً فَأَغْنَى)(الضحى:6- 8))، و((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق: 1))، و ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الإسراء: 1)). فالنبي-عليه الصلاة والسلام- عرف الأشياء قبل معرفته بالله ،ولم يعرفه معرفة صحيحة إلا بالوحي . وكذلك المسلمون لم يعرفوا الله تعالى معرفة صحيحة إلا بكتابه المسطور- الوحي- وبكتابه المنظور- الكون- .

علما بأن كلا من العقل والواقع يشهدان على أن البشر في الحقيقة لم يعرفوا الكون بالله وإنما عرفوا الله بالكون .لأن الإنسان لن يستطيع معرفة الله من دون مخلوقاته انطلاقا من الإنسان نفسه، وهذه معرفة أولية لابد منها . فلا يُمكن لإنسان أن يعرف ربه قبل أن يعرف نفسه ومحيطه . ومن يقول بخلاف هذا فهو إما جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه أخطأ في موقفه ، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية نفسه، كأن يكون صوفيا يعتقد بوحدة الوجود .

وثالثا يجب أن لا يغيب عنا أن مقولة: عرفنا الأشياء بالله . هي مقولة صوفية ذاتية وليست مقولة عقلية علمية موضوعية. فهي لا تقوم على أساس صحيح من الشرع ولا من العلم ولا من العقل، وإنما أقامها الصوفية على خرافة وحدة الوجود . فهم لما زعموا أنهم فنوا في الله وأصبحوا أربابا قالوا بأنهم اكتشفوا أن الكون مجرد أشباح ورسومات وظلال وتجليات لله، وليس لها وجود حقيقي. وهنا قالوا بأنهم عرفوا الأشياء بالله بعدما صاروا أربابا !!!! .

ومع أن قولهم بوحدة الوجود كلام باطل، ومن خرافاتهم وهلوساتهم ، فحتى إذا صدقنا زعمهم جدلا ، فهم مع ذلك لم يعرفوا الأشياء بالله، وإنما عرفوا أولا أنهم آلهة وأربابا-حسب زعمهم- بالأشياء ، ثم عادوا إليها ثانيا وعرفوها معرفة زائفة بوحدة الوجود وليس بالله كما يزعمون. وتفصيل ذلك هو أن الصوفية لم يصلوا إلى وحدة الوجود – عقيدتهم وربهم- إلا بالأشياء التي عاشوا في محيطها، ومارسوا بها وفيها عباداتهم الصوفية، التي أوصلتهم في النهاية إلى الفناء في الله ، وصيّرتهم آلهة. فهم لم يعرفوا أنهم أربابا إلا بالأشياء وليس العكس، وهذا ينقض مقولتهم السابقة من أساسها وينسفها نسفا !!!! .

والقول السادس لعلي بن جعفر الخراقاني (ت 425 هـ)، عرّف الصوفي بقوله: ((ليس الصوفي بمرقعته وسجادته ، ولا برسومه وعاداته بل الصوفي من لا وجود له))[1286].

وقوله هذا لا يختلف في معناه عن قول السابقين في اعتقادهم بوحدة الوجود، فهذا الرجل لخص أقولهم في أن الصوفي هو " من لا وجود له" . بمعنى أن الصوفي هو الذي تلاشى وزال عن ذاته ومحيطه وفنى في الله فأصبح هو الله ، وليس هو الصوفي. وهذا اعتقاد بكفرية وحدة الوجود**!!** .

والقول السابع لعبد الكريم القشيري ، ذكر أن افتقار العبد إلى الله والاستغناء به هو من ((أمارات صحو العبد وبقاء رسومه؛ لأنهما من صفاته، والعارف محو في معرفة))[1287].

وأقول: واضح من كلامه أنه يتضمن القول بضلالة وحدة الوجود ، ومعناه لا يختلف عن الأقوال السابقة ، أي أن الصوفي عندما يتلاشى ويزول عن رسومه وذاته ومحيطه، ينمحي ويفنى في الله فيستشعر معرفة وحدة الوجود، بمعنى أنه يصبح ربا حسب زعم القشيري . وفي هذه الحالة يكون الصوفي انتقل من الفرق إلى الجمع، ومن القول بتعدد الوجود- الخالق والمخلوق- إلى القول بوحدة الوجود – الله هو الكون، والكون هو الله حسب خرافة الفناء في الله .

والقول الثامن للقشيري أيضا عرّف فيه معنى المشاهدة الصوفية وأكد على أنها تعني وحدة الوجود لا تعدده ، فقال: ((وتوهَّم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة، لأن باب المفاعلة في العربية بين اثنين. وهذا وهم من صاحبه. فإن في ظهور الحق سبحانه، ثبور-هلاك- الخلق)) [1288].

وأقول: واضح من كلامه أن الرجل عبر عن الفناء الصوفي- وحدة الوجود- بالمشاهدة ، وأكد أنها تعني الجمع لا الفرق . بدعوى أن ظهور الله- الحق- بعد فناء الصوفي فيه يهلك الخلق، بمعنى أن الصوفي ينمحي ويتلاشى تماما ويصبح هو الله حسب زعم القشيري .

[1286] نقلا عن: محمود يوسف الشوبكي: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، ص: 14 .

[1287] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 141.

[1288] القشيري : الرسالة القشيرية ، ص: 39 .

والقول التاسع لأبي حامد الغزالي مفاده أن حقيقة الحقائق هي أن العارفين ترقوا من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله تعالى، وأن ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88)) لا أنه يصير هالكا في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلا وأبدا لا يتصور إلا كذلك، فإن كل شيء سواه إذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض؛ وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول الحق رؤى موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فقط))[1289].

وأقول: كلامه هذا شاهد على قول الغزالي بوحدة الوجود وممارسته للتأويل التحريفي . والمجاز هنا يقصد به أن الموجودات التي نراها لها وجود مجازي اعتباري وليس لها وجود حقيقي، وهي مجرد أشباح ورسوم وتجليات لله . وهذا نفس كلام الصوفية الذين سبقوه. وحسب زعمه أن الصوفي بعدما يمارس العبادات الصوفية - المعراج الصوفي حسب الغزالي- ينتهي به الحال إلى الفناء في الله، وفيه يرى بالمشاهدة العيانية أنه هو الله، لأنه ليس في الوجود إلا الله على حد تعبيره !!!! .

وتفسره للآية لا يصح، من جانبين: الأول إن المخلوقات لها وجود حقيقي خلقها الله تعالى بعد أن لم تكن وليس أنها هالكة أزلا وأبدا لا يُتصور إلا كذلك كما زعم الرجل. وهي ليست عدما محضا بل كانت معدومة ثم أوجدها الله تعالى من عدم وأصبح لها وجود حقيقي وهذا ثابت بدليل الشرع والعلم من أن الكون لم يكن موجودا ثم خلقه الله تعالى وأصبح له وجود حقيقي. فنحن أمام اثنين: الخالق والمخلوق، وليس أمام واحد هو الخالق فقط كما زعم الغزالي. ومهما قيل في المخلوق فهو في النهاية كائن موجود له كيانه وذاتيته، ولا يصح نفيها كما فعل الرجل، فهذا تضليل وتحريف وتلاعب بالكلام، وإنكار للحقيقية الشرعية والعلمية التي تقول بأن للمخلوقات كيان حقيقي موجود. فهي ليست عدما محضا كما زعم الرجل، فقد كانت كذلك قبل خلقها لكن بعد خلقها أصبحت كائنا حقيقيا لا يصح نفيه ولا القول بأنه معدوم.

[1289] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 10 .

والجانب الثاني إن قوله تعالى((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88))، ليس كما زعم الرجل، لأن الآية يجب النظر إليها في إطار معطيات النصوص الأخرى ، وما نصت عليه تكملة الآية في قوله سبحانه: ((وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص : 88). فهذا الهلاك ليس هلاكا نهائيا ولا إعداما كليا للمخلوقات، ولا نفيا لوجودها الحقيقي، وإنما هو هلاك للعالم الذي نعيشه ، ليأتي العالم الأخروي، ويكون المعاد ، وفيه نعود إلى الله تعالى ليكون الحساب، وبعده يكون الخلود إما في النار، وإما في الجنة. وهذا ينفي ما زعمه الرجل، ويعني قطعا استمرار وجود الثنائية بين الخالق والمخلوق، وليس كما زعم الغزالي بأنه ليس في الوجود إلا الله . وإنما الصحيح هو أنه لا موجود أزلي إلا الله تعالى، وأن للمخلوقات وجود حقيقي ليس أزليا، وإنما هو وجود مخلوق خلوده ليس من ذاته، وإنما هو تفضل من الخالق . فنحن هنا أمام وجودين: وجود أزلي لله تعالى، ووجود حادث مخلوق يتمثل في مخلوقات الله منها ما سيهلكه نهائيا، ومنها ما يجعله خالدا بأمره وإرادته، لكنه لن يصبح أزليا ، وإنما سيبقى مخلوقا حادثا خالدا[1290] تابعا لخالقه.

وأما قوله: ((فإن كل شيء سواه إذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض؛ وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول الحق رؤى موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فقط))[1291]. فهو نفس كلام شيوخ الصوفية السابقين في قولهم بأن ما نراه من كائنات هي مجرد أشباح ورسوم وظلال ، وليس لها وجود حقيقي خاص بها -عدم محض حسب الغزالي-، وإنما هي تجليات وأوجه للوجود الواحد الذي هو الله حسب زعمهم . فكلام الغزالي يحمل نفس معنى كلامهم عبّر عنه بألفاظ أخرى تسترا وتمويها لإخفاء اعتقاده بضلالة وحدة الوجود.

والقول العاشر للغزالي أيضا فصل فيه غاية التصوف النهائية ، بقوله: ((وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الإضافات وطاحت الإشارات... فهذه هي غاية الغايات ومنتهى الطلبات))[1292].

[1290] الخلود لا يعني الأزلية، وإنما يعني المكوث الطويل، ومنه خلود آخر هو الخلود الأبدي، لكنه لا يُسمى أزليا ، لأن الكائن الخالد أبديا هو حادث مخلوق أخلده الله تعالى أبديا ، لكنه يبقة مخلوقا حادثا -كخلود المؤنين في الجنة- ولن يبصبح خالقا أزليا .

[1291] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 10 .

[1292] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 13 .

وأقول: واضح من كلام الرجل أنه قرر عقيدة وحدة الوجود، وقد عبّر عنها بأسلوب قريب جدا بأسلوب السابقين . ومعناه أن الصوفي بعد ممارسته للطريق الصوفي يتلاشى ويزول عن ذاته والكائنات التي يراها، وهنا ترتفع الكثرة، ثم عندما يفنى في الحق- الله – تتحقق الوحدة ويستشعر الصوفي أنه هو الله . وبذلك تبطل الأشكال والرسوم والأشباح- الإضافات على حد تعبير الغزالي- وتسقط الإشارات ويكون الصوفي قد أكتشف أنه هو الله ، وأن كل ما كان يراه مجرد أشباح وإضافات، وهنا يصبح الصوفي يعتقد بخرافة وكفرية وحدة الوجود ، وهي غاية غايات الصوفية ومنتهى طلباتهم على حد تعبير أبي حامد الغزالي.

والقول الحادي عشر لأبي حامد الغزالي مفاده ((العارفون- بعد العروج إلى سماء الحقيقة- اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق. لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا. وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة ...))[1293].

وأقول: واضح من كلامه أنه قرر قول الصوفية بوحدة الوجود، على أنها من المسلمات لديهم. ويظهر من كلامه أنه موافق لهم . ومعنى كلامه أن العارفين الذين قطعوا الطريق الصوفي تخلصوا من الفرق- التعدد- وفنوا في الجمع والفردانية، فأصبحوا أربابا، لأنهم صاروا لا يرون إلا واحدا هو الله ، فالكون هو الله ، والصوفية منه فهم أيضا هم الله حسب زعمه !! .

والقول الثاني عشر للغزالي صرّح فيه بأنه يعتقد بكفرية وخرافة وحدة الوجود، فقال في تائيته :

وهل أنا إلا أنت ذاتا ووحدة ** وهل أنت إلا نفس عين هويتي[1294].

وأقول: هنا الغزالي قال بوحدة الوجود بصراحة تامة، وكلامه لا يحتاج إلى شرح لتوضيحه ، فهو شاهد عليه بأنه كان يعتقد بكفرية وضلالة وحدة الوجود . وقوله هذا ألحقه بغلاة الصوفية الذين صرحوا بمثل كلامه من المتقدمين والمتأخرين . فذلك البيت الشعري لا يقل صراحة في الاعتقاد بوحدة الوجود عن قول الحسين الحلاج :

[1293] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 11 .
[1294] الغزالي: معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: 195.

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني
توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[1295].

والقول الثالث عشر أكد فيه الغزالي على قوله بضلالة وحدة الوجود، فقال: ((وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله))[1296].

واضح من كلامه أنه يتكلم عن المعرفة الصوفية- بعد ممارسة الطريق الصوفي- التي تنتهي بصاحبها إلى الاعتقاد بوحدة الوجود . وهي تحدث تدريجا فبعد التلاشي والزوال عن النفسس والخلق ، يبدأ بالفناء في أفعال الله، ثم الفناء في صفاته، ثم الفناء في ذاته ، وهنا يستشعر الربوبية ويجد الصوفي نفسه أنه هو الله، ويدرك أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله- الرسوم والأشباح- حسب زعم الغزالي.

والقول الأخير- الرابع عشر- لأبي حامد الغزالي أيضا، مفاده ((فلم يروا في الكونين شيئا سواه))[1297]. و((فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة. نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار. وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد))[1298].

وأقول: الرجل صريح في قوله بوحدة الوجود، عندما نص على أن الصوفية – وهو منهم- لم يروا في الكونين إلا الله. ومع أن زعمهم هذا باطل قطعا، لأن الحقيقة هي أنه ليس في الكونين إلا الله ومخلوقاته، فإن تأكيده على مقولتهم هو دليل دامغ على قوله بوحدة الوجود . لأن من يقول بمقولتهم بالضرورة يقول بوحدة الوجود.

[1295] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .
[1296] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 320 .
[1297] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 268 .
[1298] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .

وأما استدلاله بالمثال الذي ضربه فهو شاهد آخر على قوله بوحدة الوجود، لأنه نظر إلى الإنسان نظرة صوفية لا شرعية ولا علمية، وطبق عليه معنى وحدة الوجود. فالإنسان كموجود هو كائن واحد له مكونات وأطراف تابعة له ، لكنه من جهة أخرى هو كله كائن واحد. فكذلك الصوفية عندما رأوا الكونين شيئا واحد ، بمعنى أن حقيقة الكون واحدة هي الله ، وما نراه من كائنات أخرى هي أشباح وظلال ، وأفعال وامتدادات لله وتجليات له لكنها في الحقيقة تمثل كائنا واحدا هو الله. فهو كالإنسان الذي تعددت مكوناته وأطرافه مع أنه في الحقيقة كائن واحد.

فذلك الاستدلال هو استدلا صوفي بمنطق وحدة الوجود ، لكنه لا يصح شرعا ولا علما لأن الإنسان بمكوناته يمثل كائنا واحدا ولا يمثل عدة كائنات فهو واحد مهما تعددت أجزاؤه، ولا تنفصل عنه من جهة؛ وتوجد معه كائنات أخرى منفصلة عنه بذواتها وصفاته و مكوناتها من جهة أخرى. فالكون ليس فيه ذات واحدة وإنما فيه ذوات كثيرة جدا كلها مخلوقة لله تعالى. فنحن أمام خالق ومخلوقات ، وهي ليست أجزاءً منه، ولا أفعاله كما زعم الرجل، لأن أفعاله تابعة لذاته سبحانه وتعالى ، وإنما هي من مفعولاته، خلقها بفعله ، لقوله سبحانه: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82)) . فمهما نظرنا للوجود يبقى مكونا من الخالق والمخلوق ولا يُمكن أن يصبح الكل واحدا كما زعم الرجل. لكن الغزالي يغالط ويدلس لغاية في نفسه، أخفاها بدعوي عدم كشف سر الربوبية وهو كفرية وحدة الوجود. مع أنه هو وأصحابه قد كشفوا هذا السر المزعوم بالإشارات والعبارات ، منها أقواله السابقة وغيره من الصوفية.

وأما المجموعة السادسة فتتضمن أقولا لجماعة من متأخري الصوفية من القرن السابع الهجري وما بعده ، صرحت بوحدة الوجود بوضوح.أولها قول لعبد السلام بن مشيش المغربي (ت 622 هـ) : ((اللهم زج بي في بحار الأحدية،وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلاّ بها))[1299].

[1299] ابراهيم االبقاعي: مصرع التصوف، حققه عبد الرحمن الوكيل، ج 2 ص: 243 .و محمود القاسم : الكشف عن حقيقة الصوفية، ج 1 ص: 134 .

وأقول: واضح من كلام الرجل أنه يعتقد بكفرية وحدة الوجود . وقد دعا الله أن يُغرقه فيها وينشله من أوحال التوحيد على حد تعبيره . وهو هنا يقصد توحيد دين الإسلام ، فدعا الله لينقله منه إلى توحيد الصوفية، الذي هو ضلالة وحدة الوجود. إنه فضل الانتقال من توحيد الإيمان ودين الإسلام إلى توحيد الكفر والزندقة وعبادة الشيطان !!!! .

والقول الثاني لمحيي بن عربي الطائي الأندلسي (ت 638 هـ) عرّف العارف بقوله : ((إن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء)) [1300].

وقوله هذا صريح في بأن الرجل يعتقد بوحدة الوجود ، فالكون كله هو الله، والله هو الكون حسب زعمه . وقوله هذا مخالف للشرع والعقل والعلم، بل وكفر صريح بدين الإسلام.

والقول الثالث لأبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ) أوصى المريد الصوفي بقوله : ((إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لون فيها، فليكن الفرق في لسانك موجوداً والجمع في سرك مشهوداً))[1301].

واضح من كلامه أنه كان يعتقد بوحدة الوجود، وأوصى المريد بأن يُظهر على لسانه – تقية وتسترا بالإسلام وخداعا للمسلمين- الفرق، بمعنى أن يُفرق بين الله ومخلوقاته اتباعا للشرع ؛ وأن يُخفي اعتقاده بوحدة الوجود- الجمع- ويجعله سرا قلبيا مشهودا .فالرجل يحث أصحابه على التظاهر بالإسلام وإخفاء قولهم وإيمانهم بكفرية بوحدة الوجود.

والقول الرابع لعلي الششتري النميري الأندلسي ثم المصري(ت 668هـ) ، أشد قائلا:

محبوبي قد عم الوجود ** وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصارى مع اليهود ** وفي الخنازير مع القرود
وفي الحروف مع النقط ** أفهمني قط أفهمني قط[1302].

[1300] البِقاعي: مصرع التصوف ، حققه عبد الرحمن الوكيل ، مكة المكرمة، ص: ج 1 ص: 123 .
[1301] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 300 .
[1302] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم ، ص: 32 .

وأقول: هذا الرجل الضال والمريض صرّح بأنه يعتقد بكفرية وحدة الوجود، فحسب زعمه أن الله هو الكون، وقد ظهرت رسومه وظلاله وأشكاله في مختلف مظاهر الطبيعة منها اللغة والبشر.

والقول الخامس لابن عطاء الله السكندري(ت 709 هـ)، كرر مقولة سلفه بقوله : ((فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجود ولا بفقد، إذ لا يوجد غيره معه، لثبوت أحديته؛ ولا فقد لغيره لأنه لا يفقد إلا ما وجد، ولو انتهك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان))[1303].

وأقول: واضح من كلامه أنه يعتقد بكفرية وحدة الوجود، ولا يختلف عن كلام الغزالي والسابقين له؛ فزعم أن الله هو الموجود حقيقة وما سواه باطل، لأنه مجرد أشباح ورسوم ليست لها وجود حقيقي. وزعم أنه لو رُفع الحجاب لتم التأكد من زعمه. وقوله هذا باطل ومردود عليه، لأنه مخالف للشرع والعقل والواقع والعلم كما سنفصله لاحقا، وهو تعلق بأوهام وخرافات لا دليل على وجودها. ولا يصح ترك الواقع اليقيني والتعلق بأوهام وأباطيل من هلوسات وتلبيسات النفوس والشياطين .

والقول السادس لعلي بن محمد وفا السكندري المصري الشاذلي المالكي (ت نحو: 860 هـ عقب به على قول أبي يزيد البسطامي عندما حكى عن نفسه أنه حج فرأى البيت دون رب البيت ثم في النهاية رأى رب البيت دون البيت، فعقّب عليه بقوله : ((لو أن أبا يزيد عرف الحقيقة حق معرفتها لأنزل كل شيء منزلته، ولم يغب عنه أن الكل واحد إذا رأى العدد، ولا غاب عنه العدد إذا رأى الواحد فافهم))[1304].

وأقول: قوله هذا صريح في القول بضلالة وحدة الوجود، فقرر أن رؤية العدد- الفرق- لا تنفي الكل- الجمع- لأن ذلك العدد هو رسوم وأشباح للكل، وهو الله . كما أن رؤية الواحد- الكل، الجمع- لا تنفي العدد- الفرق- الذي هو رسوم وأشباح دالة على الكل الذي هو الله. فالرجل قرر هنا خرافة وكفرية وحد الوجود التي يُؤمن بها الصوفية، وانتقد البسطامي بأنه لم ينتبه

[1303] نقلا عن : محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ...، ص: 587-588 .
[1304] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 375 .

في أول أمره إلى الفرق والجمع عندما ذهب إلى الحج، ولم تكن تجربته الصوفية قد اكتملت حسب زعم الرجل.

والقول السابع لأحمد بن عجيبة المغربي (ت 1224 هـ)، ومفاده ((والتحقيق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر))[1305].

وقوله هذا يتضمن الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود، ومعنى كلامه أنه على الصوفي أن يعتقد بداخله أنه إله ورب، لكنه يتظاهر أمام الناس بأنه عبد لله بإظهار التزامه بالشرع على أنه عبد لله .وبمعنى آخر إن ابن عجيبة يوصي الصوفي بأن يعتقد بوحدة الوجود، لكنه يتظاهر بأنه مخلوق وعابد لله مع أنه في الحقيقة هو الله حسب زعمه. نصحه بذلك ممارسة للتقية لإخفاء وحدة الوجود عن المسلمين وإظهار ما يتفق مع الشرع تضليلا وتلبيسا عليهم وانتصارا وتأييد للتصوف .

والقول الأخير – الثامن - هو أيضا لابن عجيبة وصف فيه عبادة الصوفية المحبين العارفين بأن عبادتهم تتم ((بالله لله ،ومن الله إلى الله...))[1306].

وأقول: قوله هذا يتضمن اعتقاد الرجل بضلالة وخرافة وحدة الوجود. بدليل ما يأتي: إنه من الثابت قطعا انه لا توجد في دين الإسلام عبادة تتم بالله ولله ، ولا منه إليه؛ وإنما العبادة الشرعية تتم من العبد لله لقوله سبحانه: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات : 56))، و((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(النحل : 36)). ولا يصح تفسير ذلك بأن العبادة تتم بتوفيق من الله ، فهذا أمر عام يشمل كل المسلمين وليس خاصا بالصوفية، ولا يجعل العبادة تتم بالله ولله، وتبقى قائمة بين العبد وربه .وبما أن الأمر كذلك فإن مقصود الرجل أن الصوفي العارف بعدما يُمارس العبادات الصوفية يتلاشى ويزول عن نفسه وعن الخلق، ويفنى في الله ويبدأ في استشعار الربوبية تدريجيا فيفنى في أفعاله أولا، ثم في صفاته ثانيا، ثم في ذاته ثالثا

[1305] ابن عجيبة: ايقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 140 .

[1306] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم، ص: 108 .

وهنا يصبح ربا . وبهذا يكون العارف قد عبد الله بالله ، ومن الله إلى الله . بمعنى أن الله عبد نفسه ، فكانت منه إليه حسب زعم ابن عجيبة وأمثاله.

علما أن مرتبة المحبين لله لا تتم عبادتهم له كما زعم هذا الرجل ، وإنما تتم بإتباع شريعة الإسلام قلبا وقالبا. قال تعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران : 31))، و((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة : 24)) . ولهذا فإن تلك العبادة التي مدحها ابن عجيبة وجعلها من عبادات كبار الصوفية، هي في الحقيقة لا تخرج عن عبادة الصوفية لأهوائهم وشياطينهم، لأن من لا يلتزم بعبادة الله وفق شريعته فهو بالضرورة يعبد هواه وشيطانه.

وأما المجموعة الأخيرة- السابعة- فتتضمن ثلاثة أقوال تتعلق بالمحبة الصوفية ووحدة الوجود، أولها مفاده أن ابا القاسم الجنيد سُئل عن المحبة فقال: ((دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب)) [1307].

وقوله هذا يتضمن القول بضلالة وحدة الوجود، لأن معنى كلامه أن الصوفي المُحب – بعد قطعه للطريق الصوفي- وبلوغه مقام المحبة يتلاشى ويزول عن ذاته ومحيطه ، فيتخلص من صفاته ورسومه البشرية وتحل محلها صفات المحبوب- الله- وهنا يصبح المحب ربا وإلهاُ . وبمعنى آخر يصير المحب هو المحبوب، والمحبوب هو المحب حسب زعم الجنيد.

والقول الثاني للحسين بن منصور الحلاج، وصف غاية المحبة الصوفية بقوله : ((حقيقة المحبة: قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك))[1308]. وقوله هذا يحمل القول بوحدة الوجود، ولا يختلف في حقيقته عن وصف الجنيد للمحبة وغايتها النهائية. لكن الجنيد فصّل والحلاج أجمل تعريفه لغاية المحبة الصوفية ونهايتها. فهي تتحقق حسب زعمه عندما يتلاشى الصوفي وينخلع عن صفاته ورسومه البشرية، وهنا يفنى في الله ويصبح ربا حسب زعمه.

[1307] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 88 .
[1308] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 144.

والقول الأخير- الثالث- لإبراهيم الخواص وصف المحبة الصوفية بأنها : ((محو الإرادات ،واحتراق جميع الصفات والحاجات))[1309]. واضح من تعريفه أنه يحمل القول بوحدة الوجود ، ولا يختلف عن التعاريف السابقة، فهي كلها تبدأ بممارسة العبادات الصوفية التي تنتهي بصاحبها إلى التلاشي والزوال فتنمحي صفاته ورسومه البشرية، ويفنى في الله ليصبح ربا وإلهاً حسب زعم الصوفي.

ويتبين من أقوال هؤلاء الثلاثة أن المحبة الصوفية أوصلت القوم إلى الاعتقاد بوحدة الوجود. فهي كما كانت محبة فاسدة ومنحرفة عن الشرع في أساسها كما بيناه في الفصل الثاني ، فإنها كانت أيضا فاسدة ومنحرفة عن الشرع في غايتها النهائية . فأوصلت أصحابها إلى الاعتقاد بوحدة الوجود ، التي هي تعطيل وهدم للشرع والعقل والعلم.

علما بأن المحبة الشرعية ليست كما زعم هؤلاء، وهذا أمر سبق أن فصلناه ، ويكفي لردها قوله سبحانه: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24))، و((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). وجاء في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- (((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله و أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))[1310].

ومما يُبطل المحبة الصوفية أيضا هو أن المحبة الشرعية توصل إلى طاعة الله والالتزام بشريعته قلبا وقالبا، ولا توصل إلى كفرية وحدة الوجود التي هي غاية العبادة الصوفية .وكل محبة لا تؤدي إلى الالتزام بالشرع فهي محبة فاسدة وباطلة قطعا .

كانت تلك مجموعة كبيرة من أقوال شيوخ الصوفية زادت عن 68 قولا تضمنت القول بوحدة الوجود تلميحا أو تصريحا ، بالإشارة أو بالعبارة.

[1309] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 87 .
[1310] الألباني: صحيح الجامع الصغير ، ج 1 ص: 291 ، رقم: 3044 .

فكانت شواهد كاشفة وكافية لبيان حقيقة التصوف وأهله، وقد فصلنا في شرحها وأوجزنا في الرد عليها، وفيما يأتي رد مفصل ومركز على عقيدة وحدة الوجود التي هي غاية غايات العبادة الصوفية.

أولا: إن اعتقاد الصوفية بوحدة الوجود ، بمعنى أن الله هو الكون والكون هو الله، فلا موجود إلا الله ، هو اعتقاد باطل قطعا بدليل الشرع ، والعقل ، والعلم . فأما شرعا فدين الإسلام كله قائم على إنكار ونقض وحدة الوجود، لأنه قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق، فالقرآن الكريم من بدايته إلى نهايته قائم على هذه الحقيقة البديهية والقطعية المُطلقة. وأية محاولة للتشكيك فيها فهي باطلة قطعا بأدلة الكتاب والسنة الكثيرة والمتنوعة والتي لا تُعد ولا تُحصى. ولهذا فإن القول بوحدة الوجود هو إنكار مُتعمد لقطعيات دين الإسلام وكفر به وهدم له ،وتكذيب صريح لله ورسوله . وبما أنها تُؤدي إلى ذلك فهي باطلة قطعا.

ومن الشواهد القطعية على ذلك أن الله تعالى أكد في آيات كثيرة أنه سبحانه خلق الكون بأسره من عدم وكانت له بداية محددة خلقه فيها، وأنه سيُنهيه عندما يحين وقت إنهائه، وبعده سيكون المعاد الأخروي. وهذا يعني قطعا أن الكون مخلوق لله وليس هو الله، لأنه لو كان كذلك لكان الكون أزليا بحكم أنه الله ، ولم تكن له بداية ولا ستكون له نهاية . وبما أن الله تعالى أخبرنا أن الكون له بداية وستكون نهاية فهو من مخلوقاته، وليس هو الله قطعا. قال سبحانه: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الأعراف: 54))، و((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ)(التكوير:1 - 14)).

ومن جهة أخرى إن الله تعالى أخبرنا في كتابه أنه خلق مخلوقات كثيرة كالملائكة والجن والإنس، وأنه سبحانه تكلم معها وأمرها بطاعته وعبادته. فلو لم تكن هذه المخلوقات لها ذواتها وصفاتها ووجودها الحقيقي الخاص بها ما خاطبها الله تعالى، وما فرض عليها عبادته . وبما أنه فعل ذلك معها

دل هذا قطعا على أن الكون ليس هو الله ،وإنما هو منفصل عنه ومن مخلوقاته.

ومن تلك الشواهد القطعية أيضا أن الله تعالى أخبرنا أنه خلق الجن والإنس وفرض عليهم عبادته وأنزل عليهم كتبه، فمن أطاعه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار يوم القيامة. فهل يُعقل أن الله يكون هو الجن والإنس ويأمرهم بطاعته ويُحذرهم من عصيانه ؟؟ !! . وهل يُعقل أن يكون الجن والإنس هم الله ثم يُعذب العصاة منهم في جهنم ؟؟ ، بمعنى أنه يُعذب نفسه ، أليس القول بهذا جنون ومهزلة ؟؟ !! . أليس خلق الله تعالى للجنة والنار ومحاسبته للجن والإنس يوم المعاد هو دليل قطعي على بطلان خرافة وحدة الوجود ؟؟ .

وأما عقلا وواقعا فمجرد تصور وحدة الوجود يكفي وحده للحكم عليها بالبطلان؛ لأن كل البشر –وغيرهم من الكائنات الحية- يحسون من داخلهم إحساسا يقينيا قطعيا أنهم كائنات حقيقية مخلوقة منفصلة عن بعضها من جهة، وأنهم يُمثلون بنفوسهم شخصيات مستقلة ومنفصلة عن محيطها من جهة ثانية ، ولا يحسون أنهم يمثلون في مجموعهم كائنا واحدا بذات واحدة تُمثلهم كلهم من جهة ثالثة .

ومن ناحية أخرى فإن كل البشر الأسوياء يحسون ويدركون من داخلهم أنهم كائنات مخلوقة لهم بداية وستكون لهم نهاية، ولا يحسون ولا يستشعرون أنهم أربابا ولا آلهة . فلو كان كذلك لأحسوا به ، لأنهم في كامل قواهم العقلية والبدنية والنفسية. وبما انهم يحسون أنهم كائنات مخلوقة وليسوا كائنا واحدا و لا أربابا وآلهة دلّ هذا على بطلان القول بوحدة الوجود.

وأما إذا قيل : إن ذلك الإحساس هو إحساس خادع ولا يُعبر ولا يكشف عن حقيقة الإنسان، وإنما القول بوحدة الوجود هو الإحساس الصحيح .فأقول: هذا القول مجرد زعم ، والزعم بلا دليل يُثبته لا قيمة له ، ولا يعجز عنه أحد . وهو باطل بما ذكرناه من أدلة الشرع والعقل والفطرة والعلم. كما أن هذا الزعم هو تلبيس وتغليط وليس من الاستدلال العلمي الصحيح، وهو خروج عن قطعيات الشرع والعقل والعلم بأن الكون كائن مخلوق منفصل عن خالقه. وهو من جهة أخرى تعلّق بالأهواء والأوهام ، والهلوسات

والظنون وتقديمها على اليقينيات والقطعيات . وموقف هذا حاله غير صحيح من دون شك.

ولو كان إحساس الإنسان بذاتيته مجرد إحساس خادع ،لأحس بأنه هو الله بحكم أن هذا الإحساس هو الأصل في الإنسان حسب زعم الصوفية. وبما أنه لا يحس بأنه هو الله في حالته الطبيعية دلّ هذا على أن الإنسان بذاته وصفاته كائن مخلوق لله وليس هو الله.

وأما من الناحية العلمية فمن الثابت علميا أن الكون مخلوق له بداية وأنه سائر إلى الزوال . حتى أن في زماننا هذا أصبحنا نسمع أن بعض علماء الفلك يتنبؤون بقرب بنهاية العالم بما يرونه من شواهد وأجسام فضائية تقترب من كوكب الأرض. وقد تنبأ بعضهم بنهاية العالم في شهر ديسمبر سنة 2012 م ، فلم يحدث ما تنبؤوا به، لكنه من جهة أخرى شاهد دامغ على أن العلم يقول بأن الكون سينتهي . وبما أن الكون كذلك فهذا يعني أنه مخلوق لله تعالى وليس هو الله . فلو كان هو الله لكان أزليا بحكم أنه الله حسب زعم الصوفية . الأمر الذي يُثبت أن الكون كائن مخلوق له وجود حقيقي، وليس هو الله، ولا جزءاً منه ، ولا أنه من صوره ،ولا من ظلاله وتجلياته . وبهذه الحقيقة العلمية يتأكد لدينا أن كلا من الشرع والعقل والعلم يُثبت بطلان اعتقاد الصوفية بخرافة وحدة الوجود .

وثانيا إن زعم الصوفية بأن الإنسان والمخلوقات الأخرى ليس لها وجود حقيقي منفصل عن الله ، وإنما هي أشباح ورسوم وتجليات له ؛ هو زعم باطل بدليل الشواهد الآتية: أولها لو كان الأمر كما زعموا لأحس به كل إنسان من داخله بأنه هو الله، وأن نفسه وصفاته مجرد أشباح لا وجود حقيقي لها. وبما أننا لا نحس بذلك دل هذا على بطلان الحكاية من أساسها. ولا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما أن نترك الحقائق التي نحس بها ونتعلق بالأوهام والظنون والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية. وإذا كان الشك لا يُزيل اليقين ، فمن الأولى قطعا أن الأوهام والأهواء والخرافات لا تتقدم على اليقين والحقائق ولا تزيلها. والذي يترك براهين الشرع والعقل والعلم ، و يتمسك بالأوهام والخرافات والظنون والأهواء فهو إنسان مُعطل لعقله الفطريي ، وغير سوي ومُلبس عليه، ولا يعرف مصلحته .

والشاهد الثاني مفاده أن زعم الصوفية بأن ممارساتهم للطريق الصوفي توصلهم إلى تلاشي ذواتهم وصفاتهم وفنائهم في الله حتى يصبحوا أربابا؛ هو زعم باطل لأن طبيعة الإنسان لا يُمكن أن تتغير، فمهما مارس من مجاهدات فسيبقى إنسانا ، ولن يصبح إلهاً. ولهذا فإن الإنسان حتى عندما يستقربه المقام في الجنة أو النار فإن طبيعته الإنسانية لا تتغير، فيبقى يأكل ويشرب، ويتمتع بالملذات ويتألم بالعذاب . والشاهد على عدم تغير طبيعته أيضا قوله تعالى: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الروم : 30))، و((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7- 10)).

والدليل على ذلك أيضا هو أن حال الصوفية وعاداتهم وطبائعهم – بعد ممارساتهم الصوفية- لم تتغير وبقيت فيهم كغيرهم من البشر. من ذلك مثلا بقي فيهم الطمع والحرص على الدنيا، والكذب والنفاق بممارستهم للتقية، والتقرب إلى الأغنياء والحكام طمعا فيما عندهم، والتسول واستعطاف الناس بمظاهر التصوف كالخرقة ، ومنها أيضا عقد مجال الطرب والرقص ، وإظهار الزهد والصلاح بلباس المرقعة.

والشاهد على ذلك أيضا أنه عندما أُقيمت الحجة على الحلاج أنه يدعي الألوهية ويقول بوحدة الوجود ، قيل له: هل معك أحد ؟ فقال: نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريري، وأبو بكر الشبلي ؛وأبو محمد الحريري يستتر والشبلي يستتر، فان كان فابن عطاء فأُحضر الحريري فسئل فقال: هذا كافر يقتل ومن يقول هذا. وسئل الشبلي فقال: من يقول هذا يمنع .ثم سُئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال: بمقالته فكان سبب قتله»[1311].

واضح من ذلك أن هؤلاء لو تخلصوا من طبائعهم البشرية، وأصبحوا أربابا ما اختلفوا، ولما خاف الشبلي والحريري وما تسترا. فلا يُعقل ولا يصح أن يكون هؤلاء قد أصبحوا أربابا وآلهة ثم يخافان ويتستران**!!** . فدلّ هذا على أن هؤلاء لم يتخلصوا من طبيعتهم البشرية، ولا أصبحوا أربابا، وإنما بقوا على طبيعتهم الإنسانية ، ولهذا منهم من كان جبانا، ومنهم من كان شجاعا كغيرهم من بني آدم، بحكم أن الناس معادن.

[1311] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ج ص: 127 .

والشاهد الثالث مضمونه: إن الله تعالى أكد في آيات كثيرة جدا أنه سبحانه خلق الكون والإنسان خلقا حقيقيا ومستقلا ، كقوله سبحانه : ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)(السجدة: 7)). وهذا يعني أن الإنسان ليس شبحا ولا رسما لله ، ولا هو من أفعاله ولا من تجلياته، وإنما هو من مخلوقاته .

والشاهد الرابع مضمونه : إن مما يبطل الزعم بأن المخلوقات مجرد أشباح ولا وجود حقيقي لها، هو أنه من الثابت أن كل مخلوق له ذاتيته وصفاته التي يتميز بها عن غيره من المخلوقات مما يعني أنها ليست أشباحا ولا أفعالا لله . ومن ذلك مثلا نجد البشر أنهم على كثرتهم فإن لكل واحد منهم ذاته وخصائصه التي تميزه عن غيره من بني آدم. وهذا يعني بالضرورة أن تعدد الذوات يستلزم التباين والتعدد واستحالة وحدة الذوات ووحدة الوجود. فنحن أمام تعدد ملايير الذوات بين البشر أنفسهم ، ثم بينهم وبين الذات الإلهية. فلا يُمكن أن تكون نفوس هؤلاء كلها نفسا واحدة. لأن تعدد الصفات يختلف جذريا عن تعدد الذوات ، فيُمكن أن تتعدد صفات الذات الواحدة، لكن لا يُمكن أن تتعدد الذات الواحدة فتكون لها عدة ذوات، ولا الذوات تصبح ذاتا واحدة . وبما أن الأمر كذلك، والذوات متعددة فلا يُمكن أن تكون تمثل الذات الإلهية، ولهذا قال تعالى على لسان المسيح-عليه السلام- : ((إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)(المائدة : 116)) . وعليه فإن ما نراه من ذوات كثيرة في الطبيعة هي مخلوقات لله قائمة بذواتها ، وليست أشباحا ولا ظلالا ولا رسوما ولا أفعالا لله كما يزعم الصوفية.

والشاهد الأخير- الخامس - إن مما يُبطل زعم الصوفية بأن الكون وما فيه هو تجليات لأفعال لله وليست مخلوقة له؛ هو أنه من الثابت شرعا وعقلا أن الكائن الحي هو بذاته فاعل ، وله فعل ، وله مفعول . والفعل تابع للفاعل ولا ينفصل عنه ، لكن المفعول هو نتيجة فعل الفاعل، ومُنفصل عنه . ومثال ذلك أن صانع الدراجة ، هو الصانع- الفاعل- قام بعملية الصنع- الفعل- فأنتج لنا الدراجة- المصنوع، المفعول- . فتُأْخذ الدراجة للاستعمال، وتنفصل عن الصانع وصنعه- فعله – ويبقى فعل الصنع مع الصانع ولا ينفصل عنه . ونفس الأمر ينطبق على الفعل الإلهي- ولله المثل الأعلى- فالله تعالى يقول: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82)) . فهو سبحانه الخالق- الفاعل- خلقنا بقوله " كُن " ، وهذا فعله ،

فنتجت عنه المخلوقات ، وهي المفعولات ، وليست هي" كن" ، أي الفعل ، فهي من صفاته ، وليست من مفعولاته. ولهذا ما نراه من كائنات هي مخلوقات ومفعولات لله، وليست أفعاله . وبهذا يسقط زعم الغزالي وأصحابه عندما جعلوا المخلوقات أفعالا لله، وليست من مفعولاته .

وبذلك يتبين أن ممارسات العبادة الصوفية لم تغير طبيعة الإنسان الصوفي ، وإنما أفسدت فيه جانبه الخيّر وعطلته ، ونمّت فيه جانبه الشرير والحيواني والشيطاني ، فأصبح الصوفي يسبح في محيط من المحرمات والأباطيل، والأوهام والأساطير، فانتقل من حالة الوعي إلى الى اللاوعي، ومن العقل إلى اللاعقل، ومن الشرع إلى اللا شرع ،ومن العلم إلى اللاعلم .

واتضح أيضا أن الصوفية قالوا بخرافة الأشباح والرسوم والتجليات، وفصلوها على مقاسهم لتتفق مع قولهم بوحدة الوجود ، مع أنها مخالفة للشرع والعقل والعلم .

وثالثا إن الغيبة- التلاشي عن النفس والخلق ،والفناء في الله – التي وصفها الصوفية وتكلموا فيها ، ومدحوها وجعلوها فتحا ربانيا أوصلهم إلى الاعتقاد بوحدة الوجود؛ هي في الحقيقة ليست كذلك وإنما هي حالة نفسية وعقلية وعضوية زائفة وفاسدة ، وحالة مرضية خليط بالهلوسات والتخيلات والتلبيسات النفسية والشيطانية، فهي حالة لا وعي ولا صحو، ولا عقل ولا علم . ولهذا لا يصح الاعتماد عليها، ولا الاحتجاج بها . فهي ليست حالة صحيحة ولا صحية ،ولا كشفا علميا ولا عقليا ،ولا نورا ربانيا ولا فتحا إلهياً. والدليل على ذلك الشواهد الآتية:

أولها: لو كانت حالة وحدة الوجود التي يصل إليها الصوفي في غيبته حالة صحية وصحيحة ما خالفت الشرع والعقل والعلم كما بيناه سابقا. وبما أنها خالفت هذه المصادر دلّ هذا على بطلان حكاية وحدة الوجود من أساسها .

والشاهد الثاني إن مما يُبطل قولهم بوحدة الوجود وتحولهم إلى أرباب وآلهة هو أن أحوالهم البشرية المشهودة من سلوكياتهم لا تتغير ،وتبقى كما هي ولا تختلف عن أحوال غيرهم من البشر المتعلقة بمتطلبات الحياة، من لباس وأكل، ونوم واستيقاظ ، وضعف وقوة، وخوف ورجاء، وحياة

وموت. فلو أصبحوا أربابا كما يزعمون لتغيرت طبيعتهم البشرية، وبما أن هذا لم يحدث دلّ على أن ما يدعيه هؤلاء الصوفية ما هو إلا ظنون وأوهام وهلوسات، أو أنه أكاذيب وأباطيل يتعمد هؤلاء التظاهر بها .

والشاهد الثالث إن مما يدل على أن حالة الغيبة والجذبة - الفناء ووحدة الوجود- هي حالة مرضية وليست صحية أنها ليست حالة طبيعية يمر بها معظم الناس ، ولا هي حالة إيمانية شرعية . فلو كانت طبيعية لمر بها كل الناس، ولما عطلت في الصوفية قدراتهم العقلية والنفسية والعضوية ، ولَمَا نقلتهم من حالة الوعي إلى اللاوعي. ولو كانت حالة إيمانية صحيحة لورد ذكرها في الكتاب والسنة، ولحث الشرع عليها، ولَذُكرت من بين صفات المؤمنين المذكورة في الوحي . كقوله تعالى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)) .

والشاهد الرابع إن مما يُثبت أن حالة الفناء الصوفي- وحدة الوجود- هي حالة مرضية تُفقد الصوفي قدراته العقلية والنفسية والعضوية من جهة، وتجعله فريسة للوساوس والهلوسات والتلبيسات الشيطانية من جهة أخرى. هو أن ممارسته للطريق الصوفي من عزلة وجوع شديد ، وقلة نوم هي التي توصله إلى تلك الحالة ، وفيها يكون الصوفي مريضا وفاقدا لقدراته وأي شكل من المقاومة، فيقع فريسة للهلوسات والتلبيسات الشيطانية التي توحي إليه بأنه هو الله ، وأنه بلغ قمة اللذة والإيمان ، وأن المخلوقات هي عين الله ، وأنه دخل في عالم الحقائق والأنوار. مع أن الحقيقة خلاف ذلك تماما بدليل الشرع والعقل والعلم كما سبق أن بيناه .

ومن الأدلة الدامغة التي تُثبت صحة ذلك الشواهد الآتية: أولها تبين من التجارب العلمية الحديثة أن المحروم من النوم لمدة أكثر من أربعة أيام- كالصوفية- يصبح يعتقد أنه يوجد من يتآمر عليه ويريد قتله. واتضح أن الحرمان الطويل من النوم قد يؤدي إلى أعراض فقدان الشخصية فيفقد الشعور بذاتيته ولا يعود يرتبط بالعالم السوي[1312]. وهذا الحال هو نفسه الذي يقوله الصوفية في تلاشيهم وزوالهم عن ذواتهم ومحيطهم، والذي يُعبرون عنه بقولهم: الفناء عن الخلق .

[1312] ألكسندر بوربلي: أرسرار النوم، ص: 183 .

والشاهد الثاني مفاده أن حالة الغيبوبة- الفناء- التي تحصل للصوفية ليست خاصة بهم وإنما هي تظهر في أحوال النساك من مختلف الأديان على تناقضها، مما يعني أنها ليست حالة إيمانية ربانية شرعية، وإنما هي حالة مرضية وشيطانية تحصل لكل من يُمارس عبادات الصوفية. من ذلك مثلا أن رهبان البوذية توصلهم ممارساتهم التعبدية إلى حالة النرفانا. ومن صفاتها: الغياب عن الصفات البشرية، وعن الأشياء كلها، والزعم بأن العالم الذي نراه ما هو إلا وهم وخيال ولا حقيقة له[1313]. وهذا نفس ما يقوله الصوفية : الفناء عن الخلق ، والفناء في الحق- الله- .

والشاهد الثالث مفاده أن بعض العلماء المتقدمين لاحظوا أن شدة الجوع وقلة النوم كان لهما تأثير سلبي على الصوفية في زمانهم ، وأصبحوا يُعانون من عدة أمراض واضطرابات. فمن ذلك الحالتان الآتياتان:
الحالة الأولى: ذكر المؤرخ قطب الدين اليونيني أن الصوفي أبي محمد عبد الله بن شكر اليونيني (القرن: 7 هـ) – لقلة ماله- كان ((يصبر على خشونة العيش وكثرة الجوع إلى أن حصل يبس، أورثه تخيلات فاسدة، فتارة يتخيل أن جماعة عزموا على اغتياله وقتله، وتارة يتخيل أنه اطلع على أماكن فيها كنوز وأموال جليلة ؛ واتصل ذلك ببعض الولاة ببعلبك فأحضره وسأله عن ذلك، فذكر أنه يعرف أماكن فيها مدافن تحتوي على أموال جمة فسأل عنه، فقال من يعرفه هذا من الأولياء الأفراد ولا يتجوز في القول وإنما لكثرة الجوع والمجاهدة حصل له يبس أفسد مزاجه))[1314].

والحالة الثانية: قال الحافظ الذهبي : ((إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ، فإذا كان سرد الصيام والوصال قد نهي عنهما، فما الظن ؟ وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ".ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب، وفسد عقله، وجف دماغه، ورأى مرأى، وسمع خطابا لا وجود له في الخارج، فإن كان متمكنا من العلم والإيمان ، فلعله ينجو بذلك من تزلزل توحيده ، وإن كان جاهلا بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق وقال: أنا هو ! نعوذ بالله من

[1313] عبد الله مصطفى تومسك: البوذية : تاريخها وعقائدها، وعلاقتها بالتصوف، ص: 411 وما بعدها .
[1314] قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 1 ص: 392 .

النفس الأمارة ، ومن الهوى ، ونسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا ، آمين))[1315].

وأقول: كلام الحافظ الذهبي صحيح، جمع فيه بين ما تحدثه طول مدة الجوع والسهر ،وفقدان المعني لقدراته الإيمانية والعقلية، وتسلط الشيطان عليه . وهذا أمر ثابت بالمشاهدة والتجارب العلمية الحديثة[1316].

الشاهد الأخير- الرابع- إن مما يُثبت أن حالة الغيبة والجذبة- الفناء ووحدة الوجود- التي يمر بها الصوفي أنها حالة مرضية وشيطانية بسبب شدة الجوع وقلة النوم ، أن نفس تلك الحالة أصبح بعض الناس من الصوفية وغيرهم يصلون إليها بتناول المخدرات بدلا من الجوع والسهر.

فمن ذلك أن بعض متأخري الصوفية مدح الحشيش المخدر بقوله:

فحشيشَةُ الأفراحِ تشفعُ عندنا ... للعاشقينَ ببسطها للأنفُسِ
وذا هممتَ بصيد ظَبي نافرٍ ... فاجهدّ بأن يرعى حشيشَ القنبُسِ
واشكر عصابة حيدرٍ إذ أظهروا ... لذوي الخلاعةِ مذهبَ المتخمِّسِ
ودع المعطِّلِ للسرورِ وخلني ... من حسنُ ظنِّ الناسِ بالمنمّسِ[1317].

وذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية أن طائفة من الصوفية تدعي أن أكل الحشيشة المخدرة تنشط على أداء الصلوات وتعين على استنباط العلوم وتصفية الذهن . حتى أنهم يسمونها معدن الفكر والذكر ،ومُحركة الغرام الساكن .و هذا كله من خدع النفس ومكر الشيطان بهؤلاء لأن تلك الحشيشة هي عمى للذهن ،تجعل آكلها أبكما مجنونا لا يعي ما يقول[1318].

ومن ذلك أيضا فقد تبين حديثا أن متعاطي المخدرات - خاصة المُهلوسة[1319] منها- يجدون في نفوسهم حالات شبيهة جدا بما يجده الصوفية من مشاعر ورحلات ومشاهد أثناء غيبتهم عن نفوسهم ومحيطهم بسبب الجوع والسهر. والشاهد على ذلك أنه ((يُطلق على تأثيرات عقاقير الهلوسة أحيانًا اسم الرحلات، حيث يرى متعاطي هذه العقاقير ألوانا برَّاقة متحرِّكة خلال هذه الرحلة، ويتخيّل كذلك أن حجم وترتيب وشكل الأجسام كأنها تتغيَّر باستمرار. وربَّما يصاب المتعاطي بالهلوسة، أي يرى ويسمع

[1315] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص: 577 ، رقم: 381 .
[1316] سنوثق ذلك قريبا .
[1317] المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ج 2 ص: 291 .
[1318] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 4 ص: 150.
[1319] الهلوسة تجعل صاحبها يرى أشياء لا وجود لها في الواقع . وخداع الحواس يعني رؤية كائنات في الواقع على غير حقيقتها.

أشياء لا وجود لها. وقد يقفز ذلك الشخص من نافذة دون إدراك منه بأنه يعرِّض نفسه للأذى أو حتى خطر الموت. وقد يتذكّر متعاطي هذه العقاقير الأحداث الماضية بحيويّة وينتابه شعور جارف بالخوف، أو الحزن، أو الرعب، أو شعور عارم بالمتعة والمحبَّة. ويعتقد متعاطو هذه العقاقير خلال الرحلة بأنهم اكتسبوا فهما جديدًا لله وللكون ولأنفسهم))[1320].

فواضح من ذلك أن تلك الأحوال والمشاعر والمشاهد هي نفسها وقريب منها ظهرت على الصوفية ، خاصة الذين أظهروا شطحاتهم كأبي يزيد البسطامي، والحلاج . وهذا يُثبت ما قلناه سابقا بأن الغيبة الصوفية- الفناء ووحدة الوجود- هي حالة مرضية زائفة فاسدة خليط من الهلوسات والأوهام، والتلبيسات الشيطانية، ومن ثم فلا يُمكن أن تكون أحوالها صحيحة ولا صحية ، ولا أن تكون مصدرا للعلم .وهي حالة ليست خاصة بالتصوف وأهله، وإنما هي تظهر بسبب شدة الجوع وقلة النوم ،أو تعاطي المخدرات . فحكاية الفناء ووحدة الوجود التي يُدندن حولها الصوفية ما هي إلا خداع في خداع، ومسرحية نفسية شيطانية هلوسية لها فصول ومشاهد تبدأ بالعزلة والجوع وقلة النوم وتنهي بأصحابها إلى الكفر بالله ورسوله، وتعطيل دينه وهدمه **!!**.

وأُشير هنا إلى أن شطحات الصوفية هي أيضا تندرج ضمن قولهم بوحدة الوجود . والشطح عندهم هو ((عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوة ، وهاج بشدة غليانه وغلبته .. فكذلك المريد الواجد إذا قوى وجده ، ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه سطع ذلك على لسانه بعبارات مستغربة مُشكلة على فهوم سامعيها ، إلا من كان من أهلها ، ويكون مُتبحرا في علمها ، فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح شطحا))[1321].

واضح من تعريف السراج الطوسي للشطح أنه من عبارات الصوفية التي عبروا بها عن حقيقة تصوفهم وليست من إشاراتهم التي أخفوا بها حقيقتهم. وهي مُستغربة ومشكلة عند غير الصوفية، وعند من لا يعرف حالهم ومصطلحاتهم؛ لكنها ليست كذلك عند الصوفية ومن يعرف حقيقة تصوفهم .

[1320] الموسوعة العربية العالمية ، مادة : عقار الهلوسة . وللتوسع في موضوع الهلوسة بين المتصوفة والمتعاطين للمخدارات أنظر: محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية .

[1321] السراج الطوسي: اللمع، ص: 453 .

ويوضح ذلك أيضا قول أبي طالب المكي: ((فالغالون هم الشاطحون لأنهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فأسقطوا الحكم))[1322]. فمن صفات الشاطح أنه عبّر بصراحة عن عقيدته بكلمات جاوزت العلم والشرع والرسوم- المخلوقات- فأنكر ذلك صراحة. وبمعنى آخر أنه قال بوحدة الوجود- الفناء عن الخلق والفناء في الحق- بكلام واضح لا التباس فيه. وهذا خلاف الصوفية الآخرين الذين قالوا بكفرية وحدة الوجود لكنهم لم يصرّحوا بها بالعبارات الواضحة، وإنما عبرّوا عنها بالإشارات والتلغيزات كقولهم مثلا: الفناء عن الخلق والفناء في الحق. أو: التخلص من الفرق لبلوغ الجمع. أو محو الرسوم للتحقق بالفردانية.

والدليل على أن شطحاتهم تتضمن القول بوحدة الوجود الشواهد الآتية:
أولها شطحات أبي حمزة البغدادي الصوفي(ت 289 هـ) ، منها ما ذكره السراج الطوسي بقوله: ((بلغني عن أبي حمزة أنهّ دخل على الحارث المحاسبيّ، فصاحت الشّاة: ماع. فشهق أبو حمزة شهقة وقال: لبيّك لبيَّك يا سيّديّ. فغضب الحارث رحمه الله وعمد إلى السِّكّين، وقال: إنّ لم تتب ذبحتك. فقال له أبو حمزة: أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه، فلم لا تأكل النخالة بالرماد؟ . إيش بينك وبين أكل الطيبات والتوسع في الدار والثياب))[1323]. فعلق السراج على كلامه بقوله: ((يريد بذلك" إن إنكارك عليّ يُشبه أحوال المريدين والمبتئين، وتوسعت على نفسك وبسطك في الدخول في السعات يُشبه حال الأنبياء والصديقين الذين لا يضرهم الدخول في السعات))[1324].

ومقصود أبي حمزة في رده على المحاسبي أن إنكارك لقولي يدل على أنك ما تزال من المبتدئين في التصوف ولم تصل إلى غايته التي هي وحدة الوجود، وفيها يفنى الصوفي في الله ويصير هو الله، وكل ما في الكون هي تجليات له حسب زعم الصوفية.

ومنها ما رواه ابن الجوزي: ((عن أبي علي الروذباري قال : أُطلق على أبي حمزة أنه حلولي وذلك أنه كان إذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح

[1322] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 244 .
[1323] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 495 . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .
[1324] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 495 . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .

وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول : لبيك لبيك فرموه بالحلول))[1325].

ومنها أيضا ما ذكره الحافظ الذهبي عن أبي نعيم الأصبهاني ((قال أبو نعيم في الحلية: حكى لي عبد الواحد بن أبي بكر: حدَّثني محمد بن عبد العزيز: سمعت أبا عبد الله الرمليّ يقول: تلكَّم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه. فبينما هو يتكلَّم ذات يوم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة، لبَّيك لبّيك. فنسبوه إلى الزَّندقة وقالوا: حلوليّ زنديق. فشهدوا عليه، أخرج وبيع فرسه ونودي عليه: هذا فرس الزنديق))[1326].

والثانية: شطحات أبي يزيد البسطامي ، فمن هذيانه وشطحاته ما حكاه عن معراجه إلى الله ، فقال: ((... حتى أن الله أنشأ لي علما من علمه ، ولسانا من لطفه ، وعينا من نوره ، فنظرت إليه بنوره، وعلمت من علمه ، وناجيته بلسان لطف فقلت : ما بالي بك ؟، فقال: **أنا لك بك لا إله غيرك** ...))[1327].

ومن أوهامه وشطحاته وضلالاته أنه قال: ((أدخلني معه مدخلا أراني الخلق كلهم بين الأصبعين))[1328]. و((سبحاني ما أعظم شأني)) [1329]. وقال : ((أسألك ألا تحجب الخلق بك عنك، وتحجبهم عنك بي، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون))[1330]. و ((أراد موسى -عليه السلام- أن يرى الله تعالى، وأنا ما أردتُ أن أرى الله ، هو أراد أن يراني))[1331]. وقال : ((خضتُ بحرا وقف الأنبياء بساحله)) [1332]. و قال: ((تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد – صلى الله عليه وسلم- لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين))[1333].

[1325] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 210 .
[1326] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ، ص: 155 .و ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 210 .
[1327] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ، ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس، ط 1 ، دار المدى، دمشق ، بيروت ، 2004 ، ص: 41 .
[1328] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[1329] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 480 .
[1330] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[1331] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[1332] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 49 .
[1333] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 48 .

والأخيرة- الثالثة- : شطحات الحسين الحلاج ، منها قوله: ((« أنا الحق»[1334] و « ما في الجبة إلا الله »[1335]. وأرسل رسالة إلى أحد أصدقائه مطلعها : ((« من الرحمن الرحيم الى فلان ». فقالوا له: كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الألوهية؟ قال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة ". فقيل: هل معك أحد ؟ فقال: نعم ابن عطاء، وأبو محمد الحريري، وأبو بكر الشبلي . وأبو محمد الحريري يستتر والشبلي يستتر، فان كان فابن عطاء. فأُحضر الحريري فسُئل فقال: هذا كافر يقتل ومن يقول هذا. وسُئل الشبلي فقال: من يقول هذا يُمنع .ثم سُئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال: بمقالته ،فكان سبب قتله»))[1336].

وقال أيضا : ((« سَتَر الله عنك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر خفي وحقيقة الكفر معرفة جلية»[1337]. وقال أيضا:((كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح))[1338]. وقوله هذا مصدره الاعتقاد بوحدة الوجود، فهو صادق مع نفسه وتصوفه لأن من يتصوف ويصل إلى الفناء – وحدة الوجود – فيكفر حتما بدين الإسلام، ويُكفر من يعتقد به، وهو أيضا يصبح كافرا عند المسلمين.

وأقول: أولا إن شطحات هؤلاء الصوفية تشهد على أصحبها بأنهم كانوا يعتقدون بوحدة الوجود وعبروا عنها بصريح العبارة لا بالإشارة. ومنهم من عبّر عنها بلسان الفرق –التعدد- ومنهم من تكلّم عنها بلسان الجمع- التفريد- فأبو حمزة الصوفي مثلا تكلم بلسان وحدة الوجود من خلال قوله : لبيك لبيك لهبوب الرياح ، وخرير المياه ، وصياح الطيور. وهذا يتفق مع وحدة الوجود بحكم أن الكون كله هو الله ، والكائنات تجليات له حسب زعم الصوفية. وعليه فإن كلا من الأسلوبين يتضمنان القول بوحدة الوجود. ورمي الناس لبعضهم بالحلول لا يعني أنهم كانوا يقولون بالتفريق بين الخالق والمخلوق، وإنما إما أن الناس لم يفهموا مقصودهم ، وإما أنهم عبروا عن وحدة الوجود بلفظ الحلول ، بحكم أن وحدة الوجود تحمل ما يشبه الحلول عندما يُنظر إليها من خلال الفرق والتعدد . فهي قائمة على الفرق والجمع معا.

1334 الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ص: 36 .

1335 ابن خلكان: وفيات الأعيان ، دار صادر، بيروت ، ج 2 ص: 140 .

1336 الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ج ص: 127 .

1337 ابن الساعي: أخبار الحلاج ، ص: 12 . والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 14 ص: 352 .

1338 ه\ا القول موجود في ديوان الحلاج، لكني أتحصل عليه، فنقلته عن الباحث الناقد سفر عبد الرحمن الحوالي: الرد على الخرافيين ، ص:15 .

وثانيا إن تلك الشطحات تشهد بأن القول بوحدة الوجود ظهر مبكرا مع شيوخ الصوفية الأوائل المؤسسين للتصوف. فمنهم من عبر عنها بالإشارة كما سبق أن بيناه . ومنهم من أظهرها بصريح العبارة ، كما فعل أبو حمزة الصوفي، والبسطامي، والحلاج.فنسبهم المسلمون إلى الكفر والزندقة والحلول.

وثالثا إن تلك الشطحات مع أنها من ظنون وخرافات وضلالات الصوفية ، وباطلة لفظا ومضمونا ، وفاضت بها الأوهام والهلوسات والتلبيسات الشيطانية، ويجب إنكارها وبيان بطلانها وفسادها؛ فإنها من جهة أخرى هي شواهد صادقة تُعبر عن حقيقة العقيدة الصوفية، لأن أصحابها تكلموا بها بالعبارات الواضحة لا بالإشارات المُلغزة. فذكروا وحدة الوجود بصراحة . لكن كثيرا من مؤلفي الصوفية -الذين شرحوا أقوال شيوخ التصوف، كالسراج والقشيري- كانوا إذا وجدوا عبارات صوفية صريحة في كشف حقيقة التصوف ورجاله تدخلوا وأولوها ، وبحثوا لها عن مخارج لتلغيزها وإخفائها وطرحوا لها احتمالات أخرى لصرف معناها الحقيقي الواضح[1339].

فالشطحات هي تعبيرات صادقة واضحة وكاشفة عن حقيقة التصوف وأهله في قولهم بوحدة الوجود. أظهرها بعضهم إما شجاعة وتحديا، كما كان يفعل أبي يزيد البسطامي والحلاج. وإما أظهرها خطأ ،أو ضعفا، أو نسيانا، أو لغاية في نفسه .

علما بأن شطحات الصوفية لا تُعبر عن حقائق موضوعية صحيحة ومستقيمة، وإنما تُعبر عن حقيقة التصوف وأحوال أهله . فهي تتضمن أباطيل من دون شك لكنها تكشف حقيقة عقائد الصوفية. وعليه فيمكن تعريفها بقولنا: الشطحات هي عبارات صوفية واضحة مُنكَرة عبّر بها الصوفي بصدق عن الأباطيل والضلالات التي يعتقدها والمجتمعة في القول بوحدة الوجود. فهي من عبارات الصوفية التي جمعت بين الصدق والوضوح في التعبير، خلاف إشاراتهم التي تعبر بصدق عن عقيدة القوم بطريقة تلغيطية تلبيسة احتمالية، لا يفهما إلا أهلها أو من له معرفة جيدة بالتصوف.

[1339] كما تدخل السراج في التعليق على الحادثة التي وقعت بين الحارث المحاسبي وأبي حمزة الصوفي .

ورابعا فيما يتعلق برواية ما جرى بين الحارث المحاسبي وأبي حمزة الصوفي، فإن صح الخبر فإن هذا الأخير أظهر اعتقاده بوحدة الوجود بقوله للشاة"لبيّك لبيَّك يا سيّديّ"، وأظهره برده على المحاسبي((أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه، فلم لا تأكل النخالة بالرماد؟ . إيش بينك وبين أكل الطيبات والتوسع في الدار والثياب))[1340]. وأما إنكار المحاسبي عليه فإما أنه فعله تقية لأنه ربما كان معهم من ليس من الصوفية ، أو أنه لم يكن وصل إلى مرحلة القول بوحدة الوجود كما قاله له أبوحمزة الصوفي. بمعنى أنه كان ما يزال ممارسا للطريق الصوفي، ولم يصل إلى الفناء في الله حسب زعم الصوفية، لذلك أنكر ما أظهره أبو حمزة .

وأما تعليق السراج الطوسي الخاص بالأنبياء عندما قال:((وتوسعت على نفسك وبسطك في الدخول في السعات يُشبه حال الأنبياء والصديقين الذين لا يضرهم الدخول في السعات))[1341]. فلا يصح، ومردود عليه، لأن الأنبياء هم قدوة بني آدم في الزهد والعبادة والورع من دون منازع. وزهدهم هو الزهد الصحيح القائم على الاعتدال وعدم الإسراف في كل جانب من جوانب الحياة. وأما زهد الصوفية فهو زهد مخالف للشرع اخترعه الصوفية وأمثالهم بأهوائهم وظنونهم وشياطينهم، ولا يصح الأخذ به، ولا تفضيله على الزهد الشرعي ، وهذا أمر سبق أن بيناه بالتفصيل.علما بأن تعليق السراج على رد أبي حمزة يُشير إلى أنه أرد أن يصرف الناس عن حقيقة قول أبي حمزة في اعتقاده بوحدة الوجود، لأن قوله يتضمن القول بها.

وأخيرا- خامسا- إن ما رُوي عن الحلاج بأنه كتب ((« من الرحمن الرحيم الى فلان » فقالوا له: كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الألوهية " قال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة ")). هو شاهد صريح إنه كان يعتقد بأنه هو الله ، وهذا تعبير عن وحدة الوجود.ثم عبّر عنها وشرحها بالإشارة عندما قيل له : كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الألوهية . فبين لهم أنه ادعى النبوة بعين الفرق- التعدد- ، وأدعى الألوهية بعين التفريد- الجمع- . وهذا أيضا إشارة واضحة لوحدة الوجود . وكلامه هذا له أهمية كبيرة في كشف حقيقة التصوف،وفضح

[1340] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 495 . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .
[1341] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 495 . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .

رجالـه الأوائـل كالشـبلي وأبـي محمـد الحريـري، وابـن عطـاء الـذين كـانوا يقولون بوحدة الوجود ،ويحرصون على إخفائها تقية وتسترا وتلبيسا على المسلمين.

فالحسين بن منصور الحلاج كان على عقيدة الصوفية الأوائل والذين عاصرهم كالجنيد والشبلي، وابن عطاء، فكلهم كانوا يعتقدون بوحدة الوجود إلا أن معظمهم أخفاها تقية وتسترا، وقلة منهم أظهروها تحديا وشجاعة وانتصارا لوحدة الوجود. ولهذا فالصوفية لا ينكرون كون الحلاج منهم ومن رجالهم ، وإنما تظاهر بعضهم بالإنكار عليه لأنه فضحهم وكشف سرهم أمام الناس ، فتكلموا فيه تضليلا وتغليطا ودفعا لما قد يُصيبهم من المسلمين . والشاهد على ذلك أن الصوفية رووا أن الجنيد قال: ((لقد فضحنا الحلاج))[1342]. وأشار المؤرخ الصوفي السراج الطوسي إلى الحلاج ووصفه بقوله : بعض الكبار، من دون أن يسميه باسمه[1343].وقال الصوفي محمد بن خفيف : "الحسين بن منصور: عالم رباني"[1344]. وقال الشبلي: ((كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا، إلا أنه أظهر وكتمت))[1345]. وأستشهد المتأخرون بكلامه كثيرا، وترحموا عليه ومدحوه كما فعل ابن عربي في فتوحاته والشعراني في طبقاته[1346].

وخلاصة قولنا في شطحاتهم: إنها من الشواهد الدالة والصريحة على اعتقاد الصوفية بضلالة وحدة الوجود، وتُعبر عن حقيقة التصوف ظاهرا وباطنا، فهي كواشف واضحات فاضحات . إنها من عبارتهم لا من إشاراتهم . وهي باطلة لفظا ومضمونا، وليست كما عرفها الصوفية بأن ظاهرها مستغرب ومُشكل ومعناها صحيح. وهي عندهم "صحيحة" لفظا ومعنى لأنها تعبر عن وحدة الوجود، لكن بعضهم أظهر استنكاره لها تغليطا وتلبيسا على المسلمين ، لإخفاء حقيقة التصوف وأهله في اعتقادهم بكفرية وحدة الوجود .

وقبل إنهاء هذا المبحث- المُخصص لوحدة الوجود- أذكر هنا بعض الاعتراضات والتبريرات التي يقد يعترض بها علينا بعض الناس فيما

[1342] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، ص: 215 .

[1343] عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص: 56 . و عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص: 66 .

[1344] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 91 .

[1345] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص: 121 .

[1346] أنظر مثلا : الطبقات الكبرى ، ص: 157

أوردناه من أقوال لشيوخ الصوفية تضمنت قولهم بوحدة الوجود واعتقادهم بها.

الاعتراض الأول: ربما يقول بعض الناس:إن تلك الروايات التي نسبت إلى شيوخ كبار الصوفية من المتقدمين والمتأخرين قولهم بوحدة الوجود قد تكون غير صيحة النسبة إليهم، وعليه فلا يصح الاعتماد عليها.

وأقول: ذلك احتمال وارد ، لكنه ضعيف جدا ويصعب إثباته، وخلافه هو الثابت ، لأن ما ذكرناه عنهم رواه الصوفيه أنفسهم عن شيوخهم وتلامذتهم ولم يروه عنهم أعداؤهم . ولأن تلك الروايات موجودة في كتب الصوفية أنفسهم ، فهي ليست في كتب خصومهم ليُقال أنهم افتروها عليهم . ولأنها تتفق مع التصوف الصوفية أصولا وفروعا وغاية في مخالفتها للشرع ، وفي كونها من غايات التصوف. ولأنها ليست روايات آحاد قليلة رويت عن بعضهم فقط، وإنما هي روايات كثيرة جدا ذكرنا منها أكثر من 68 رواية تضمنت القول بوحدة الوجود، أوردناها من باب التمثيل الواسع لا الحصر، وقد رويت عن المتقدمين والمتأخرين معا . مما يعني أن الصوفية حرصوا على القول بها بالتواتر. ولأنها أيضا أن معظم روايات وحدة الوجود رويت بالإشارات والتلغيزات دون العبارات الواضحة، وهذا يتفق مع قولهم بالتقية من جهة، وشاهد قوي على حرص الصوفية على القول بها تقية من جهة أخرى. فلو كانت تلك الروايات من خصوم الصوفية ما رووها عنهم بالإشارات والتلغيزات، وإنما سيروونها عنهم بالكلام الواضح لكشف ضلالهم وأباطيلهم . والشاهد على ذلك أن كتب خصوم الصوفية كمصنفات أهل الحديث التي ردت عليهم وكشفت انحرافاتهم وقولهم بوحدة الوجود ذكرت أنهم يعتقدون بكفرية وحدة الوجود وذمتهم بسبب ذلك صراحة . لكن كتب الصوفية التي وجهوها للناس أخفوا فيها حقيقتهم ورووا مروياتهم المتعلقة بوحدة الوجود بطريقة تلبيسية تغليطية تمويهية مُلغزة لاخفاء قولهم بوحدة الوجود ، والدليل على ذلك أقوالهم السابقة التي تحتاج إلى تفسير واجتهاد لفهما وفك طلاسمها المُعبرة عن وحدة الوجود.

ومن الشواهد على ذلك أيضا أن شيوخ الصوفية الذين تحدوا المسلمين وأظهروا حقيقة التصوف قالوا صراحة بوحدة الوجود ، كالحلاج، ولسان الدين الخطيب، وابن سبعين، وابن عربي، فكشفوا ما كان يخفيه معظم

الصوفية وجاءت اعترافاتهم متفقة مع ما ذكرناه عن هؤلاء في قولهم بوحدة الوجود من جهة، وهم أنفسهم نقلوا تلك الأقوال في كتبهم أيضا وبينوا معانيها القائلة بوحدة الوجود من جهة أخرى .

والاعتراض الثاني: ربما يُقال:ذكرتم أقوالا للجنيد ولغيره من متقدمي الصوفية ومتأخريهم تضمنت القول بوحدة الوجود ،لكنها من جهة أخرى قد تحتمل وجها آخر ويُمكن حملها عليه لنفي قولها بوحدة الوجود.خاصة وأن الجنيد لم يكن من دعاة وحدة الوجود ، لذا فلا يُحمل كلامه عليها.

وأقول: إن أقوال الجنيد وأمثاله من شيوخ الصوفية كانت واضحة في قولها بوحدة الوجد كما بيناها سابقا. وإذا كانت تحتمل وجها آخر فهذا نقد موجه للجنيد وأصحابه .فلماذا أوّهَم الجنيد بكلامه وجعله يحتمل أكثر من معنى؟، ولماذا لم يحدد مقصوده بدقة ، وهذا هو المطلوب منه شرعا وعقلا ؟؟. فكان من الواجب عليه أن يكون واضحا صريحا ودقيقا في تحديد مقصوده من أقواله التي تضمنت قوله بوحدة الوجود. فلماذا لغز كلامه ؟، ولماذا لم يكن صريحا وواضحا في تحديده لمقصوده من تلك الأقوال؟. أليس هذا التلغيز والتمويه والتعمية هو شاهد ضده بأنه كان يخفي وحدة الوجود التي ضّمنها في أقواله ؟؟.

ومن جهة أخرى ليس صحيحا أن أقوال الجنيد وأصحابه القائلة بوحدة الوجود كانت تحتمل وجها صحيحا ينفي عنها ذلك . فهذا غير صحيح ولا يثبت ، لأن تلك الأقوال كانت مُلغزة ومخالفة للشرع ، وتتفق تماما مع أصول التصوف وفروعه وغاياته ، وتتطابق مع أقوال بعضهم التي صرّحت بوحدة الوجود. وتتماشى مع قولهم بالتقية وممارستهم لها عندما لغزوا كلامهم وأخفوا حقيقتها عن المسلمين. لذا فإن تلك الأقوال كانت فعلا تتضمن اعتقاد أصحابها بوحدة الوجود .

والاعتراض الثالث: ربما يُقال: إن تلك الأقوال المُعبرة عن وحدة الوجود صدرت عن شيوخ الصوفية في حالة وجد وغيبة وسكر، فلم يكونوا في حالة وعي وصحو عندما قالوها . لذا فهم معذورون فيما صدر عنهم .

وأقول: إن القوم بين أمرين: الأول إما أن يعترفوا بأن تلك الحالات التي يمر بها الصوفية هي حالات فاسدة نفسانية وشيطانية ، وليست من الشرع

ولا من أحواله الإيمانية ، ولهذا أنتجت أحوالهم تلك الشطحات الهلوسية والكفرية. وهذا يعني أن العبادة الصوفية باطلة أصلا وفرعا وغاية ، لأنها مخالفة للشرع والعقل والعلم وإلا ما أدت إلى تلك الضلالات والكفريات . فيكون هذا اعتراف منهم بفساد التصوف وانحرافه عن الصواب ، وعليهم أن يتوبوا عما هم فيه، و أن يتخلوا عن التصوف نهائيا.

وإما أن يقولوا بأن تلك الأحوال هي أحوال صحيحة يمر بها الصوفي، ومنها يكتسب العلم اللدني، والحقائق الملكوتية، التي أنتجت شطحاتهم وإشاراتهم المعروفة عنهم. وهذا الذي يقول به الصوفية و يجعلونه من الكشف الرباني حسب زعمهم ، وقد سبق توثيقه مرارا. وهذا يستلزم أن تلك الشطحات والأحوال الكفرية التي أظهرها الصوفية هي شواهد ونتائج صحيحة لما عليه التصوف .

وبما أن الصوفية لا يقولون بالاحتمال الأول وإنما يقولون بالثاني ويأخذون به ، فهذا يعني أنهم على عقيدة مخالفة لدين الإسلام، وعلى علم بذلك، وأنهم في كامل قواهم العقلية والنفسية ، وهي عقيدة كفرية تقوم على إدعاء الألوهية والقول بوحدة الوجود . لكنهم عندما ينكر عليهم الناس ما أظهروه من أباطيل يتظاهرون بإنكاره ، ويتأولون ضلالاتهم وكفرياتهم إخفاءً لما هم فيه من ظلال وانحراف عن الدين والعقل والعلم.

والشاهد على ذلك أيضا – بأنهم كانوا في كامل قواهم العقلية والنفسية- أن أقوال الصوفية المتضمنة لوحدة الوجود هي بنفسها أدلة دامغة بأنهم تعمدوا قولها عن وعي وصحو ، وعن سبق إصرار وترصد. بدليل أن إشاراتهم التي ضمنوها القول بوحدة الوجود ، هي عبارات دقيقة ومُلغزة وهادفة محبوكة لفظا ومضمونا لا يفهما معظم الناس، وإنما يفهمها فقط الصوفية أنفسهم أو من له معرفة بتصوفهم ، كما سبق أن بيناه. ولاشك أن من يقول بتلك المقولات فهو ذكي وفي كامل قواه العقلية والنفسية، ولا يُمكن أن يكون مضطربا ، ولا في غيبوبة، ولا مغلوبا على أمره.

وأما بالنسبة لمقولاتهم التي صرحوا فيها قولهم بوحدة الوجود، والمعروفة بالشطحات فهي أيضا تشهد على أن أصحابها كانوا في كامل قواهم العقلية والنفسية، وعبروا عنه بوعي وقصد . لأنها تضمنت معانٍ تتفق مع التصوف ولا تتناقض معه من جهة، وهي شرح مُبين لمقولاتهم المُلغزة من

جهة أخرى. فهي لا تدل على أن أصحابها مجانين، وأنهم لا يعون ما يقولون ، وإنما تدل على أنهم شجعان وعلى تطابق واتفاق مع عقيدتهم الصوفية من جهة، وأنهم على منهج التصوف وأهله في الانتصار للتصوف ومخالفة الشرع وهدم الدين والعقل والعلم .

ومما يُبطل ذلك الاعتراض أيضا أنه مخالف لما يقوله الصوفية عن أنفسهم، فهم يقولون بأنهم عندما يصلون إلى الغيبة-الفناء في الله- يكونون في حالة يقين وثبات ، ونور ومشاهدة عيانية، ومُكاشفة صحيحة حسب زعمهم . وبما أن هذا حالهم فلا يصح الاعتذار لهم ولا تبرير قولهم بوحدة الوجود بدعوى أنهم كانوا في حالة ضعف واضطراب وقلة وعي.

والاعتراض الرابع: ربما يُقال: لا يصح الحكم على قول الصوفية بوحدة الوجود بأنه باطل ومخالف للشرع بحكم مؤكد ومُطلق ، لأنهم هم أيضا كانت لهم أحاديث كثيرة احتجوا بها على موقفهم وأيدوا بها مقالتهم .

وأقول: بناءً على ما بيناه في كتابنا هذا من مخالفة التصوف للشرع والعقل والعلم : أصولا، وفروعا ، وغاية ، كقول الصوفية بوحدة الوجود؛ فلا يُمكن أن يوجد حديث نبوي صحيح يُؤيدهم في قولهم بوحدة الوجود . وأما الأحاديث التي يحتجون بها فهي إما أن تكون مكذوبة كالتي سبق أن أوردناها على ألسنتهم وبينا عدم صحتها ، وإما أنها أحاديث صحيحة لا تقول أبدا بوحدة الوجود، لكن الصوفية حرفوها وأوّلوها تأويلات فاسدة لتتفق مع تصوفهم عامة وقولهم بوحدة الوجود خاصة. ولعل أشهرها حديث: ((عن أبى هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- :« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين. قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده .يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين. قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ،أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى. قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى »))[1347]. وهذا مناقض لوحدة الوجود مناقضة تامة لأنه يقوم على التفريق بين الخالق والمخلوق، والتصوف يقوم على وحدة الوجود التي

[1347] البخاري: الصحيح ، ج 8 ص: 13 ، رقم: 6721 .

تعنـي أنـه الله هـو الكـون ، والكـون هـو الله، بمعنـى: لا موجـود إلا الله . والحديث ذكر حوارا بين الله والعبد- الخالق والمخلوق- ، ولم يذكر حوارا بين الله والله ، ولا بين الإنسان والإنسان ، ولا بين الكون والكون . والحديث بيّن أن الذي مرض وجاع وعطش حقيقة هو العبد وليس الله . وبهذا يسقط احتجاج الصوفية بهذا الحديث، علما بأن احتجاج الصوفية بهذا الحديث وغيره على قولهم بوحدة الوجود هو من باب التقية والتغليط ، والانتهازية وقلة الحياء، والتناقض والاستهزاء بالمسلمين، لأن من يعتقد بوحدة الوجود فهو قد كفر بالله ورسوله وكتابه ودينه بالضرورة . ولهذا فلماذا يحتج بالشرع؟!! وعلى أي أساس ؟؟ !! . وهل بقي شيئ يُحتج به وله ؟؟!!!! .

والاعتراض الأخير- الخامس -: ربما يُقال: إن الفناء عند الصوفية يحتمل أيضا وجها آخر مفاده: إن الصوفي يفنى في عبادة الله بمعنى أنه يلتزم بالشرع التزاما كاملا وصحيحا قلبا وقالبا ،وهذا وجه صحيح. وعليه فلماذا نحمل الفناء الصوفي على القول بوحدة الوجود ولا نحمله على المعنى الذي ذكرناه ؟؟.

وأقول: هذا الاعتراض قد يحمل وجها صحيحا لمعنى الفناء تجوّزا ، لكنه لا يصح فيما يتعلق بالفناء الصوفي لفظا ولا مضمونا . بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن معنى الفناء عند الصوفية - الذي هو غاية العبادة الصوفية- يعني الزوال، والمحو ،والتلاشي، فالصوفي عندهم يُوصله تصوفه إلى المحو والمحق؛ وهذا ليس من دين الإسلام قطعا ، لأن الله تعالى أمرنا بطاعته وتقواه والالتزام بشرعه بعقل ووعي ، وببقاء وصحو، ولم يأمرنا بالفناء الصوفي مُطلقا.

والشاهد الثاني: إن فناء الصوفية ينتهي بأصحابه إلى المحو والمحق ليفنوا في الله، ويصبحوا أربابا وآلهة ؛ وهذا كفر وزندقة في الشرع وهدم له من جهة؛ والله تعالى أمرنا أن نعبده ونلتزم بشريعته ، ولم يأمرنا بأن نفنى ونزول ونموت فيه من جهة أخرى.

والثالث مفاده أن الفناء الصوفي يُوصل أصحابه إلى إنكار وجود المخلوق ، وأنه لا موجود إلا الله، وأن الكون هو الله . وهذا الفناء ليس من العبادة الشرعية، وهو مناقض لدين الإسلام وهادم له. لأن العبادة الشرعية

تنتهي في النهاية إلى بقاء المخلوق لا إلى فنائه . وفي المعاد الأخروي يتم الحساب والعقاب، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار.

والشاهد الأخير- الرابع- إن الصوفية قالوا بالعبارة لا الإشارة بأن الفناء الصوفي مخالف للشرع ، وموصل إلى الكفر به، ولهذا وصوا بعضهم بإخفاء أحوالهم وعقائدهم مع التستر بالإسلام كما بيناه في الفصل الأول وغيره. وهذا يعني أن الفناء الصوفي لا يحمل وجها صحيحا موافقا للشرع، ومن يقول خلاف هذا فهو إما جاهل بالموضوع ، وإما أنه لا يعي ما يقول ، وإما أنه صاحب هوى قال بذلك لغاية في نفسه.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أولا إن سر أسرار الصوفية الذي أخفوه ودندنوا حوله، وعظموه وافتخروا به، وتعالموا به على الشرع والناس هو قولهم واعتقادهم بوحدة الوجود ، والتي عبروا عنها بقولهم: الفناء عن الخلق ، والفناء في الحق. ومعناه أن الله هو الكون والكون هو الله. بمعنى: لا موجود إلا الله، وهنا يصبح الصوفية أربابا وآلهة في عين الفرق والجمع معا . هذه العقيدة هي غاية التصوف النهائية، وقد تظافرت أقوالهم الكثيرة جدا على القول بها عند المتقدمين منهم والمتأخرين، غير أن معظمهم عبّر عنها بالإشارات والتلغيزات والتلبيسات ، وقلة منهم عبرت عنها بعبارات واضحة لا غموض فيها. أخفوها عن المسلمين لأنها كفر وضلال، وزندقة وجنون ، ولأنها هادمة للدين والعقل والعلم. فقولهم بوحدة الوجود هو انتحار لهم ولتصوفهم، وهنا تكمن مأساة التصوف وأهله !!!!!!.

وثانيا فقد تبين أن الصوفية عبّروا بدقة ووضوح عن وحدة الوجود بمصطلح الفناء في الله .فهو يعني عندهم الزوال، والتلاشي، والمحو، والمحق، فالصوفي إذا حدث له ذلك يزول عن نفسه وعن الخلق، ويفنى في الله ، ويصبح هو الله حسب زعمهم. وبما أن هذا هو معنى الفناء عند الصوفية، فلا يصح استخدام هذا المصطلح في غير موضعه ، وإعطائه معنى مخالفا لمعناه الأصلي بدعوى التجوّز. ولا يصح أيضا تقسيمه إلى أنواع خارجة عن أنواعه الثلاثة الأصلية التي لها علاقة مباشرة بوحدة الوجود- كما قسمها الصوفية، وهي: فناء الأفعال، وفناء الصفات ، وفناء الذات . فمن يستعمل ذلك المصطلح خارج معناه الصوفي فهو من حيث يدري أو لا يدري يُروّج للمصطلح بغير معناه الأصلي، ويُعطي للصوفية مبررا ووسيلة للتهرب وإخفاء معناه الأصلي عندهم بدعوى أن المصطلح ليس خاصا بهم ، وأنه يحمل معانٍ غير صوفية . مع أنه ليس مصطلحا

شرعيا يتعلق بالعبادة لفظا ولا مضمونا ، بل إن معناه هو كفر بدين الإسلام وهدم له وللعقل والعلم.

رابعا: التوحيد الصوفي:

صرّح الصوفية أن التوحيد الصوفي هو من غايات التصوف وأسراره ، ولهذا اهتموا به كثيرا، وعبّروا عنه غالبا بالإشارة دون العبارة، كما فعلوا مع قولهم بالفناء في الله الذي أوصلهم إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود. فما تفاصيل ذلك؟، وما هو حقيقة ذلك السر؟؟، ولماذا تواصوا بإخفائه ؟؟. ولماذا قالوا به واعتقدوه ؟؟.

فمن أقوالهم المتعلقة بتوحيدهم : عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : ((صرت مرة إلى مكة، فرأيت البيت مفردا، فقلتُ: حجي غير مقبول، لأنـي رأيت أحجارا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخرى فرأيت البيت ورب البيت، قلتُ: لا حقيقة التوحيد بعد . وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت ، ولا بيت . فنوديت في سري: يا أبا يزيد ، إذا لم تر نفسك ورأيت العالم كله لما كنت مشركا. وإذا لم تر العالم كله ورأيت نفسك كنت مشركا. ،عندئذ تبت ، وتبت أيضا عن رؤية وجودي))[1348].

وأقول: أولا قبل التعليق على البسطامي يجب التذكير وبيان معنى التوحيد في الإسلام. التوحيد الشرعي مجملا هو توحيد واحد: لا رب ولا إله إلا الله ، ومُفصلا هو ثلاثة أنواع : الأول: توحيد الربوبية ، فلا رب ولا خالق إلا الله تعالى ، وهذا التوحيد معظم بالبشر يقرون به ، لقوله سبحانه: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)(العنكبوت: 61))، و((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 172)).

والثاني: توحيد الألوهية ، هو إفراد الله تعالى بالألوهية والعبادة حبا وطاعة وخشية وإخلاصا والتزاما بشريعته لأنه سبحانه لم يخلقنا إلا لذلك ، لقوله سبحانه: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)) ، و((لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)(النحل: 36))،و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

[1348] القشيري : الرسالة القشيرية، ج 1 ص: 171. والهجويري: كشف المحجوب، ص: 319 .

تَتَّقُونَ(البقرة: 21))،و((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(الأعراف: 59)).

والثالث توحيد الأسماء والصفات ، فالله تعالى أثبت لنفسه أسماء وصفات يجب إثباتها له وتوحيده وإفراده بها بلا تشبيه ولا تجسيم ، ولا تكييف ولا تأويل ، وإنما هو إثبات وتنزيه، قال سبحانه: ((وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأعراف: 180))، و ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11)).

وثانيا : واضح من قول البسطامي أن التوحيد الذي انتهى إليه وأقره وآمن به هو توحيد وحدة الوجود: لا موجود إلا الله ، وليس هو التوحيد الشرعي: لا إله إلا الله، والله خالق كل شيء .والشرك عند البسطامي هو أن تُثبت مع الله موجودا آخر، من إنسان وحيوان وملائكة أو غيرها من المخلوقات. وهذا مخالف لمعنى الشرك في الإسلام ، لأن إثبات وجود مخلوقات مع الله تعالى ليس شركا ولا ينقض التوحيد لأن الشرك هو أن تجعل مع الله ندا أو شريكا ، وليس أن تُثبت معه موجودا آخر هو من مخلوقاته. وعليه فإن التوحيد في الإسلام هو شرك عند البسطامي وأمثاله، وتوحيد الصوفية هو كفر في دين الإسلام !!. وبما أنه سبق أن ناقشنا الصوفية في قولهم واعتقادهم بكفرية وحدة الوجود وبينا فسادها وبطلانها شرعا وعقلا وعلما ، فإننا هنا لا نعيد مناقشتها ونقضها ، وإنما نُبين أساسا العلاقة بين التوحيد الصوفي ووحدة الوجود من جهة ، ونُشير إلى مخالفة التوحيد الصوفي للتوحيد الشرعي من جهة أخرى.

والقول الثاني: قال أبو يزيد البسطامي: " صحبتُ أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً". وفي رواية أنه قال: "أنا أتعلم منه الفناء في التوحيد وهو يقرأ عندي الحمد"[1349].

وأقول: واضح من كلام البسطامي أنه لم يتعلم من صاحبه علي السندي- الهندي- التوحيد الإسلامي لأن هذا التوحيد يعرفه البسطامي وهو بين يديه في الكتاب والسنة ، وإنما صاحبه هو الذي لم يكن يعرف العبادات الشرعية لأنه كان حديث عهد بالإسلام فلم يكن يعرف حتى كيف يصلي فكان البسطامي يعلمه ذلك . فماذا تعلم هو منه ؟؟، لاشك أنه لم يتعلم منه

[1349] السراج الطوسي: اللمع، ص: 235 .و أحمد بن عبد العزيز القصير : عقيدة الصوفية : وحدة الوجود الخفية ، ط 1 ، مكتبة الرشد، الرياض، 1424 هـ ، ص: 110.

التوحيد الإسلامي، وإنما تعلم منه توحيدا آخر اعترف به البسطامي بقوله : " أنا أتعلم منه الفناء في التوحيد ". وبما أنه سبق أن بينا معنى الفناء في الله عند الصوفية، فهذا يعني أن البسطامي تعلم من الهندي عقيدة وحدة الوجود ، التي سماها: الفناء في التوحيد، وتعني: أن الله هو الكون ، والكون هو الله . بمعنى : لا موجود إلا الله ، وهذه العقيدة سبق أن بينا أنها كانت منتشرة بين رهبان البوذيين والنصارى. فالتوحيد عند أبي يزيد البسطامي يعني وحدة الوجود، لامو جود إلا الله ، ولا يعني : لا إله إلا الله .

والقول الثالث: قال الجنيد **:** ((التوحيد معنى تضْمَحِل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكونُ الله كما لم يزل))[1350]. وهذا التوحيد وصفه ابن عجيبة بقوله: ((وهذا هو التوحيد الخاص ، أعني توحيد أهل الشهود والعيان))[1351].

والقول الرابع: سُئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال: ((أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله سبحانه، تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته، في حقيقة قربه بذهاب حسنه وحركته. لقيام الحق، سبحانه له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون))[1352].

والقول الخامس : عن الجنيد أنه قال : ((التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية))[1353].

وأقول: واضح من أقوال الجنيد أن التوحيد المعتبر عنده هو توحيد الخاص وغايته التحقق بكفرية وحدة الوجود . يتحقق بنفس الطريقة التي يتحقق بها الفناء في الله، بل هما اسمان لمعنى واحد . فيتحقق التوحيد الصوفي- حسب الجنيد – بتلاشي ويزول العبد عن صفاته وذاته ومحيطه، ليفنى في الله فيصبح هو الله، والكون هو الله ، فلا وجود إلا لموجود واحد هو الله ، الذي هو نفسه الصوفي والكون أيضا. وهذا الذي قرره الصوفي ابن عجيبة في شرحه لقول الجنيد ، بحيث لا يرى في الوجود إلا الله. فهذا هو التوحيد الصوفي الذي يعني وحدة الوجود، ولا يعني التوحيد الشرعي

1350 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 49 .

1351 ابن عجيبة: البحر المديد، ج 1 ص: 200 .

1352 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 49 . والقشيري: الرسالة، ص: 136 .

1353 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 49 .

من قريب ولا من بعيد، وإن تسمى باسمه تسترا بالإسلام وتلبيسا على المسلمين .

والقول السادس: قال المؤرخ عبد الوهاب الشعراني عن الجنيد : ((وكان الجنيد -رضي الله عنه- لا يتكلم قط في علم التوحيد، إلا في قعر بيته بعد أن يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول **:**أتحبون أن يكذّب الناس أولياء الله تعالى وخاصته، ويرمونهم بالزندقة، والكفر، وكان سبب فعله ذلك تكلمهم فيه كما سيأتي آخر هذه المقدمة، فكان بعد ذلك يستتر بالفقه إلى أن مات))[1354].

والقول السابع: يقول الجنيد : ((لا ينبغي للفقير قرأءة كتب التوحيد الخاص، إلا بين المصدقين لأهل الطريق، أو المُسَلّمين لهم))[1355].

وأقول: لماذا أخفى الجنيد حاله وتوحيده ؟، ولماذا تكلم فيه الناس؟؟، ولماذا حث أصحابه على إخفاء توحيد الصوفية ؟. وما هو التوحيد الذي تكلم فيه وأخفاه عن المسلمين ؟؟. لو كان توحيدا شرعيا ما أخفاه من دون شك ، ولتكلم به أمامهم كما كان يتكلم بالفقه الذي كان يتستر به. وهذا شاهد دامغ على أن التوحيد المزعوم هو توحيد الكفر والزندقة ، وهو وحدة الوجود – توحيد الفناء - : لا موجود إلا الله ، وليس : لا إله إلا الله، ولا خالق سواه **!!** . والجنيد نفسه اعترف أن التوحيد الذي كان يُخفيه هو كفر وزندقة عند المسلمين، وأن للصوفية توحيد خاص بهم ، لهذا كان يُخفيه عن الناس وحث أصحابه على إخفائه **!!** . وشتان بين التوحيدين الصوفي والإسلامي وما يترتب عنهما من نتائج ، فالتوحيد الصوفي يترتب عنه كفر بالله وأنبيائه وكتبه ومخلوقاته، ويصبح الكون هو الله ، والله وهو الكون. لكن التوحيد الشرعي على النقيض من ذلك تماما، فهو يثبت وجود الخالق والمخلوق، ويُوحد الله تعالى، وينفي الند والشريك له سبحانه، ويُثبت أيضا النبوة والشرائع والمعاد الأخروي.

والقول الثامن: قال ابن عطاء البغدادي : ((علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد، وهو أن يكون القائم به واحداً))[1356].

[1354] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 15 .
[1355] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 277 .
[1356] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 137 .

وأقول : واضح من قوله أن التوحيد الحقيقي والمعتبر عنده هو نسيان التوحيد الشرعي القائم على التفريق بين الخالق والمخلوق، وطلب التوحيد الصوفي الذي يتم بالفناء في الله ،فيصبح الصوفي واحدا وهو الله . وهنا ينمحي التعدد ويبقى التفريد ، فيكون القائم بالتوحيد واحدا هو الموَحِد والمُوَحَد، وهو العابد والمعبود.

والقول التاسع: سُئل أبو بكر الشبلي فقيل له: ((أخبرنا عن توحيد مجرد وبلسان حق مفرد. فقال: ويحك !! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم))[1357].

وأقول: إن الشبلي سُئل عن التوحيد الصوفي لا عن التوحيد الشرعي، ولهذا سألوه عن التوحيد المُجرد والمُفرد ، وهو توحيد وحدة الوجود. فهو توحيد مُجَرد من إثبات الحوادث- المخلوقات- ، ومُفرِد للوجود ، فلا موجود إلا الله . فأجابهم الرجل بما يتفق مع سؤالهم، وكل كلامه يدور حول نفي وجود المخلوق – الفرق- وإثبات التفريد- الجمع-، بمعنى أنه لا موجود على الحقيقة إلا لله الذي هو الكون، والكون هو الله حسب زعم الصوفية.

فمن ذلك مثلا قوله: " من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ". بمعنى أن من تكلم عن التوحيد الصوفي بالعبارات الواضحة وكشف أنه يعني وحدة الوجود، ولا يعني التوحيد الشرعي ، فإن صاحبه ظهر أنه مُلحد في ميزان الشرع ونظر المسلمين، وأنكشف أمره لديهم. ومُلحد أيضا في نظر الصوفية لأنه كشف سرهم وعرضّهم للسيف ولم يحفظ سرهم .

وأما باقي قوله فإن كل الحالات التي ذكرها ونفى عنها التوحيد الصوفي، فإنه نفى عنها ذلك لأنها قائمة على إثبات الاثينينية لا الفردانية. بمعنى إثبات وجود كائنين، هما الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، وهذا ليس توحيدا صوفيا وإنما هو شرك عند الصوفية ، لأن التوحيد الصوفي هو : وحدة الوجود، التي معناها: لا موجود إلا الله، وليس هو التوحيد الشرعي:

[1357] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 50 وما بعدا. والقشيري: الرسالة، ص: 136 .

لا إله إلا الله . لكن الحالات التي ذكرها ونفى عنها التوحيد الصوفي كلها تضمنت التعدد لا التفريد ولا التجريد. وهي شواهد دامغة على أن الرجل كان حريصا على عدم تقرير التوحيد الإسلامي من جهة؛ وعلى تقرير التوحيد الصوفي بالاستدلال العكسي من جهة أخرى.

والقول العاشر: قال الشبلي لرجل: ((أتدري لِمَ لا يصح توحيدك؟ فقال: لا!! فقال: لأنك تطلبه بك)).

وأقول: قوله هذا يتضمن إنكار التوحيد الإسلامي والطعن فيه من جهة ، والاعتقاد بالتوحيد الصوفي- وحدة الوجود- والدعوة إليه من جهة أخرى. لأن قوله :((لأنك تطلبه بك)) يعني أن العابد يطلب الله وهو مُعتقد للتوحيد الإسلامي القائم على التفريق بين العبد والله، وبين الخالق والمخلوق، وبين الطالب والمطلوب، وبين العابد والمعبود. وهذا الاعتقاد عند الشبلي ليس توحيدا صحيحا ، وإنما التوحيد الصحيح عنده هو التوحيد الصوفي- توحيد الفناء في الله- ويتحقق عندما يطلب العابد الله بالله ولا يطلبه بنفسه. بمعنى عندما يطلبه بنفي ذاته، وهنا يطلب الله بالله ، وفيها يصبح الصوفي هو الله حسب زعم الصوفية ، ويكون وصل إلى وحدة الوجود.

والقول الحادي عشر: قال الشبلي: ((التوحيد: إسقاط الياءات؛ لا تقول لي وبي ومني وإليّ)). بمعنى على الموحد أن يجحد إثبات ذاته، فيسقط الياءات ويجحدها بسره وإن كانت جارية رسما بلسانه[1358].

وأقول: قوله هذا يُشبه قوله السابق، ويتضمن نفي التوحيد الإسلامي: لا إله إلا الله، وتقرير التوحيد الصوفي: لا موجود إلا الله، والذي يعني وحدة الوجود . لأن الذي يستخدم ياءات المتكلم : لي، بي، مني، إليّ ، هو عند الشبلي يكون قد أثبت الاثنينية بإثبات نفسه، ولم يُثبت الفردانية بنفي ذاته . ومن يُثبت نفسه فهو ليس موحدا، وإنما هو مُشرك حسب عقيدة وحدة الوجود، وليكون موحدا يجب عليه أن ينفيها.

وأُشير هنا إلى أن أقوال الشبلي تشهد عليه بأنه كان يعتقد بوحدة الوجود ، وأنه لا يختلف عن الحسين الحلاج إلا في أنه كتم عقيدته وعبّر عنها بالإشارات والحلاج كشف عن عقيدته في وحدة الوجود بالكلام

[1358] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 54 . والقشيري: الرسالة، ص: 137 .

الواضح. وتلك الأقوال هي شواهد قوية على صحة ما رُوي عن الشبلي بأنه قال: ((كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا إلا أنه أظهر وكتمت))[1359]. والشاهد على ذلك أيضا قول الحلاج الصريح في تقرير التوحيد الصوفي والذي يعني وحدة الوجود ، فقال:

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني

توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[1360].

والقول الثاني عشر: قال عبد الله يحيى بن الجلاء (ت 306 هـ) :((ومن رأى الأفعال كلها من الله، فهو مُوحِّد لا يرى إلا وَاحداً))[1361].

وأقول: أولا قوله هذا يُقرر التوحيد الصوفي لا الشرعي، ويتضمن القول بوحدة الوجود . لأن معنى كلامه أن من يرى الكون وما فيه من مخلوقات وحركات كلها من الله . بمعنى أنها من أفعال الله ، وليست هي من مخلوقاته، وأفعالها ليست من ذواتها، وإنما الكل من أفعال الله ، فمن يعتقد هذا فهو الموحد ، ولا يرى إلا واحداً.لأنه-حسب زعمه- إذا كان الكون وما فيه هو من أفعال الله وليس مخلوقا له ، فيعني أن الكون هو الله ، ولا يُرى إلا الله .

وقوله هذا يُبين التوحيد الصوفي الذي يعني وحدة الوجود من جهة، ويشهد على أن ذلك التوحيد مخالف للتوحيد الإسلامي من جهة أخرى. لكنه بلا شك أنه كلام باطل شرعا وواقعا وعلما . فأما شرعا فإن الموحد في شريعة الإسلام ليس هو الذي يقول بقول ذلك الصوفي، وانما هو الذي يوحد ربه التوحيد الشرعي كما بيناه سابقا، قال تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ (الإخلاص: 1-4))، و((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)).))، وَ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). فالتوحيد الشرعي لا ينفي المخلوق، ولا الخالق ، وإنما يعترف بكل واحد بحقيقته وذاتيته، ويجعل المخلوق في طاعة خالقه وفق شريعة الله تعالى .

1359 الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص: 121 .

1360 ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .

1361 القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 84.

وأما واقعا وعلما ، فمن الثابت بالمشاهدة والممارسة أن كائنات العالم الذي نعيش فيه هي مخلوقات لخالق وليست هي الخالق، ومن ثم فأفعالها هي من ذواتها وليست أفعالا لله . وهذا يعني أن تلك المخلوقات ليست هي الله، وإنما هي من مخلوقاته، وبهذا يسقط كلامه من أساسه .

والقول الثالث عشر: قال على بن إبراهيم أبو الحسن الحصري البغدادي(ت 371 هـ) : أصولنا في التوحيد خمسة أشياء ، منها ((رفع الحدث وإفراد القدم ، ...))[1362].

فالرجل جعل القول بوحدة الوجود من أصول التوحيد الصوفي.ومعناه أن الصوفي عندما يكون في مقام التوحيد يصل إلى حال التفريد ، وفيه يُفرد " القِدَم عن الحدث" بأمرين: الأول يتخلص من رسومه وأشباحه التي تحمل مظاهر الحدوث . والأمر الثاني عندما يستشعر الألوهية ، وهنا يُفرد القِدَم- الله- عن الحدث، بمعنى أنه يكتشف أنه هو الله ، ولا موجود على الحقيقة إلا هو حسب زعم الرجل .

والقول الرابع عشر: قال أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي(ت 303هـ) ((التوحيد هو محو آثار البشرية وتجرد الألوهية))[1363].

قوله هذا كالأقوال السابقة عرّف التوحيد الصوفي بأنه يعني وحدة الوجود. لأن الصوفي بعد ممارساته للعبادات الصوفية يتلاشى ويزول عن ذاته وصفاته البشرية ، وعن محيطه أيضا- الفناء عن الخلق- ، وهنا يفنى في الحق ويصبح هو الله ، وهنا يصل إلى حالة التفريد والتجريد والفردانية ، بمعنى : لا موجود إلا الله . فهذا معنى كلام رويم المُلغز على طريقة الصوفية في التعبير عن كفرية وحدة الوجود بالإشارة لا بالعبارة .

والقول الخامس عشر: ذكر أبو سعيد الخراز البغدادي أن العبد بعد ممارسته للعبادات الصوفية يترقى في المقامات حتى يُجلسه الله ((على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب فأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ، صار العبد فانياً فوقع في حفظ الله وبرئ من دعاوى نفسه))[1364].

1362 القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 135 .

1363 السراج الطوسي: اللمع ، ص: 51 ، وما بعدها . والقشيري: الرسالة ، ص: 137 .

1364 الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 134-135. والقشيري: الرسالة القشيرية، ص: 118 .

قوله هذا على طريقة إخوانه في التعبير عن التوحيد الصوفي الذي يعني وحدة الوجود عند الصوفية ولا يعني التوحيد الشرعي. وخلاصة زعمه أن الصوفي عندما يفنى عن نفسه وعن الخلق يبقى " بلا هو"، يصبح هو الله ويستشعر الألوهية والفردانية حسب زعمه .

والقول السادس عشر: قال أحد شيوخ متقدمي الصوفية[1365]: ((الوحدانية بقاء الحق وفناء كل ما دونه)) و ((ليس في التوحيد خَلقُ ، وما وحد الله غير الله ، والتوحيد للحق من الخلق طُفيلي))[1366].

وأقول: إن كلام الصوفي صريح بأن الوحدانية بقاء الحق- الله- وفناء كل ما دونه. وهذا ليس توحيدا شرعيا، وإنما هو كفر وضلال وهدم للشرع والعقل والعلم. لأن فناء كل ما دون الله ، يعني أنه لا موجود إلا الله ، وهذه هي وحدة الوجود .

وأما القول الثاني فهو واضح أيضا أنه يقصد بالتوحيد وحدة الوجود ، وقد نفى أن يوجد مع الله خلق، فلا موجود إلا الله حسب زعمه. ويعني بقوله : ما وحد الله غير الله ، انه بما أن لا موجود إلا الله ، فما وحد الله إلا الله ، فنحن حسب زعمه عندما نوحد الله مجرد أشباح ورسوم ولا وجود حقيقي لنا، وعليه فإن الحقيقة هي أن الله يوحد نفسه لا أن مخلوقاته توحده. لأن هذه المخلوقات حسب زعمه ليس لها وجود حقيقي. وهذا الكلام الباطل سبق أن بينا بطلانه عندما نقضنا كفرية وضلالة وحدة الوجود . كما أنه يتضمن الطعن في التوحيد الشرعي بقوله: ((والتوحيد للحق من الخلق طُفيلي))[1367].لأنه توحيد من المخلوق للخالق، فهذا حسب زعمه توحيد طفيلي ، ولا حقيقة له .

والقول السابع عشر: ذكر السراج الطوسي أن للصوفية خصائص وحقائق اختصوا بها، وعبروا عنها بالإشارات دون العبارات انفردوا بها في ((في تجريد التوحيد، وحقيقة التوحيد))[1368]، و((التجريد ما تجرد للقلوب من شواهد الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية ... و التجريد،

[1365] هو من متقدمي الصوفية، لكن لم أتعرف عليه، ويبدو أن السراج الطوسي تعمد عدم ذكره لأن قواله صريح في القول بوحدة الوجود .

[1366] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 52 .

[1367] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 52 .

[1368] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 314- .

والتفريد ، والتوحيد ألفاظ مختلفة لمعانٍ مُتفقة وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم.))[1369]

قوله هذا اعتراف صريح منه بأن للصوفية توحيد خاص بهم ، ليس هو التوحيد الشرعي ، لأن هذا التوحيد ليس خاصا بهم وإنما هو توحيد دين الإسلام ومعروف لدى الأمة . مما يعني أنه يقصد به التوحيد الصوفي ، وقد وصفه بأنه يتعلق بتجريد التوحيد، بمعنى تجريد التوحيد من الفرق، أي نفي إثبات المخلوق ،وإقرار الفردانية التي معناها: لا موجود إلا الله ، وهي عقيدة وحدة الوجود ، وفيها يصبح الصوفي هو الله ، ويصير الصوفية أربابا وآلهة حسب اعتقادهم بوحدة الوجود **!!!!** .

والقول الثامن عشر: قال المؤرخ الصوفي أبو بكر الكلاباذي: ((وقال بعض الكبراء :التوحيد إفرادك متوحدا وهو أن لا يُشهدك الحق إياك))[1370].

واضح من كلامه أن التوحيد عنده هو الوصول إلى حالة وحدة الوجود.فيكون الصوفي لا يشعر ولا يرى إلا واحدا هو الله، الذي هو الصوفي أيضا. لأن الصوفي يكون قد تلاشى وزال عن نفسه ومحيطه، وفنى في الله ، فأصبح هو الله حسب زعم الرجل، وهنا يصدق عليه قول الرجل: " لا يُشهدك الحق إياك ". فلا يشهده نفسه ، وإنما يشهده بأنه هو الله.

والقول التاسع عشر: قال أبو طالب المكي ((قال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره))[1371].

وأقول: الرجل دعا إلى إخفاء التوحيد الصوفي، وهذا اعتراف صريح منه بأن توحيد الصوفية مناقض للتوحيد الشرعي، وإلا لماذا نهى عن إفشائه، وجعل جزاء من يُفشيه القتل ؟؟**!!** . فهذا ليس من دين الإسلام، لأن التوحيد الإسلامي موجه لكل بني آدم ، ليعرف الناس الله تعالى ، ويعبدونه به . إن السبب واضح ، هو أن توحيد الصوفية هو توحيد وحدة الوجود وليس هو التوحيد الشرعي. وتوحيدهم هو من دون شك هدم للدين والعقل

[1369] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 425 .

[1370] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 135 .

[1371] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 .

والعلم .لهذا أخفوا توحيدهم المزعوم وتواصوا على إخفائه. وجعلوا إظهار حقيقة تصوفهم كفرا ليس لأنه هو كفر عندهم ، وإنما هو كفر في ميزان الإسلام وعند أهله ، وهذا يُعرضهم للقتل، ولهذا جعلوا من يُظهره يستحق القتل. فلو كان توحيدهم توحيدا شرعيا ما أخفوه، وما كفروا من يُظهره. فالتوحيد الإسلامي كفر عندهم، وإظهار توحيدهم بين المسلمين هو كفر أيضا.

والقول العشرون : عندما ذكر أبو طالب المكي أن رجلا سأل أبا يزيد البسطامي عن الطريق ليصبح مثله في حاله وعلمه، كان مما قاله البسطامي للرجل : ((وادخل الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله تقول لي مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك قال: كيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها ...))؛ فعلّق أبو طالب على كلامه بقوله : ((فهذا لما قال سبحان الله كان مشركاً عنده لأنه سبحه برسم النفس، وقد كان أبو يزيد يقول: سبحاني ما أعظم شأني وهو موحد لأنه وحد بأولية بدت))[1372].

وأقول: إن قول الرجلين يتضمن القول بوحدة الوجود؛ ومعنى كلام أبي طالب المكي أن الذي تكلم برسم النفس-أي أثبت نفسه- قد أشرك مع الله كائنا آخر، وقال بالاثنينية، وهذا مخالف للعبادة الصوفية التي تقول: لا موجود إلا الله حسب زعم الصوفية. لكن أبا يزيد هو الموحد لأنه لم يتكلم برسم نفسه ، فقد محاها وتكلم بالأزلية التي بدت له لا بالحدوث الذي من مظاهر النفوس. وبمعنى آخر إن الرجل أراد أن يقول: إن البسطامي تكلم بتوحيد وحدة الوجود ، ولم يتكلم بالتوحيد الإسلامي الذي يقوم على التفريق بين الخالق والمخلوق والذي هو شرك عند البسطامي وأصحابه.

والقول الواحد العشرون: عرّف الصوفي عبد الله الأنصاري الهروي التوحيد عند الصوفية ،وقسمه إلى ثلاثة أنواع، فقال : ((والتوحيد على ثلاثة وجوه : الوجه الأول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد . والوجه الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق .والوجه الثالث توحيد قائم بالقِدَم وهو توحيد خاصة الخاصة . فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)(1- 4)).هذا هو التوحيد الظاهر الجلي

[1372] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 480 .

الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر وصحت به الملة للعامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب . هذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد والشواهد هي الرسالة والصنائع يجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد .وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلا ولا في التوكل سببا ولا للنجاة وسيلة فتكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحايينها وإخافة إياها في رسومها وتحقق معرفة العلل وتسلك سبيل إسقاط الحدث . هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع))[1373].

((وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه والذي يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا باسقاطها. هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق وإن زخرفوا له نعوتا وفصلوه فصولا فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء والصفة نفورا والبسط صعوبة . وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال وله قصد أهل التعظيم وإياه عني المتكلمون في عين الجمع))[1374]. ثم قال: وقد أجبتُ في سالف الزمان سائلا سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث :

ما وحد الواحد من واحد ... إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لأحد))[1375].

وأقول: بدأ الرجل بالتوحيد الأول وسماه توحيد العامة، وهو التوحيد الشرعي، فسماه بذلك ولم يسمه بالتوحيد الشرعي، ولا بالتوحيد الإسلامي، ولا بتوحيد الأنبياء . وهو توحيد يقوم على الشواهد الشرعية ، بمعنى نصوص الكتاب والسنة . ووصفه لهذا التوحيد بأنه توحيد العامة هو وصف

1373 عبد الله الأنصاري الهروي: منازل السائرين، ص: 135 وما بعدها.
1374 الأنصاري الهروي: منازل السائرين،ار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988، ص: 138 .
1375 عبد الله الأنصاري الهروي: منازل السائرين، ص: 137 -138 .

فيه ازدراء به وتعالم عليه، وحط من شأنه مع أنه هو التوحيد الصحيح ولا توحيد صحيح غيره . وليس صحيحا أن التوحيد الشرعي هو توحيد العامة، فهذا كذب وقلة أدب، لأن هذا التوحيد هو التوحيد الذي ارتضاه الله تعالى لـه ولنا، وجاءت بـه الأنبياء وأمنوا بـه هم والذين معهم ، وهو التوحيد الذي يُسعد الإنسان في الدنيا والآخرة. فلا يصح ولا يُعقل شرعا ولا عقلا ولا علما وصف التوحيد الشرعي بما وصفه به الأنصاري وأمثاله**!!!!** .

ثم تكلم عن التوحيد الثاني ويقوم على نفي أفعال البشر لا أفعال الله ، بمعنى أن الصوفي يفنى في أفعال الله وصفاته ، فيصبح لا يرى إلا الله ومظاهر الكون مجرد رسوم وأشباح وتجليات لله. وهنا يكون الصفي قد فنى عن صفاته وذاته ومحيطه. وهذا هو الفناء عن الخلق عند الصوفية وقد ذكره الهروي بقوله: " إسقاط الحدث " . وهذه الحالة هي الخطوة الأولي ليصل الصوفي بعدها إلى وحدة الوجود، وفيها يصبح ربا وإلها حسب زعم الصوفيه.

ثم التوحيد الثالث وهو غاية مطلب الصوفية، وأعلى مرتبة عندهم. ومعناه نفي وجود المخلوق" إسقاط الحدث- وإثبات الأزلي، وهو الله " إثبات القدم" ، وهنا يفنى الصوفي في الله ويصبح هو الله ، ولا موجود إلا هو، وهذا معنى " عين الجمع "، أي: وحدة الوجود.

علما بأن ذلك التقسيم ليس من الإسلام ، وإنما هو من اختلاقات الصوفية وأباطيلهم التي عبروا بها عن اعتقادهم بوحدة الوجود من جهة، وانحرافهم عن التوحيد الشرعي وطعنهم فيه من جهة أخرى. وهذا الرجل هو على طريق الصوفية في قولهم بوحدة الوجود بالإشارات ، والتظاهر بالإسلام بالعبارات . فمن أين لـه بأن الله تعالى أخفى التوحيد الصوفي- الثالث- وخص به طائفة من عباده ؟؟. إنه كذب وافتراء متعمد على الله ورسوله والمؤمنين . فكلام الله تعالى بين أيدينا ولا يوجد فيه هذا التوحيد المزعوم والباطل. ، وأفضل خلق الله وهم الأنبياء لم يأتوا بهذا التوحيد ولا قالوا به. فمن أين للصوفية بهذا التوحيد الخرافي والجنوني؟؟.

وأما قوله : " ما وحد الواحد من واحد ... إذ كل من وحده جاحد " فيعني: لا واحد وحد الواحد، أي: لا مخلوق وحد الخالق، وكل من وحده بذلك التوحيد فهو جاحد للتوحيد وليس مُثبتا له . وهذا التوحيد الذي نفاه

الهروي هو التوحيد الشرعي القائم على التفريق بين العابد والمعبود، والخالق والمخلوق . وهذا التوحيد أنكره الرجل لأنه لا يقوم على وحدة الوجود وإنما يقوم على الوجود المُتعدد ـ الخالق والمخلوق- ، لأن مقولة" ما وحد الواحد من واحد " تتضمن إثبات الاثنينية والتعدد، فمعناها: لا واحد وحد الواحد، وهنا عندنا كائنان: المُوَحِد ، والمُوَحَد ، العابد والمعبود، والمخلوق والخالق. ولهذا زعم الرجل أن من أثبت هذا التوحيد فهو قد جحد التوحيد الصحيح الذي يكون فيه العابد هو المعبود، والعارف هو المعروف، والمخلوق هو الخالق، والمُوَحِد هو المُوَحَد. فالرجل يُنكر التوحيد الإسلامي ويقول بالتوحيد الصوفي: لا موجود إلا الله ، ويعني: وحدة الوجود .

وأما البيتان الأخيران ، فقد شرحهما الشيخ تقي الدين بن تيمية بقوله: ((ولهذا قال ... توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد ... يعني إذا تكلم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم فإنما ينطق عن نعت نفسه فيستعير ما ليس له فيتكلم به وهذه عارية أبطلها الواحد ولكن إذا فنى عن شهود نفسه وكان الحق هو المتكلم على لسانه حيث فنى من لم يكن وبقي من لم يزل فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه لا بنعت العبد ويكون هو الموَحِد وهو المُوَحَد ولهذا قال: توحيده إياه توحيده أي توحيد الحق إياه أي نفسه هو توحيده هو لا توحيد المخلوقين له فإنه لا يوحده عندهم مخلوق بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصته ليس الناطق هو المخلوق كما يقوله النصارى في المسيح إن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت .وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوره وهو يشهد غير الله فليس بموحد عندهم وإذا غاب وفنى عن نفسه بالكلية فتم له مقام توحيد الفناء الذي يجذبه إلى توحيد أرباب الجمع صار الحق هو الناطق المتكلم بالتوحيد وكان هو الموحِد وهو الموحَد لا موحد غيره))[1376] .

والقول الثاني والعشرون: قسم أبو حامد الغزالي التوحيد إلى أربع مراتب ، فقال: ((للتوحيد أربع مراتب ...فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه: لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين. والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا

[1376] ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج 5 ص: 370 .

واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق. فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان. والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ...والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا إذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة العوام والمتكلمين... والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد...))[1377]. وعنده أن من لم يبصر((فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا))[1378].

وأقول: هذا التقسيم للتوحيد هو نفس التقسيم الذي ذكره الأنصاري الهروي ، إلا أن الغزالي أضاف إليه واحدا هو توحيد الغافلين والمنافقين . وردنا الذي رددنا به على الهروي هو نفسه ينطبق على الغزالي في موقفه من التوحيد . ولا شك أن الغزالي انتصر للتوحيد الصوفي بخطوتيه: توحيد الفناء عن النفس والخلق- فناء الأفعال - . و توحيد الفناء في الله ، ويعني : لا موجود إلا الله ، أي وحدة الوجود . فيصبح الصوفي يرى الجمع بالفرق وبالجمع، لا يرى إلا واحدا هو الله ، فالله هو الكون ، والكون هو الله، والمُوَحِد هو المُوَحَد. ثم أن الرجل زعم أن من أثبت مع الله موجودا آخر فهو مشرك تحقيقا **!!!!**. وقوله هذا باطل قطعا، وفيه جهل وقلة أدب، لأنه يعني أن كل الأنبياء وأتباعهم منذ أول نبي إلى يوم القيامة هم من المشركين، لأنهم يُفرقون من الخالق والمخلوق ويثُبتون مع الله مخلوقاته ككائنات حقيقية مستقلة عنه . فحسب الغزالي أن هؤلاء مشركون ، والصوفية أصحاب كفرية وحدة الوجود هم الموحدون**!!!!**. وهذا من دون شك ضلال كبير، وكفر صريح بقطعيات دين الإسلام، وتكفير لكل المسلمين. بل إن قوله هذا قبل أن يكون تكفيرا للأنبياء وأتباعهم فهو تكذيب صريح لله تعالى لأنه سبحانه هو الذي أخبرنا أنه الخالق الذي خلق مخلوقاته، وأنه هو الإله الوحيد والخالق للكون كله. فعجبا من أبي حامد

1377 الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .

1378 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص:86 .

كيف سمح لنفسه أن يقول بصراحة بأن من لم يبصر((فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا))[1379] ؟؟ !!!! . إنها صراحة كشفت حقيقته، فترك الإشارة وعبّر عن وحدة الوجود بالعبارة انتصارا للتصوف وأهله، وإنكارا لقطعيات الإسلام وطعنا فيه وفي المسلمين، بل وتكذيبا صريحا لله تعالى، وإنكارا للتوحيد الذي أثبته لنفسه **!!.**

والقول الثالث والعشرون: قال أبو حامد الغزالي : ((ههنا نظران**:** نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره . وان كل شيء هالك إلا وجهه وان ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود ألبته وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك. فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ ((إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(ص: 44)) فقال: واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه))[1380].

و((ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد المهيني حيث قرىء بين يديه " يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"-المائدة: 54- فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه اشار به الى أنه المحب وأنه المحبوب. وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفي عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه لقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث إنه ولده فقد احب نفسه. وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم

[1379] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص:86 .
[1380] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 86 .

يحب إلا نفسه فبحق احب ما احب وهذا ما احب .وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفيه عن هذه الحالة بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم))[1381].

وأقول: الرجل يغالط ويلبس ويدلس ويضحك على الناس بكلامه السفسطائي، لأن من الثابت قطعا شرعا وعقلا أن الإيمان العميق لا يوصل إلى زعمه ، لأنه لا يُمكن أن يكون الشاكر هو المشكور، ولا المحب هو المحبوب. والله تعالى قد فرق بينهما وجعل هذا الحب من صفات المؤمنين . قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)(المائدة: 54))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة: 165))، و((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)). فهذا أدلة قطعية على بطلان كلام الغزالي المزيف والمحرف لحقائق الشرع والعقل بدعوى الإيمان العميق وهذا تغليط منه وتحايل منه على الناس انتصار لخرافة وحدة الوجود التي صرّح بها .

لكن الرجل قال ذلك انطلاقا من قوله بوحدة الوجود، لأن كلامه لا يستقيم إلا بها، وهو شاهد دامغ على قول بها، وقد صرح بها في آخر كلامه عندما قال بأنه ليس في الوجود غير الله. وهذا كلام باطل وكفر بالدين والعقل والعلم . ولا يُمكن أن يكون الإيمان الصحيح والعميق موصلا إلى خرافة وحدة الوجود، وإنما التصوف هو الموصل إليها، لأنه عقيدة قامت على مخالفة الشرع والعقل والعلم.

ومن مغالطاته أنه زعم أن أزلية الخالق تفني المخلوق، وتلغيه من الوجود، وهذا زعم باطل ، فمع أن الإنسان مخلوق لخالقه فهو له وجود حقيقي وليس وجودا شكليا واعتباريا، فهو مع أنه مخلوق- حادث- فهو موجود حقا وقطعا ، لأنه من مخلوقات الله تعالى. ولا يُمحى وجوده ولا يُفنى إلا إذا شاء الله تعالى أن يفنيه. وبما أنه سبحانه كتب الخلود على الإنسان إما في الجنة وإما في النار فلن يزول وجوده مع كونه مخلوقا،

[1381] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 86 .

وخلوده لن يجعله أزليا مع أنه لا يفنى . فزعم الغزالي لا يصح ، لأن كلا من الشرع والعلم يشهدان بوجود: الخالق الفاعل، والمخلوق المفعول ، وليس الأول هو الثاني ولا الثاني هو الأول.

ولا يصح قوله: " وان كل شيء هالك إلا وجهه وان ذلك صدق في كل حال أزلا وابدا ". لأن قوله تعالى: ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88))، لا يعني فناء ومحو وإعدام كل مخلوق بحيث لا يبقى مخلوق موجود مع الله تعالى، بدليل أن من قطعيات دين الإسلام خلود الجنة بمن فيها، وخلود النار بمن فيها . وإنما المقصود بالهلاك هناك أمرين: الأول هو أن كل ما عدا الله تعالى هو في ذاته حادث مخلوق قابل للزول وليس أزليا، ولن يصبح أزليا وإن خُلّد أبدا . والأمر الثاني هو أن الهلاك – الموت- المقصود لا يعني بالضرورة أن كل مخلوق يموت وينتهي وينعدم نهائيا ، وإنما هناك من المخلوقات من يموت لكنه لا يفنى ولا ينمحي وإنما ينتقل إلى حياة أخرى، كما يحدث للإنسان. وهناك مخلوقات لا يمسها ذلك الهلاك. فعندما تقوم القيامة لاشك أن الملائكة لا تموت، والجنة والنار لا تفنيان . وعندما يموت الإنسان ينتقل إلى حياة البرزخ، ويوم القيامة يُبعث من جديد بجسمه وروحه . وهذا الذي قلناه هو من بديهيات الإسلام وقطعياته ، لكن الغزالي أهمله وجعله وراء ظهره وقرر خلافه صراحة، مع أنه استشهد بالآية تعضيدا لموقفه، وأهمل الآيات الأخرى التي تنقض عليه عقيدته **!!!!** .

وأما الأمثلة التي ضربها لتقريب فكرته فلا تصح لتكون دليله على قوله بأن الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب، بمعني أن الخالق هو المخلوق ليصل إلى القول بوحدة الوجود . لأن الكاتب مثلا عندما يصنف كتابا ويحبه ، فإن حبه هذا يحدث بين كائنين مخلوقين بينهما علاقة حب من جهة واحدة فقط، فهي علاقة غير متبادلة في هذا المثال لأن الكتاب ليس إنسانا ولا كائنا يحب غيره . وعليه فلا يصح القول بأن الكاتب هو الكتاب بدعوى ان المحب هو المحبوب . فهذا تلبيس وزعم باطل. فعلاقة الحب لا تمحي أحدهما ولا تجعلهما كائنا واحدا. وحتى في مثال علاقة الحب بين الوالد وولده ، فهي علاقة بين كائنين محبين ، ولا تلغي أحدهما ، ولا تجعلهما كائنا واحدا، وقد تكون بينهما علاقة بغض وعدواة، وهي أيضا لا تمحي أحدهما ولا تجعلهما مخلوقا واحدا. فهل عندما يبغض الوالد ابنه يبغض نفسه أيضا ؟؟ . ليس بالضرورة، فقد يحبها أثناء بغضه لولده .

وعليه فإن الله تعالى عندما يحب المؤمنين فنحن أمام كائنين منفصلين بينهما علاقة حب . فالله تعالى يحب العبد المؤمن فهو المحب والمؤمن هو المحبوب ،و المؤمن عندما يحب الله تعالى فهو المحب، والله هو المحبوب. فنحن هنا أمام كائنين بينهما علاقة حب، كل منهما محب ومحبوب من طرفين ، لكن لسنا أمام كائن واحد كما أراد أن يوهمنا الغزالي ليصل إلى القول بوحدة الوجود. فحسب زعمه فإذا كان الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب ، فيصح ان نقول: الخالق هو المخلوق ، ومن ثم يكون الكون هو الله والله هو الكون. وهذا زعم باطل قطعا. لكن الغزالي قرر هذا عندما زعم أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى. وهذا غير صحيح، وافتراء متعمد على الشرع والعقل والعلم. لأن الفرق بين الخالق والمخلوق ليس في الوجود من عدمه ، فوجودهما أمر مؤكد كما سبق أن بيناه، ويعرفه كل الناس ، وإنما في أن الأول وجوده أزلي، والثاني وجوده حادث، لكنه وجود حقيقي وليس شكليا ولا اعتباريا كما زعم الغزالي ، ليصل إلى تقرير عقيدة الصوفية في قولهم بوحدة الوجود والتي سموها توحيدا زورا وبهتانا.

ومن جهة أخرى فإنه بناءً على زعم الغزالي بأن الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب بدعوى أنه لا موجود إلا الله ، فإن العكس صحيح أيضا. فيكون الكافر هو المكفور به، بمعنى أن الله هو الكافر والمكفور به . والجاحد بالله هو المجحود به، فيكون-حسب زعمه- أن الله هو الجاحد والمجحود به .وبما أن هذا كلام باطل لأن الله تعالى كما فرق بينه وبين المؤمنين، فهو قد فرق بينه وبين الكفار، فإن كلام الغزالي باطل جملة وتفصيلا .

والقول الرابع والعشرون: قسم ابن عجيبة التوحيد إلى ثلاث مراتب، فقال: ((واعلم أن توحيد خلق الله تعالى على ثلاثة درجات : الأولى : توحيد العامة : وهو الذي يعصِمُ النفس والمال ، وينجو به من الخلود في النار ، وهو نَفْيُ الشركاء والأنداد ، والصاحبةِ والأولاد ، والأشباه والأضداد. الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أنْ يَرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ، ويشاهد ذلك بطريق الكشف لا بطريق الاستدلال ، فإنَّ ذلك حاصل لكل مؤمن ، وإنما مَقامُ الخاصة يقينٌ في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاعُ إلى الله ، والتوكل عليه وحده ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحداً سواه ، إذ ليس يَرى فاعلاً إلا الله ، فيَطْرَحُ الأسباب ،

وينبذ الأرباب. الدرجة الثالثة : ألا يرى في الوجود إلا الله ، ولا يشهد معه سواه ، فيغيبَ عن النظر إلى الأكوان في شهود المُكَوَّن ، وهذا مقام الفناء))[1382].

وأقول: الرجل كرر هنا ما قاله الأنصاري الهروي والغزالي، فجعل التوحيد الشرعي توحيد العامة ، والثاني توحيد الفناء عن النفس والخلق، والثالث توحيد الفناء في الله، ويعني وحدة الوجود . وبما أنه سبق أن أبطلنا ما زعمه الهروي والغزالي، فهو نفسه يُرد به على ما زعمه ابن عجيبة، فلا نكرره هنا. لكن يجب أن ننتبه إلى أن ذم التوحيد الشرعي ومدح توحيد الصوفية- وحدة الوجود- هو موقف واحد لدى الصوفية قديما وحديثا، لأن القوم يأخذون من مورد واحد هو التصوف بأصوله وفروعه وغايته كما سبق أن بيناها.

والقول الأخير- الخامس والعشرون- : يقول ابن عجيبة : ((فمن كحل عين بصرته بإثمد التوحيد الخاص ، لم يقع بصره إلا على إلا على الحق ، ولا يعرف إلا إياه ، ورأى الأشياء كلها قائمة بالله ، بل لا وجود لها مع الله ، ومن فتح الله سمع قلبه لم يسمع إلا من الحق ، ولا يسمع إلا به ، كما قال القائل : أنا بالله أنطق ومن الله أسمع))[1383].

وأقول: الرجل قرر التوحيد الصوفي الذي يعني وحدة الوجود، فلا موجود إلا الله حسب زعمه .وهنا يصبح الصوفي هو الله ، والله هو الصوفي أيضا ، فهو يسمع منه وبه . وهذا الكلام الفاسد والفارغ والباطل سبق أن بينا بطلانه شرعا وعقلا وعلما فلا نعيد ذلك هنا.

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أولا إن أقوال هؤلاء الصوفية تتضمن القول بوحدة الوجود بنفس المفهوم والآلية والطريقة التي تكلموا بها عن وحدة الوجود باسم الفناء في الله، وهنا تكلموا عنها باسم التوحيد. ومن جهة أخرى فإن توحيدهم هو توحيد مخالف للتوحيد الشرعي وهادم للدين كله ومن أساسه ، وهادم للعقل والعلم أيضا .

[1382] ابن عجيبة: البحر المديد ، ج 1 ص: 201 . والقشيري: الرسالة القشيرية، ص: 136 . و الأنصاري الهروي: منازل السائرين، ص: 135 وما بعدها .
[1383] ابن عجيبة: البحر المديد ، ج 1 ص: 157 .

ومن جهة أخرى فإن توحيد الصوفية منسوب إليهم ويتعلق بأحوالهم أساسا ومباشرة لا بالله تعالى، فهو عندهم: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. وهذا خلاف التوحيد الشرعي الذي يتعلق بالله تعالى بذاته وصفاته وشريعته: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات . فتوحيد الصوفية هو أحوال تتعلق بالصوفية في تعاملهم مع الله ، ولا يتعلق بالله أولا، ثم إيمان البشر به وتفاعلهم معه ثانيا. ففي توحيد الخاصة يصل الصوفي إلى فناء الأفعال، وهذه حالة خاصة به أساسا. وفي الثاني يفني الصوفي في الله فيصبح هو الله حسب زعم الصوفية، وبذلك يصير الصوفية كلهم أربابا وآلهة بحكم أنه لا موجود إلا الله حسب قولهم بكفرية وحدة الوجود .وبما أننا لا نرى الله ولا نحس به وجدانيا، وإنما نرى المخلوقات ونحس بها فقط، فهذه المخلوقات كلها أرباب وآلهة تتوحد في الله حسب خرافة وحدة الوجود. فهذا هو فناؤهم وتوحيدهم ، وهو توحيد مناقض للتوحيد الشرعي ومُدمر للدين من دون شك .

وثانيا تبين أن التوحيد في الإسلام: لا إله إلا الله ، هو كفر عند الصوفية، لأن توحيدهم هو: وحدة الوجود، فلا موجود إلا الله . والشرك عندهم هو إثبات موجود مع الله ، وفي الإسلام: ليس الشرك إثبات موجود مع الله، وإنما هو إثبات ند أو شريك معه . فدين الإسلام هو دين شرك عند الصوفية، وتوحيده هو توحيد كفر عندهم. وتوحيد الصوفية هو كفر في الإسلام . فالقوم استخدموا ألفاظا شرعية بمضامين مخالفة للشرع، بل إنها مناقضة وهادمة له .

وأخيرا- ثالثا- واتضح أيضا أن مقولة: لا موجود إلا الله ، هي كلمة التوحيد عندهم ، وليست هي : لا إله إلا الله . فشتان بين التوحيدين !!. الأول ينفي وجود المخلوق مع الخالق ، فلا موجود إلا الله . لكن الثاني لم ينف وجود المخلوق مع الله ، وإنما نفى وجود إله معه مع عدم نفيه لوجود المخلوق. لأن الشهادتين في الإسلام تتضمن إثبات التوحيد مع وجود المخلوق، وهما: أشهد ان لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . فالنبي هو من المخلوقات. وأما توحيد الصوفية فهو مأساة من مآسي الدين الصوفي ، إنه توحيد نقل الصوفية من توحيد الإيمان ودين الإسلام إلى توحيد الزندقة والكفر وعبادة الأهواء والشياطين .

المعاد الصوفي دنيوي لا أخروي :

أعلن شيوخ الصوفية من المتأخرين والمتقدمين أنهم لا يرغبون في الآخرة، فلا يرجون جنة، ولا يخافون نارا؛ فالمعاد الأخروي لا قيمة له عندهم. لكنهم من جهة أخرى صرّحوا أن أهم ما يرجونه في حياتهم ولا يطلبون غيره هو أمر يتحقق لهم في الدنيا لا في الآخرة، فهل هذا هو معادهم ؟؟!! . وما هو الذي يطلبونه في الدنيا ولا يرجونه في الآخرة؟؟ ولماذا لم يرغبوا في الآخرة وتعلقوا بالدنيا مع أن من أصول دينهم ترك الدنيا؟؟!! .

فمن أقوالهم المتعلقة بذلك: قال أبو بكر الكلاباذي : ((دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببا غير أني عُرِضَت عليَّ الجنة، فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي فعاتبني، فله العتبى))[1384].

والقول الثاني: قالت رابعة العدوية:

كلُّهم يعبدوك من خوف نار ** ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجِنانَ فيحظُوا** بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لي بالجِنانِ والنار حظ** أنا لا أبتغي بحبي بديلا[1385].

والقول الثالث: قال سفيان الثورى لرابعة: ((ما حقيقة إيمانكِ قالت: ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه))[1386].

والقول الرابع : قال إبراهيم بن أدهم لأخ له في الله: ((إن كنت تحب أن تكون لله وليا وهو لك محبا فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما وفرغ نفسك منهما وأقبل بوجهك على الله يقبل الله بوجهه عليك ويلطف بك))[1387].

والقول الخامس: عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: ((اللهم أنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة، إذا أنت أنستني بذكرك، ورزقتني حبك، وسهلت على طاعتك، فأعط الجنة لمن شئت))[1388].

[1384] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 172 .
[1385] عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية ، ص: 23 .
[1386] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 310 .
[1387] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 82 .
[1388] حلية الأولياء، ج 8 ص: 35 .

والقول الخامس: قال القشيري : ((وقيل: إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل: أتحبُّ أن تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة؛ وفرغ نفسك لله تعالى، وأقبل بوجهك عليه ليُقبل عليك ويواليك))[1389].

والقول السادس: قال يزيد بن هارون الواسطي (ت 286 هـ): ((إذا ظهر الحق على السرائر، لا يبقي فيها فضلة لرجاء ولا لخوف)) . وسبب ذلك عند القشيري هو أنه إذا ((اصطلت شواهد الحق تعالى، الأسرار ملكتها، فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية))[1390].

والقول السابع: قال أبو يزيد البسطامي: ((إذا جاء حب الله يغلب كل شيء ، لا حلاوة للدنيا ، لا حلاوة للآخرة ، الحلاوة حلاوة الرحمن))[1391].

والقول الثامن: قال أبو يزيد البسطامي: ((الجنة هي الحجاب الأكبر، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه ، فهو محجوب)) [1392].

والقول التاسع : قال أبو يزيد البسطامي: ((الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم)) [1393].

والقول العاشر: عن يوسف بن الحسين أنه قال: ((سمعت أبا يزيد البسطامي يقول لأبي تراب النخشبي: أبناء الدنيا همهم دنياهم وأبناء الآخرة همهم عقابهم والعارفون همهم مولاهم))[1394].

والقول الحادي عشر: قال البسطامي : ((إن لله عبادا لو حجبوا عنه طرفة عين ثم أعطوا الجِنان كلها ما كان لهم إليها حاجة وكيف يركنون إلى الدنيا وزينتها)) [1395].

[1389] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 418.
[1390] القشيري: الرسالة، ص: 60 .
[1391] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[1392] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 47 .
[1393] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 99 .
[1394] الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق ، ج3 ص: 77 .
[1395] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 10 ص: 37 .

والقول الثاني عشر: حكى البسطامي عن معراجه الخرافي فقال: ((فدورني في الملكوت السفلي، فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجِنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك، فقلت: ياسيدي، ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك إياه، فقال: أنت عبدي حقّاً، تعبدني لأجلي صدقاً...))[1396].

والقول الثالث عشر: قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا عمر بن عثمان ثنا عبد الله بن أحمد بن موسى ثنا أحمد بن محمد بن جابان ثنا عمر البسطامي عن أبي موسى عن أبي يزيد قال: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار))[1397].

والقول الرابع عشر: سُئل أبو يزيد البسطامي ما علامة العارف قال: ((ألا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره. وقال: إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خِلعة من خِلعه فاشتغلوا بالخِلَع عنه ،وإني لا أريد من الله إلا الله))[1398].

والقول الخامس عشر: قال أبو نُعيم الأصبهاني: ((سمعت الفضل بن جعفر يقول سمعت محمد بن منصور يقول: سمعت عبيد ابن عبد القاهر يقول قال أبو يزيد: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول ،والعارف ما فرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط ،والعارف يلاحظ ربه والعالم يلاحظ نفسه بعلمه، والعابد يعبده بالحال والعارف يعبده في الحال، وثواب العارف من ربه هو وكمال العارف احترافه فيه له))[1399].

والقول السادس عشر: قال البسطامي: ((كنت ثلاثة أيام في الزهد. فلما كان اليومُ الرابع خرجت منه: اليوم الأول: زهدت في الدنيا وما فيه، واليوم الثاني: زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث: زهدت فيما سوى الله، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله.. فهِمْتُ، فسمعت، هاتفاً يقول: يا أبا

[1396] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1 ص: 474 .
[1397] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 34 .
[1398] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 38 .
[1399] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 38 .

يزيد لا تقوى معنا. فقلت. هذا الذي أريده.فسمعت قائلاً يقول: وَجدتَ، وجدت))[1400].

والقول السابع عشر: روى الحافظ الذهبي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: ((ما النار؟، لاستندن إليها غدا وأقول اجعلنى لأهلها فداء ولأ بلعنها. ما الجنة إلا لعبة صبيان)) [1401].

والقول الثامن عشر: قال الشبلي يوما في مجلسه: إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفؤها))[1402]...وسمع قارئا يقرأ : ((قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا)(المؤمنون: 108)) فقال : ليتني كنت واحدا منهم))[1403].

والقول التاسع عشر: عن أبي بكر الشبلي أنه قال : "لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة كنت مشركاً"[1404].

والقول العشرون: قال الحسين بن منصور الحلاج : ((علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة))[1405].

والقول الحادي والعشرون: سُئل أبو سعيد الخراز : ما علامة الفناء ؟، قال: " علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى"[1406].

والقول الثاني والعشرون: عن أبي الحسن بن الموفق (ت 265هـ) أنه قال: ((اللهم، إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها؛ وإن كنت تعلم أنى أعبدك حباً منى لجنتك، وشوقاً إليها، فاحرمنيها. وإن كنت تعلم أنى أعبدك حباً منى لك، وشوقاً منى إلى وجهك الكريم فأبحنيه مرة واصنع بي ما شئت "))[1407].

والقول الثالث والعشرون: عن أبي سليمان الداراني أنه قال: ((إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة))[1408].

[1400] القشيري: الرسالة ، ص: 13 .
[1401] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 13 ص: 88 .
[1402] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 318 ، 424 .
[1403] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 318 ، 424 .
[1404] السراج الطوسي: اللمع، ص: 490 .
[1405] القشيري : الرسالة، ص: 142 .
[1406] الشهاب السهروردي: عوارف المعارف، ج 2 ، ص: 313 . و الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، رقم: 31 ، ص: 40 .
[1407] ابن الملقن: طبقات الأولياء ، ص: 58 .
[1408] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 310 .

والقول الرابع والعشرون: عندما تكلم السراج الطوسي عن آداب الصوفية في الحج كان مما قاله : ((... فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة، فأدبهم أن يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا والآخرة وراء ظهورهم))[1409].

والقول الخامس والعشرون: قال السراج الطوسي: ((وقال بعضهم: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟))[1410].

والقول السادس والعشرون: قال أبو حامد الغزالي: ((قال العارفون: ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط))[1411]. يُلاحظ عليه أنه تصرف في كلامهم لغاية في نفسه عندما قال: ولا رجاؤنا للحور العين)) بدلا من قولهم ((ولا رجاء في جنتك))،فلماذا هذا التصرف في أقوالهم ،والتعالي على الشرع والتعالم عليه ؟؟.

والقول السابع والعشرون: قال أبو حامد الغزالي: ((حتى أن مشايخ الصوفية صرّحوا ولم يتحاشوا، وقالوا: من يعبد الله لطلب الجنة أو للحذر من النار فهو لئيم. وإنما مطلب القاصدين إلى الله أمر أشرف من هذا. ومن رأى مشايخهم وبحث عن معتقداتهم وتصفح كتب المصنّفين منهم، فَهِم هذا الاعتقاد من مجاري أحوالهم على القطع))[1412].

والقول الثامن والعشرون : قال الغزالي: ((فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين))[1413].

والقول التاسع والعشرون: قال أبو حامد الغزالي: ((فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق))[1414].

[1409] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 228- 229 .
[1410] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 61 .
[1411] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ' ص: 25 .
[1412] الغزالي: ميزان العمل، ص: 2 .
[1413] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 431 .
[1414] نقلا: عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 3 ص: 149 .

والقول الثلاثون: قال أبو حامد الغزالي : ((اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال:" الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد"))[1415].

والقول والواحد والثلاثون: قال عبد القادر الجيلاني: ((يا غلام، اقرن بين الدنيا والآخرة، واجعلهما في موضع واحد، وانفرد بمولاك عز وجل عرياناً من حيث قلبك، بلا دنيا ولا آخرة ... يا غلام، لا تكن مع النفس ولا مع الهوى، ولا مع الدنيا، ولا مع الآخرة، ولا تتابع سوى الحق عز وجل))[1416].

والقول الثاني والثلاثون: قال عبد القادر الجيلاني: ((من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، و من أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته و آخرته لربه ...))[1417].

والقول الثالث والثلاثون: قال لسان الدين الخطيب : ((ومحصول السعادة عندهم أن ينكشف الغطاء، وتظهر للعارف إِنِّيَّة الحق، وأنه عين إنية كل شيء، ويعقل إنية ذاته وما هي عليه، ومن عرف نفسه عرف ربه))[1418].

والقول الأخير- الرابع والثلاثون- : قال الصوفي داود الكبير بن ماخلا : ((إنما زهد العارفين في الدارين لرؤية ما هو أشرف، وأعلى، وأجل))[1419].

وردا عليهم أقول:

أولا يتبين من أقوال هؤلاء الصوفية أنهم لا يرجون معادا شرعيا أخرويا وإنما يرجون معادا صوفيا دنيويا ، فالقوم لهم معاد دنيوي حوله

1415 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155 .

1416 عبد القادر الجيلاني: الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ص: 14، 15 .

1417 عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، المقالة الرابعة والخمسون .

1418 لسان الدين ابن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، حققه عبد القادر احمد عطا ، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 611 .

1419 الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 277 .

يُدندنون، وهو غاية مبتغاهم ونعيمهم من التصوف. يتحقق لهم بالفناء عن الخلق ، وبالفناء في الحق-الله- وهنا يصبح الصوفي ربا، فلا موجود إلا الله حسب زعمهم ، وهذا يعني الاعتقاد بوحدة الوجود. فالمعاد الصوفي عندهم يتحقق عندما يصبح الصوفي هو الله حسب اعتقادهم بوحدة الوجود. وبما أن الأمر كذلك، فإن من يُؤمن بالمعاد الصوفي فهو مُنكر للمعاد الشرعي-أُخروي- ولن يُؤمن به، لأن المعاد الصوفي هادم للدين كله بالضرورة. فماذا يفعل الصوفي بالمعاد الأخروي بعدما يصبح ربا ؟؟ **!!** بل لا وجود له أصلا ، لأن الكون هو الله والله هو الكون حسب زعم الصوفية . ومع أن الأمر كذلك إلا أن الملاحظ على هؤلاء الصوفية أنهم ذكروا صراحة أنهم لا يرجون الآخرة وازدرزها بجنتها ونارها، وتعالموا على الشرع والمؤمنين فيما يتعلق بالمعاد الشرعي، لكنهم من جهة أخرى لم يُعلنوا إنكارهم للمعاد الأخروي صراحة ، مع أن إعلانهم عدم رغبتهم في الآخرة ، وقولهم بوحدة الوجود يجعلهم بالضرورة ينكرون المعاد الشرعي. فعلوا ذلك تقية وتسترا وتغليطا وتضليلا للمسلمين، وإخفاءا وحماية لأنفسهم وانتصارا لتصوفهم. فالقوم معادهم في الدنيا لا في الآخرة، فمن بلغ منهم وحدة وحدة الوجود فهو في جنة الدنيا ومن لم يبلغها فهو في نار الدنيا **!!**.

ولذلك وجدنا هؤلاء الصوفية يُقزمون اليوم الآخر ويتعالون عليه، ويستخِفون بمن يرجوه ويستهزئون به، مع أن الله تعالى جعل المعاد الأخروي من أركان الإيمان، ووصف عباده المؤمنين أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وذكر أن الكفار لا يُؤمنون بذلك ولا يخافون النار كما في قوله سبحانه:((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(السجدة : 16))، و((وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)(الأعراف: 56))،و((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)(النور : 37))،ووصف الله أهل النار بأنهم ((لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)(المدّثر: 53)).

وثانيا إن قول هؤلاء الصوفية بأنهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا لأن همهم هو الله ، هو دليل دامغ على أن همهم في الحقيقة ليس الآخرة ولا الله ،وإنما هو تحقيق أهوائهم وملذاتهم في الدنيا بدعوى الفناء في الله. لأن من يرجو الله تعالى لابد أن يُطيعه ويرجو جنته، ويخاف عذابه حسب شريعته. وبما أنهم لم يفعلوا ذلك ،وفرقوا بين الله تعالى وشريعته ومعاده

الأخروي بدعوى أن همهم هو الله ذاته فإن هذا دليل قوي على أن مقصودهم بهذا هو بلوغهم وحدة الوجود فيصبح الصوفي ربا حسب زعمهم، ويتحقق معادهم في الدنيا لا في الآخرة. فالقوم لا يعبدون الله ولا يلتزمون شريعته وإنما يعبدون أهواءهم وشياطينهم التي زينت لهم وحدة الوجود على أنها الجنة التي تتحقق لهم في الدنيا لا في الآخرة .

وأما حكاية العوض الذي يدندن بها الصوفية ويتهمون من يعبد الله تعالى وفق شرعه بأنه يطلب العوض من عبادته له، فهي حكاية تصدق عليهم ولا تصدق على المسلم الملتزم بشرع الله تعالى. لأن الله تعالى هو الذي فرض على بنى آدم عبادته وكافأهم بجناته وأنواره وحبه لهم إن هم أطاعوه والتزموا بشرعه. وعليه فليس المسلم هو الذي طلب ذلك عوضا عن عبادته لله ، وإنما هو مطيع وعابد لخالقه وفق شريعته . وما على المسلم إلا السمع والطاعة ، ومن الواجب عليه أن يخاف الله ويرجوه ويُحبه ، ويطمع في نعيمه وجناته وفي رؤيته يوم القيامة، لأن الله تعالى هو الذي أمره بذلك. فليس من الشرع ولا من العقل أن يعترض على خالقه فيما فرضه عليه وأمره به، ولا أن يتعالم عليه. وليس هو من الحب أيضا، لأن المحب لمن يحب مطيع ، والمثل الشعبي يقول: " الطوبة من يد الحبيب تفاحة". فإن اعترض العبد على خالقه فهو عاصٍ له ومُتبع لهواه . وهذا الذي وقع فيه الصوفية عندما تركوا الشرع وراء ظهورهم وأقاموا تصوفهم على عقيدة الفناء في الله ليصبحوا أربابا ، ولم يُقيموه على العبادة الشرعية ليكونوا عبيدا وعبادا له. فهم قد اعترضوا على الله تعالى ، فخالفوا شريعته ،واستهزأوا باليوم الآخر، وطلبوا عوضا عنه حسب أهوائهم يتحقق لهم في الدنيا لا الآخرة. فهذا هو معادهم الذي زينته لهم نفوسهم وشياطينهم ، وليس هو المعاد الأخروي الذي هو ركن من أركان الإيمان في الإسلام !! .

وثالثا إن ما ذكره البسطامي في معراجه الخرافي فإن صح أنه قاله فهو من أباطيله وهلوساته وأهوائه وظنونه ، وكلام باطل جملة وتفصيلا، وافتراء متعمد على الله والناس. فهو كلام لا قيمة له، ولا دليل يُثبته، ولا يعجز عنه أحد، فيستطيع أي إنسان أن يتخيل ذلك ويقول بمثل هذياناته. وقوله هذا يشهد على أنه كان منحرفا عن العبادة الشرعية التي فرضها الله تعالى علينا والتي من أساسياتها عبادة الله تعالى خوفا ورجاء وحبا. حتى أنه زعم أن الله تعالى وافقه عليها . وهذا زعم باطل لأنه مخالف للعبادة الشرعية التي فرضها الله علينا. كما أن زعمه بأنه لم يعجبه شيء مما رآه

فـي الجِنـان وملكـوت السـموات دليـل دامـغ ضـده ، وشـاهد علـى انحرافـه وضلاله.لأن الله تعالى أخبرنا أنه أعد لعباده المؤمنين في جناتـه مـا يعجبهم ويفرحهم ويُبهرهم ويُرضيهم بما أعده الله لهم، وهو سبحانه قد حبب الجنـة لعباده وحثهم على طلبها. منها قوله تعالى: ((رَّضِـيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـواْ عَنْـهُ وَأَعَـدَّ لَهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي تَحْتَهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـداً ذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِـيمُ)(التوبـة: 100)) ،و((وَقُضِـيَ بَيْـنَهُم بِـالْحَقِّ وَقِيـلَ الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ)(الزمـر: 75))، و((وَقَـالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَـدَقَنَا وَعْـدَهُ وَأَوْرَثَنَـا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)(الزمر: 74)). لكن هذا المريض زعم أنه لم يُعجبه شيء مما رآه ، فكان هذا شاهدا ضده بأن ما حكاه ما هو إلا أوهام وهلوسات وافتراءات ، وأنه على عبادة مخالفة للعبادة الشرعية.

ورابعا إنه تبين من أقوال هؤلاء الصوفية أن السعادة التـي يرجونهـا هـي سعادة تتحقق لهم في الدنيا لا الآخرة. وصفها الغزالـي بأنهـا ((منتهـى نعيم الصـديقين))[1420]، وهـي عنـد لسـان الـدين الخطيـب محصـولها هـي أن ((ينكشف الغطـاء، وتظهر للعارف إنِّيَّة الحق، وأنـه عين إنيـة كل شـيء، ويعقل إنية ذاته وما هي عليه، ومن عرف نفسه عرف ربـه))[1421]. وبتلك السعادة يتحولون إلى أرباب وآلهة بفنائهم في الله حسب زعمهم. وهنا يصبح الصوفي هو الله، ولا موجود إلا الله، وهذه هـي كفريـة وحدة الوجـود، وهنـا تتحقق سعادتهم ،ويكون معادهم فـي الدنيا ولا معاد آخر بعده ، ولا مكـان عندهم للمعاد الشرعي بعدما أصبح الصوفية أربابا وآلهة في الدنيا**!!**. فمـاذا يفعل الصوفي الإله بالجنة والنار، بعدما أصبح ربا **؟؟!!!!** . ولهذا فـإن تلك السـعادة المزعومـة التـي يدنـدن حولهـا الصـوفية مـاهي إلا سـعادة وهميـة هلوسية نفسية شيطانية ، لأنها قائمة على خرافة وحدة الوجود.

وأما قول لسـان الـدين الخطيـب : " من عـرف نفسـه عـرف ربـه " فهـو قـول صـحيح إذا لـم يُحـرف عـن معنـاه الصـحيح، لكن لسـان الـدين الخطيـب أفسـد معنـاه وحرّفـه عـن معنـاه السـليم. لأن الإنسـان السـوي يعلـم بـالفطرة وبالشرع والعلم أنه مخلوق لله تعالى ، فهو عبد لخالقه سبحانه وتعـالى، ولا يسمح لنفسه أن ينكـر خالقـه، أو يـدعي أنـه هـو الله. لكن هذا الرجـل وأمثالـه حـرف المقولة وزعم أن من عرف نفسه تبين لـه أنـه هـو الله ، فعنـدما عرفهـا

[1420] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 431 .
[1421] لسان الدين ابن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، حققه عبد القادر احمد عطا ، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 611 .

اكتشف أنه هو الله ولا موجود على الحقيقة إلا الله . وهذا زعم باطل من دون شك، وجنون ما فوقه جنون ، من يقوله إما أنه مريض ولا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه.

وأخيرا – خامسا - إن قول الغزالي بأن الصوفي عندما يصل إلى الفناء في الله يتخلص من الخوف والرجاء، واستشهاده بقول الواسطي:" الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد"))[1422]. فهو شاهد دامغ على أن المعاد الصوفي يتحقق في الدنيا عندما يصبح الصوفي ربا بفنائه في الله حسب زعمه.وبه يصبح هو الإله ومن ثم لا مكان عنده للخوف ولا للرجاء، ولا للمعاد الأخروي .

وأما قول الواسطي الذي استشهد به فيحمل نفس المعنى الذي قاله الغزالي. لأن الذي يخاف الله عنده لم تنمح رسومه وما يزال يفرق بين الخالق والمخلوق ، وهنا يكون الخوف عنده حجابا يحجبه عن وحدة الوجود. وعندما يصل إليها يستشعر الربوبية ويصبح هو الله، وهنا يرتفع خوفه ورجاؤه حسب زعم الغزالي .

علما بأن تفريق الصوفية بين الدنيا والآخرة وبين الله تعالى، وحثهما على ترك الدنيا والآخرة من أجل الله ، هو أمر مخالف للشرع ويتضمن القول بوحدة الوجود . لأن ديننا لم يفرق بين من يريد الجنة ومن يريد الله ، فمن أراد الله أراد الجنة ، ومن أراد الجنة أراد الله . قال سبحانه : ((تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال: 67))،و((وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً)(الأحزاب: 29))، و((منكم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ)(آل عمران: 152))، و((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(العنكبوت: 36))،و((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(الأحزاب: 21))،و((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(الممتحنة : 6)) .

[1422] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155 .

ولذلك فإن قَصْد الصوفية من حثهم على عدم طلب الدنيا والآخرة هو طلب الفناء في الله، والذي يعني وحدة الوجود. فالقوم يريدون أن يصبحوا آلهة وأربابا . وإلا كيف يريدون الله تعالى وهم لم يتبعوا شريعته ، ولا هم صرحوا أنهم يطلبون الدنيا ؟؟، فماذا يطلبون إذن ؟؟، ولهذا فمن لا يريد الآخرة ولا الدنيا فهو في النهاية يريد الدنيا ، وهذا هو حال الصوفية إنهم يريدون دنيا وحدة الوجود، وهي دنيا: لا موجود فيها إلا الله، و دنيا الربوبية والألوهية؛ ولا يُريدون المعاد الأخروي ولا دنيا تكون مزرعة للآخرة **!!!!**.

وأما إذا قيل : كيف نوفق بين القول بأن الصوفية ينكرون المعاد الأخروي ويعتقدونه بأنه دنيوي ، مع أنهم يُعلنون في كتبهم أنهم يعتقدون باليوم الآخر كما هو في دين الإسلام .

وأقول: نعم هذا تساؤل وجيه، ومُلح وضروري لحل الإشكال الذي أثاره ما قلناه . لكنه يرتفع عندما نعرف ونتذكر أن ما قلناه ليس من عندنا، وإنما هو اعتقاد صرّح به شيوخ الصوفية من المتقدمين والمتأخرين معا. فنحن لم نكذب عليهم ، وتبين من أقوالهم أنهم يزدرون اليوم الآخر ويضحكون على من يطلبه،وهم بهذا خالفوا الشرع مخالفة صريحة. ومن جهة أخرى أن قولهم بالمعاد الدنيوي يتفق تماما مع عقيدتهم بوحدة الوجود. واعتقادهم بها يجعلهم بالضرورة ينكرون المعاد الأخروي، لأن الاعتقاد بها- وحدة الوجود- يهدم الدين كله ولا يبقى شيئ منه، ومن ثم فبالضرورة أنهم ينكرون المعاد الأخروي. وهذا يعني أن القوم كانوا يُظهرون إيمانهم بالمعاد الأخروي تقية وتسترا بالإسلام وانتصارا للتصوف وحماية لأنفسهم من القتل بسيف الردة .

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن للصوفية معادا دنيويا هو جنتهم في الدنيا، ولا معاد أخروي يرجونه يوم القيامة. ومعادهم الدنيوي هو غاية العبادة الصوفية التي تعني وحدة الوجود، وفيها يصبح الصوفية أربابا وآلهة يعيشون بين الناس ويأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق!!!! . واعتقادهم هذا مخالف لدين الإسلام وإنكار لقطعياته ، وهدم له من أساسه، بل وكفر صريح بالله ودينه ورسله **!!**.

وختاما لهذا الفصل- الرابع- يتبين أولا إن المعرفة الصوفية ليست معرفة شرعية وأن الأحاديث النبوية التي احتجوا بها غير صحيحة وتأويلاتهم لها لتتفق مع التصوف كانت تأويلات فاسدة. واتضح أيضا أن مدح شيوخ الصوفية للحيرة والاضطراب ، والجنون والهذيان ، هو موقف باطل شرعا وعقلا وعلما، يتفق تماما مع فساد العبادة الصوفية أصولا وفروعا وغاية . كما أن أن قولهم بالوَلاية الصوفية مخالف تماما لمعنى الوَلاية الشرعية، لأن ولايتهم لم تقم على الإيمان والتقوى الشرعيين وإنما قامت على العبادة الصوفية الفاسدة، وغايتها الكفر بالله ورسوله ودينه.

وثانيا فقد تبين بجلاء أن سر أسرار الصوفية الذي جاهدوا من أجله، وحرصوا على اخفائه عن المسلمين والتعبير عنه بالإشارات والتلغيزات والتمويهات والتلبيسات بدلا من العبارات الواضحة، هو بلوغهم مقام الفناء عن الخلق، والفناء في الحق، وفيها يصبح الصوفي هو الله ، والله هو الصوفي، وهذا هو الاعتقاد بوحدة الوجود. بمعنى أن الكون هو الله والله هو الكون ، وما نراه من مخلوقات مجرد أشكال وأشباح ورسوم لا وجود حقيقي لها ، وإنما هي تجليات لله حسب زعم الصوفية. وقد ناقشناهم في قولهم بكفرية وحدة الوجود وبينا بطلانها شرعا وعقلا وعلما ،وانها هدم للدين والعقل والعلم، وما هي إلا أوهام وهلوسات وتلبيسات نفسية وشيطانية، بسبب ما كانوا فيه من شدة الجوع والعزلة وقلة النوم. فكان قولهم بها هو انتحار لهم ولتصوفهم وفيها تكمن مأساة التصوف ووأهله .

وثالثا اتضح أيضا أن التوحيد الصوفي ليس توحيدا شرعيا ، وإنما هو توحيد ينسجم تماما مع العبادة الصوفية وغايتها النهائية. فهو توحيد قصدوا به الفناء في الله الذي يعني وحدة الوجود، وفيها يصبح الصوفية أربابا وآلهة. ولهذا تكلموا عن مفهوم التوحيد بنفس الآلية والطريقة التي تكلموا بها عن وحدة الوجود باسم الفناء في الله. وقد شرحنا تلك الآلية بعشرات الأمثلة التي فككت إشارات الصوفية وألغازهم التي عبروا بها عن عن فنائهم وتوحيدهم معا ، وأحيانا جمعوا بينهما بقول واحد .

وتبين ايضا أن الشطحات الصوفية ليست أخطاء في التعبير وإنما هي من عبارات الصوفية لا من إشاراتهم، فهي أوضح من الإشارات، ومعناها يُعبر عن حقيقة الصوفية. ولهذا اعترف الصوفية أن الشطحات معانيها صحيحة وظاهرها مُستغرب، فهي ليست مُستغربة عندهم وإنما هي

مُستغربة بل ومُنكرة عند المسلمين لما فيها من أباطيل وضلالات وكفريات. فالشطحات هي تعبير صادق عن حقيقة التصوف لفظا ومضمونا لكن الإشارات هي تعبير صادق عن حقيقة التصوف مضمونا أكثر مما هي لفظا، لأن لفظها مُلغز وفيه تلبيس وتغليط يندرج ضمن ممارسة الصوفية للتقية وتسترهم بالإسلام.

وأخيرا- رابعا - فقد تبين أن للصوفية معادا دنيويا هو غايتهم ونعيمهم وجنتهم التي من أجلها مارسوا الطريق الصوفي ، واخفوا حقيقتهم عن الناس، وتستروا بالإسلام . ليصلوا إلى معادهم الدنيوي ، وفيه يصبح الصوفية أربابا وآلهة . وأما المعاد الشرعي فلا مكان له عندهم لأنه يتناقض تماما مع معادهم الدنيوي، ولهذا ذموه وتعالوا عليه، لأنه لا معاد أخروي مع الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود.

وبذلك اتضح أن غايات التصوف تعددت اسما وشكلا لكنها كلها انتهت إلى غاية التصوف النهائية، هي الفناء في الله، ومعناها: وحدة الوجود، ولا موجود إلا الله ، وهنا يكون الكون هو الله ،والله هو الكون، والصوفي هو الله، والله هو الصوفي. وهذا نقض لدين الإسلام وهدم له وللعقل والعلم من جهة، ويجعل التصوف دينا أرضيا علمانيا مُنكرا للمعاد الأخروي من جهة أخرى.

....

الفصل الخامس

نقد الروايات والأفكار المؤسسة لعلم الصوفية
ومصادر التلقي عندهم

أولا: مصادر التلقي عند الصوفية:
ثانيا: علم الصوفية : منهجا ومضمونا:

****

نقد الروايات والأفكار المؤسسة لعلم الصوفية
ومصادر التلقي عندهم

تنوعت مصادر التلقي عند الصوفية، وتدرجت حسب مقام الصوفي أثناء ممارسته للعبادات الصوفية، فكل مرحلة يمر بها لها مصادرها وفكرها،آخرها وصول الصوفي إلى مقام الفناء في الله ،أي وحدة الوجود. وفيها يصير الصوفي ربا وإلهاً فلا يحتاج بعدها إلى مصادر خارجية يتلقى منها الفكر الصوفي،لأنه أصبح هو الله وعين الحق يعلم بعلمه ويتكلم به حسب زعم الصوفية.

أولا: مصادر التلقي عند الصوفية:

يتلقى الصوفية فكرهم من عدة مصادر، منها مصدر ذاتي أصله نفوس شيوخ الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم . ومنها مصادر خارجية، بمعنى أنها من خارج ذواتهم وأحوالهم.

أولها: شيوخ الصوفية ، هم المصدر الأول والأساسي الذي يتلقى منه الصوفية فكرههم وتصوفهم، بما لهم من خصائص وأحوال ومقامات صوفيه بلغوها بممارساتهم للعبادات الصوفية، فجعلتهم بشرا غير عاديين، بل رفعتهم إلى أن جعلتهم أنبياءً ثم أربابا وآلهة حسب زعم الصوفية . فأصبحوا بذلك حجة ومصدرا يقينيا للمعرفة الصوفية، وحَكما على المصادر الأخرى التي لا تتقدم على الشيوخ ولا يُمكنها منازعتهم ولا نقض مقولاتهم . فمن صفاتهم التي جعلتهم كذلك: العصمة والفِراسة، وعلم الغيب، والكرامات ، والمنامات والمشاهدات، والأحوال والرغبات، ووحدة الوجود، ووجوب طاعة الشيخ وعدم الاعتراض عليه.

فبالنسبة لعصمة شيوخ الصوفية وفِراستهم ، أذكر على ذلك الشواهد الصوفية الآتية: أولها عن أبي سعيد الخراز أنه قال: ((" من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة، بل حكم حق جرى على لسان عبد")). ثم علّق القشيري على ذلك بقوله : ((" نظر بنور الحق " يعني: بنور خصه به الحق سبحانه"))[1423].

[1423] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة ، ج 2 ، هامش ص: 386.

والقول الثاني: قال عبد الكريم القشيري : ((سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كان شاه الكرماني حاد الفراسة، لا يُخطيء، ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال؛ لم تخطيء فراسته)) [1424]..

والقول الثالث : قال الحسين بن منصور الحلاج : ((المتفرس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده، ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان))[1425].

والقول الرابع: قال أحد شيوخ الصوفية : ((فراسة المريدين تكون ظناً يوجب تحقيقاً، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة))[1426]..

والقول الخامس: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: ((إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب؛ يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون))[1427].

والقول السادس مفاده أن أبا بكر الكلاباذي بيّن مقصود الصوفية بعبارة : الحفظ، فعندما تكلم عن الصوفي الذي بلغ درجة الفناء كان مما قاله: ((والحق يتولى تصريفه فيصرفه في وظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه مأخوذا عما له وعن جميع المخالفات فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة وذلك معنى قوله صلى الله عليه و سلم: كنت له سمعا وبصرا ، الخبر))[1428].

والقول السابع : جعل أبو نعيم الأصفهاني التفرس من صفات الصوفية المتحققين ، فقال:((ومن راعى من نفسه التحفظ والتحرس صح منه الاعتبار والتفرس: حدثنا سليمان ، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن أبي أمامة ، قال

[1424] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 388، 389.
[1425] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 388، 389.
[1426] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 388، 389.
[1427] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 388، 389.
[1428] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 123 .

: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله »[1429].

والقول الثامن : قال عبد الكريم القشيري: ((عن الولي الصوفي: ((وهو الذي يتولى الحقّ، سبحانه، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: " وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ"-الأعراف: 196-))[1430] . و((ومن شرط الولي: أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً)) .و ليكون الولي وليا ((يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء))[1431]. و((واعلم أنَّ من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات...))[1432]. و((ولا يكون وليّاً إلا إذا كان موفَّقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات ، معصوماً بكل وجه عن جميع الزلات))[1433].

والقول الأخير- التاسع - : ذكر المؤرخ الصوفي أبو الحسن علي الهجويري(ق: 5 هـ) أن أبا القاسم الجنيد كان محفوظا ومعصوما ، لأن الله يحفظ أولياءه في كل الأحوال من كيد الشيطان[1434].

وردا عليهم أقول: إن الزعم بأن شيوخ الصوفية كانوا معصومين من الأخطاء بدعوى العصمة ، أو الحفظ، أو الفراسة هو زعم باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والواقع . أولا فبالنسبة لقول أبي سعيد الخراز فهو غير صحيح لأن النور الذي أشار إليه الخراز هو ما يجده الصوفي من أحوال وإحساسات وجدانية تنعكس عليه بممارسته للعبادات الصوفية،وليس هو نورا شرعيا ، لأن هذا النور لا يناله إلا المؤمنون المتقون الملتزمون بشريعة الله قلبا وقالبا .وأما الصوفية فقد سبق أن بينا أنهم من أبعد الناس عن شريعة الإسلام لمخالفتهم له بتصوفهم وحرصهم على تعطيله وهدمه. ،ومن هذا حاله لن ينال النور الرباني الذي خص الله به عباده المؤمنين المخلصين الأتقياء، والصوفية ليسوا منهم قطعا.

[1429] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 93 .
[1430] القشيري: الرسالة، ص: 159 .
[1431] القشيري: الرسالة، ص: 117 .
[1432] القشيري: الرسالة، ص: 160 .
[1433] القشيري: تفسير القشيري ، ج 3 ص: 248 .
[1434] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 342 .

ومن جهة أخرى فإن النور الإلهي نوران : نور خص به الله تعالى عباده المؤمنين، والثاني هو نور النبوة لا يناله إلا الأنبياء. والنور الأول لا عصمة فيه، وإنما هو رزق وتأييد من الله تعالى، لكنه لا يجعل صاحبه معصوما أبدا . وإلا فلا معنى لإنزال الكتاب، وختم النبوة، ولا معنى بالأمر بإتباع السنة. وفي الحديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))[1435]. ولو كان نور الإيمان أو الفِراسة يعني العصمة لكان الصحابة معصومين بحكم أن الله تعالى شهد لهم بالإيمان والعمل الصالح وبشرهم بالقبول عامة ، والسابقون منهم خاصة، كما في قوله سبحانه: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 100)). ولو كان الأمر كما زعم الخراز فلا معنى بأن يأمر الله تعالى الصحابة بإتباع نبيه ، ولا بإنزال الكتاب بحكم أنهم كانوا مؤمنين مخلصين معصومين !!. وبما أنه سبحانه أمرهم باتباع كتابه ورسوله ، وكل من جاء بعدهم دل هذا قطعا على أنه لا أحد معصوم من البشر بعد نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام -.

علما بأن كلمة الفِراسة لم ترد في القرآن الكريم، وإنما وردة عبارة: التوسم ، في قوله سبحانه: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ)(الحجر: 75)). والمتوسم هو المتأمل ، والناظر، والمتفكر، والمتفرس، وهذا الفعل لا علاقة له بالعصمة ، والتفرس لا يعني العصمة، والمتفرس ليس هو المعصوم. وأما حديث الفراسة الذي استشهد بع الخراز فإسناده غير صحيح[1436]، بل وقيل أنه موضوع [1437]. ونفس الحكم[1438] ينطبق على الحديث الذي رواه أبو نعيم الأصفهاني (« احذروا دعوة المؤمن وفراسته ، فإنه ينظر بنور الله ؟ ، وينطق بتوفيق الله »))[1439].

وثانيا إن القول بأن الشيخ الصوفي معصوم ، أو أن بعضهم كان لا يُخطئ هو قول باطل قطعا ، لأن هذا مخالف لطبيعة البشر، فمهما حرص الإنسان على طلب الصواب والالتزام بالشرع فلا بد أن يخطئ في ذلك الأمر أوفي أمور أخرى. وأما بالنسبة للصوفية فهم من أكثر الناس خطأ

[1435] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 418 ، رقم: 3428 .
[1436] الألباني: الضعيفة ، ج 8 ص: 30 ، رقم: 1821 .
[1437] ابن الجوزي: الموضوعات ، ج 3 ص: 174 وما بعدها . والألباني: السلسلة الضعيفة ، ج 4 ص: 299 ، رقم: 1821 .
[1438] السخاوي: المقاصد الحسنة ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 1 ص: 59 . والألباني: السلسلة الضعيفة ، ج 4 ص: 301 رقم: 1821 .
[1439] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 93 .

وانحرافا ومن أبعدهم عن الصواب. لأن من يختار التصوف ويلتزم به يكون قد وقع في انحرافات وأخطاء لا تُعد ولا تُحصى، ويكون قد هدم الشرع والعقل والعلم، كما سبق أن بيناه ومن هذا حاله فهو قد غرق في الأخطاء من قدميه إلى رأسه . فهل المعصوم يخالف الشرع ويُعطله ؟؟، وهل المعصوم يعتقد بكفرية وضلالة وحدة الوجود ؟؟ . وهل المعصوم يُهدم الشرع والعقل والعلم ؟؟.

بل إن المؤرخ الصوفي السراج الطوسي اعترف صراحة بأن كثيرا من شيوخ الصوفية غلطوا وأخطؤوا في مواقف عديدة تتعلق بمختلف جوانب التصوف، فقال: ((باب في ذكر من غلط في التوسع ،وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ،ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب. باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحات. باب في ذكر من غلط في الأصول، وأداه ذلك إلى الضلالة، ونبتدئ بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية. وباب في ذكر من غلط في النبوة. باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الاباحة والحظر والرد عليهم))[1440]. فالرجل قد غلط أصحابه في كل أبواب التصوف تقريبا، فأين عصمة الصوفية المزعومة ؟؟!! . والحقيقة أن التصوف كله غلط بأصوله وفروعه وغاياته، ومن بدايته إلى نهايته.

علما بأن العصمة في الشرع لا تعني عدم الوقوع في الخطأ ، وإنما تعني أن الله تعالى عاصم نبيه ومُوجه له، وحاميه ومُنقذ له، ولا يُقره على خطأ. والدليل على ذلك أنه من المعروف والثابت في السيرة النبوية أن النبي-عليه الصلاة والسلام- جانب الصواب في بعض المواقف فتدخل الوحي وصحح تصرفه، كما في حادثتي ابن أم مكتوم، وأسرى بدر. وبما أنه لا نبي بعد نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- فلا أحد معصوم بعده أبدا ، لا من الصحابة، ولا من التابعين ،ولا من الصوفية، ولا من غيرهم .

علما بأن القول بالعصمة من خارج الأنبياء هو نقض لختم النبوة وإخراج لها من الأنبياء لتشمل غيرهم من البشر كالصوفية وأمثالهم؛ وهذا تعطيل لدين الإسلام وهدم له من دون شك . وبما أن الأمر كذلك فزعم الصوفية بأن شيوخهم من المعصومين باطل قطعا . لأنه مخالف للشرع وناقض لختم نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام- . ولاشك أن قول الصوفية بالعصمة يندرج ضمن منهجهم في في مخالفة الإسلام وتعطيله وهدمه مع

[1440] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 523 وما بعدها .

التستر بـه تقيـة وتلبيسـا علـى المسلمين. فقولهم بالعصمة هو مـن خطـواتهم المدمرة للدين والتي ختموها بعقيدة وحدة الوجود التي هدمت الشرع والعقل والعلم .

وأشـير هنـا إلـى أن الصـوفية أكثـروا مـن روايـة أخبـار الفِراسـة عـن شيوخهم والتأكيد علـى أنهم أصـابوا فيهـا، كشـواهد علـى عصمتهم بـدعوى الفِراسة . وقد اكثر من ذكرها عبد الكريم القشيري في رسالته. والحقيقة هي أن القوم بـالغوا فـي تضخيم أمـر الفِراسـة لغايـات فـي نفوسـهم ، مـع الأمـر بسـيط وواضـح مفـاده أن الفِراسـة هـي اجتهـادات وتـأملات واستشـرافات لمحاولة معرفة المستقبل أو الأمور الخافية عنا. وهي في النهاية محـاولات نسبية تخطئ وتصيب . وأكثر تلك الأخبـار المرويـة عن شيوخ الصـوفية مكذوبة[1441] ،ومنها ما هو قـراءات واحتمـالات واجتهـادات مصيبة ، ومنهـا ما هو من إلقاءات الشياطين . وإلا فإن الفِراسة لا يُمكن أن تكون كمـا زعـم هؤلاء الصـوفية ، فهـي ليسـت عصـمة ولا علمـا بـالغيب ، ولا صـاحبها لا يُخطئ.

ومـن الروايـات التـي يحتج بهـا الصـوفية فـي قـولهم بالفِراسـة روايـة عـن بعض الصحابة مفادها ((يُروى عن أنس بن مالك- رضي الله عنـه-، قـال: دخلت على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وكنت رأيت في الطريق امرأة تأملت محاسنها ، فقـال عثمـان -رضـي الله عنـه-: يـدخل علـيّ أحـدكم وآثـار الزنـا ظـاهرة علـى عينيـه، فقلـت لـه: أوحـى بعـد رسـول الله- صـلى الله عليـه وسلم-؟! فقال: لا، ولكن تبصرة، وبرهان، وفراسة صادقة))[1442].

وأقول: الروايـة لا تصـح إسـنادا ، لأن الرجـل لـم يـذكر لهـا إسـنادا ، وقد بحثت عنها فلم أجد لها أصلا. فالرواية لا تصح عن الصحابيين ، ومن ثم لا يصح الاحتجاج بهـا. وممـا يـرد متنهـا أنهـا تضـمنت أمـرا لا يليـق ولا يصـح بحق صحابي جليل أن يفعله ، وهو حرام شرعا. فذكرت الروايـة أنـه تعمد النظر إلى امرأة وتأمل محاسنها. وهذا طعن فيه ، و لايصـح أن يفعلـه مُسلم ملتزم مـن عامـة المسلمين، فكيـف بصـحابي جليـل كـأنس بـن مالـك ؟؟. والله تعالى يقول: ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)(النور: 30)).

[1441] لمخالفتها للشرع والعقل والواقع، ولأن الصوفية يُبيحون لأنفسهم اختلاق الرواية وتحريف الأخبار بدعوى التستر والتقية، ومن يسمح لنفسه فعل ذلك فهو مستعد أن يختلق الأخبار انتصارا للتصوف .

[1442] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 393.

وأما حديث الولي الذي استشهد به الكلاباذي تأييدا لقوله بعصمة شيوخ الصوفية، فقد سبق أن توسعنا في تحقيقه وتبين أنه غير صحيح . وحتى إذا فرضنا جدلا أنه صحيح فهو لا يعني عصمة الولي ، لأن الولي ليس نبيا ولن يكون نبيا ،وإنما هو من المؤمنين المتقين الأكثر نورا لا عصمة، ومن الذين يصدق عليهم قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((اللهم اجعل في قلبي نورا واجعل في لساني نورا ،واجعل في سمعي نورا، واجعل في بصري نورا ،واجعل خلفي نورا وأمامي نورا ،واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم وأعظم لي نورا))[1443]. فهذا نور الإيمان والالتزام ، ونور الإخلاص والتقوى، وليس نور النبوة والعصمة. وأما الولي الصوفي ،فإن ذلك الحديث لا يصدق عليه ولا يتعلق به، لأن الولي الصوفي ليس من الأولياء الذين وصفهم الله تعالى بالإيمان والتقوى، وإنما هو من أولياء العبادة الصوفية القائمة على مخالفة الشرع وتعطيله وهدمه ، ليصبح الصوفي ربا وإلهاً حسب زعم الصوفية. فولي هذا حاله لا يُمكن أن يكون وليا لله تعالى، وإنما هو من أولياء وحدة الوجود .

وثالثا إن المسلم مهما بلغ من الاجتهاد في الطاعات يبقى إنسانا يُخطئ ويُصيب، لكن خطأه يقل وصوابه يكثر، لكنه لن يصبح معصوما، لأن الخطأ طبيعي في البشر، ولأن العصمة لا تتحقق إلا في نبي . والصحابة على علو مكانتهم فلم يدع ولا واحد منهم أنه معصوم بالفِراسة ولا بغيرها ولا أنه لا يُخطئ . ومن المعروف أنهم اختلفوا فيما بينهم ولا واحد أدعى أنه لا يُخطئ بدعوى أنه صاحب فراسة. وهذا الكلام يتعلق بأفضل الناس بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- وأما الصوفية فهم من أبعد الناس عن الالتزام بالشرع، ومن ثم فهم أكثرهم خطأ وانحرافا عن الشرع والعقل والعلم.

وأخيرا – رابعا - إن قول القشيري بأن من شرط الولي الحفظ، والحفظ عند الصوفية يعني العصمة كما بينه الكلاباذي، فقوله غير صحيح قطعا. لأن حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين الأتقياء ودفاعه عنهم ، ورزقه أياهم بالإيمان والأنوار، وتوفيقه لهم في أعمالهم كل هذا هو أمر نسبي ولا يصل إلى درجة العصمة ،بحيث يصبح الولي كالنبي لا يخطئ و تجب طاعته في كل ما يأمر به. فهذا باطل قطعا لأنه عصمة ونبوة. ولأنه مخالف للشرع الذي أمرنا باتباع الشرع عند الاختلاف. وبما أن الصحابة كانوا هم على

[1443] الألباني: صحيح أبي داود، ج 1 ص: 252 ، رقم: 1205 .

رأس أولياء الله تعالى ، وقد انتقدهم الشرع في عدة مواقف، واختلفوا كثيرا فيما بينهم، وأمرهم الله تعالى بالعودة إلى الله ورسوله عند التنازع لقوله سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: 59)) فإن هذا يدل قطعا على أنه لا محفوظ حفظ العصمة، ولا معصوم من الخطأ أحد بعد النبي الخاتم محمد –عليه الصلاة والسلام- الذي خُتمت به النبوات.

وأما ما رواه القشيري عن الشبلي بأنه قال :((" الصوفية أطفال في حجر الحق تعالى" .يعني أنه يتولى حفظهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ولا يكلهم إلى أنفسهم))[1444]. فهو باطل قطعا ، والصحيح عكس ذلك تماما فإن الله تعالى طردهم من حفظه ورعايته، وتركهم فريسة لأهوائهم وهلوساتهم وتلبيسات نفوسهم وشياطينهم . بدليل أنهم خالفوا الشرع بأصولهم وفروعهم وغاياتهم حتى انتهى بهم الأمر إلى الكفر بالله ورسوله ودينه **!!!!** . فهل من هذا حاله هو في حفظ الله ، أم هو مطرود منه ومغضوب عليه ؟؟ **!!** . أليس الصوفية من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)(الكهف : 104)) .

وبذلك يتضح جليا أن قول الصوفية بعصمة شيوخهم باطل شرعا وعقلا وواقعا، قالوا بذلك لغايات في نفوسهم. وهم بذلك على طريقة الشيعة الإمامية في قولهم بعصمة أئمتهم[1445]، وقولهم بذلك يُؤدي بالضرورة إلى هدم دين الإسلام بنقض ختم النبوة والاعتقاد بوجود أنبياء كثيرين بعد نبينا باسم الشيخ، أو العارف، أو الإمام .

وأما الصفة الثانية من صفات شيوخ الصوفية ، فهي أنهم يعلمون الغيب**!!** . لم يصرّح معظم الصوفية بكلام واضح وصريح أن شيوخهم يعلمون الغيب ، لكن بعضهم قال بذلك عندما أثبت لهم العصمة والفراسة والحفظ . ومنهم من قال بعلمهم للغيب بالإشارة دون العبارة. لكن كلهم أثبت لهم علم الغيب عندما قالوا بوحدة الوجود- الفناء في الله – بحكم أن الصوفي

[1444] ابن عجيبة : إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 100 .

[1445] أنظر: الكليني: الأصول من الكافي، ط 3 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران، 1388 هـ ، ج 1 ص: 185 وما بعدها .

هنا يصبح هو الله ومن ثم فهو يعلم ما كان وما سيكون بحكم أنه أصبح ربا وإلهاً ، وقد سبق أن فصلنا أقوالهم المتعلقة بوحدة الوجود فلا نعيدها هنا.

ومن أقوالهم التي أثبتت العصمة لشيوخهم ، أو لبعضهم ، أن أبا الحسن علي الهجويري ذكر أن أبا القاسم الجنيد كان يعلم أسرار مريديه. وقال لبعضهم : ((إنك لم تعرف أولياء الله تعالى، هم أولياء الأسرار))[1446].

والقول الثاني: سُئل أبو القاسم الجنيد : ((من العارف؟ " فقال: " من نطق عن سرك وأنت ساكت"))[1447].

والقول الثالث: عن أبي عبد الله يحيى بن الجلاء(ت 306 هـ) أنه سُئل ما معنى قولهم صوفي ؟ فقال: ((ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى صوفيًّاً))[1448].

والقول الرابع : عن أبي سعيد الخراز أنه قال : ((دخلت المسجد الجامع ، فرأيت فقيراً -صوفيا- عليه خِرقتان ، فقلت في نفسي : هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس ، فناداني ، وتلا : {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة : 235] فاستغفرتُ الله في سري ، فناداني وقال : {وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [الشورى : 25] ثم غاب عني فلم أره))[1449].

والقول الأخير- الخامس- قال أبو بكر الكلاباذي : ((سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: قال لي أبو الحسن المزين: دخلت البادية وحدي على التجريد، فلما بلغت العمق قعدت على شفير البركة، فحدثتني نفسي بقطعها البادية على التجريد، ودخلها شيء من العجب، فإذا أنا بالكتاني - أو غيره؛ الشك مني - من وراء البركة، فناداني: يا حجام، إلى كم تحدث نفسُك نفسَكَ بالأباطيل ؟! . ويروى أنه قال له: يا حجام، احفظ قلبك، ولا تحدث نفسك بالأباطيل "))[1450].

وقد جعل الكلاباذي الحادثتين- القولان الرابع والخامس- من الفِراسة، ثم قال: ((يشهد لصحة الفراسة: ما حدثنا أحمد بن علي قال: حا ثواب بن يزيد

[1446] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 342 .
[1447] ابن الملقن : طبقات الأولياء، ص: 20 .
[1448] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 444.
[1449] القشيري: الرسالة، ص: 108 .و الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 25 . و ابن عجيبة : البحر المديد ، ج 7 ص: 243 . والكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 170 .
[1450] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 170 .

الموصلي، حا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حا أبو صالح كاتب الليث، حا معاوية بن صالح، عن راشد بن سعيد، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"))[1451].

وردا عليهم أقول: أولا إن القول بأن شيوخ الصوفية يعلمون الغيب أو غيرهم من البشر، هو قول باطل قطعا لأنه مخالف لطبيعة البشر وما هو مشاهد من أحوالهم . فالإنسان بما أنه إنسان لن يعلم الغيب أبدا، نعم يستطيع أن يجتهد ويقرأ المستقبل بالماضي والحاضر ليستشرف المستقبل، وهنا ربما يُصيب وربما يُخطأ، و إذا أصاب في أكثر اجتهاداته ، فهذا ليس علما بالغيب. وحتى إذا لم يُخطئ في أكثر قراءاته فهنا يقال: إنه لم يُخطئ ، ولا يُقال: إنه لا يُخطئ .

وباطل أيضا بدليل الشرع ، لأن الله تعالى استأثر بالغيب ولا يعلمه إلا هو سبحانه. كما في قوله : ((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))- سورة النمل/65- و((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (الجن)–سورة الجن /26- ،و((ما كان الله ليطلعكم على الغيب)) – سورة آل عمران/179- ، و((قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ،ولا أعلم الغيب))-سورة الأنعام/50- ،و((لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير))-سورة الأعراف/188- ،و((فقل إنما الغيب لله ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين))-سورة يونس /20- ، و((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل : 74)).

وباطل أيضا من أحوال الصوفية أنفسهم ، فقد كان شيوخهم يسألون بعضهم بعضا عن مختلف قضايا التصوف وعن أحوالهم، ويأخذون ويقتدون ببعضهم، وأحيانا يعترف بعضهم بعجزه عن الجواب، ويختلفون في مواقفهم من بعض مسائل التصوف، كاختلافهم في السماع الصوفي، بل إن السرج الطوسي غلّط كثيرا منهم كما بيناه سابقا.وكتبهم تشهد على ذلك بعشرات الروايات[1452]. ولو كانوا يعلمون الغيب ما فعلوا ذلك ، لأن الذي يعلم الغيب لا يسأل غيره عن أي أمر من الأمور. وبما أنهم فعلوا ذلك دلّ هذا قطعا على أنهم لم يكونوا يعلمون الغيب .

[1451] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 170 .

[1452] أنظر مثلا: ابن الملقن : طبقات الأولياء، ص: 6 ، 13 . والقشيري: الرسالة، ص: 157 .

وثانيا: إن قول الكلاباذي بأن الحادثتين- الرابعة والخامسة- يدلان على الفِراسة، ويشهد لهما حديث ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))، هو قول لا يصح ، ويشهد على تدخله في توجيه الحادثتين لغاية في نفسه. لأن الحادثتين لم تذكرا الفِراسة، ولا أشارتا إليها من قريب ولا من بعيد. بل إن الرابعة صرّحت بعلم الصوفي للغيب ، فقالت:((فالتفت إليّ فقال: {يعلم ما في أنفسكم فاحذروه}(البقرة: 235). فالرجل صرّح بأنه يعلم الغيب، ولم يقل أن ذلك من الفِراسة. وهذا يعني أن الكلاباذي تدخل عن قصد لتأويل كلام الصوفي الذي اعترف أنه يعلم الغيب ، وحمله على أنه يقصد الفِراسة لا علم الغيب؛ لأن الكلاباذي يعلم أن القول به مخالف للشرع، ويجد معارضة من المسلمين ويكشف أن الصوفية يعتقدون بأن شيوخهم يعلمون الغيب. وهذا لا يريد الكلاباذي أن يعرفه المسلمون ، لتبقى أسرار الصوفية مجهولة لديهم، ويستمرون في ممارستهم للتقية وتسترهم بالإسلام .

وأما الحديث الذي احتج به فقد سبق أن بينا أنه ضعيف، وقيل أنه موضوع. وحتى إذا فرضنا جدلا أنه صحيح ، فهو لا يتكلم عن علم الغيب، ولا يتعلق بالصوفية، ، وإنما يتعلق بالمؤمنين الاتقياء، فهو صريح بأنه يتحدث عن المؤمن المسلم الملتزم بشريعة الله ولا يتحدث عن الصوفي المُلتزم بالعبادة الصوفية. والحديث متنه صحيح بصفة عامة ، لكنه محكوم بالنصوص الشرعية الأخرى. فهو يندرج ضمن قوله تعالى: ((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)). و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام : 122)). لكن هذا لا يجعله معصوما ولا عالما بالغيب، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى . ولأنه سبحانه أمرنا بإتباع شريعته وحذرنا من مخالفتها. ومن جهة أخرى أمرنا بالرد إلى الله ورسوله عند الاختلاف ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء : 59)). فلم يأمرنا بالرد إلى بعضنا، ولا إلى شيوخ الصوفية، ولا إلى الهواتف والخواطر، والفِراسات. لأن نور الإيمان نسبي يتقوى به المؤمن ليزداد التزاما بالشرع، وليكون له عونا في جهاده لنفسه ولأعدائه. ولا علاقة له أبدا بمزاعم الصوفية في قولهم بالكشف، وعلم الغيب، والفِراسة.

وأما الصفة الثالثة فتتعلق بكرامات شيوخ الصوفية ودورها في جعلهم مصدرا للتصوف وسلوكيات أتباعهم. لأن تمتع شيوخهم بالكرامات شاهد دامغ على مكانتهم وقدراتهم الخارقة ، وعلى استقامتهم وقبولهم عند الله حسب زعم الصوفية. ولهذا اهتم الصوفية كثيرا بكرامات شيوخهم المزعومة ، وذكروا منها أخبارا كثيرة جدا في مصنفاتهم[1453].

من ذلك مثلا: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا محمد بن أحمد بن سليمان الهروي ثنا محمد ابن منصور الطوسي ثنا أبو النضر قال كان إبراهيم بن أدهم يأخذ الرطب من شجرة البلوط))[1454].

والكرامة الصوفية الثانية: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا عيسى بن محمد الوسقندي ثنا وبرة الغساني ثنا عدي الصياد من أهل جبلة قال سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله أنه كان ينظر إلى إبراهيم بن أدهم وهو على شط البحر في وقت الإفطار فيرى مائدة توضع بين يديه لا يدري من وضعها ثم يراه يقوم فينصرف حتى يدخل جبلة وما معه شيء)) [1455].

والكرامة الصوفية الثالثة: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا أبو العباس الهروي ثنا عصام بن رواد ثنا عيسى بن حازم حدثني إبراهيم بن أدهم قال: لو أن مؤمنا قال لذاك الجبل زل لزال قال فتحرك أبو قبيس فقال اسكن إني لم أعنك قال فسكن))[1456].

والكرامة الصوفية الرابعه: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي ثنا علي بن محمد المصري ثنا يوسف بن موسى المروزي ثنا عبد الله بن خبيق قال سمعت عبد الله بن السندي يحدث أصحابه قال: لو أن وليا من أولياء الله قال للجبل زل لزال قال فتحرك الجبل من تحته فضربه برجله فقال اسكن إنما ضربتك مثلا لأصحابي))[1457].

[1453] أنظر مثلا: الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 530 وما بعدها .

[1454] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 3 .

[1455] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 3 .

[1456] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .

[1457] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .

والكرامة الصوفية الخامسة: قال أبو نعيم الأصبهاني ((حُدثت عن عبد الله بن محمد بن يعقوب قال: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: كان إبراهيم بن أدهم بمكة فسئل ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله عز و جل قال يبلغ من كرامته على الله تعالى لو قال للجبل تحرك لتحرك فتحرك الجبل فقال ما إياك عنيت))[1458].

والكرامة الصوفية السادسة: قال عبد الكريم القشيري: ((سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: كان الحارث المحاسبي إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرَّك على أصبعه عِرق، فكان يمتنع منه))[1459].

والكرامة الصوفية السابعة : قال القشيري : ((ويًحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم. فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليَّ من عرس قوم، فقدَّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرَّ. فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أَسرَّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكنّي إبتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام ؟. فقلت: إنه حُمل إليَّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمتَّ إلي فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا))[1460].

والكرامة الصوفية الثامنة : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ثنا عبد الله بن محمد العطشي ثنا أبو حفص عمر بن محمد بن الحكم النسائي قال: حدثني محمد بن الحسين البرجلاني قال: حدثني حسين بن محمد الشامي قال: سمعت ذا النون يقول: ركبنا في البحر نريد مكة ومعنا في المركب رجل عليه أطمار رثة فوقع في المركب تهمة فدارت حتى صارت إليه فقلت: إن القوم اتهموك فقال: أنا تعني، فقلت: نعم قال فنظر إلى السماء ثم قال: أقسمت عليك إلا أخرجت ما فيه من حوت بجوهرة قال فلقد خيل إلي أن ما في البحر سمكة إلا وقد خرجت في فيها لؤلؤة أو جوهرة ثم رمى بنفسه في البحر فذهب)) [1461].

[1458] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .
[1459] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، ص: 51 .
[1460] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، ص: 51 .
[1461] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 176 .

والكرامة الصوفية التاسعة: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((ذكر لي أبو عامر عبد الوهاب بن محمد عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال: كنت عند سهل بن عبد الله جالسا فسقطت بيننا حمامة فجعلت أنحيها فقال سهل: أطعمها واسقها فقمت ففتت لها خبزا ووضعت لها ماء فلقطت الخبز وسقطت على الماء فشربت ومضت طائرة، فقلت لسهل :أي شيء هذا الطير فقال: لي يا أبا عبد الله مات أخ لي بكرمان فجاءت هذه تعزيني به. قال أبو عبد الله وأظنه ذكر شاه بن شجاع وكان من الأبدال، فكتبتُ تاريخ اليوم والوقت فقد قوم من أهل كرمان فعزونا فيه وذكروا أنه مات في اليوم والوقت الذي سقطت عندنا الحمامة))[1462].

والكرامة الصوفية العاشرة : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا أبو الفضل الهروي قال: حُكي لي عن جعفر بن الزبير الهاشمي أن أبا الحسين النوري دخل يوما الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ،فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلا حتى رجع إليه اللص معه ثيابه فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه فرد الله عليه يده ومضى))[1463].

والكرامة الصوفية الحادية عشرة : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه عمر بن أحمد بن عثمان قال أحمد بن خلف: دخلت يوما على السرى فقال لي: ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحا طيبا فقلت في سرى أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف))[1464].

والكرامة الصوفية الثانية عشرة: قال أبو بكر الكلاباذي : ((قال أبو بكر القحطبي : كنت في مجلس سُمنون، فوقف عليه رجل، فسأله عن المحبة؟ فقال: لا أعرف اليوم من أتكلم عليه يعلم هذه المسألة "؟ فسقط على رأسه طائر، فوقع على ركبته! فقال: إن كان فهذا، ثم جعل يقول - ويشير إلى

[1462] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 238 .

[1463] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 251 .

[1464] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 123 .

الطير -: بلغ من أحوال القوم كذا وكذا، فشاهدوا كذا وكذا، وكانوا في حال كذا وكذا "، فلم يزل يتكلم عليه حتى سقط الطير عن ركبته ميتا))[1465].

والكرامة الصوفية الثالثة عشرة : قال القشيري : ((سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد؛ دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق. فلم يخرج من بلخ بعد صديق))[1466].

والكرامة الصوفية الرابعة عشرة: قال الكلاباذي:((قال أبو بكر بن مجاهد: سمعت أحمد بن سنان العطار يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: خرجت يوما إلى نيل واسط، فإذا أنا بطير أبيض في وسط الماء، وهو يقول: سبحان الله على غفلة الناس "))[1467].

والكرامة الصوفية الخامسة عشرة:قال الكلاباذي : ((قال أبو عبد الله محمد بن سعدان: سمعت بعض الكبراء يقول: كنت يوما جالسا بحذاء البيت، فسمعت أنينا من البيت: يا جدر تَنَحِّ عن طريق أوليائي وأحبائي؛ فمن زارك بك طاف حولك، ومن زارك بي طاف عندي "))[1468].

والكرامة الصوفية السادسة عشرة: قال القشيري: ((وحُكي عن أبي عمران الواسطي قال: انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح، وقد ولدت في تلك الحالة صبية، فصاحت بي وقالت لي: يقتلني العطش!! فقلت: هو ذا يرى حالنا؛ فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء وفي يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر، وقال: هاك اشربا. قال: فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل. فقلت: من أنت رحمك الله؟ فقال: عبد لمولاك، فقلت: بِمَ وصلت إلى هذا؟ فقال: تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهواء. ثم غاب عني ولم أره))[1469].

والكرامة الصوفية السابعة عشرة : قال القشسري :: ((وكان أبو عبيد البسريّ إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته:طيني على الباب، وألقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد فتح الباب

[1465] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 177 .

[1466] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، ص: 503.

[1467] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 177 .

[1468] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 178 .

[1469] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 535 .

ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب، ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة))[1470].

والكرامة الصوفية الأخيرة- الثامنة عشرة- : قال عبد الوهاب الشعراني: ((ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين: كان من الأئمة الراسخين في العلم، وله المؤلفات النافعة في الطريق...وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات؟! فقال الشيخ: الفقير وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة؟؟!! كل درجة ألف ختمة))[1471].

وردا عليهم أقول: أولا لا يصح تصديق ما روته تلك الروايات عن كرامات شيوخ الصوفية وقدراتهم في التأثير في بعض مظاهر الطبيعة، لأن من أهم نتائج كتابنا هذا أنه أقمنا الأدلة القطعية على أن الروايات الصوفية ضعيفة من داخلها ، فالأصل فيها الضعف لا الصحة . والدليل على ذلك الشواهد الآتية: أولها إنه تبين من كتابنا هذا أن الصوفية هدموا الشرع والعقل والعلم بمروياتهم وأفكارهم التي أسسوا بها للتصوف، وهذا يعني أن تلك الروايات التي أسسوا بها لفكرهم باطلة، وهي من مفترياتهم . ومن هذا حاله لا تُقبل رواياته المتعلقة بكرماتهم المروية عن شيوخهم.

والشاهد الثاني مفاده أنه بينا سابقا أن الصوفية أقاموا تصوفهم على التقية والتحريف ، واختلاق الروايات ومن هذا حاله لا تُقبل رواياته المتعلقة بكرماتهم المزعومة.

والشاهد الثالث- إن أحوال الصوفية العادية المعروفة عنهم تشهد بنفسها على بطلان ما ذكرته رواياتهم المتعلقة بتلك الكرامات المروية عن شيوخهم . لأنهم لو كانوا فعلا يتمتعون بتلك الكرامات والقدرات الخارقة علما ودعاءً وتصرفا في بعض مظاهر الطبيعة ما عاشوا حياة مليئة بالفقر والطمع، والخوف والضعف. فمنهم من كان يتسول ليُقوت نفسه. ومنهم من كان يحتال على الناس ليكسب القوت بعقد مجالس الغناء، والتظاهر بلباس المرقعات. ومنهم من كان يدعي الربوبية ويعجز عن إنقاذ نفسه من القتل كما حدث للحلاج، و السهروردي المقتول. ومنهم من كان يوالي الظلمة من

[1470] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 535 .
[1471] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 466 .

الحكام والأغنياء طمعا في أموالهم ، وليبنوا له الزوايا والخوانق. ومنهم من كان يبحث عن الأعراس والمناسبات ليحضرها طلبا للأكل ومجالس الرقص. فهذه الأحوال أدلة دامغة على بطلان ما يرويه الصوفية عن تمتع شيوخهم بكرامات وقدرات غير عادية حتى أنهم زعموا أن ابن أهدم كان يُحرك الجبال؛ فلو كان كذلك ما كانت تلك أحوالهم **!!** .

والشاهد الأخير- الرابع- بما أنه قادم الدليل القطعي على أن التصوف وأهله لم تكن أحوالهم إيمانية شرعية، وإنما كانت أحوالا فاسدة ونفسية وشيطانية حتى أوصلتهم إلى الكفر بالله ورسوله ودينه. فإن هذا يوجب علينا عدم تصديق ما يرويه الصوفية من أحوال شيوخهم على أنها كرامات ربانية، وإنما إن صَحّ وقوع بعضها فهي أحوال نفسية هلوسية شيطانية لا رحمانية ربانية.

وثانيا إن تلك الكرامات المروية عن شيوخ الصوفية نصت صراحة على أنهم خرقوا بعض سنن الكون، وكانت لهم قدرات غير عادية تفوقوا بها على غيرهم من البشر. فمنهم من حرك جبلا، ومنهم من طار في السماء، ومنهم من تأتيه بعض الطيور بالأخبار، وغير هذا كثير. وكل هذه الروايات مزاعم باطلة لأن سنن الكون لن يقدر أحد على خرقها ولا تغييرها إلا خالقها سبحانه وتعالى. وما يظهر على أيدي الأنبياء من معجزات لا يصح الاحتجاج بها لأنها تدخل مباشر من الله تعالى لتأييد أنبيائه ، ولا تحدث إلا لهم، ولن يستطيع غير الأنبياء الإتيان بها .

والدليل على ذلك هو أن الله تعالى ذكر في كتابه الحكيم أن سننه في مخلوقاته ثابتة ولا تتغير ،ولن يستطيع أحد تغييرها. قال سبحانه: ((لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(يس : 40)) ، و((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)(الفرقان: 2))، و((فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً(فاطر : 43)). وعندما مات إبراهيم بن النبي-عليه الصلاة والسلام- وحدث كسوف وقال الناس: كسفت الشمس لموته ،تدخل النبي-عليه الصلاة والسلام- ، وقال: ((إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله))[1472].

[1472] البخاري: الصحيح، ج 2 ص: 34 ، رقم: 1043 .

والدليل على ذلك أيضا من العلم والواقع ، فهما يشهدان بأن الكون محكوم بقوانين وسنن كونية لا تتغير، ولن يستطيع إنسان ولا مخلوق أن يُغيرها. وبما أن الصوفية هم بشر مثلنا فلن يستطيع أحدهم تغييرها ولا التحكم فيها. وتاريخ الصوفية المقروء وواقعهم المشهود هما دليلان دامغان ضدهم ، فهما يشهدان على أنهم عاجزون كغيرهم من البشر، ولن يقدروا تغيير تلك السنن، ولا أظهروا قدرات خارقة تجعلهم فوق البشر. بل إن الواقع يشهد بأن كثيرا منهم أوأكثرهم في خدمة الظلمة من الحكام والأغنياء لكي يُوفروا لهم ما يحتاجونه من أموال للتمتع بالحياة ،ولتسير مؤسساتهم الصوفية. فلو كانوا كما وصفتهم تلك الروايات بأنهم أصحاب كرامات وقدرات خارقة ما كانوا ضعفاء موالين للظلمة طلبا لمتاع الدنيا .

ومن ذلك أيضا أن المؤرخ الصوفي عبد الوهاب الشعرراني ذكر أن سيده الصوفي يوسف العجمي الكوراني أظهر ((بمصر الكرامات، والخوارق، وكانت طريقته التجريد، وأن يُخرج كل يوم فقيراً- صوفيا - من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار، فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائناً ما كان. وكان يوم الفقراء يأتي أحدهم بالحمار محملا خبزاً، وبصلا وخياراً، وفجلا، ولحماً . ويوم سيدي يوسف يأتي ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقيرٌ واحد ؛ فسألوه عن ذلك فقال: أنتم بشريتكم باقية، وبينكم،وبين الناس ارتباط ، فيعطونكم، وأنا بشريتي فنيت حتى لا تكاد ترى فليس بيني، وبين التجار والسوقة، وأبناء الدنيا كبير مجانسة. وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب، ويقول: الله، ويمدها حتى يغيب، ويكاد يسقط إلى الأرض، فيقول من لا يعرفه هذا الأعجمي راح في الزقزية . وكان رضي الله عنه يغلق باب الزاوية طول النهار لا يفتح لأحد إلا للصلاة ، وكان إذا دق داق الباب يقول :للنقيب اذهب فانظر من شقوق الباب، فإن كان معه شيء **<u>من الفتوح</u>** للفقراء، فافتح له، وإلا فهي زيارات، فشارات ...))[1473].

فهل يُعقل ، وهل يصح في المنطق أن صوفيا صاحب خوارق وكرامات ذلك هو حاله وحال أصحابه في طلب الرزق، يطلبونه بالطمع والتسول واستعطاف الناس ؟؟ !! . فلماذا لا يسخر قدراته الخارقة في توفير الطعام له ولأصحابه ليتفرغوا للعبادة الصوفية التي نذروا أنفسهم لها حسب زعمهم ؟؟!! . فهذا تناقض صارخ: قُدرات خارقة يتمتع بها شيخ الصوفية مقابل

[1473] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .

عجز وضعف وجهد كبير طلبا للرزق !! . أليس هذا دليل دامغ على بطلان ما زعمه الشعراني بأن سيده كان صاحب كرامات خارقة ؟؟ !! .

وثالثا: إن ما رُوي من خوارق عن شيوخ الصوفية على أنها من كراماتهم، هي في الحقيقة ليست كذلك ، فإما أنها كرامات وخوارق مكذوبة، وهذا هو الغالب على روايات كرامات الصوفية بحكم ضعف الرواية الصوفية من داخلها كما بيناه سابقا. وإما أن بعضها من السحر والشعوذة.

ومنها ما هو ليس بكرامات وإنما هي مجرد أدعية، فقد تتحقق أو لا تتحقق، وقد يتأخر ظهور ما يُخالفها فيجعلها الصوفية من كرمات شيوخهم الذين صدر منهم ذلك الدعاء. مثل ما رواه القشيري بقوله : ((سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد؛ دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق. فلم يخرج من بلخ بعد صديق))[1474]. ودعاؤه هذا لم يتحقق في أهل بلخ ، فقد ظهر فيهم علماء كبار زهاد ثقات في بلخ ظهروا فيه بعد وفاة ذلك الصوفي، منهم: أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر البلخي، الوخشي (ت471 هـ)، وأبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد البلخي(ت 537 هـ)، وعبد المطلب بن الفضل القرشي البلخي الحنفي(ت 610 هـ)[1475].

ومنها ما هو تخيلات وتهيؤات نفسيه ومرضية تجعل الصوفي يتصور أمورا لا وجود لها في الواقع، ويعتقد أنها من الكرامات، وهي في الحقيقة من الهلوسات عندما يكون الصوفي في حالة جذب واضطراب بسبب شدة الجوع وقلة النوم، أو بسبب تناول المخدرات بالنسبة للصوفية الذين كانوا يتعاطونها.

ومنها ما هو من تلبيسات الجن أو الشياطين، وليست كرامات شرعية، بحكم أن الكرامات إن حدثت فهي للمؤمنين الأتقياء الصادقين الملتزمين بشريعة الله دون غيرهم. وبما أنه سبق أن بينا أن التصوف مخالف للشرع في أصوله وفروعه وغاياته ، بل وهادم له ، فلا يُمكن أن تكون لأتباعه كرامات صحيحة شرعية. وإن فرضنا جدلا أن بعضهم حدثت له كرامات شرعية فقد تكون من باب الاستدراج والتحذير والامتحان، أو تحدث

[1474] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 503.
[1475] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 18ص: 368 ، ج 20 ص: 167 . ج 22 ص: 101 .

لبعضـهم لكـونـهم ليسـوا صـوفية حقيقـة، وإنمـا هـم زهـاد أتقيـاء انتمـوا إلـى التصـوف ويعيشـون فـي هوامشـه، ولا يعتقدون أصـلا بـه كـدين لـه أصـولـه وفروعه وغاياته، وأنه مُعطل وهادم لدين الإسلام.

علما بأن الكرامـة الشرعية كمـا أنـه لا يُنالهـا إلا المؤمنـون الأتقيـاء، فهـي أيضا ليست تصرفا في الكون ولا خرقا لسننه ، وإنمـا هـي نفسـها مـن سنن الإيمـان والتقـوى، ومـن رزق الله تعـالى يـرزق بهـا عبـاده الصـالحين فـي الأوقات التي يكونون فيها في أمس الحاجة إليها. بدليل قولـه سبحانـه: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(يونس:62- 64)). و((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)(الطـلاق: 3)). و((وَكَفَّلَهَـا زَكَرِيَّـا كُلَّمَـا دَخَـلَ عَلَيْهَـا زَكَرِيَّـا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(آل عمران: 37)).

ورابعا ففيما يخص أسانيد روايات الكرامـات الصـوفية، فهـي كلهـا غيـر صحيحة، بحكم أن رواتها ضعفاء ، لأن الصوفية ليسوا ثقات لأنهم يقولـون بالتقية، وتعمدوا مخالفة الشرع والعقل والعلم انتصـارا لتصـوفهم، كمـا سبق أن بيناه. ومن هذا حاله لا يُوثق به، ولا يُحتج بـه، ولا يصـح الاعتمـاد علـى مروياتـه . منهـا مـثلا إسـناد الكرامـة الصـوفية الثانيـة عشـرة: قـال أبـو بكـر الكلابـاذي : ((قــال أبــو بكــر القحطبــي : كنــت فــي مجلــس سُــمنون ...))[1476].إسنادها لا يصح لأنـه منقطـع بـين الكلابـاذي وأبـي بكـر القحطبـي، فهو لـم يصـرّح بالسـماع ، ونقـل مـن دون ذكـر للواسـطة بينهمـا.والقحطبـي نفسـه الـراجح أنـه مجهـول الحـال، لأنـي لـم أعثـر لـه علـى حـال جرحـا ولا تعديلا.

وأما إسناد الكرامـة الصـوفية الرابعـة عشـرة: قـال الكلابـاذي:((قـال أبـو بكر بن مجاهد: سمعت أحمد بن سنان العطار يقول: سمعت بعض أصـحابنا يقول: ...))[1477]. فهو لا يصح لأن الكلاباذي لم يصرح بالسماع ، ولا حـدد مصدر خبره. فالإسناد من جهته غير متصل .

[1476] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 177 .
[1477] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 177 .

ومن رجاله : أحمد بن سنان العطار ، الراجح أنه مجهول الحال ، لأني لم أعثر له على حال جرحا ولا تعديلا. ثم هو حدث عن مجهول العين والحال، فقال: "سمعت بعض أصحابنا " ، فمن هذا البعض؟، إنه مجهول، فالإسناد لا يصح من طريقه.

ومنها إسناد الكرامة الصوفية الخامسة عشرة : قال الكلاباذي : ((قال أبو عبد الله محمد بن سعدان: سمعت بعض الكبراء يقول:...))[1478]. وإسنادها لا يصح لأن الكلاباذي لم يصرح بالسماع ولا حدد مصدر خبره.فالإسناد من جهته غير متصل . ولأن عبد الله محمد بن سعدان لم يُحدد الذي روى عنه وسماه " بعض الكبراء "، فهو بالنسبة إلينا مجهول العين والحال، ويبدو أنه تعمد عدم ذكر اسمه لغاية في نفسه، ربما لإخفاء حال الرجل. وعليه فالإسناد لا يصح من جهته.

وأما إسناد الكرامة الصوفية السابعة عشرة : قال القشيري :: ((وكان أبو عبيد البسريّ إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته:طيني على الباب، وألقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب، ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة))[1479]. وإسنادها منقطع بين القشيري، وأبي عبيد البسري، لأن الأول لم يلحق بالثاني وبينهما فارق زمن كبير.فالقشيري ولد سنة 376 هـ، وتوفي سنة 465 هـ والبسري توفي سنة 245 هـ . فالإسناد لا يصح من جهته.

ومتنها باطل بل ومستحيل ، لأنه لا يُمكن عقلا وواقعا وعلما أن يمتنع الإنسان عن الأكل والشرب والنوم ثلاثين يوما ولا يموت ،ثم بعدها يخرج إلى صلاة العيد !!!! . فهو حتى إذا فرضنا جدلا أنه لم يمت، فلاشك أنه في غيبوبة تامة فاقدا للوعي ، ولا يُمكنه أبدا حضور صلاة العيد . والحقيقة إنه من الجهل والغباء والحماقة قبول هذا الرواية وأمثالها، ومن الجريمة في حق العقل والعلم تصديقها .

وأما ما رواه القشيري من كرامات الحارث المحاسبي، فالأولى إسنادها: ((سمعتُ الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق، رحمه الله تعالى، يقول: كان الحارث المحاسبي ...))[1480]. إسنادها لا يصح، لأنه منقطع بين أبي علي

[1478] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 178 .

[1479] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 535 .

[1480] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 51 .

الحسن بن علي الدقاق النيسابوري المتوفى سنة 405 هـ ، وبين الحارث المحاسبي المتوفى سنة 243 هـ .

والثانية إسنادها ، قال القشيري: ((ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع ...))[1481].وإسنادها لا يصح لأنه منقطع بين القشيري والجنيد ، لأنه لم يدركه ، ولأنه روي الخبر من دون ذكر مصدره، ورواه بصيغة التمريض: يُحكى .

ومنها إسناد الكرامة الصوفية الثامنة : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ثنا عبدالله بن محمد العطشي ثنا أبو حفص عمر بن محمد بن الحكم النسائي قال حدثني محمد بن الحسين البرجلاني قال حدثني حسين بن محمد الشامي قال سمعت ذا النون يقول ركبنا في البحر ...)) [1482].

وإسنادها لا يصح، لأن من رجاله: أبونعيم الأصبهاني، بينا سابقا أنه ضعيف . و أبو حفص عمر بن محمد بن الحكم النسائي قال : ترجم له الخطيب البغدادي، وقال: " كان صاحب أخبار وحكايات وأشعار" ، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1483]. و محمد بن الحسين البرجلاني (ت 240 هـ) قال الذهبي:" لا بأس به ما رأيت فيه توثيقا ولا تجريحا " . وذكره ابن حبان في الثقات[1484]. لكن توثيق ابن حبان لا يُعول عليه لتساهله في التوثيق ولأن متن الرواية منكر جدا . وحسين بن محمد الشامي : يبدو أنه مجهول فلم أعثر له على ترجمة، ولا على حال جرحا ولا تعديلا.

ومنهم ذو النون المصري، واسمه: ثوبان بن ابراهيم الأخميمي المصري(ت 245 هـ) : أحاديثه عن مالك فيها نظر، لم يكن يتقن الحديث ، سماه أهل ناحيته بالزنديق ، ضعيف الحديث[1485]. وبما أنه كذلك، فإذا أضفنا إليه تصوفه وأحواله الغريبة، فإن الرجل لا يصح الاعتماد عليه ولا تصديقه فيما يرويه من أباطيل وخرافات وغرائب .

[1481] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 51 .

[1482] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 176 .

[1483] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 11 ص: 213 .

[1484] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 105 ، رقم: 459 .

[1485] ابن حجر: لسان الميزان، ج 2 ص: 321 . والذهبي: السير ، ج 11 ص: 532 ، رقم: 153 . وتاريخ الإسلام، ج 18 ص: 266.

ومنها إسناد الكرامة الصوفية التاسعة: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((ذكر لي أبو عامر عبد الوهاب بن محمد عن أبي عبد الله محمد بن أحمد قال كنت عند سهل بن عبد الله جالسا فسقطت بيننا حمامة ...))[1486].

وإسنادها لا يصح، لأن من رجاله: أبو نعيم الأصبهاني، سبق بيان ضعفه. وعبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال ، أبو عامر عبد الوهاب بن محمد، مجهولان ، فلم أعثر لهما على حال جرحا ولا تعديلا، رغم طول البحث عنهما. وسَهْل بنُ عبد الله بنِ يونُسَ بنِ عيسى بنِ عبد الله بن رَفِيع أبو محمد التستري (توفي سنة 283هـ) : لم يذكر الذين ترجموا له من المحدثين حالا جرحا ولا تعديلا[1487]. وعليه فالرجل في عِداد المجهولي الحال.، والإسناد لا يصح من جهته.

وإسناد الكرامة الصوفية العاشرة : قال أبو نعيم الأصبهاني : ((حدثنا أبو الفضل الهروي قال حُكي لي عن جعفر بن الزبير الهاشمي أن أبا الحسين النوري دخل يوما الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ...))[1488].

وإسنادها لا يصح ، لوجود راوٍ مجهول روى عنه أبو الفضل الهروي، بقول: " حُكي لي " . بالإضافة إلى الرواي الأول – المؤلف- فقد سبق أن بينا أنه ضعيف . ومتنها مُنكر ومُستبعد تماما ، لأن الواقع يشهد أن السُراق يسرقون ولا رأينا واحدا منهم شُلت يده ، فلو كان الأمر كذلك ما فرض الله علينا قطع يد السارق . فلا يصح أن نترك حقائق الواقع ونفسد تفكيرنا بمثل هذه الخرافات ، بل وحتى وإن فرضنا جدلا حدوث مثل ذلك مرة في آلاف السنين بدعوى أنها كرامة، فمن حقنا رفضها ولا يضرنا إنكارنا لها، ولا فرض الله علينا التصديق بها.

وأما بالنسبة لأسانيد روايات كرامات إبراهيم بن أدهم التي رواها أبو نعيم الأصبهاني ، فأولها: ((حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا محمد بن أحمد بن سليمان الهروي ثنا محمد ابن منصور الطوسي ثنا أبو النضر قال كان إبراهيم بن أدهم يأخذ الرطب من شجرة البلوط))[1489].

[1486] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 238 .
[1487] توسع الذهبي في ترجمته ولم يذكر شيئا من ذلك . الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 21 ص: 187 .
[1488] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 251 .
[1489] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 3 .

وإسنادها لا يصح لأن من رجاله : أبو نعيم الأصبهاني، بينا سبقاً أنه ضعيف. و محمد بن أحمد بن سليمان الهروي: أبو العباس : (ت 292 هـ) : لم أعثر له على حال ،و قد ترجم له الذهبي ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1490].

وأبو النضر هاشم بن القاسم بن مسلم بن مقسم الليثي أبو النضر البغدادي الحافظ خراساني الأصل ولقبه قيصر: (134- 207 هـ): ثقة ، ثبت[1491]. لكنه لم يصرح بالسماع من ابن أدهم ، واكتفى بقول:" كان إبراهيم بن أدهم "، ولم يذكر المزي أن أبا النضر روى أو سمع من ابراهيم بن أدهم[1492] . وبما أنه كان ثبتا، وعاش في زمن التفريق فيه بين السماع من عدمه معروفا ومطلوبا،وهنا لم يصرح بالتحديث فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته .

وإبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد (ت 162 هـ) : صدوق[1493] . وبما أنه تبين من تتبع أحوال هذا الرجل أنه لم يكن إنسانا سويا ، لا عدالة ولا ضبطا. وإنسان هذا حاله لا يصح الأخذ عنه ، ولا الثقة فيما يرويه . علما بأن تصوفه أفقده توازنه العقلي، وأبعده عن الالتزام الشرعي . وبما أن الأمر كذلك، ومرتبته في الجرح والتعديل لا تُشعر بالضبط فهو ليس بحجة فيما يرويه، خاصة وأنه كثيرا ما يروي ما يُخالف المألوف و طبائع الأشياء. فالرجل ضعيف، وليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم قبول أخبار رجل هذا حاله.

وإسناد الرواية الثانية: ((حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا عيسى بن محمد الوسقندي ثنا وبرة الغساني ثنا عدي الصياد من أهل جبلة قال سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله أنه كان ينظر إلى إبراهيم بن أدهم ...)) [1494].

وإسنادها لا يصح لأن من رواته: أبو نعيم الأصبهاني، بينا أنه سابقا أنه ضعيف . وبرة الغساني ، يبدو أنه مجهول الحال ، فلم أعثر له على ذكر جرحا ولا تعديلا ، رغم كثرة البحث عنه في مصنفات الجرح والتعديل، والتراجم والتواريخ، وغيرها من المصنفات . وعدي الصياد من أهل جبلة : مجهول، فلم أعثر له على حال ، ولا على ترجمة رغم كثرة البحث عنه

[1490] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 22 ص: 243 .
[1491] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10 ، ص: 12 .
[1492] المزي: تهذيب الكمال ، ج 2 ، ص: 28 ، ج 30 ص: 132 .
[1493] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 50 .
[1494] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 3 .

في مختلف مصنفات الرجال والتواريخ . و يزيد بن قيس لم أعثر له على حال جرحا ولا تعديلا ،، ولا ذُكر من بين الذين رووا عن ابن أدهم[1495].

وإسناد الرواية الثالثة: ((حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا أبو العباس الهروي، ثنا عصام بن رواد، ثنا عيسى بن حازم ،حدثني إبراهيم بن أدهم قال: لو أن مؤمنا ...)) [1496].

إسنادها لا يصح ، لأن من رواته: أبو نعيم الأصبهاني، ضعيف كما بيناه سابقا . وأبو العباس محمد بن أحمد بن سليمان الهروي (ت 292 هـ) : ترجم له الذهبي ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1497]. فالرجل مجهول الحال. وعصام بن رواد بن الجراح العسقلاني : صدوق، لين[1498]. فالرجل ضعيف. وعيسى بن حازم النيسابوري : ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1499]، فالرجل مجهول الحال. و إبراهيم بن أدهم ق ضعيف كما بيناه أعلاه .

وإسناد الرواية الرابعة: ((حدثنا أبو الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي ثنا علي بن محمد المصري ثنا يوسف بن موسى المروزي ثنا عبدالله بن خبيق قال سمعت عبدالله بن السندي يحدث أصحابه قال: لو أن وليا من أولياء الله قال للجبل زل لزال ...))[1500].

إسنادها لا يصح ، لأن من رواته: أبو نعيم الأصبهاني ، بينا سابقا أنه ضعيف . وأبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب الطوسي، العطار الصوفي(310 - 383 هـ): صاحب الشبلي: ترجم له الذهبي، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديل، وروى له حديثا حكم عليه بأنه منكر جدا[1501]. فالرجل ضعيف لتصوفه ولجهالة حاله . وعبد الله بن خبيق : الأنطاكي: لم أعثر له على حال، وترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1502]. و عبد الله بن السندي ، يبدو أن الرجل مجهول الحال، فلم أعثر له على من ذكر حاله جرحا ولا تعديلا، إلا ابن حبان أورده في كتابه الثقات من دون يذكر فيه ما يُدل على توثيقه، وأشار إلى أنه يروي الحكايات عن ابن

[1495] المزي: تهذيب الكمال، ج 2 ص: 28 .
[1496] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .
[1497] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 22 ص: 243 .
[1498] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 209 . وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 1 ص: 26 .
[1499] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 3 ص: 274 .
[1500] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .
[1501] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 10 ص: 17 .
[1502] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 4 ص: 74 .

المبارك[1503]. وتوثيقه له لا يُعول عليه، لأنه معروف بأنه متساهل جدا في التوثيق. خاصة ونحن أمام رواية متنها منكر جدا ، ولا يصح .

وإسناد الرواية الخامسة – من كرامات ابن أدهم المزعومة- : ((حُدثت عن عبد الله بن محمد بن يعقوب قال سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول سمعت مكي بن إبراهيم يقول كان إبراهيم بن أدهم بمكة فسئل ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله عز و جل ...))[1504].

إسنادها لا يصح، لأن من رجاله: أبو نعيم الأصبهاني، بينا ضعفه سابقا، وهو هنا أيضا لم يُصرح بالسماع، وإنما قال: " حُدثتُ " ، فالإسناد من جهته مُنقطع. وعبد الصمد بن الفضل بن موسى بن هاني البلخي أبو يحيى : (ت 283هـ): له حديث مُنكر، صالح الحال[1505]. وهذه المرتبة تشعر بالقرب من التجريح، وصاحبها لا يُحتج به[1506]. ومكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي (126-214 هـ): ثقة ، ليس به بأس ، محله الصدق[1507]. لكنه لم يصرح بالسماع، فيُحتمل أن الإسناد غير متصل، وبما أنه كان في وقت التفريق فيه بين السماع من عدمه معروفا ومطلوبا، وهنا لم يصرح بالسماع فالإسناد من جهته غير متصل. وإبراهيم بن أدهم ضعيف كما بيناه أعلاه.

وأما إسناد الرواية الأخيرة -الكرامة الصوفية الثامنة عشرة- : قال عبد الوهاب الشعراني: ((ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي ... أنه قرأ بين المغرب والعشاء ...))[1508].

إسنادها لا يصح ، لأن من رجاله : الشعراني وشيخه المرصفي، وهما ضعيفان بحكم تصوفهما ، وقد سبق تفسير ذلك فلا نعيده هنا. والشعراني في تدوينه لطبقاته كان حاطب ليل ، وداس على كل أبجديات النقد التاريخي ، وروى مستحيلات وخرافات لا يُمكن تصديقها وقد ذكرنا نماذج منها في كتابنا هذا، كالتي ذكرناها هنا .

[1503] ابن حبان: الثقات ، ج 8 ص: 348 .
[1504] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 8 ص: 4 .
[1505] الذهبي: ميزان الاعتدال ، ج 4 ص: 31 .
[1506] محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ص: 152 .
[1507] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 513 ، ج 9 ص: 208 و ما بعدها.
[1508] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 466 .

ومتنها باطل قطعا يُثبت صحة ما ذكرناه ، وقد نقدها أحد الباحثين وبين زيفها وعدم صحتها بقوله: ((ومن قصصهم المستغربة التي لا تروج إلا على الجهلة والمهووسين أن وليا من أوليائهم كان يختم القرآن 360 ألف ختمة في اليوم والليلة! وهذا الكلام لولا أن العقول قد خدرت فكريا وأن النفوس قد مسخت وان القلوب قد طبع عليها بخاتم الجهل وقلة الحياء ما كان ليُصدق فيُدون في كتب الكرامات. فان اليوم والليلة زمن يمتد 24 ساعة اي 1440 دقيقة فإذن 360 الف ختمة ÷ 1440 دقيقة = 250 ختمة في كل دقيقة !! فأين العقول))[1509] ؟! . فهل يُعقل ، وهل يُمكن أن إنسانا يختم القرآن كله 250 ختمة في كل دقيقة ؟؟ !!!!! .

وأما الصفة الرابعة- من صفات شيوخ الصوفية- فهي أنهم يتلقون العلم والأوامر من عالم الغيب بواسطة المنامات والمشاهدات ،والإشارات ورؤية الله تعالى.

من ذلك مثلا: قال الكلاباذي: ((دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله ما أعرف لعلتي سببا غير أني عُرِضَت عليَّ الجنة، فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي فعاتبني، فله العتبى))[1510].

وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال: ((دخلتُ على سري السقطي، فرأيت عنده خزف كوز مكسور، فقلت: ما هذا؟ قال: جاءتني الصبية البارحة بكوز فيه ماء، فقالت لي: يا أبت، هذا الكوز معلق ههنا فإذا برد فأشربه؛ فإنها ليلة غمة، فغلبتني عيني، فرأيت جارية من أحسن الجواري دخلت علي، فقلتُ: لمن أنتِ؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وضربت بيدها إلى الكوز فانكسر، وهو الذي ترى. فما زال الخزف مكانه لم يحركه حتى ستره الغبار!!))[1511].

وقال عبد الشعراني: ((كما حُكي عن أبي القاسم الجنيد -رضي الله عنه- أنه قال **:**لي ثلاثون سنة أتكلم مع الله تعالى، والناس يظنون أني أتكلم معهم))[1512].

وعن الجنيد أنه قال: ((مرضتُ مَرْضَةً، فسألت الله أن يعافيني، فقال لي في سِرِّي: {لا تدخل بيني وبين نفسك}. قال: سمعت بعض أصحابنا يقول:

[1509] جاد الكريم بكير: صور من الصوفية ، ص:13 .
[1510] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 172 .
[1511] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 173 .
[1512] الشعراني: الطبقات الكبرى ، 287 .

سمعت محمد بن سعدان يقول: سمعت بعض الكبراء يقول: ربما أغفو غفوة، فأنادى: {أتنام عني؟! إن نمت عني لأضرِبَنَّك بالسياط}))[1513].

وذكر عبد الوهاب الشعراني أن أبا يزيد البسطامي كان يقول لغير الصوفية: ((أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت))[1514].

وقال عبد الكريم القشيري: ((وروي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي عز وجل في المنام، فقلت. كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال))[1515].

وذكر الكلاباذي أن سهل بن عبد الله التستري قال عن نفسه : أنا منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يتوهمون أنى أكلمهم))[1516].

وقال الكلاباذي : ((قال أبو بكر بن مجاهد المقريء: قدم أبو عمرو بن العلاء يوما ليصلي بالناس - وما كان يؤم فيقدم اضطرارا -، فلما تقدم قال للناس: استووا "، فغشي عليه فلم يفق إلا بالغد، فقيل له في ذلك؟ فقال: وقت ما قلت لكم استووا، وقع في قلبي خاطر من الله تعالى كأنه يقول لي: {يا عبدي، هل استويت لي قط طرفة عين حتى تقول لخلقي استووا}))[1517]؟ .

وزعم الكلاباذي أن الله تعالى يُنبه الصوفية في الرؤيا ولطائفها. ثم أورد منامات لبعض شيوخهم تدل على اتصالهم بالنبي-عليه الصلاة والسلام- وان بعضهم كان على اتصال دائم به كل ليلة اثنين وخميس.وأنهم بعضهم يتلقى التوجيهات من الله تعالى[1518].

وزعم عبد الكريم القشيري أن الصوفي عندما يصل مرحلة جمع الجمع فإنه يسمع من الله الخطاب، ومن السر الجواب[1519].

[1513] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 170 .
[1514] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 7 .
[1515] عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية ، 1 ص: 176 .
[1516] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 144 .
[1517] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 170 .
[1518] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 171 وما بعدها .
[1519] القشيري: رسالة ترتيب السلوك ، ص: 37 .

وقـال أبـو حامـد الغزالـي: ((ومـن أول الطريقـة تبتـدئ المكاشـفات والمشـاهدات، حتـى أنهـم فـي يقظـتهم يشـاهدون الملائكـة، وأرواح الأنبيـاء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه))[1520]. و((من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء))[1521].

وقال الشهاب السهروردي في عوارفه : ((فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدا ، وشهوده مؤبدا ، وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى))[1522].

وروى عبد الوهاب الشعراني أن الصوفي أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت 570 هـ) قال : ((إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار، والأنوار، والملائكة))[1523].

وعن الشعراني أن الصوفي إبراهيم المسوفي القرشي (ت 676 هـ) قال: ((وما كان ولي متصلا بالله تعالى إلا، وهو يناجي ربه كما كان موسى - عليه السلام - يناجي ربه))[1524].

وأخيرا ذكر الشعراني أن الصوفي ابراهيم المتبولي المصري كان يرى النبي - صلى الله عليه وسلم- كثيراً في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول **:** يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة فلما صار يجتمع به في اليقظة، ويشاوره على أموره قالت له**:** الآن قد شرعت في مقام الرجولية)) . وكان للمتبولي ((سماط يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرني ... ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره فيجلس النبي - صلى الله عليه وسلم- صدر السماط، والأنبياء يميناً، وشمالا على تفاوت درجاتهم))[1525]**!!!!** .

وردا عليهم أقول: أولا ففيما يخص رؤية الله في المنام على حقيقة كما يدعي الصوفية فقد تبين لي من التدبر في النصوص الشرعية أن الصحيح

[1520] الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص: 15 .

[1521] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 26 .

[1522] نقلا عن: إحسان إلهي ظهير: التصوف : المنشأ والمصادر، ص: 166 .

[1523] الشعراني: الطبقات الكبرى ، 206 .

[1524] الشعراني: الطبقات الكبرى ، 261.

[1525] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 68 ، 77 .

هو أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا على الحقيقة مُطلقا لا في اليقظة ولا في المنام لأن النصوص الشرعية نصت على أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار وأن المؤمنين لا يرون الله تعالى عيانا وحقيقة إلا يوم القيامة . وعليه فلا يصح تخصيصها باليقظة دون المنام، فهي عامة ، والمنام من الحياة الدنيوية وليس من الأخروية . منها قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى : 11))،و((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(القيامة: 22-23))، و((كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)(المطففين: 15)) .

وفي الحديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام – أنه قال: ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[1526] ، و ((ولا ترون ربكم حتى تموتوا))[1527] . فهذا نفي عام في الدنيا يشمل الرؤية في المنام واليقظة لأن المنام من الدنيا لا من الآخرة . ومنها قول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))[1528]. فالحديث شبّه ولم يثبت حدوث الرؤية ، فقال: " كأنك تراه"، ثم نفاها تأكيدا بقوله: " فإن لم تكن تراه فإنه يراك ". فالحديث نفى الرؤية في الدنيا مطلقا ، ومن ثم فهي تشمل اليقظة والمنام معا ولا يصح تقييدها دون دليل آخر يُقيدها .

ومن جهة أخرى فبما أن الله تعالى أنزل كتابه إلي الإنس والجن ، وخاطبهم مباشرة في كتابه المسطور-القرآن الكريم- ، وعرفهم بنفسه وبحقيقتهم والغاية من خلقهم، وأخبرهم بأصلهم ومصيرهم، وضمن حفظ كتابه وختم به كل النبوات والكتب، وأمرهم بالتعرف عليه من خلاله، وكلفهم بعبادته وفق شريعته التي تضمنها كتابه وسنة نبيه الصحيحة. فلا معنى ، ولا يصح بعد ذلك أن يراه الناس في مناماتهم ويتلقون منه الأوامر والإرشادات والتوجيهات كما يدعي الصوفية وأمثالهم. بل إن القول بذلك يُؤدي في النهاية إلى هدم دين الإسلام ونقض ختم النبوة، وانصراف الناس عن القرآن الكريم ، وإقبالهم على المنامات والخواطر . ولهذا لا يوجد في القرآن الكريم من قريب ولا من بعيد ما يدل على أن الله تعالى أمرنا بتلقي أوامره ووحيه من المنامات،أو من مصادر بشرية أخرى وإنما نص صراحة على وجوب اتباع كتابه وسنة نبيه، ونهى عن اتباع غيرهما. قال سبحانه : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

[1526] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 35 ، رقم: 147 .

[1527] ابن ماجة : السنن ، حققه فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ، ج 2 ص: 1359 ، رقم : 4077 .

[1528] مسلم : الصحيح، ج 1 ص: 28 ، رقم: 102 .

عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). ، و((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))،))، و((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء : 59)) وبما أن القول برؤية الله والتلقي عنه في المنام أو في اليقظة يُؤدي إلى نقض ختم النبوة، وتعطيل الشرع، والتلقي عن الله خارج وحيه ، فإن هذا دليل قطعي على بطلان زعم الصوفية بأنهم يتكلمون مع الله ويتلقون منه الأوامر في المنام واليقظة.

والشاهد على ذلك أيضا أن ظاهرة القول برؤية الله تعالى في المنام على الحقيقة والتحدث معه حسب زعم الصوفية لم تكن معروفة بين الصحابة، فقد بحثتُ عنها فلم أعثر على خبر صحيح يُثبتها . ولو كانت حقا لكانوا هم أعرف بها وأولى من غيرهم بأن يتكلموا فيها ، ويدعوا إليها . مما يعنى أن ذلك القول حدث بعد جيلهم لما كَثُر أهل الأهواء والضلال، ولعبت بهم الشياطين ولبست عليهم دينهم . فوجد هؤلاء في القول برؤية الله تعالى في المنام وسيلة لتأصيل مذاهبهم وعقائدهم والدفاع عنها من جهة، والانفلات من الشرع ومخالفته من جهة أخرى .

علما بأنه قد حدث خلاف بين علماء أهل السنة في موقفهم من رؤية الله تعالى في المنام ، فمنهم من أجازه ، ومنهم من أنكره[1529]. لكن الصحيح ما ذكرناه.ولا يصح الاحتجاج بالحديث الذي يقول: ((حدثنا سلمة بن شبيب وعبد بن حميد قالا: حدثنا عبد الرزاق ،عن معمر ،عن أيوب، عن أبي قلابة عن بن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة قال أحسبه في المنام فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال قلت لا ،قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ،أو قال في نحري فعلمت ما في السماوات وما في الأرض. قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم ،قال: في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات ،والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره ،ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك

[1529] القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج 18، ص: 131 .

غير مفتون. قال: والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام))[1530].

وأقول: إسناده لا يصح، وقد ورد من عدة طرق كلها غير صحيحة. وتفصيل ذلك أن ذلك الإسناد لا يصح لأن من رجاله: عبد الرزاق بن همّام بن نافع الصنعاني(ت 126-211هـ)، قيل فيه: ثقة ، ثبت ، يتشيع ، مُتهم بالتدليس وقال العباس بن عبد العظيم العنبري - لما قدم من صنعاء- : ((لقد تجشمت إلى عبد الرزاق ، وأنه لكذاب والواقدي أصدق منه)).وقال زيد بن المبارك : ((كان عبد الرزاق كذابا يسرق الحديث))..وقال أيضا: ((لم يخرج أحد من هؤلاء الكبار من ها هنا إلا وهو مجمع أن لا يحدث عنه))[1531] . وقال إسحاق بن عبد الله السلمي : حجاج بن محمد نائماً أوثق من عبد الرزاق يقضان. وَقَال أبو بكر بن أَبي خيثمة : ((سمعت يحيى بن مَعِين وقيل له : إن أحمد بن حنبل قال : إن عُبَيد الله بن موسى يرد حديثه للتشيع ، فقال : كان والله الذي لا إله إلا هو عبد الرزاق أغلى- من الغلو- في ذلك منه مئة ضعف ،ولقد سمعت من عبد الرزاق أضعاف أضعاف ما سمعت من عُبَيد الله))[1532]. وهذا استدلال صحيح ،و شاهد قوي ودامغ . فلماذا نفرق بين الرجلين مع أن عبد الرزاق أكثر غلوا في التشيع ؟؟! ، أليس العقل البديهي يقول: يجب الجمع بين المتشابهين، والتفريق بين المختلفين.

وكان عبد الرزاق يرى أفضلية علي على الشيخين أبي بكر وعمر-رضي الله عنهم- ، لكنه فضلهما عليه ، لتفضيل علي لهما على نفسه. فقال: ((ولو لم يفضلهما ما فضلتهما كفى بي ازدراء أن أحب عليا ثم أخالف قوله))[1533]. وهذا تشيع صريح، ومدخل إلى الرفض ، لكنه مُغلف بتسنن[1534]، يبدو أنه من التقية . لكنه من جهة أخرى روى عبد الله بن أحمد أنه قال: ((سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت عبد الرزاق يقول : والله ما انشرح

[1530] الرمذي : السنن ، ج 5 ص: 233 ، رقم: 3233 .

[1531] ابن حجر : تهذيب التهذيب ،ج 1 ص: 136 ، ج 5 ص: 217 . ذكر ابن حجر تعليق الذهبي على العنبري ، و أنكر هو ذلك، لكن الحقيقة ليست كذلك، لأن هؤلاء قالوا عن تجربة و علم، و لا يرد موقفهما بالانكار و الاعتراض من دون دليل ، فموقفهما صحيح ، و لايُثرد إلا بدليل صحيح . و عليه فاعتراض الذهبي و ابن حجر لا يكفي لرد قول هؤلاء . نفس المصدر .

[1532] المزي: تهذيب الكمال ، 18 ، ص: 59 . و ابن حجر: طبقات المدلسين، رقم: 58 ، ص: 43 .

[1533] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم: 601 ، ج 5 ص: 216 و ما بعدها .

[1534] و يدل على قلة علم الرجل بالشرع و بالأخبار ، لأن عليا-رضي الله عنه- لم يفضلهما على نفسه إكراما أو تقية ، و إنما فضلهما حقيقة بدليل الشرع و التاريخ ، و أما هو أمثاله فاتبعوه تقليدا لا علما. و الشاهد على ذلك أن عبد الرزاق لم يتشيع بدليل و علم ، وإنما تقليدا و تأثرا ببعض المحدثين ، هو أن جعفر الطيالسي روى عن بن معين : ((سمعت من عبد الرزاق كلاما يوما فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب فقلت له: إن استاذيك الذين أخذت عنهم ثقات كلهم أصحاب سنة فعمن أخذت هذا المذهب فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان فرأيته فاضلا حسن الهدى فأخذت هذا عنه)) . المزي : تهذيب الكمال ، ج : 1 ، ص: 65 . فهل بهذه الطريقة يختار العلماء مذاهبهم ؟؟!! .

صدري قط ، أن أفضل عليا على أبي بكر وعُمَر ، رحم الله أبا بكر ورحم الله عُمَر ورحم الله عثمان ورحم الله عليا ، من لم يحبهم فما هو مؤمن ، وَقَال : أوثق عملي حبي إياهم)) [1535] . فبكلامه هذا عن الشيخين نقض قوله الأول ، ففي الأول كان يرى تفضيل علي على الشيخين، و إنما فضلهما عليه اتباعا له، ثم هو هنا يقول بأن صدره لم ينشرح لتفضيل علي عليهما !! . فماذا يعني هذا ؟، فهل هو ممارسة للتقية وضحكا على الناس، أم هو تطور فكري مر به الرجل ؟؟ .

ومن مظاهر غلو عبد الرزاق الصنعاني في التشيع ودخوله باب الرفضُ، أنه ُذكِر حديث عن عبد الرزاق في التشيع والغلو في علي ، فأنكره يحي بن معين ، واتهم به قوما من نيسابور، وتفصيل ذلك ما رواه علي بن سعيد ، بقوله : ((قدم قوم من أهل نيسابور على يحيى بن معين وفيهم أبو الأزهر فقال يحيى: إنما الكذاب منكم الذي روى عن عبد الرزاق فذكر هذا الحديث فقال أبو الأزهر أني أتيت بنايذ حدثنا أحمد بن محمد الشرقي قال: ذكر أبو الأزهر ، قال: كان عبد الرزاق قد خرج إلى ضيعته فخرجت خلفه وهو على بغلة له فالتفت فرآني فقال: يا أبا الأزهر تعنيت ها هنا فقال: اركب ، قال: فأمرني فركبت معه على بغله. فقال: ألا اخصك بحديث أخبرني معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن بن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: لعلي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وحبيبك حبيب الله وبغيضك بغيض الله، والويل لمن أبغضك من بعدي. قال أبو الأزهر: فلما قدمت بغداد كنت في مجلس يحيى بن معين فذاكرت رجلا بهذا الحديث فارتفع حتى بلغ يحيى بن معين قال: فصاح يحيى بن معين فقال: من هذا الكذاب الذي روى هذا عن عبد الرزاق. قال فقمتُ في وسط المجلس قائما فقلت: أنا رويتُ هذا الحديث عن عبد الرزاق ،وذكرتُ له حتى خرجت به إلى القرية قال فسكت يحيى))[1536].فهذا شاهد تاريخي دامغ على أن عبد الرزاق كان يُمارس التقية، فيتلون كما يريد وحسب مصلحته، لهذا تناقضت مواقف أهل الحديث منه بين مُوثق له ومُضعف، وبين مادح له وقادح !! .

ومن مظاهر تشيعه وممارسته للتقية أنه رويت عنه أخبار تدل على أنه من أهل الأهواء أكثر مما هو من أهل السنة والاستقامة . من ذلك ما ذكره

[1535] المزي: تهذيب الكمال ، 18 ، ص: 60 .

[1536] ابن عدي: الكامل في الضعفاء ، رقم : 1463 ، ج 6 ص: 343 .

ابن عدي : ((حدثنا يوسف بن يعقوب النيسابوري، ثنا أبو حاتم الرازي، ثنا محمد بن إسماعيل الضراري الرازي، قال: رأيت عبد الرزاق ومرت عليه امرأة جميلة فنظر إليها فقال هذه من مراكب الملوك)). و((سمعت علي بن أحمد بن علي بن عمران الجرجاني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت عبد الرزاق يقول : ما رأيت دواب قط أكذب من أصحاب الحديث))[1537]. فإن صح الخبران فالرجل ضال صاحب هوى ، وقلبه مملوء غيضا تجاه أهل السنة عامة، وأهل الحديث خاصة ، وهذه هي حقيقة الشيعة الإمامية عامة في موقفهم من أهل السنة. وقوله الثاني ينطبق عليه أولا ، فإذا وُجد من أهل الحديث من كان يكذب ، فهذا ليس أصلا عندهم ، ولا هو عقيدة عندهم ، وإنما هو عقيدة عند الشيعة الإمامية ، فقد استحلوه بعقيدة التقية ، وعلى أساسه أقاموا مذهبهم في الإمامة و ما نتج عنها . وبه تسللوا إلى أهل السنة وبه اندسوا بينهم . ولولا غلبة الصدق وحسن الظن على أهل السنة، وغفلة كثير منهم ، ما راجت أحاديث عبد الرازق وأمثاله من الشيعة الإمامية على كثير من محدثي أهل السنة. فالرجل عكس الآية ونسي أو تناسى نفسه وأمثاله ، بأنهم من أكذب الطوائف[1538]. لكن لكلامه وجه صحيح، هو أنه ربما ضحك به عليهم ووصفهم بذلك، عندما رأى كثيرا منهم يأتونه من أقطار بعيدة ، فيسمعون منه،و يقبلون أحاديثه المكذوبة التي كان يحدثهم بها.

ومن مظاهر تدليسه وعدم حرصه واهتمامه وتدقيقه ، أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: ((قلت ليحيى: عبد الرزاق كبير السن؟ فقال: أما حيث رأيناه فما كان بلغ ثمانين، نحواً من سبعين بلغ . ثم قال يحيى: أخبرني أبو جعفر السويدي، أنه وقوم من الخراسانية، وقوم من أصحاب الحديث، جاؤوا إلى عبد الرزاق بأحاديث للقاضي هشام، وتلقطوا أحاديث عن معمر، من حديث هشام، وابن ثور. قال يحيى: وكان ابن ثور هذا ثقة. فجاؤوا بها إلى عبد الرزاق فنظر فيها. فقال: هذه بعضها سَمِعتُها، وبعضها لا أعرفها، أو لم أسمعها. قال: فلم يفارقوه حتى قرأها فلم يقل لهم: حدثنا ولا أخبرنا. قال أبو زكريا: أخبرني بهذه القصة أبو جعفر السويدي صاحب لنا))[1539]. و من ذلك أيضا ((قال عبد الله: سمعتُ أَبي يقول: قال عبد الرزاق: رأيت أبا حازم بن دينار. فقلت: له: سَمِعتُهُ منه؟ قال: أظن))[1540].

[1537] ابن عدي: الكامل في الضعفاء ، رقم : 1463 ، ج 6 ص: 343 -344 .
[1538] عن ذلك أنظر كتابنا : مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه ، و الكتاب منشور ورقيا و إلكترونيا .
[1539] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 1588 ، ج 2 ص: 319 .
[1540] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 1588 ، ج 2 ص: 319 .

وقال ابن عدي: ((قد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه إلا أنهم نسبوه إلى التشيع وقد روى أحاديث في الفضائل لم يتابع عليها، هذا أعظم ما ذموه من روايته لهذه الأحاديث ولما رواه في مثالب غيرهم، وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به. إنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير)) [1541].

وأقول: الحقيقة أن تبريره هذا ضعيف جدا، بل لا يُقبل، ولا يصلح دليلا صحيحا يُقام عليه الدين، لأنه إذا كان هؤلاء قد ردوا أحاديثه في التشيع مدحا وذما ، فهذا يعني أن الرجل فيه خلل كبير ،وهذا الخلل يتعلق بذات الإنسان وسلوكه: عقيدة وصدقا وممارسة . وتبرير ذلك لا يكون بالتمني والترجي ، كقوله : ((فأرجو أنه لا بأس به)) ، وإنما يكون بالدليل الصحيح ، ولا يكون بالتمنيات، فقوله لا يُغير من الحقيقة شيئا، والدين يجب أن يُقام على اليقين والصحيح من الأخبار ، لا على الترجيح، والتمني والترجي . وذلك الذي ردوه ليس هينا ، كما هو واضح من كلامه، إنه أمر خطير له خلفية مذهبية لا يصح تجاوزها أو تقزيمها . فلابد من التعامل مع مروياته بحذر شديد، يكون الحَكم فيه الدليل الصحيح وحده لا حسن الظن ولا الترجي ولا التمني. والحق لا يُعرف بكثرة ولا بقلة ، وإنما يُعرف بالأدلة التي تحمله . فإذا توفرت الأدلة الصحيحة فلا يصح الاحتجاج بمواقف الرجال كثرة ولا قلة. علما بأن تناقض مواقف المحدثين من الرجل هو شاهد قوي دامغ على مراوغاته وممارسته للتقية، وليست دليلا على صدقه، خاصة وأن تلك المواقف تأتي من شيعي إمامي. إن عبد الرزاق رجل مشبوه ومتلاعب ، ولا يستحق كل ذلك التعظيم والتبجيل والدفاع عنه ، إنه دُلل بأكثر مما يستحق، ولا يصح قبول أخباره إلا بعد تحقيقها إسنادا ومتنا !! .

وبذلك يتبين أن عبد الرزاق من رجال الشيعة ، أظهر التشيع السني وأخفى التشيع الإمامي ، ولهذا عده ابن قتيبة وابن عدي من الشيعة[1542]، وجعله الشيعة الإمامية من رجالهم وثقاتهم ، ومن أصحاب بعض أئمتهم ،

[1541] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم: 601 ، ج 5 ص: 216 و ما بعدها .و ابن عدي: الكامل في الضعفاء ، رقم : 1463 ، ج 6 ص :346.

[1542] ابن عدي: الكامل في الضعفاء ، رقم : 1463 ، ج 6 ص :346. و ابن قتيبة : المعارف ن ص: 139 .

ورووا مروياته الإمامية في كتبهم المذهبية، أظهر فيها القول بأئمة الشيعة والبراءة من مخالفيهم[1543].

والثاني : معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن أبو عروة(ت 154هـ عن 58 سنة)، قيل فيه: ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت –البناني- والأعمش وهشام بن عروة شيئا[1544] وقيل فيه أيضا: صالح، مأمون ، ضعيف في ثابت البناني . وقال يحيى بن معين : ((إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه، إلا عن الزهري وابن طاوس، فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا .وما عمل في حديث الأعمش شيئا)) . وقال أبو حاتم: ((ما حدث معمر بالبصرة فيه أغاليط وهو صالح الحديث))[1545] . وقال ابن المديني: ((سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: اثنان إذا كتب حديثهما هكذا رأيت فيه، وإذا انتقيت كانت حساناً: معمر وحماد بن سلمة))[1546]. وهذا دليل قوي على ضعف الرجل من جهة ضبطه أولا ، ومن ناحية عدالته ثانيا كما سيتبين قريبا. فالرجل حاطب ليل في كثير من من مروياته. وقال يحيى بن معين أيضا: ((وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام))[1547]. وكلامه هذا خطير جدا،لأنه يعني أن الرجل فيه خلل إما في عدالته، أو في ضبطه، أو فيهما معا . و كلام أبي حاتم السابق خطير أيضا، فهو لم يقل: فيه أخطاء، و إنما أغاليط، وهذا انتقاد فيه جانب يتعلق بأمانته وحياده، ويعني أنه ربما كان يتعمد التغليط[1548] في بعض رواياته ، وهو نوع من التدليس !!. فلماذا يفعل ذلك ؟؟!! .

ومن ذلك حاله فهو مُتهم وضعيف ، ويجب التحرز في قبول رواياته إلا بحذر شديد وبشروط ، منها أنها لا تتفق مع مذهبه في التشيع، ولا تكون مخالفة للأصول، ويجب إخضاعها للنقد الصارم قبل الأخذ بها . والغريب في الأمر أن هؤلاء المحدثين لم يُفسروا سبب ذلك و تركوه لغزا ؟؟ .

[1543] أنظر مثلا: عبد الحسين الشبستري: أصحاب الإمام الصادق ، رقم: 1825 ، ج 3 ص: 212 . و أبو جعفر الطوسي : الأمالي ، رقم: 1050 ، ج 2 ص: 1، 129 . و الغيبة ، رقم: 482 ، ج 2 ص: 432 . و رجال الطوسي ، رقم: 714 . و أبو العباس النجاشي : رجال النجاشي ، ص: 382 .

[1544] ابن حجر: التقريب ، ج 2 ص: 202 .

[1545] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 441 ، ج 9 ص: 173 .

[1546] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 9 ص: 629 .

[1547] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 1 ج 9 ص: 174 .

[1548] لأن من معاني أغاليط (مفرد أغلوطة) ، ما يُغالط به في الكلام المُبهم . أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ، ج 2 ، ص: 658 .

وقد حاول الذهبي تفسير سبب اضطراب كثير من أحاديث معمر وأوهامه فقال: ((ومع كون معمر ثقة، ثبتا، فله أوهام، لا سيما لما قدم البصرة لزيارة أمه، فإنه لم يكن معه كتبه، فحدث من حفظه، فوقع للبصريين عنه أغاليط))[1549].

وأقول: هذا لا يكفي لتفسير كثرة أغاليطه وأوهامه من جهة ،وهذا شاهد على قلة حرصه وضبطه في الاهتمام بالحديث من جهة اخرى . فلماذا سمح لنفسه أن يُحدث من غير كتاب، والحديث دين ، وليس أمرا دنيويا، ولا يصح فيه التهاون وعدم الحرص على روايته . فهذا شاهد آخر على ضعف الرجل ،وهو ضده أيضا وليس في صالحه . ومما يضعف تعليل الذهبي أن المعروف عن معمر بن راشد انه كان يحفظ ولا يكتب، إنه كان حافظا متقنا حريصا، و يُحدث من حفظه. من ذلك : قال عبد الرزاق عن معمر: طلبت العلم سنة مات الحسن وعنه قال جلست إلى قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة فما سمعت منه حديثا إلا كأنه ينقش في صدري. وقال ابن حبان: كان فقيها حافظا متقنا ورعا[1550]. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي. قال: قلت لإسماعيل بن علية: كان معمر يحدثكم من حفظه ؟ قال: كان يحدثنا بحفظه[1551] .وقال أحمد: ((وكان معمر يحدث حفظًا فيحذف منها، من الأحاديث، وكان أطلبهم للعلم)). وفي رواية ((وكان معمر يحدث حفظًا فيحرف، وكان أطلبهم للعلم ...)) [1552]. فكيف يكون هذا حاله، ويقع في تلك الأوهام والأغاليط بدعوى أنه حدّث من حفظه لا من كتبه؟؟! ، إن في الأمر شيئا، كما قال المحدثون ، وهذا يُضعف أيضا تعليل الذهبي، بل ينقضه.

ومن أحوال معمر التي تثبت ما قلناه ما رواه المروذي ، فقال : ((ُذكِر معمر، فقال أحمد بن حنبل:ُذكَر يومًا حديثًا للثوري، فأخطأ فيه، فقال له سفيان: نعست يا أبا عروة، فقال له معمر كلامًا أكره أن أحكيه، قلت: كأنه قال له: كذبت، فضحك))[1553]. وقال أيضا: ((قلت لأحمد بن حنبل: كيف معمر في الحديث ؟ قال: ثبت إلا أن في بعض حديثه شيئًا))[1554] . فما هذا الشيء اللغز ؟؟!!، ولماذا لم يُبينه أهل الحديث، كما بينوا بوضوح أحوال

[1549] الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 1 ، ج 7 ص: 12 .
[1550] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 1 ج 9 ص: 173 و ما بعدها .
[1551] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2587 ، ج 3 ص: 340 .
[1552] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2587 ، ج 3 ص: 341 و ما بعدها .
[1553] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2587 ، ج 3 ص: 342 .
[1554] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2587 ، ج 3 ص: 342 .

الرواة الآخرين ؟؟!! . فلماذا هذا التخوف و التكتم ؟!. فهل هذا في صالح السنة والعلم أم ضدهما ؟؟!! .

و((قال المروذي: سألته (يعني أبا عبد الله) سمع معمر من يحيى بن سعيد ؟ قال: لا. وقال الميموني: قال أبو عبد الله: لم يسمع معمر من يحيى شيئًا))[1555] . وبما أنه حدث كثيرا عن يحيى بن سعيد فهذا يعني أنه كان يُدلس عنه ، فروى عنه ولم يسمع منه[1556]. فهل هذا من الصدق والأمانة أم هو من الكذب والتقية ؟؟!! .

وأما عن تشيعه فقد ذكر الذهبي أن أبا أسامة قال: كان معمر يتشيع[1557]. وعدَّه ابن قتيبة من رجال الشيعة[1558] . وأما الشيعة الإمامية فقد جعلوه من رجالهم أيضا وأحد أصحاب إمامهم جعفر الصادق، ورووا عنه أخبارا في كتبهم المذهبية[1559] . وبما أن ذلك هو حال الرجل في الضعف والتدليس، والتشيع الإمامي ،وهنا قد عنعن، فإن الإسناد لا يصح لانقطاعه وتشيع صاحبه .

والثالث: أيوب بن أَبي تميمة السختياني (ت131هـ، عن 63 سنة)، روى عن أبي قلابة ، ثقة ثبت[1560] . لكنه كان يُدلس ، لأن أحمد بن حنبل نفى أن يكون أيوب قد سمع من عطاء بن يسار. قال ابنه عبد لله : سُئل أبي عن ((أيوب السختياني ، سمع من عطاء بن يسار ؟، فقال: لا))[1561]. و من جهة أخرى روى الخليلي القزويني خبرا مفاده (قال معمر وحدثنا ايوب عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه و سلم- : ....))[1562] . ومن ذلك أيضا أن أيوب لم يسمع من أنس بن مالك لكنه روى عنه أحاديث ، وذُكر أيوب من بين المدلسين والمرسِلين[1563]. وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته.

[1555] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2587 ، ج 3 ص: 342 .
[1556] أنظر مثلا: معمر بن راشد: جامع معمر بن راشد، رقم : 343 ، ج 1 ص: 428 .
[1557] الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم: 6365 ، ج 2 : 156 .
[1558] المعارف ، ص: 139 .
[1559] أنظر : عبد الحسين الشبستري: أصحاب الإمام الصادق ، رقم: 3350، ج 4 ص: 276 . و الكليني: الكافي ، رقم: 11 ، ج 4 ص: 261 . و ا]و جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 4544 ، ج 12 ص: 18 .
[1560] المزي : تهذيب الكمال ، رقم: 607 ، ج 3 ص: 461 و ما بعدها .
[1561] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 231 ، ج 1 ص: 125 .
[1562] الخليلي القزويني: الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، ج 1 ص: 320 .
[1563] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 231 ، ج 1 ص: 125 . و ابن أبي شيبة : المصنف، ج 1 ص: 301، 309 . وابن حجر: طبقات المدلسين، ص: 19. و أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ن ص: 148.

والرابع: أبو قلابة عَبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي (ت 104 هـ) : ثقة ، كثير الإرسال، و يُدلس أيضا، حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم كعثمان بن عفان. وروى عن ابن عباس وابن عمر ولم يثبت سماعه منهما[1564] وصفه الذهبي بأنه : ((كان يدلس عمن لحقهم وعمن لم يلحقهم وكان له صحف يحدث منها ويدلس))[1565] . فالرجل حريص و مُصر عى ذلك و مُتعمد له، وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

والطريق الثاني: قال الترمذي : ((حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن بن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: أتاني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد قلت: لبيك ربي وسعديك ،قال: فيم يختصم الملأ الأعلى قلت ربي لا أدري فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد فقلت لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت في الدرجات والكفارات، وفي نقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن يحافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته امه))[1566].

إسناده لا يصح، لأن من رواته: معاذ بن هشام بن أبي عبد الله البصري الدستوائي(ت 200 هـ) : صدوق ليس بحجة، ليس بالقوي، ثقة، له غرائب، ذكره الذهبي في الضعفاء[1567].

وقتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي(ولد سنة 60أو 61 ، توفي سنة 116 أو 117 هـ) : قيل فيه : ثقة، كان كحاطب ليل في جمعه للحديث ، روى عن أقوام لم يسمع منهم [1568]. كان كثير التدليس و الإرسال، و قد حدث عن أقوام كثيرين لم يسمع منهم من الصحابة والتابعين، ولم يثبت سماعه من الصحابة إلا من أنس بن مالك المتوفى سنة 93هـ[1569]. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

[1564] المزي: تهذيب الكمال، رقم: 3283 ، ج 14 ص: 542 و ما بعدها . و الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 4 ص: 469 . وابن حجر: تهذيب الكمال، ج 4 ص: 164 .
[1565] نقلا عن ابن العجمي: التبيين لأسماء المدلسين ،ار الريان ، بيروت، 1994 ، ص: 14 .
[1566] الرمذي : السنن ، ج 5 ص: 234 رقم: 3234 .
[1567]. ابن حجر: تهذيب الكمال، ج 9 ص: 140 . الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 327 .
[1568] المزي: تهذيب الكمال ، رقم : 4848 ، ج 23 ص: 506 و ما بعدها . و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد، ج 3 ص: 151 .
[1569] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 255.

وأبو قلابة ، فصلنا حاله ، وتبين أنه مدلس، وكثير الإرسال عن سبق إصرار وترصد .وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من طريقه.

وخالد بن اللجلاج العامري: صدوق، لم يثبت سماعه من ابن عباس[1570]. ومرتبته هذه تُشعر بالعدالة لا بالضبط. وبما انه كذلك، وهنا قد عنعن،ولم يثبت سماعه من ابن عباس فالإسناد لا يصح من جهته .

والطريق الثالث : قال الترمذي: ((حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هانئ أبو هانئ اليشكري حدثنا جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل -رضى الله تعالى عنه- قال: احتبس عنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذات غداة عن صلاة الصبح ... قال أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد قلت لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثا ،قال فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت ...)) . ثم علق الترمذي على الحديث بقوله: ((هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث: هذا حديث حسن صحيح ،وقال: هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. قال :حدثنا خالد بن اللجلاج حدثني عبد الرحمن بن عائش الحضرمي قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر الحديث .وهذا غير محفوظ هكذا ذكر الوليد في حديثه عن عبد الرحمن بن عائش قال سمعت: رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وروى بشر بن بكر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحدث بهذا الإسناد عن عبد الرحمن بن عائش عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا أصح ،وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبي- صلى الله عليه وسلم-))[1571].

وأقول: إسناده لا يصح ، لأن من رجاله: محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي أبو بكر الحافظ البصري بندار (ت 167- 252هـ

[1570] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 2 ص: 86 . وتقريب التهذيب، ج 1 ص: 261 .
[1571] الرمذي : السنن ، ج 5 ص: 234 رقم: 3235 .

)): وثقه كثير من أهل الحديث، لكن بعضهم استضعفه وكذبه، وفيه لين[1572]. وقال الذهبي: ((ثقة صدوق . كذبه الفلاس ، فما أصغى أحد إلى تكذيبه لتيقنهم أن بندارا صادق أمين. وقال عبد الله بن الدورقى : كنا عند يحيى بن معين فجرى ذكر بندار ، فرأيت يحيى لا يعبأ به ويستضعفه . ورأيت القواريرى لا يرضاه. وكان صاحب حمام . قلت : قد احتج به أصحاب الصحاح كلهم ، وهو حجة بلا ريب))[1573]. ومع أن موقف الذهبي قوي، إلا أن حكمه ليس قطعيا، لأن الذين ضعفوه موقفهم أيضا له اعتبار، وقد تتوفر الشواهد لتقويته. والقول بأنه حجة بلا ريب لا يصح، لأن موقف الذين ضعفوه له مكانة ويُضعف موقف الذين وثقوه ، ولا يجعل الرجل حجة بلا ريب. لأنه لا يُوجد دليل قطعي يُثبت موقفهم ويُبطل موقف الذين ضعفوه. ويزيد في تضعيفه أيضا أن متن الرواية فيه ما يُنكر.وعليه فإن حال الرجل لم يثبت توثيقه ولا تضعيفه، وهذا يتطلب منا التوقف في حاله.

وجهضم بن عبد الله بن أبي الطفيل القيسي مولاهم اليمامي (من الطبقة الثامنة) : صدوق، يُكثر الرواية عن المجاهيل[1574].لكن لماذا كان يفعل ذلك، مع أنه عمل منكر وهذا فيه تعمد في رواية الضعيف عن النبي- عليه الصلاة والسلام- ؟؟ . وهو هنا أيضا قد عنعن مع أنه عاش في زمن التفريق فيه بين العنعنة والسماع معمول به ومطلوب. ولم أعثر له على موقف اختص به فيما يتعلق بالعنعنة. وعليه فإننا سنتعامل مع روايته على أنها معنعنة لا متصله .

ويحيى بن أبي كثير اليمامي ، كثير التدليس والإرسال، روى عن جماعة من الصحابة ولم يدركهم[1575]. وهذا يعني أنه كان يتعمد إسقاط الرواة الذين بينه وبين الذين عنعن عنهم. فعل ذلك إما لأنهم ضعفاء، وإما لأن الخبر هو الذي اختلقه .وبما أنه هنا قد عنعن ، وكثرة تدليسه وإرساله وحرصه عليه يطعنان في عدالته ، فإن الإسناد لا يصح من جهته.

وزيد بن سلام ممطور الحبشي- من الطبقة السادسة- ، ثقة[1576]. و هو هنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث عن جده، وقد عاش في زمن التفريق بينهما كان مطلوبا ومعمولا به. وبما أني لم أعثر له على موقف خاص به

[1572] الذهبي: المغني في الصعفاء، رقم : 5327 ، ص: 272 .
[1573] الذهبي : ميزان الاعتدال، رقم: 7269، ج 5 ص: 409 .
[1574] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 165 .
[1575] أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 101 .
[1576] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ص: 327 .

يتعلق بالعنعنة ، فسنتعامل مع روايته على أنها ليست سماعا . مما يعني أن الإسناد من جهته لم يثبت اتصاله.

وأبو سلام ممطور الحبشي الدمشقي ،حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم[1577]. غالب رواياته مرسلة، لذا لم يُخرّج له البخاري[1578]. وهو هنا قد عنعن مما يعني أن الإسناد من جهته لم يثبت اتصاله.كما أن تحديثه عمن لم يسمع يطعن في عدالته وضبطه معا، لأنه كان يتعمد إسقاط الراوي الذي بينه وبين من عنعن عنه. فعل ذلك لغاية في نفسه. وإلا لماذا يتعمد ذلك ؟؟.

وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي: ليس معروفا ، اضطرب في حاله أهل الحديث[1579]. وقد عنعن . وبما أن أمره كذلك، والمتن فيه ما يُنكر فالإسناد لا يصح من جهته.

والطريق الرابع : قال أبو يعلى : ((حدثنا سريج ، حدثنا أبو حفص الأبار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : جاءني ربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، فقلت : لبيك ربي وسعديك ، قال : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري ، قال : فوضع يده على صدري ، فوجدت بردها بين كتفي ، قال : فوضع يده بين كتفي ، فوجدت بردها في صدري ...)) [1580].

إسناده لا يصح، لأن من رواته: ليث بن أَبي سليم بن زنيم القرشي الكوفي (143 هـ) : ضعيف، مضطرب، مُخلط[1581].

وعبد الرحمن بن سابط (ت 118 هـ) : ثقة، كثير الإرسال، حدث عن جماعة من الصحابة لم يسمع منهم ، كأبي أمامة[1582]. وهنا قد عنعن عنه، فالإسناد لا يصح من جهته .

[1577] أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 94 .

[1578] الذهبي: الكاشف ، ج 2 ص: 147 .

[1579] ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 5 ص: 140 .

[1580] ابن حجر: المطالب العلية بزوائد الماسنيد الثمانية ، ج 3 ص: 483 ، رقم: 3700 .

[1581] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 331 .

[1582] ابن حجر: التقريب، ج 2 ص: 68 . وصفي الدين الخزرجي: خلاصة تهذيب الكمال ، ص: 501 .

والطريق الخامس: ((حدثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي ثنا محمد بن سنان العوقي ثنا جهضم بن عبد الله اليمامي (ح) .وحدثنا محمد بن محمد التمار البصري ثنا محمد بن عبد الله الخزاعي ثنا موسى بن خلف العمي [قالا] ثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي عبد الرحمن السكسكي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ صلاة الغداة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى بنا الغداة قال : صليت الليلة ما قضي لي ووضعت جنبي في المسجد فأتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : لا يارب قالها ثلاث مرات قلت : لا يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي...))[1583].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: يحيى بن أبي كثير ، وزيد بن سلام، وجده ممطور، والإسناد لا يثبت من جهتهم بسبب ما ذكرناه عنهم في الطريق الثالث.

وأبو عبد الرحمن السكسكي، لم أجده، إلا أن يكون عبد الرحمن بن عائش الحضرمي السابق ذكره، و ليس معروفا، واضطرب في حاله أهل الحديث[1584]. وقد عنعن . وبما أن أمره كذلك، والمتن فيه ما يُنكر فالإسناد لا يصح من جهته.

ومالك بن يخامر السكسكي (ت 70 هـ) : ثقة، يرسل، روى عن معاذ بن جبل[1585]. لكن بما أنه حدث عن أقوام لم يسمع منهم ، وهنا قد عنعن، بمعنى أنه لم يصرح بالسماع فإن سماعه هذا الحديث من معاذ لم يثبت اتصاله.

والطريق السادس: ((أخبرنا محمد بن المبارك حدثنى الوليد حدثنى ابن جابر عن خالد بن اللجلاج وسأله مكحول أن يحدثه قال سمعت عبد الرحمن بن عائش يقول سمعت رسول الله يقول: « رأيت ربى فى أحسن صورة قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: أنت أعلم يا رب . قال فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والأرض » . وتلا ((وَكَذَٰلِكَ

1583 الطبراني: المعجم الكبير، ج 20 ص: 109 ، رقم: 216 .

1584 ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 5 ص: 140 .

1585 ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 9 ص: 16 .

نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)(الأنعام: 75))[1586].

إسناده لا يصح، لأن من رواته: الوليد بن مسلم القرشي (119-194هـ)، قيل فيه :كان كثير الخطأ ، وصاحب تسهيل، له منكرات، واختلطت عليه أحاديث[1587]. ثقة، صالح الحديث، مُدلس ، دلس عن الكذابين وغيرهم، أغرب بأحاديث لم يُشركه فيها أحد، كان ((يحدث حديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها عنهم))، وقد نُبه إلى ذلك وعُوتب عليه ، فلم يرجع عن فعله، روى عن مالك أحاديث ليس لها أصل. وقال الدارقطني : ((كان الوليد بن مسلم يرسل يروي عن الأوزاعي أحاديث عند الأوزاعي عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعي مثل نافع وعطاء والزهري فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعي ،عن نافع ،وعن الأوزاعي عن عطاء))[1588] . ورجل هذا حاله لا يصح الأخذ عنه ، سواء صرّح بالسماع ، أو لم يُصرح به، فهذا إنسان ضعيف ضبطا وعدالة، لأنه كان مُصرا على التغليط والتلاعب، والتحريف والكذب.

ويزيد بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي (ت 133 هـ): صدوق، لين، ثقة[1589]. لكن يُحتمل أنه يزيد بن يزيد بن جابر الرقي- من الطبقة السابع- وهو مجهول[1590].

وخالد بن اللجلاج العامري: صدوق[1591]. ومرتبته هذه تُشعر بالعدالة لا بالضبط، فهو ليس بحجة . وعبد الرحمن بن عائش ليس معروفا ، اضطرب في حاله أهل الحديث[1592].

والطريق السابع: ((ثنا أبو موسى ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي كلابة عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة "))[1593].

[1586] الدارمي: سنن الدارمي، ج 2 ص: 117 ، رقم: 2204 .
[1587] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، رقم: 2845 ، ج 4 ص: 88 .
[1588] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10 ص: 106 .
[1589] الذهبي: المغني في الضعفاء ، 1 ص: 370 . ابن حجر: التقريب، ج 3 ص: 110 .
[1590] ابن حجر: التقريب، ج 3 ص: 110 .
[1591] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 2 ص: 86 . وتقريب التهذيب، ج 1 ص: 261 .
[1592] ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 5 ص: 140 .
[1593] عمرو بن أبي عاصم: كتاب السنة ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993 ،ج 1 ص: 247 .

وإسناده لا يصح، لأن رجاله ذكرتهم في الطريق الثاني وتبين عدم صح الإسناد من طريقهم .

والطريق الثامن: ((ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن أبي بكير ، ثنا إبراهيم ابن طهمان ، ثنا سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى تجلى لي في أحسن صورة فسألني فيما يختصم الملأ الأعلى ؟ . قال : قلت : ربي ! لا أعلم به ، قال : فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو وضعها بين ثديي حتى وجدت بردها بين كتفي فما سألني عن شئ إلا علمته "))[1594].

إسناده لا يصح ، لأن من رواته: إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد سكن نيسابور ثم مكة (ت 168هـ): ثقة، صدوق، ليس به بأس، لين، قيل لمحمد بن يحيى الذهلي: إبراهيم بن طهمان يحتج بحديثه ؟ قال: لا . ضعفه محمد بن عبد الله بن عمار بقوله: ضعيف مضطرب الحديث [1595].

وسماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري، أبو المغيرة الكوفي (ت123 هـ) : ثقة، مضطرب الحديث، ضعيف، يغلط، ليس من المثبتين، ليس به بأس، في حديثه شيء ،لين الحديث، يرسل[1596]. فالرجل إن كان ثقة فهو ضعيف من جهة ضبطه، وكان يرسل، وهنا قد عنعن، والمتن فيه ما يُنكر فالإسناد لا يصح من جهته.

والطريق التاسع: قال الطبراني: ((حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا محمد بن سعيد القرشي ثنا أبي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال **:** أبطأ علينا النبي -صلى الله عليه و سلم- لصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ... قلت : لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت من كل شيء وبصرته ...)) [1597].

إسناده لا يصح، لأن من رجاله: عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث (من الطبقة السابعة) ، ضعيف[1598].وعبد الرحمن بن أبي ليلى(ت 83هـ): ولد

[1594] عمرو بن أبي عاصم: كتاب السنة ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993 ،ج 1 ص: 247 .

[1595] ابن حجر:تهذيب ، ج 12 ص: 83. وموسوعة أقوال الدارقطني، ج 5 ص: 74 . الدهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص:7. وميزان الاعتدال، ج 1 ص: 34 .

[1596] المزي: تهديب الكمال ، ج 12 ص: 118 وما بعدها . والدهبي: المغني في الضعفاء، ج 1 ص: 136 . والعلائي: جامع التحصيل، ص: 34 .

[1597] الطبراني: المعجم الكبير، ج 20 ص: 141 ، رقم: 290 .

[1598] ابن حجر: التقريب ، ج **é** ص: 58 .

فـي وسـط خلافـة عمـر، حـدث عـن معـاذ بـن جبـل ولـم يدركـه[1599].فالحـديث منقطع من جهته.

والطريـق الأخيـر- العاشـر- : ((حـدثنا عبـد الله حـدثني أبـي ثنـا أبـو عامر ثنـا زهير بـن محمد عن يزيد بـن يزيد يعنـى بـن جـابر عن خـالد بـن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبـي -صلـى الله عليه و سلم- ان رسول الله - صلى الله عليه و سلم- خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه فقلنا يا رسول الله انا نراك طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه فقال: وما يمنعني وأتاني ربي عز و جل الليلة في أحسن صورة قال يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك قال: فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت :لا أدري أي رب، قال: ذلك مرتين أو ثلاثا قال فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي حتى تجلى لي ما في السماوات وما في الأرض، ثم تلا هذه الآية { وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)-الأنعام : 75- ثم قال: ...))[1600].

إسناده لا يصح، لأن من رواته: زهير بن محمد التميمي أبو المنذر(ت 162 هـ): ضعيف، سيء الحفظ، ثقة، كثير الغلط ، ليس بالقوي[1601].

ويزيد بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي (ت 134 هـ): صدوق، لين، ثقة[1602]. لكن يُحتمل أنه يزيد بن يزيد بن جابر الرقي- من الطبقة السابعة- وهو مجهول[1603]. هذا فضلا على أنه هنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث، مما يجعل الإسناد من جهته غير متصل، ومن حقنا حمله على عدم الاتصال لأن الرجل عاش في زمن التفريق فيه بين العنعنة والاتصال كان مطلوبا ومعمولا به.

وخالد بن اللجلاج العامري: صدوق[1604]. ومرتبته هذه تُشعر بالعدالة لا بالضبط، وليس بحجة . وبما أن هذا حاله وهنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث، ولم يُعرف له موقف خاص به من العنعنة ، فإن الإسناد من جهته لم يثبت اتصاله ؟.

[1599] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 6 ص: 128 .
[1600] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 4 ص:66 ، رقم 16672 .
[1601] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 2 ص: 229 .
[1602] الذهبي: المغني في الضعفاء ، 1 ص: 370 . ابن حجر: التقريب، ج 3 ص: 110 .
[1603] ابن حجر: التقريب، ج 3 ص: 110 .
[1604] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 2 ص: 86 . وتقريب التهذيب، ج 1 ص: 261 .

وعبد الرحمن بن عائش : ليس معروفا ، اُضطرب في حاله أهل الحديث[1605]. وبما أن هذا حاله ،وهنا قد عنعن حديثه عن بعض الصحابة، فالإسناد لا يثبت من جهته.

وبذلك يتبين أن كل تلك الطرق هي روايات آحاد ،و لم يصح منها ولا إسناد واحد. وهذا يتفق مع ما قرره بعض المحققين . منهم ابن الجوزي، قال : ((أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة . قال الدارقطني: كل اسانيده مضطربة ليس فيها صحيح... قال ابو بكر البيهقي: قد رُوي من اوجه كلها ضعاف))[1606].

وأما متنه فلا يصح أيضا لأنه تضمن أباطيل وشواهد على ضعفه، منها قوله: " فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري". وهذا منكر جدا لأن فيه تشبيه وتجسيم لله تعالى ، يُبطله قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11))، و((فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 74))، و((وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)(الإخلاص: 4)) .

والشاهد الثاني قوله: ((فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض)).وهذا لايصح، لأن النبي-عليه الصلاة والسلام – لم يكن يعلم الغيب ، ولا كان يعلم ما في السموات والأرض. قال سبحانه: ((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: 188))، و((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)(الأنعام: 50)).

والشاهد الثالث قوله: ((اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين)) . إنه يتضمن حبا غير شرعي،لأن الحب الشرعي هو الحب في الله والبغض في الله، وليس الحب في المساكين والبغض فيهم، ولا الحب في الأغنياء والبغض فيهم. ولهذا أمرنا الشرع أن نحب أخواننا المسلمين بغض عن مستواهم المادي. فكم من غني مؤمن تقي مجاهد ، وكم من فقير ضال حقود حسود. ولهذا كان النبي-عليه الصلاة والسلام- يحب

[1605] ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 5 ص: 140 .

[1606] ابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ج 1 ص: 20 .

كل أصحابه بغض النظر عن مستواهم المادي. بل وكان بعض أغنيائهم من المقربين منه جدا، كعثمان بن عفان- رضي الله عنه- الذي تزوج اثنتين من بناته.

والشاهد الرابع ما جاء في الطريق العاشر ((خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه؛ فقلنا: يا رسول الله انا نراك طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه فقال: ...)) . وهذا مُستبعد جدا، بل ومُنكر. لأنه يعني أن النبي-عليه الصلاة والسلام- لم يكن قبل هذه الحادثة طيب النفس، ولا مسفر الوجه، ولا مشرق الوجه . لكن بسببها ظهر للصحابة غداة طيب النفس ، ومسفر ومشرق الوجه. وهذا باطل ولا يصح . لأن رسول الله- عليه الصلاة والسلام- قبل نبوته كان طيب النفس مشرق الوجه، وهذا أمر مذكور في سيرته قبل نبوته.فلما نزل عليه الوحي ازداد طيبة وطيبا ، وازدادا نورا وإشراقا. قال سبحانه: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: 159)). و((وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى)(الضحى : 7))، و((وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: 113))، و((وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم: 4)) .

والشاهد الخامس مفاده أن الناظر في معظم تلك الطرق يتبين له منها أن لها متونا مركبة وغير سلسة مأخوذة من نصوص أخرى، تشهد على تلاعب الرواة بها. فمن ذلك الطريق السادس مختصر لم يتضمن تفاصيل الطرق الأخرى. وتضمن قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)(الأنعام: 75)). وفي الطريق السابع لم يرد فيه إلا ((قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : ((رأيت ربي عزوجل في أحسن صورة "))[1607]. فلم ترد فيه تفاصيل أخرى لماذا ؟؟.

والشاهد السادس: إن تلك الروايات تضمنت هذا المقطع ((فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي .. فوجدت بردها بين كتفي)) . وهو نفسه ورد في حديث آخر لا علاقة له بموضوع رؤية الله في المنام. ومفاده:عن أبي السليس قال: ((كان رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه و سلم -يحدث الناس حتى يكثر عليه فيصعد على ظهر بيت فيحدث

[1607] عمرو بن أبي عاصم: كتاب السنة ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993 ،ج 1 ص: 247 .

الناس قال :قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أي آية في القرآن أعظم ؟، قال: فقال رجل { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } قال: فوضع يده بين كتفي. قال: فوجدت بردها بين ثديي ،أو قال: فوضع يده بين ثديي فوجدت بردها بين كتفي. قال: يهنك يا أبا المنذر العلم العلم))[1608].

والشاهد السابع: إن قول الطريق الثاني: ((وإسباغ الوضوء في المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ...)) . هو نفسه بمعناه ولفظه تقريبا ورد في حديث آخر لا علاقة له بحديث الرؤيا ، مفاده : ((عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد في الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء في المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة ما منكم من رجل يخرج من بيته فيصلي مع الإمام ثم يجلس ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول : اللهم اغفر له اللهم ارحمه))[1609].

وحتى إذا افترضنا جدلا أن الرسول-عليه الصلاة والسلام- رأى ربه بقلبه ، فهي رؤية تندرج ضمن النبوة والرؤية القلبية ،كما في قوله تعالى: ((مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)(النجم: 11)). وأما غيره من البشر فلا يصح ذلك في حقهم ، ولا يحق لغيره أن يدعيه .وعليه فما يراه الناس في مناماتهم على أنهم رأوا الله تعالى فهي توهمات وتخيلات ، وأضغاث أحلام ، أو من تلبيسات الشياطين، وليست رؤية حقيقية لله سبحانه وتعالى .

وثانيا إنه لا يصح أبدا الاحتجاج بالمنامات والهلوسات ، لأنها ليست شرعا ، ولا من مصادر التشريع ،ولا حجة عقلية ولا علمية ، ولم يتعبدنا الله بها، وإنما تعبدنا بكتابه وسنة نبيه الصحيحة . قال سبحانه : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153))، و ((وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)(المائدة: 92))، و((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))،و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: 59)). فالدين

[1608] أحمد بن حنبل : المسند ، ج 5 ص: 58 ، رقم: 20607 .

[1609] ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة ، حققه محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970 ، ج 1 ص: 185 .

والأوامر الإلهية لا تؤخذ إلا من القرآن والسنة الصحيحة الموافقة لـه. وكل قول يدعي صاحبه أنه تلقى أمرا عن الله خـارج الكتـاب والسنة، فهو نقض لختم النبوة، وباطل قطعا، وصاحبه إما جاهل، أو مُخطئ، أو صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه.

علما بأن المنامات لا يصح الاحتجاج بها ، لأنها نسبية ظنية ذاتية يستطيع أي إنسان أن يزعم أنه رأى كذا وكذا في المنام ، ويستطيع آخر أن ينكر عليه ويُكذبه ، لأنها لا تقوم على معطيات موضوعية يُمكن إظهارها والاحتجاج بها والاحتكام إليها. وهي أيضا خليط من رغبات وهواجس النفس وأضغاث أحلامها ،ووساوس الشياطين وتلبيساتهم ، ولمات الملائكة وإيحاءاتهم. والصحيح منها هو منامات عادية كالتي يراها غيرهم من الناس، ولا يصح إدخالها في الدين، ولا جعلها من الأوامر الشرعية، ولا الاحتجاج بها.

وأما إذا قيل : نعم ذلك صحيح ، لكن ورد في الحديث قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي))[1610].

وأقول: يجب أن نعلم يقينا أنه لا وحي ولا تشريع ،ولا أوامر إلهية، ولا حديث نبوي بعد اكتمال دين الإسلام ووفاة خاتم الأنبياء والمرسلين . وعليه فإن أي صوفي أو غيره من البشر يزعم أنه تلقى أوامر، و تشريعات وتوجيهات نبوية بواسطة المنام بدعوى أنه رأى النبي-عليه الصلاة والسلام- في المنام ، فزعمه هذا باطل ولا يصح الأخذ به، ومردود على صاحبه .

وثالثا : فيما يخص الرواية الأولى المتعلقة بقول رابعة العدوية، فهو قول يشهد عليها بأنها اتخذت موقفا من الجنة غير شرعي انطلاقا من رؤية منامية. وهذا شاهد دامغ ضدها وعلى انحرافها عن الشرع وتقدمها عليه بأحوالها على طريقة الصوفية المعروفة عنهم. إنها انحرفت عنه لأن الله تعالى هو الذي خلق لنا الجنة وحببها إلينا ودعانا إلى طلبها وزينها إلينا. وعليه فإن طلب الجنة هو طاعة له ،وعدم طلبها هو مخالفة له. فطلب الجنة ودخولها يوصلنا إلى رب الجنة ، ومن لم يدخلها لن يرى ربه.فتفسيرها لعلتها غير صحيح لأنه ، مخالف للشرع ، ويندرج ضمن ازدراء الصوفية

[1610] البخاري: الصحيح، ج 8 ، ص: 44 ، رقم : 6197 .

للمعاد الأخروي ، وقولهم بالمعاد الدنيوي كما سبق أن بيناه. ولا يُمكن أن يكون ذلك لطفا من الله ولا غيرة منه عليها وهي مخالفة للشرع ومزدرية به.

وأما تعليق الكلاباذي على ما رواه الجنيد عن السري السقطي وكأس الماء وما حدث له في المنام، بأن ذلك كان شاهدا على لطف الله تعالى بالصوفية وغيرته عليهم[1611]. فهو تفسير غير صحيح، لأن الشرع أمرنا بالشرب والأكل من غير إسراف لقوله تعالى: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)). والعطشان- إن لم يكن صائما- عليه أن يشرب لأن الماء للجسم غذاء وعلاج ، ومن حق بدنه عليه أن يُوفر له الماء الكافي له . وبالشرب يتقوى على أداء الواجبات الشرعية على اختلافها، وبه يتذوق لذة الماء ويعرف قيمته وأهميته ،ويشهد عظمة وحكمة خالقه. وبه يقتدي بالنبي –عليه الصلاة والسلام- الذي كان يشرب الماء واللبن ، ويأكل مختلف أطايب الطعام من دون إسراف كما بيناه في الفصل الثالث.

ولذلك فإن تلك الرواية إن صحت فهي ليست لطفا من الله بالسري السقطي ولا غيرة من الله عليه ولا على الصوفية كما زعم الكلاباذي ، وإنما هي من رغبات نفسه وهواجسها، أومن تلبيسات الشيطان عليه.

وأخيرا - رابعا- إن ما قاله الغزالي بأن شيوخ الصوفية يُشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويقتبسون منهم فوائد، هو قول باطل، لأنه يتضمن نقضا للنبوة، وتعالما على الشرع . والدليل القطعي على عدم صحته هو أنه بينا بالأدلة الدامغة أن التصوف مخالف للشرع وهادم له، وينتهي بأهله إلى الكفر بالله ورسوله ودينه. فلو كان ما قاله الغزالي صحيحا موافقا للشرع ما كانت نتائجه على الصوفية كما بيناه . مما يعني أن الذي يتنزل عليهم ويراه هؤلاء الصوفية ليست الملائكة ولا أرواح الأنبياء، وإنما هي هلوسات وخيالات وتلبيسات شيطانية . قال تعالى: ((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)(الشعراء: 221- 223)).

وأما زعم ابراهيم المتبولي المصري بأنه كان يرى النبي- عليه الصلاة والسلام- في اليقظة ويجتمع به مع غيره من الأنبياء، فهو زعم

[1611] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 173 .

باطل، لأن النبي – عليه الصلاة والسلام- قد توفي ، والمتوفى لن يعود إلى الحياة الدنيا ، سواء كان نبيا أو إنسانيا عاديا، بدليل قوله نعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الزمر: 42)). فالذي يموت من بني آدم لن يعود إلى الدنيا لأن الله تعالى يمسك نفوس المتوفين إلى يوم القيامة وفيه يكون البعث من جديد . والواقع الذي نعيشه يُصدق ما قاله القرآن الكريم، فنحن لم نر إنسانا مات وعاد إلى الحياة. فهذه سنة إلهية لن يخرقها أحد ، ومن يدعي خلافها فهو إما جاهل، أو مُلبس عليه بالهلوسات والشياطين، وإما صاحب هوى اختلق ذلك لغاية في نفسه.

وأما الصفة الخامسة- من صفات شيوخ الصوفية- فهي أن أحوالهم ورغباتهم هي عندهم مصدر للتلقي والتشريع . فمن ذلك ما رواه ابو نعيم الأصبهاني عن معروف الكرخي، فقال: ((حدثنا أحمد بن اسحاق ثنا محمد بن يحيى بن مندة ثنا أحمد بن مهدي ثنا أحمد الدورقي قال: قعد معروف الكرخي على شط الدجلة فتيمم فقيل له الماء قريب منك فقال لعلي لا أعيش حتى أبلغه))[1612].

والقول الثاني: قيل لبشر الحافي: ((إنّ الناس يتكلمون فيك، فقال: وما عسى يقولون؟ قيل: يقولون إنك تارك لسنّة يعنون النكاح، فقال: قل لهم: إني مشغول بالفرض عن السنّة))[1613].

والقول الثالث : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((أخبرنا جعفر بن محمد في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال حدثني الجنيد قال كان السرى يقول: ... وكان إذا جن عليه الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء))[1614].

والقول الرابع : قال عبد الكريم القشيري: ((يحكى عن الحصري- علي ابن إبراهيم البغدادي- أنه كان يقول: جلسة خير من ألف حجة.

[1612] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 8 ص: 364 .
[1613] ابو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .
[1614] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 126 .

وإنما أراد جلسة تجمع الهمَّ على نعت الشهود. ولعمري، إنها أتمُّ من ألف حجة، على وصف الغيبة عنه))[1615].

والقول الخامس : قال القشيري عن داود بن نصير الطائي : ((ودخل بعضهم عليه، فرأى جرَّة ماء انبسطت عليها الشمس، فقال له: ألا تحوِّلها إلى الظل؟ فقال: حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي أن يراني الله أمشي لما فيه حظٌّ نفسي))[1616].

والقول السادس : قال أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا الوليد بن عتبة، قال: سمعت رجلاً قال لداود الطائي: يا أبا سليمان ألا تسرح لحيتك؟ قال: إني عنها مشغول)) . و((حدثنا محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى بن عيسى، قال: سمعت إبراهيم بن محمد التيمي، يقول: سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول: قيل لداود الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: إن إذاً لفارغ)).و((حدثنا ابني، حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا حفص بن عمر الجعفي، قال: قيل لداود الطائي: لم لا تسرح لحيتك. قال: الدنيا دار مأتم))[1617].

والقول السابع: رُوي أن داود الطائي شرب ماء ساخنا في يوم صائف ، فقال له أحد أصحابه: ((يا أبا سليمان لو أمرت من يبرد لك هذا الماء، فقال لي: أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله))[1618]. وحُكي أنه قال لأحد أصحابه : إن كنت تشرب الماء المبرد، وتأكل اللذيذ المطيب، وتمضي في الظل الظليل، فمتى تحب الموت والقدوم على الله؟ فبكى صاحبه[1619].

والقول الثامن: قال القشيري: ((سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجتُ إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دَوْر القرآن والختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المسجد، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس

[1615] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 452.

[1616] الرسالة القشيرية ، ص: 12 .

[1617] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 339 .

[1618] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 345 .

[1619] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 346 .

القول- الغناء-، فأدخلني من ذلك شيءٌ؛ فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول، فقال لي فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول: فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن، ما يقول الناسُ فيّ؟ فقلت: يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول!! فقال: من قال لأستاذهِ لِمَ؟ لا يفلح أبداً))[1620].

والقول التاسع: قال عبد الرحمن بن الجوزي: ((وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه سنن الصوفية[1621] فقال في أواخر الكتاب باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى الوجه الحسن. وذكر فيه ما روى عن النبي -عليه السلام- أنه قال: " اطلبوا الخير عند حسان الوجوه "، وانه قال:" ثلاثة تجلو البصر النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن"))[1622].

والقول العاشر: ذكر أبو حامد الغزالي أن أمور الصفات الإلهية لا تعرف بالشرع وإنما تعرف بالوجدان ،و حد الاقتصاد فيها((دقيق وغامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع-أي الشرع- ؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ،و ما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد-أي الشرع- فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف . والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله))[1623] .

والقول الأخير- الحادي عشر-: قال الصوفي ابن عجيبة : ((قال شيخ شيوخنا - سيدي عبد الرحمن العارف - بعد نقل كلام القشيري في هذا المعنى : وما أشار إليه ظاهر في أن أهل القلوب لا يتعاطون كل طاعة. وإنما يتعاطون من الطاعات ما يجمعهم ولا يفرقهم))[1624].

وردا عليهم أقول:

أولا تبين من أقول شيوخ الصوفية أنهم اتخذوا احوالهم ورغباتهم مصدرا للتلقي والتشريع، وبها شرّعوا لأنفسهم وتصوفهم وأتباعهم وقدموها

[1620] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 150.
[1621] نعم للسلمي كتاب عنوانه سنن الصوفية . إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، وكالة المعارف، إسطنبول، 1951 ، ج4 ص: 113.
[1622] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 236 .
[1623] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 180 .
[1624] ابن عجيبة: البحر المديد، ج 1 ص: 562 .

على الوحي الصحيح والعقل الصريح . وهذا انحراف كبير وخطير عن المنهج العلمي الصحيح في تلقي الشرع والعلم ، ومن يأخذ به فهو من أهل الأهواء لا من أهل العلم . فلا يصح أبدا أن تكون الأحوال والرغبات حَكَما على الوحي والعقل والعلم، وإنما العكس هو الصحيح . لكن هؤلاء الصوفية عكسوا الأمر لأنه في صالحهم ، وهم يعلمون جيدا أنهم لو عرضوا تصوفهم عرضا صحيحا وموضوعيا على ميزان الشرع والعقل والعلم سينهار تماما ؛ ولهذا قدموا أحوالهم وتصوفهم على الوحي والعقل والعلم. وجعلوا هذه المصادر- الوحي والعقل والعلم- تابعة للتصوف وخادمة له ، بالتأويلات الفاسدة والتلبيسات والهلوسات .

وثانيا إن تلك النماذج التي أوردناها هي شواهد دامغة على تقديم الصوفية رغباتهم وأحوالهم على الشرع، وهي سواء صحت عن شيوخهم أم لم تصح فهي تتفق مع التصوف بأصوله وفروعه وغاياته ،وتنسجم معه تمام الانسجام بحكم أن التصوف مخالف للشرع بكل مقوماته ، مما يعني بالضرورة أنهم أقاموه أساسا على أحوالهم ورغباتهم، وظنونهم ووساوسهم . فتلك النماذج – سواء صحت أم لا- قد ساهمت في التأسيس للتصوف وتربية أتباعه عليها .

فمن ذلك مثلا روايتهم عن معروف الكرخي بأنه قعد ((على شط الدجلة فتيمم فقيل له الماء قريب منك فقال لعلي لا أعيش حتى أبلغه))[1625]. تصرّفه هذا هو نموذج صوفي على قلة العقل والعلم ،وعلى التعمد في مخالفة الشرع . لأن التوضؤ بالماء للصلاة هو الأصل ، والتيمم استثناء يأتي عند غياب الماء أو العجز من استعماله ، فإذا حضر، ورُفع العجز سقط التيمم، والرجل هنا ليس عاجزا عن استخدام الماء. قال تعالى ((وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً-(النساء: 43)).

وجواب معروف الكرخي ضعيف جدا وغير مقبول وفيه تناقض، وفوّت على نفسه أجر الوضوء، بل وخالف الأمر به. فلماذا جاء إلى الشاطئ وقعد عنده ولم يقل : لعلي لا أعيش حتى أصل إليه ؟؟. فكان عليه أن يقول ذلك حتى لا يخرج من بيته أصلا . ويقول ذلك أيضا في كل أحواله

[1625] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 8 ص: 364 .

حتى لا يتحرك من مكانه في بيته ، ولا يقوم بأي فعل خوفا من أن لا يعيش للقيام بأي عمل!! . و لو مد يده للوضوء فلن يخسر شيئا ويكسب الأجر بتطبيقه للشرع؛ فإن عاش حتى توضأ فقد تحقق الهدف، وإن مات أثناء طلبه للماء فقد نال الأجر أيضا لأن الأعمال بالنيات. ولماذا مد يده للتيمم بالتراب أو الحجر، ولم يمد يده ليتوضأ بالماء ؟؟ !! . فالرجل لم يأخذ بما يأمر به الشرع ، ولا بما ترجحه المصلحة ، ولا بما يُمليه العقل الصريح، وإنما أخذ بأحواله ورغباته الصوفية حسب ما زعمته تلك الروابية.

وأما روايتهم عن بشر الحافي بأنه ترك الزواج بدعوى أنه مشغول بالفرض عن السنة[1626]، فهو في الحقيقة ليس مشغولا بالفرض ولا بالسنة وإنما مشغول بمخالفة الشرع وممارسة العبادات الصوفية التي من أوامرها الحث على العزوبية وترك الزواج كما بيناه في الفصل الثالث.

ونفس الأمر ينطبق على ما رووه عن السري السقطي في قيام الليل، فكان إذا ((جن عليه الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء)) [1627]. فهذا شاهد دامغ على إصرار الرجل على مخالفة الطريقة الشرعية في قيام الليل ،وتقديم أحواله ورغباته الصوفية عليها.قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6))، و((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الْمزّمّل: 20)).

ومنها أيضا ما رواه القشيري عن الحصري وتفسيره لكلامه، بقوله: يُحكى عن الحصري أنه كان يقول: ((جلسة خير من ألف حجة. و إنما أراد جلسة تجمع الهمَّ على نعت الشهود. ولعمري، إنها أتمُّ من ألف حجة، على وصف الغيبة عنه))[1628].

[1626] ابو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 209 .

[1627] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 126 .

[1628] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 452.

قولهما هذا صريح في مخالفة الشرع والتعالي عليه. لأن الحج ركن من أركان الإسلام، من توفرت فيه الشروط وجب عليه. وهو من العبادات القلبية والبدنية العظيمة الأجر والأثر في البناء الروحي للمسلم . ومن يحج كما أمر الشرع بإخلاص والتزام فسيجد فيه جلسات وأحوال إيمانية ربانية صحيحة وكثيرة جدا أفضل من الجلسة الصوفية التي أشار إليها الصوفيان الحصري القشيري، والتي لا يصح لهما شرعا أن يُقارنانها بالحج أبدا. والغريب في الأمر أن القشيري برر موقف صاحبه وصوّبه ولم ينتقده ولا بيّن غلطه. وهذا هو ديدنه في معظم ما كتبه عن الصوفية ومقالاتهم ، إما أن يسكت عن أخطاء شيوخ الصوفية، وإما أن يبررها ويدافع عنها، وإما أن يُلغزها من جديد إن كانت تكشف ما يُخفيه الصوفية، فيشرح إشاراتهم المُلغزة بإشارات أخرى أكثر تغليزا وتعمية !!.

لكن تعجبنا من الحصري والقشيري يزول إذا تذكرنا أنهما يتكلمان عن جلسة العبادة الصوفية لا عن جلسات وشعائر العبادة الشرعية. لكنهما لم يُفصحا عن ذلك صراحة تقية وتضليلا للمسلمين وتسترا بالإسلام من جهة ، وعَبّرا عن حقيقة موقفهما بالإشارة لا بالعبارة من جهة أخرى. والجلسة التي فضلها الرجلان على ألف حجة هي جلسة الفناء في الله ، وفيها يصبح الصوفي ربا وإلها حسب اعتقاد الصوفية بوحدة الوجد . ولا شك أن هذه الجلسة- حسب ضلالة وحدة الوجود- خير من ملايير الحجات لأن الصوفي في هذه الجلسة يكون هو الله، فكيف يتركها ويذهب إلى بيت الله الحرام ، وبمعنى آخر: كيف يترك الله ويذهب إلى بيته ؟؟ !! . وبما انه سبق أن بينا بطلان قول الصوفية بوحدة الوجود، وفساد تصوفهم كله، فقول الرجلين باطل من دون شك .

وثالثا إن ما رواه القشيري من أحوال داود بن نصير الطائي هي شواهد دامغة على تقديم الرجل رغباته وأحواله على الشرع انتصارا للتصوف. فقال في الرواية الأولى: ((ودخل بعضهم عليه، فرأى جرَّة ماء انبسطت عليها الشمس، فقال له: ألا تحوِّلها إلى الظل؟ فقال: حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي أن يراني الله أَمشي لما فيه حظٌّ نفسي))[1629]. وقال لأحد أصحابه : ((أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله))[1630]. وفي رواية أنه قال: ((إن كنتَ تشرب الماء

[1629] الرسالة القشيرية ، ص: 12 .

[1630] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 345 .

المبرد، وتأكل اللذيذ المطيب، وتمضي في الظل الظليل، فمتى تحب الموت والقدوم على الله؟ فبكى صاحبه))[1631].

قوله هذا فيه تناقض وقلة عقل، وعدم التزام بالشرع . فهو عندما حمل جرة الماء وجاء بها إلى بيته ، نسي أو تناسى أنه يسعى لحظ نفسه، فكان في مقدوره أن يشرب من النهر، أو من العيون، أو من عند جيرانه، أو من المساجد من دون أن يحمل الماء في جرة إلى بيته. فلماذا هنا نسي حظ نفسه ؟؟.

ولماذا لم يستح من الله عندما خالف الشرع الذي أمرنا بشرب وأكل الطيبات، قال سبحانه: ((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 3)) ، و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(البقرة: 168)) ، ولاشك أن شرب الماء البارد في الصيف من الطيبات وشربه هنا ليس من حظوظ النفس، وإنما هو تطبيق للشرع، وإعطاء للجسم حقه في الماء. فبدن الإنسان كالدابة ، فإن لم تأخذ ما يكفيها من العلف والماء مرضت وتوقفت عن السير.

ولو شرب الرجل الماء باردا لتذوق أيضا مدى نعمة الله عليه وعلى بني آدم . والماء البارد أحسن وأنفع للجسم من الساخن في فصل الصيف ، وللجسم حق على صاحبه ،ولا يحق له أن يهمله. وحب الموت ولقاء الله تعالى مرتبط بقوة إيمان المؤمن وإخلاصه وليس مرتبطا بشرب الماء المبرد، وأكل اللذيذ المطيب، والمشي في الظل الظليل. فكم من إنسان لا يفعل ذلك ولا يحب الموت ولا لقاء الله تعالى. وكم من مؤمن غني كان يتمتع بمختلف لذائذ الدنيا ولما نادى الجهاد استجاب و مات في سبيل الله. وهذا الصنف من الأغنياء المجاهدين كان في زمن الصحابة وما بعدهم وما يزال إلى زماننا هذا. ولو كان التمتع بلذائذ الدنيا الحلال مكروها وصارفا عن حب الله ما أباحها الشرع لنا وما حثنا على تناولها، وما مَنّ الله تعالى بها علينا . لكنه نبهنا وحذرنا وأمرنا بأن ذلك يجب أن لا يصرفنا عن عبادة الله تعالى والموت في سبيله. وهذا واضح من قوله سبحانه: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)) كما أن تناول الطيبات الدنيوية يُذكر أيضا بالطيبات الأخروية ، فإذا

[1631] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 346 .

كانت الدنيوية لذيذة فلا شك أن الأخروية أعظم بكثير، فيكون هذا دافعا للمؤمنين الصادقين بأن يحبوا الموت في سبيل الله ولقائه ليجدوا ما أعده الله لهم من نعم وجنات . والذي يحب الله تعالى يجب عليه أن يتبع شرعه وسنة نبيه ، وهو القائل : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)).

وأما قول الحصري عندما قيل له: ((لِمَ لا تسرح لحيتك؟ قال: إن إذاً لفارغ)). وفي رواية: ((لِمَ لا تسرح لحيتك. قال: الدنيا دار مأتم))[1632]. هذا الرجل يتكلم برغباته وأحواله وتصوفه ولا يتكلم بالشرع. فأعماله التي توافق مذهبه لا تشغله عن العبادة ، والأعمال المأمور بها شرعا إذا كانت لا تتفق مع تصوفه فهو مشغول عنها. مع أنه أمضى أوقاتا كثيرة في تعذيب نفسه وجسده بدعوى التعبد[1633]. وهذا انحراف كبيرعن الشرع ، ويتناقض مع دعوى التدين وحب الله تعالى. لأن تسريح اللحية والاهتمام بالهندام من الشرع . قال تعالى: ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)(المدّثر : 4)) ، و((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى: 11))، و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)) ، و((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)).. ومن يفعل ذلك لا يكون أغبر، ولا أشعث ولا شاحب . وما كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- كذلك ، فقد كان نظيفا يتعطر و يهتم بهندامه[1634].

ولذلك فالاهتمام بالهندام كتسريح الحية هو من العبادة ، وممارسها مأجور عليها. لكن الحصري لما كان صوفيا يقدم أحواله على الشرع خالف ذلك وجعل الشرع وراء ظهره بلا حرج ،مع أن تسريح اللحية أمر سهل جدا . فهو بذلك أقام الدليل على صحة ما ذكرناه من أن الصوفية يقدمون أحوالهم ورغباتهم على الشرع ويُشرعون بها لأنفسهم وأصحابهم.

وليس صحيحا أن الدنيا دار مأتم ، فهي مزرعة الآخرة، من زرعها بالإيمان والعمل الصالح سَعِد في الدنيا والآخرة، ومن زرعها بالكفر

1632 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 339 .

1633 أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 339 ، 340 .

1634 أحمد بن حنبل: المسند، والحديث صححه شعيب الأرناؤوط ، ج 6 ص: 132 ، رقم: 25047 .و البخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 147 ، رقم: 5813 .

والضلال والأعمال السيئة خسر الدنيا والآخرة. قال سبحانه: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)(طه: 124)).

وأما ما فعله أبو سهل الصعلوكي(ق: 4 هـ) ، عندما رفع مجلس القرآن وعوّضه بمجلس الغناء- القول-، وهدد وخوّف من يعترض عليه بعدم الفلاح؛ فهو شاهد دامغ على أن الصعلوكي وأمثاله من الصوفية يُقدمون أحوالهم ورغباتهم وعباداتهم الصوفية على العبادات الشرعية،ويُؤسسون بها للتصوف ويتسلطون بنفوذهم على مريديهم ويُخوّفونهم من مغبة اعتراضهم على شيوخهم حتى وإن خالفوا الشرع صراحة. فالذي لا شك فيه أن مجلس القرآن أولى من مجلس الغناء، بل ولا مجال للمقارنة بينهما. لكن هذا الصوفي رفع مجلس القرآن وعوّضه بمجلس الغناء، فأقام بذلك الدليل الدامغ على انحرافه عن الشرع والعقل انتصارا للعبادة الصوفية. كما أن تهديده وتخويفه لمن يعترض عليه بعدم الفلاح هو دليل قوي على تسلطه وخوفه من أن يطبق عليهم المسلمون الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**!!** .

وبالنسبة لما ذكره ابن الجوزي عن أبي عبد الرحمن السلمي في تأليفه لكتاب سنن الصوفية وما ذكره فيه من أحاديث وتأويلات ؛ فهو قد تعمد مخالفة الشرع وحرّفه ليتفق مع ما يريده انتصارا للتصوف وأهله. وعمله هذا لا يفعله مسلم صادق الإيمان بدين الإسلام. ومن يفعله فهو إما أنه جاهل بالشرع ، وإما أنه مريض ولا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه كما هو حال الصوفية وأمثالهم.

وأما الحديثان اللذان ذكر ابن الجوزي أن أبا عبد الرحمن السلمي احتج بهما لتأييد موقفه ، فهما حديثان موضوعان[1635]، استخدمهما انتصارا للتصوف، ومن دون أن يتأكد من صحتهما على طريقة الصوفية في عدم الحرص على طلب الصحيح من الأخبار، ولا ممارسة النقد لتمييز صحيح الروايات من سقيمها **!!**.

[1635] الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص: 67 ، رقم: 20 .و ابن قيم الجوزية: المنار المنيف ، ص : 62 ، رقم: 97 .

وأخيرا – رابعا- إن قول الغزالي بأن موضوع الصفات الإلهية يُعرف ويُؤخذ بشكل صحيح بالكشف القلبي الصوفي لا بالسمع- الشرع- ؛ فهو قول باطل جملة وتفصيلا، وعورة من عورات الرجل وأصحابه ، كشف به عن حقيقة موقف الصوفية من الشرع بتقدمهم عليه ، وتحكمهم فيه بأحوالهم ورغباتهم وتصوفهم، وبازدرائهم وتعالمهم عليه.

علما بأن أمور الصفات الإلهية من جهة إثباتها بلا تجسيم ولا تشبيه ولا تكييف ، مع الإثبات والتنزيه لها كما هو واضح في الشرع، ليست غامضة ولا مُبهمة كما زعم الغزالي. وإنما هي كذلك عند الذين ينفون أو يُؤوّلون الصفات ، فيُخالفون الشرع والعقل ، ويقعون في التناقضات التي لا مخرج لهم منها، ولن يُخرجهم منها التأويل ولا النفي ، وإنما يُخرجهم منها ما قرره الشرع في إثباته لصفات الله تعالى بلا تشبيه ولا تجسيم، مع الإثبات والتنزيه[1636].

وذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية أن مضمون كلام الغزالي هو أنه لا يستفاد من الشرع شيء من الأمور العملية ، و إنما يدرك كل إنسان بما يحصل له من المشاهدة والنور، وهذا-عند ابن تيمية- أصل للإلحاد ، لذا يجب على كل ذي مكاشفة باطنية أن يزنها بالكتاب والسنة ، وإلا دخل في الضلالات ، لأن ما يقع لأهل القلوب فيه صواب و خطأ ، يجب عرضه على نور الوحي[1637].

ومن جهة أخرى فإن قول الغزالي هو اعتراف هام وخطير جدا ضد الغزالي والصوفية بأنهم يقدمون أحوالهم ومواجيدهم ورغباتهم على الشرع فيما يتعلق بالصفات الإلهية، بل وفي كل مجالات التصوف كما سبق أن بيناه. فهو اعتراف يندرج ضمن : ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا)(يوسف: 26)). فحسب زعمه أن الوحي لا يكفي ولا يوصل إلى قرار في مسألة الصفات، وجعل المرجع فيها إلى ما يدعيه الصوفية من كشف ومشاهدة قلبية .وهذا قدح في الشرع خطير ،و تقدم بين يدي الله و رسوله ، لأن محصلة دعواه أن الوحي ناقص ولا يكفي وحده ، وأرباب المشاهدة ليسوا في حاجة إليه ؛ ويتقدمون عليه بأحوالهم و وجدانياتهم . وبذلك ينفتح الطريق أمام كل إنسان أن يقول ما يشاء اعتمادا على هواه و وجدانه ، جاعلا الوحي وراء ظهره.

1636 ليس هنا مجال التوسع في ذلك والرد على الغزالي وأمثاله ، وقد تناولت هذا الموضوع في بعض مصنفاتي، منها: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث . وكتاب: جناية المعتزلة على العقل والشرع . وهما منشوران ورقيا وإلكترونيا .

1637 ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 3 ص : 81 .

وفي كلام الغزالي تناقض واضح، مفاده أنه يريد معرفة صفات الله تعالى بطريقة صحيحة من دون الرجوع إلى وحي الله تعالى. فَتَركه وتَعَالم عليه وطلب معرفة الصفات بالعبادة الصوفية **!!** . فهذا تناقض صريح ، لأن لا أحد يستطيع أن يتكلم في صفات الله تعالى بطريقة صحيحة وكاملة وواضحة إلا الله تعالى ثم رسوله-عليه الصلاة والسلام- ،ومن يقول خلاف هذا فهو مُخطئ قطعا، أو أنه لا يُؤمن بدين الإسلام أصلا. وكيف يرجو الغزالي أن تحصل له معرفة صحيحة بصفات الله تعالى وهو قد أبعد كتابه؟؟**!!** . وما موقفه من قوله تعالى: ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص: 50)) ،و((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40))، و((وَأَنَّ ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).

وواضح من كلام الغزالي في موقفه من الصفات الإلهية أنه فر من علم الكلام والفلسفة وارتمى في أحضان التصوف ، ولم يرجع إلى وحي الله تعالى . لهذا قدّم المنهج الصوفي على الشرع ظنا منه أن التصوف يوصله إلى اليقين، وينتهي به إلى بر الأمان ، على ما حكاه هو عن نفسه في كتابه المنقذ من الضلال[1638]. لكن الحقيقة أن كتابه هذا لم ينقذه من الضلال إلى الهداية، وإنما نقله من الضلال إلى الضلال، فنقله من ضلال وظُلمات علم الكلام والفلسفة إلى ظُلمات التصوف وضلالاته وكفرياته كالقول بوحدة الوجود ، فالأولى أن يُسمى: المُنقذ من الضلال إلى الضلال.

ومما يُؤكد كلام الغزالي ويُوضحه أكثر ، ويزيد في كشف حقيقة التصوف وأهله في تقديمهم لرغباتهم وأحوالهم وتصوفهم على الشرع ، ما ذكره ابن عجيبة بقوله: ((قال شيخ شيوخنا - سيدي عبد الرحمن العارف - بعد نقل كلام القشيري في هذا المعنى : وما أشار إليه ظاهر في أن أهل القلوب لا يتعاطون كل طاعة. وإنما يتعاطون من الطاعات ما يجمعهم ولا يفرقهم))[1639].

وأقول: إن الرجل كشف الأمر وفضح قومه ، فهم حسب زعمه غير مطالبين بتطبيق الشرع ، وإنما يختارون منه ما يتفق مع أحوالهم ورغباتهم

[1638] انظر ص: 7 ، 14 ، 16 ، 43 .

[1639] ابن عجيبة: البحر المديد، ج 1 ص: 562 .

وعباداتهم ويتركون ما يخالفها ،ويدخلون في عباداتهم ما يتفق معها **!!**. وهدا ليس من الإسلام في شيء وضلال مبين. قال تعالى: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))،))))، و((إن ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))،))، و((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)(الأحزاب: 36))، و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). .

ويتبين من قوله أيضا أن غاية العبادة الصوفية ليست طاعة الله وعبادته وفق شريعته ،وإنما غايتها جمع أحوالهم النفسية لبلوغ الفناء في الله، الذي يعني كفرية وحدة الوجود . ولهذا رووا أن شيخهم الجنيد قال: ((((أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه))[1640]. فلا يهمهم الالتزام بالعبادة الشرعية ، لأن همهم وطلبهم من عبادتهم هو الوصول إلى الفناء ليصبحوا أربابا وآلهة. ومن هذا حاله فهو لا يعبد الله تعالى ، وإنما يعبد هواه وشيطانه، وقد كفر بالله من حيث يدري أو لا يدري . قال سبحانه: ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص: 50))، و((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(يس: 60))، و((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)(الزخرف: 36)).

وإنهاءً لذلك أُشير هنا إلى أن الفقيه الأصولي ابن عقيل البغدادي الحنبلي(513هـ) كان من بين الذين انتقدوا الصوفية في تقديمهم لأحوالهم ورغباتهم على الشرع. فمن ذلك مثلا ، أنه ذكر أن مما يسقط مشايخهم في عينيه ،هو أن أحدهم إذا خوطب بمقتضى الشرع قال :عادتي كذا و كذا .يشير إلى طريقة قد قننها لنفسه تخرج عن سمت الشرع ؛فهو إذن مختلق طريقة ،وكل مختلق مبتدع ولو كان في ترك السنن ، لأن الاستمرار على تركها خذلان[1641]. و عاب عليهم أيضا تغيير أسماء بعض المحرمات، وإطلاق عليها عبارات أخرى ، كقولهم في الاجتماع على الغناء : الأوقات ،وفي

[1640] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 239 .

[1641] ابن تيمية :درء تعارض العقل و النقل ج4 ص: 136.

المعشوقة :أخت ،وفي المرأة المحبة :مريدة ،وفي الرقص والضرب :الوجد ،وفي اللهو والبطالة : رباط ،وهذا تحريف وتمويه غير مباح شرعا[1642].

وأما الصفة السادسة- من صفات شيوخ الصوفية – فهي أنهم يتلقون العلم والأوامر الإلهية بواسطة الهواتف. فمن ذلك ما رواه الهجويري عن جعفر بن نصير الخُلدي أنه قال : ((دخلتُ على الجنيد فوجدته محموما ، فقلت: يا أستاذ ادع الحق تعالى أن يُشفيك . فقال: لقد كنت أدعوا بالأمس فنوديتُ في سري: إن جسدك ملك لنا ، فإذا شئنا جعلناه صحيحا، وإذا شئنا جعلناه عليلا، فمن أنت حتى تتدخل بيننا وبين ما نملك؟، فاقطع تصرفك لتكون عبدا))[1643].

وعن الصوفي أبي سعيد الخراز البغدادي أنه قال: ((كنتُ في البادية، فنالني جوع شديد، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاما، فقلت: ليس هذا من فعل المتوكلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبرا، فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول:

ويزعمُ أنه مِنّا قريب *** وأنا لا نُضَيِّع من أتانا

ويسألنا القوى عجزا وضعفا *** كأنّا لا نراه ولا يرانا[1644].

ووضع المؤرخ الصوفي أبو بكر الكلابادي مبحثا في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف عنوانه : في لطائف الله للقوم وتنبيهه إياهم بالهاتف[1645].بمعنى أن الله تعالى يلطف بالصوفية فيُنبههم بالهواتف حسب زعم الكلاباذي.

وأيد الكلاباذي موقفه بحديث نبوي، فقال: ((ويشهد لصحة حال الهاتف: ما حدثنا محمد بن محمد بن محمود قال: حا نصر بن زكريا، حا عمار بن الحسن، حا سلمة بن الفضل، حا محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لمّا أرادوا غسل النبي ﷺ اختلفوا فيه: فقالوا: والله ما ندري، أنجرد رسول الله من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السِّنَة حتى

[1642] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص :391.

[1643] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 368 .

[1644] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 168-169 ، و 169 وما بعدها.

[1645] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 168-169 ، و 169 وما بعدها.

ما بقي منهم أحد إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه"))[1646].

وردا عليهم أقول:

أولا إن القول بأن هواتف الصوفية هي لطف من الله يُنبههم بها، هو قول باطل ، لأنه يُؤدي إلى نقض مبدأ ختم النبوة ،واستمرار التشريع والأوامر الإلهية بعد موت خاتم الأنبياء محمد –عليه الصلاة والسلام- ، وإلى الاستغناء بتلك الهواتف عن الشرع الذي أمرنا الله تعالى بإتباعه وحذرنا من مخالفته أو اتباع منهج غيره. كما أن كثيرا من هواتف الصوفية كانت تصدهم عن الالتزام بالشرع، فيتركونه ويُقدمون عليه رغباتهم وأحوالهم وتصوفهم. ولهذا لا يُمكن أن تكون تلك الهواتف لطفا وتنبيها من الله لهؤلاء الصوفية. وإنما هي إما أن تكون مكذوبة على شيوخهم ، أو تكون من اختلاق الشيوخ أنفسهم ، أو هي أوهام وتهيؤات، وهلوسات وتخيلات بسب ما كان عليه هؤلاء من تعذيب للنفس ، وجوع شديد وقلة نوم . والشاهد على ذلك أنه تبين من تجارب حديثة أن أشخاصا حُرموا من النوم لفحصهم واختبارهم فتبين أنه بعد الليلة الثالثة بدأت تظهر عليهم خداعات الحواس، وأصبح أحدهم لا يُفرق الحد الفاصل بين النوم واليقظة، وكثُرت عليه خداعات الحواس، وهي إدراكات غير صحيحة لأشياء موجودة فعلا . وظهرت عليه أيضا الهلاوس الفعلية ، وهي إدراك لأشياء لا وجود لها با لمرة . وأصبح يسمع أصواتا آدمية من خلال صوت الماء الجاري من الصنبور ويظن أنها تتحدث عنه[1647].

وإما أن تكون من وساوس الشياطين وتلبيساتهم ، لقوله تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63)) .

والدليل الدامغ على أن تلك الهواتف المزعومة ليست من الله تعالى أنه تبين في كتابنا هذا- بالأدلة الدامغة والقطعية- أن الصوفية هم من أكثر الناس مخالفة للشرع والعقل والعلم، ومن أكثرهم عجزا عن البناء والإنتاج العلمي الصحيح. بل إنه انتهى بهم إلى الكفر بالله ورسوله ودينه . فلو كانت

[1646] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 168-169 ، و 169 وما بعدها.
[1647] ألكسندر بوربلي: أسرار النوم، ص: 182، 183 .

تلك الهواتف لطفا من الله كما زعم الكلاباذي لما وقعوا في تلك الأخطاء والضلالات التي أوصلتهم إلى هدم الدين والعقل والعلم !!.

وثانيا إن ما رواه الهجويري عن ترك الجنيد للدعاء بسبب هاتف من داخله حسب ما زعمته الرواية ،هو شاهد قوي على أن ما سمعه ليس لطفا من الله ولا تنبيها منه . لأن هذا الهاتف صده عن عبادة الله بالدعاء ولم يحثه على عبادته به. لأن الثابت شرعا أن الدعاء عبادة، والله تعالى أمرنا بدعائه في كل أحوالنا، كما في قوله تعالى: ((فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(غافر : 14))، و((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة: 186)). واضح من هذا أن العبد يكون عبدا لله بالدعاء، وليس بتركه كما زعم هاتف الجنيد الذي سمعه من داخله حسب زعمه !!. فمن يدعو الله فهو مطيع له ، ومن يُعرض عن دعائه فهو مخالف لأمره .

ونفس الأمر ينطبق على ما رواه الكلاباذي عن أبي سعيد الخراز الذي ترك سؤال الله ودعائه- وكان في حالة جوع شديد- بدعوى أن فعله هذا يتنافى مع التوكل. فهو هنا قد خالف الشرع عندما لم يسأل الله تعالى بأن يرزقه الطعام، لأن الله تعالى أمرنا بدعائه وسؤاله ليرزقنا ودعاؤنا له هو عبادة من جهة أخرى. والدعاء لا يتنافى مع التوكل ، لأن كلا منهما مأمور به شرعا، وهما من الأخذ بالأسباب . فالرجل على طريقة الصوفية في موقفهم الخاطئ من التوكل كما سبق أن بيناه في الفصل الثاني. وذلك الهاتف المزعوم الذي قال الخراز أنه سمعه ، فإن صح أنه سمعه فهو من هلوساته وتخيلاته ، أو من الشيطان وتلبيساته ، ولا يُمكن أن يكون من الملائكة، لأن الخراز ليس نبيا حتى تُكلمه الملائكة، ولأن ذلك الهاتف أقر الخراز على عدم طلبه من الله بأن يرزقه طعاما . وهذا من الشيطان لا من الملائكة، فهم لا يُقرون أحدا على مخالفة الشرع، وإنما الشياطين هم الذين يقرون أتباعهم على ذلك.

وأخيرا- ثالثا – إن الحديث الذي استشهد به الكلاباذي على صحة قول الصوفية بالهواتف وأنها من لطائف الله وتنبيهاته للصوفية، هو حديث لا يصح إسنادا ولا متنا ، وبهذا يسقط احتجاجه به. إنه لا يصح إسنادا لأني

عثرت له على ستة طرق[1648]، مدارها كلها على محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت 150 هـ)، ، فهي رواية آحاد من راوٍ ليس بثقة. قيل فيه : ثقة، ليس بحجة، صدوق، دجال، مُتهم بالكذب ، مُدلس ، رُمي بالتشيع ، كان يُدلس إذا لم يُصرّح بالسماع، لا يُبالي عمن يروي . كان يتصرف في الأخبار التي يرويها بالزيادة والنقصان. وقال فيه أحمد بن جنبل: ((" هو كثير التدليس جدًا ")) فقيل له: ((فإذا قال: حدثني وأخبرني، فهو ثقة، قال: هو يقول: أخبرني فيخالف)) . وقال فيه أيضا : ((كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه)). وقيل لأحمد أيضا : ((حدث ابن إسحاق، حدثنا نافع، عن ابن عمر ؟ يُزكى عن العبد النصراني، فقال: هذا أشر على ابن إسحاق)). وذُكر عنده محمد بن إسحاق فقال : ((أما في المغازي وأشباهه فيكتب، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا، ومد يده وضم أصابعه))[1649]. وقد عده الشيعة من رجالهم[1650] .

واضح مما ذكرناه أن الرجل لم يكن صافيا، إنما كان مخلطا جامعا بين الصدق والكذب . وربما كان يمارس التقية بحكم تشيعه، أو كان مستهترا لانحلاله . والله تعالى أعلم بحقيقة حاله ، و من هذا حاله فهو ضعيف سواء صرّح بالسماع أو لم يُصرّح به ، خاصة إن كان متن الرواية فيه ما يُنكر، وهو في خبره هذا جمع بين التصريح بالسماع من عدمه، فالإسناد لا يصح من جهته . ويزيده ضعفا أنه لا يُعقل أن خبرا هاما كالذي نحن بصدده ينفرد برواية راوٍ واحد كابن إسحاق !! . بل إن هذا شاهد قوي على عدم صحة ما رواه. فلو كان الخبر صحيحا لرواه كثير من الرواة وما انفرد به ابن إسحاق.

وأما متن الحديث فهو أيضا لا يصح بدليل الشواهد الآتية: أولها إن ما ذكرته تلك الروايات بأن الصحابة لم يعرفوا كيفية تغسيل النبي-عليه الصلاة والسلام- فأشكل عليهم الأمر حتى سمعوا هاتفا ...هو أمر مُستبعد تماما، وشاهد على أنه مُختلق .لأن ما حدث ليس مشكلة أصلا ، فيمكن أن تغسله زوجاته، أو ينزعن عنه قميصه ثم يسترنه ، فيأتي الرجال لتغسيله . ويمكن أن يُترك في قميصه ويُغسل بالمسح من تحت القميص . وهذا أمر

[1648] أبو داود السجستاني: السنن، ج 3 ص: 165 ، رقم: 3143 .و أحمد بن حنبل: المسند، ج 4 ص: 186 وما بعدها ، رقم: 2357.ج 6 ص: 267 ، رقم: 26349.و ابن حبان: صحيح ابن حبان ، ج 14 ص: 237 ، رقم: 6627 .و 238 ، رقم: 6628 .و أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، ج 1 ص: 34 ، رقم: 1111 .

[1649] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 51 ، ج8 ص: 28 و ما بعدها. و الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم: 5275 ، ج 2 ص: 552.و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 2275، ج 3 ص: 211 .

[1650] أبو جعفر الطوسي: رجال الطوسي ، رقم: 3998 ، ج 1 ص: 462 . و ابن داود الحلي: رجال ابن داود، رقم: 1312 ، ص: 234.

عادي تماما ولا يحتاج إلى هاتف مزعوم ليحل المشكلة المفتعلة. وهل يُعقل أن الصحابة الذين تولوا عملية التغسيل لا يعرفون كيف يُغسلون النبي-عليه الصلاة والسلام- ؟؟!!.

والشاهد الثاني مفاده أن الطريقين الخامس والسادس- وهما من رواية ابن إسحاق أيضا- لم يذكرا أن الصحابة الذين تولوا عملية التغسيل اختلفوا في كيفية التغسيل . ولا ذكرا حكاية الهاتف المزعوم أصلا. فماذا يعني هذا؟. إنه يعني أمرين أساسيين: الأول إن حكاية الاختلاف في كيفية التغسيل هي حكاية مُختلقة، ولم تكن مشكلة أصلا. و الثاني إن رواية التغسيل تعرضت للتحريف بزيادة ما ليس منها لتحقيق غاية في نفس بعض رواتها.

والشاهد الثالث مضمونه أن تلك الروايات لم تتفق على ما قالته عائشة- رضي الله عنها- ، فمرة ذكرت أنها قالت: قالت :" فما رُئي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شيء مما يرى من الميت" . ومرة أنها قالت : "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله غير نسائه" . وهما قولان مختلفان، وفي الثاني ندم وتحسر، وكأن عملية التغسيل لم تكن بموافقة من عائشة وزوجات النبي-عليه الصلاة والسلام- . فماذا يعني هذا ؟؟. إنه يعني أن رواية التغسيل تعرضت للتلاعب والتحريف.

والشاهد الأخير- الرابع- إن قول تلك الروايات بالهاتف المزعوم يعني أن الصحابة تلقوا الأمر من مصدر غيبي من غير الوحي .وهذا زعم باطل وشاهد ضدها على عدم صحتها. لأنه لا مصدر غيبي للتلقي إلا الوحي، وبما أن النبوة خُتمت فلا وحي بعدها، ولا مصدر غيبي بعد ختم النبوة. ويُؤيد هذا أيضا أن الطريقين الخامس والسادس لم يذكرا أصلا حكاية الهاتف المزعوم.

وبذلك يتبين أنه استشهاد الصوفية بذلك الحديث في قولهم بالهواتف لا يصح. وأن قول الكلاباذي بأن الله يُنبه الصوفية بالهواتف والفراسات والخواطر هو قول لا يصح .

وأما الصفة السابعة – من صفات شيوخ الصوفية- أنهم بلغوا مقام الفناء في الله ، بمعنى أنهم أصبحوا أربابا وآلهة، لاعتقادهم بوحدة الوجود. وقد سبق أن أوردنا عشرات الشواهد التي تدل على اعتقاده الصوفية بكفرية

وحدة الوجود، وفيها يصبح الصوفي هو الله حسب زعمهم، مما يعني بالضرورة أنه بلغ غاية التصوف النهائية وهنا أصبح المصدر الأول والوحيد للتصوف .

وزيادةً في الاثراء أذكر هنا شاهدين آخرين على قول الصوفية بوحدة الوجود . أولهما : سُئِل أبو يَزِيدَ عن دَرَجة العارِفِ، فقال: ((ليس هُنا كدرجةٌ. بل أَعْلَى فائدةِ العارِف وَجودُ معروفِه))[1651] .

واضح من كلامه أن أعلى درجة يبلغها العارف هي عندما يصل إلى الفناء في الله، فيجد معروفه، بمعنى يتستشعر ويتذوق الربوبية والألوهية فيصبح هو الله حسب زعم البسطامي. وهنا يكون الشيخ الصوفي قد بلغ غاية التصوف، وأصبح مصدرا للعلم والأوامر الشرعية .

والشاهد الثاني: يقول ابن عجيبة :((العارفون بالله لا يسمعون القرآن إلا من لَدُنْ حكيم عليم ، بلا واسطة ، الواسطة محذوفة في نظرهم ، فهم يسمعون من الله إلى الله ، ويقرؤون بالله على الله ، كما قال القائل : أنا بالله أنطق ، ومن الله أسمع))[1652].

قوله هذا بناه على عقيدة وحدة الوجود، فلا يوجد فرق بين الخالق والمخلوق، فالكل واحد ، وهنا يسمع العارف الصوفي من الله وبه، وينطق بالله ومنه يسمع، لأنه هو الله حسب زعم الصوفية. وهنا تسقط كل المصادر السابقة ويُهدم الدين والعقل والعلم، وتحل محلها الهلوسات والخرافات، وهنا تكمن مأساة التصوف **!!**.

وأما الصفة الأخيرة- الثامنة من صفات شيوخ الصوفية- فهي أن طاعة الشيوخ واجبة مع عدم الاعتراض عليهم **!!**. من ذلك ما رواه عبد الكريم القشيري عن أبي يزيد البسطامي، بقوله: ((هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان))[1653].

والقول الثاني: قال القشيري : ((قال أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلِّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رُويم، وأبو العباس ابن عطاء، وعمرو بن عثمان المكيِّ؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق))[1654].

[1651] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 36 .

[1652] ابن عجيبة: البحر المديد ، ج 5 ص: 305 .

[1653] القشيري : الرسالة القشيرية، ص: 181 .

[1654] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، ص: 51 .

والقول الثالث: قال القشيري : ((سمعتُ منصور بن خلف المغربي وسأله بعض أصحابنا: كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي؟ فنظر إليه شزراً وقال: إني لم أصحبه، بل خدمته مدة. وأما إذا صحبك من هو دونك، فالخيانة منك في حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه من نقصان في حالته؛ ولهذا كتب أبو الخير التيناني إلى جعفر بن محمد بن نصير: وزر جهل الفقراء عليكم؛ لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم، فبقوا جهلة. وأما إذا صحبت من هو في درجتك، فسبيلك التعامي عن عيوبه، وحملُ ما ترى منه على وجه من التأويل جميلٍ، ما أمكنك، فإن لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة))[1655].

والقول الرابع: قال القشيري: ((سمعتُ الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دَوْر القرآن والختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المسجد، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول، فأدخلني من ذلك شيءٌ؛ فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول، فقال لي فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول: فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن، ما يقول الناسُ فيّ؟ فقلت: يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول!! فقال: من قال لأستاذهِ لِمَ؟ لا يفلح أبداً)) [1656].

والقول الخامس: قال أبو علي الدقاق: ((الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غراس فإنها تورق، ولكن لا تُثمر؛ كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً نفساً فهو عابد هواه، لا يجد نفاذاً))[1657].

والقول السادس: قال القشيري: ((يجب على المريد أن يتأدَّب بشيخ؛ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً))[1658].و ((ويجب أن لا يخالف المريد أحداً، وإن علم أن الحق معه يسكت، ويُظهر الوفاق لكل أحد))[1659].و ((وصحبة الأكفاء والنظراء: وهي مبنية على الإيثار والفتوة؛ فمن صحب شيخاً فوقه

[1655] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، ص: 458.
[1656] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، ص: 502.
[1657] القشيري : الرسالة القشيرية، ص: 181 .
[1658] القشيري : الرسالة القشيرية، ص: 181 .
[1659] القشيري: الرسالة، ص: 183 .

في الرتبة، فأدبه ترك الاعتراض، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، وتلقى أحوال بالإيمان به))[1660].

ووضع القشيري مبحثا في رسالته سماه: باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم . فكان مما ذكره أنه قال: ((سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت أبا عبد الله الدينوري يقول: سمعت الحسن الدامغاني يقول: سمعت عمي البسطامي يحكي عن أبيه: أن شقيقاً البلخيِّ، وأبا تراب النخشبي، قدما على أبي يزيد، فقُدِّمت السفرة، وشاب يخدم أبا يزيد، فقالا له: كل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر. فأبى. فقال شقيق: كل ولك أجر صوم سنة. فأبى. فقال أبو يزيد: تدعُوا من سقط من عين الله تعالى!! فأُخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة، فقطعت يده !!))[1661].

والقول السابع: قال أبو حامد الغزلي: ((... فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة. فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطيء النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئا ولا يذر. وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب . فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق ...))[1662].

والقول الثامن : قال عبد القادر الجيلاني: ((وأما آدابه (أي: المريد) مع الشيخ، فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تاركٌ لأدبه، وصاحب

[1660] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: '57.
[1661] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 502.
[1662] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 75-76 .

الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصماً على نفسه لشيخه أبداً، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهراً وباطناً))[1663].

والقول الأخير- التاسع - : قال الصوفي المغربي ابن عجيبة : ((الفقير الصادق ، هو الذي إذا قال له شيخه : ادخل في عين الإبرة ، يقوم مبادرًا يُحاول ذلك ، ولا يتردد))[1664].

وردا عليهم أقول:

أولا: إن قول الصوفية بوجوب طاعة الشيخ وعدم الاعتراض عليه باطل شرعا وعقلا وواقعا . فأما شرعا فإن الله تعالى لم يتعبدنا إلا بطاعته وطاعة رسوله، ولم يُلزمنا إلا بإتباع كتابه وسنة نبيه الموافقة له، وأمرنا عند الاختلاف بالرد إليهما دون غيرهما. قال سبحانه : ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء : 59)). كما أن قول الصوفية بوجوب طاعة شيوخهم وعدم الاعتراض عليهم يعني أنهم أصبحوا معصومين وتجب طاعتهم وهذا باطل قطعا ، لأنه ينقض ختم النبوة ، ويجعل هؤلاء الشيوخ أنبياء. وموقفهم هذا يتفق مع موقف الشيعة الإمامية في قولهم بعصمة أئمتهم ووجوب طاعتهم.

وأما وعقلا وواقعا فمن الثابت أن الصوفية بشر كغيرهم من بني آدم ، فمن أين لهم العصمة ووجوب الطاعة وعدم الاعتراض عليهم ؟؟. وبما أنه بينا في كتابنا هذا أن شيوخ الصوفية كانوا غارقين في الأخطاء والانحرافات الشرعية والعقلية والعلمية، حتى انتهى بهم الأمر إلى هدم الدين والعقل والعلم ، فإن هذا يعني قطعا أنه لا يصح إيجاب طاعة هؤلاء والنهي عن الاعتراض عليهم، وإنما يجب الاعتراض عليهم وعدم طاعتهم ،فيما يُخالف الشرع والعقل والعلم ، إلا فيما بما يوافق الشرع والحق. ومن أدلة بطلان قولهم شرعا وعقلا وواقعا أن تخويف الشيوخ لمريديهم بعدم الفلاح أبدا إن هموا عصوهم ، هو تخويف باطل وزائف أدى إلى نتائج عكسية، هي أن طاعتهم إياهم هي التي حرمتهم الفلاح، وأوردتهم الموارد وجرتهم إلى الكفر بالله ورسوله ودينه وهدم الشرع والعقل والعلم . فأي

[1663] عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق، دار صادر، بيروت، ج 2 ص: 188 .
[1664] ابن عجيبة: البحر المديد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2 ص: 211 .

فلاح حققه الصوفية في طاعتهم لشيوخهم ؟؟. وأي فلاح حققه شيوخ الصوفية لأنفسهم بعدما انتهى بهم تصوفهم إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود؟؟.

علما بأن الشرع نص صراحة على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن الجميع تحت حكم الشرع، وأنه هو الحَكَم عند الاختلاف لا غير . وقد اعترض الملائكة على الله تعالى عندما لم يعرفوا الحكمة من خلقه للبشر، فلم ينهرهم ولا غضب عليهم وإنما قال لهم : ((إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة: 30)). وقد أمر الله تعالى نبيه أن يشاور أصحابه ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)(آل عمران: 159)). وقد كان الصحابة يناقشونه ، ويبين لهم ولا ينهرهم ، بل إن بعضهم كان يعترض على بعض تصرفاته عندما لا تتبين له حكمتها . وعنه تربى الصحابة وكانوا يعترضون على بعضهم ، ويحتكمون إلى الدليل لا إلى المكانة ولا إلى المنصب، ولا السابقة في الإسلام . ومثال ذلك اختلافهم مع أبي بكر في موضوع قتال أهل الردة ، فناقشهم وناقشوه حتى أقنعهم. ولذلك فإنه من الجريمة أن يتخلى الإنسان عن دينه أو عقله ، أو علمه ويصدق بأباطيل وخرافات من أجل أن فلانا قالها !!.

ومع أن قول الصوفية بوجوب طاعة الشيخ وعدم الاعتراض عيله باطل شرعا وعقلا وواقعا، إلا أنه يجب أن لا يغيب عنا أن قولهم يتفق تماما مع العبادة الصوفية لا مع العبادة الشرعية. لأن العقيدة الصوفية بطبيعتها المخالفة للشرع والعقل والعلم، وبإخفاء الصوفية لها ، وبممارساتها التعبدية ، كل هذا يتطلب وجود الشيخ الذي يتولى تعليم المريدين العبادة الصوفية. فهو يعلمهم هذه العبادة التي تتطلب وجود الشيخ، ولا يعلمهم العبادة الشرعية التي لا تتطلب ذلك. وبهذا يتبين أن قولهم في الشيوخ لا علاقة له بدين الإسلام وإنما هو يتعلق بالعقيدة الصوفية التي غايتها خرافة وحدة الوجود .

وبمعنى آخر أن الشيخ ضروري في العبادة الصوفية، لأنها تقوم أساسا على مخالفة الشرع والعقل والعلم في أصولها وفروعها وغايتها . وهذا كله يجعل وجود الشيخ المشرف على الصوفي المبتدئ ضروريا ،لأنه لا يستطيع السير وحده ليتمكن من تجاوز العقبات الكأداء التي تعترضه ، ولا يعرف كيف يتعامل مع الضلالات والخرافات والكفريات التي تعترض طريقه. علما بأن كلا من الشيخ والمريد ضحية للشيطان ، إلا أن في حالة

وجود الشيخ الصوفي الموجه للمريد يتولى الشيخ تطبيق ما يوحيه الشيطان للصوفية، وفي حالة غيابه تتم العملية مباشرة من الشيطان إلى المريد الصوفي، وهنا قد يتعثر المريد ولا يسير حسب المنهج الصوفي . ولهذا أوجب الصوفية على المريد إتباع شيخه، ليأخذ بيده وينقله من الشرع والعقل والعلم ، إلا حالة اللا شرع، واللا عقل، واللا علم، واللا وعي،ويرميه في أحضان الأوهام والهلوسات، والخرافات والتلبيسات ، ليصل إلى كفرية وحدة الوجود .

وثانيا إن قولهم :((يُسلم للشيخ حاله))، لا يصح شرعا ولا عقلا ،فأما شرعا فإنه لا أحد من البشر معصوم بعد النبي-عليه الصلاة والسلام- ، وكل المسلمين مفروض عليهم اتباع الشرع قلبا وقالبا ولا يحق لأحد مخالفته ولا التقدم عليه، ولا مزاحمته ،ومن يفعل ذلك فهو مخطئ ومخالف للشرع، ويجب عليه أن يتوب،وعلى جماعة المسلمين التصدي له إن هو أصر على ضلاله. قال تعالى : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). و((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))،))، و((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))،)و((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31))، و((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)(الأحزاب: 36)) . وعليه فيجب على الصوفية- إن كانوا مسلمين- أن يلتزموا بالشرع منطلقا وممارسة وغاية ،ولا يحق لهم التقدم عليه بتلك المقولة. فمن الواجب عليهم شرعا وعقلا أن يرفضوا هذا الأصل ولا يقبلونه، لكن لما كان تصوفهم بني على تقديم أحوالهم ورغباتهم على الشرع أقروا أصلهم هذا، وعبروا عنه بتلك المقولة.

وأما عقلا وعلما فمن الثابت قطعا أن كل بني آدم عرضة للخطأ والنسيان، وبما أن الصوفية منهم ، فهم كغيرهم من البشر ، سلوكياتهم وأقوالهم نسبية ، تجمع بين الخطأ والصواب، وبين الصدق والكذب. فلا تُسلم لهم أحوالهم، وإنما تُخضع للنقد والتمحيص إن صحت قُبلت وإن لم تصح رفضت . ولا يصح تطبيق تلك المقولة عليهم ولا على غيرهم من البشر. فهي مقولة باطلة من أساسها، لكن الصوفية تبنوها وأصلوا لها

برغباتهم وتصوفهم، وبها برروا انحرافاتهم ،و شجعوا بعضهم على الانبساط في اتباع رغباتهم وأحوالهم. وبها سكتوا عن أخطاء وانحرافات بعضهم. وبها خالفوا الشرع وجعلوه وراء ظهورهم .وبها شرعوا للتصوف بما يتفق مع تصوفهم ويُخالف الشرع.

وثالثا ليس صحيحا أن سبيل الدين غامض لذا يتطلب الأمر وجود الشيخ الصوفي ووجوب طاعته، وإنما دين الإسلام واضح بيّن بدليل الشرع والتاريخ. قال تعالى: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153))، و((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(القمر: 17))، و((وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(النحل: 64))،وفي الحديث أن النبي-عليه الصلاة والسلام - قال : ((الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشتبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه ...))[1665] .

و من جهة التاريخ فالسيرة النبوية تشهد بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- ربى صحابته باعتدال و يسر وفي وضوح، بلا إفراط ولا تفريط، وبلا ألغاز ولا رهبانية ، وبلا تعذيب للجسم. وعلى هذا النهج سار الصحابة ومن تبعهم .

وطرق التربية ليست محصورة في طريق واحد بل متنوعة ومتعددة حسب الظروف والأحوال ، لأن الناس معادن ، ولا يصح حصرها في تربية الشيخ الصوفي فقط. ولا يصح طاعته مطلقا كما زعم الرجل ، لأن الشرع أخبرنا وأمرنا بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأن كل بني آدم خطاء ، وأن لا أحد منهم معصوم إلا النبي- عليه الصلاة والسلام-.

ولا تصح المقارنة بين الإنسان الذي يربي نفسه بنفسه وبين الشجرة التي تنبت وحدها فتورق ولا تُثمر. لا تصح من جهتين: الأولى أن الإنسان كائن عاقل مريد يختلف عن الشجرة التي لا عقل ولا إرادة ولا اختيار لها، فهي تحتاج إلى من يخدمها. لكن الإنسان يستطيع أن يربي نفسه بنفسه بمراقبتها وحملها على اتباع الشرع ، وبعرضها على الكتاب والسنة،

[1665] البخاري: الصحيح، ج 1 ص: 20 ، رقم: 52 . والألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 56، رقم: 3974 .

وبرؤية الناس والاعتبار بهم ولا يحتاج إلى شيخ يربيه ويسلكه في طريقه إلا الله تعالى.

والجهة الثانية أن الأشجار التي تنبت وحدها وتورق ليست كلها لا تثمر ، بل فيها من يغرسها الإنسان ويعتني بها ولا تثمر لسبب من الأسباب كأن تكون البذور غير جيدة. وتوجد أشجار مثمرة من دون أن يتدخل الإنسان في زراعتها والاعتناء بها ، وهذا معروف وموجود في الغابات الاستوائية وغيرها ، وعليها يعيش الإنسان والحيوانات في تلك المناطق .

ولا تجب الطاعة لأحد إلا لله ورسوله ولمن أطاعهما من أولياء أمور المسلمين، على أن يكون المنطلق والحَكَم والمرد إلى الله ورسوله كما في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: 59)). بل ويجب على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب طاقته وحاله حتى وإن كان شيخه، على أن يتم ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . قال تعالى ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل: 125)).

وبذلك يتبين أن السبيل الغامض الذي يوجب على المريد إتباع الشيخ الصوفي ، ليس هو سبيل دين الإسلام وإنما هو سبيل الدين الصوفي القائم على مخالفة الشرع وهدم الدين والعقل، والوصول بأهله إلى عقيدة وحدة الوجود. فهذا هو الطريق الغامض المهلك للإنسان، وليس الطريق الشرعي، فالعبادة الصوفية هي التي توجب اتباع الشيخ، وليست العبادة الشرعية، لكن الغزالي كأصحابه يتسترون بالإسلام ظاهريا وهم يقصدون الدين الصوفي لا دين الإسلام.

وأما قول القشيري :((ويجب أن لا يخالف المريد أحداً، وإن علم أن الحق معه يسكت، ويُظهر الوفاق لكل أحد))[1666]. فهو تعطيل متعمد للشرع، ومخالفة صريحة له، وهو شاهد على تقديم الصوفية لتصوفهم على الشرع. فالرجل أوجب على المريد ما لم يوجبه الله عليه . فالشرع يقول: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

[1666] القشيري: الرسالة، ص: 183 .

الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (آل عمران : 104)))،و((« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[1667]، و ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))[1668]. لكن التصوف وأهله قرروا خلاف ذلك صراحة لأن عقيدتهم الصوفية تأمرهم بذلك !!. كما أن قول القشيري صريح في دعوة الصوفية إلى ممارسة التقية والكتمان، فيُخفي الصوفي ما يعتقده ويُظهر موافقته لكل الناس.

ومن جهة أخرى فإن قول القشيري في دعوته إلى السكوت وعدم الاعتراض على الشيخ وعلى غيره من الناس؛ هو في الحقيقة يتعلق مباشرة بعقيدة الفناء في الله التي غايتها وحدة الوجود . فبما أن الصوفية يزعمون أن الكون بما فيه رسوم وأشباح وليست كائنات حقيقية وإنما هي مظاهر لله وتجليات له،بل هي الله حسب ضلالهم . وانطلاقا من ذلك فلا معنى ولا يصح الاعتراض على الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لأن الكل هو الله ومن يعترض على الأشباح والرسوم فهو في الحقيقة يعترض على الله ، بل هو اعتراض من الله على نفسه ، وهذا لا يصح حسب زعمهم!! .

ورابعا إن قول بعضهم : ((من قال لأستاذهِ لِمَ؟ لا يفلح أبداً))[1669]، فلا شك أن النصح يتطلب الحكمة والموعظة الحسنة، وأحيانا يتطلب الأمر التغاضي والسكوت عن المنكر ، لكنه لا يصح في كل الأحوال ، وليس هو الأصل في التعامل مع المخالفات الشرعية والأخطاء والأعمال المضرة بالغير بغض النظر عن فاعلها. لأنه بما أن الأصل في ديننا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1670].،وأن كل بني آدم خطاء ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مأمور به شرعا ، وأن التناصح بين المسلمين مطلوب ، فإن من حق الأخ على أخيه أن ينصحه بحكمة وحسن نية ولا يتركه على خطئه وانحرافه. وعليه فمن حق الصغير أن ينبه الكببير إن رآه أخطأ ، وعلى الكبير أن يتقبل ذلك برحابة صدر، والعكس صحيح أيضا. لكن الصوفية أسسوا مبدأ مخالفا للشرع ، به أصلوا للدين الصوفي ، وبه سكتوا عن أخطاء وانحرافات شيوخهم، وبه تقدموا على الشرع والعقل والعلم في أكثر أصولهم وفروعهم التي اختصوا بها وأسست للتصوف .

[1667] مسلم : الصحيح، ج 1 ص: 50 ، رقم: 186 .
[1668] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 2 ص: 150 ، رقم: 7520 .
[1669] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 2 ، ص: 502.
[1670] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 2 ص: 150 ، رقم: 7520 .

ولذلك فإن مقولتهم : ((من قال لأستاذهِ لِمَ؟ لا يفلح أبداً)) فهي مقولة غير صحيحة، ولا شك أن من يعترض على المنكرات بعلم وحكمة فإن له أجرا كبيرا عند الله تعالى ، لأن المسلم مطالب شرعا بتغيير المنكر بالحكمة وحسب قدرته ، كما في الحديث الشريف ((« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »))[1671].لكن هؤلاء الصوفية لما كانوا مخالفين للشرع والعقل والعلم، وضعوا ذلك المبدأ لتمرير أفكارهم على مريديهم ومنعهم من الاعتراض عليهم من جهة، وليتعاونوا على مخالفة الشرع والانتصار للتصوف من جهة أخرى.

ومن ناحية أخرى فإن لقولهم ((من قال لأستاذهِ لِمَ؟ لا يفلح أبداً))[1672] وجه صوفي صحيح مفاده أن الصوفي الذي يخالف شيخه لا يفلح، ليس المقصود به الفلاح الشرعي ، لأن التصوف كله لا فلاح شرعي فيه،وإنما هو الفلاح الصوفي الذي يعني الوصول إلى الفناء الذي هو وحدة الوجود ، وفيها يصبح الصوفي هو الله حسب زعمهم. وهذا صحيح لأن من يلتزم بالشرع الصحيح ، والعقل الصريح، والعلم الصحيح فإنه سيعترض على الصوفية ولن يوافقهم على ما هم فيه من ضلال وانحراف ، وسيعترض عليهم ويخالفهم وينكر عليهم وهذا سيجنبه انحرافاتهم وينقذه من الوقوع في ضلالات التصوف وكفرياته . فَنِعم الفلاح الشرعي وبئس الفلاح الصوفي.

وأما الحكاية التي رواها القشيري والمتعلقة بما جرى بين البسطامي والشاب الي قُطعت يده ،فهي حكاية إسنادها لا يصح، لأن رواتها صوفية، والرواية الصوفية ضعيفة من داخلها كما بيناه في كتابنا هذا . ومن رجالها أيضا : أبو عبد الرحمن السلمي وهو ضعيف ، ومتهم بوضح الأخبار للصوفية[1673]. فالرواية إسنادها غير صحيح .

وأما متنا فعلى فرض صحة تلك الرواية فهي قد تضمنت كلاما باطلا صدر عن شيوخ الصوفية المذكورين في الرواية، يشهد على مخالفتهم للشرع. وهو كلام إما أن صاحبه جاهل بدين الإسلام، أو أنه لا يعي ما يقول، أو أنه تعمد قوله لغاية في نفسه. لأنه لا يصح لأي إنسان أن يطلب من غيره أن يترك عبادة تطوعية ويقول له : لك أجر شهر، أو سنة من الصوم. ولا أن يُخبره بأنه سقط من عين الله .. وهذا هو الذي وقع فيه

[1671] مسلم: الصحيح، ج 1 ص: 50 ، رقم: 186 .
[1672] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، ص: 502.
[1673] سنفصل حاله لاحقا .

هؤلاء الشيوخ ، وكأنهم آلهة ، أو أنبياء ، ونسوا أو تناسوا أن هذه الأمور هي بيد الله وحده، ولا يعلمها أحد ، ولا يحق لأحد أن يفعلها إلا من كلفه الله تعالى بذلك وهم الأنبياء والنبوة قد خُتمت. ألم يتذكروا أن الله تعالى قال لنبيه-عليه الصلاة والسلام- : ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران : 128))، و((لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)(البقرة : 272))، و((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(القصص : 56))، و((لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)(الغاشية : 22))،و((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)).

وأما ماذكرته الرواية بأن الشاب الذي خالف هؤلاء الشيوخ قُطعت يده بعد سنة. فبما أن ما قاله هؤلاء الشيوخ باطل ، وهم الأولى بالعقوبة لا الشاب، وبما أن الرواية لم تصح إسنادا فإن ما رُوي أن يده قطعت غير صحيح ، وإنما أضيفت إلى الرواية لإظهار مكانة الشيوخ عند الله ، وتخويف المريدين والدعوة إلى تقديسهم وعدم مخالفتهم. وحتى إذا فرضنا جدلا أن الشاب حدث له ذلك بعد يوم أو سنة ، فلا يوجد دليل قطعي يُثبت أن ما حدث له كان بسبب مخالفته للشيوخ. وإنما هو مجرد اتفاق ، أو أن الشاب اتهم بالسرقة زورا وبهتانا من بعض الصوفية لمخالفته لهؤلاء الشيوخ، فقُطعت يده ليكون عبرة لغيره. والراجح مما قلناه أن الرواية مختلقة أو مركبة تأسيسا لمبدأ طاعة الشيوخ ، وتخويفا للمريدين من مغبة مخالفتهم لشيوخهم .

وخامسا إن للفقيه الأصولي أبي الوفاء بن عقيل البغدادي انتقادات كثيرة للصوفية تتعلق بقولهم : " يسلّم للشيخ حاله "، منها ، أنه يرى أن تلك المقولة هي دعوى اتخذها مشايخ الصوفية للتسلطن بها على اتباعهم ، ودفعا للاعتراض عليهم .وإلاّ فإن الاعتراض مشروع على كلّ إنسان ، ألم تر أن الصحابة- رضي الله عنهم – قد اعترضوا على النبيّ –عليه الصلاة و السلام –عندما أظهر لهم أشياء لم يفهموها يوم الحديبية ؟؟ .وحتى الملائكة تسألوا عندما قالوا لله تعالى : ((أتجعل فيها))-سورة البقرة/ 30- وقال موسى -عليه السلام- : ((أتهلكنا بما فعل السفهاء منا))[1674]-سورة الأعراف -/155- .ثمّ أننا نجد شيخ رباط يخلوا بأمرد و يسمع منه أو من

[1674] ابن الجوزي : المصدر السابق ص :416

امرأة حرة الغناء ،ويأكل الحرام و يرقص ، ولا يسأل الفقهاء ،ولا يبني أمره على الشرع و يتصرف انطلاقا من وجدانه و واقعاته ، و يقول اتباعه : ((الشيخ يسلم إليه طريقته)) . ثم قرر ابن عقيل أنه لا طريقة مع الشريعة ولم يبق لأحد معها قول ، ما جاءت هي إلاّ بهدم العوائد ،و نقض الطرائق ، و ((ما على الشريعة أضرّ من المتكلمين و المتصوفة))[1675].

ومن جهة أخرى نجد الفقيه تاج الدين السبكي الشافعي على عكس ابن عقيل، فيدعو إلي الاعتقاد في الصوفية و التسليم لهم في أحوالهم وحسن الظن بهم ، وانتقد الفقهاء الذين يحكمون على ظاهر هؤلاء[1676].

وردا على السبكي أقول : إن الله –عز و جل- قد أوجب على كل مسلم الخضوع لشرعه، ((فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم))-سورة النساء/65- و من ثم لا يحق للصوفية ولا لغيرهم من الناس أن يستثنوا أنفسهم من الخضوع للشرع والاحتكام إليه .وأما انتقاده للفقهاء في حكمهم على الصوفية من خلال ظاهرهم ، فابن عقيل على صواب والسبكي على خطأ ، لأن الشريعة الإسلامية تحكم على الناس بناء على ظاهرهم ، و تترك بواطنهم لعلام الغيوب ، لذا كان الرسول-عليه الصلاة و السلام- يعامل المنافقين معاملة المسلمين ، وهو يعلم ما يكنونه في صدورهم من كفر و نفاق و خداع[1677]. وبما أن الصوفية أظهروا مخالفتهم للشرع في الأصول والفروع والغايات كما سبق أن بيناه ، فإنه يجب الاعتراض عليهم وبيان انحرافهم عن الشرع والعقل والعلم .

وسادسا إن حرص شيوخ الصوفية على تربية مريديهم على وجوب طاعة شيوخهم وعدم الاعتراض عليهم ، جعلهم إماعيين سلبيين أمات فيهم روح النقد والاعتراض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأفسد عقولهم ونفوسهم وموازينهم. فأصبحوا يرون ضلالات وكفريات شيوخهم فلا يعترضون عليها، فعطلوا الشرع طاعة لهم، وعصوا الله تعالى الذي أمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبذلك أصبحوا من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: (((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)(المائدة:87- 79)). والأدلة على أنهم

[1675] ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل، حققه رشاد سالم، ار الكنوز الأدبية، الرياض ج 4 ص : 135 .

[1676] السبكي : معيد النعم ص : 88 .

[1677] انظر : ابن هشام : المصدر السابق ص : 151 ، 184 .

كانوا يسكتون على مُنكرات شيوخهم أباطيلهم كثيرة جدا، ولو كانوا يتناهون عن منكراتهم ما كان التصوف وأهله حربا على الدين والعقل والعلم. والشواهد الآتية تزيد ما ذكرناه تأكيدا وتوضيحا وترسيخا:

أولها: قال الفقيه الصوفي عبد الوهاب الشعراني : ((ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير -رضي الله تعالى عنه آمين- ...وكان كثير الكشف، وله وقائع مشهورة...وكان بوله كالحليب أبيض، وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه، وكان يتشوش من قول المؤذن (الله أكبر) فيرجمه ويقول: عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا! وما ضبطت عليه قط كشفاً أخرم فيه...وكان رضي الله عنه يقول: أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصارى، وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي باطل...وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلاً ونهاراً، وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل، وكان إذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون، يمشي أمامها معهم ويقول: زلابية هريسة زلابية هريسة، وأحواله غريبة **!!!!**))[1678]. فانظر وتعجب **!!**، لكن التعجب الأكبر ليس من الشيخ الصوفي الضال، وإنما من الشعراني الفقيه الشافعي الذي باع الفقه بالتصوف، فأصبح يرى المنكرات والمخالفات الشرعية فيسكت عنها ويترضى على صاحبها سيده وشيخه **!!!!** .

والشاهد الثاني: ذكر الشعراني أن الصوفي إبراهيم المسوفي القرشي (ت 676 هـ) كان يقول عن نفسه : ((أنا موسى -عليه السلام- في مناجاته. أنا علي - رضي الله عنه -في حملاته **.** أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدت ربي، على الكرسي خاطبته. أنا بيدي أبواب النار غلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس. واعلم يا ولدي أن أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون متصلون بالله، وما كان ولي متصلا بالله تعالى إلا، وهو يناجي ربه كما كان موسى -عليه السلام- يناجي ربه. وما من ولي إلا، ويحمل على الكفار كما كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- يحمل -عليهم -. وقد كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخاً في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- . وإن الله عز وجل خلقني من نور رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأمرني أن أخلع

1678 الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 483 .

على جميع الأولياء بيدي، فخلعت عليهم بيدي، وقال:....)). ثم عقب الشعراني على هذا الصوفي وضلالاته بقوله: ((قلتُ :وهذا الكلام من مقام الاستطالة تعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلي -رضي الله عنه-، وغيره فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح والسلام))[1679].

وأقول: هذا شاهد دامغ على إفساد الصوفية للإسلام وتعاونهم على هدمه بدعوى التصوف وعلم الباطن. وهو دليل على تعطيلهم له في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى سلبيتهم وعجزهم في الانكار على بعضهم . وهو شاهد دامغ على أنهم يتكلمون بلا علم، ويتعمدون الافتراء على الله ورسوله، وعلى المسلمين والناس جميعا .

وأما قوله بأن كلام الصوفي لا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح فهو كلام باطل ومردود عليه . لأنه أولا إن ذلك الصوفي لم يُقدم أي دليل صحيح على صدق كلامه، وكل كلامه مزاعم جوفاء، والمزاعم ليست حجة بذاتها، ولا يعجز عنها أحد . إنه تكلم بلا علم ، ونقض بكلامه ختم النبوة ، باعترافه هو بأنه يُكلم الله ويناجيه كما ناجاه موسى-عليه السلام- ،وهذا دليل قطعي على بطلان زعمه، لأن كلامه لا يصدر إلا عن نبي ، وبما أن النبوة ختمت بنبينا محمد- عليه الصلاة والسلام- ، والرجل ليس نبيا، فكلامه باطل قطعا، وما هو إلا هذيان وهلوسات وتلبيسات نفسية وشيطانية.

وثانيا إن الصوفي زعم أن الله خلقه من نور النبي ، وهذا زعم باطل ومخالف للشرع مخالفة صريحة ، لأن من قطعيات الشرع وبدائهه أن البشر كلهم من آدم وهو من تراب قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)(الحج: 5))، و((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)(الروم: 20))،و((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ)(الأنعام: 2))،و((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)(السجدة: 7)) . أليست هذه نصوص صريحة في نقض مزاعم الصوفي وخرافاته، وأنه تعمد مخالفة قطعيات الشرع ؟؟ !! . فلماذا سكت الشعراني عن ذلك؟؟. أليس هذا دليل قطعي

[1679] الشعراني: الطبقات الكبرى ، 261-261 .

علـى أن الشـعراني وذلـك الصـوفي قـدما خرافـات التصـوف علـى حقـائق الشرع ؟؟ !! .

وثالثا إن الشعراني نسي أو تناسى أن أولياء الله في دين الإسلام هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(يونس:62-64)) . فهم الذين آمنوا وكانوا يتقون بالتزام شريعة الله قلبا وقالبا ، وليسوا هم الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيب،وينقضون ختم النبوة بدعوى أنهم أولياء الله ، مع أن الوَلاية الشرعية ليست كذلك تماما . وقد كان الصحابة –رضي الله عنهم- من أولياء الله تعالى- وليس فيهم ما قال بتلك الخرافات والمزاعم والأباطيل.

ورابعا إن ما ذكره ذلك الصوفي عن نفسه كله من الغيب ،وبما أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يرد ما ذكره في قرآن ولا في سنة نبوية صحيحة ، فإن كل ما قاله باطل ومردود عليه من دون شك . وقد سكت عنه الشعراني الفقيه الشافعي تعصبا وانتصارا للتصوف مع أنه كلام مخالف للشرع وهادم له وللعقل وللعلم !! .

والشاهد الثالث: حكى الشعراني عن الصوفي علي بن خودة (ت بعد: 920 هـ) ، فقال : ((وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير ، أو ابن وزير ، ولو كان بحضرة والده ، أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس ، ولا عليه من أحد))[1680]. فهل هذه الأفعال ليست حراما أيها الشعراني الفقيه الشافعي ؟؟ **!!** . فلماذا حكيتَ أفعاله القبيحة ولم تنكرها عليه ؟؟ **!!**. فهل الزنا واللواط ، أو محاولة فعلهما حلال في الفقه الشافهي، أم هو حلال في الفقه الصوفي؟؟ **!!**. أليس لو لم تذكرها لكان أحسن لك وله ؟؟ **!!** .

والشاهد الرابع : قال الشعراني عن الصوفي إبراهيم العريان (ت بعد: 930 هـ) : ((وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب **<u>عرياناً</u>** فيقول **:** السلطان، ودمياط باب اللوق بين القصرين، وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم)). و كان يُخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: " هذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك ، فيخجل ذلك

[1680] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 135 .

الكبير منه"[1681]. فهل هذه ليست منكرات ومحرمات أيها الفقيه الشافعي؟، أليس هذا اعتراف بأن ذلك الصوفي الضال كان يتعمد الكذب ويحلف وهو كاذب؟، فلماذا لم يعترض الشعراني على هذا الصوفي الضال ؟؟. وهل من يخطب على المنبر عريانا، ويتعمد الكذب يُترضى عنه ؟؟!!. أليس فعله هذا زندقة واستهزاء بالشرع ؟؟ . وهل الفقه الشافعي يُجيز للإمام بأن يخطب عريانا على المنبر يوم الجمعة ؟؟ !! . وأليس أن من شروط صحة الصلاة ستر العورة ؟؟.

والشاهد الخامس: ذكر عبد الوهاب الشعراني أن الصوفي شعبان المجذوب (ت بعد: 900 هـ) كان يُدخل في القرآن ما ليس منه ، ويقرأ كلاما مسجوعا على أنه من القرآن وهو ليس منه. ذكر عنه ذلك ولم ينكر عليه، بل وترضى عنه[1682]. ما فعله هذا الصوفي هو حرام قطعا، وتحريف متعمد لكتاب الله، ولا يفعله مسلم ، لكن الشعراني سكت عنه ولم يُنكر عليه تحريفه للقرآن الكريم، فهو شريكه في مُنكراته.

والشاهد الأخير- السادس- : ذكر الشعراني عن أبي السعود الجارحي(ت نحو: 930 هـ)) أنه ((كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان لا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية))[1683].

وأقول: تضمن خبره هذا مخالفات شرعية، وأمرا مستحيلا، لكن الشعراني سكنت عنه ولم يعترض عليه. فمستحيل أن يمتنع عن النوم أكثر من 36 يوما بحكم أنه ظل طيلة ذلك بوضوء واحد !!. وليس من الشرع الخلوة تحت الأرض في شهر رمضان ولا في غيره . فالشرع لا يأمر بذلك، ولم يكن النبي-عليه الصلاة والسلام- يعتكف في رمضان بتلك الطريقة ولا بتلك المدة. ولا كان يمتنع عن الأكل طيلة شهر رمضان ، وإنما كان يصوم الصيام الشرعي من الفجر إلى المغرب .

كانت تلك الشواهد نماذج من باب التمثيل لا الحصر، تشهد على أن الصوفية عطلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشجعوا على مخالفة

[1681] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 142.
[1682] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 185 .
[1683] الشعراني: طبقات الصوفية ، ص: 468 .

الشرع وهدمه عندما أوجبوا على أتباعهم طاعة شيوخهم وعدم الاعتراض على عليهم . لكن لماذا أمروهم بذلك ؟؟.

إن الجواب على ذلك التساؤل واضح ومعروف ، ومفاده أن شيوخ الصوفية أوجبوا على أتباعهم طاعة الشيخ الصوفي وعدم الاعتراض عليه لأمرين أساسيين: الأول هو أنهم يعلمون جيدا أن تصوفهم مخالف للشرع والعقل والعلم ، ولهذا يجب على المريد طاعة الشيخ وعدم الاعتراض عليه، مع عدم الاحتكام إلى الشرع ولا إلى العقل، ولا إلى العلم، ليتلقى المريد فكره وتربيته من الشيخ فقط . والأمر الثاني هو أن هؤلاء الشيوخ يعلمون يقينا أن تصوفهم - بحكم مخالفته للوحي والعقل والعلم- لا يقبله الناس ولا يُطبق ولا يُمارس ولا ينتصر، ولا يُحقق غاياته، إلا بوجود مريدين سلبيين إماعيين يُطيعون الشيخ الصوفي ولا يعترضون عليه، ويعتقدون فيه العصمة، ووجوب الانصياع له، والخوف من مغبة مخالفته.

وبتلك التربية الصوفية يضمن الشيوخ عدم اعتراض مريديهم عليهم في انحرافاتهم ومخالفاتهم للشرع والعقل والعلم . فليس من مصلحتهم أن يربوا أتباعهم على خلاف ذلك لأنهم سينكشفون ويُفضحون أمامهم ويكون مريدوهم أول من يكشفهم ويطلع على أسراهم وخفاياهم. ولهذا استخدموا التقية، والتلاعب، والتأويل التحريفي- الباطني-، وأخذوا العهود على أتباعهم بعدم كشف أسرارهم وضلالاتهم .

ولاشك أن تلك التربية لا يُمكنها أن تُكوّن أتباعا وتلاميذ أحرارا يلتزمون بالشرع والعلم والموضوعية. وإنما هي تُكوّن مريدين سلبيين يطبقون ما يُؤمرون به، ولا يعترضون ولا يحتكمون في مواقفهم وتصوفهم إلى الشرع ولا إلى العقل ولا إلى العلم وإنما يحتكمون إلى الشيخ والتصوف فقط . وبهذه الطريقة يستمر التصوف، وتُخفى حقيقته عن الناس. وهي طريقة ليست خاصة بالتصوف وأهله، وإنما هي طريقة تتبعها كل الفرق المنحرفة عن الشرع ، لأنه لا قيام لها إلا بها ، وإلا ستنهار إن هي خالفتها وكونت أتباعا أحرارا يحتكمون إلى الشرع والعقل والعلم.

وإنهاءً لما تقدم ذكره يتبين أن أول مصدر للتلقي عند الصوفية هو الشيخ الصوفي، وصفوه بصفات جعلته فوق البشر، منها أنه معصوم ويعلم الغيب ، بل وهو الله، وتجب طاعته وعدم الاعتراض عليه. فناقشناهم في ذلك

وبينا بطلان ما اعتقدوه في شيوخهم بأدلة الشرع والعقل والعلم. مما يعني أن أول مصدر عند الصوفية يتلقون منه تصوفهم وفكرهم وسلوكهم ، هو مصدر غير شرعي، ولا عقلاني، ولا علمي، وإنما هو مصدر ظني زائف خرافي ، تغلب عليه الهلوسات والظنون ، والتلبيسات النفسية والشيطانية.فهو مصدر لا يصح الاعتماد عليه، ولا الاحتجاج به إلا إذا قام الدليل الصحيح من خارجه يُثبت صحة ما قاله الشيخ الصوفي. فالشيخ بذاته ليس دليلا ولا حجة ، وإنما هو بنفسه يجب أن يُخضع لميزان الشرع والعقل والعلم. مما يعني قطعا أن الفكر الصوفي – في معظمه- ليس فكرا يقينيا،وإنما هو فكر خرافي ومُتعصب للباطل، ويفتقد إلى الموضوعية والحياد العلمي، ويجب غربلته وتمحيصه بمحك الوحي والعقل والعلم قبل الأخذ به .

وأما المصدر الثاني الذي يتلقى منه الصوفية جانبا كبيرا من فكرهم وتصوفهم وسلوكهم ، فهو التاريخ، ويتمثل أساسا في المرويات الإسرائيلية ، وروايات شيوخ الصوفية. وقد اهتم الصوفية بروايات هؤلاء اهتماما كبيرا وبه أسسوا لقسم كبير من أصول التصوف وفروعه وغاياته. وكتبهم مملوءة بأخبار وآثار شيوخ الصوفية ومرويات اليهود والنصارى، منها مثلا المصنفات التي أرخت للتصوف نشأة وتطورا، فكرا ورجالا ، ككتاب التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي، واللمع للسراج الطوسي، والرسالة في التصوف لعبد الكريم القشيري، وحلية الأولياء لأبي نُعيم الأصبهاني، وهو أكبر كتاب في التأريخ للتصوف ورجاله وأفكاره .وغيرها من مصنفات متأخري الصوفية. وهذا الأمر معروف ولا يحتاج إلى توثيق، وقد تضمن كتابنا هذا مئات الروايات المتعلقة بالإسرائيليات وشيوخ الصوفية، فهي وحدها تُثبت ما قلناه، فلا نعيدها هنا[1684].

لكن الملاحظ على المصدر الثاني للتلقي عند الصوفية أنه مصدر يفتقد إلى اليقين والتمحيص والموضوعية بدرجة كبيرة جدا. لأن كل إسرائيلياته تقريبا غير صحيحة لأنقطاع أسانيدها ، فهي ضعيفة من داخلها والغالب عليها أيضا مخالفتها للشرع.

وأما مرويات شيوخهم فهي أيضا تفتقد إلى التحقيق والتمحيص، ونحو نصفها منقطع الأسانيد، والمتصل منها أكثره لا يصح بعد تحقيقه لضعف رواته، ولأن الرواية الصوفية ضعيفة من داخلها لأن رجالها يفتقدون إلى

[1684] مع ذلك أنظر مثلا: أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 257 .

العدالة والضبط لأنهم يعتقدون بالتقية ويسمحون لأنفسهم بتحريف ما يُخالف تصوفهم وقد سبق أن بينا هذا بعشرات الشواهد . هذا فضلا على أن أكثر روايات شيوخهم التي أسست للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته كانت مخالفة للشرع والعقل والعلم .

وبما الأمر كذلك فإن المصدر الثاني للتلقي عند الصوفية لا يصح أن يكون مصدرا للتلقي، لأنه مصدر الغالب عليه مخالفة الوحي والعقل والعلم من جهة، والاعتماد على الروايات الضعيفة والموضوعة أكثر من اعتماده على الصحيحة من جهة أخرى. فهو مصدر مملوء بالأباطيل والخرافات والتعصب الأعمى للتصوف وأهله، وليس فيه من العلمية والحياد والنزاهة إلا القليل .

وأما المصدر الثالث الذي يتلقى منه الصوفية فكرهم وسلوكهم فيتمثل في الروايات الحديثية ، والحديث عندهم على ثلاثة أقسام: الأول يتمثل في الأحاديث الصحيحة التي أخذوها من الكتب السنية وعددها قليل بالنسبة لأحاديث القسمين الآخرين. وهذا القسم لم يكن له دخل في تأسيس أصول التصوف وفروعه وغاياته، وإنما استخدمه الصوفية كشواهد ثانوية لتأييد التصوف وإظهار علاقته بالشرع وأنه امتداد وموافق له. وهذا القسم من الأحاديث ظل في هوامش التصوف ولم يكن له دور في التأسيس للتصوف.ولو كان لهذا القسم دور أساسي وفعال في التأسيس للتصوف ما كان التصوف مخالفا ومعطلا وهادما لدين الإسلام .

وأما القسم الثاني فيتضمن طائفة من الأحاديث النبوية الصحيحة ، لكن الصوفية أولوها تأويلات فاسدة فحرفوها وأخرجوها من سياقها ومعناها الصحيح ووظفوها لخدمة التصوف انتصارا له وتسترا بالإسلام. وهذا القسم قد سبق أن ذكرنا نماذج منه وبينا كيف حرف الصوفية معاني أحاديثه.

والقسم الأخير ضم أحاديث نبوية كثيرة جدا كلها غير صحيحة ، وهي تمثل القسم الأكبر من مجموع الأحاديث التي اعتمد عليها الصوفية. وهذا القسم رواياته مكذوبة من اختلاق الصوفية وأمثالهم من أهل الأهواء.

ومن جهة أخرى فإن رجوع الصوفية إلى الأحاديث النبوية لم يكن الهدف منه البحث عن الصحيح للأخذ به والالتزام بدين الإسلام قلبا وقالبا،

وإنما كان هدفه التأسيس للتصوف والانتصار له والتستر بالإسلام. والدليل علـى ذلـك أن معظـم أحـاديثهم غيـر صـحيحة ، أو حرفوهـا عـن معناهـا الصحيح من ناحية، وأهملوا النقد الحديثي ولـم يُميزوا بين صحيح الحديث مـن سقيمه مـن ناحيـة أخرى. ولهذا فـإن اعتمـاد الصـوفية علـى الروايـات الحديثيـة لا قيمـة لـه شـرعا ولا عقلا ولا علمـا، لأنـه اعتمـاد نفعـي انتهـازي انتقائي هدفه التأسيس للتصوف وهدم دين الإسلام .

وأما المصدر الرابع الذي يتلقى منه الصوفية فكرهم وتصوفهم وسلوكهم ، فيتمثل التلقي من العبد الصالح الخَضِر-عاصر موسى عليه السلام- حسب زعم الصوفية. فقد تظافرت عندهم الروايات أن شيوخهم اتصلوا بالخَضِر قـديما وحـديثا وتلقـوا منـه التصـوف والأوامـر الشـرعية المتعلقـة بالعبـادة الصوفية حسب زعمهم . ولهـم فـي ذلـك أقـوال وأخبـار كثيـرة مبثوثـة فـي مصنفاتهم . فمن ذلك مثلا، قال القشيري: ((سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت منصور بن أحمد الحربـي يقول حكـي لنـا ابـن أبـي شـيخ قـال: سـمعت عمـر بـن سـنان يقـول: اجتـاز بنـا إبـراهيم الخواص، فقلنا لـه: حدثنا بأحب ما رأيتـه فـي أسفارك، فقال: لقينـي الخضـر عليه السلام، فسألني الصحبة، فخشيت أن يُفسد علـيَّ تـوكلي بسكوني إليـه. ففارقته))[1685].

والشاهد الثاني: قـال القشيري : ((سمعت منصوراً المغربـي يقول: رأى بعضهم الخضر -عليه السلام-، فقال له: هل رأيت فوقك أحداً؟ فقـال: نعم، كـان عبـد الـرزاق بـن همـام يـروي الأحاديـث بالمدينـة، والنـاس حولـه يستمعون.فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه علـى ركبتيـه. فقلت لـه: يـا هذا عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.فلِم لا تسمع منـه؟ فقال: إنـه يـروي عن ميت، وأنـا لست بغائب عن الله؟ فقلت: إن كنت كمـا تقول، فمن أنا ؟! فرفع رأسه وقال: أنت أخـي أبو العبـاس الخضـر، فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم))[1686].

والشاهد الثالث: قال أبو طالب المكي: ((وقال بعضهم: قلقني الشوق إلـى الخضر، فسألت اللّٰه تعالى مرة أن يريني إياه، ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء علـي، قـال: فرأيتـه، فمـا غلـب علـى قلبـي ولا همنـي إلا أن قلت لـه: يـا أبـا العبـاس، علمنـي شيئاً إذا قلتـه حجبت عن قلـوب الخليقـة، فلم يكن لـي فيهـا

[1685] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 302.
[1686] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 165 .

قدر، ولم يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال: قل: اللّهم أسبل عليّ كثيف سترك وحط عليّ سرادقات حجبك، واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خليقتك، قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك. قال: فما تركت أن أقول هذه الكلمات في كل يوم. فحُدثت أنّ هذا كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون به في الطريق، يحملونه الأشياء في الطريق لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يولعون به، وكانت راحته في ذلك ووجود قلبه به واستقامة حاله عليه))[1687].

والشاهد الرابع: ذكر الوهاب الشعراني أن الخَضِر كان ((يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة فلما مات (أي أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يرد روح أبي حنيفة إلى قبره حيث يتم له علم الشريعة وأن الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة))[1688] !!!! .

والشاهد الخامس: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((سمعت أبا الحسن بن مقسم يحكي عن أبي محمد الجريري قال سمعت أبا إسحاق(ابراهيم بن أحمد) المارستاني يقول: رأيت الخضر -عليه السلام- فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده: اللهم إني أسألك الإقبال عليك ،والإصغاء إليك ،والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك ،والمواظبة على إرادتك ،والمبادرة في خدمتك ،وحسن الأدب في معاملتك ،والتسليم والتفويض إليك))[1689].

والشاهد الأخير- السادس- : ذكر الهجويري رواية مفاده أن الخضر كان يأتي إلى الصوفي المعروف بالحكيم الترمذي، يأتي إليه ((يوم كل أحد ، وكانا يتساءلان الوقائع))[1690].

وردا عليهم أقول: إن قول الصوفية ببقاء الخضر على قيد الحياة من زمن موسى-عليه السلام- إلى ما بعد النبي-عليه الصلاة والسلام- ، بل وإلى زماننا هذا، وتلقيهم منه التصوف ؛ هو قول باطل قطعا وقد سبق أن أثبتنا ذلك بالأدلة الدامغة في الفصل الثالث. ومما يُبطله أيضا أن تلك الروايات هي نقض لختم النبوة، وتمثل تشريعا جديدا من نبي ظهر بعد خاتم

[1687] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص : 479 . والغزالي: الإحياء ، ج 4 ص: 357 .
[1688] نقلا عن : عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص: 146 .
[1689] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 333 .
[1690] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 353 .

الأنبياء ، وهذا دليل قطعي على بطلان حكاية اتصال الخضر بشيوخ الصوفية وتلقيهم منه التصوف. وبما أن الأمر كذلك فلا معنى من مناقشة الأباطيل الأخرى التي وردت في تلك الروايات. لأن ما بُني على باطل فهو باطل. وهذا يعني أيضا أن المصدر الرابع للتلقي عند الصوفية هو مصدر خرافي ، ولا وجود له ، وإنما هو من أوهام وخيالات الصوفية وتلبيسات الشياطين عليهم.

وأما المصدر الخامس- الذي يتلقى منه الصوفية فكرهم وسلوكهم- فهو القرآن الكريم. لم يكن القرآن عندهم مصدرا أساسيا ، وإنما هو مصدر ثانوي استخدموه لتبرير تصوفهم والانتصار له. ولم يكن عندهم مصدرا للالتزام به وتطبيقه وجعله حَكَما على تصوفهم، وإنما حكموا فيه تصوفهم وحرفوه ليتوافق معه ويُبرر أصوله وفروعه وغاياته. وقد تبين بالأدلة الدامغة أن الصوفية جعلوا القرآن وراء ظهورهم في تقريرهم لأساسيات تصوفهم التي كانت تتناقض تماما مع القرآن . لكنهم استخدموه في هوامش التصوف التي لم يكن لها تأثير في التأسيس للتصوف وتقعيده . كما أنهم كثيرا ما أوّلوا القرآن الكريم تأويلات تحريفية ليتفق مع التصوف. لكن الأصل هنا أن القرآن الكريم لم يكن مصدرا أساسيا ومكونا للتصوف ولا حتى ثانويا مُؤسسا، لأن التصوف كان مخالفا للقرآن في كل أصوله وفروعه وغاياته كما سبق أن بيناه. ولهذا تبين بالأدلة القاطعية أن التصوف كان مُعطلا للقرآن وهادما له. فلو كان القرآن مصدرا أساسيا في التأصيل والتأسيس للتصوف ما كان التصوف هادما له !! .

وأما المصدران الأخيران، فهما: العقل والعلم ، فالعقل عند الصوفية ليس هو العقل البديهي، وإنما هو العقل الصوفي استخدموه وسيلة لتبرير مواقفهم والرد على مخالفيهم وممارسة التقية والتستر بالإسلام لتضليل المسلمين وإخفاء أحوال الصوفية وعقائدهم عنهم. فهذا أهم دور قام به العقل الصوفي انتصارا للتصوف. لكن لم يكن للعقل الفطري دور في تأسيس مفاهيم التصوف المُكونة لأصوله ،وفروعه، وغاياته. وما وُجد منه كان في أطراف التصوف لا في صميمه.

وفيما يخص العلم الصحيح ، فإن الصوفية إن تكلموا عن العلم فليس مقصودهم علوم الوحي والإنسان والطبيعة ، وإنما مقصودهم الفكر الصوفي، فهو عندهم علم ، مع أنه في الحقيقة فكر هادم للوحي والعقل والعلم . والعلم الصحيح الذي كان عندهم لم يتجاوز هوامش التصوف، ولم يكن له دور في التأسيس للتصوف بكل مقوماته .

وإنهاءً لهذا المبحث واستنتاجا منه يتبين جليا أن الصوفية أخذوا فكرهم وتصوفهم وسلوكهم من أربعة مصادر أساسية، هي: الشيخ الصوفي، وروايات الشيوخ والإسرائيليات ، والروايات الحديثية الضعيفة، و أخبارالخَضِر. وهي مصادر تبين أنها ظنية وزائفة ، ولا يصح الاعتماد عليها،ولا يُمكن أن تكون يقينية.

وكانت لهم مصادر أخرى هامشية لم يكن لها أي دور في تأسيس التصوف والتأصيل لمفاهيمه وأفكاره المكونة له ، هي: القرآن الكريم، والحديث الصحيح، والعقل، والعلم. وهي مع أنها مصادر صحيحة ، إلا أن الصوفية أبعدوها لأنها كانت مناقضة للتصوف وهادمة له ، فاستبعدوها وجعلوها وراء ظهورهم .علما بأن مصدرهم الأول هو: الشيخ الصوفي، وبه نَقَضوا مصادر العلم الأساسية: الوحي الصحيح، والعقل الصريح والعلم الصحيح، وبذلك أصبح الصوفي هو النبي ثم هو الله عندما يصل إلى وحدة الوجود حسب زعم الصوفية. وهذا من دون شك هدم للوحي، والعقل، والعلم .

ثانيا: علم الصوفية: منهجا ومضمونا .

زعم الصوفية أن ما عندهم من فكر وتصوف هو علم يقيني تلقاه الصوفية وحصّلوه بالمنهج القلبي الكشفي أثناء ممارستهم للطريق الصوفي حتى وصلوا إلى نهايته بالفناء في الله- وحدة الوجود- . فعلمهم - حسب زعمهم- علم يقيني نوراني رباني يُعرف بعلم الباطن . فما هو منهجهم في التحصيل والاستدلال العلميين، وكيف تعاملوا به مع مصادر العلم ؟ ،وما حقيقة علمهم المزعوم ؟. وما هي الشواهد التي تثبت قولهم بعلم الباطن ؟.

فبالنسبة لمنهجهم التحصيلي الاستدلالي ، وطريقة تعاملهم مع مصادر المعرفة- الشرع، العقل، العلم، القلب – فسنفصلهما فيما يأتي:

أولا ففيما يتعلق بمنهج الصوفية في التحصيل والاستدلال العلميين ، فقد تبين من كتابنا هذا أن الصوفية أقاموا منهجهم على رغباتهم وأحوالهم وخلفياتهم الصوفية ، وبه حصّلوا فكرهم وانتصروا له . وقد ذكرنا على ذلك شواهد كثيرة جدا ، كالتي أوردناها في المبحث السابق المتعلقة بصفات الشيخ الصوفي.

وبما أن منهجهم أقاموه على ذلك المنطلق، فإن هذا يعني أنهم أقاموه على مقدمات ليست يقينية ، مما يعني أن نتائجه ستكون ظنية احتمالية لا يقينية.لأن تلك الأحوال والرغبات والأهواء- المقدمات- كانت تحدث لهم أثناء ممارستهم للطريق الصوفي وتدرجهم في مقاماته، إلى أن يصلوا إلى حالة الفناء في الله حسب زعمهم- الجذبة الصوفية، وحدة الوجود- . وهي حالة لا وعي ، ولا عقل، ولا شرع، ولا علم يُفتقد فيها اليقين والموضوعية، لأنها خليط من القلق والاضطراب، والأوهام والهلوسات، والتلبيسات النفسية والشيطانية، كما يحدث لمتعاطي المخدرات عامة، والمهلوسة منها خاصة. والدليل القاطع على صحة قولنا هذا أنه لا يوجد ولا دليل موضوعي واحد يثبت صحة مزاعمهم من جهة، وقد أقمنا الأدلة القاطعة على مخالفة التصوف للشرع والعقل والعلم من جهة أخرى. مما يعني أن فكرهم الصوفي ليس علما ، ولا فكرا صحيحا.

من ذلك مثلا أن الصوفي الذي يقول بوحدة الوجود يكون متناقضا مع نفسه ومع الشرع والعقل والعلم . بل إنه أصبح مجنونا، وداس على كل الحقائق الشرعية والعلمية والعقلية وتمسك بأوهامه وهلوساته. فهل يعقل أن يكون الله هو الكون ، والكون هو الله حسب زعمهم . ثم أن الله تعالى يأمرنا بعبادته ، فهل الله يعبد نفسه؟؟!!. وهل يُعقل أنه يخلق النار ويُعذب فيها الكفار، وهم جزء منه أو هم هو ؟؟!!. وهل يُعقل أن الله تعالى أخبرنا أنه خلق العالم وأنه سيُدمره وتضطرب أكوانه يوم القيامة ، ويكون الكون هو الله، والله هو الكون حسب زعم الصوفية ، فيكون قد دمر نفسه وأفناها ؟؟،!!!! . وعندما يقتل البشر بعضهم بعضا في الحروب وغيرها فهذا يعني حسب ضلالهم أن الله يكون قد قتل نفسه !!!!! . ولماذا كان الصوفية وما يزالون يُخفون عقيدتهم في وحدة الوجود خوفا من المسلمين ؟؟، فبما أنهم هم الله ومن مظاهره وتجلياته فيجب عليهم أن لا يخافوا غيرهم لأنهم هم الله حسب زعمهم ، والذين يخافونهم هم أيضا من الله فهل يعقل أن يخاف الله من الله ؟؟. وأليس من يعتقد بهذه الأوهام والهلوسات والجنونيات مريض ومُهلوس؟؟، وأليس من يقول بذلك قد هدم الشرع والعقل والعلم ، ورمى بنفسه في أحضان الأهواء والرغبات، والظنون والهلوسات، والتلبيسات الشيطانية ؟. وأليس من ذلك حاله وفكره هو شاهد على بطلان علمه المزعوم ؟؟. وأليس من ذلك حاله فإن علمه المزعوم لن يكون يقينيا منطلقا ولا نتيجة؟؟.

وثانيا ففيما يتعلق بمنهج الصوفية في تعاملهم مع الشرع والعقل والعلم، فقد تبين من بحثنا هذا أنهم تعاملوا مع تلك المصادر بمنهج واحد منطلقه الدين التصوفي ،وهو الخلفية العقدية التي نظروا بها إليها . وهذا الاعتقاد تبنوه بعيدا عن الشرع والعقل والعلم، ثم حَكّموه في هذه المصادر. ويمكن بيان طرق تعاملهم معها فيما يأتي:

الطريقة الأولى إبعاد الوحي والعقل والعلم تماما ، وقد استخدمها الصوفية في التأسيس لأصول التصوف وفروعه وغاياته الأساسية. ولهذا كان التصوف هادما للوحي والعقل والعلم. فهذه المصادر لم تُؤسس للتصوف، لأن الصوفية استبعدوها، لعلمهم بأن تصوفهم لا تقوم له قائمة إن هم محصوه بميزان الشرع والعقل والعلم.

والطريقة الثانية التعامل مع تلك المصادر بالتأويل التحريفي ، بممارسة التغليط والتلبيس ، والتدليس والتحايل لتطويعها وجعلها في خدمة التصوف وأهله.
والطريقة الأخيرة- الثالثة- ممارسة الانتقاء بالبحث عن الشواهد الموجودة في تلك المصادر التي قد تتفق مع جوانب هامشية في التصوف من باب الاتفاق أو التقاطع؛ ثم توظيفها لتعضيد التصوف والانتصار له بدعوى أنه لا يتناقض مع الشرع ولا مع العقل، ولا مع العلم، مع أن الحقيقة خلاف ذلك تماما .

وأما فيما يخص القلب كمصدر من مصادر العلم ، فالصوفية تعاملوا معه بمنهجهم أيضا، فجهلوه هو المصدر الأول والأساسي الذي يتلقون منه تصوفهم وفكرهم وغالوا في تعظيمه كمصدر يقني عندهم[1691]. لكن الحقيقة ليست كذلك ، لأن من الثابت شرعا وواقعا أن القلب من وسائل التحصيل العلمي، لكنه محكوم بوسائل التحصيل المعرفية الأخرى. فهو وإن كان يتعرف على أحوال الإنسان الداخلية بالإحساس الوجداني، فإنه من جهة أخرى يتلقى العلم بالعقل والسمع والبصر والتجارب. ومعارفه تنمو بناء على ما يبذله الإنسان من جهود في التحصيل العلمي. قال تعالى : ((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل: 78)). فالقلب معارفه منها ما هي فطرية ،

1691 سبق أن ذكرنا طائفة من أقوال الصوفية المتعلقة بالقلب ، وسنذكر طائفة أخرى لاحقا من هذا المبحث .

كالبديهيات ، ومنها ما هي كسبية وتمثل معظم علومه ، وهي تقوم أساسا على معارفه الفطرية وتفاعل الإنسان مع مجتمعه والطبيعة أيضا ، استجابة لحاجياته المتنوعة التي هو فيها مجبر على الاستجابة لها . فما يتلقاه القلب من معلومات وخبرات هي نسبية كالتي يتلقاها العقل ، بمعنى أنها ليست يقينية ، وإنما هي نسبية تتضمن الصحيح والخطأ ، والمُحتمل، والراجح والمرجوح .

لذلك فإن الصوفية لم يتعاملوا مع القلب معاملة صحيحة، وإنما غالوا فيه وجعلوه مصدرا يقينيا لعلومهم أثناء ممارستهم للطريق الصوفي وبلوغ نهايته . وهذا غير صحيح قطعا ، وسنورد الأدلة القطعية على بطلان زعمهم هذا لاحقا ضمن هذا المبحث. لكن القوم بالغوا في ذلك إما جهلا بحقيقة القلب ونسبيته في التحصيل العلمي، وإما تعمدا لغاية في نفوسهم للتهرب من حجج الشرع والعقل والعلم ، وتقرير تصوفهم والتأسيس له خارج تلك المصادر . وبذلك يُمررون تصوفهم ويحتالون على منتقديهم ، بدعوى أن منهج القلب يختلف عن منهج الشرع والعقل والعلم.

وثالثا فبالنسبة لمنهج الصوفية في تعاملهم مع الروايات التاريخية والحديثية من جهة التمحيص والنقد، والحرص على تحصيل صحيح الأخبار دون سقيمها ، فإن منهجهم لم يكن كذلك[1692]، ولا كان علميا في تعامله مع المرويات. وتفصيل ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول يتعلق بإهمال الصوفية للنقد التاريخي وعدم حرصهم على طلب صحيح الروايات دون ضعيفها، وقد سبق أن ذكرنا على ذلك روايات كثيرة جدا، وهنا نزيد ذلك إثراءً وتوسيعاً ، تعميقاً وتأكيدا بالشواهد الآتية:

أولها: عندما جعل الحارث المحاسبي المال أصلا عظيما من أصول الفساد ، وأورد روايات حديثية وأخرى تاريخية عن بعض الأنبياء ذكرها من دون إسناد مكتفيا بقوله: بلغنا، وقال[1693] . من ذلك قوله: ((وقد حذر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فتنة العالم المؤثر للدنيا .بلغنا أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: ((" الفقهاء أمناء الرسل ...." . وقال عليه

[1692] إلا في حالات نادرة وقليلة جدا مارس فيها بعض محدثي الصوفية نقد روايات بإيجاز شديد ، كما فعل أبو نعيم الأصبهاني في حليته؛ لكنه من جهة أخرى ضرب صفحا عن مئات ، بل ربما آلاف الروايات سكت عنها ولم يُحققها. وقد ذكرنا منها شواهد كثيرة في كتابنا هذا نقلناه عن أبي نُعيم الأصبهاني.
[1693] المحاسبي: الوصايا ، ص:69 ، وما بعدها .

السلام: " لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ....))[1694]. حتى أن المحاسبي استخدم عبارة بلغنا ست مرات في صفحة واحدة بلا أسانيد ،منها مرة عن النبي، ومرة عن بعض الصحابة، ومرة عن بعض أهل العلم، ومرة عن داود وعيسى عليهما السلام[1695].

وأقول: ذلك المنهج الذي أتبعه المحاسبي ليس هو منهج الإنسان الذي يبحث عن الدين الحق ، ولا الذي يبحث عن اليقين والصحيح من الأخبار ، ولا الذي يتأكد لدينه ويحرص على الالتزام به؛ وإنما هو منهج الإنسان المُتعصب لعقيدته وأفكاره بالباطل، همه الوحيد الانتصار لها بكل ما يستطيع، حتى بالأباطيل والروايات المكذوبة . وصاحب ذلك المنهج لا يطلب الحق ولا الصواب ، وإنما يبحث عن أي شيء يحتج به لدينه .

لذلك لا يحق للمحاسبي وأمثاله أن ينسب أقوالا للنبي-عليه الصلاة والسلام- وهو لم يتحقق من صحتها . وإذا كان لا يحق له ينسب أخبارا أو أفكارا إلى أي شخص عادي لم يتحقق منها ، فمن باب أولى أن لا يحق له أن ينسب أقوالا إلى الرسول- عليه الصلاة والسلام- ولم يتأكد من صحة نسبتها إليه.

فكان على المحاسبي أن يحرص على رواية الأحاديث الصحيحة بالاعتماد على المحققين من المحدثين وقد كانوا كثيرين في زمانه ، أو يجتهد لتحقيقها بنفسه وفق منهج نقد الحديث إسنادا ومتنا . وهذه الطريقة التي اتبعها الحارث المحاسبي- في عدم تحقيقه للروايات- هي نفسها التي أتبعها الصوفية من بعده ، مما يدل على أن القوم أهملوا تحقيق الأخبار منذ نشأتهم . فلم تكن تهمهم صحة الرواية من ضعفها، وإنما كان يهمهم استخدامها لخدمة أفكارهم وتصوفهم. وهذا السلوك ليس خاصا بهم، وإنما هو ينطبق أيضا على غيرهم من أهل الأهواء الذين كان همهم جمع الأخبار لتأييد عقائدهم ، كالمعتزلة والشيعة الإمامية[1696].

والشاهد الثاني: قال أبو عبد الرحمن السلمي : سمعت أبا بكر الرازي ، يقول: ((سمعت ابن عطاء، يقول: " لما عصا آدم بكى عليه كل شيء في الجنة، إلا الذهب والفضة؛ فأوحى الله تعالى إليهما: لِمَ لمْ تبكيا على آدم؟.

[1694] المحاسبي: الوصايا ، ص:73 .
[1695] المحاسبي: الوصايا ، ص:74 .
[1696] عن >لك أنظر مثلا: خالد كبير علال: مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه . و جناية المعتزلة على الشرع والعقل.

فقالا: ما كنا نبكى على من يعصيك. فقال عز وجل: وعزتى وجلالى! لأجعلن قيمة كل شيء بكما، ولأجعلن ابن آدم خادماً لكما))[1697].

وأقول: كلامه هذا هو قول على الله بلا علم، وتعمد في رواية الأخبار المختلقة، ولا يحق له أن يرويه . لأن ما رواه لا يُمكن أن يقوله إلا الله تعالى عن نفسه، أو يرويه عنه رسوله، وبما أن ابن عطاء لم يسنده إلى النبي، ولا هو موجود في القرآن ، ولا عنده إسناد يوصله إلى مصدره ، فإن ما رواه لا يصح، وقول على الله تعالى بلا علم، واستهزاء بالناس، وجرأة على رواية الأباطيل، وشاهد على عدم اهتمام الصوفية برواية صحيح الأخبار دون سقيمها.

والشاهد الثالث: يقول ذو النون المصري: ((أوحى الله إلى داود -عليه السلام- : من طالبني قتلته في هواي شوقا إلى لقاي ،ومن أحبني أحببته ، أي أشغفته حتى لا صبر له دوني))[1698].

قوله هذا لا يرويه عن الله تعالى إلا نبي، وبما أن ذا النون ليس نبيا، ولا ذكر له مصدرا لنتحقق منه ، فروايته هذه لا تُقبل منه ، ولا يحق له أن يتعمد روايتها مع علمه بعدم ثبوتها، خاصة وأنها تتعلق بكلام منسوب إلى الله تعالى .

والشاهد الرابع: روى أبو عبد الرحمن السلمي عن الصوفي بنان الحمال الواسطي ثم المصري (ق: 4 هـ) ، أنه قال :((إن اللّه تعالى خلق سبع سموات، فى كل سماء له خلق وجنود، وكل له مطيعون؛ وطاعتهم على سبع مقامات: فطاعة أهل السماء الدنيا على الخوف والرجاء. وطاعة أهل السماء الثانية على الحب والحزن. وطاعة أهل السماء الثالثة على المنة والحياء. وطاعة أهل السماء الرابعة على الشوق والهيبة. وطاعة أهل السماء الخامسة على المناجاة والإجلال. وطاعة أهل السماء السادسة على الإنابة والتعظيم وطاعة أهل السماء السابعة على المنة والقربة)) [1699].

وأقول: تلك الرواية تشهد على صاحبها أنه يتكلم بلا علم، ولا قيمة عنده للتحقيق والحرص على رواية الأحاديث الصحيحة دون الضعيفة. إنه رواها

[1697] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 210 .

[1698] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص:33 .

[1699] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، ص: 225.

بلا إسناد، ولا ذكر مصدره الذي أخذها منه. فنسب إلى الله تعالى ما لم يثبت أنه فعله .

ولاشك أن من لا يحرص على تحقيق الأحاديث النبوية، والتأكد من صحتها فهو يُقدم الدليل الدامغ على حقيقته بتقديم رغباته وأهوائه وأقوال شيوخه على الله ورسوله. فلو كان هذا الرجل وأمثاله حريصا فعلا على التمسك بالكتاب والسنة لحرص على تحقيق السنة، وعلى عدم القول على الله بلا علم . فكيف سمح هؤلاء الصوفية لأنفسهم بأن يتخذوا روايات ضعيفة أو مكذوبة دينا يتدينون بها من جهة، ويُخالفون بها الصحيح من الشرع في أكثر مواقفهم وأصولهم من جهة أخرى ؟؟!! .

ومن غرائب هذا الصوفي وأصحابه أنهم اهتموا كثيرا في كتبهم بِخُلُق الصدق ، لكنهم من جهة أخرى لم يحرصوا على رواية الأخبار الصادقة، ولا اهتموا بتحقيق الروايات لتمييز صحيحها من ضعيفها . بل إنهم كانوا من أكثر الناس هدما للصدق عندما مارسوا التقية تضليلا وتلبيسا على المسلمين، وعندما تعمدوا رواية الأخبار الضعيفة، وكثير منها هم الذين اختلقوه[1700] . فلا يجتمع هذا الفعل مع دعوى الصدق وكثرة الاهتمام به، فهل هو صدق يقوم على الأهواء والرغبات ؟؟. نعم إنه صدق نفعي ذرائعي انتهازي يقوم على عقيدة التقية، التي تندرج ضمن مقولة: الغاية تُبرر الوسيلة.

والشاهد الخامس: قال أبو طالب المكي: ((وقد حُدثنا عن الله تعالى أنه أوحى إلى بعض أوليائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها))[1701].

وأقول: إن ما فعله الرجل مرفوض شرعا وعقلا وعلما، لأنه نسب كلاما إلى الله من دون دليل ، ولا ذكر له إسنادا لنعرف مصدره . ومن هذا الولي الذي أوحى الله إليه ذلك الكلام ؟، إن كان نبيا فيجب نعرفه ليقبل منه ، وإن لم يكن نبيا فلا يصح له أن ينسب ذلك إلى الله تعالى. فمن أين له بذلك وهو ليس نبيا ، وليس عنده دليل يُثبته ؟؟.

[1700] سنذكر لاحقا بعض رواتهم الضعفاء والذين كانوا يختلقون المرويات، وقد سبق أن ذكرنا بعضهم ، كأبي عبد الرحمن السلمي.
[1701] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 253 .

وكلامه هذا هو قول على الله تعالى بلا علم، وجرأة على رواية المرويات الضعيفة والموضوعة ، فمن أين له به ؟. وقد بحثتُ كثيرا عن مصدر هذا المقولة فلم أجدها ولا عثرت عليها في مصنفات الحديث ولا علم الجرح والتعديل ولا في غيرها من المصنفات. مما يعني أن الرواية مُختلقة، أو مركبة ، لأني عثرت على قول مفاده: ((لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت)) رفعه بعض الرواة ولا يثبت، وإنما هو قول لبلال بن سعيد[1702].

وبذلك يتضح أن أبا طالب المكي لم يكن يهمه صحة الحديث، وإنما الذي يهمه هو تأييد التصوف والدفاع عنه، والانتصار له بأية رواية كانت. والرجل استخدم التلبيس والتلاعب، فلم يقل : إن الله أوحى إلى أحد انبيائه، وإنما قال: بإنه أوحى إلى بعض أوليائه. وهذا فعل مرفوض، لأن الله تعالى يوحي إلى أنبيائه لا إلى أوليائه فهذا هو الأصل ، فإذا ما أوحي إلى بعض أوليائه كما أوحى إلى مريم بواسطة جبريل فهذا استثناء، لا يثبت إلا بدليل قطعي من الوحي. ولا يصح تعميمه على غيرها بدعوى أنه من أولياء الله، ما لم يقم الدليل القطعي على حدوثه. والرجل لم يقدم أي دليل يُثبت قوله، وإنما اكتفى برواية زعمه بقوله: " حُدثنا " ، وهذا عمل لا يعجز عنه أحد، وليس دليلا ولا عِلما ولا حجة، ولا يصح الاحتجاج به أصلا.

والشاهد السادس: قال القشيري : ((أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، رحمه الله، قال: أخبرنا محمد ابن أحمد العبدي، قال: أخبرنا أبو عوانة، قال: حدثنا يونس، قال: حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص، عن محمد بن النضر الحارثي، قال: أوحى الله سبحانه، إلى موسى -عليه السلام- : كن يقظاناً مرتاداً لنفسك أخداناً. وكل خدن لا يؤاتيك على مسرّة فاقصه. ولا تصحبه؛ فإنه يقسي قلبك، وهو لك عدو، وأكثر من ذكري تستوجب على شكري والمزيد من فضلي))[1703].

وأقول: إنه من الجريمة في حق الله تعالى وأنبيائه ان ننسب إليه أو إلى أي نبي قولا من دون التأكد من صحته إسنادا ومتنا . لكن القشيري روى الخبر وكأن الأمر عادي تماما ، فأوقف الإسناد عند أحد شيوخ الصوفية، وبينه وبين مصدر الخبر انقطاع كبير لا يُمكن وصله ، يمتد قرونا كثيرة . وهذا عمل مرفوض شرعا وعقلا، وليس من العلم في شيء. لكن القشيري

[1702] العقيلي: الضعفاء الكبير ، ج 1 ص: 425 .

[1703] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة ، ج 2 ، ص: 461.

وأصحابه لا يهمهم التحقيق ولا التمييز بين صحيح الروايات من ضعيفها ، وإنما الذي يهمهم هو التأسيس للتصوف والانتصار له حتى وإن كانت الروايات مكذوبة ، بل ومستحيلة الحدوث أيضا !!.

وإذا قيل: إن الراوي ربما قرأ الخبر من كتب اليهود والنصارى، ثم رواه دون أن يُوثقه، فهذا غير مقبول أيضا. لأن كتب اليهود المقدسة قام الدليل الشرعي والعلمي والتاريخي على أنها تعرضت للتحريف[1704]. ولهذا نسخ الله تعالى التوراة والإنجيل وختم رسالاته بالقرآن الكريم الذي تولى الله حفظه بنفسه سبحانه وتعالى. فحتى وإن قرأه من كتب أهل الذمة فلا يحق له ولا لغيره من الصوفية أن ينسبوا إلى الله وأنبيائه أقوالا من تلك الكتب.

والشاهد الأخير- السابع- مفاده أن الصوفية رووا أخبارا مستحيلة، فلم ينقدوها ولا استبعدوها ، وإنما صدقوها وسكتوا عنها، ووظفوها في تأسيسهم للتصوف والانتصار له. وعملهم هذا مرفوض وباطل قطعا، وليس من الشرع ،ولا من العقل ،ولا من العلم في شيء. والروايات الآتية تُثبت ما قلناه .

أولها : قال القشيري: ((سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي: أقام بمكة أربع سنين لم يأكل، ولم يشرب، إلى أن مات))[1705] **!!**.

والرواية الثانية : روى السراج الطوسي ، عن الصوفي أبي عبد الله الحصري ، قال: ((رأيت رجلا مكث سبع سنين لم يشرب الماء))[1706]**!!** .

وأقول: هل يُعقل أن إنسانا يستطيع أن يمتنع عن الأكل والشرب أربع سنين ، أو لا يشرب سبع سنين؟؟ **!!** . هذا مستحيل الحدوث عقلا ، وواقعا ،وعلما ، ومن يُصدق بذلك فقد تخلى عن عقله، وارتمى في أحضان الخرافات . ومن حقنا رفضها مُطلقا من دون نقاش ، ومن يُصدقها فقد داس على العقل والعلم وتعلّق بالأساطير.

[1704] أشار القرآن الكريم إلى ذلك في عدة آيات . ومن الكتب العلمية توسعت في ذلك كتاب الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة للطبيب الفرنس موريس بوكاي. وكتابه منشور ورقيا وإلكترونيا .

[1705] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 34 .

[1706] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 408 .

والرواية الثالثة: ذكر الهجويري أن الصوفي عسكر النخشبي الخراساني(245هـ) ، كان كثير السياحة فمات ببادية تسمى البصيرة، وبعد بضع سنوات وُجد يابسا واقفا على قدميه ووجهه إلى القبلة، وماسكا بعصاه ، و" لم يحم حوله أي سبع من السباع"[1707].

وأقول: هذا الخبر مستحيل الحدوث من الناحية الواقعية والعلمية، لأنه لا يُمكن أن يموت الرجل في البادية ولا تأكله الحيوانات المفترسة فيبقى فيها سنوات حتى ييبس . كما أنه يستحيل أن يموت ولا يتحلل جسمه بفعل الجراثيم والبكتريا والديدان، ومن ثم سيسقط قطعا. ومن المستحيل أيضا أن يموت ويبقى واقفا ولا يسقط ولا يتحلل بفعل عوامل التعرية من أمطار، ورياح ، وثلوج، وحرارة . والشاهد على صحة ما قلناه أيضا وبطلان ما رواه الهجويري، هو أن اثنين من مؤرخي الصوفية ، هما: أبو طالب المكي، وأبو نُعيم الأصبهاني ذكرا أن عسكر النخشبي توفي في البادية سنة 245 هـ ، فنهشته السباع، ولم يذكرا أنه بقي بضع سنين واقفا ولم تنهشه السباع[1708].

فما معنى ذلك ؟، إنه يعني أنه وُجد من الصوفية من كان يتعمد التلاعب بأخبار شيوخ الصوفية، ويروي المستحيلات على أنها من كراماتهم . يروونها عن سبق إصرار وترصد لغايات في نفوسهم . فمن الخطأ الفاحش الإيمان بمثل تلك الروايات ،لأنها مخالفة لسنن الطبيعة والعمران البشري التي أَحكَم الله تعالى بها هذا الكون كله.

والرواية الرابعة: قال أبو بكر الكلاباذي : ((قال إبراهيم بن شيبان: وافاني بعض المريدين فاعتل عندي أياما، فمات، فلما أن أُدخل في قبره، أردت أن أكشف خده وأضعه على التراب تذللا؛ لعل الله يرحمه، فتبسم في وجهي، وقال لي: تذللني بين يدي من يدللني؟ قال: قلت: لا يا حبيبي، أحياة بعد الموت ؟! فأجاب: أما علمت أن أحباءه لا يموتون، ولكن ينقلون من دار إلى دار))[1709].

إسنادها لا يصح، لأن من رواته: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلاباذي (ت 380 هـ): لم أعثر له على حال جرحا ولا تعديلا، لكن الأصل في رواة الصوفية التضعيف لا التوثيق، بحكم قولهم بالتقية

[1707] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 334 .

[1708] طبقات الصوفية، ص: 54 .و أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 220 .

[1709] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 175 .

وتعمدهم مخالفة الشرع والعقل والعلم كما سبق أن بيناه. ومن هذا حاله فهو ضعيف من دون شك حتى يقوم الدليل القطعي خلاف ما ذكرناه.

وأبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسيني(ت 337 هـ) : لم أعثر له على حال جرحا ولا تعديلا، فهو مجهول الحال ، هذا فضلا على أنه صوفي ، فهو ضعيف حتى يثبت العكس كما بيناه أعلاه.

وأما متن هذه الرواية فهو غير صحيح من دون شك، وسنعلق عليه ضمن نقدنا لمتن الرواية الخامسة، لأن موضوعهما واحد .

والرواية الأخيرة- الخامسة وهي امتداد للرابعة – قال الكلاباذي:((يشهد لصحة ذلك: ما حدثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الفارسي، حا نصر ابن أحمد البغدادي، ح الوليد بن شجاع السكوني، عن خالد بن نافع الأشعري، عن حفص بن يزيد بن مسعود بن خراش: أن الربيع بن خراش كان حَلَف أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار؟ فمكث لا يراه أحد يضحك حتى مات - فيما يروون -، فأغمضوه، وسجوه، وبعثوا إلى قبره ليحفر، وبعثوا إلى كفنه فأتى به، فقال ربعي بن خراش: رحم الله أخي، كان أقومنا في الليل الطويل، وأصومنا في اليوم الحار "، قال: فإنهم لجلوس حوله، إذ طرح الثوب عن وجهه، فاستقبلهم وهو يضحك! فقال له أخوه ربعي: يا أخي، أبعد الموت حياة "؟! قال: نعم؛ إني لقيت ربي، وإنه تلقاني بروح وريحان، ورب غير غضبان،وإنه قد كساني سندسا وحريرا، ألا وإني وجدت الأمر أيسر مما ترون، فلا تغتروا؛ فإن خليلي محمدا ﷺ ينتظرني ليصلي علي، الوَحَى الوَحَى، ثم خرجت نفسه في آخر ذلك كأنها حصاة قذفت في ماء، فبلغ ذلك عائشة أم المؤمنين، فقالت: اخو بني عبس رحمه الله، سمعت رسول الله يقول: {يتكلم رجل من أمتي بعد الموت، من خير التابعين))[1710].

وإسنادها لا يصح ، لأن من رجاله: الكلاباذي ،بينا أنه ضعيف في الرواية السابقة. و الوليد بن شجاع السكوني، قيل فيه : ثقة، لا يُحتج به[1711]. وخالد بن نافع الأشعري: ضعيف ، ليس بقوي[1712]. و حفص بن يزيد بن مسعود بن خراش : مجهول الحال، لأن ابن أبي حاتم أورده في كتابه

[1710] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 176 .
[1711] الذهبي: المغني في الضعفاء، ج ص: 379 .
[1712] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 3 ص: 353 .

الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1713]. والإسناد منقطع بينه وبين الربيع بن خراش، لأنه لم يصرّح بالسماع منه ولا بالمشاهدة.

وأما الحديث الذي ورد في الرواية ، فهو أيضا لا يصح إسنادا بحكم عدم صحة إسناد الرواية التي تضمنته . لكنه ورد من طرق أخرى أحصيت منها أربعة طرق .
أولها: قال البيهقي: ((أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن علي الوراق حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال أتيت فقيل لي إن إخاك قد مات فجئت فوجدت أخي مسجى عليه ثوب فأنا عند رأسه استغفر له وأترحم عليه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال: السلام عليك، فقلت: وعليك، فقلنا: سبحان الله أبعد الموت قال بعد الموت إني قدمت على الله عز وجل بعدكم فتلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون ولا تتكلوا إني استأذنت ربي عز وجل أن أخبركم وأبشركم فاحملوني إلى رسول الله، فقد عهد إلي أن لا أبرح حتى ألقاه ثم طفي كما هو" . هذا إسناد صحيح لا يشك حديثي في صحته))[1714].

وإسنادها لا يصح، لأن من رواته: عبيد الله بن موسى بن باذام العبسي الكوفي (ت213 هـ)، قيل فيه : صاحب تخليط، حدث بأحادث سوء، أخرج أحاديث ردية ، ثقة ، صدوق ، حسن الحديث ، مُتشيع، روى أحاديث مُنكرة في التشيع فضعفه بذلك كثير من الناس. متروك، مُضطرب الحديث ، ليس بقوي الحديث . مُفرط في التشيع . شيعي مُحترق ، كان شيعيا مُتحرقا، نهى أحمد بن حنبل عن التحديث عنه. وقال يعقوب بن سفيان: ((شيعي ، وإن قال قائل: رافضي ، لم أنكر عليه وهو منكر الحديث)) .و قال الجوزجاني : عبيد الله بن موسى: ((أغلى وأسوأ مذهبا ، وأروى للعجائب)). كان مضطربا اضطرابا قبيحا في حديثه عن سفيان الثوري[1715].وقد جعله الشيعة من رجالهم[1716].

1713 ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 3 ص: 188 .

1714 البيهقي: دلائل النبوة، ج 6 ص: 454 .

1715 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم : 97 ، ج 6 ص: 38 و م بعدها. و تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 460 . و الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 5400 ، ج 5 ص: 12 .

1716 أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 3200 ، ج 1 ص: 401 . و محمد جعفر الطبسي: رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 76 ، ج 1 ص: 440 .

وعبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي الكوفي أبو عمرو المعروف بالقبطي ، قيل فيه : ثقة، مُخلط، ليس بحافظ، مضطرب الحديث جدا، كثير الغلط ، ضعيف[1717]. وهو هنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث.

والطريق الثاني : قال البيهقي:((أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أخبرنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال توفي أخي وكان أصومنا في اليوم الحار... قال: فذكرت ذلك لعائشة فقالت: قد بلغنا أنه سيكون في هذه الأمة رجل يتكلم بعد موته))[1718].

وإسناده لا يصح ، لأن من رواته: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي (ت 160 أو 165 هـ)، قيل فيه : ثقة ، ضعيف من جهة ضبطه، اختلط في آخر عمره[1719]. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

وعبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي الكوفي أبو عمرو المعروف بالقبطي : ثقة، مُخلط، ليس بحافظ، مضطرب الحديث جدا، كثير الغلط، ضعيف[1720]. وهو هنا قد عنعن ولم يصرح بالتحديث، فالحديث لا يصح من طريقه.

والطريق الثالث: قال البيهقي: ((وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا سريج بن يونس حدثنا خالد بن نافع حدثنا علي بن عبيد الله الغطفاني وحفص بن يزيد قالا: بلغنا ابن حراش كان حلف... قال: فبلغ ذلك عائشة -رضي الله عنها- فقالت: صدق اخو بني عبس رحمه الله سمعت رسول الله يقول: " يتكلم رجل من امتي بعد الموت من خير التابعين"))[1721].

وإسناده لا يصح، لأن من رجاله: خالد بن نافع الأشعري: ضعيف ، ليس بقوي[1722]. وعلي بن عبيد الله الغطفاني أبو عاصم، وحفص بن يزيد ، الأول ثقة، لا بأس به[1723]. والثاني تقدم حاله وبينا أنه مجهول الحال . لكن

1717 الذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 196 . وابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 285 .

1718 البيهقي: دلائل النبوة، ج 6 ص: 454 – 455 .

1719 ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 144 . والذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 183 .

1720 الذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 196 . وابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 5 ص: 285 .

1721 البيهقي: دلائل النبوة، ج 6 ص: 455 .

1722 ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج 3 ص: 353 .

1723 ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 6 ص: 194 .

الإسناد لا يصح من جهتهما ، لأنهما لم يصرحا بالتحديث، وإنما قالا: بلغنا . وهذه الكلمة هي أخت زعموا . فالإسناد منقطع من طريقهما.

والطريق **الأخير- الرابع -** : قال البيهقي: ((أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج حدثنا مطين حدثنا إبراهيم بن الحسن التغلبي حدثنا شريك عن منصور عن ربعي قال مات الربيع ... قال فذكر لعائشة قالت صدق ربعي سمعت رسول الله يقول" من امتي من يتكلم بعد الموت")) [1724].

وإسنادها لا يصح، لأن من رواته: شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي القاضي (109-177هـ)، قيل فيه : ثقة، ليس بشيء عند يحيى القطان تركه وضعف حديثه جدا، غير مُتقن و يغلط ، مُخلط ، صدوق، له مناكير، لس بالقوي، كثير الخطأ ، سيء الحفظ جدا. قال ابن المبارك : شريك ليس حديثه بشيء .قال الجوزجاني: سيء الحفظ، مُضطرب الحديث ، مائل. كان شريك لا يبالي كيف حدث، كان يُدلس . نُسب إلى التشيع المُفرط ، و قدُ حكي عنه خلاف هذا، فقيل كان يُقدم عليا على عثمان لا على الشيخين. كان مشهورا بالتدليس. عده ابن قتيبة من رجال الشيعة[1725] . وقال الأزدي : ((كان صدوقا إلا أنه مائل عن القصد غالي المذهب سيء الحفظ كثير الوهم مضطرب الحديث))[1726].

وقال أبو داود الدهان : ((سمعت شريك بن عبد الله يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر))[1727] . فعلق الذهبي على ذلك بقوله : ((ولا ريب أن هذا ليس على ظاهره ، فإن شريكا لا يعتقد قطعا أن عليا خير من الانبياء ما بقى إلا أنه أراد خير البشر في وقت ، وبلا شك هو خير البشر في أيام خلافته))[1728]. وتبريره هذا صحيح إن كان شريك سنيا مُتشيعا ، وأما إن كان شيعيا إماميا ، فهو يقول بذلك، لأن الإمامية قد فضلوا أئمتهم على الأنبياء، عندما جعلوهم يعلمون ما كان وما سيكون ،و غالوا فيهم غلوا كبيرا[1729]. فإن صح هذا فواضح منه أن الرجل كان رافضيا غاليا في التشيع والرفض والسبئية بلغ به الأمر إلى تكفير من يخالف موقفه الفاسد . وأما ما

[1724] البيهقي: دلائل النبوة، ج 6 ص: 455 .

[1725] المعارف ، ص: 139 .

[1726] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص:232 . و أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 225 ، رقم: 1159. و العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 196 ، رقم: 285 .

[1727] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 5 ص: 7.

[1728] الذهبي: ميزان الاعتدال ، ج 3 ص: 231 .

[1729] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 486 و ما بعدها، 489 و ما بعدها، ج 2 ص: 118 و ما بعدها . و ابن بابويه : الأمالي، ج 3 ص: 330 . و الطبرسي : الاحتجاج ، ج 2 ص: 333 .

رُوي أنه لم يكن غاليا وكان يحط على الرافضة، فهو إما أنه فعل ذلك تقية على طريقة الإمامية لتضليل أهل السنة، حتى أن أحمد بن حنبل عندما سُئل عن موقف شريك من علي وعثمان قال : لا أدري[1730]. فهذا شاهد على أن الرجل كان يجتهد على إخفاء حاله. اللهم إلا إذا كان قال ذلك في مرحلة من حياته ثم غير موقفه. وأما الشيعة الإمامية فهم أيضا جعلوه من رجالهم، و من أصحاب بعض أئمتهم ، ورووا عنه روايات إمامية في كتبهم الخاصة بهم[1731].

والراوي الثاني: منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي (ت 132هـ)، سبق تفصيل حاله وبينا أنه ضعيف .

وخلاصة نقدنا لطرق ذلك الحديث هو أنه خبر آحاد، و لم يصح بكل طرقه التي أوردناها .

وأما متناً ، فإن الحادثتين - كما وردتا في الروايتين الرابعة والخامسة- باطلتان من دون شك ، لأنهما مخالفتان للشرع ولسنة الله في خلقه ، ومن الخطأ الفادح ترك حقائق الشرع والعقل والعلم والتمسك برواية ظنية ، لعل صاحبها أخطأ ، أو نسي ، أو تعمد اختلاقها لغاية في نفسه . فمن الجريمة في حق العقل والعلم والشرع ترك اليقين والتصديق والتمسك بالخرافات والأباطيل. فهما حادثتان مرفوضتان ومن حقنا رفضهما بل من الواجب رفضهما ، لمخالفتهما الشرع والواقع والعلم. لأن الإنسان عندما يموت لن تعود إليه روحه كائنا من كان إلى أن تقوم القيامة . بدليل قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الزمر : 42))،و((لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)المؤمنون: 100)). فكل النفوس التي تموت يُمسكها الله تعالى ولن تعود إلى الجسد ، وتبقى في حياة البرزخ إلى يوم القيامة. فعجبا من رواة الصوفية كيف يسمحون لأنفسهم برواية أخبار ظاهرة البطلان،ومخالفة للشرع مخالفة صريحة.!!.

وأما قول الأولى بأن الصوفي الميت قال: إن احباءه لا يموتون .. فهذا دليل دامغ على بطلان الرواية. لأن كل البشر عندما يموتون يُنقلون من دار

[1730] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 225 ، رقم: 1159.

[1731] أنظر مثلا: أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج، ج 2 ص: 199 و ما بعدها. و أحمد الرحماني الهمداني: الإمام علي، ترجمه عن الفارسية حسين استادولي، ج 1 ص: 243 . و المفيد : الفصول المختارة ، دار المفيد، بيروت ، ص: 267 .

إلى دار، تمهيدا للمعاد الأخروي. فهم يموتون موت الدنيا لا موت الآخرة. وهذا الصوفي لو لم يمت موت الدنيا كغيره من البشر ما دفنه أهله، كما يدفن غيره من الناس.

ومن تلك الشواهد أيضا أن رد عائشة حسب الطريق الثالث ، هو شاهد قوي على عدم صحتها. لأن في الروايات الأخرى ذكرت القول على أنه حديث، وهنا لم تقل ذلك، وعبرت عنه ببلغنا. ولو كان حديثا لذكرت ذلك. وبما أنها لم تقل أنه حديث فمن أين لها بالقول الذي روته؟؟. فلا هي ولا غيرها من البشر يعلم الغيب. وهذا بنفسه دليل آخر على أن الرواية مختلقة، وقد تلاعب بها أهل الأهواء ومحرفو الأخبار . علما بأن الطريق الثاني لم يشر إلى عائشة، ولا إلى الحديث النبوي المزعوم ، فلماذا؟؟.

ومما يشهد على عدم صحتها ما زعمته بعض تلك الروايات من أن الميت لما تكلم قال: " خليلي محمدا ﷺ ينتظرني ليصلي علي ...)). وهذا ليس من دين الإسلام ، لأن الميت يصلي عليه المسلمون الأحياء، ولا يصلي عليه الأموات،ولا النبي-عليه الصلاة والسلام- بعد وفاته. وهذه الفضيلة المزعومة لم نسمع ولا قرأنا أنها حدثت للصحابة الذين هم أفضل الناس بعد نبيهم . فكيف تحدث له من دونهم ؟؟. علما بأن تلك المقولة لم ترد في كل الطرق، مما يعني أيضا أن الرواية لعب بها المحرفون لغايات في نفوسهم.

وأما المطلب الثاني فيتعلق بإهمال الصوفية لعلم الحديث والازدراء به وبرجاله، وعدم الاهتمام بتحقيقه لتمييز صحيحه من ضعيفه. فقد سبق أن ذكرنا عشرات الشواهد التي تدل على إهمالهم لتحقيق الأحاديث، وعدم حرصهم على تحصيل الصحيح، وهنا نورد أقوالا أخرى لبعض شيوخ الصوفية ازدروا فيها بعلم الحديث ورجاله .

منها : ذكر أبو طالب المكي أن رابعة العدوية كانت تقول عن سفيان الثوري: ((نِعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث))[1732]. وقالت مرة: ((لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس حوله للحديث))[1733].وكانت تقول: ((فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد))[1734].

[1732] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .
[1733] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .
[1734] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .

وقال أحد شيوخ الصوفية : ((كل من أدرك العلوم غير العلم بالله عزّ وجلّ فقد اُستدرك والذي أدرك العلم بالله فقد تُدورك))[1735].

وذكر أبو طالب المكي أن بشر بن الحارث الحافي كان يقول: ((حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا. وقال مرة: الحديث ليس من زاد الآخرة. وحدثنا بعض أشياخنا عن بعض أصحابه قال: دفنا له بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة كتباً لم يحدث منها بشيء إلا ما سمع منه نادراً في الفرد))[1736]. وقال أيضا: ((إني أشتهي أن أحدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت. ثم قال: أنا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة. وقال إذا سمعت الرجل يقول :حدثنا وأخبرنا ،فإنما يقول أوسعوا إليّ . وقال هو وغيره: إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث وإذا لم تشته أن تحدث فحدث))[1737].

وعن أبي سليمان الداراني أنه قال: ((إذا طلب الرجل الحديث ،أو تزوّج، أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا))[1738].

وأخيرا قال أبو طالب المكي : ((وحُدثت عن أبي داود السجستاني قال:كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟، فسكتَ، فأعدتُ عليّه فسكتَ، فقلت: غفر الله لك قال: لا، قلت لِم؟ قال: الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيراً، قلت: أي الأعمال وجدتها فيما هناك أفضل، قال: قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل،قلت: فأيما أفضل ما كنت تقرأ أو تقرئ؟ فقال: ما كنت أقرأ قلت: فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال: إن خَلُصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك))[1739].

وردا عليهم أقول: تلك الأقوال والمواقف فيها حق وباطل، ومخالفات شرعية واضحة من جهة ، وفيها تلاعب وغرور ورعونة نفس من جهة أخرى. لأنه أولا إن تلك الاتهامات الموجهة لطالبي علم الحديث وغيره من العلوم يُمكن أن توجه للصوفي في طلبه للتصوف، فيُمكن أن يقال: إنه يطلب الدنيا بالتظاهر بطلب الآخرة ، وأنه يُظهر التقشف والزهد والمحبة ليجمع الناس حوله، وليُذاع صيته، ولتكون له مكانة في قلوب الخلق وبها

[1735] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .
[1736] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .
[1737] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 221 .
[1738] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 193.
[1739] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 189 .

يحقق مصالحه الدنيوية . كما أن الطعن في تلك العلوم هو اتهام لها ولأصحابها وسوء ظن بهم ، وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا ، وهو طعن متعمد في المحدثين ، و يتنافى مع الورع وحرمة عِرض الناس عامة والمسلمين خاصة . فلماذا نزدري علومهم ،ولا نحسن الظن فيهم وننصحهم؟؟ .

كما أنه ليس صحيحا أن علم الحديث هو طريق إلى الدنيا، فهو كغيره من كل العلوم النافعة يُمكن أن تكون طريقا إلى الآخرة ويُمكن ان تكون طريقا إلى الدنيا. فهي علوم مرتبطة بنوايا طالبيها ، ومن المعروف قديما وحديثا أن التصوف كان وما يزال بابا عريضا وطويلا من أبواب طلب الدنيا، وأكل أموال الناس بالباطل، والتقرب به إلى أرباب السياسة والأموال.

وثانيا إن اتهام المحدثين بطلب الشهوة في تحصيل الحديث، هو نفسه قد يُتهم به الصوفية . فالصوفي الذي ترك علم الحديث دفعا لشهوة التحديث، فهو نفسه ربما كان غارقا وطالبا لشهوة عدم التحديث . فالأول ربما طلبها بالتحديث والثاني ربما طلبها بعدم التحديث،ليُقال إنه زاهد ومجاهد لنفسه. وقد يطلبها أيضا ليس بالتحديث بالحديث وإنما يطلبها بالتحديث بالتصوف وأحواله ، وبه يجمع الناس حوله وتكون له فيه شهوة !!.

وليس صحيحا أن فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد ، فهذا حكم غير علمي ، لأن الفتنة في ذاتها لا تكون شديدة ولا ضعيفة بالأمر الذي ظهرت فيه ، وإنما تكون كذلك حسب نية وقوة صاحبها .فقد يُفتن إنسان فتنة شديدة بطلب الحديث لأنه يحب جمع الناس حوله ، وقد لا يفتن به إنسان آخر لأنه كان مخلصا في طلبه ، فأزداد به علما وصلاحا بما عرف من الأخبار الصحيحة من أقوال وأفعال النبي- عليه الصلاة والسلام . ونفس الأمر ينطبق على الصوفي، و الفقيه ، و الأديب ، وغيرهم من الناس.

ولا يصح ايضا القول : إن من تزوّج، أو كتب الحديث ،أو طلب معاشاً فقد ركن إلى الدنيا. فهذا كلام غير صحيح في معظمه ، وفيه مخالفة للشرع والعقل، وفيه اتهام للناس ، ودعوة إلى تعطيل أمر الله تعالى بعمارة الأرض وفق شريعته. علماً بأن الأمر لا يتعلق بتلك الأفعال في ذاتها ، وإنما يتعلق بالإنسان الذي طلبها . فقد يكون التزوج طريقا للعفة والتحصن من لذة الجنس المحرمة. و يكون طلب الحديث طريقا إلى معرفة السنة الصحيحة ،

فيعبد الله تعالى على حق وصواب، وهذا خلاف الصوفي الذي يتعبد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والمخالفة للشرع. وقد يكون طلب المعاش الحلال طريقا إلى القناعة والعزة والبعد عن الحرام ليتفرغ المؤمن للعبادة، ويصون نفسه من مذلة التسول والسؤال . وهذا أحسن من الصوفي العاجز الكسول المعطل للشرع -الذي أُمر بالعمل والجد لكسب الحلال- فخالفه ورضي أن تكون يده هي السفلى ، فأخذ بها فضلات الناس ، وجعل قلبه معلقا بكل مار به أو طارق للباب.

وثالثا لا يصح الفصل الحاسم بين العلم بالله والعلوم الأخرى ، وتفضيل الأول عليها. لأن العلوم النافعة كلها توصل إلى العلم بالله ، والعلم بالله هو نفسه يوصل إلى العلوم الأخرى ويأمر بها. علما بأنه لا علم صحيح بالله من دون العلوم الأخرى النافعة التي توصلنا إلى العلم الإلهي الصحيح ذوقا ومعرفة . فالله تعالى تجلى لعباده بكلامه وصفاته في كتابيه: المسطور والمنظور، وكل منهما طريق إلى الآخر، وموصل إلى العلم بالله والالتزام بشريعته. فذلك الفصل لا يصح، وهو من أسباب كثرة أخطاء وانحرافات الصوفية في مخالفتهم للشرع والعقل والعلم. لأن العلم بالله لا يقوم وحده، وليس منفصلا عن العلوم النافعة الأخرى. فالله تعالى كما وصف لنا ذاته وصفاته وأمرنا بعبادته والإخلاص له ، والالتزام بشريعته ، فإنه سبحانه حثنا على طلب العلم النافع ، وجعل كل العلوم النافعة دالة عليه، وأمرنا باكتشاف علوم الطبيعة وتسخيرها لفائدة الإنسان ، ولمعرفة عظيم فضل الله علينا من جهة، وهي شواهد دامغة على عظمة وحسن صفاته تعالى من جهة أخرى. فكل العلوم النافعة تذكرنا بالله تعالى ، و توصلنا إليه أيضا. والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تأمرنا بالنظر في مخلوقات الله لمعرفة خالقها ، ولعمارة الكون وتسخير خيراته لخير بني آدم، كقوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(الحج : 65))، و((قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ)(يونس: 101))، و((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)(الرحمن : 33))، و((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(آل عمران : 191))، و((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ)(العنكبوت : 20))، و((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)(آل عمران: 137)). فهؤلاء الصوفية لما ازدروا العلوم بدعوى طلب العلم الإلهي لم يطلبوه بالعلوم الموصلة إليه وإنما طلبوه بظنونهم ورغباتهم وهلوساتهم ، وبمروياتهم الضعيفة والظنية والموضوعة؛ فحُرموا منه وانتهى بهم الأمر على الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود التي هي كفر بالله ورسوله ودينه. فحُرموا الوصول ، لأنهم ضيعوا الأصول الصحيحة التي توصلهم إلى العلم بالله تعالى.

ومن ذلك أيضا أنهم أهملوا علم الحديث مع أنه هو العلم الوحيد الموصل إلى السنة النبوية الصحيحة ، لكنهم وجدوا أنفسهم محتاجين إليها، فطلبوها من غير علمها وطريقها الموصل إليها. فكانوا حُطاب ليل في البحث عنها والاحتجاج بها، فلم يميزوا بين صحيحها و سقيمها ولا عادوا إلى علمائها ليُبينوا لهم ذلك. فكانت النتائج وخيمة على الصوفية والتصوف، ولم ينفعهم في دلك حكاية العلم بالله، ولا قصة اليقين والعلم الباطن.

ورابعا إن سبب حقيقة موقف الصوفية هو أنه ليس كما قال بعضهم بأن الحديث يشغل عن الآخرة ولا أنه من الدنيا ، وإنما القوم تظاهروا بذلك فقط تضليلا وتقية وتلبيسا على المسلمين، وإنما حقيقة موقفهم هو أنهم يرفضون كل الحديث كما رفضوا القرآن والعقل والعلم بدعوى طلبهم لعلم الباطن بالفناء في الله . ولهذا وجدنا الصوفية ذموا كل العلوم بدعوى أنها ظنية احتمالية، أو أنها من علوم الدنيا ، أو الآخرة .لأن الصوفية حسب زعمهم يطلبون الله ولا يطلبون دنيا ولا آخرة كما سبق أن ذكرناه وبينا بطلان قولهم هذا . فازدراء الصوفية بعلم الحديث والتاريخ يندرج ضمن ازدرائهم بالشرع وبكل العلوم الموضوعية، إلا التصوف حسب اعتقادهم .

وخامسا لاشك أن ازدراء الصوفية بعلم الحديث ورجاله وإهمال تحقيقه وعدم الحرص على تحصيل صحيحه ، يعني أنهم تركوا الطريق الصحيح الذي يُوصلهم إلى اليقين والصحيح من الحديث ، واتخذوا طريق الظنيات والروايات الضعيفة والمكذوبة لتأسيس تصوفهم. وهذا لا يتفق مع قولهم طلب اليقين وأنهم من أربابه . لأن من يطلب اليقين يجب عليه أن يسلك الطرق الموصلة إليه ؛ منها طلب الحديث الصحيح لا الضعيف، بممارسة النقد العلمي لتمييز صحيح الحديث من ضعيفه .فهذا العمل لابد منه لمن يطلب الحديث النبوي، ومن ضيع الأصول حُرم الوصول . وبما أن

الصوفية أهملوا التحقيق الحديثي، ولا حرصوا على طلب الحديث الصحيح،فإنهم غرقوا وتاهوا في المرويات الضعيفة والمُختلقة، وضلوا وأضلوا في معظم أفكارهم وأحوالهم وسلوكياتهم .

علما بأن الصوفية أهملوا علم الحديث وطعنوا في ورجاله، ولم يهتموا بتحقيقه ولا طلبوا صحيحه ، لأن موقفهم هذا يخدمهم وفي صالحهم، ويتفق تماما مع تصوفهم. فبما أنهم يعلمون أن تصوفهم مخالف للشرع والعقل والعلم، فمن الضروري أنهم يطلبون الأحاديث الضعيفة لا الصحيحة غالبا. فالقوم لم يكن همهم البحث عن السنة النبوية الصحيحة، ، وإنما كان همهم التأسيس للتصوف والدفاع عنه بأي وسيلة كانت حتى وإن خالفت الشرع والعقل والعلم.

وأخيرا- سادسا- إن ما رواه أبو طالب المكي عن أبي داود السجستاني لا يصح إسنادا ولا متنا. فأما إسنادا فهو منقطع بين المكي و السجستاني، لأنه غير متصل، واكتفى بقوله: ((وحُدثت عن أبي داود السجستاني))، فالخبر منقطع بينهما .

وأما متنا فهو مُنكر ، لأن طلب الحديث الصحيح من الدين، ولا دين دون خبر صحيح . ولو كان الأمر كما زعم الخبر لندم أبو داود السجستاني عن تحصيله للحديث، ولتخلى عن طلبه. لأن -حسب زعم الرواية - أن طلبه فيه ضرر كبير في حالتي الصدق في طلبه وعدم الصدق أيضا . فهو إما أنه يضر ، وإما أنه لا فائدة فيه إن لم يضر.ولهذا فلو كان الأمر كما ذكرت الرواية لترك أبو داود السجستاني طلب الحديث لأنه ليس من الحكمة ولا من المصلحة مواصلة طلبه ، وهو العالم التقي الثقة الحكيم. وبما أننا نعلم أن السجستناني لم يتخل عن طلب علم الحديث، دلّ هذا على عدم صحة تلك الرواية التي رواه عنه أبو طالب المكي.

ومما يشهد على عدم صحة متنها أيضا ، أنه لا يصح أن يُقال: ((إن خَلُصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك))[1740]، لأنه إن خَلُصت فيه النية فلا شك أن فيه أجرا كبيرا ، لأن رواية الحديث من الدين ، وفي هذه الحالة يكون راويه من الناشرين للعلم المخلصين في الاهتمام بالحديث وخدمته.

[1740] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 189 .

وأُشير هنا إلى أنه لما كانت الروايات الحديثية ضرورية بالنسبة للصوفية لتأسيس تصوفهم وتكوين جماعتهم فإن أحاديثهم كانت على أربعة أقسام: قسم ضعيف وموضوع يُمثل أكثر مروياتهم الحديثية، اختلقها رواة الصوفية وأمثالهم من أهل الأهواء. وقسم أحاديثه صحيحة، لكن رواة الصوفية أضافوا إليها ما ليس منها . وقسم صحيح لكن الصوفية أوّلوا أحاديثه وأخرجوها عن معناها الصحيح تعضيدا وانتصارا للتصوف. وقسم صحيح اُستخدم بطريقة صحيحة، وأحاديثه قليلة جدا توجد في هامش التصوف، ولم يكن لها دور في تأسيس أصول التصوف، وأساسيات فروعه وغاياته .

وأما المطلب الأخير- الثالث الخاص بمنهج الرواية عند الصوفية- فيتعلق بمكانة رواة الصوفية في ميزان الجرح والتعديل، وبيان أن الضعف هو الأصل فيهم وفي ومروياتهم.وتفصيل ذلك فيما يأتي:

أولا فقد أحصيتُ من رجال الصوفية الضعفاء الذين رووا المرويات التاريخية والحديثية ،فبلغ عددهم أكثر من ثلاثين راويا صوفيا[1741]؛ أُفَصِل أحوال طائفة منهم فيما يلي:

أولهم : شيخ الصوفية أحمد بن عطاء الهجيمي، البصري (ت 200 هـ) ، قيل فيه: متروك الحديث، مغفل يُحدث بما لم يسمع، ولا يدري ما الحديث، وكان يتعمد رواية الأحاديث المكذوبة بدعوى تقريب العِباد إلى الله[1742].

وأقول: هذا الصوفي مارس الكذب علانية بدعوى الترغيب في العبادة. وهذا تبرير لا يصح ، لأنه كذب متعمد ، والكذب حرام شرعا ، وهو كذب على النبي-عليه الصلاة والسلام- ، وقوله دين وعبادة. وهذا لا يصح بأي حال من الأحوال، لأن الدين كله علم وحق ووحي ، ولا يصح إدخال فيه ما ليس من م كلامه الله ورسوله. وعليه فإن هذا الرجل من الذين ينطبق عليهم قول النبي-عليه الصلاة والسلام : ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...))[1743]. ، وقال : ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو

[1741] أنظر مثلا: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 16 ص: 323 ، ج 17 ص: 303 .و سبط ابن العجمي: الكاشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، رقم : 558 ،و رقم : 646 . و الذهبي: المغني في الضعفاء، ج 2 ص: 33 . و ابن حجر: لسان الميزان، ج 1 ص: 125 ، 179 ، 191 ، 200، ج2 ص: 91 ، 271، و ج 4 ص: 111 ، 162، 167 ، ج 5 ص: 108 ، 179 ، 200، ج 6 ص: 28، 126،

[1742] الذهبي: السير، ج 9 ص/ 409 . وابن حجر: لسان الميزان ، ج 1 ص: 221 .

[1743] الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 3 ص: 371، رقم: 1383 .

أحد الكذابين))[1744]. ومن الذين يشملهم قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ)(النحل: 116)) .
وحقيقة الرجل ليس كما برر فعله، وإنما هي أنه كان يستبيح ذلك الكذب بدافع من تصوفه قبل أي دافع آخر.

والثاني: عبد الواحد بن زيد شيخ الصوفية وواعظهم عن الحسن البصري ، فكذب عليه ونسب إليه ما لم يقله[1745]. وكان متروك الحديث، سيء المذهب ليس من معادن الصدق ، له مناكير، وليس له علم بالحديث ،وهو ضعيف ومُدلس،كان ممن يقلب الاخبار من سوء حفظه وكثرة وهمه، فلما كثر ذلك منه استحق الترك. له حكايات كثيرة في الزهد والرقائق رواها عنه أهل البصرة[1746].

واضح من ذلك أن هذا الصوفي المجروح ساهم بقوة في نشأة التصوف وتكوينه، فهو من أوائل الصوفية – القرن الثاني الهجري- ، وله مرويات وآثار كثيرة في كتب التصوف[1747]. ساهمت في التأسيس للتصوف بالمرويات الضعيفة والموضوعة !! .

والراوي الصوفي الثالث: علي بن الحسن الطرسوسي وضع-اختلق- حكاية عن ابن حنبل في تحسين أحوال الصوفية ، مفادها : عن علي بن الحسن الطرسوسي أنه قال: سألت سليمان بن أحمد الطبري سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول: وقيل له أن هؤلاء الصوفية جلوس في المساجد بغير علم، قال: العلم اقعدهم ؟. قيل له فإن همتهم كسرة وخِرقة. فقال: لا أعلم عزا ممن هذا صفتهم. قيل: فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون: قال دعهم ساعة يفرحون بربهم))[1748].

والراوي الصوفي الرابع: محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذي المؤذن المعروف بالحكيم الترمذي (ت نحو سنة 320 هـ). هُجر بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه كتاب ختم الوَلاية وعِلل الشريعة ،وكان يفضل الوَلاية على النبوة . ملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة))[1749] .

[1744] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 13 ، رقم: 39 .
[1745] سبط ابن العجمي: الكاشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، رقم : 468 ،ص:93 .
[1746] بن حجر: لسان الميزان، ج 4 ص: 61.
[1747] أنظلر مثلا: أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 5 ص: 155 وما بعدها . و القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 54، 56، 89،95، 96 . وابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 30، 80، 81.
[1748] ابن حجر: لسان الميزان، ج 4 ص: 162.
[1749] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 242 .

والراوي الصوفي الخامس: محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان أبو بكر الرازي الصوفي (ت 376 هـ) صاحب الحكايات المنكرة .روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي أوابد وعجائب ، وهو متهم، وطعن فيه الحاكم النيسابوري. انتسب إلى محمد بن أيوب ومحمد لم يعقب[1750].

والراوي الصوفي السادس: علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم أبو الحسن (ت456هـ) شيخ الصوفية بالحرم المكي ، ،متهم بوضع الحديث. تُكلم فيه، وقيل أنه كان يكذب . قال الذهبي: لقد أتى بمصائب في كتابه بهجة الإسرار يشهد القلب ببطلانها . وروى عن أبي النجاد عن بن أبي العوام عن أبي بكر المروزي في محنة أحمد بن حنبل فأتى فيها بعجائب وقصص لا يشك من له أدنى ممارسة ببطلانها ،وهي شبيهة بما وضعه البلوي في محنة الشافعي . وذكر أن فيها بشر المريسي كان مع ابن أبي داود في محنة أحمد وبشر مات قبل ذلك بمدة طويلة.)). وقيل فيه أيضا أنه كان ثقة صدوقا عالما[1751]. وهذا التناقض هو من مظاهر تصوف الرجل، مما يعني أنه كان يُمارس التقية التي هي من أصول التصوف كما بيناه في الفصل الأول.

والراوي الصوفي السابع: محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري(ت 412 هـ) شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم قال الذهبي:" تكلموا فيه وليس بعمدة" . قال الخطيب البغدادي:" قال لي محمد بن يوسف القطان : كان يضع الأحاديث للصوفية "، وله "أربعون حديثا في التصوف رويناها عالية وفيها موضوعات"[1752].

هذا الرجل من كبار مؤرخي الصوفيه، وهو مجروح في عدالته وضبطه، بل ومتهم بالتحريف واختلاق الأخبار للصوفية ، ولمروياته تأثير كبير في التأريخ لنشأة التصوف وتكوينه بأصوله وفروعه، وغاياته. وقد اعتمد عليه مؤرخو الصوفية الذين جاؤوا من بعده كأبي نعيم الأصبهاني، والقشيري، وابن الملقن، اعتمدوا عليه كثيرا في مروياتهم، وهذا يعني أن

[1750] سبط ابن العجمي: الكاشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، رقم : 686 .

[1751] ابن حجر: لسان الميزان، ج 4 ص: 178 . وسبط ابن العجمي: الكاشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، رقم : 516 ، ص: 102.

[1752] الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج 5 ص: 107 .و سبط ابن العجمي: الكاشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، رقم : 645 .

ما نقلوه عنه ضعيف، وفاقد للموضوعية بدرجة كبيرة جدا. فمن ذلك مثلا أن القشيري روى عنه أكثر من 100 رواية وأثر[1753].

والراوي الصوفي الثامن: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن أحمد ، المعروف بابن السماك البغدادي (ت 424 هـ) ، واعظ صوفي مُتهم بالكذب، كان يتكلم ((على الناس بجامع المنصور وكان لا يحسن من العلوم شيئا إلا ما شاء الله وكان مطبوعا يتكلم على مذهب الصوفية))[1754].

والراوي الصوفي التاسع : سعيد بن إسماعيل بن علي بن العباس أبو عطاء(ق:5 هـ)، قيل فيه: ((كثير السماع، لكنه ساقط الرواية غير محتج به ،ادعى انه سمع كتب الأستاذ يعنى أبا القاسم القشيري الرسالة وغيرها وقرأ عليه،ثم ثبت للقوم تزويره وظهر سوء صنيعه فتركوا روايته))[1755].

والراوي الصوفي التاسع: الحسين بن علي الألمعي الكاشغري الواعظ (ت 484هـ) ، قيل فيه: ((متهم بالكذب ... كان شيخا صالحا متدينا إلا أنه كتب الغرائب وقد ضعفوه واتهموه بالوضع ... عامة حديثه مناكير إسنادا ومتنا لا نعرف لتلك الأحاديث وجها ... يضع الحديث وكان ابنه عبد الغافر ينكر عليه))[1756].

والراوي الصوفي العاشر: أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتوح الطوسي (ت بعد: 520هـ) ، قيل فيه: واعظ منحرف السلوك، يضع الأخبار، وهو أخ أبي حامد الغزالي[1757].

والراوي الصوفي الحادي عشر: محمد بن طاهر المقدسي أبو الفضل بن القيسراني المقدسي الحافظ (ت 507 هـ)، ليس بالقوي ، له أوهام كثيرة في تواليفه وقال ابن ناصر: كان لُحّنة و يُصحّف. وقال ابن عساكر : "جمع أطراف الكتب الستة فرأيته يخطئ وقد أخطأ فيه في مواضع خطأ فاحشا ". قال ابن حجر: " وله انحراف عن السنة الى تصوف غير مرضٍ وهو في نفسه صدوق لم يتهم". وقال ابن ناصر الدين : " محمد بن طاهرٍ لا يحتج به خلف كتابا في جواز النظر الى المُرد وكان يذهب مذهب الإباحة "[1758].

[1753] أنظلر مثلا: القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 7 ، 9، 10، 13 وما بعدها.
[1754] ابن حجر: لسان الميزان، ج 1 ص: 123 .
[1755] ابن حجر: لسان الميزان، ج 3 ص: 17 .
[1756] ابن حجر: لسان الميزان، ج 2 ص: 224 .
[1757] ابن حجر: لسان الميزان، ج 1 ص: 232.
[1758] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 161 .

له كتب في التصوف، منها صفوة التصوف[1759] ، وله فيه مرويات كثيرة. وبما أن حاله كما ذكرنا، فكتابه هذا يفتقد إلى الموضوعية بنسبة كبيرة جدا.

والراوي الصوفي الثاني عشر: محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو المناقب القزويني (ق:6 هـ) ، قيل فيه: ((ادعى السماع من أبي الوقت السجزي فكُذب وتُرك حديثه فآذى نفسه . قال بن النجار: " ... قَدِم علينا بغداد مرات فسألناه ان يُسمع شيئا من الحديث فاخرج إلينا عدة أربعينات قد جمعها من حديثه عن شيوخه في الفضائل وغيرها. وقد روى فيها عن أبي الوقت وعن أبي صالح المؤذن بالمسلسل ،وعن بن مسعود بن الحصين ،وعن جماعة من متأخري شيوخ بغداد. فانتخبنا من حديثه جزءا وقرأتُه عليه، ثم ظهر لنا كذبه فيما ادعاه وثبت عندنا انه سرق تلك الأحاديث من كتب المحدثين وغيّر أسانيد بعضها على متون ... فافتضح كذبه ومزقنا ما كتبنا عنه". وقال الدبيثي: " أَخرج إليّ أبو المناقب القزويني أحاديث ادعى انه سمعها من أبي الوقت من جملتها حديث السقيفة الطويل وقد جعله من ثلاثيات البخاري"... قال ابن المستوفي في تاريخ إرمد: " كان يورد من الأحاديث اغربها ومن الأخبار اعجبها ومن الحكايات أكذبها. وسمع منه بالمسجد الجامع بإرمد يقول في قوله تعالى" مرج البحرين يلتقيان" قال :هما أبي وأمي ، " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" انا وأخي. وقال: لا يخلو في مجلسي من عالم وجاهل، فان كان عالما لا يرى على نفسه ان ينكر ما أقول في ذلك المحفل،وان كان جاهلا فهو يستحسن ما أقول دائما ". " وقَدِم علينا مصر فَحدّث بثلاثيات البخاري عن أبي الوقت سماعا ثم، نظرنا فوجدناه لا يصح لان مولده فيما قيده من يوثق به كان في سنة ثمان وأربعين وخمس مائة ،وقَدِم مع والده الى بغداد سنة ست وخمسين وخمس مائة بعد موت أبي الوقت بثلاث سنين فعلى هذا لا يصح سماعه عنه))[1760].

والراوي الصوفي الأخير- الثالث عشر-: أبو حامد الغزالي الطوسي (ت505هـ)، ضمن كتابه إحياء علوم الدين مرويات حديثية وتاريخية كثيرة جدا ، قِسم كبير منها ضعيف وموضوع، وآخر لا أصل له، وآخر صحيح . ولهذا فهو يُلحق برواة الصوفية، ومروياته تتأثر به من حيث يدري أو لا يدري.

[1759] منشور ومتداول بين أهل العلم وقد رجعتُ إليه في كتابنا هذا .

[1760] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 41 . والذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 45 ص: 165 .

ومن الثابت أن الغزالي لم يحقق مروياته الكثيرة التي أوردها في إحيائه، ولا استعان بمن يُحققها له ، فالرجل سار على منهج سلفه في إهمال تحقيق المرويات، وعدم الحرص على رواية الصحيح.

وبسبب ذلك تعرّض الغزالي لانتقادات لاذعة من بعض أهل العلم قديما وحديثا ، فانتقده أبو بكر الطرطوشي بقوله: ((شحن أبو حامد " الإحياء " بالكذب على رسول الله ،فلا أعلم كتابًا على بسيط الأرض أكثر كذبًا منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعراج حيل ومخاريق))[1761].

وذكر ابن الجوزي أنه لما رأى في إحياء علوم الدين ما يدهش من التخليط في الأحاديث والتواريخ ، صنف كتابا سماه : إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء ، بين فيه أخطاءه و نقائصه ، منها كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، لأن الغزالي كان حاطب ليل في نقله ، لقلة علمه بالمنقولات ،وليته عرضها على من يحققها له[1762].

وأشار الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى أن ذكر المصنفين للأحاديث المكذوبة في مؤلفاتهم ،قصد العمل بها مع الإمساك عن بيان أنها كذب ، حرام عند العلماء لما رواه الترمذي في حديثه الصحيح أنه –عليه الصلاة والسلام- قال : ((من حدّث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين))[1763] و أما إذا رويت مع بيان كذبها فجائز[1764].

وهذا يعني أن إيراد الغزالي لأحاديث كثيرة ، ضعيفة وموضوعة في إحيائه دون تمييز لها ، هو عمل غير جائز ،مما كان سببا في إنكار كثير من العلماء عليه ، كابن الجوزي و أبي بكر الطرطوشي المالكي (ت 520 ه/ 1126م) و القاضي عياض (ت 544ه / 1149 م) ،و شمس الدين الذهبي (ت 748 ه/ 1347 م)[1765]. وقد ردّ الباحث الطاهر المعمودي على الفقيه تاج الدين السبكي عندما هوّن من وجود الأحاديث الباطلة في الإحياء

[1761] الذهبي: السير، ج 19 ص: 343 .

[1762] ابن الجوزي : المنتظم ،ج 9 ص : 169 .و صيد الخاطر ص : 439 .و ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،حققه حسن محمد الشماع ، بغداد دار الطباعة الحديثة ،1996 ، مج 4 ص : 2 ص . 211 .

[1763] الترمذي : سنن الترمذي ، رقم الحديث : 2662 ، ج 5 ، ص: 21 .

[1764] ابن تيمية : الزّهد و الورع ، الجزائر دار الشهاب ،ص : 112 .

[1765] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 169 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 501 – 520 ه/ ص : 124 ، 128 . و ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ص : 139 . و ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ص : 147.

بقوله : ((و ليس في ذلك كبير أمر ولا مخالفة شرع)) فأخذ عليه أنه لم يكن موضوعيا ، وأن الورع يقتضي التحري في الرواية كي لا ينسب إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم – ما لم يقله ، والشرع قد شدد الوعيد في من يتساهل في أمر الحديث[1766].

وموقف السبكي ليس بصحيح ، لأن الأمانة العلمية تقتضي ألا ينسب لإنسان ما كلاما ليس له أو مشكوكا فيه . فبأي مبرر سمح الغزالي لنفسه أن يروي أحاديث ضعيفة و موضوعة ولم يميزها بالعودة إلى كتب الحديث المتخصصة ، أو بالاستعانة بالمحدثين ليحققوها له ؟. فليس له أي مبرر صحيح يسمح له بذلك، خاصة وأن الأمر يتعلق بكلام النبي-عليه الصلاة والسلام- ولا يتعلق بكلام إنسان عادي !! .وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...))[1767]. وقال : ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين))[1768]. فعمل الغزالي هذا هو جريمة في حق الشرع والعلم ،ولا يصح الاعتذار له في ذلك من جهة، وهو شاهد على تهاون الصوفية في تعاملهم من المرويات لغايات في نفوسهم من جهة أخرى.

وذكر الباحث محمود عبد الرؤوف القاسم أن كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي تضمن أكثر من 400 حديث موضوع ومكذوب، منها قسم لم يجده محقق الكتاب الحافظ العراقي، وآخر لم يجد له أصلا. ثم قال: ((مما يجعلنا نظن أن الواضع لها أو لبعضها على الأقل هو الغزالي نفسه، أو كشفه. وأما إذا أردنا الحق فيبقى الغزالي متهما بوضعها كلها حتى يثبت العكس))[1769].

ويُضاف إلى تلك الأحاديث- الموضوعة- أحاديث أخرى ضعيفة يزيد عددها عن الموضوعة، وبذلك يكون مجموعها قريبا من نصف مجموع أحاديث الكتاب، إن لم تكن أكثر[1770].

واتهامه للغزالي بوضع تلك الأحاديث أمر وارد جدا، لأن الغزالي كغيره من الصوفية قالوا بالتقية ومارسوها لإخفاء حقيقتهم عن المسلمين. ولأنهم سمحوا لأنفسهم بمخالفة الشرع والعقل والعلم انتصارا للتصوف كما سبق

[1766] الطاهر المعمودي : الغزالي و علماء المغرب . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990 ، ص : 47 .

[1767] الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 3 ص: 371، رقم: 1383 .

[1768] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 13 ، رقم: 39 .

[1769] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 637.

[1770] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 637.

أن بيناه. فإن اختلاق الغزالي وأصحابه لمروياتهم الضعيفة والتي انفردوا بها أمر وارد في حقهم بقوة، بل هو عادي وطبيعي جدا بالنسبة إليهم ، وهو جزء لا يتجزأ من الدين الصوفي.

واستنتاجا مما ذكرناه يتبين أولا إن الصوفية ليس عندهم منهج نقدي للأخبار ولا اهتموا به، ولا حرصوا على طلب صحيح الروايات دون ضعيفها. وحتى المحدثين منهم فإن تصوفهم طغى عليهم وعطل منهج النقد الحديثي عندهم إلا نادرا، منهم أبو نُعيم الأصبهاني إنه روى مئات بل آلاف الروايات الحديثية والتاريخية في حِليته ، لكنه لم يحققها ولا حرص على تمييز صحيحها من سقيمها إلا في حالات قليلة بالمقارنة إلى حجم الكتاب (10 أجزاء) كان يعلق على بعض الأسانيد فيُشير إلي ضعف بعض رواتها باختصار شديد[1771]؛ وأما النقد المتني المحلل لمتونها فلا نكاد نعثر له على أثر في حلية الأولياء **!!**. فالقوم أهملوا نقد الأخبار، ولا حرصوا على تحصيل الصحيح ، وفيهم قال الحافظ شمس الدين الذهبي: ((فإن غالبهم لا اعتناء لهم بالرواية))[1772].

وذلك يعني أن الأصل في رواة الصوفية ومروياتهم الضعف لا التوثيق ولا الصحة. لأنهم أهملوا نقد الأخبار، ولا حرصوا على طلب الصحيح دون الضعيف. ولأنهم مارسوا التقية في تعاملهم مع الناس والمرويات، مما جعلهم ضعفاء من داخلهم، لأنهم سمحوا لأنفسه بإظهار خلاف ما يُبطنون ، وهذا الفعل في حقيقته كذب .ولأنهم أيضا خالفوا بمروياتهم وتصوفهم الشرع والعقل والعلم، مما يعني قطعا أنهم كانوا منحرفين عن المنهج العلمي الصحيح، وأن معظم ما عندهم لم يكن صحيحا. فالقوم أقاموا تصوفهم أساسا على الروايات الضعيفة والمختلقة لا على الصحيحة، وكانوا طرفا مساهما في اختلاق كثير من مروياتهم.فماذا ننتظر من فكر هذا حاله ؟؟!! .

وثانيا قد تبين أن الصوفية في الوقت الذي أهملوا نقد الأخبار، ولم يحرصوا على طلب صحيحها دون ضعيفها، وذموا الحديث ورجاله؛ فإنهم من جهة أخرى اهتموا كثيرا بالمرويات التاريخية والحديثية لتأسيس الدين الصوفي بأصوله وفروعه وغاياته. فتم لهم ذلك بالاعتماد أساسا على

[1771] أنظر مثلا: حلية الأولياء، ج 1 ص: 243 ، ج 4 ص: 111 .

[1772] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17 ص: 303 .

الروايات الضعيفة والموضوعة التي اختلقها الرواة الكذابون من الصوفية وغيرهم من أهل الأهواء. حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى رواية الأخبار المستحيلة ، تعصبا للتصوف وانتصارا له.

وأما لماذا أهمل الصوفية نقد الأخبار، ولم يحرصوا على طلب صحيحها دون ضعيفها ، لكنهم اهتموا بالمرويات اهتماما كبيرا لتأسيس تصوفهم ؟؟!! . فإن السبب الأساسي في ذلك هو أنهم عندما أدركوا أن التصوف مخالف للقرآن والسنة الصحيحة ،وللعقل والعلم ، وجدوا أنفسهم بين طريقين: ترك التصوف والرجوع إلى الوحي الصحيح، والعقل الصريح والعلم الصحيح ، وإما التمسك بالتصوف وإبعاد الوحي والعقل والعلم . فاختاروا التمسك بالتصوف وتركوا الشرع والعقل والعلم وراء ظهورهم ، لكنهم لما كانوا مضطرين بأن يُؤسسوا للتصوف ويدافعون عنه وينتصرون له ضد خصومه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلا إلا بالمرويات الضعيفة والموضوعة والتي تتفق مع تصوفهم. لأن المرويات الصحيحة تُرجعهم إلى الوحي والعقل والعلم ، وتنقض عليهم تصوفهم . وبما أن الأمر كذلك فليس من مصلحة التصوف وأهله تحقيق الأخبار لتمييز صحيحها من سقيمها، وإنما من مصلحتهم إبعاد التحقيق تماما من طريقهم من جهة، والإقبال على المرويات الضعيفة والموضوعة لتأسيس التصوف والدفاع عنه من جهة أخرى. فلو كان نقد الأخبار يُعضّد التصوف ويُؤسس له ، ويُدافع عنه ما أهملوه ، فلما كان ضدهم تركوه كما تركوا الوحي والعقل والعلم وراء ظهورهم ، فأصبح ترك ذلك من ضروريات الديانة الصوفية **!!**

وقبل إنهاء هذا الموضوع أذكر هنا طائفة من الاعتراضات التي ربما يعترض بها علينا بعض أهل العلم .

أولها : قد يعترض علينا بعض الصوفية بأننا انتقدنا روايات التصوف وأهله بمنهج نقد الخبر القائم على النقدين الإسنادي والمتني، لكن الصوفية هم أيضا حققوا مرواياتهم بمنهجهم القائم على الكشف وعلم الباطن والمنامات التي يتلقون فيها العلوم من الله والأنبياء. ولهذا فرواياتهم مُحققة، وانتقادكم لهم لا يصح .

وأقول: أولا من يدعي أنه تلقى العلوم من الله والأنبياء مباشرة في المنام أو في اليقظة فهو مُخطئ ، أومُغرر به ، أو أنه كذاب . لأنه بما أن الله تعالى ختم النبوة وأنزل القرآن وجعله خاتم الكتب ، فإن الوحي الإلهي قد

توقف قطعا. ولهذا أمرنا الله تعالى بإتباع كتابه وسنة نبيه الصحيحة الموافقة لها. وقد سبق أن توسعنا في ا الأمر عندما تكلمنا عن مصادر التلقي عند الصوفية وبينا بطلان قولهم بالمنامات .

وثانيا إن المنامات هي وسيلة من وسائل المعرفة النسبية وليست وسيلة مطلقة، وهي خليط من الحوادث المتعلقة بالنفس والشياطين والواقع، ولا يُمكن الاعتماد عليها والاحتكام إليها إلا بعد عرضها على الوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصريح . و حتى وإن زعم الرائي أنه رأى النبي- عليه الصلاة والسلام- في المنام.لأن الرائي قد يدعي أنه رآه وهم لم يره . وقد يظهر له الشيطان ويقول له أنه النبي. وحتى وإن رآه حقا فنحن لسنا مطالبين بإتباعه من خلال المنامات وإنما نتبعه في سنته الصحيحة. لأن الله تعالى لم يتعبدنا بالمنامات ولا بالحدوس ، ولا بغيرهما وإنما تعبدنا بكتابه وسنة نبيه فقط .

وثالثا إنه قامت الأدلة الصحيحة بأن معظم الأحاديث التي رواها الصوفية لتأسيس العبادة الصوفية لم تكن صحيحة ؛ مما يعني أن حكاية تصحيح شيوخ الصوفية لها باطلة قطعا. فلو كانت صحيحة ما خالفت الشرع ، ولا التاريخ الصحيح، ولا العقل الصريح، ولا العلم الصحيح. وحتى إذا فرضنا جدلا أن هؤلاء الصوفية حققوا مروياتهم ، فإن تحقيقهم هذا غير صحيح، ولم يكن علما باطنيا صحيحا، وإنما هو ظنون وتخمينات ، وأهواء وهلوسات. لأنه لو كان صحيحا ما تناقض مع الشرع، ولا مع التحقيق التاريخي الصحيح، ولا مع العقل والعلم . لأن الحقيقة الواحدة هي واحدة ولا تتعدد، ولا تتناقض مع حقيقة أخرى.

ورابعا إن منهج نقد الخبر هو المنهج الوحيد والصحيح لنقد الأخبار وهذا بدليل الشرع الذي دل عليه[1773]، وبدليل العقل والعلم اللذين بينا ذلك وقالا به[1774]. فكانت ثمرة ذلك ظهور علم منهج نقد الخبر الذي تخصص فيه علماء الحديث وكثير من المؤرخين المسلمين خلال العصر الإسلامي. ولا يوجد منهج آخر صحيح يصلح لنقد الخبر ، إلا الذي ذكرناه ، وأما منهج الصوفية المزعوم فباطل، مخالف للمنهج الصحيح، ولو كان صحيحا ما

[1773] كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات : 6)). وللتوسع فهذا الموضوع أنظر كتابنا: أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة .. والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

[1774] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة .. والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

خالفت نتائجه نتائج منهج نقد الخبر، وما خالفت أيضا الشرع والعقل والعلم .

وخامسا نعم إنه يُستعان بالذوق في نقد وتمحيص بعض الأخبار، وهذا معروف في كل العلوم . فهو حدس يتكون لدى الناقد نتيجة كثرة ممارسته للنقد التاريخي، لكنه نسبي كغيره من طرق البحث والتمحيص الأخرى. ويجب إخضاع نتائجه لميزان الشرع والعقل والعلم. وهذا الحدس الذوقي يُمكن الرد به على الذوق الصوفي، لأن حدسنا قوي وصحيح بنسبة كبيرة لأنه قائم على الوحي والعقل والعلم.لكن الحدس الصوفي ضعيف جدا ، ولا يصح الاعتماد عليه، لأن الغالب عليه أنه لا يقوم على الشرع ولا على العقل ولا على العلم وإنما يقوم أساسا على الظنون والأهواء ، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية . بدليل أنه بينا في كتابنا هذا بالشواهد الكثيرة والدامغة أن علم الصوفية المزعوم كان مخالفا في معظمه للشرع والعقل والعلم.

وسادسا ليس صحيحا أن رواة الصوفية كانوا يُحققون الروايات بقلوبهم لا بعقولهم ، فالغالب عليهم أنهم لم يهتموا بهذا الجانب أصلا ، ولا قالوا أنه صحت عندهم هذه الأخبار بناء على الشواهد الآتية ، وعلى المعطيات والمبررات التالية . فالقوم لم يكن لهم اهتمام أصلا بهذا الجانب. وحتى إذا كان بعضهم مارس النقد التاريخي بأحواله وكشفه المزعوم، فهو قد أخطأ في معظم مرويات الصوفية التي صححها ، لفساد منهجه وبطلان علمه المزعوم. والدليل على أنه أخطأ في تصحيحه لها ، أنه سبق أن بينا فساد وبطلان معظم الروايات والأحاديث التي أسس بها الصوفية لتصوفهم .

ومن الشواهد التي تُثبت ما قلناه ، بأن شيوخ الصوفية ورواتهم يتكلمون بأهوائهم ورغباتهم ، وأنها هي التي أفسدت عليهم دينهم وأوقعتهم في الأخطاء والانحرافات ،وأنها لم تنقذهم مما هم فيه من أخطاء وأباطيل أن الصوفي ابن عجيبة ((ت 1224 هـ)))، قال: ((وكذلك قضية ابن الجوزى كان يقرأ ببغداد اثني عشر علماً فخرج يوماً لبعض شؤنه فسمع قائلاً يقول:

إذ العشور من شعبان ولت ... فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار ... فقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان الدنيا كله))[1775].

وقوله هذا غير صحيح تماما قاله من دون علم ، لأن الثابت قطعا أن عبد الرحمن بن الجوزي توفي في بغداد سنة 597 هـ ودُفن بها[1776] ولم يتوف في مكة المكرمة كما قال الرجل. فأين العلم اللدني والباطني، والقلبي الذي يتباهى به الصوفية و يُعارضون به الوحي الصحيح، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح ؟؟ **!!** .

ومما يُثبت بطلان دعوى تحقيق الصوفية لمروياتهم بالكشف وعلم الباطن أيضا هو أنه قد أقمنا الأدلة القطعية في كتابنا هذا على بطلان حكاية علم الباطن بالأدلة الشرعية والعقلية والعلمية ، وبما أن الأمر كذلك فلا يُمكن أن يكون تحقيق هؤلاء للمرويات بكشفهم تحقيقا صحيحا .

والاعتراض الثاني: ربما يعترض علينا بعض أهل العلم في انتقادنا للصوفية في عدم تحقيقهم للروايات الحديثية والتاريخية، بدعوى أن القوم كانت نيتهم التربية والتعليم ، وهذا يندرج ضمن ما قاله أكثر علماء الحديث بجواز رواية الضعيف والعمل به في الفضائل. مما يجعل ما فعله الصوفية له ما يُبرره .

وأقول: أولا ليس كل العلماء أجازوا العمل بالضعيف ، فمنهم من منع العمل به مُطلقا كيحيى بن معين، وأبي بكر بن العربي ، والبخاري ومسلم على الأرجح[1777]. وأما العلماء الذين أجازوا العمل بالحديث الضعيف ،فقد اشترطوا ثلاثة شروط للعمل بالحديث الضعيف ،هي:((أن يكون الضعف غير شديد ، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ، ومن فحش غلطه . وأن يكون الضعف مندرجاً تحت أصل عام ، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً. وأن ألا يُعتقد عند العمل به ثبوته ، لئلا ينسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- ما لم يقله))[1778].

لكن رواة الصوفية رووا أحاديث كثيرة ضعيفة تتعلق بكل جوانب الإسلام من عقيدة وشريعة وفضائل، ولم تقتصر على الأخلاق والفضائل

[1775] ابن عجيبة : إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 192-193 .

[1776] أنظر مثلا: صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات ، ص : 2583 . و خير الدين الزركلي ، ج 3 ص: 316 .

[1777] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص : 107 .

[1778] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص : 107 .

فقط، ووظفوها لخدمة التصوف، ولم يشترطوا فيها تلك الشروط التي اشترطها العلماء كشرط للعمل بالضعيف.

علما بأن الصحيح هو موقف المانعين مُطلقا من العمل بالضعيف، لأن الدين بكل مكوناته وحي من عند الله ودينه الذي فرضه علينا، ولا يصح التفريق بين مكوناته ولا التفضيل بينها من ناحية صحة ثبوتها من جهة ، والدين يجب أن يُبنى على اليقين والصحيح، ولا يُبنى على الضعيف من جهة أخرى. كما أن العمل بالضعيف هو تساهل يفتح علينا بابا كبيرا من الشر، ويُشوش علينا ديننا ، ويُضعف الثقة في السنة النبوية، ويُسرب الضعيف إليها ، مع أن ديننا كامل مُحكم ليس في حاجة أبدا إلى الأحاديث الضعيفة. فالذي صحّ من السنة النبوية كافٍ شافٍ ، ونستغني به عن الضعيف، وقليل صحيح خير من كثير مشكوك فيه.

وثانيا إن إهمال الصوفية للتحقيق ، وعدم حرصهم على رواية الأخبار الصحيحة هو موقف ليس من الدين، ولا من العقل، ولا من العلم ؟، ألم يذم الله تعالى أهل الكتاب لأنهم نسبوا إليه ما لم يقله عندما حرفوا كلامه ؟، ألم ينهنا الله تعالى أن نتكلم بلا علم، وأن ننسب إليه ما لم يقله ؟، قال تعالى: ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)(الإسراء : 36))، و ((أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (الأعراف : 28).وألم يأمرنا بالتبيّن والتأكد في تعاملنا مع الأخبار الضعيفة ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات : 6)). وبما أنه قد صح عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...))[1779]. وبما أن الجميع يعلم أن الأحاديث المرفوعة إليه عليه الصلاة والسلام منها الصحيح ، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع، فإن من يتعمد رفع حديث إليه من دون أن يتثبت من صحته فهو يدخل في زمرة الذين ذكرهم الحديث النبوي أو على الأقل فهو قريب منهم وقد ارتكب خطأ كبيرا. ومن جهة أخرى فإن هذا الحديث يتضمن أيضا دعوة إلى التثبت في رواية الأحاديث، والتأكد من صحتها.

[1779] الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 3 ص: 371، رقم: 1383 .

وقد كان أبو بكر وعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- يتشددان في قبول الحديث النبوي ويستوثقان ويطلبان بالبينة عليه[1780] .وعملهما هذا هو تطبيق عملي لما أمر به الشرع . لكن الصوفية أهملوا النقد ولا حرصوا على طلب الحديث الصحيح من جهة، ثم أنهم من جهة أخرى أكثروا من المرويات الضعيفة والموضوعة عن تعمد وسبق إصرار وترصد !! . فعلوا ذلك لأن غايتهم ليست طلب الحديث الصحيح، وإنما غايتهم التأسيس للديانة الصوفية ، فوجدوا في المرويات الضعيفة والمكذوبة ضالتهم . وعملهم هذا لا يصح تبريره بأي حال من الأحوال !! .

والاعتراض الثالث: ربما يقال: لا يصح تعميم الحكم على كل الصوفية بأنهم لم يُحققوا رواياتهم التاريخية والحديثية.

وأقول : إن التعميم صحيح من دون شك فكلهم أهملوا نقد الروايات الحديثية والتاريخية ، لأن نقدهم لها يتعارض مع تصوفهم. ولهذا فإن تركهم للنقد التاريخي والحديثي هو من ضروريات التصوف، وإلا لن تقوم له قائمة. وكل إنسان يُمارس النقد العلمي الصحيح بكل أنواعه فإنه سيرفض التصوف قطعا، فكل صوفي يصدق مع نفسه ومع الله تعالى ويُمارس النقد العلمي الصحيح سيترك التصوف ويكفر به من دون شك . ولهذا قلنا بأن كل مصنفي الصوفية لم يُحققوا الأخبار المؤسسة للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته. لكن بعض هؤلاء كانت له انتقادات قليلة ومُحتشمة لبعض الروايات كما فعل أبو نعيم الأصبهاني في حليته، فهو في الوقت الذي روى مئات بل آلاف الروايات التاريخية والحديثية الضعيفة والموضوعة وسكت عنها ، فإنه من جهة أخرى علّق على بعضها من دون توسع ولا تعمق في نقد الأسانيد والمتون[1781]. وهذا لا يعني أنه ليس قادرا على النقد، وإنما يعني أنه لا يستطيع فعله بسبب تصوفه ، لأن التصوف قائم أساسا على الأخبار الضعيفة والمكذوبة ، وعلى مخالفة الشرع والعقل والعلم، فإما أن يترك تصوفه وينقد مرويات التصوف، وإما أن يبقى صوفيا ويترك النقد تعصبا وانتصارا للتصوف وأهله . وأما إذا وجدنا صوفيا توسع في نقد روايات التصوف إسنادا ومتنا فهو في الحقيقة ليس صوفيا، ولن يكون صوفيا بالمعنى الحقيقي للتصوف، وإنما انتمى إليه ظاهريا ، أو أنه لا علم له بحقيقته فانتمى إليه تقليدا ومسايرة لمجتمعه. لأن من ينقد التصوف نقدا تاريخيا وحديثيا صحيحا وبإخلاص للعلم فإنه سيهدمه ويكفر به لا محالة.

[1780] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 64 وما بعدها .

[1781] أنظر مثلا: أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 45 .

والاعتراض الأخير- الرابع- : ربما يُقال : أنه ليس صحيحا أن شيوخ متقدمي الصوفية ازدروا بالحديث وأهله، بدليل قول الذهبي: ((قرأت على ابن الخلال، أنا ابن اللتي، أنا أبو الوقت، أنا شيخ الإسلام عبد الرحمن بنيسابور: سمعت الحسين الدقيقي يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث. فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة. قلت: هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسنة، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة الأكلة الكسلة.))[1782].

وأقول: واضح من كلام الذهبي أنه عمم كلامه على شيوخ متقدمي الصوفية، وهذا لا يصح، وهو تعميم مبالغ فيه جدا ولا يصدق عليهم، ويبدو أن الذهبي ألتبس عليه حالهم، فتساهل في موقفه منهم. لأنه سبق أن أوردنا أقوالا لكبار متقدمي الصوفية ازدروا بها بعلم الحديث ورجاله ، منهم رابعة العدوية، وبشر الحافي، و سليمان الداراني الذي قال: ((إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا))[1783]. ومن جهة أخرى فإن كتابنا هذا مملوء بأقوال شيوخ متقدمي الصوفية التي عارضوا بها الشرع معارضة صريحة ، وتركوا الكتاب والسنة وراء ظهورهم، منهم سهل التستري هذا، وقالوا صراحة أنهم لا يُريدون دنيا ولا آخرة ، وإنما يريدون الفناء في الله- وحدة الوجود -. ولهذا فإن ذلك القول المروي عن سهل إما أنه لا يصح عنه ، وإما أنه قاله في مرحلة متقدمة من حياته قبل أن يتصوف، وإما أنه قاله تقية وتلبيسا على المسلمين ليتعيش به بينهم .

وأما علم الصوفية مضمونا وحقيقة ، فقد عبروا عنه كعادتهم بالإشارات والتلغيزات دون العبارات الواضحة غالبا، وزعموا أن علمهم كشفي باطني نوراني رباني يقيني، فما حقيقة علمهم هذا ؟؟ . فمن ذلك قول أبي القاسم الجنيد عندما سُئل: من العارف؟ قال: ((من نطق عن سرِّك وأنت ساكت))[1784]. فالعارف حسب زعمه من صفاته أنه يعلم الغيب**!!** .

والقول الثاني: كتب الجنيد رسالة إلى أحد الصوفية، مطلعها : ((هنأك الله كرامته، فأنت غيث لأهل مودته ... ومنتسب إلى وحدانيته ، ومُخبر عنه به،ومن اصطنعه لنفسه في قديم أزليته ، وأطلعه على مكنون سره

[1782] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 21 ص: 187 .
[1783] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 193.
[1784] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 18 .

...))[1785]. قوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود – الفناء في الله- عندما يصلها الصوفي يصبح مُطلعا على مكنون سر الله ، ويُخبر عن الله بالله ، لأنه أصبح هو الله حسب اعتقاد الصوفية بكفرية وحدة الوجود !!.

والقول الثالث: قال أبو نعيم الأصبهاني: ((أخبرنا جعفر بن محمد فيما كتب إلي قال سمعت الجنيد يقول: المريد الصادق غني عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر))[1786].

والقول الرابع: قال أبو بكر الشبلي:

علم التصوف علم لا نفاد له *** علم سنى سماوى ربوبى
فيه الفوائد للأرباب يعرفها ** أهل الجزالة والصنع الخصوصى[1787].

والقول الخامس: قال القشيري:((سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول: كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه، فقرأ الإمام: ((وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً)(الإسراء: 86)). فزعق زعقة قلت: طارت روحه وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب!! ويردد ذلك كثيراً))[1788].

والقول السادس: قال أبو بكر الشبلي : ((إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق)) [1789].

والقول السابع: قال سهل بن عبد الله التستري: ((للعالم ثلاثة علوم؛ علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلاّ لأهله، وعلم هو سرّ بين الله وبين العالم هو حقيقة إيمانه، لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن))[1790].

والقول الثامن: كان أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء عصره **:** ((أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا

[1785] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 316 .
[1786] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 270 .
[1787] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 87.
[1788] محمود عبد الرؤوف : الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص: 486 .
[1789] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 389 .
[1790] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 2 . والغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 22 .

يموت))[1791]. وفي رواية عن إبراهيم سبتية أنه قال: ((حضرتُ مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلانا فقال أبو يزيد : مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت))[1792].

والقول التاسع: عن أبي يزيد البسطامي أن عالما قال له: ((قد حكي لي عنك عجايب فقال أبو يزيد : وما لم تسمع من عجايبي أكثر فقال له : علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن ومن ومن ؟ فقال أبو يزيد : علمي من عطاء الله تعالى ومن حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : [من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم] ومن حيث قال : [العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع] ،وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمي من الله إلهام من عنده. فقال له الشيخ : علمي عن الثقات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عن جبريل عن ربه عز و جل فقال أبو يزيد : يا شيخ كان للنبي –صلى الله عليه وسلم- علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل؟ قال: نعم ،ولكن أريد أن يصح لي علمك الذي تقول هو من عند الله قال : نعم أبينه لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته ثم قال : يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمدا – صلى الله عليه وسلم- ورآه كفاحا وأن حلم الأنبياء وحي قال نعم قال : أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بإلهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقي موسى في التابوت فألقته وألهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى { وما فعلته عن أمري } وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما : إن ابنة خارجة حاملة ببنت وألهم عمر - رضي الله عنه- فنادى يا سارية الجبل.ومثل هذا كثير، وأهل الإلهام قوم خصهم الله بالفوائد فضلا من الله عليهم، وكرامة منه. وقد فضل الله بعضهم على بعض في الفِراسة))[1793].

والقول العاشر: قال الشعراني مفتخرا بعلم الصوفية ومعظما لهم ومزدريا بأحمد بن حنبل : ((((وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه- لأبي حمزة البغدادي -الصوفي رضي الله عنه، واعتقاده

[1791] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 7 .
[1792] الشعراني: الطبقات الكبرى، ص: 7 .و ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 389 .
[1793] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 93-94 . وابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 389 .

حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول :ما تقول في هذا يا صوفي كما سيأتي بيان ذلك في ترجمة أبي حمزة -رضي الله عنه-، فشيء يقف في فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم))[1794].

والقول الحادي عشر: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: ((إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب؛ يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون))[1795]. معنى كلامه أن من صفات شيوخ الصوفية علم ما في نفوس غيرهم، أي أنهم يعلمون الغيب .

والقول الثاني عشر: قال أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي (ت 303 هـ) ((فإن كل الخَلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق))[1796].

والقول الثالث عشر: قال أبو طالب المكي: ((وقد كان علماء الظاهر إذا أشكل عليهم العلم في مسألة لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله لأنهم أقرب إلى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية، منهم: الشافعي رحمه الله تعالى كان إذا اشتبهت عليه المسألة لاختلاف أقوال العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال عليها رجع إ لى علماء أهل المعرفة فسألهم قال: وكان يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي بين يدي المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكيف يصنع في كذا فيقال له: مثلك يا أبا عبد الله في علمك وفقهك تسأل هذا البدوي. فيقول: إن هذا وفق لما علمناه. وكان الشافعي رحمه الله قد اعتلّ علة شديدة وكان يقول: اللّهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب إليه المعافري من سواد مصر: يا أبا عبد الله لست وإياك من رجال البلاء فنسأل الرضا الأولى بنا أن نسأل الرفق والعافية، فرجع الشافعي رحمه الله عن قوله هذا، وقال: أستغفر الله تعالى وأتوب إليه. فكان بعد ذلك رحمه الله يقول: اللّهم اجعل خيرتي فيما أحب . وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين -رضي الله عنهما - يختلفان إلى معروف بن فيروز الكرخي رحمهم الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه.))[1797].

[1794] الشعراني: طبقات الصوفية الكبرى ، ج 1 ص: 6 .
[1795] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 18 .
[1796] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 85.
[1797] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 223 .

والقول الرابع عشر: قال السراج الطوسي : ((سئل ابن الجلاء: ما معنى قولهم صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى صوفيّاً))[1798]. قوله هذا يتضمن القول بكفرية وحدة الوجود، وفيها يصبح الشيخ الصوفي فانيا في الله، ويعلم كل شيء حسب زعمه .

والقول الخامس عشر: قال السراج الطوسي(ت 378 هـ) :((وللصوفية أيضا مُستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخف في العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب، وخبايا السر ومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المُحدث إذا قورن بالقديم، وفناء رؤية الأعواض، وبقاء رؤية المعطي بفناء رؤية العطاء، وعبور الأحوال والمقامات ، وجمع المتفرقات، وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود، والإعراض عن رؤية الأعواض،وترك الاعتراض، والهجوم على سلوك سبل منطمسة ، وعبور مفاوز مهلكة))[1799] .

والقول السادس عشر: قسّم السراج الطوسي علوم الشريعة إلى أربعة علوم ، هي: علم الرواية والأثر، وعلم الدراية، وعلم القياس والنظر، والرابع و((هو أعلاها وأشرفها، وهو علم الحقائق ، وعلم المعاملة والمجاهدات ، والإخلاص ...))[1800]. ثم نبه إلى أن من يغلط في علم من العلوم فإنه يسأل أهله ولا يسأل غيرهم . ثم قال: ((ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق ، ولا يُمكن أن يوجد علم الحقائق في هؤلاء إلا ما شاء الله ؛ لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها، ونهاية جميع العلوم، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق، إذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له، وهو علم القلوب، وعلم المعارف، وعلم الأسرار، وعلم الباطن، وعلم التصوف، وعلم الأحوال، وعلم المعاملات، أي ذلك شئت فمعناه واحد))[1801].

[1798] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 2 ، هامش ص: 444.
[1799] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .
[1800] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 456 .
[1801] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 456 .

والقول السابع عشر: قال الكلاباذي : ((كما يقول الصوفيه: أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت))[1802]. واستشهد على علم الصوفية بحديث مفاده : ((وعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الحسن عن علم الباطن فقال سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال سألت رسول الله عن علم الباطن فقال: " سألت جبريل عن علم الباطن فقال سألت الله عز وجل عن علم الباطن فقال هو سر من سرى أجعله فى قلب عبدى لا يقف عليه أحد من خلقى))[1803].

والقول الثامن عشر: عندما تكلم أبو طالب المكي عن أهل علم اليقين والمعرفة ويعني بهم الصوفية ، قال: ((بما أراهم الله تعالى من علم اليقين وبما شهد لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالعلم والتعديل في قوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[1804]، فالغالون هم الشاطحون لأنهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فأسقطوا الحكم، والمبطلون هم المدّعون المبتدعون لأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأي والهوى، والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل. كما روينا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله عزّ وجلّ، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى))[1805].

والقول التاسع عشر: قال أبو طالب المكي: ((وإفشاء سرّ الربوبية كفر.وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره، وقال بعضهم: للربوبية سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة وللنبوّة سرّ لو كشف بطل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهره الله تعالى لبطلت الأحكام، فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرّ، به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي، الله غالب على أمره))[1806].

والقول العشرون: قال أبو طالب المكي: ((وهو خصوص العارفين من المحبين والخالصين اطلعوا على السرّ وأوقفوا على الخبر فكانوا مقربين شاهدين أن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً فنقول فظهره لأهل العربية

[1802] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 6 .
[1803] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 101 .
[1804] الحديث صححه الألباني: مشكاة المصابيح ، ج 1 ص: 53 ، رقم: 248 .
[1805] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 244 .
[1806] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 .

وباطنـه لأهـل اليقـين وحـده لأهـل الظـاهر ومطلعـة لأهـل الأشـراف وهـم العارفون المحبون))[1807]. و((وروينا عن الحسن البصري عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: العلم علمان، فعلم باطن في القلب فذاك هو النافع))[1808].

والقول الواحد والعشرون: قال أبو طالب المكي ((وقال بعض: العارفين: علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم يحكم فيه))[1809].

والقول الثاني والعشرون: قال القشيري :((ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة. وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين، سوى طريقة الصوفية، إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة؛ فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد، وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب. والناس: إمَّا أصحاب النقل والأثر، وما أرباب العقل والفِكر. وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة؛ فالذي للناس غيب، فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه، موجود، فهم أهل الوصال، والناسً أهل الاستدلال))[1810].و((هم كما قال القائل:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامُه في الناس ساري

فالناس في سدف الظلام ... ونحن في ضوء النهار[1811].

و((لم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، ممن له علوم التوحيد، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا وتبركوا به. ولولا مزية، وخصوصية لهم، وإلا كان الأمر بالعكس. هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي، رضي الله عنهما، فجاء شيبان الراعي فقال أحمد: أريد يا ابا عبد الله أن أنبِّه هذا على نقصان علمه، ليشتغل بتحصيل بعض العلوم. فقال الشافعي: لا تفعل!! فلم يقنع؛ فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا يدري أي صلاة نسيها، ما الواجب

[1807] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 68 .
[1808] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 171.
[1809] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 223 .
[1810] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 571 .
[1811] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 571 .

عليه: يا شيبان؟! فقال شيبان: يا أحمد، هذا قلب غفل عن الله تعالى، فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعدُ!! فغشي على أحمد ... فلما أفاق، قال له الإمام الشافعي، رحمه الله: ألم أقل لك لا تحرك هذا!! وشيبان الراعي كان أمياً منهم، فإذا كان حالُ الأمي منهم هكذا، فما الظنُّ بأئمتهم؟؟))[1812].

والقول الثالث والعشرون: قال القشيري في وصفه للطريق الصوفي : ((ثم في خلال هذه الأحوال قبل وصوله إلى هذا المقام الذي هو نهاية ، يرى جملة الكون يضيء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شيء فكأنه يرى جميع الكون من السماء والأرض رؤية عيان ... ولكن رؤية قلب وبصيرة ، لأنه لا يرى في هذا الوقت بعينه لأنه شيء ، كما أنها ليست رؤية علم ، حيث لا يشعر بحركة في الكون لذرة أو نملة))[1813].

والقول الرابع والعشرون: قال القشيري :((ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك))[1814].

والقول الخامس والعشرون: قال أبو نُعيم الأصبهاني : ((ومنها التحقق بالإيمان الجامع والتمكن من العلم النافع : حدثنا أبو الحسن سهل بن عبد الله التستري ، حدثنا الحسين بن إسحاق ، حدثنا عبد السلام بن صالح ، بمكة ، حدثنا يوسف بن عطية ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه الفعل، والعلم علمان : علم بالقلب وهو العلم النافع ، وعلم باللسان فهو حجة الله على خلقه »))[1815].

والقول السادس والعشرون: قال أبو حامد الغزالي: ((ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم . فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب))[1816].

[1812] القشيري : الرسالة القشيرية ، ج 2 ، ص: 571 .
[1813] القشيري: ترتيب السلوك في طريق الله تعالى، حققه ابراهيم بسيوني، ص: 29 .
[1814] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 270.
[1815] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 74 .
[1816] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 284 .

والقول السابع والعشرون: قال الغزالي: ((فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة ،فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات؛ وهي رحمة من الله عز و جل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله))[1817] .

والقول الثامن والعشرون: قال الغزالي: ((والمدرك الثاني: الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء .. ولا تظن أن معرفة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليد لجبريل -عليه السلام-.. فإن التقليد ليس بمعرفة صحيحة .. والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- حاشاه الله من ذلك.. بل انكشفت له الأشياء .. وشاهدها بنور البصيرة .. كما شاهدت أنت المحسوسات بالعين الظاهرة ...))[1818]. وفي كتابه الإحياء : ((وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي - صلى الله عليه و سلم- لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل -عليه السلام- بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي -صلى الله عليه و سلم- حتى تكون معرفتك مثل معرفته ،وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد))[1819].

والقول التاسع والعشرون: قال الغزالي: على الصوفي أن يستعد بالتصفية المجردة وإحضار((الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له ...))[1820].

[1817] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ص: 99 .
[1818] الغزالي: أصناف المغرورين ، ص: 2 .
[1819] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 381 .
[1820] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 19 .

والقول الثلاثون: قال الغزالي: ((وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس. وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى :((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)(الكهف: 65)) مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف))[1821].

والقول الأخير- الواحد والثلاثون من أقوال الصوفية- : كان الصوفي أبو مدين الغوث إذا قيل له: ((قال فلان عن فلان عن فلان، يقول: ما نريد نأكل قديداً، ائتوني بلحم طري))[1822].

ومما له علاقة بغلو الصوفية بعلمهم وازدرائهم بالعلوم الأخرى ، أن بعضهم أحرق كتبه بعدما تصوف وبلغ نهايته . من ذلك ما رواه أبو نعيم الأصبهاني: ((حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت محمد بن جعفر بن مطر يقول: سمعت إبراهيم بن يوسف يقول: رمى أحمد بن أبي الحواري بكتبه فقال: نعم الدليل كنت ،والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال))[1823].

وفي رواية أنه قال: ((حدثنا محمد بن الحسين قال: سمعت محمد بن عبدالله الطبري يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة فلما بلغ الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها وقال: يا علم لم أفعل هذا بك تهاونا بك ولا استخفافا بحقك ولكن كنت أطلبك لأهتدي بك إلى ربي فلما اهتديت بك إلى ربي استغنيت عنك))[1824].

وأخرى أنه قال: ((حدثنا محمد بن الحسين قال سمعت أبي يقول قال أبراهيم بن شيبان يحكى عن أحمد بن أبي الحواري قال لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة))[1825].

وقال أيضا:((سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الرازي المذكر يقول سمعت أبا عمرو البيكندي يقول لما فرغ أحمد بن أبي

[1821] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 24 .

[1822] نقلا عن : محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية، ج 2 ص: 189 .

[1823] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 6 .

[1824] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 6 .

[1825] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 6 .

الحواري من التعليم جلس للناس فخطر بقلبه ذات يوم خاطر من قبل الحق فحمل كتبه إلى شط الفرات فجلس يبكي ساعة طويلة ثم قال: نعم الدليل كنت لي على ربي ،ولكن لما ظفرت بالمدلول كان الاشتغال بالدليل محال فغسل كتبه بالفرات))[1826].

وأشير هنا إلى أن الصوفية كثيرا ما يسمون علمهم بالحقيقة مقابل الشريعة، ويُفضلون حقيقتهم على الشريعة، أو ينوهون بأن بعض شيوخهم جمع بينهما. وصنف أحدهم كتابا في الفرق بين الشريعة والحقيقة[1827].

من ذلك مثلا قول عبد الكرريم القشيري: ((الشريعة: أمر بالتزام العبودية. والحقيقة: مشاهدة الربوبية ... فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده. والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر))[1828]. و((والكيِّس: من كان بحكم وقته؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، ون كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة))[1829].

وردا عليهم أقول: أولا إن قول الصوفية بأن علمهم كشفي رباني نوراني يقيني يجعلهم يعلمون كل شيء بالله ومن الله هو قول باطل قطعا بدليل المعطيات والشواهد الآتية:

أولا إن المصدر الأساسي الذي استقى منه الصوفية فكرهم- علمهم المزعوم- ليس مصدرا علميا ،ولا يصح الاعتماد عليه، ولا أخذ العلم منه.لأنه خارج مصادر المعرفة التي حددها الشرع ويقول بها العقل والعلم، والمعروفة لدى الناس. وهي: الوحي الإلهي ، والفطرة – الهداية القلبية والعقلية- ، والعلم ، وهذه المصادر مذكورة في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج : 8)). والفطرة والعلم نتائجهما نسبية،فليست مطلقة، وإنما هي احتمالية تتضمن الخطأ والصواب ، لكن جانبها البديهي صحيح من دون شك عندما يكون الإنسان في حالته الطبيعية . لأنها قد تتغير عندما يفقد الإنسان توازنه في حالات المرض، والسكر والهلوسات.

[1826] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 6 .

[1827] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص:124، 127 . وأبو نُعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج 4 ص: 420 . وابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 43 . الذي صنف ذلك الكتاب هو أبو عبد الرحمن السلمي . خير الدين الزركلي: الأعلام، ج 6 ص: 99.

[1828] القشيري: الرسالة، ص: 42 .

[1829] القشيري: الرسالة، ص: 31 .

وأما إذا قيل: إن الصوفية يقولون أن علمهم قلبي، ومن ثم فهو صحيح. فأقول: هذا القول لا يصح ، لأن للإنسان علمين: علم فطري يدركه بالبديهة ، أو يحس به من داخله كإحساسه بالجوع، والمعرفة الفطرية تظهر على القلب أو العقل، أو هما معا. والثاني هو علم كسبي يكتشفه الإنسان بحواسه وعقله وقلبه ووجدانه عندما تتفاعل هذه الوسائل بباطن الإنسان ومحيطه. فالعلم القلبي ليس مستقلا بذاته، فإما أن يكون علمه فطريا ، وإما كسبيا كما بيناه ، وعلمه ليس منفصلا عن علم العقل والحواس والتجربة، ولا يتناقض معه. وإذا ما تناقض مع علم الوحي والعقل والتجربة، فهو غير صحيح ، وليس علما من دون شك .

ولذلك فإن فكر الصوفية – علمهم المزعوم- ليس هو من الفطري ولا من الكسبي. لأنه لو كان فطريا لعلمه كل الناس، ولو كان علما كسبيا موضوعيا لتمكن غيرهم من معرفته دون ممارسة طريقهم الصوفي من جهة، ولأمكن تمحيصه وإخضاعه للتجربة الموضوعية من جهة أخرى. ولهذا فإن الفكر الصوفي ليس علما قلبيا، ولا عقليا ولا شرعيا ولا علميا.

ولا يصح الاحتجاج بالنبوة، لأن القلب لا يُمكنه أن يكتسبها،لأنها ليست مما يُكتسب، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى وفضل منه يتفضل بها على من اختاره لها من عباده ، فهي تتم بتدخل مباشر منه سبحانه.وكل من يزعم أن حاله كحال النبي ولم يكن نبيا فهو كذاب من دون شك.

ولا يصح أيضا الاحتجاج بأحوال القلب، بدعوى أن له أحوالا إيمانية وخارقة تجعله يتجاوز ضوابط الشرع والعقل والعلم. لا يصح ذلك لأن القلب له أحوال كثيرة، منها الإيمانية، والكفرية، والصحية، والمرضية، وخليط بين ذلك . ولهذا يجب أن تُخضع أحوال القلب كلها، ومنها أحوال الصوفية، لضوابط الشرع الصحيح، والعقل الصريح، والعلم الصحيح. وكل حال يُخالف تلك الضوابط فهو حال باطل قطعا، ولا يُمكن أن يكون حَكَما على مصادر العلم التي ذكرناها آنفا .

وبما أن الأمر كذلك فما هو المصدر الأساسي الذي أخذ الصوفية منه علمهم المزعوم ؟؟. إن ذلك المصدر هو ما كانوا يجدونه في أنفسهم من أحوال ومواجيد فاسدة، وهلوسات وتلبيسات نفسية وشيطانية ، بسبب ممارساتهم للطريق الصوفي. وهم في ذلك من الذين يصدق عليهم قوله

تعالى: ((كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))(الأنعام: 122)، ((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ))(البقرة : 10)،و ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ))(الحج : 53)).

علما بأن قول الصوفية بأن علمهم كشفي نوراني رباني يقيني، هو مجرد زعم لا دليل صحيح يُثبته من جهة، وقد قامت أدلة الشرع والعقل والعلم على مخالفته ونقضه من جهة أخرى[1830]. والمعرفة القلبية لا يُمكن أن تكون صحيحة إلا إذا التزمت بالوحي والعقل والعلم ، وإلا فهي معرفة باطلة ومجرد زعم ، والزعم بلا بينات تُثبته ليس دليلا ولا يعجز عنه أحد. ومن جهة أخرى يُمكن لأي إنسان أن يدعي ما يدعيه الصوفية ويكذبهم في أحوالهم وأقوالهم ويقول: أنا أيضا أجد في قلبي ووجداني أن أقوال الصوفية باطلة ، وأن أحوالي ووجدانياتي هي الصحيحة. ويستطيع إنسان آخر أن يقول كلاما آخر بدعوى علم الملكوت والحقائق. وهنا تتضارب الأقوال وتتساوى المزاعم ، ولكي نعرف الحقيقة ، ويتبين الصادق من الكاذب فلابد من الاحتكام إلى المصادر الموضوعية وموازينها ، وهي: الوحي، والعقل ، والعلم .

ولما كان الصوفية أقاموا تصوفهم على مخالفة الشرع والعقل والعلم وجدناهم قديما وحديثا يطعنون في علم الوحي والعقل والعلم ،ويُقدمون عليه ظنونهم وأحوالهم وشطحاتهم؛ حتى أنهم رووا عن الجنيد أنه قال: ((أحب للصوفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه))[1831]. لكن الحقيقة هي أن من لا يقرأ الشرع ويتعبد على طريقة الصوفية يكون ذلك أجمع لجهله وأهوائه وظنونه وهلوساته ، فيصبح فريسة لنفسه وشيطانه **!!**.

وقال السراج الطوسي: ((قال بعضهم: إذا رأيت الفقير قد انحط من الحقيقة إلى العلم، فاعلم أنه قد فسخ عزمه وحل عقده))[1832].

وأقول: إن الأخذ بالعلم ليس فسخا للعزم ، وتركه والأخذ بالتصوف هو عزم على الجهل والخرافة. والأمر ليس كما قال ذلك الصوفي لأن الحقيقة

[1830] سبق أن بينا بالتفصيل مظاهر مخالفة التصوف للشرع والعقل والعلم وهدمه لهذه المصادر.

[1831] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 239 .

[1832] نقلا عن محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ، ج 2 ص: 27 .

هي العلم ،والعلم هو الحقيقة ، والشريعة هي حقيقة وعلم . وعليه فلا يصح تقسيم الصوفية للعلم إلى علم ظاهر، وعلم باطن، أو إلى شريعة وحقيقة. وهذا يعني أن القوم فعلوا ذلك إما عن جهل وقلة علم ،وإما فعلوه لغاية في نفوسهم انتصارا للتصوف ، وانفلاتا من ضوابط الشرع والعقل والعلم.

ومن ذلك أيضا قول الجنيد:((إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم؛ فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه ...))[1833].

وأقول: الحقيقة هي أن العلم نور وليس وحشة ،والعلم نبراس ومشعل ينير الطريق أمام الإنسان . قال سبحانه : ((ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ)(الرعد: 37))،و((قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ(المائدة: 15)). لكنه بالنسبة للصوفية وحشة وقلق واضطراب وحيرة ، لأنهم إن أخذوا بالعلم وأحتكموا إليه أظهر لهم مدى ضلالهم وانحرافهم عن الشرع والعقل والعلم، وهذا ينقض عليهم تصوفهم ، ويُقلقهم ويشوش عليهم أحوالهم . لهذا فهم لا يريدونه حفاظا على ما هم فيه ودرجوا عليه. قال تعالى: ((كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)(الروم : 32)).

من ذلك أيضا قول ابن عجيبة : ((وعلماء الظاهر علمهم متعلق بأحكام الله. مفرقُون عن الله، بل هم أشد حجابًا من غيرهم عن الله. قال بعض الأولياء: أشد الناس حجابًا عن الله: العلماء ثم العباد ثم الزهاد . لأن حلاوة ما هم فيه تمنعهم عن الانتقال عنه))[1834].

وأقول: إن القوم ليخفوا انحرافاتهم وظلالاتهم وبعدهم عن الشرع والعقل والعلم يختفون بحكاية علم الباطن، ويتهمون غيرهم بأنهم من علماء الظاهر، ولا معرفة ذوقية لهم بعلم القلوب. والحقيقة ليست كذلك لأن العالم التقي الملتزم بالشرع يتمتع بالإيمان الحقيقي قلبا وقالبا ، وتظهر عليه أحوال الإيمان القلبية الداخلية وآثارها الخارجية ، وهذا هو حال الصحابة ومن سار على نهجهم تنطبق عليهم أحوال الإيمان التي ذكرها الله تعالى. كقوله سبحانه : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ

[1833] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 125 .
[1834] ابن عجيبة: البحر المديد ، ج 2 ص: 79 .

شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32))،و((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت: 45)).

وليس صحيحا أن العلماء المخلصين الربانيين عندما يشتغلون بعلوم الشريعة، والعقل والطبيعة تصرفهم عن معرفة الله تعالى وتذوّق ثمار عبوديتهم له. وإنما هم أثناء ذلك يُطيعون الله تعالى ، ويلتزمون بشريعته ، ويدعون الناس إلى دينه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من جهة، ويذكرون الله تعالى ، ويكتشفون أسراره وحِكمه في مخلوقاته فيزدادون إيمانا وأنوارا ومعرفة بالله وقربا منه .

وهذا خلاف الصوفي الذي لا يعبد الله طاعة له والتزاما بشريعته ، وإنما يعبده بالعبادة الصوفية التي تقوم على الحب الفاسد والفناء في الله ، ولا تقوم على العبادة الشرعية التي تجمع بين الخوف والرجاء والحب والالتزام بشريعة الله تعالى. وهذا الصوفي لن يتذوق العبادة الشرعية الصحيحة وثمارها الربانية، وإنما يتذوق أحوالا وهمية نفسانية هلوسية وشيطانية توصله إلى الرعونات والجهالات، والتعالي والتعالم على المخلوقات، ثم تنتهي بهم إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود. فعاقبهم الله تعالى بذلك وتركهم فريسة لأهوائهم وشياطينهم. قال سبحانه: ((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)(الزخرف: 36)) ،و((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج: 53)).

وبذلك يتبين أن العلم الصوفي المزعوم ليس علما صحيحا لفساد مصادره، ولأنه فكر أنتجته أحوال الصوفية في غياب ضوابط الشرع والعقل والعلم . فهو معرفة ذاتية وهمية هلوسية تلبيسية، ولا يُمكن أن تكون معرفة صحيحة بأي حال من الأحوال.

وثانيا إن مما يُبطل علمهم المزعوم هو أنه " علم" مخالف للشرع مُنطلقا وممارسة، فلو كان صحيحا ما كان هذا حاله مع دين الإسلام. فمن جهة المنطلق أنه "علم" لا شرعية له ، لأن الله تعالى لم يجعل العلم به وبكتابه وشريعته وبكل مجالات العلم قائما على الكشف والعلم الباطني . بدليل أنه أنزل الكتاب ، وأمرنا بقراءته وتدبره وتطبيقه واكتشاف أسراره وبه حثنا على طلب العلوم واكتشاف أسرار الكون. ونص فيه على أنه سبحانه أنزل

الكتب على الأنبياء، وعلّم الإنسان بالقلم ((اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(العلق:3- 5)). وكذلك النبي-عليه الصلاة والسلام – ربى صحابته على تلقي العلوم بالقلم ومن الكتاب. ولو كان هناك طريق آخر لتلقي العلوم كما يزعم الصوفية لأمرنا به الله ورسوله . وأما حكاية العلم القلبي فهو- أي القلب- ليست له علوم ومناهج خاصة به، وإنما هو يتلقى العلم من الكتاب وبالقلم وبالحواس ، وليست عنده مصادر أخرى يتعلم منها كما بيناه أعلاه.

ومما يُبطل علمهم أيضا أنه يجعل أتباعه معصومين ويعلمون الغيب ، ويتصلون بالملائكة وبالله . وهذا يُؤدي بالضرورة إلى نقض ختم النبوة وتعطيل شريعة الإسلام وهدمها في النهاية. وبما أن الأمر كذلك، دلّ هذا قطعا على فساد وبطلان علم الصوفية المزعوم، لأن العلم الصحيح لا يُمكن أن ينقض الوحي الصحيح، ولا العقل الصريح .

وأما من جهة الممارسة ، فإن علم الصوفية المزعوم خالف الشرع وعطله وهدمه ، وأوصل أصحابه إلى الكفر بالله ورسوله ودينه، كما سبق أن بيناه. فمن ذلك مثلا أنه أوصل أتباعه إلى القول بوحدة الوجود ، مما يعني إنكار وجود العالم كمخلوق مستقل عن خالقه، وإنكار كونه حادثا له بداية وستكون له نهاية. وهذا مناقض للشرع تماما مما يعني أن العلم الصوفي ليس صحيحا ولا يقينيا، بل إنه باطل قطعا.

والشاهد الثاني مفاده أن بعض شيوخ الصوفية اعترفوا أن علمهم أوصلهم إلى الكفر وإبطال العلم والنبوة والأحكام، منها قول الجنيد :((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة .وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم)). وقال أبو طالب المكي: ((إفشاء سرّ الربوبية كفر. وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره. وقال بعضهم: للربوبية سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة وللنبوّة سرّ لو كشف بطل العلم، وللعلماء باللّه سرّ لو أظهره اللّه تعالى لبطلت الأحكام، فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرّ، به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي، اللّه غالب على أمره))[1835]. فهذا اعتراف منهم ودليل قاطع على بطلان وفساد علمهم المزعوم . لأن أي فكر، أو عقيدة، أو مذهب ، أو علم مزعوم يُؤدي إلى إبطال النبوة والشرع

1835 أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 . والغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ص: 100.

والعلم، ويوصل أصحابه إلى الكفر فهو باطل قطعا من دون شك . وبهذا يكون الصوفية اعترفوا بضلالهم وانحرافهم وبطلان علمهم المزعوم !! .

والشاهد الثالث مضمونه أن العلم الصوفي أوقع الصوفية في ُمنكرات وآفات وجرائم أخلاقية مدمرة لهم ولتصوفهم. من ذلك ما اعترف به يوسف ابن الحسين بقوله: ((نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أوتوا ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وإرفاق النسوان))[1836]. فأين حكاية علم الباطن والفراسة ، والمعرفة القلبية، والحصانة الوجدانية التي يتغنى بها القوم ؟؟. وأين حكاية العصمة، والكشف والنور الرباني؟؟، أليس من يفعل ذلك عبد لأهوائه وشيطانه ؟؟. وأليس من يفعل ذلك لم يعرف الله ولا آمن به حق الإيمان، ولا التزم بشريعته بدليل قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)) ؟؟ . أليس هؤلاء حدث لهم عكس ما قررته هذه الآية الكريمة ؟؟. نعم إن الأمر كذلك، فقد اوصلهم علمهم المزعوم إلى الكفر والفسوق والعصيان. فدلّ هذا قطعا على بطلان علمهم .

والشاهد الأخير –الرابع- مفاده أن علم الصوفية المزعوم أوصل بعضهم إلى إرتكاب المنكرات جهارا نهارا من جهة، وجعلهم يسكتون عن منكراتهم ويُعطلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى. من ذلك مثلا ما ذكره الشعراني عن الصوفي علي بن خودة (ت بعد: 920 هـ) بقوله: ((وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير ، أو ابن وزير ، ولو كان بحضرة والده ، أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس ، ولا عليه من أحد))[1837]**!!.**

وقال عن الصوفي إبراهيم العريان (ت بعد: 930 هـ) : ((وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً فيقول **:**السلطان، ودمياط باب اللوق بين القصرين، وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم)). و كان يُخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: " هذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك ، فيخجل ذلك الكبير منه"[1838].

[1836] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 255 .
[1837] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 135 .
[1838] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 142.

وكان الصوفي شعبان المجذوب (ت بعد: 900 هـ) يُدخل في القرآن ما ليس منه ، ويقرأ كلاما مسجوعا على أنه من القرآن وهو ليس منه[1839].

فأين حكاية العصمة، والعلم الرباني والكشفي ،والباطني والنوراني؟؟ !! . وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟؟، وهل العالم المؤمن التقي المُنوّر القلب يرتكب تلك المُنكرات ؟؟!! . كلا وألف كلا، إن من يفعلها ليس مؤمنا، ولا تقيا، ولا عالما بالله علما صحيحا، وإنما هو فاسق ضال مُضل. وعلمه الرباني المزعوم ليس كذلك، وإنما هو أحوال فاسدة وهلوسات وتلبيسات نفسية وشيطانية، ولا يُمكن أن تكون علما صحيحا، ولا أحوالا ربانية نورانية.

وثالثا إن مما يُبطل علمهم المزعوم هو أن " علمهم" هذا أوقع شيوخ الصوفية في أخطاء علمية كثيرة، ولو كان علمهم صحيحا ما وقعوا في تلك الأخطاء. أذكر منها النماذج الآتية:

أولها: سبق أن بينا أن العلم الصوفي انتهى بأصحابه إلى القول بوحدة الوجود، وهذا يعني أن الكون ليس مخلوقا، ولا بداية ولا نهاية له، بحكم أنه هو الله حسب زعم الصوفية. وهذا مناقض لما قرره العلم الحديث بأن الكون مخلوق له بداية وستكون له نهاية أيضا[1840].فقول علم الصوفية بأزلية العالم غير صحيح ، ويرده العلم الحديث.

والنموذج الثاني: قيل لأبي يزيد البسطامي: ((بلغتَ جبل قاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب الشأن في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد، قيل: وما هذا؟ قال: هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى، حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف محيط بهده الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين . وكان يُخبر أنه صعد جبل قاف، ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها ...))[1841].

وأقول : كلامه هذا زعم باطل، ولا حقيقة له ، لأن الثابت علميا أن الأرض لا يُحيط بها أي جبل من تلك الجبال المزعومة ولا جبل آخر، ولا لتلك الجبال من وجود ، وإنما هي محاطة بمياه المحيطات والبحار تمثل

[1839] الشعراني : طبقات الصوفية ، ج 2 ص: 185 .

[1840] أنظر مثلا: الموسوعة العربية العالمية، مادة: الانفجار العظيم،

[1841] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص: 473 .

فيها نحو 70 % والباقي يابسة[1842] . فالرجل يتكلم بلا علم ، ويهذي بهذيانه بدعوى الكشف وعلم الباطن، وما هي إلا أوهام وهلوسات وأكاذيب.

وتلك الرواية الصوفية تعمدت مخالفة القرآن الكريم ،لأن الله تعالى أخبرنا أن سفينة نوح استوت على جبل الجودي- بتركيا- ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(هود: 44))، لكن هذا الرجل خالفه وزعم أنه رآها راسية على جبل قاف الخرافي**!!**.

والنموذج الثالث: قال الباحث محمود عبد الرؤوف القاسم- رحمه الله- : ((من كشوف الأقطاب الأغواث العارفين أن الأرض محمولة على حوت اسمه (نون)، والحوت على الماء المحيط .. إلى آخر الهذيان، ولم يستطع واحد من أولئك العارفين الذين عرفوا الأمور بنور اليقين - كما يقول حجتهم- أن يعرف أن ذلك هراء، وأن الأرض كروية مدحوة في الفضاء ،وأنها تدور حول الشمس، وأن ماءها خرج منها ((أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)) [النازعات:31]، وهذا يعني أن الماء محمول عليها، وليست هي محمولة عليه، وهذا دليل على أن كشوفهم ليست إلهية، بل هي هذيانات هلوسية؛ لأنها لم تستطع معرفة الحقيقة ولا فهم الآية الكريمة))[1843].

والنموذج الرابع: قال الباحث محمود عبد الرؤوف القاسم : ((رأى قطب منهم الشمس في عَجَلة يجرها ملكان لهما مخالب... وهذا يذكرنا بالحيوان الأسطوري الذي يجر عجلة ملكية والذي رآه حشاش فطر المكسيك، ولم يستطع الكشف الجاهل ولا كل كشوفهم أن تعرفهم أن الشمس كتلة ملتهبة مضطربة تكاد تميز من الغيظ أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأنها ليست محمولة على عجلة بل مدحوة في الفضاء. إذن فكشفهم ليس إلهياً وإنما هو هلوسة هذيانية))[1844].

و((لم يعرف أي قطب منهم أو غوث من الذين يتصرفون في الكون أن القمر مثل الأرض فيه صخور وأتربة، وأنه كروي خال من الهواء والماء!

[1842] أنظر مثلا: الموسوعة العربية العالمية، مادة: المحيط .

[1843] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 674.

[1844] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 674.

ولم يعرف عارف منهم أن المريخ والزهرة والكاتب(عطارد) وغيرها كلها مثل الأرض تتألف من صخور وأتربة وفيها أجواء غازية وفي بعضها ماء... لأن كشفهم ليس إلهياً بل هلوسات تحشيشية))[1845].

و((لم يستطع أي غوث منهم من الذين يتصرفون في الكون أو من الذين تحققوا بأسماء الله الحسنى، ومنها الاسم (العليم) ومنها (علام الغيوب)، أن يعلموا شيئاً عن الذرات والجواهر والنوى وكهاربها وحركاتها..لأن كشفهم ليس إلهياً بل هلوسة أفيونية يرون فيها ما كانوا يتوهمونه عن الكون من خرافات وأساطير))[1846].

والنموذج الخامس: يقول الباحث محمود عبد الرؤوف القاسم : ((يورد أبو طالب المكي نفسه:...قيل لأبي يزيد: دخلت إرم ذات العماد؟ فقال: قد دخلت (ألف مدينة) لله في ملكه، أدناها ذات العماد، ثم عدد كلها: البيت، وتاويل، وتاريس، وجابلق، وجابرس، ومسك. ولعل قائلاً يقول: فقد قال الله في وصفها: ((الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ)) [الفجر:8]. قيل: فإن معناه في بلاد اليمن، لأنهم خوطبوا في بلادهم...فذات العماد مدينة عاد في اليمن بين أبتر والشحر، يقال: لها سور له (ألف باب)، ما بين البابين فرسخ، مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد، فيها (مائة ألف عمود) من ذلك...تجتمع في هذه المدينة طائفة من الأبدال ليالي الجمع وفي الأعياد...وقد كان سهل رحمه الله يزورها في كل جمعة))، و هذا ((الهذيان الجاهل واضح لا يحتاج إلى من ينبه عليه، لكن يظهر أن كشفهم أجهل ما يكون في حساب المسافات!! لأن سوراً طوله (ألف فرسخ) كاف لتسوير اليمن كلها بما في ذلك أبتر والشحر، ويبقى منه بقية، ولكنه الكشف والعلم اللدني! فلا تعترض))[1847].

والنموذج السادس: يقول عبد الكريم القشيري ((وإمَّا إن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق - إنْ حَقَّ ما قالوا : إن الجنينَ يتَغَذَّى بدم الطمث . وإذا أخرجك من بطن أمك رَزَقَكَ))[1848]. ويقول المفسر الصوفي ابن عجيبة : ((ونعمة الإمداد : ما يتغذّى به الجنين في بطن أمه من دم الحيض))[1849].

[1845] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 674.
[1846] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 675.
[1847] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 426.
[1848] القشيري: تفسير القشيري ، ج 6 ص: 186 .
[1849] ابن عجيبة : البحر المديد، ج 6 ص: 240 .

وأقول: كلامهما هذا فيه خطأ علمي كبير يدل قطعا على بطلان حكاية علم الباطن والمكاشفة الذي يدعيه الصوفية ويتغنون به، ويشهد على بطلان حكاية عصمة الشيوخ وحفظ الله لهم في أحوالهم[1850].

فالقشيري غير متأكد وإنما حكى القول بأن الجنين يتغذى بدم الطمث-الحيض- . وهذا غير مقبول منه، لأنه بحكم أنه ادعى بأن الصوفي له علم لدني، وباطني وكشفي وأن الشيخ معصوم يجب عليه أن يكون متيقنا ولا يشك ، فهذا يعني أنه لا يعرف الحقيقة.
وابن عجيبة نص على أن الجنين يتغذى من دم الحيض من دون أن يشك. وكلامهما غير صحيح، وباطل شرعا وعلما[1851]. قالا به متابعة لفلسفة أرسطو[1852]، لأن الثابت واقعا وعلما أن المرأة الحامل لا تحيض ،فمن أين يأتيها الطمث ؟؟!!. وحتى إذا فرضنا جدلا أنها تحيض فإن الجنين يتغذى من الحبل السري، ولا علاقة له بدم الحيض الفاسد الموجود في الرحم. وهل يُعقل أن يكون الدم الفاسد غذاءً للجنين ؟؟!!.

والنموذج السابع- من أخطاء الصوفية- : قال أبو حامد الغزالي: ((وتأليف الجنين من المني ودم الحيض))[1853]. وهذا خطأ علمي واضح ، لأن الجنين كما جاء في الشرع والعلم يتكون من ماء الرجل وماء المرأة ، ولا دخل لدم الحيض مطلقا في تكوين الجنين . بل إنه عندما يحدث الحمل المرأة تكون في حالة طهر ، ولا يوجد الطمث أصلا. فالغزالي اتبع ما يقوله أرسطو، وخالف الشرع الذي نص صراحة على أن الإنسان يتكون من نظفة مختلطة من الذكر والأنثى. قال تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً }الإنسان2-. والنطفة الأمشاج هي النطفة المختلطة المُمتزجة ، كما هو معروف في كتب التفسير[1854].

و مما يُؤكد ذلك و يُوضحه أكثر ، أنه قد صح الحديث عن نبينا محمد – عليه الصلاة و السلام أنه قال : ((ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثى بإذن الله ...))[1855] . فالحديث نصّ صراحة على أن

[1850] سبق أن ذكرنا أقوال الصوفية المتعلقة بالعصمة والفراسة في المبحث السابق من هذا الفصل.
[1851] سنبين ذلك بعد عرض موقف الصوفي أبي حامد الغزالي.
[1852] للوقوف على ذلك أنظر كتابنا: جنايات أرسطو في حق العقل والعلم ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .
[1853] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 111 .
[1854] أنظر مثلا : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، : دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1999 ، ج 6 ص: 594 ، ج 8 ص: 285 .
[1855] مسلم : الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت ، رقم الحديث : 315 ج 1 ص: 252 .

كلا من المرأة والرجل يُساهم في نوع الجنين من جهة الذكورة والأنوثة ،وماء المرأة هذا ليس هو دم الطمث ، لأنه أصفر اللون ،ودم الطمث أحمر كما هو معروف.

وأما فيما يتعلق بنوع الجنين فتوجد في القرآن الكريم آية كريمة من تدبرها جيدا فيجد فيها إشارة رائعة إلى أن الرجل هو المسئول الأول عن نوع الجنين ، وهي قوله سبحانه : { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى } النجم: 45- 46- . فالذكورة والأنوثة سببها النطفة التي تُمنى و هي نطفة مني الرجل ، و الله أعلم .

وأما من الناحية العلمية فقد ثبت أن الحيوان المنوي للرجل يحتوي بداخله على الصبغي : x،أو y . لكن بويضة المرأة تحتوي على الصبغي : x فقط . فإذا اتحد عند الإخصاب : x y فالجنين ذكر ،و إذا اتحد : x x فالجنين أنثى[1856] .

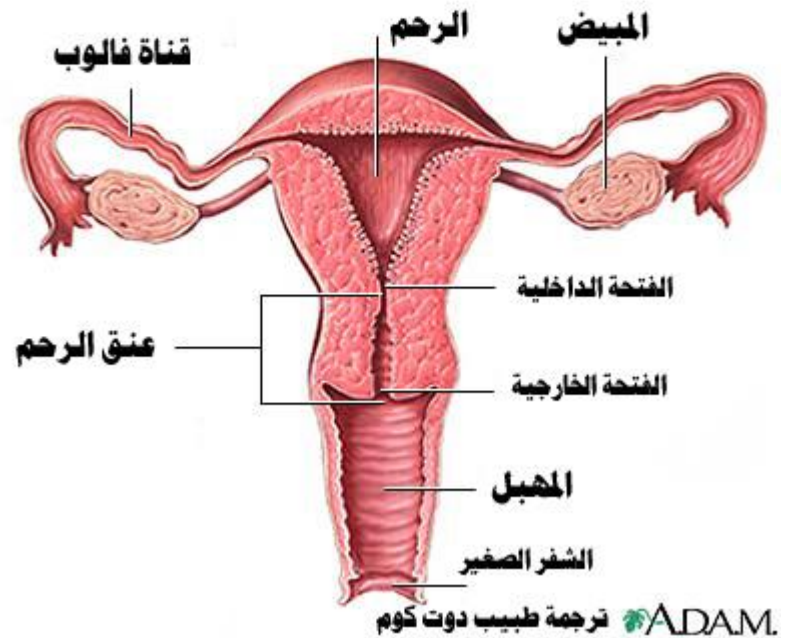
والنموذج الثامن: قال أبو حامد الغزالي: ((وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الإناث وكيفية))[1857].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح، لأن الرحم ليس له قالب ذكوري، ولا أنثوي ولا قالبان، وإنما هو جوف واحد كما هو مبين في الصورتين: 1، 2 ، سواء كان الجنين ذكرا ، أو أنثى، أوهما معا في حالة التوأمين. ولا دخل للرحم في نوع الجنين ولا تشكيله، لأن هذا تحدده بويضة المرأة والحيوان المنوي للرجل، ولا يحدث ذلك في الرحم كما قال الغزالي وإنما في قناة فالوب[1858]، وفيها يتم التلقيح ويتحدد الجنين، ثم تنزل البويضة الملقحة إلى الرحم . والغزالي هنا استبعد دور بويضة المرأة في التلقيح ونوع الجنين، وزعم أن القالبان الموجودان في الرحم هما المسؤولان عن نوع الجنين ، وهذا غير صحيح . فأين حكاية علم الباطن والمكاشفة **؟؟ !!** .

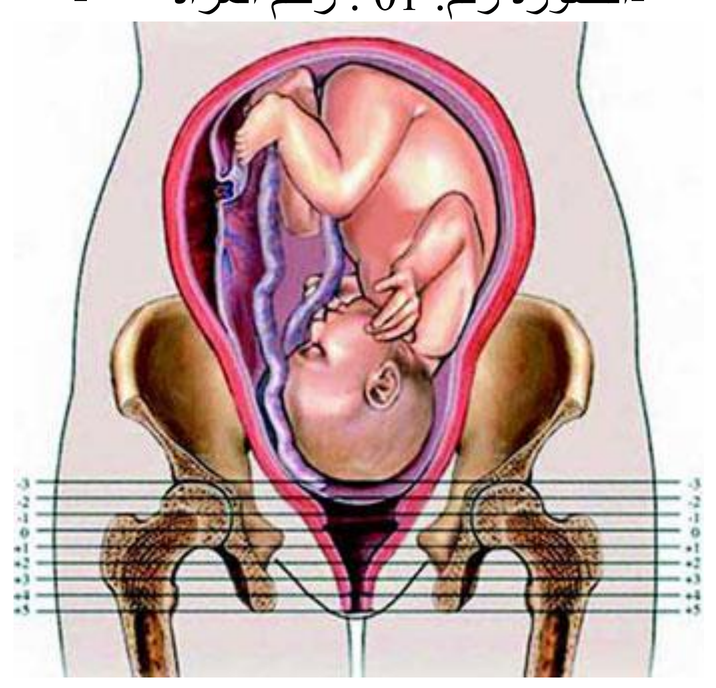
1856 الموسوعة العربية العالمية ، مادة : الوراثة .

1857 الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 111 .

1858 أنظر الصورة رقم: 01 .



-الصورة رقم: 01 : رحم المرأة [1859] -



الصورة رقم : 02 : الجنين داخل الرحم[1860]

والنموذج التاسع: عندما تكلم أبو حامد الغزالي عن القدرة الإلهية، كان مما قاله : ((وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم))[1861].

[1859] الصورة مأخوذة من موقع طبيب دوت كوم ، على الشبكة المعلوماتية .
[1860] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[1861] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 436 .

وأقول: ليس صحيحا أن دم الحيض يستجلب من أعماق العروق، لأن دم الحيض هو في الأصل دم نقي مع الأغشية والمكونات التي بطنت الرحم وتكونت عقب طهارة المرأة انتظارا لتهيئة الرحم ليستقبل الجنين في حالة حدوث الإخصاب، فإذا لم يحدث ذلك تحيض المرأة وتخرج تلك المكونات بسوائلها ودمها . فدم الحيض يتكون داخل الرحم ولا يأتي من أعماق العروق كما قال الغزالي، لأنه في الأصل دم نقي ثم يتحول إلى دم فاسد عندما لا يحدث الحمل . فأين علم الباطن، وعلم المكاشفة ؟؟.

والنموذج الأخير- العاشر- : قال أبو طالب المكي : ((واعلم أنّ العبد لا ينقطع رزقه أبداً منذ أظهرت خلقته كان في بطن أمه، غذاؤه مما تفيض الأرحام من دم الحيض، يعيش بذلك جسمه))[1862]. وقال الغزالي ((ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر))[1863].

وأقول: ليس صحيحا أن الجنين يتغذى من دم الحيض، هذا كلام باطل، وإنما الجنين يتغذى من دم أمه النقي المخصص لغذائه ، ولا علاقة له أبدا بدم الحيض. هذا فضلا على أن المرأة الحامل لا تحيض ، فمن أين يأتي دم الحيض ؟؟. ودم الحيض يتكون في الرحم ، لكن الجنين يتغذى من أمه بواسطة الحبل السري. ودم الحيض دم فاسد لا يصلح غذاءً للجنين ، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)(البقرة: 222)). فأين الكشف وعلم الباطن، والنور الرباني اليقيني الذي يتمتع به الشيخ الصوفي ، وقد أطنب الغزالي في وصفه والتنويه به في كتابه إحياء علوم الدين؟؟!! .

وأُشير هنا إلى أنه ربما يعترض علينا بعض أهل العلم، فيقول : لا يصح محاكمة آراء هؤلاء الصوفية للعلم الحديث، وإنما تُحاكم لعلوم عصرهم.

وأقول: ذلك الاعتراض لا يصح بدليل الشواهد الآتية: أولها إن الخطأ هو الخطأ ويجب التنبيه إليه وإظهاره، ثم بعد ذلك نعتذر لهؤلاء إن أمكن الاعتذار لهم .

[1862] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 154 .

[1863] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 436 .

والثاني: إن هؤلاء الصوفية لا يصح أن نبرر مواقفهم وأخطائهم لأنهم زعموا أنهم أرباب علم الباطن، وعلم المكاشفة، وأصحاب العصمة والفِراسة، والعلم اليقيني، وعليه يجب أن نناقشهم على هذا المستوى ونطالبهم بصحة مزاعمهم ، ثم نبين بطلانها بإظهار هذه الأخطاء. فأنا وأنت وكل أهل العلم قد يصح الاعتذار لهم وتبرير أخطائهم، لكن الصوفية لا يصح ذلك في حقهم ، لأنهم زعموا أنهم وصلوا إلى الفناء في الله ، فأصبحوا أربابا يعلمون ما كان وما سيكون كما سبق أن بيناه. ولهذا يجب عدم قبول أي خطأ منهم ، ولا يصح تبريره ، لأن هذا ينقض علمهم المزعوم من أساسه.

والشاهد الثالث: إن هؤلاء الصوفية اتبعوا فلسفة أرسطو من دون تمحيص صحيح ، ولا موقف علمي موضوعي ، فكان في مقدورهم التشكيك أو التوقف في موقفهم منها. وحتى هذا لا يصح في حقهم بحكم أنهم أرباب علم الباطن والمكاشفة كما يزعمون.

والرابع: لو تدبر هؤلاء الصوفية في الشرع ولم يهملوه ولا تجاوزوه كعادتهم لما أخطؤوا في بعض تلك المواقف المتعلقة بأمور علمية بينها الشرع وقال فيها كلمته. علما بأنه من حقنا مناقشة هؤلاء بعلومنا، كما هم ناقشوا قضايهم بعلومهم، واستعانوا بما كتبه أرسطو وأصحابه.

ورابعا إن مما يُبطل علم الصوفية أيضا هو أن بعض شيوخهم وقعوا في أخطاء تاريخية واضحة، تشهد عليهم أنهم تكلموا بلا علم، وأن علمهم الصوفي المزعوم لا حقيقة له. أذكر منها هنا ثلاثة أمثلة:

الأول مفاده أن الصوفي ابن الأهدل اليمني الشافعي الأشعري(ت 855هـ) ، ادعى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان أشعري المعتقد حنبلي الفروع[1864]. مُعتمدا على ما ذكره المؤرخ اليافعي المكي الصوفي(ت768 هـ/1366م) الذي روى أن الشيخ الجيلاني غيّر اعتقاده في آخر عمره ، مدعيا أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني[1865] أخبره أن الجيلاني لما ((بلغه أن الفقيه الإمام البارع المشكور تقي الدين بن دقيق العيد المشهور تعجّب من شذوذ الشيخ عبد القادر المذكور ، في اعتقاده عن موافقة الجمهور

[1864] ابن الأهدل : كشف الغطاء ، ص : 83 .
[1865] لم أجده .

العارفين،والعلماء المحققين في مسألة الجهة المعروفة[1866])) فغيرّ-أي الجيلاني- عقيدته في الجهة والمكان ، في آخر عمره[1867] .ثم أضاف اليافعي أنه لا يشك في الشيخ نجم الدين-الذي أخبره بذلك- لأنه من ذوي الكشف والنور، ويسكن في العراق ، فهو قريب من موطن الشيخ الجيلاني[1868].

وأقول : إن ما ادعاه اليافعي باطل قطعا ن بدليل الشواهد الآتية: أولها إن الشيخ عبد القادر أثبت الصفات الإلهية ، كالعلو ، والجهة ، والاستواء على العرش ، في كتابه الغنية و لم يؤّولها ، ورد فيه على الأشاعرة في مسألة النزول والصوت و الحرف ، وذمهم و وصفهم بالابتداع[1869] .

والثاني هو أن اليافعي انفرد بهذا الخبر عن غيره من المؤرخين ، فإني لم أعثر عليه في كتب التراجم والتواريخ ، ولا في الطبقات وكتب العقيدة التي اطلعت عليها . لذا فمن المستبعد جدا أن يُغيّر الجيلاني اعتقاده الحنبلي ، ولا يُشتهر ذلك عنه بين الحنابلة والطوائف الإسلامية الأخرى ، و بين خصومه الحنابلة الذين يبحثون عن أي شيء للطعن فيه[1870].

والشاهد الثالث: إن خبره يحمل في ذاته الدليل القاطع على بطلانه، لأن فيه أن الشيخ عبد القادر غيّر اعتقاده ، عندما بلغه ما قاله عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد. وهذا مستحيل، فكيف يبلغه ذلك وهذا الأخير قد ولد في سنة 625 هـ/1228 م وتوفي في سنة 702هـ 1302 م، و والده مجد الدين قد ولد في عام 581هـ 1185م ، وتوفي في عام 667هـ1286م[1871] ؛ والشيخ الجيلاني توفي في سنة 561هـ/116 م ، فبينه و بين الابن أربع وستين سنة ، و بينه و بين الأب عشرين سنة ؟ أليس هذا دليل قاطع على بطلان خبر اليافعي ؟

والرابع هو أن اليافعي كان متعصبا للأشعرية، ويذم كبار علماء الحنابلة[1872]، لذا يبدو أنه عزّ عليه أن يكون أحد أقطاب الصوفية حنبليا

[1866] تتعلق بقضايا علم الكلام، وقد اختلف المتكلمون في إثبات الجهة والمكان لله تعالى. عن هذا الموضوع راجع مثلا كتابنا: جناية المعتزلة على العقل والشرع .

[1867] اليافعي : مراه الجنان و عبرة اليقظان ط2 بيروت ،منشورات الأعلمي ،1970 ، ج 3 ص : 362 ، 363 .

[1868] نفسه ج 3 ص : 362 .

[1869] عبد القادر الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق ج 1 ص : 71 ، 72 ، 74 ، 78 .

[1870] منهم عبد الرحمن ابن الجوزي الذي كان خصما للجيلاني .

[1871] الأدفوي : الطالع السعيد ص : 432 ، 575 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 324 ، 325 ، ج 6 ص : 5 .

[1872] المناوي : الكواكب الدرية ، ج 3 ص : 36 .

أصـولا وفروعـا، ولا يكـون أشـعريا ، لـذلك روي خبـر تغييـر الجيلانـي لاعتقاده في آخر عمره وهو يعلم ما بينه و بين ابن دقيق العيد من فارق زمني طويل ، ولم يبال بذلك .

واليافعي استدل هنا أيضا بحكاية العلم الصوفي، عندما قال بأن الشيخ الـذي أخبـره كـان مـن أصـحاب الكشـف والنـور، وبـه عـرف حـال تغييـر الجيلاني لعقيدته بالكشف الصوفي حسب زعمه. وهذا مبرر باطل وشاهد قطعي على بطلان حكاية علم الكشف الذي يعتمد عليه الصوفية في علمهم الكشفي المزعوم . وهو دليل دامغ على تعمد الصوفية رواية المستحيلات وتحريف الأخبار انتصارا للعقيدة الصوفية وأهلها بدعوى العلم الصوفي المزعوم. فلو كان علمهم ربانيا يقينيا ما روى ابن الأهدل واليافعي هذا الخبر المستحيل الذي كشف زيف وبطلان علمهم المزعوم، وبيّن أن القوم لا يُحققون الأخبار، ويروون كل المرويات التي في صالحهم حتى وإن كانت مستحيلة الحدوث !! .

والمثال الثاني: قال عبد الوهاب الشعراني في ترجمته للصوفي أبي العباس البدوي (596- 675هـ) : ((ثم إنه في شوال سنة ثلاث، وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات قائلا يقول :له قم، واطلب مطلع الشمس فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس، وسر إلى طندتا –طنطا- فإن مقامك أيها الفتى فقام من منامه، وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدي عبد القادر، وسيدي أحمد بن الرفاعي فقالا :يا أحمد مفاتيح العراق، والهند، واليمن، والروم، والمشرق، والمغرب بأيدينا فاختر أي مفتاح شئت منها فقال لهما سيدي أحمد -رضي الله عنه-: لا حاجة لي بمفاتيحكما ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح : قال :سيدي حسن فلما فرغ سيدي أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدي بن مسافر، والحلاج، وأضرابهما خرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا- طنطا-))[1873].

وأقول: في كلامه ثلاثة أخطاء واضحة ، فإما أن الشعراني كان على علم بها وسكت عنها لكي لا يُظهر خطأ الشيخ الصوفي الذي روى الخبر. وهذا لا يصح ، ويدل على سلبية الصوفية مع شيوخهم وسكوتهم عن الحق من أجل شيوخهم وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما.

[1873] الشعراني: طبقات الكبرى ، ص:264 .

وإما أنه لم ينتبه إليها هو ولا الصوفي الذي روى له الخبر. وفي الحالتين أن الخطأ حدث إما من الصوفي الذي روى للشعراني الخبر، وإما من الشعراني الذي هو صوفي أيضا، وإما منهما معا. وهذا دليل قطعي على بطلان حكاية العلم اللدني والباطني والكشفي الذي يتغنى به الصوفية، ويعارضون به الشرع والعقل والعلم .

وأما تلك الأخطاء: فالأول خطأ جغرافي واضح، هو أن البدوي كان في مكة ، والعراق بالنسبة إليها ليس مطلعا للشمس[1874]. والثاني هو أن عبد القادر الجيلاني توفي سنة 561 هـ ، والبدوي ولد سنة 596 هـ، فكيف تزعم الرواية أن البدوي لما مر ببغداد سنة 633 هـ كان الجيلاني من الذين استقبلوه بحفاوة ؟؟**!!** . فهذا خطأ مكشوف مفضوح **!!**.

والخطأ الثالث يتعلق بالصوفي أحمد بن الرفاعي ، هذا الرجل توفي سنة 578 هـ ، والبدوي ولد سنة 596 ، فكيف تزعم الرواية أنه لما دخل البدوي بغداد سنة 633 هـ كان الرفاعي من بين الذين استقبلوه؟؟ **!!**. فأين حكاية علم الكشف واليقين والنور الرباني الذي يتغنى بها الصوفية؟؟، فهل من ذلك علمه يقع في تلك الأخطاء الفاضحة ؟؟.

والمثال الأخير- الثالث- : روى تاج الدين السبكي خبرا يتعلق بالصوفي الشافعي أبي الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي (ت 677هـ)،فقال: ((ومن جملة المستفيضات ما اشتهر في بلاد اليمن بين الفقهاء وغيرهم، وربما تواتر عن الفقيه إسماعيل الحضرمي بن محمد الحضرمي... أنه قال يوماً لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله، وكان في مكان بعيد، وقد قَرُب غروبها، فقال لها الخادم: قال لكِ الفقيه إسماعيل (قفي له)، فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: ما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب، فغربت وأظلم الليل في الحال))[1875].

وأقول: سبق أن بينا أن أي رواية تزعم أن بشرا تصرف في مظاهر الطبيعة فهي رواية مردودة ، ويجب رفضها .ولو حدث ما زعمته تلك الرواية لسجل التاريخ -عند كل سكان العالم- هذه الحادثة الغريبة

[1874] محمود عبد الرؤوف القاسم : الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص: 557 . وأُشير هنا إلى أن المؤلف أشار أيضا إلى الخطأين الثاني والثالث لكنه لم يفصلهما.

[1875] السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، ج 8 ص: 65 ، رقم: 1117 .و محمود عبد الرؤوف : الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص: 473.

والخطيرة أيضا. لكن لم أعثر على كتاب في التاريخ سجل حدوث ذلك ، وقد تتبعتُ كتبا كثيرة خاصة بتاريخ العراق والشام ومصر فلم تذكر أن الناس رأوا توقف الشمس عند االغروب في الزمن الذي عاش فيه ذلك الصوفي. ولو كان خبرها مستفيضا كما زعمت الرواية لسجلتها كتب التواريخ في مختلف بقاع العالم، وإنما هي استفاضة باللسان لا في الواقع للتضليل والتسلط بها على الناس.

ومما يُبطل تلك الرواية ما ذكره الباحث محمود القاسم ، بقوله: ((إن كشفهم خانهم! إذ لتأخير غياب الشمس يجب أن يأمر الأرض أن تقف، فدوران الأرض هو الذي يسبب الليل والنهار، ووقوف الشمس لا يؤخر شيئاً ولا يقدم في غروبها))[1876] .وهذا دليل قاطع على أن الرواية مُختلقة !!.

وأخيرا- خامسا- إن مما يُبطل علم الصوفية أيضا أن المؤرخ الصوفي السراج الطوسي خصص بابا مطولا في كتابه: اللُمع ،لأغاليط الصوفية في تصوفهم وممارساتهم له واختلافهم في مواقفهم من بعض قضاياه ، من ذلك قوله: ((باب في ذكر من غلط في التوسع ،وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ،ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب. باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحات. باب في ذكر من غلط في الأصول، وأداه ذلك إلى الضلالة، ونبتدئ بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية. وباب في ذكر من غلط في النبوة. باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الاباحة والحظر والرد عليهم))[1877].

وأقول: قوله هذا شاهد دامغ على زيف علم الصوفية المزعوم، وعلى بطلان قولهم بالعصمة والفِراسة، وعلم الباطن والكشف. والتصوف في الحقيقة كله غلط في غلط بأصوله وفروعه وغاياته كما سبق أن بيناه. ولهذا فإن تغليط السراج لعدد كبير جدا من شيوخ الصوفية ومريديهم في كل جوانب التصوف تقريبا هو دليل قطعي على زيف وبطلان علمهم المزعوم.لأنه لو كان علما صحيحا وكما وصفوه ما أخطأ هؤلاء الصوفية وما غلطوا في ممارستهم للتصوف.

[1876] محمود عبد الرؤوف : الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص: 473 .
[1877] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 523 وما بعدها .

ولا أدري هل السراج الطوسي غلّط هؤلاء تقية وتدليسا ، أم لا ؟ لأنه لم يترك جانبا من جوانب التصوف إلا وأشار إلى غلط الصوفية فيه . لكن يبدو والله أعلم أنه فعل ذلك تقية خاصة في قوله عن الحلولية. اللهم إلا إذا كان يقصد بالغلط هنا أنهم لم يتقنوا استخدام التقية فأظهروا مخالفة الشرع علانية، مما جلب عليهم سخط المسلمين.وهذا هو الراجح، لأن الرجل لم يترك جانبا تقريبا إلا غلّط فيه طائفة من الصوفيه أو معظمهم، مما يحكم على علمهم بالزيف والبطلان.

وأما تغليطه للحلولية فهو يعود إلى إظهارهم للحلول الذي هو في الحقيقة جزء من وحدة الوجود. وإظهاره هو كشف وفضح للتصوف وأهله. ولهذا فمن أظهره حسب الطوسي فقد غلط ليس في قوله به كجزء من وحدة الوجود، وإنما غلط لأنه أظهره وكشف أهله ، أو لأنه قال به وهذا مخالف لوحدة الوجود التي تقوم على الفردانية لا الاثنينية حسب زعم الصوفية. وأياً كان سبب تغليط الطوسي لهؤلاء الصوفية، فهو دليل دامغ على اختلاف الصوفية فيما بينهم ،وتغليط بعضهم لبعض، وهذا ينفي علمهم المزعوم، لأنه لو كان حقيقة، وهم قد اتصفوا به ما حدث بينهم ذلك الاختلاف والتغليط.

ومن ذلك أيضا أنه توجد شواهد من أقوال شيوخ الصوفية تشهد على بطلان علمهم الكشفي الرباني النوراني المزعوم. منها أنهم عبروا عن مواقفهم وآرائهم بألفاظ تدل قطعا على بطلان علمهم المزعوم. منها قولهم: يُقال ، قيل، لعل[1878]. ومنها قول شيخهم عبد الكريم القشيري: ((وإمَّا أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق - إنْ حَقَّ ما قالوا : إن الجنينَ يتَغَذَّى بدم الطمث . وإذا أخرجك من بطن أمك رَزَقَكَ))[1879]. فالرجل نقل كلامه عن الأطباء،ولم يكن متأكدا من صحته أو خطئه ، وإنما قال: " إنْ حَقَّ ما قالوا".فلم يكن قادرا على الحسم. فأين علمه الباطني الرباني اليقيني؟؟. فلو كان علم شيوخ الصوفية كما زعموا بأنه صحيح ويقيني رباني لعبروا عن مواقفهم وآرائهم بالجزم والقطع ،لا بالشك ولا بالاحتمال ولا بالترجيح. إنهم نقضوا علمهم المزعوم بأنفسهم !! .

[1878] أنظر مثلا: أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 31 ،44 ، 50، 51 . وأبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص:281255،، 282 . والكلاباذي: التعرف لمذهب التصوف، ص:147، 149. والقشيري: الرسالة، ص:107، 139 . وابن عجيبة: إيقاظ الهمم، ص: 303 .

[1879] القشيري: تفسير القشيري ، ج 6 ص: 186 .

ومنها أيضا أن أبا طالب المكي- وهو من كبار شيوخ الصوفية- اعترف صراحة أن ما كتبه في كتابه قوت القلوب جمعه كما يجمع غيره من أهل العلم مصنفاتهم، وأنه اجتهد في تدوينه، وأنه ليس بمعصوم فيما ضمنه من أخبار، وأن منها الصحيح والضعيف. فقال: ((فإنا نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نفقه ولم نشغل همتنا به ، فما كان فيه من صواب وبيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه وقوّة تأييده، وما كان فيه من خطأ وعجلة وهوى فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان))[1880]. فأين حكاية الكشف ،وعلم الباطن، والعلم اليقيني ؟؟ .

وأما بالنسبة لأقوال شيوخ الصوفية التي وصفت علمهم المزعوم بالكشف واليقين، فردنا السابق يُبطلها قطعا، لكننا سنناقش طائفة منها ونرد عليها فيما يأتي:
أولا يتبين من أقوال هؤلاء الصوفية أن الشيخ الصوفي الذي يصبح عارفا يصل مرحلة الفناء في الله وهنا يصبح هو الله حسب خرافة وحدة الوجود. يعلم كل شيء بالله ومن الله، ويُخبر عن سر الإنسان وهو ساكت. وقد عرّف الجنيد العارف بأنه ((من نطق عن سرك وأنت ساكت))[1881]. وقولهم هذا باطل قطعا، وقد سبق أن بينا فساده عندما أبطلنا قولهم بوحدة الوجود واعتقادهم العصمة في شيوخهم وعلمهم للغيب، وبما ذكرناه أعلاه من أخطائهم .

وأما قول القشيري بأن شيوخ الصوفية وجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، فهو غير صحيح في معظمه، لأن الحقيقة هي أن ما وجدوه لم يكن حكمة صحيحة، وإنما هو حكمة زائفة فاسدة دمرت الصوفية وأهلكتهم . فلو كانت صحيحة ما أوصلتهم إلى مخالفة الشرع وتعطيله، وهدم الوحي والعقل والعلم عندما قالوا بوحدة الوجود كما سبق أن بيناه.

وليس صحيحا قول الغزالي بأن علم الصوفية هو علم حقيقي كشفي يحصل بنور البصيرة . فهذا زعم لا دليل صحيح يُثبته، وقد أقمنا الأدلة القطعية على زيفه ومخالفته للشرع والعقل والعلم . بل إن علمهم في حقيقته من أكبر مكائد الشيطان التي كاد بها بني آدم ،لأنه يبدأ بدعوى حب الله وينتهي بأصحابه إلى الكفر بالله ورسوله ودينه **!!** .

[1880] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 245 .
[1881] ابن الملقن : طبقات الأولياء، ص: 20 .

وثانيا إن قول الصوفي رويم (ت303 هـ) : ((فإن كل الخَلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق))[1882]. هو قول غير صحيح في معظمه، وفيه تلبيس وغرور وتعالم ، وقلة فهم بالشرع، وفيه اتهام للمسلمين بأنهم لم يفقهوا حقيقة العبادة والتي لم يفقهها إلا الصوفية حسب زعمه. والشواهد الآتية تُبين ما قلتُه وتُبطل زعمه:

أولها: إن للصوفية رسوما تتفق مع تصوفهم، فهم لهم رسوم كغيرهم من الناس . وقد تميزوا عن المسلمين بترك التكسب، والتفرغ لمجالس اللهو، وارتداء المرقعات . فالقوم وضعوا لأنفسهم رسوما تتفق مع مذهبهم، وحرصوا عليها وتعلقوا بها.ولهذا فلا يصح القول بأن الصوفية قعدوا على الحقائق دون الرسوم.

والشاهد الثاني: إن ذلك الاتهام يُمكن أن يرد على الصوفية ويُلصق بهم ، بأنهم تظاهروا بالزهد والتفرغ للذكر لكن قلوبهم فارغة من الإيمان الحقيقي، وإنما هي مملوءة بالأهواء والأباطيل ،والرعونات والتعالم، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية . بدليل أنهم خالفوا الشرع والعقل والعلم في أكثر تصوفهم وسلوكياتهم . ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون على حق، ولا على صواب، مما يعني أن أحوالهم التي يتباهون بها هي أحوال وهمية نفسية شيطانية وليست أحوالا شرعية ربانية رحمانية. ولهذا فإذا كان غير الصوفية قعدوا على الأشباح والرسوم، فإن الصوفية قعدوا على الأوهام والهلوسات والتلبيسات الشيطانية.

والشاهد الأخير- الثالث-: ليس صحيحا أن الحقائق القلبية والعلوم الباطنية هي عند الصوفية دون غيرهم، فهدا زعم باطل، وإنما هي رزق من الله تعالى يرزق به كل من يعبده من المسلمين بإخلاص وفق شريعته ،ونور الله تعالى لا يناله إلا المتقون . قال سبحانه : ((ومن لم ((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)).))،و ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) و((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة : 282)).

ولذلك فإن المحدث أو الفقيه الذي يتقي الله تعالى، ويتبع سنة نبيه بإخلاص فإن الله تعالى سيرزقه حلاوة الإيمان ويُنوّر قلبه . وهذا يصدق

[1882] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 85.

على كل مسلم تقي ملتزم بشرع الله تعالى. فالأحوال الإيمانية ليست خاصة بالصوفية ولا بطائفة أخرى. والصوفي الذي لا يعبد الله تعالى حق عبادته قلبا وقالبا لن يرزقه بالإيمان الصحيح. وأما ما يجده عُباد الصوفية من وجد وأحوال نفسية في مجاهداتهم وخلواتهم فهي انعكاسات لممارساتهم ومجاهداتهم تظهر على كل من يمارسها حتى وإن كان زنديقا . فهي ليست دليلا على الاستقامة والالتزام بالشرع، ولهذا وجدناها تظهر على كل الزهاد والنساك من مختلف الأديان والمذاهب والملل.

علما بأن أي عمل يقوم به الإنسان ويُداوم عليه إلا وتكون له آثار تنعكس عليه نفسيا وعقليا وبدنيا . إلا أن تأثيرها يكون أكثر بروزا وتأثيرا في الجانب المتعلق بها. فمن يهتم بالرياضة البدنية سيظهر تأثيرها عليه في عضلاته وقوة جسمه. والذي يهتم بالجانب الفكري والعلمي سيظهر تأثيره على صاحبه من جهة قدرته على التحليل والجدال، والمناظرات، وقوة الدليل، و السفسطة وكثرة المغالطات . ونفس الأمر ينطبق على من يهتم بالجانب العاطفي من الإنسان . وكل هذه الأحوال منها الصحيح، ومنها الضار، ومنها الموافق للشرع والمخالف له.

وثالثا: إن قول أبي نُعيم الأصبهاني بأن الصوفية تحققوا بالإيمان الجامع وتمكنوا من العلم النافع، ثم أيد قوله بحديث:((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه الفعل، والعلم علمان : علم بالقلب وهو العلم النافع ، وعلم باللسان فهو حجة الله على خلقه »))[1883]. فالأمر ليس كما قال بدليل الشواهد الآتية:

أولها : إن الصوفية لم يتحققوا بالإيمان الشرعي، ولا التزموا العبادة الشرعية، ولا تمكنوا من العلم النافع، وإنما تحققوا بالإيمان الصوفي وتمكنوا من عباداته الأمر الذي أوصلهم إلى مخالفة الشرع وتعطيله ، بل وإلى الكفر بالله ودينه عندما قالوا بوحدة الوجود. وهذا أمر سبق أن بيناه بالتفصيل من بداية الكتاب إلى هذا الموضع. فلم نر فيه التصوف غالبا إلا ما يخالف الشرع والعقل والعلم، فلو كان إيمانهم صحيحا وعلمهم نافعا كما زعم الرجل ما كان حالهم كما بيناه .

والشاهد الثاني: إن الحديث الذي احتج به أبو نعيم الأصبهاني، هو حديث لا يصح من جهته، لأن من رجاله: يوسف بن عطية : متروك[1884]. و قتادة

[1883] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 74 .

[1884] ابن حجر: التقريب ، ج 3 ص: 121 .

السدوسي : سبق تفصيل حاله وبينا أنه كان حاطب ليل، وكثير التدليس والإرسال، وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن ، فالإسناد لا يصح من جهته. وهذا الحديث لا يصح أيضا من طرقه الأخرى كما بين بعض المحققين[1885].

والشاهد الأخير- الثالث- : واضح من ذلك الحديث أنه ُوضع على مقاس الصوفية فيما يتعلق حكاية علم القلب. لأن التقسيم الصحيح هو أن العلم علمان: نافع وضار ، سواء تعلق بالجانب الفكري، أو بالجانب القلبي، وبالجانب التطبيقي . من ذلك مثلا أن الأديان والمذاهب والعقائد الباطلة هي أيضا تهتم بالجانب القلبي، ولأهلها زهد ومجاهدات ورياضات روحية، فهل هذا يعني أنها علم نافع وصحيح ؟؟كلا ، ليس كذلك . إنها عقائد ومذاهب وأفكار باطلة من دون شك ،ومسمومة ومفسدة للدين والدنيا ،وهادمة للعقل والعلم معا.

وأما حكاية العلم باللسان ، فكل العلوم لها جانب يُعبر به باللسان ، سواء كانت علوما ضارة ، أو نافعة، وسواء تعلقت بالقلوب، أو بالجوارح؛ أو بالعقول، أو بالتطبيق في الواقع. ولهذا فالتقسيم المذكور ناقص ، بل ولا يصح .، ويشهد على عدم صحة ذلك الحديث أيضا.

ورابعا: إن ما رواه الصوفية عن أحمد بن أبي الحواري في دفنه لكتبه وتبريره لفعله، هو تصرف أثر سلبا على التصوف وأهله مما جعلهم يهملون العلوم الشرعية والعقلية والإنسانية والطبيعية بدعوى الاكتفاء بعلوم الباطن. والعلم النافع لا يصح تضييعه بحرق أو بغسل، أو بدفن كتبه. والرجل اعترف أنه انتفع بكتبه التي دفنها . فكان عليه أن يحتفظ بها لأن العالم يرجع إلى كتبه للتثبت، أو للإطلاع ، أو للرد . وكان في إمكانه أن يوقفها في سبيل الله، أو يعطيها لأهل العلم لينتفعوا بها. فهذا هو الصواب، وليس من الحكمة ولا من المصلحة ولا من الشرع، ولا من العقل إفساد كتب العلم النافع .

وليس صحيحا أن وظيفة العلم أنه يُطلب للخدمة فقط، وإنما هو من أقوى الأدلة الموصلة إلى الله تعالى. بدليل قوله سبحانه : ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)(محمد : 19))، و((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

[1885] ابن الجوزي: العلل المتناهية، ج1 ص: 73 ، رقم: 88 . والألباني: السلسلة الضعيفة، ج 3، ص: 217، رقم:1098، ج 8 ص: 418 ، رقم: 3945 .

غَفُورٌ)(فاطر: 28))، و ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)(العنكبوت: 43)).

وأما قوله : ((لا دليل على الله سواه))، فيحتمل وجهين إن قصد أن الله تعالى هو الذي نصب الأدلة من مخلوقاته لتدل عليه ومنها العلم ، فهنا يكون العلم من الأدلة الدالة عليه. وإن قصد أنه الله تعالى بذاته دليل على نفسه من دون مخلوقاته، فهذا غلط، ومخالف للشرع والعقل والعلم. ، بل ولا يصح لأنه يتضمن القول بوحدة الوجود. فالله تعالى هو الذي استدل في آيات كثيرة على نفسه بمخلوقاته، كقوله: ((قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)(المؤمنون: 86))، و((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)(الشورى: 29))، ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ)(الطور: 35-36))، و((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الروم: 30))، و((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 172)). وبدون الشرع أو العقل، أو الفطرة ،أو العلم لا يُمكن الاستدلال على وجود الله واتصافه بصفات الكمال.

وأما إذا قيل : ربما أنه قصد معرفة الله تعالى بالقلب . فأقول: وهذه المعرفة هي أيضا استدلال على الله تعالى بمخلوقاته، لأن القلب منها . علما بأن القلب هو وسيلة من وسائل معرفة الله تعالى، ولا يُمكن للقلب أن يستغني عن الشرع ولا عن الوسائل الأخرى، فهو وسيلة نسبية كغيره من وسائل العلم الأخرى . لأن الإنسان كله مخلوق نسبي، فلا يوجد فيه شيء مطلق أبدا . والمعرفة القلبية بالله تعالى ليست معرفة مباشرة بالذات الإلهية فهذا مستحيل ، وإنما هي معرفة إيمانية ذوقية من ثمار العبادة ،لقوله تعالى: ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122))))، و ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) .

وأما ما يقوله كثير من الصوفية من أنهم رأوا الله تعالى بقلوبهم رؤية حقيقية مباشرة، فهدا باطل،لأن الله تعالى لن يرى مباشرة إلا يوم القيامة

يراه المؤمنون فقط[1886]. وإنما هي أحوال إيمانية للعُباد الملتزمين بالشرع، لكن المنحرفين من العُباد عن العبادة الشرعية تلبس عليهم الشياطين أحوالهم وتوحي إليهم وتُوهمهم بأنهم يرون الله حقيقة بقلوبهم أو حتى بأعينهم. فيُصدقون ذلك ويقولون أنهم رأوا الله رؤية مباشرة.

وخامسا: إن قول الجنيد : ((المريد الصادق غني عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر))[1887]. هو دعوة إلى الجهل وترك العلم، وإبعاد الشرع والقفز عليه من جهة، ودعوة للصوفية بالاعتماد على أحوالهم وهلوساتهم وتلبيساتهم في ممارستهم للطريق الصوفي من جهة أخرى .ولهذا فقوله مرفوض شرعا وعقلا وعلما. لأن الثابت أن دين الإسلام لا يُعرف إلا بالعلم ، والله تعالى قد أمرنا بطلبه و تدبر كتابه وفهمه. وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- يبين للصحابة قولا وفعلا ، ومع تأثرهم الشديد به وجدانيا فإنه كان يعلمهم ويحثهم على طلب العلم، وجعل طائفة منهم تتفرغ له. وقد ذكر الله تعالى أن من أهداف النبوة: التعليم والتزكية، كما في قوله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2)).

ومن المعروف عقلا وواقعا أنه لا علم دون تعلم. ولا يُمكن لإنسان لا يعرف شيئا أن يتعلم من دون معلم ، ولهذا علّم الله تعالى الإنسان الأول آدم- عليه السلام- الذي هو بدوره علّم أولاده. قال سبحانه: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة: 31)). ولهذا فلا يُمكن للمريد الصوفي أن يسير في طريق العبادة الصوفية بنفسه من دون علم يقرأه أو يتلقاه من شيخه. والذي لا يعرف الحق فمن أين له أن يعرف وجه الحق. فلا يُعرف المجهول بالمجهول، وإنما يُعرف بالمعلوم. والدليل الدامغ على صحة قولنا هذا هو أن الصوفية لما تركوا علوم الشرع والعقل والطبيعة ، وأقبلوا على علمهم المزعوم أوصلهم إلى الكفر بالله ورسوله ودينه، وهدم الدين والعقل والعلم كما سبق أن بيناه !! .

[1886] سبق أن تناولنا هذا الموضوع ، وبينا وجه الحق فيه .
[1887] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 270 .

وسادسا فيما يتعلق بالحوار الطويل الذي دار بين يزيد البسطامي وأحد العلماء، فقد تضمن أباطيل ومغالطات كثيرة تعالم بها البسطامي على العالم، انتصر بها للتصوف وازدرى بها بعلم الحديث والفقه وغيرهما من علوم الشرع والعقل والطبيعة. والشواهد الآتية تبين ذلك:

أولها إن الحديثين اللذين استشهد بهما البسطامي غير صحيحين، الأول:((من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم))، ذكره بلا إسناد ، وهو حديث موضوع[1888]. والثاني: [العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع] ذكره بلا إسناد ، وقد سبق الكلام فيه، ولا يصح أيضا[1889].

والشاهد الثاني: إنه لا يصح أبدا الخلط بين وحي الأنبياء وعلم البشر ، فعلم الأنبياء وحي إلهي صحيح من دون شك. لكن علم بني آدم نسبي مكتسب لأن كل وسائله نسبية سواء كانت بالعقل، أو بالقلب ، أو بالحواس ، أو بالحدس ، أو بالإلهام، ولا واحدة من هذه الوسائل تغني عن وسائل العلم الأخرى. ومثال ذلك فإن البسطامي عندما استشهد بقول عمر –رضي الله عنه- : ((يا سارية الجبل))، فإن هذا لم يجعل عمر ملهما في كل أحواله، ولا أصبح لا يستخدم وسائل العلم الأخرى. بل كان يتعلم من النبي-عليه الصلاة والسلام- كما يتعلم باقي الصحابة منه. وعندما تولى الخلافة كان يجمع الصحابة ويشاورهم في قضايا الدولة، ويسألهم: هل كانوا سمعوا أحاديث تتعلق ببعض القضايا التي كانت تعترضه[1890]. ولهذا فكل علوم أهل العلم من الفقهاء، والصوفية ، والمتكلمين ، والفلاسفة، والأطباء وغيرهم كلها نسبية ولا يُمكن أن تكون كلها صحيحة، وإنما هي نسبية تجمع بين الصحيح والسقيم، وبين الخطأ والصواب. ومن يدعي من البشر أنه مُلهم ولا يُخطئ، أو أنه استغنى عن التعلم والأخذ من الوحي فهو كذاب من دون شك، لقول النبي-عليه الصلاة والسلام - : ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))[1891]. ولكونه بشرا، فهو مخلوق ومحدود القدرات وسيبقى كذلك مهما حصّل من علم، والواقع يشهد عل ذلك، وقد سبق أن بينا كثيرا من أخطاء الصوفية الشرعية والعلمية والتاريخية .

[1888] الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص: 286 .و الألباني: السلسلة الضعيفة، ج 1 ص: 611 ، رقم: 422 .

[1889] ابن الجوزي: العلل المتناهية، ج1 ص: 73 ، رقم: 88 . والألباني: السلسسلة الضعيفة، ج 3، ص: 217، رقم:1098، ج 8 ص: 418 ، رقم: 3945 .

[1890] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 72 وما بعدها .

[1891] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 418 ، رقم: 3428 .

ومن تناقضات البسطامي وأصحابه الصوفية أنهم في الوقت الذي كانوا يتعالمون على علماء أهل الحديث ، ويزدرون بهم بدعوى أنهم من أهل الظاهر، وأنهم أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وجدناهم قد رووا أخبارا كثيرة جدا أسسوا بها لمذهبهم نقولها ميتة عن ميت ، ومن دون تحقيق، ولا حرص على رواية الصحيح ، بل إنهم رووها وردوا بها حقائق الشرع والعقل والعلم **!!** .

والشاهد الأخير- الثالث -: إن مما يُبطل مزاعم البسطامي أنه سبق أن بينا في كتابنا هذا أن الصوفية أسسوا للتصوف بأصوله وفروه وغاياته بما يُخالف الشرع والعقل والعلم .حتى انتهى بهم الأمر إلى هدم الوحي والعقل والعلم عندما قالوا بكفرية وحدة الوجود. ، فلو كانوا يأخذون العلم عن الله تعالى كما يزعمون ما كان ذلك حالهم . وبما أن أمر البسطامي وأصحابه كما بيناه فيكون ما يسمونه علما كشفيا أو باطنيا هو أفكار فاسدة، وأوهام وهلوسات وتلبيسات شيطانية. فهم من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام: 112))، و((إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(الأنعام: 121))،و((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)(الشعراء: 221- 223)).

وبذلك يتبين أن سبب ازدراء الصوفية بالعلوم الموضوعية عامة والشرعية خاصة، وطعنهم في علماء الشرع والحط عليهم. هو أنهم يعلمون جيدا أن علماء الشريعة وغيرهم من علماء الطبيعة والإنسانيات هم الذين لهم القدرة على بيان فساد تصوفهم وبطلانه . ولهذا ازدروا بهم وبعلومهم ، وطعنوا فيهم وفي علومهم.

وليس صحيحا أن العلم علمان، فهذا زعم باطل قطعا ، لأن العلم واحد لا يتعدد في ذاته بالمعنى العام للعلم ؛ نعم العلوم متنوعة حسب مواضيعها، لكنها ليست متناقضة، ولا متعددة بمعنى تعدد الحقيقة الواحدة. فالحقيقة العلمية الواحدة هي واحدة بذاتها ولا تتعدد سواء تحصلنا عليها بالحواس، أو بالتجربة أو بالإحساس الداخلي، أو بالبديهة فهي واحدة. ولهذا فإن العلم بمعناه العام واحد، لكنه يتعدد إلى عدة علوم بتعدد مواضيعه، وحقائقه كثيرة، لكن الحقيقة الواحدة منه ليست متعددة.

وأما الأحاديث التي احتج بها هؤلاء في قولهم بعلم الباطن وازدرائهم بعلوم الشرع وعلوم الإنسان والطبيعة، فهي أحاديث غير صحيحة، لكن الصوفية وظفوها تعضيدا للتصوف وانتصارا له. منها حديث ذكره الشهاب السهروردي مفاده: ((من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه "))[1892] . وهو حديث إسناده ضعيف[1893] ومتنه مُنكر ،لأن الصوفية جاءوا وسهروا كثيرا ولم تظهر فيهم الحكمة ولا العلوم الربانية، وإنما ظهرت فيهم الضلالات والانحرافات ،والهلوسات والتلبيسات الشيطانية حتى أوصلهم تصوفهم إلى الكفر بالله ورسوله ودينه كما سبق أن بيناه.

والحديث الثاني استشهد به الكلاباذي، ومضمونه: ((عن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الحسن عن علم الباطن؟ فقال: سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن؟ فقال: سألت رسول الله عن علم الباطن؟ فقال: سألت جبريل عن علم الباطن؟ فقال: سألت الله ﷺعن علم الباطن؟ فقال: "هو سر من سِرّي، أجعله في قلب عبدي، لا يقف عليه أحد من خلقي))[1894].

إسناده لا يصح، لأن الحسن البصري لم يلتق بالصحابي حذيفة بن اليمان أصلا. بل إن الحديث موضوع[1895].وقال ابن الجوزي: ((هذا حديث لا أصل له عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون))[1896]. ومتنه مُنكر ، لأن حكاية علم الباطن هي من مغالطات وتلبيسات الصوفية اتخذوها وسيلة للتحايل على المسلمين وتمرير أباطيلهم وانحرافاتهم وإخفائها عنهم. ولو كان علمهم المزعوم صحيحا ما خالفوا به الشرع والعقل والعلم ، وما كان تصوفهم مخالفا لتلك المصادر بأصوله وفروعه وغاياته.

والحديث الثالث استشهد به أبو طالب المكي: عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله

[1892] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف، ،ج 2 ص: 37.

[1893] الشوكاني: الفوائد المجموعة ، ص: 243 ، رقم: 76 .

[1894] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 101 .

[1895] ابن عراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 1 ص: 301.

[1896] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 389 . وافقه الألباني: السلسلة الضعيفة، ج 3 ص: 226 ، رقم: 1227.

عزّ وجلّ، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى))[1897]. وهذا الحديث ضعيف[1898].

وسابعا إن ما رواه الصوفية عما حدث بين الصوفي شيبان الراعي والشافعي وأحمد بن حنبل ، وإظهارهم تفوق شيبان عليهما في مجال الزهد والتزكية والتصوف . فهو خبر غير صحيح، بل ومستحيل ، لأنهما لم يدركاه[1899] . وذكر ابن تغري بردي أن شيبانا توفى سنة 158 هـ[1900]. والشافعي ولد سنة 150هـ، وأحمد ولد سنة 164هـ . فأحمد لم يكن ولد أصلا، والشافعي عندما مات شيبان كان ما يزال صغيرا. وهذا نموذج واضح ودامغ على تعمد الصوفية رواية الأباطيل والمستحيلات تعضيدا للتصوف وانتصارا له. فمع أن الخبر مستحيل فقد رووه وبنوا عليه تفاخرهم على غيرهم من العلماء وازدرائهم بهم **!!**.

وأما متنا فمع أن الخبر باطل فإنه تضمن ما يُنكر ويدل على عدم صحة الرواية من جهة المتن. لأن الذي ُنسبته الرواية للشافعي لا يصح في حقه، لأن عالما صالحا مثله لا يُمكن أن يكون جاهلا بالتزكية الشرعية، وليست له فيها أحوال ومواجيد . علما بأن تحصيل تلك التزكية يتم من الشرع ولا يتوجب أخذها من التصوف. كما أن الشافعي لا يغيب عنه الحديث الشريف الذي يقول فيه النبي-عليه الصلاة والسلام-: ((اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ...))[1901]. ولهذا لا يُعقل ومن المستبعد جدا أن يسأل الشافعي الزيادة في البلاء ؟؟. وإذا فرضنا جدلا حدوث ذلك فقد يكون الشافعي نسي الحديث، وهذا لا يعني أن ذلك الصوفي أفضل منه في علم التزكية. وبما أنه سبق أن بينا أن الخبر مستحيل فالحادثة كلها مُكذوبة اختلقها بعض الصوفية على مقاسهم .

علما أن ما يُشاع بأن الصوفية كانت لهم معرفة والتزام بعلم التزكية هو أمر مبالغ فيه جدا، فالقوم لم يكن لهم علم بالتزكية الشرعية ، ولا التزموا بها ، وقد أقمنا الشواهد الدامغة على مخالفتهم لها، بل وسعيهم وحرصهم على تحريفها وهدمها. وإنما كانت لهم معرفة والتزم بأحوال العبادة

[1897] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 1، ص: 244 .
[1898] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ص: 9 .
[1899] إسماعيل العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ج 2 ص: 245.
[1900] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، حوادث سنة 158 ،ج 1 ص: 148 .
[1901] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 25 ، رقم: 3861.

الصوفية وغاياتها .. وعليه فإن القول بأن هؤلاء الأئمة أخذوا علم التزكية من الصوفية لا يصح، لأن هذا العلم يُؤخذ من الشرع لا من التصوف ولا من أهله .

وأما فيما يخص ما حدث بين أحمد وشيبان عندما سأله عمن نسي صلاة من الصلوات الخمس حسب الرواية الصوفية، فمع أن الخبر باطل لأن شيبان الراعي مات قبل أن يوُلد أحمد ، فإن متنه يتضمن ما يشهد على ضعفه، وأنه خبر وُضع على مقاس الصوفية ليُبين تفوق عوام الصوفية على علماء الحديث والفقه، فما بالك بعلمائهم ؟؟ !! . من ذلك مثلا أن جواب شيبان في غير محله ، ولا أجاب على السؤال، و لا يتطلب جوابه أن يجعل أحمد يغشى عليه. لأن قوله بالتأديب ليس جوابا على المطلوب، وما يزال ينتظر الجواب.، فَهب أن الرجل عوقب ، فماذا بعد العقاب، فهل يعيد الصلاة أم لا ؟؟. وهذا هو السؤال ؟؟.فَمختلق الرواية تجنب الجواب الذي يتفق مع السؤال ، إلى أمر آخر ينتصر به للصوفية وهو اهتمامهم بالجانب الوجداني، ويُظهر أن المحدثين والفقهاء من أهل الظاهر ولا علم لهم بالجانب الإيماني والروحي الذي يسميه الصوفية بعلم الباطن حسب زعمهم.

فكان من الواجب أن يكون الجواب حسب السؤال لا أن يكون من زاوية أخرى . فالمتن فيه ما ينكر . وعليه فلا يوجد أي مبرر صحيح يجعل أحمد يغشى عليه ، لأنه لم يكن يقصد غير الأمر الفقهي.

وحتى الجواب المنسوب لشيبان لا يصح، لأن النسيان والسهو من طبيعة البشر،وعليه فمن نسي صلاة ، لا يُؤدب حسب جواب شيبان . فلا يصح تأديبه ، وإنما الشرع رفع عنا الخطأ والنسيان ، كما جاء في الحديث: عن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أنه قال: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[1902]. والناسي لا يذم ولا يُعاقب، وقد سهى النبي-عليه الصلاة والسلام – في الصلاة ثم رقعها[1903]. فالخبر كما لم يصح إسنادا فهو مُنكر متنا أيضا، وهو شاهد على اختلاق الصوفية للروايات انتصارا للتصوف طعنا وحطا على من يُخالفهم من المحدثين والفقهاء.

[1902] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 347 ، رقم: 1662 .
[1903] مسلم: الصحيح ، ج 2 صك 83 ، رقم : 1298 .

وأما ما رواه الصوفية عن علاقة أحمد بن حنبل بأبي حمزة الصوفي وقوله له " ما تقول في هذا يا صوفي". فهو لا يصح إسنادا، ومتنه ليس كما وجهه الصوفية لتقزيم مكانة أحمد بن حنبل ورفع قدر أبي حمزة الصوفي.

فأما إسنادا ، فالمؤلف لم يذكر لها إسنادا لكن الخطيب البغدادي أسندها بقوله: ((أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري قال أنبأنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن بن الأعرابي قال قال أبو حمزة كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ما تقول فيها يا صوفي ؟))[1904].

وإسنادها لا يصح ، لأن من رجالها: محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي صاحب طبقات الصوفية: ضعيف كما سبق أن بيناه.

ومحمد بن الحسن البغدادي: الراجح أنه مجهول الحال، فقد بحثت عنه طويلا ولم أعثر له على جرح ولا على تعديل، وقد ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا[1905]. وعلى جهالته فهو لم يصرّح بالسماع ، فيحتمل أنه لم يسمع منه.

وأحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصري المعروف بابن الأعرابي، مع أنه ثقة، إلا أنه لم يصرّح بالسماع، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته، لأنه يُحتمل أنه لم يسمع منه.

وأما متنا فحتى إذا فرضنا جدلا أنه صحيح، فلا يدل على ما زعمه الصوفية بأن أحمد بن حنبل كان يتعلم من أبي حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي (ت 269هـ)، لأن هذا الصوفي كان عالما بالقراءات، وحضر مجالس أحمد بن حنبل، واستفاد منه أشياء[1906]. وكان أصغر من أحمد (ت241هـ) ب 28 سنة.

وذلك يعني أن أبا حمزة الصوفي كان له علم شرعي بحكم أنه من علماء الشريعة، ففقهه أخذه من الشرع ومن مجالسته لأحمد ولم يأخذه من

[1904] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص: 390 .
[1905] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 2 ص: 191.
[1906] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص: 390 . وأبو الحسين بن أبي يعلى الفراء: طبقات الحنابلة، حققه محمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت، ج 1 ص: 267 .

التصوف . وبما أنه كان أصغر من أحمد بن حنبل ب 28 سنة فهذا يعني أنه ليس من أقرانه، وإنما هو من تلامذة أحمد ،فكان يحضر مجالسه ليتعلم منه، فكان أحمد يسأله اختبارا لا استفسارا ، فإن أصاب أقره عليه، وإن أخطأ بينه له[1907].

فتلك الرواية مع عدم صحتها إسنادا ، فإن متنها تضمن خلاف ما أدعاه الصوفية من رفع قدر أبي حمزة والتصوف، وتقزيم مكانة أحمد وعلم الحديث. مع أن الأمر خلاف ذلك، لأن هذا الصوفي كان تلميذا لأحمد **!!**.

وأما ما قاله القشيري في مدحه للتصوف وأهله بأنهم أهل البرهان واليقين، والوصال والمعرفة الصحيحة، فهو قول غير صحيح من دون شك. ومدحه لطائفته ليس دليلا على صوابها وسلامة منهجها وفكرها. لأن كل طائفة تمدح نفسها ، ولم نجد طائفة مهما كانت ضالة ومنحرفة عن الشرع قالت عن نفسها بأنها على خطأ وغيرها على صواب ،وإنما العكس هو الموجود ، فكل فرقة تشهد لنفسها بالصواب وعلى غيرها بالانحراف عن الشرع والعقل والعلم .ولهذا فمدح الصوفية لأنفسهم ليس حَكما ولا دليلا على صحة وسلامة التصوف وأهله؛ وإنما الحَكم هنا هو الشرع الصحيح، والعقل الصريح، والعلم الصحيح . وكلام القشيري لا يصح من عدة جوانب ، وكتابنا هذا هو دليل دامغ وقطعي على بطلان زعمه، لأنه تبين أن التصوف مخالف للشرع ومُعطل له، وهادم للوحي والعقل والعلم، ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون صحيحا ولا متفوقا، ولا من أهل البرهان، ولا كما زعم القشيري، وإنما هو فكر قائم على الأهواء والهلوسات، والأباطيل والتلبيسات النفسية والشيطانية.

علما بأنه لا وصال من دون استدلال ، فالقوم لهم استدلالهم ، وما وصالهم إلا نتيجة لاستدلالهم الضعيف . وقد رأينا كيف استدلوا بأهوائهم وأحوالهم ومروياتهم الضعيفة، وآرائهم الفاسدة التي بنوها على استدلالاتهم العقلية القائمة على خلفياتهم الصوفية. فوصالهم الصوفي بنوه على استدلالاتهم الضعيفة كما بنى غيرهم وصالهم على استدلالاتهم أيضا. فلا وصال دون استدلال، وكل طائفة لها وصالها الذي تعيش به، وتدعو إليه. فكما للصوفية وصال فإن للمحدثين والمتكلمين والفلاسفة وصالهم الوجداني الذي هو ثمرة استدلالاهم القائم على فكرهم وعقائدهم .

[1907] أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء: طبقات الحنابلة، حققه محمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت، ج 1 ص: 267 .

وليس صحيحا أن علماء المسلمين سلموا لشيوخ الصوفية، فإن كان منهم من سَلّم لهم جهلا بتصوفهم أو تسامحا وتساهلا معهم ، فإن كثيرا من علمائهم لم يسلموا لهم منذ البداية، فتصدوا لهم وردوا عليهم ، كالشافعي[1908] وأحمد بن حنبل، وابن عقيل البغدادي، وابن الجوزي، وابن تيمية، والذهبي، وابن قيم الجوزية[1909] . وقد تصدى لهم المحدثون منذ نشأتهم وبينوا ضعفهم في المرويات وحذّروا منهم كما سبق أن بيناه. بل وقد تعاون كثير من العلماء وعامة المسلمين في التصدي لشيوخ الصوفية مبكرا لِمَا كان يظهر عليهم من انحلال وانحراف عن الشرع، فتألبوا عليهم ورموهم بالكفر والزندقة ، منهم: ذو النون المصري، و أبو سعيد الخراز، وسهل بن عبد الله التستري، وأبو العباس بن عطاء البغدادي، وأبو القاسم الجنيد وغيرهم[1910].

وثامنا إن اعتراف بعض هؤلاء الصوفية بأن إظهار تصوفهم كفر، وأنه يُؤدي إلى إبطال النبوة والعلم والأحكام[1911].هو دليل دامغ ضدهم بأن عقيدتهم كفر وضلال ، وأن علمهم ينتهي بالصوفية إلى الضلال والكفر. فهو كفر ليس عندهم وإنما كفر في الشرع وعند المسلمين ولهذا أخفوه. ولو كان موافقا لدين الإسلام ما أخفوه. فسرهم الصوفي المزعوم هو كفر في ميزان الإسلام باعتراف الصوفية أنفسهم .ولو كان علما صحيحا ما كان كفرا ولا مُبطلا للنبوة والعلم والأحكام . لأن الفكر الصحيح يتفق بالضرورة مع الشرع الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح . والفكر الصحيح لا يُمكن أن ينقض النبوة، ولا الربوبية،ولا العلم ، ولا الأحكام الشرعية. ولهذا كان العلم الشرعي هو كشف للحقيقة ، وتوافق معها ،وتوسيع وتعميق لها وليس نقضا ولا نفيا لها، ولا كفرا بها. فالعلم الصحيح لا يُمكن أن يكون ناقضا ولا هادما للشرع ولا للنبوة. ولَما كان التصوف فكرا زائفا وباطلا، وجدنا الصوفية اعترفوا بأنه هادم للدين والنبوة والعلم والأحكام الشرعية، ولهذا أخفوا حقيقة تصوفهم عن المسلمين.

[1908] قال ابن الجوزي : ((روى أبو نعيم في ترجمة الشافعي رحمة الله عليه أنه قال: التصوف مبني على الكسل، و لو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا و هو أحمق))[1908] . هذه المقولة سواء صحت عن الشافعي أو لم تصح فمعناها صحيح ،وهي جانب مما أثبته بحثنا هذا . لأن الذي يتصوف تصوفا كاملا يعني أنه قد أبعد الشرع والعقل والعلم ، وجعل التصوف القائم على الظنون والرغبات والشطحات والتلبيسات هو مصدر تلقيه ، فيورثه هذه صدا وبعدا وكسلا و تعالما وتعاليا على الشرع والعقل والعلم ، وعلى غيره من الناس. وهذا الحال هو- من دون شك- عين الحماقة والغرور والسلبية .

[1909] سبق توثيق بعض انتقادات هؤلاء للصوفية، والذين لم أذكر أقوالهم لهم كتب مشهورة في نقد التصوف وأهله ، مثل ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين.

[1910] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 498 وما بعدها .

[1911] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 .

وأما ما رواه القشيري أن الشبلي كان يُصلي خلف إمام، فلما قرأ((وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً)(الإسراء: 8)). زعق زعقة وهو يرتعد ويقول: " بمثل هذا يخاطب الأحباب "!! ويردد ذلك كثيراً[1912]؛ فهو شاهد قوي ودامغ على فساد علم الصوفية المزعوم، وأنهم أسسوا تصوفهم على أهوائهم وأحوالهم ، وأنهم يتبعونها ويلتزمون بها، ولا يتبعون الشرع ولا يلتزمون به إلا عرضا واستثناءً . بدليل ما فعله الشبلي في الصلاة ، فالشرع أمرنا بالخشوع في الصلاة، قال سبحانه:((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(المؤمنون: 2))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)) ، و((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت: 45))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32)).لكن هذا الرجل خالف الشرع وبدأ يزعق في الصلاة، ويعترض على خالقه بقوله :" بمثل هذا يخاطب الأحباب "!! فعل ذلك بدعوى حكاية الحب الذي ميعه الصوفية وأخرجوه من إطاره الشرعي، وأدخلوه في أهوائهم وظنونهم **!!** . فنسي أو تناسى أن فعله هذا هو شاهد ضده على انحرافه وعدم حبه لله الحب الشرعي الذي أمرنا به، وعدم احترامه لشعائر الله، لأن الصلاة من شعائره، وما كان النبي وصحابته يفعلون ذلك في الصلاة. فلو كان فعلا طائعا لله تعالى لالتزم بشرعه ،لأن المحب لمن يحب مطيع ، والله سبحانه يقول : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32)).

علما بأن قوله تعالى : ((وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً)(الإسراء: 86)) هو شاهد دامغ على أن الأمر كله لله، وليس لنبيه أمر إلا بما أمره الله به ، قال سبحانه : ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران: 128))، و((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(الزمر: 65)) . فالله تعالى يعلّم نبيه والمؤمنين من بعده العبادة الصحيحة ، وعليهم أن يكونوا عبادا له في كل أحوالهم وعليهم أن يلتزموا بشرعه ، ((قل ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)). فهذه العبادة هي التي ترزقنا الأحوال الربانية الصحيحة من حب، ورجاء، وخوف، صدق ، ويقين وثبات .لكن العبادة

[1912] محمود عبد الرؤوف : الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص: 486 .

الصوفية كونت في أصحابها الرعونات والتعالمات، والشركيات والشكيات ،والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية. كهذا الرجل المريض الذي يزعق في الصلاة ويتعالم ويعترض على الله تعالى **!!**.

وأما مدح السراج الطوسي للصوفية بأنهم لهم ((مُستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء... وخبايا السر ومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المُحدث إذا قورن بالقديم ..))[1913]. فهو في الحقيقة ذم لهم ، وكشف لأباطيلهم، وثناء على مفترياتهم على الشرع والعقل والعلم. وكلامه هذا يتضمن القول بكفرية وحدة الوجود، وقد سبق أن شرحناه في الفصل الرابع.

والعلم الصوفي المزعوم الذي افتخر به السراج بدعوى أن علماء الظاهر لا يفقونه ، هو في الحقيقة كلام باطل يكشف حقيقة القوم وممارستهم للتقية إخفاءً لاعتقادهم بوحدة الوجود. لأن حقيقة ما يُخفيه هؤلاء ليس علما أبدا، وإنما هو ضلالات وكفريات وأباطيل تتعلق بعقيدة الفناء في الله حسب تعبيرهم- وحدة الوجود- بدليل أنهم حرصوا على إخفائها عن المسلمين ، فلماذا أخفوها ؟؟، أليس هذا التستر هو دليل على بطلان علمهم المزعوم ؟؟. لأن الفكر الصحيح لا يُخفى ، ولا يتناقض مع الشرع، ولا مع العقل، ولا مع العلم ، ولهذا يجب إظهاره . وبما أن الصوفية أخفوا حقيقة علمهم المزعوم فلا يصح مدحهم على تعبيرهم عنه بالإشارات والتلغيزات، والتمويهات والتغليطات؛ وإنما يجب ذمهم على ذلك من جهة، وليس عيبا أن لا يعرف غيرهم مقصودهم من تلك الإشارات من جهة أخرى. فلماذا لا يُعبرون عن علمهم المزعوم بكلام واضح مفهوم إن كان علما صحيحا كما يدعون ؟؟. فلو فعلوا ذلك لانكشف أمرهم للناس ،ولظهر لهم ضلال القوم وفساد علمهم ، لكنهم لم يفعلوه لأنه ليس في صالحهم ، ويريدون أن تستمر عملية التضليل والتلبيس والغليط إلى الأبد . ولهذا لا يصح مدح الصوفية بدعوى أن أهل العلم لا يفهمون حقيقة ما يعتقده هؤلاء. علما بأن كل من يُخفي حقيقة فكره وعقيدته بالإشارات والتلغيزات فهو من أهل الضلال يُخفي أباطيله وضلالاته لكي لا يعرف المسلمون حقيقة عقائدهم، وأفكارهم. وهذا المنهج الذي سار عليه الصوفية قديما وحديثا، هو نفسه الذي اتبعه الشيعة الإمامية وأمثالهم من أهل الأهواء، بممارسة التقية وإخفاء حقيقة عقائدهم عن المسلمين.

[1913] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .

علماً بأن استخدام الإشارات والتلغيزات ،والتلبيسات والمغالطات في التعبيرعن العقائد والأفكار ليس أمرا صعبا، ولا يدل على العلم ولا على العبقرية؛ وإنما هو شاهد على فساد وانحراف أصحابه عن الوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح. وممارسة ذلك ليس أمرا معجزا ولا عبقرية فذة، فيستطيع أهل كل دين، أو مذهب ، أو فكر استخدام تلك الطرق الملتوية للتعبير عما يريدونه. والعبقرية الصحيحة لا تكمن في التعمية والتعقيد والتلغيز، وإنما تكمن في اتباع الحق، والتعبير عن الأفكار بصدق ووضوح وشجاعة.

وبالنسبة لتقسيم السراج الطوسي لعلوم الشريعة إلى أربعة علوم، وجعله التصوف منها وتفضيله عليها[1914]. فالأمر ليس كذلك ، وكلامه هذا فيه حق قليل وباطل كثير بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن علوم الوحي المحضة كلها حقائق وبراهين وآيات بينات، وليست أربعة فقط ، بل هي علوم كثيرة جدا تندرج ضمن ما يُعرف بعلوم القرآن، وظهورها سيستمر إلى أن يوم القيامة بحكم أن القرآن الكريم هو الرسالة الإلهية الخالدة إلى بني آدم . ومن جهة أخرى إنه لا يصح تخصيص الجانب الروحي من علوم الشرع بالصحة من دون الجوانب الأخرى. فهذا باطل، لأن كل علوم الوحي حقائق وبراهين.وأما العلوم التي قامت على الوحي كالفقه وأصوله ،وعلم أصول الدين- علم الكلام- ، فهي تجمع بين الحق والباطل، مع اختلاف النسبة من جهة صواب منهجها والتزامها بالوحي الصحيح ، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح.

والشاهد الثاني: إنه لا يصح تخصيص العلم الرابع بأنه علم الحقائق دون العلوم الأخرى. فإن الجانب الشرعي منه هو صحيح كغيره من علوم الشرع الأخرى. وأما الجانب الروحي- الصوفي- منه فهو لا يختلف عن الفنون والأفكار والعلوم البشرية الأخرى . فهو فكر بشري نسبي فيه الحق والباطل ، وبسبب انحراف التصوف عن الشرع والعقل والعلم كما بيناه سابقا فإن الغالب عليه أنه فكر فاسد وباطل و كثير الأخطاء والانحرافات.

[1914] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 456 .

ولذالك لا يصح نسبة التصوف إلى علوم الشريعة، لأن الجانب الروحي منها سماه الله تعالى بالتزكية ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2)) ،و((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)(الشمس: 9)). وهذا الجانب علم شرعي قائم بذاته لا علاقة له بالتصوف الذي سبق أن بينا أنه مخالف لدين الإسلام أصولا وفروعا وغاية، وإنما الصوفية هم الذين تستروا بالإسلام ونسبوا إليه تصوفهم من جهة، وعملوا جاهدين على مخالفته وتعطيله وهدمه من جهة أخرى !!!! . فهل يُعقل أن فكرا هذا حاله يكون من العلوم الشرعية ؟؟!! .

علما بأن حكاية المجاهدات المزعومة ليست دليلا على صحة التصوف وأحوال أصحابه، وليس ذلك خاصا بهم. لأن تلك الممارسات ليست خاصة بالصوفية، ولا بدين من الأديان. ولهذا كان لكل مذهب، ودين عُباده ونُساكه، لهم أحوال تتفق مع عقائدهم وخلفياتهم الدينية والمذهبية. ولهذا يستطيع أي مسلم ، أو أي عالم من علماء أهل الحديث، أو الفقه ، أو الطبيعة أن يلتزم بالتزكية الشرعية ، فيجمع بين التربيتين الروحية والعلمية، ويكون أحسن حالا وتزكية واستقامة من الصوفية بكثير، بل لا تصح المقارنة بينهما. وعليه فلا يصح للصوفية أن يحتكروا الجانب الروحي والتعبدي ، فهو ليس من التصوف، وإنما هو جزء هام وأساسي من ديننا لا يصح لأحد أن يحتكره، ولا أن ينزعه من الشرع ويستحوذ عليه ويُلحقه بدينه أو مذهبه.

والشاهد الثالث: بالنسبة للرد عن المخطئين من أهل العلم ، فكلام الرجل ناقص ، وفيه تلبيس ، لأن الرد على الغالطين من هؤلاء لا يشترط فيه بالضرورة أن يكون من طائفة العلماء الذين يرد عليهم؛ وإنما يُشترط فيه أن يكون عالما بالموضوع الذي يتكلم فيه بغض النظر عن التخصص الذي ينتمي إليه. والرد يكون أساسا بالاحتكام إلى الوحي الصحيح ، والعقل الصريح، والعلم الصحيح، وهذه المنطلقات والموازين يجب أن يخضع لها كل إنسان من الصوفية وغيرهم من الطوائف الأخرى.

والشاهد الأخير- الرابع- : أن الرجل بالغ في مدح التصوف فوصفه بأنه مجمع العلوم والحقائق، وعلم الباطن والأسرار. وهذا غير صحيح من دون شك، وقوله مجرد زعم لا دليل صحيح يُثبته، ويُمكن أي عالم أن يدعي نفس الزعم يمدح به علمه، والزعم وحده ليس دليلا ولا يعجز عنه أحد. علما

بأن الحقائق موجودة في كل العلوم والأديان والمذاهب بنسب متفاوتة، والتصوف هو من أقل الأديان والعقائد تضمنا للحقائق، وأكثرها أوهاماً وأهواءً ، وضلالا وانحرافا، كما سبق أن بيناه. لأنه فكر قام أساسا على مخالفة الشرع والعقل والعلم. وعلم هذا حاله لا يُمكن أن يكون كما زعم الرجل. وهذا أمر سبق أن بيناه بالتفصيل في نقدنا لأصول التصوف وفروعه وغايته فلا نعيده هنا. فماذا ننتظر من فكر قام على هدم الشرع والعقل والعلم ؟؟!! .

وتاسعا إن قول أبي حامد الغزالي: ((فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات...))[1915].فهو قول غير صحيح في معظمه، وقد سد به الغزالي طرق العلم بالله ومعرفة الأشياء إلا طريق المجاهدة وقمع الشهوات وفق طريق التصوف . وهذا زعم باطل لأنه لو كان الأمر كذلك لما كانت أية فائدة من إرسال الأنبياء، وإنزال الكتب، وتكليف الله لنا بالتزام شريعته ، ولا فائدة من العلم الذي أمرنا بتعلمه وطلبه ، ولا معنى من أمره بالاقتداء برسوله ،وإتباع الصحابة الكرام. ولا معنى من تشريعات الإسلام العملية لعمارة الأرض. وعليه فإن كلام الرجل غير صحيح، لأن العلم الحقيقي يكون بتقوى الله تعالى والتزام شرعه،وطلب العلوم النافعة بالمنهج التي يتفق معها، وليس بممارسة الطريق الصوفي. قال سبحانه: ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة: 282))، و((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(العنكبوت: 20))، و ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32)).

ولو كان العلم الصوفي المزعوم مزيلا للشبهات ، وكاشفا للحقائق ومُعرفا بالأشياء، ما أخفاه أصحابه عن المسلمين ، وما كان مخالفا للشرع، وهادماً له وللعقل والعلم كما بيناه سابقا. علما بأن طرق العلم كثيرة وكل نوع حسب موضوعه ومنهجه. فمنها علوم لا تُعرف إلا من الشرع ، وأخرى تُعرف بالعبادة الشرعية كتذوق الإيمان وأنواره، وأخرى تُعرف بالعقل الفطري كالبديهيات ، وأخرى تُعرف بالإحساس الوجداني كالحب

[1915] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ص: 99 .

والبغض ، ومنها ما يُعرف بالتأمل في الفكر والكون ، وأخرى تعرف بالبحث في الطبيعة وممارسة التجربة. وأما المجاهدات النفسية فإن كانت شرعية أورثت أحوالا صحيحة ، وإن كانت مجاهدات غير شرعية أورثت أحوالا فاسدة نفسانية وشيطانية من جهة ، ولا يُمكنها أن تُعرّفنا بالعلوم التي لا علاقة لها بالمجاهدات النفسية من جهة أخرى. والدليل الدامغ على ذلك أن الغزالي عندما تصوف ورد على الفلاسفة كما في كتابه تهافت الفلاسفة ، كان رده ناقصا من عدة جوانب، وكان عاجزا عن نقد المنطق الصوري القاصر والمُفسد للشرع والعقل ، بل إنه تبناه ودعا إلى إدخاله في علوم الشريعة كما في كتابه المستصفى في علم الأصول . وكان عاجزا أيضا عن نقد طبيعيات اليونان التي ثبت قطعا بطلان معظمها، لمخالفتها للشرع والعلم، بل واحتج ببعض معطياتها وهي غير صحيحة[1916]. ووقع أيضا في أخطاء علمية تتعلق بالجنين كما سبق أن بيناه. فلماذا لم تكشف له المجاهدات الصوفية عن حقائق تلك الأمور لكي لا يُخطئ عندما تكلم فيها؟؟.

وقوله مخالف للشرع مخالفة صريحة، لأن الثابت قطعا أن الله تعالى كما أمرنا بالعبادات ومجاهدة النفس لتطهير نفوسنا أمرنا أيضا بطلب العلم بالقلم لتفقيهها و تربيتها، قال سبحانه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)(العلق:1- 4)). وحثنا على اكتساب علوم الطبيعة والإنسان بحواسنا وتطبيق المنهج التجريبي، كما في قوله سبحانه: ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(العنكبوت: 20))، و((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(آل عمران: 137)) . وأمرنا أيضا بتطبيق شريعته ليزكينا ويطهرنا،كإخراج الزكاة، قال تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)). وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- يجمع بين كل أنواع التربية في تربيته لأصحابه : روحيا، وأخلاقيا، وجهاديا، وعلميا ، وبدنيا، وكل منها ضروري ومطلوب في مجاله ولا واحد يُغني عن الآخر. فكلها توصل إلى العلم والتقوى والتزكية . فالشرع أمر بكل ذلك، وهذا خلاف ما يدعيه شيوخ التصوف في أخذهم بالجانب الوجداني، فهم حتى عندما اهتموا به لم

[1916] للتوسع فيما ذكرناه أنظر كتبنا الآتية: مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية . و جنايات أرسطو في حق العقل والعلم . و نقد فكر ابن رشد الحفيد . و تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت . و مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم . وهي كلها منشورة ورقيا وإلكترونيا .

يُقيموه على الشريعة، ولا على أساس صحيح من العقل والعلم، ولا التزموا بالشرع عندما طبقوا طريقهم الصوفي.

علما بأن المجاهدات الصوفية هي طريق إلى الجهل والضلال وليست طريقا إلى العلم الصحيح، بدليل ما بيناه من مخالفة التصوف للشرع والعقل والعلم، وقد اتضح أن المجاهدات الصوفية هي هدم للإنسان وإخراج له من فطرته إلى حالة مرضية ، وفيها يفقد قواه العقلية والنفسية والبدنية، فيصبح فريسة للهلوسات وخِداع الحواس، وتلبيسات الشياطين. فالطريق الصوفي الذي مدحه الغزالي هو طريق هادم للشرع والعقل والعلم، وليس كاشفا للحقائق ومعرفا بالأشياء.

وأما قوله: ((والمدرك الثاني: الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء.. ولا تظن أن معرفة النبي - صلّى الله عليه وسلّم- لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليد لجبريل -عليه السلام -. فإن التقليد ليس بمعرفة صحيحة...))[1917]. فهو غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف وأباطيل، منها إنه لا يصح وضع الأنبياء والأولياء في مرتبة واحدة من ناحية معرفتهم بالله ودينه وبالمعرفة عامة. لأن النبي يتلقى الوحي من الله تعالى وهو كله حق وعلم. وأما أولياء الله تعالى فهم كغيرهم من البشر يتلقون معارفهم من الشرع وبوسائلهم البشرية المحدودة ، ومهما كانوا اتقياء فوسائلهم تبقى نسبية و يتلقون العلوم بحواسهم ومن الشرع ، وما يتذوقونه بقلوبهم من أنوار إيمانية تساعدهم في حياتهم العادية لكنها تبقى نسبية ومحكومة بالشرع والعقل والعلم ولا يُمكنها أن تحل محل الوسائل المعرفية الأخرى . بدليل أن الصحابة –رضي الله عنهم- شهد لهم الشرع بالإيمان والعمل الصالح والوَلاية ودخول الجنة بالنسبة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار،لكنهم مع ذلك ظلوا يتلقون العلم من الشرع وبحواسهم ، وكانوا يسألون بعضهم عن السنة النبوية ، ويتشاورون في أمورهم ، ويرد بعضهم على بعض في قضايا الفقه وغيره. ولهذا فإن حكاية الإلهام والكشف عند الصوفية ليست كما يزعمون ، فهي أمر نفسي نسبي كثيرا ما كان من أهواء النفس وتلبيسات الشياطين والدليل الدامغ على ذلك ما بيناه في كتابنا هذا من مخالفة الصوفية للشرع والعقل والعلم فيما قرروه من أصول التصوف وفروعه وغاياته. فالقوم كانوا غارقين إلى الأذقان في الأباطيل والأوهام ، والأخطاء والتلبيسات. فأين حكاية هذا الإلهام المزعوم؟؟.

[1917] الغزالي: أصناف المغرورين ، ص: 2 .

ومن جهة أخرى لا يصح أبدا التسوية بين الأنبياء والأولياء في المرتبة كما فعل الغزالي، ولا بين الأولياء في دين الإسلام وبين الأولياء في الدين الصوفي، فأولياء الإسلام هم الين وصفهم الشرع بأنهم من الين آمنوا وكانوا يتقون. وأما أولياء الصوفية فهم الذين بلغوا مقام كفرية وحدة الوجود، فهم ليسوا من أولياء الإسلام، لأنهم من الذين عطلوا الإسلام وهدموه، فكيف هم من أوليائه ؟؟. والغزالي فعل ذلك لغاية في نفسه، وكلامه فيه تضليل وتحريف للشرع، عن سبق إصرار وترصد.

ولا يصح تسمية الوحي الذي تلقاه النبي-عليه الصلاة والسلام- عن الله تعالى بأنه تقليد لجبريل –عليه السلام- فهذا مخالف للشرع وخطأ فادح وغريب أن يصدر عن الغزالي **!!** . إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يقلد جبريل ، وإنما يتلقى الوحي من الله تعالى ((وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ)(فاطر: 31))، و((فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(القيامة: 18))، و((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)(طه: 114)). وهذا الوحي هو علم وحقائق وبراهين، قال سبحانه: ((ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)(البقرة: 145))، و((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)(السجدة: 3))، و((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت : 42)).. والله تعالى هو الذي علم نبيه-عليه الصلاة والسلام- ، و((أَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: 113)). و لا يُمكنه أن يعرف أمرا من الغيب إلا ما أخبره به الله تعالى : ((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)(الأنعام: 50))،و((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: 188)).

فالنبي-عليه الصلاة والسلام- علمّه ربه بالوحي وليس بالكشف المزعوم كما قال ابو حامد الغزالي. ولهذا عندما كان –عليه الصلاة والسلام يجتهد برأيه ويجانب الصواب كان الوحي يتدخل ويصوب سلوكه . وقد سجل القرآن مواقف من ذلك كما في حادثة الأسرى. قال سبحانه : ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ

يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(الأنفال : 67- 68)).

وبالنسبة لقوله: ((الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري...))[1918]. فهو كلام باطل ، وفيه تحريف مُتعمد للشرع، لأنه لا يصح التسوية بين علم الأنبياء وعلم غيرهم بأي حال من الأحوال. لأن علم الأنبياء وحي إلهي مباشر. لكن علم غيرهم من البشر كالصوفية وغيرهم مُكتسب بالتعلم، ولهذا قيل: إنما العلم بالتعلم . والاهتمام بالجانب الروحي رافد من روافد اكتساب العلم لكنه لا يكفي وحده أبدا ، وهناك علوم لا تكتسب به أصلا . والتعبد وحده لا يجعل صاحبه عالما مهما بالغ في التعبد. وإلا لماذا علم النبي-عليه الصلاة والسلام- أصابه وكانوا قمة في الزهد والعبادة بشهادة القرآن لهم بالإيمان والعمل الصالح. وإلا لماذا أمرهم بقراءة القرآن الكريم. كما أنه من الثابت أنه لا يوجد في علماء الصحابة من كان عالما بالعبادة فقط ، فكلهم تعلموا كما تعلم غيرهم من علماء المسلمين.

وليس صحيحا أن الأنبياء انكشف لهم الأمر "بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له". فهذا كلام باطل قطعا، ومخالف للقرآن مخالفة صريحة. لأن الأنبياء لم ينالوا النبوة بالتعلم ولا بالمجاهدة ، وإنما الله تعالى هو الذي اصطفاهم بفضله ورحمته وحكمته، فالنبوة لا تُكتسب أبدا. قال سبحانه: ((وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ ،اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ)(الأنعام: 124))، و((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى: 52))، و ((وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: 113)).

[1918] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 19 .

فكلام الغزالي باطل قطعا وفيه تضليل وتحريف مُتعمد للشرع عندما سوى بين الأنبياء والأولياء وجعل النبوة اكتسابا لا اصطفاء وتكليفا من الله تعالى.وزعمه بأن أولياء الصوفية انكشفت لهم الأمور بالأنوار كالأنبياء، كلام باطل قطعا، وقد أقمنا الأدلة القطعية على فساد وبطلان زعمه هذا، وتبين أن هؤلاء الأولياء انتهى بهم تصوفهم إلى هدم الدين والعقل والعلم، والكفر بالله ورسوله ودينه، فلو أكسبتهم مجاهداتهم العلم والنور ما كان حالهم كذلك **!!**.

وأما قوله: ((وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى: ((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)(الكهف: 65))...))[1919]. فهو كلام لا يصدق إلا على الأنبياء، لأنهم هم الذين يتلقون العلم- الوحي الإلهي- من دون تعلم ، وأما غيرهم فعلمهم كله بالكسب والطلب . بدليل قوله تعالى : ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2))، و((وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(النحل: 64))، و((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد : 24)).

ومن الثابت قطعا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- لم يعلم أصحابه بالطريقة الصوفية، وإنما كان يعلمهم بالتلقين والوعظ والتطبيق، وأمرهم بتعلم القراءة والكتابة لقراءة كتاب الله، وكوّن جماعة من قراء القرآن كان يعلمهم بالتلقين والتحفيظ والممارسة. وهذا يعني قطعا أن العلم يُكتسب بالتعلم ، وهذا الذي طبقه النبي-عليه الصلاة والسلام- مع صحابته، وهم طبقوه أيضا فيما بينهم ومع التابعين . والله تعالى يُعلم عباده بالتقوى والالتزام بشرعه، لقوله سبحانه: ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة: 282)) ، وهذا يتم أيضا بالطلب والكسب. وهذا النوع من العلم لا يغني عن وسائل العلم الأخرى ، وإنما هو من وسائل العلم ، وهناك علوم لا يُمكن تلقيها إلا بمناهجها التجريبية، أو التأملية .

والدليل القطعي على أن علم الصوفية المزعوم ليس لَدُنياً أنه سبق أن بينا أن علمهم الصوفي مخالف للشرع والعقل والعلم، وانتهى بهم إلى الكفر

[1919]الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 24 .

بالله ورسوله ودينه. ولهذا فغير الأنبياء يجب عليهم أن يأخذوا علمهم من الوحي بالتعلم والالتزام بالشرع وهذا كله كسبي. والآية التي ذكرها الغزالي((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)(الكهف: 65)) خاصة بالخَضِر ، وهذا شاهد على أنه نبي، لأن النبي هو الذي يُعلمه الله تعالى بالوحي مباشرة من دون تعلم واكتساب. وأما غير الأنبياء فعلمهم كله بالطلب والاكتساب، ولن ينالوا العلم المباشر من الله كالأنبياء أبدا. ولا توجد وسيلة أخرى صحيحة توصل إلى الله تعالى وشريعته إلا الوحي الإلهي، ومن لم يلتزم به كالصوفية وأمثالهم فإنهم لن يصلوا إلى العبادة الصحيحة. وهذا أمر أثبتناه بعشرات الشواهد التي بينت مدى انحراف الصوفية عن الشرع وبعدهم عنه وعن العقل والعلم أيضا. فأين العلم اللدني المزعوم ؟؟ .

علما بأن قول الغزالي بالعلم اللدني وتسويته شيوخ الصوفية بالأنبياء في تلقي العلوم والأنوار هو نقض لختم النبوة، وتحويل لهؤلاء الشيوخ إلى أنبياء، وتعطيل للشرع ، وهدم لدين الإسلام كله. كل ذلك قاله باسم الإسلام، فهدم الإسلام بالإسلام بممارسة التقية والتستر بالإسلام على طريقة سلفه في حرصهم على تعطيل الإسلام والانتصار للديانة الصوفية**!!** .

وأخيرا- عاشرا- : إن قول الصوفية بالشريعة والحقيقة هو تعبير آخر عن علمهم المزعوم وتفضيله على كل العلوم . فالشريعة عندهم هي علم الظاهر وليست حقيقة ، والحقيقة هي علم الباطن الذي هو علم الحقائق لا علم الرسوم والشكليات حسب زعمهم. وبمعنى آخر الشريعة عندهم ليست حقيقة، وإنما تظاهروا بها تسترا بالإسلام ، والحقيقة عندهم هي الاعتقاد بالتصوف الذي غايته الكبرى وحدة الوجود . وتقسيمهم هذا غير صحيح ، فصّلوه على مقاسهم لغايات في نفوسهم .

من ذلك قول أبي عبد الرحمن السلمي بأن الشرع أخبرا أن ((آخر أمته، لا يخلو من أولياء و بدلاء، يبينون للأمة ظواهر شرائعه، و بواطن حقائقه. ويحملونهم على آدابها و مواجبها، إما بقول أو بفعل))[1920].

وقوله هذا فيه تلاعب وتحريف وافتراء على الشرع. لأن دين الإسلام تكلم عن الأولياء الربانيين الملتزمين بالكتاب والسنة قلبا وقالبا،لقوله سبحانه: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(يونس: 62))،

[1920] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 22 .

وأولياء الصوفية ليسوا من هؤلاء أبدا ، وإنما هم أولياء التصوف وكفرية وحدة الوجود. ولا يوجد أي دليل صحيح من الشرع يُقسم الإسلام إلى شرائع وحقائق . لأن الشريعة كلها علوم وحقائق سواء ما تعلق بها من الأمور الظاهرة أو من الأحوال النفسية والقلبية فهي كلها حق وعلم. قال تعالى: ((وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)(البقرة: 120))، و((َقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)(يونس: 94)). ولهذا لا يصح تقسيم دين الإسلام إلى شريعة وحقيقة، أو إلى ظاهر وباطن لأن هذا باطل،ولا دليل عليه من الشرع ولا من العقل، وإنما هو مسلك أهل التحريف والأهواء قديما وحديثا، كالمعتزلة ، والشيعة الإمامية. فهؤلاء لما كانت عقائدهم مخالفة لدين الإسلام ، ولما حرصوا أن يُنسبوها إليه استخدموا التأويلات التحريفية بدعوى الظاهر والباطن لتحقيق غاياتهم التي خططوا لها سلفا.

ولا يصح وصف الشريعة بأنها ظواهر ورسوم، والتصوف بأنه بواطن وحقائق، لأن كل ديانة ، أو مذهب ، إلا وله جانبان: ظاهر، وخفي . الأول يتعلق بالممارسات الظاهرة ومنطلقها الإيمان وهو أمر قلبي ، والثاني يتعلق بالأحوال الوجدانية الداخلية كالصدق، والإخلاص، والشك ، والنفاق، والحب والكره، ومنطلقها أيضا الإيمان القلبي. والشريعة كلها حقائق وعلوم بأعمالها الظاهرة والخفية، وبمعنى آخر هي علوم بأعمال الجوارح والقلوب. والعبادة الصوفية هي أيضا لها ظاهر وباطن، قلب وقالب، وبما أنه سبق أن بينا مخالفتها للشرع والعقل والعلم، فهي باطلة بظواهرها وبواطنها .

وأما قول عبد الكريم القشيري: ((الشريعة: أمر بالتزام العبودية. والحقيقة: مشاهدة الربوبية ... فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده ...))[1921].فهو غير صحيح في معظمه، قاله بلسان العبادة الصوفية لا بلسان العبادة الشرعية. ونظر إلى الشريعة بالعقيدة الصوفية ، ولم ينظر إليها ولا إلى التصوف بشرع الله تعالى. ولهذا ازدرى بالشريعة وحرّفها ، ورفع من شأن التصوف وسماه الحقيقة ومدحه وفضله على الشريعة التي هي عنده ظواهر لا حقائق .

[1921] القشيري: الرسالة، ص: 42 .

علما بأن ن دين الإسلام كما هو أَمْر بالالتزام بشريعة الله فهو أيضا تَحقْق به أيضا. فالمسلم مأمور بطاعة الله في كل أحواله قلبا وقالبا فتكون النتيجة أن تتحقق فيه ثمار ذلك، فيتطهر ويتزكى ويتنوّر. قال سبحانه : ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)). فالشريعة كما أنها حق وعلم ونور بذاتها فلها ثمارها وحقائقها الإيمانية مأخوذة منها ، ولا يُمكن أن تناقضها، ولا تنحرف عنها من جهة، وتنعكس ثمارها وأنوارها على المؤمنين الصالحين من جهة أخرى . وهنا يكون المؤمن قد جمع بين أوامر الشريعة وثمارها. بدليل قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) ،وهذه كلها حقائق ، فالشريعة حقائق، وثمارها حقائق. ولهذا فلا يصح التقسيم الذي قال به الصوفية شرعا ولا عقلا ولا علما.

لكن العبادة الصوفية كما أنها تمثل بنفسها عقيدة مستقلة عن العبادة الشرعية ومخالفة لها، فهي أيضا توصل أصحابها إلى نتائجها وثمارها المرة والفاسدة التي سماها القشيري بالحقيقة. وبما أنه سبق ان بينا أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا صحوا ولا نوما ، فإن معنى كلام القشيري عن الحقيقة والمشاهدة والشهود يعني أن الصوفي يصل إلى الاعتقاد بوحدة الوجود، وهنا يصبح ربا وإلهاً يعلم بالله ومن الله حسب زعم الصوفية. وهذه هي حقيقة العلم الصوفي المزعوم الذي سماه القشيري الحقيقة ، إنه كفر وضلال ، وهدم للشرع والعقل والعلم. فالحقيقة التي يتكلم عنها الصوفية ليست الحقيقة الشرعية، وإنما هي " حقيقة " العبادة الصوفية، لكنهم كعادتهم يتسترون بالإسلام، فيتظاهرون بالشريعة ، ثم يُقررون ما يُخالفها ويُدمرها. وبمعنى آخر إن الشريعة عند القشيري وأصحابه ليست حقيقة وإنما هي رسوم وشكليات تظاهروا بها تسترا بالإسلام، والحقيقة عندهم هي الاعتقاد بالتصوف الذي غايته الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود.

ويُؤكد ذلك أيضا قوله: ((والكيِّس: من كان بحكم وقته؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، وإن كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة))[1922]. فالصوفي حسب زعمه له حالتان: حالة بشرية –الصحو-، وحالة ربوبية- المحو -، في الأولى يكون فيها بشرا ، وهنا عليه أن يُظهر

[1922] القشيري: الرسالة، ص: 31 .

التزامه بالشريعة تسترا بها وتضليلا للمسلمين. وفي الثانية يتخلى عن الشريعة غالبا وتغلب عليه أحكام التصوف، وفيها يكون بلغ وحدة الوجود يستشعر الربوبية والألوهية لأنه أصبح هو الله حسب زعم الصوفية. وبما أنه سبق أن بينا بطلان قولهم بوحدة الوجود، فإن الذي يهمنا هنا هو أن معنى قوله يُثير التعجب والغثيان والاشمئزاز من جهة؛ ويشهد على أن القشيري حث الصوفية على التظاهر بالشريعة نفاقا وتقية وتسترا بها من جهة ثانية؛ وأن الحقيقة عند الصوفية تعني الاعتقاد بوحدة الوجود من جهة ثالثة.

وبذلك يتبين أن قول الصوفية بالشريعة والحقيقية لا يقصدون به أن الشريعة تهتم بظواهر الإنسان والتصوف يهتم ببواطنه، فهذا لا يقصدونه ولا يعتقدونه. لأن الشريعة كدين كامل تقوم على الإيمان القلبي والأحوال الوجدانية والسلوكية ولها أوامرها المتعلقة بظواهر الإنسان وباطنه، كقوله تعالى: ((وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ)(الأنعام: 120)). ونفس الأمر ينطبق على التصوف، فهو كدين له عقائده القلبية، وممارساته الظاهرة وأحواله القلبية كما بيناه سابقا. فالشريعة هي دين الله تعالى، والحقيقة - حسب الصوفية- هي الدين الصوفي، فنحن أمام دينين ولسنا أمام دين واحد، والصوفية يعتقدون بذلك لكنهم لا يُفصحون عنه بكلام واضح، وإنما يُعبرون عنه بالإشارات والتلغيزات غالبا **!!**.

وأما ما يوجد من أقوال لبعض شيوخ الصوفية في عدم التفريق بين الشريعة والحقيقة وتشديدهم على ذلك[1923]، فهي من باب التقية يتظاهرون بها لتضليل الطيبين والمغفلين والمتسامحين من المسلمين، وإلا فإن التصوف هو دين قائم بذاته من دون شك، له أصوله وفروعه وغاياته التي خالف بها الشرع وهدم بها الوحي والعقل والعلم كما سبق أن بيناه.

وبناءً على ذلك فلا يصح ولا يُمكن الجمع بين الحقيقة الصوفية المزعومة وبين الشريعة، لأن حقيقتهم هذه مناقضة للوحي والعقل والعلم . فحقيقتهم ليست شريعة، والشريعة ليست حقيقتهم ، فهما لا يتفقان ولا يتطابقان، وإنما يتنافران ويتناقضان. فعلاقة حقيقة الصوفية بالشريعة مثل

[1923] من ذلك ما رواه أبو نعيم الأصبهاني ، عن أبي بكر الزقاق أنه قال : ((...كنتُ في التيه وحدي، فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة. فهتف بي هاتف من شجر البادية: يا أبا بكر، كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر)) ، حلية الأولياء، ج 4 ص: 420 .

علاقة حكمة - فلسفة- ابن رشد بالشريعة التي تكلم عنها في كتابه : فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال[1924].

وإنهاءً لهذا المبحث يُستنتج منه أن العلم الصوفي المزعوم ليس علما صحيحا، ولا يقينيا ولا نورانيا ،ولا يصح تسميته علما ؛ وإنما هو فكر باطل فاسد خُرافي قائم أساسا على مخالفة الشرع والعقل والعلم، وقد ذكرنا من ذلك نماذج كثيرة جدا من أخطائه الشرعية والعليمة والتاريخية هي من باب التمثيل لا الحصر. مما يعني قطعا أن التصوف لا يُمكن أن يكون شرعيا ولا عقلانيا ولا علميا في أساسيات أصوله وفروعه وغاياته.

وختاما لهذا الفصل- الخامس- يتبين منه أولا إن الصوفية تلقوا أخبارهم وفكرهم من شيوخهم ومن الإسرائيليات والروايات الضعيفة والموضوعة ، وهي مصادر لا يصح الاعتماد عليها على أنها مصادر يقينية، وإنما هي مصادر ظنية احتمالية لا يصح التعويل عليها والوثوق بها إلا بعد تمحيصها، لأنها خليط من الأفكار الصحيحة والفاسدة،ومن الأهواء والهلوسات ،ومن التلبيسات والخرافات. لكنهم من جهة أخرى أهملوا المصادر الصحيحة ، وهي: الوحي الصحيح ، والعقل الصريح، والعلم الصحيح، أهملوها ولم يكن لها أي دور في التأسيس للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته، لأنها تنقض عليهم تصوفهم وتهدمه من أساسه.فكان دورها مقتصرا غالبا في قضايا توجد في هوامش التصوف وحواشيه لا في صلبه ومكوناته الأساسية.

وثانيا فقد اتضح أن العلم الصوفي المزعوم لا يُمكن أن يكون يقينيا ولا علميا، ولا نورانيا ولا ربانيا، ولا سنيا ولا قرآنيا ؛ وإنما هو فكر قام أساسا على الرويات المكذوبة، والتأويلات الفاسدة للشرع، وعلى الهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية، فهدم بذلك الوحي والعقل والعلم، وأوصل أصحابه إلى الكفر والإلحاد والشرك.

وأخيرا- ثالثا- فقد تبين أيضا أن العلم الصوفي المزعوم لم يكن يملك منهجا نقديا لنقد الأفكار والمرويات ليُميز صحيحها من سقيمها؛ وإنما كان يملك منهجا تجميعيا تلفيقيا ،تحريفيا تبريريا ،ذرائعيا انتهازيا خرافيا موجها

[1924] ناقشتُ الرجل وبينت فساد وخطأ ما قام في كتابي: نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا. وفيه بينت بطلان ما زعمه الرجل،و توسعت في رد الشواهد التي اعتمد عليها.

لخدمة التصوف: تأسيسا وتقعيدا، انتصارا ودفاعا عنه بحق وبغير حق. تبناه الصوفية لأنهم كانوا يعلمون يقينا أن هذا المنهج هو الذي يتفق مع تصوفهم المخالف للشرع والعقل والعلم، فتبنوه وتركوا المنهج النقدي، وازدروا به علوم الشرع والإنسان والطبيعة بدعوى أنها من علوم الظاهر، وأن تصوفهم هو علوم الحقائق والبواطن. فضلوا وأضلوا، وقد بينا فساد تصوفهم ومنهجهم بأدلة الوحي والعقل والعلم.

....

الفصل السادس
نتائج وآثار، أسئلة وإجابات ،اعتراضات وتساؤلات

أولا:نتائج وآثار .
ثانيا: أسئلة وإجابات .
ثالثا: اعتراضات وتساؤلات .

نتائج وآثار، أسئلة وإجابات ،اعتراضات وتساؤلات

أظهرت قراءتُنا النقدية للروايات والأفكار المؤسسة للتصوف حقائق ونتائج كثيرة كانت مطموسة ومجهولة لدي قِطَاع عريض من الناس، وترتبت عنها آثار وقضايا وتداعيات خطيرة مست كل ميادين الحياة من جهة؛ وأفسدت جوانب من الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى.فما هي أهم تلك النتائج والآثار ؟، وما هي أسبابها ؟، وما هي أهم الاعتراضات التي قد يُعترض بها علينا فيما قررناه في كتابنا هذا ؟ .

أولا:نتائج وآثار تتعلق بالتصوف:

تضمنت الفصول السابقة كثيرا من النتائج والآثار التي أظهرها كتابنا هذا، فهي مبثوثة بين طياته ، فلا أُعيد ذكرها ، لكني سأُركز هنا على طائفة أخرى بطريقة مُركزة وهادفة تزيد الموضوع توسيعا وعمقاً وإثراءً. وسيأتي ذكرها من خلال المجموعات الآتية:

الأولى تتعلق بالتصوف كفكر بأصوله ومناهجه رجاله، فمن نتائجها أولا إنه تبين أن من خصائص الفكر الصوفي أنه فكر أفسد الفكر البديهي والعلمي وأحل محله الفكر الخرافي والهلوسي، فأصبح فكرا خرافيا هلوسيا وهميا في أكثر جوانبه. لأن الفكر الذي يخالف الشرع والعقل والعلم كالتصوف، لا شك أنه فكر يقوم أساسا على الأباطيل والأوهام والخرافات لا على البديهيات والحقائق، فساهم بذلك في إفساد جانب كبير من الفكر الإسلامي قديما وحديثا. وهذه الخاصية انعكست على الصوفية وعُرفوا بها فكرا وسلوكا، حتى أن الأديب كمال الدين بن جعفر الأدفوي الشافعي(ت748 هـ/1347م) قال فيهم : إن الغفلة والجهل فيهم كثير،وأن بعضهم ينكر بداهة العقول ،ويؤمن باجتماع النقيضين لفرط جهلهم[1925]. ووصفهم الذهبي بقوله: ((قلت:إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صدّيق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين.

[1925] الأدفوي : الطالع السعيد ص : 133 ، 653 .

فان طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا:محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العِباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت:مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله))[1926].

وثانيا فقد اتضح أن من وسائل التقية التي مارسها الصوفية وأتقنوها أنهم استخدموا اسماء ومصطلحات شرعية بمضامين صوفية مخالفة للشرع. وهذا ذكرنا منه أمثلة كثيرة، منها مثلا، تسمية مقام وحدة الوجود بالإحسان ، وتسميتة بالتوحيد ، والوَلاية. و تسمية أذكارهم المخالفة للشرع بالذكر. وتسمية جوعهم المخالف للشرع بالصوم.

ومن ذلك أيضا أن أبا طاهر المقدسي ذكر حديثا ، وجعل له عنوانا صوفيا يتعلق بالخرقة مع أن الحديث لا علاقة له بخرقة الصوفية ، وجعله من سنن الصوفية !!، فقال: ((باب السنة في لبسهم الخرقة على يد الشيخ))[1927]، والحديث هو ((عن أم خالد بنت خالد قالت أتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بثياب فيها خميصة سوداء قال من ترون نكسوها هذه الخميصة فأسكت القوم قال: ائتوني بأم خالد فأتي بي النبي -صلى الله عليه وسلم- فألبسنيها بيده وقال: أبلي وأخلقي مرتين فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلي ويقول: يا أم خالد هذا سنا ويا أم خالد هذا سنا. والسنا بلسان الحبشية الحسن))[1928]. وقال أيضا : ((باب السنة فيما يشترط الشيخ على المريد عند لبس المرقعة))، ثم ذكر حادثة بيعة العقبة[1929].

وأقول: لا يوجد تفسير صحيح للربط بين شروط لباس الخرقة عند الصوفية والحديثين ، فلاشك أن فعله مخالف للشرع ، ولم يكن للخِرقة ولباسها أثر زمن النبي-عليه الصلاة والسلام- ولا كانت من سننه[1930]. لكن الرجل يتكلم بلسان التصوف لا بلسان الشرع. فتلك الشروط هي من سنن التصوف لا من سنن شريعة الإسلام لكن الرجل يغالط ويدلس باستخدام المصطلح الشرعي: السنة . لكن هذا الصوفي وأصحابه بقدر ما كانوا حريصين على إفساد الإسلام وتعطيله وهدمه كانوا أيضا حريصين على التظاهر به والتأسيس لعقيدتهم باسم الاسلام للتستر به وتضليل أتباعه.

1926 الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 29 ص: 403 .

1927 أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 222 .

1928 أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 222 . والبخاري: الصحيح ، ج 7 ص: 153 .

1929 أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ، ص: 222 وما بعدها .

1930 بينا بطلان قول الصوفية بالخرقة في الفصل الأول .

ووجه المقارنة فيما ذكره عن بيعة العقبة أن هؤلاء الصحابة دخلوا الإسلام بمبايعتهم للنبي-عليه الصلاة والسلام-، والمريد الصوفي عندما يلبس المرقعة على يد الشيخ ويوافق على شروطه يكون قد بايعه على الخروج من الدين الذي كان عليه والدخول في الديانة الصوفية. فهذا هو موطن التشابه والقياس، بين الحديثين وفعل الشيخ الصوفي مع المريد.

وتلك الطريقة التي مارسها الصوفية خطيرة جدا وتسيء إليهم أيضا، لأنها مبنية على التضليل والتغليط والتلاعب وهذا يتنافى مع الشرع والعقل ، ولا يتفق مع أخلاقيات من يجاهد نفسه ليربيها ويرتقي بها إلى الصفات والمقامات الحميدة !! . وبها هدم الصوفية الدين والدنيا بمصطلحات شرعية ظاهرها مقبول وبواطنها باطلة ومدمرة ومسمومة .

وثالثا إنه فكر فيه غرور وتعالم كبير على الشرع والعقل ، لأن رجاله أكثروا من مدح أنفسهم وتصوفهم بأنهم أرباب القلوب واليقين ،وأن فكرهم هو العلم الصحيح الموصل إلى ذلك ،والمنقذ من الشكوك والحيرة والقلق والاضطراب. وقولهم هذا ليس بصحيح، لأن كل الأديان والمذاهب الباطلة إلا وفيها جانب لأصحابها لهم فيه اطمئنان بغض النظر عن بطلانها. وهذا الاطمئنان الجزئي إما راجع لأن هذا الجانب منه صحيح ضمن الجوانب الأخرى الزائفة ، وإما أن أتباعها مخدوعون به ظنا منهم أنه صحيح. وإما أنهم لهم فيها مصالح دنيوية فهم راضون بها لأنها تحقق لهم ذلك . قال تعالى: ((أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعوا أَهْوَاءهُمْ)(محمد : 14))، و((تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل: 63))، و((إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ)(يونس: 7))،)).

لكنهم من جهة أخرى فهم يعانون من كثير من الشكوك والتناقضات والاضطرابات النفسية لما هم فيه من أباطيل ومخالفات للشرع والعقل والعلم . قال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))،و((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة: 10)).

ولذلك فإن الصوفية لا يخرجون عن هؤلاء ، فهم مع كثرة دعاويهم وتعالمهم واستعلائهم على مخالفيهم بحكاية علوم الباطن ، فإنهم في حقيقة

الأمر لم يكونوا كذلك . لأن كثرة أخطائهم وانحرافاتهم ومخالفاتهم للشرع والعقل والعلم هي أدلة قطعية على قلقهم واضطرابهم وحيرتهم وعدم بلوغهم اليقين. فظاهرهم وما نتج عن فكرهم وسلوكياتهم من أباطيل وخرافات هي أدلة دامغة على بطلان مزاعمهم. لأن الفوضى في الخارج تدل على الفوضى في الداخل. وقد سبق أن بينا أن حصيلة مزاعمهم الطويلة والعريضة ما هي إلا جعجعات بلا طحين **!!**. ولذلك فإن ما بُني على باطل فهو باطل، وما بني على ضعف فهو ضعيف، وما بني على شك فهو مشكوك فيه. ومن ضيع الأصول الصحيحة حُرم ثمارها .

ومن ذلك أيضا إنه فكر جَنّده الصوفية وسخروه لخدمة تصوفهم فقط بحق وبغير حق، فلم يكن هدفه البحث عن الحقيقة الشرعية ولا التاريخية ولا العلمية في تعامله مع الشرع والمرويات وحقائق المجتمع والطبيعة ، وإنما كان هدفه خدمة التصوف وأهله، حتى وإن تطلب ذلك تحريف الشرع والتاريخ والعلم، فكان فكرا نفعيا انتهازيا تحريفيا إلى أقصى حد. وقد تجلى ذلك في شيوخه ،فكانوا يمارسون مبدأ الغاية تبرر الوسيلة بكل طاقتهم. ولهذا وجدناهم أكثروا من الروايات الضعيفة والموضوعة من دون اهتمام بتحقيقها. فلم يكن هذا همهم أصلا، وإنما همهم الانتصار للتصوف على حساب الشرع والتاريخ الصحيح. فجعلوا الصحابة سلف الصوفية، وألحقوا بهم الحسن البصري، وسعيد بن المسيب ،و أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل[1931]. وكل هذا تحريف وتخريف ومزاعم باطلة، و سطو وأخذ ما ليس لهم، كما بيناه في الفصل الأول .

ومن مظاهر نفعيته وانتهازيته وتحريفيته ، إنه فكر لم يتعامل رجاله بطريقة علمية مع النصوص الشرعية، وإنما تعاملوا معه بثلاثة طرق : أولها الحرص على إظهار موافقة الشرع عندما يجدون توافقا بينه وبين التصوف ليكون شاهدا على اتباعهم له . والثانية: لما كان الأصل بين التصوف والشرع الاختلاف لا الاتفاق كما سبق أن بيناه، فإنهم كانوا يُمارسون التأويل التحريفي بكل قواهم للجمع بينهما أو إيجاد مخرج أو تأويل يبرر سلوكياتهم المخالفة للشرع. والثالثة : لما كان يصعب عليهم او يستحيل الجمع بين التصوف والشرع كانوا يعلنون صراحة انتصارهم للتصوف ويتركون الشرع وراء ظهورهم إغفالا له، وازدراءً به، وتقدما عليه .

[1931] الهجويري: كشف المحجوب، ص: 294، وما بعدها.

ومنها إنه فكر قام أساسا على منطق سفسطائي تلبيسي، وهو يتفق مع التصوف منطلقا ووسيلة وغاية . إنه مارس التغليط والتلبيس والتلاعب بالألفاظ من جهة ، وتبنى التقية والكتمان ومارس التأويل التحريفي من جهة أخرى. فعل ذلك لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية: الأول الدفاع عن التصوف والدعوة إليه. والثاني: تعطيل الشرع ومخالفته ،والتحايل والتعالي عليه تمهيدا لتعطيله وهدمه نهائيا. والثالث: العمل على إبقاء التصوف تحت مضلة الشرع لإخفاء حقيقته المخالفة لدين الإسلام، ولإقناع المسلمين بأن التصوف من العلوم الشرعية، يسمى التصوف "السني" !! . مع أن الحقيقة خلاف هذا تماما، لأن الفكر الذي يُهدم الشرع والعقل والعلم مستحيل أن يكون شرعيا، ولا قرآنيا، ولا سنيا .

ومن جهة أخرى هو فكر مزدوج الخطاب مارسه بأسلوبين : أسلوب العبارة، ويكون بالكلام الواضح مارسه الصوفية عندما يتكلمون فيما بينهم، أو عندما يتناولون أمورا لا تخالف الدين ولا ينكرها عامة الناس.والثاني: أسلوب الإشارة استخدموه عندما يخاطبون غيرهم بأفكارهم ، أو يكتبونها في مصنفاتهم العامة، أو يكون معهم من ليس منهم. وهو أسلوب سفسطائي تغليطي تلبيسي تلغيزي يُخفي انحرافات وضلالات وأباطيل الصوفية ويُعبر عنها بالإشارات التي لا تُفهم حقيقتها أو التي تتضمن أكثر من معنى.

وتلك الأزدواجية في الخطاب هي طعن صريح في الفكر الصوفي ورجاله، وتنزع عنه الموضوعية والأمانة العلمية . ولهذا وجدناه حريصا على استخدام الروايات الضعيفة والموضوعة، وحريصا على أخفاء حقيقته بالتقية ، ومُصرا على استخدام التأويل الباطني ومختلف وسائل التلبيس والتغليط والسفسطة.

ورابعا فقد تبين أن الفكر الصوفي يقوم في أساسه العميق على مناقضة الشرع والعقل والعلم . بدليل أن الذي يقول بوحدة الوجود- وهي غاية التصوف الكبرى- يتناقض مع نفسه ومع الشرع والعقل والعلم، ويكون قد تخلى عن عقله الفطري، وداس على كل الحقائق الشرعية والعلمية والعقلية وتمسك بأوهامه وهلوساته. ومن يعتقد بذلك فهو مريض مهلوس، قد رمى بنفسه في أحضان الأهواء والظنون ،والتلبيسات الشيطانية. وليس لفكره أي أساس علمي صحيح يقوم عليه .

ومن ناحية أخرى لا يصح وصف رجال الفكر الصوفي بقلة العقل والفهم، فالقوم أذكياء يحسنون ممارسة التقية والسفسطة والتلبيس على الناس، ولهم مقولات يعجز كثير من أهل العلم عن فك ألغازها. لكنهم من جهة أخرى فهم من أبعد الناس عن العقلانية التي تعني الاحتكام إلى العقل البديهي والوحي والعلم والالتزام بأحكامهم . فالصوفية من أبعد الناس عن الشرع والعقل والعلم ، لكنهم من أكثرهم استخداما للعقل كوسيلة للسفسطة والتلبيس والتغليط بسبب تصوفهم وقولهم بالتقية. وأما ما يروى عن الشافعي بأنه وصفهم بالحماقة بقوله: ((التصوف مبني على الكسل، ولو تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا و هو أحمق))[1]. فهذا صحيح، لأن تصوفهم أورثهم الحماقة من جهة ، ولأنه حرمهم من الاحتكام إلى الوحي الصحيح ، والعقل الصريح، والعلم الصحيح، وأورثهم السفسطة والتلبيس والتحايل لإخفاء حقيقة تصوفهم المخالف للشرع من جهة أخرى. وبتعبير آخر إن التصوف أفقد الصوفية العقلانية الفطرية وأكسبهم العقلية الصوفية القائمة على التحريفات والهلوسات، والتغليطات والتلبيسات، والنفعية والانتهازية، وهذه الصفات من الحماقة ، ومن يرضى أن يتصف بها فهو أحمق حتى وإن كان من أكثر الناس جدلا وسفسطة ، مكرا وخداعا**!!**.

واتضح أيضا أن الفكر الصوفي تضمن أربعة اتجاهات فكرية صوفية رئيسية ، هي: اتجاه منضبط بكثير من ضوابط الإسلام على كثرة أخطائه وانحرافاته. والثاني: اتجاه إباحي متحلل من الشريعة ، فلا انضباط له بالشرع، أباح لنفسه المحرمات بدعوى الوصول إلى درجة الأولياء الذين لا تضرهم الفتن . والثالث: اتجاه حلولي- بالمعنى الاتحادي- ، الذي يزعم أن الله قد حل فيه ، ومن رجاله : أبو يزيد البسطامي ، والحلاج .

والاتجاه الأخير- الرابع- : اتجاه اتحادي يقول بوحدة الوجود بصراحة من دون لف ولا دوران ، مَثّله ابن عربي الطائي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، ولسان الدين الخطيب . هذه الاتجاهات كلها اتجاهات صوفية من صميم التصوف، وليست منحرفة عنه، ولا متناقضة فيما بينها ، وإنما هي من مظاهره وتجلياته، فهي تندرج ضمن اختلاف التنوع لا اختلاف التناقض. فهي نتاج طبيعي للتصوف الذي يقوم أساسا على إبعاد الشرع والعقل والعلم، والاعتماد على الأحوال والظنون ، والهلوسات والتلبيسات، والروايات الضعيفة والموضوعة .

علما بأن الاتجاه الأول هو أيضا لا يخرج عن الانحراف الذي قام عليه التصوف، لكنه أقل الاتجاهات الأخرى انحرافا، ليس لأن تصوفهم أحسن من تصوف الباقين ، فإن تصوفهم واحد في اصوله ، وإنما لأنهم لم يستسلموا لأصول التصوف، وقاوموها في كثير مما خالفت به الشرع، وخرجوا عنها باحتكامهم إلى الشرع والعقل والعلم في كثير من مواقفهم. قاوموها لأنهم كان يعلمون أنها مخالفة لدين الإسلام، لكنهم لم يتمكنوا من التخلص نهائيا من التصوف وأغلاله . فجمعوا بين كثير من انحرافات التصوف وبين الصحيح الذي أخذوه من الشرع والعقل والعلم. وهذا الموقف المُقاوم لا يعود فضله إلى التصوف وإنما يعود إليهم أنفسهم عندما قاوموا جانبا من التصوف ولم يستسلموا له استسلاما تاما .

وأخيرا- خامسا- فقد تبين أيضا أن الفكر الصوفي الغالب عليه أنه فكر سلبي لا إيجابي، هدم الشرع والعقل والعلم ، وأقام بناءً زائفا بالأباطيل والهلوسات والخرافات. ومن جهة أخرى كان سلبيا في انتقاد التصوف ورجاله، إما بالسكوت عن أخطائهم ومخالفاتهم الشرعية، بدعوى يُسلم للشيخ حاله ، وإما تبريرها وتأويلها بحثا عن محامل حتى وإن كانت ضعيفة وفاسدة. وهذا تعطيل لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو موقف كما أنه مرفوض شرعا، فهو غير مقبول عقلا ولا علما. لأن السكوت عن الأخطاء هو تكريس لها وتشجيع عليها ، وإفساد للفكر والنفوس والسلوك. والغريب من أمر هؤلاء الصوفية أنه كانت لهم جرأة كبيرة على مخالفة الشرع والعقل والعلم ،ولم تكن لهم نفس الجرأة في نقد التصوف ورجاله !!.

وأما إذا قيل: أليس من إيجابيات الفكر الصوفي أنه أنتج ثروة قيمة من الحِكَم والأمثال والإشارات التي تنمي الفكر وتساعد في تربية المشاعر والسلوك ، وتشهد لأصحابها بالعبقرية ؟؟ .

وأقول: نعم إن إشارات الصوفية وحِكَمهم هي شاهد دامغ على ذكاء وسفسطة الصوفية، وعلى حرصهم على خدمة وحماية تصوفهم، وليست شاهدا على العبقرية الإيجابية التي تنتصر للوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح . لأن تلك الحِكَم هي فكر لغّز به الصوفية مفاهيم تصوفهم وأصوله وخفاياه في مقولات مُحكمة مُلغزة عُرفت بإشارات الصوفية وحِكَمهم . استخدموها كوسيلة منهم للتضليل والتلبيس على المسلمين . وقد

جمعها بعضهم في مصنفات، مثل حِكَم ابن عطاء السكندري، مع أن حقيقتها ليست كما هو شائع عنها، وكما يظهر من ظاهرها ؛ وإنما هي حِكَم الغالب عليها أنها ألفاظ مُلغزة بإشارات الصوفية إخفاءً منهم لأباطيل وضلالات تصوفهم. وقد تضمنت أمورا كثيرا مخالفة للشرع والعقل والعلم ، وإلا لماذا لغزوّها ولبسوا بها على الناس دينهم ؟؟. فلو كانت فكرا صحيحا ما لغزوها ، وما تعبوا في اختيار الكلمات لتعميتها وتلغيزها. لكن القوم وجدوا في إشاراتهم وسيلة للتعبير عن أفكارهم، فروّجوا لها ، وأوجدوا لها كثيرا من القبول بين المسلمين باستخدام الألفاظ الشرعية ، وإخفاء مضامينها المخالفة لدين الإسلام !!.

وأما المجموعة الثانية فتتعلق بأحوال الصوفية ومجاهداتهم ومقاماتهم. من نتائجها أولا إنه تبين أن الأحوال الوجدانية التي تغنى بها الصوفية وافتخروا بها على غيرهم من الناس لم تكن أحوالا إيمانية ولا رحمانية وإنما الغالب عليها أنها كانت خليطا من الأوهام والظنون والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية من جهة، ومخالفة للشرع منطلقا وغاية ومسلكا من جهة أخرى. فلم تكن أحوالهم موافقة للصفات الإيمانية التي وصف الله تعالى بها عباده المؤمنين كما وردت في الكتاب والسنة الصحيحة.

علما بأن أحوال الصوفية ومواجيدهم التي كانت تظهر عليهم بسب ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي ليست خاصة بهم ، وإنما هي تظهر على كل من يُمارسها من مختلف الأديان والمذاهب. لكن الأحوال الإيمانية الشرعية لا تظهر إلا على المسلمين المؤمنين الأتقياء، لقوله سبحانه: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)).

وقد سبق أن بينا أن ما كان يجده الصوفية من أحوال غريبة في نفوسهم كان من الهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية أثناء ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي. فهي ليست أحولا شرعية ولا صحية، وقد تنبه بعض شيوخ الصوفية إلى ذلك ، منهم السرج الطوسي الذي ذكر أن جماعة من صوفية البصرة حملوا على أنفسهم في " المجاهدة والسهر، وترك الطعام والشراب، والانفراد والخلوة وكثرة التوكل، وصحبهم الاعجاب مع ذلك بما هم فيه ، فاصطادهم إبليس لعنه الله، فخُيل إليهم كأنه على عرش أو سرير

ولـه أنـوار تتشعشـع ..."[1932]. وحـالهم هـذا يشـبه كثيـرا مـا يجـده متنـاولو المخدرات المهلوسة كما سبق أن بيناه. لكن الذي يهمنـا هنـا هو أن السراج وأمثالـه الـذين انتبهـوا إلـى دور التلبيسـات النفسـية والشـيطانية فـي تضـليل الصـوفية أثنـاء ممارسـتهم لعبـاداتهم، ظنـوا أن ذلـك هـو مـن أخطـاء تطبيـق الطريق الصوفي ، ولم ينتبهوا إلـى أن سبب ذلك لـيس كمـا ظنـوا وإنمـا هـو فسـاد التصـوف بذاتـه. لأنهـم لوزنـوا تصـوفهم بـالوحي الصـحيح والعقـل الصريح والعلم الصحيح لتبين لهم أن التصوف برمته مخالف الشرع ويجب التخلص منـه. لكـن الشيطان كـان قد تمكـن منهم ، فلبّس علـيهم بـأن مـا رآه هؤلاء خطأ فـي تطبيـق الطريـق الصـوفي ولـيس دلـيلا علـى فساد التصـوف وانحرافه عن الشرع.

وثانيا فقد اتضح أنه من الخطأ الفادح و من الجريمة في حق الشرع والعقل والعلم القول بـأن التصـوف يُمثـل الجانـب الروحـي مـن الإسـلام-علـم التزكيـة- فهذا زعـم باطـل مـن دون شـك، لأنـه بمـا أننـا بينـا بمئـات الشـواهد والأدلة أن التصوف مخالف للشرع بأصوله وفروعه وغاياته، فإنه لا يُمكن أن يكون يُمثل الجانب الروحي من الإسلام، وإنما هو يُمثل التصـوف فقط الذي ركز على الجانب الروحي والوجداني من الإنسان واتخذه هو الأسـاس والمنطلق وجعل جوانبه الأخرى ثانوية تابعة له . وأما الجانب الروحي من الشرع فهو جزء لا يتجزأ من الإسلام ، ولا علاقة له بالتصوف ، ولا يصـح إلحاقه به. والقليل الصحيح الموجود في التصوف المتعلق بالجانب الوجداني أخذه الصوفية من الإسلام وألحقوه بالتصوف لغايات فـي نفوسـهم. ولا يحـق للتصـوف ولا لغيـره مـن المـذاهب أن يأخـذ ذلـك الجانـب أو غيـره مـن ديـن الإسلام وينسبه إليه ، ليختفـي مـن ورائـه ويسـتخدمه للدعايـة لنفسـه.علمـا أن الزعم بأن التصـوف يُمثـل الجانـب الروحـي فـي الإسـلام هـو طعـن فـي كمـال الإسـلام وشـموليته مـن جهـة ، وإدخـال فيـه مـا لـيس منـه، ورفـع لمكانـة التصوف بما لا يستحقه من جهة أخرى.

وذلك يعنـي أن حكايـة التربيـة الروحيـة التـي يتبـاهى بهـا الصـوفية قديمـا وحديثا ليست شرعية من جهة، وأنها سراب ووهم ، وهلاك للإنسـان فـي الـدنيا والآخـرة مـن جهـة أخـرى. لأنـه لا يُمكـن أن يكـون التصـوف منقـذا للإنسان ومُسعدا له في الدنيا والآخرة وهو مخالف للشرع والعقل والعلم بأصوله وفروعه وغاياته، كما سبق أن بيناه. وأما ما يوجد في التصوف من

[1932] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 544 .

مظاهر روحية فهي أمور شكلية وبلا مضمون صحيح، والصحيح منها يوجد في هوامش التصوف لا في أصوله وأساسيات طريقه وغاياته، وهو مما أخذه الصوفية من الشرع، فهو ليس من التصوف وإنما هو من الإسلام ، ولا تصح نسبته إليه .

وثالثا تبين أيضا أن ممارسات الطريق الصوفي عند الصوفية كالجوع والسهر والعزلة والذكر ليست هي عبادات شرعية لابد منها ، ولا هي طاعة وقربى لله تعالى التزاما بشريعته، وإنما هي ممارسات لترويض النفس وتدريبها لتترقى في مقامات التصوف حتى تصل إلى غايته الكبرى : وحدة الوجود ، وهي جنة القوم . ولذلك وجدنا من الصوفية من عوّض تلك الممارسات بتناول المخدرات، لأنها تنقل الصوفي بسرعة من حالة الرسوم والأشباح إلى حالة الفناء في الله حسب زعمهم. ووجدنا منهم أيضا من تخلى عن الكلمات الشرعية الموجودة في الذكر الصوفي وعوّضها بألفاظ أخرى غير شرعية. كقول ابن سبعين لأحد تلاميذه : ((وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمه به))[1933]. وذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية أن من الصوفية من كان يقول: ((ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان . حتى يقول: لا فرق بين قولك يا حي وقولك: يا جحش .وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرتُ ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان))[1934].

ورابعا : إن منها أيضا أنه اتضح أن الصوفية عندما تكلموا عن مقاماتهم أثناء ممارستهم للطريق الصوفي ، كمقام الخوف، والرجاء، والصبر، والإحسان ، والرضا؛ قصدوا بها المقامات الصوفية، التي هي من آثار ممارستهم للعبادات الصوفية، ولم يقصدوا بها المقامات الإيمانية التي هي من ثمار العبادة الشرعية. لكنهم من جهة أخرى حرصوا على تسمية مقاماتهم بأسماء شرعية تسترا بالإسلام وإخفاءً لحقيقة العبادة الصوفية.

فمن ذلك مثلا مقام الحب، فحبهم لم يكن حبا شرعيا كما بيناه في الفصل الثاني. و مقام الخوف والرجاء عندهم لم يكونا شرعيين ، لأنهم صرحوا بأنهم لا يرجون آخرة، ولا يعبدون الله خوفا من عذابه ولا رجاء في جنته. والصبر عندهم لم يكن صبرا شرعيا بأن نصبر على عبادة الله وتطبيق

[1933] نقلا عن: محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية، ج 1 ص: 252 .
[1934] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 10 ص: 397 .

شريعته، ونصبر عن معصيته لكي لا نخالف أوامره ، وإنما كان صبرهم صبرا على الالتزام بالعبادات الصوفية ، وصبرا على مخالفة الشرع والتقدم عليه بأحوالهم ورغباتهم. والرضا عندهم لم يكن رضا بشريعة الله تسليما وتطبيقا، وإنما كان رضا بالعبادة الصوفية وفرحا بها ، وتفننا في الالتزام بها. والإحسان عندهم لم كما جاء في الحديث الشريف ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[1935]، وإنما الإحسان عندهم هو بلوغ مرتبة وحدة الوجود والتحقق بها، وفيها يصل الصوفي إلى الكفر بالله ورسوله ودينه، وليس إلى عبادة الله كأنه تراه **!!**.

وأخيرا- خامسا- : وتبين أيضا أن الصوفية اهتموا كثيرا بمعرفة النفس وعيوبها، ومقاماتها ، ودقائق أحوالها، وهذا قد أشار إليه الصوفية في كتبهم وجعلوه من خصائصهم[1936]. لكن هذا ليس بالضرورة أمرا إيجابيا ، وليس خاصا بهم ، ويمكن لأي إنسان أن يفعل ذلك من دون أن يأخذ بالتصوف. وأصول مجاهدة النفس وتربيتها موجودة في دين الإسلام ليس هنا مجال تفصيلها.وقد يكون ذلك ضدهم لا في صالحهم. وهم كغيرهم من أهل العلم ، فكل من اهتم بعلم وتفرغ له يُبدع فيه، ويخوض في جزئياته ومضايقه، وتكون له فيه استنتاجات وحِكم ،وقوانين وسُنن. فالمحدثون أنتجوا لنا علم الجرح والتعديل، والفقهاء لهم دقائق وقواعد كثيرة في الفقه، وعلى أيديهم ظهر علم أصول الفقه، والقوانين الفقهية. ونفس الأمر ينطبق على المتكلمين، والفلاسفة، والأدباء والنحويين.

لكن مع تفرّغ الصوفية للبحث في جوانب من النفس الإنسانية المتعلقة بالطريق الصوفي فإن غالب ما كتبوه عنها كان مخالفا للشرع والعقل والعلم، لأنهم لم يهتموا بها بطريقة موضوعية علمية صحيحة موافقة وقائمة على الوحي والعقل والعلم؛ وإنما اهتموا بها انطلاقا من أصول العبادة الصوفية وممارساتها وغايتها. وبما أنه سبق أن بيان بطلان هذه العبادة بكل أساسياتها فإن ما أنتجه الصوفية في مجال مجاهدة النفس أكثره غير صحيح ، وأضر بهم أكثر مما نفعهم، حتى انتهى بهم إلى هدم الوحي والعقل والعلم، بل وإلى الكفر بالله ورسوله ودينه **!!**.

ومن ذلك أيضا أن الصوفية كانوا من أكثر الناس اهتماما بموضوع الشيطان ، وبيان طرق وساوسه وسُبل مقاومته ومجاهدته كما فعل الغزالي

[1935] البخاري: الصحيح، ج 1 ، ص: 19 ، رقم: 50 .

[1936] أنظر مثلا : السراج الطوسي: اللمع ، حققه عبد الحليم محمود، وطه سرور ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1961، ص: 32 .

فـي إحيـاء علـوم الـدين؛ لكـن الأمـر المؤسـف والغريـب حقـا أنهـم كـانوا مـن ضحاياه ومن أكثر الناس وقوعا في شباكه، وإتباعا لسبله، وتقبلا لوساوسه وتلبيسـاته !!. فتلاعـب بهـم حتـى أوصـلهم إلـى هـدم الشـرع، وإنكـار بدائـه العقول !! . لأنهم لم يُقاوموه بسلاح الشرع ،وإنما قـاوموه بسـلاح الشـيطان فأسـرهم بسـلاحه، وفشـلوا فـي مقاومتـه والانتصـار عليـه، لأنـه كـان قـد اصطادهم بشباكه التي هي التصوف. فكانوا من الذين ينطبق عليهم قوله تعـالى: ((وَمَـن يَعْـشُ عَـن ذِكْـرِ الـرَّحْمَنِ نُقَـيِّضْ لَـهُ شَـيْطَاناً فَهُـوَ لَـهُ قَرِينٌ)(الزخرف: 36))، ولم يكونوا من الذين قال فيهم : ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّـهُمْ طَـائِفٌ مِّـنَ الشَّـيْطَانِ تَـذَكَّرُواْ فَـإِذَا هُـم مُّبْصِـرُونَ)(الأعـراف: 201)).

وأما المجموعة الثالثة فتتعلق بما نتج عن التصوف من فساد سلوكيات الصـوفية فـي حيـاتهم العمليـة ، وقـد ظهـر ذلـك علـيهم مُبكـرا واسـتمر فـي الاتسـاع والتجـذر علـى أيـدي متـأخريهم. وهـذا الفسـاد هـو نتيجـة حتميـة للتصوف بحكم مخالفته للشرع والعقل والعلم . وقد تجسد فسادهم واقعيا في ثلاثة مجالات : أولها مخالفة الشرع علنياً في كثير من أحوالهم مع التعالم عليه. والثاني: طلبهم للدنيا بوسائلهم الخاصة ، كالتسول، ومجالس الغناء، والتقـرب مـن السـلاطين والأمـراء والأغنيـاء. والثالـث: السـعي لتحصـيل غايـات الطريـق الصـوفي وأهمهـا بلـوغ مقـام وحـدة الوجـود، وفيهـا يصـبح الصوفية أربابا وآلهة حسب زعمهم.

من ذلك النماذج الآتية: أولها مفاده أنه رُوي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : ((وما النار ؟ والله لئن رأيتها لأطفئنها بطرف مرقعتي))[1937]. وفي رواية أنه قال: ((وددتُ أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: ولِم ذاك يا أبا يزيد ؟ فقال : إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق))[1938].

وقولـه هـذا فيـه غـرور وجهـل كبيـر، وفيـه حماقـة وتعـالم علـى الشـرع، وتحقير لما حذّر الله منه عندما حذّرنا من النار في آيات كثيرة، كقوله سبحانه: ((يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَـا مَلَائِكَـةٌ غِـلَاظٌ شِـدَادٌ لَا يَعْصُـونَ اللَّهَ مَـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا

[1937] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 414 .
[1938] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 414 .

يُؤْمَرُونَ)(التحريم : 6))، و((فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)(البقرة : 24)).

والنموذج الثاني: رُوي أن الصوفي إبراهيم بن أدهم قال لشقيق البلخي: ((يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد ،وإنما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه. يعني الرغيفين من حله . ثم قال: يا شقيق ما إذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ،ولا عن حج ،ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل هؤلاء المساكين يعني الأغنياء))[1939].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، وهو دعوة إلى إهمال الشرع والتملص من أوامره وتعطيل أركانه بدعوى التصوف. وليس صحيحا أن الله تعالى لا يسأل الصوفية، فهذا زعم باطل إنه سبحانه سيسألهم عن صلة أرحامهم، وعن الجهاد في سبيل الله، وعن الحج لم إستطاع إليه سبيلا . فلماذا لا يسألهم عن ذلك ؟؟. ألم يكن في إمكانهم صلة أرحامهم ؟؟، ولماذا اعتزلوا الناس وأهملوا حقوق المسلمين عليهم ؟؟. إنه سيسألهم عن كل أعمالهم . وسيسألهم عن مخالفتهم للشرع في دعوة الناس إلى السلبية وترك التكسب ، والركون إلى الغناء والرقص، وانتظار صدقات الناس عليهم، مما أدى إلى إهمال القيام بفريضتي الحج والزكاة . فهم بذلك دعاة هدم للإسلام وأهله لا دعاه بناء.

والنموذج الثالث مفاده إن جماعة من شيوخ الصوفية رفضوا النطق بالشهادتين عندما حضرتهم الوفاة ، وقالوا مكانهما كلاما آخر ،وبقوا على غرورهم وتعالمهم على الشرع. مع أن عدم قولهم لها هو من علامات الخسران والخذلان، لأنه صح الحديث أن النبي-عليه الصلاة والسلام قال : ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[1940].

من ذلك مثلا أنه قيل للصوفي ممشاد الدينوري: ((كيف تجد العلة؟! فقال: سلوا العلة عني كيف تجدني، فقيل له. قل لا إله إلا الله، فحول وجهه إلى الجدار وقال: أفنيت كُلي بكلك هذا جزاء من يحبك))[1941].

[1939] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 7 ص: 370 .
[1940] الألباني: صحيح أبي داود، ج 2 ص: 602 ، رقم: 2673 .
[1941] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 137 ، 138.

وقيل لأبي محمد الدبيلي، وقد حضرته الوفاة:((قل: لا إله إلا الله. فقال هذا شيء قد عرفناه، وبه نفنى، ثم أنشأ يقول:

تسربل ثوبُ النية لما هويته ...وَصدَّ ولم يرض بأن أكُ عبده[1942].

وقيل لأبي بكر للشبلي عند وفاته: ((قل لا إله إلى الله. فقال:

قال سلطان حبه ... أنا لا أقبل الرِّشا

فسلوه بحقه ... لِم بقتلي تحرَّشا

و ذُكر أنه أمضى الليلة التي مات فيها وهو يقول هذين البيتين:

كلُّ بيت أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرُج

وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج[1943].

وحُكي انه قيل لأبي الحسين النوري عند النزع : ((قل لا إله إلا الله، فقال أليس إليه أعود))[1944].

وقال القشيري :((سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المزين قال: لما مرض وقيل لأبي يعقوب النهرجوري وهو في النزع: ((قل لا إله إلا الله، فتبسم وقال: إيايّ تمني؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجّاب العزة. وانطفأ من ساعته)) [1945].

والنموذج الرابع: قال أبو طالب المكي: ((ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال، اجتمع إلى سهل- التستري- إخوانه فقالوا: لو سألت الله عزّ وجلّ في هذا الأمر، ولو دعوت، فسكت ثم قال: لله تعالى عباد في هذه البلدة، لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة، ولكن لا يفعلون، قيل: ولم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لا نستطيع ذكرها، حتى قال: لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها))[1946].

وأقول: إن جواب سهل التستري باطل جملة وتفصيلا ، ودعوة إلى السلبية والخنوع والرضا بالظلم ، لأنه أولا إن أمر الكون كله لله وحده ولم يُشرك فيه معه أحدا. وأمر الساعة بيده وحده سبحانه ، والتستري قد افترى

[1942] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 137 ، 138.

[1943] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 137 ، 138.

[1944] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 139 .

[1945] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 139 .

[1946] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص : 476 . والغزالي: الإحياء ، ج 4 ص: 356 .

على الله تعالى عندما زعم أن عبادا لله لو سألوه بأن لا يقيم الساعة لم يقمها. إنه تكلم بلا دليل ، و خالف الشرع مخالفة صريحة.قال سبحانه : ((وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)(الكهف : 26))، و((وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)(آل عمران : 109))، و((وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ)(هود : 123)).

وثانيا إن الرجل غالط في جوابه عندما سأله أصحابه بأن يدعو على الظلمة الذين قتلوا الناس في البصرة، فهم طلبوا منه ذلك، ولم يطلبوا منه الدعاء على كل الظالمين الموجودين في الأرض . فلماذا غالط وتلاعب وهرب من السؤال بقوله: " لله تعالى عباد في هذه البلدة، لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة "؟؟.

وثالثا: إن الرجل خالف الشرع والعقل والعدل والعلم عندما امتنع عن الدعاء على هؤلاء الظلمة بتبرير باطل . لأن الشرع نهانا عن الظلم ، وأمرنا بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونتصدى للظلمة و نقف مع المظلومين . لكن هذا الرجل عطل الشرع وخالفه ، ووقف مع الظالمين وشجعهم على ظلمهم ، وخيب أمل المظلومين فيه .

ورابعا إن الرجل احتج بالقدر ، وافترى على الله تعالى عندما قال لهم : ((ولكن لا يفعلون، قيل: ولِم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب)). وهذا زعم باطل لأن الله تعالى لا يحب الظالمين ، وقد أمر بالتصدي للظلم وأهله . قال سبحانه : ((اللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (آل عمران : 140)) ، و((فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (الأعراف : 44))، و((ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (المائدة : 64))، و((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (النحل : 90)).

فهذا الرجل لم يفرق بين قضاء الله وتقديره لكل ما يحدث في الكون وبين حبه ورضاه لما يحدث فيه. والله تعالى قد فرق بينهما . فالله تعالى لا يحدث في كونه إلا ما يشاءه وقدره ، لكن يحدث فيه ما يحبه وما لا يحبه ، وما أمر بفعله وما نهى عنه .من ذلك قوله تعالى : ((إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ)(الزمر: 7))، فهو سبحانه لا يحب الكفر من دون شك لكنه داخل في قضاء الله وقدره . قال سبحانه : ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)(الفرقان: 2))،و((وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)(يس : 12))،و((وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً)(النبأ : 29))).

والنموذج الخامس يتضمن قولين لشيخين من شيوخ الصوفية، قال الأول: ((إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإن الخيرة فيما اختاره الله تعالى لك))[1947]. والثاني: لابن عطاء السكندري، قال: ((ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه))[1948].

وأقول: قولهما هذا هو دعوة إلى السلبية والرضا بالواقع القائم ،وعدم السعي لتغييره تحسينا لأحوال الإسلام والمسلمين. مع أن الله تعالى أمرنا بأن لا نرضى بأوضاعنا السيئة وأمرنا بالسعي لتغييرها ، كقوله سبحانه: و((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(التوبة: 105))،و((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)(الرعد: 11)) فالله تعالى أمرنا أن نجتهد لنغير أحوالنا للأحسن ولطاعته ومحاربة النفس والشيطان والأعداء.

والنموذج السادس يتعلق بفساد أخلاقي كبير ظهر بين الصوفية وانتشر بينهم كثيرا، هو مصاحبة الأحداث- الأطفال- وظاهرة اللواط ، حتى أن الصوفي رفيع أبو العالية ، كان قد أخذ عهودا من الصوفية بمجانبة الأحداث[1949]. وقال شيخ الصوفية بالري يوسف بن الحسين الرازي (ت 403):((رأيتُ آفة الصوفِيَّة في صُحْبَة الأحداثِ، و مُعاشرة الأضداد، وأَرْفاق النسوان))[1950]. فأين حكاية العصمة، وعلم الباطن ، والأنوار الربانية التي يتغنى بها الصوفية لكي تعصمهم من الوقوع في هذا الكبائر والضلالات ؟؟.

والنموذج السابع يتعلق بالصوفي المُحدث ابن طاهر المقدسي، صنف كتابا أباح فيه النظر إلى المُردان ،وكان يذهب مذهب الإباحة[1951]. لكن

[1947] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 506 .

[1948] ابن عجيبة: ايقاض الهمم شرح متن الحكم ، ص: 35 .

[1949] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2 ص: 217 .

[1950] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 64 .

[1951] ابن حجر: لسان الميزان، ج 5 ص: 161 .

بعض أهل الحديث حاول تخفيف وتأويل ما صدر عن هذا الصوفي، منهم محمد بن عبد الهادي المقدسي(ت 744 هـ) أنكر أن يكون ابن طاهر يقول بالإباحة المطلقة ، لأنه من أهل الحديث المعظمين للآثار ، لكنه أخطأ في إباحة السماع والنظر للمُرد[1952].

وأقول: تبريره ضعيف جدا، لأن ما صدر عن ابن طاهر صدر عن صوفي لا عن مُحدث، ، لأن المحدث إذا أصبح صوفيا حقيقة فلن يبقى محدثا والعكس صحيح. لأن الجمع بين ذلك مستحيل، ولأنه جمع بين نقيضين، وإذا وُجد فهو أمر ظاهري فقط، سببه إما الجهل، أو التقية، أو طلب منفعة دنيوية . ولهذا فإن ابن طاهر كان صوفيا ولم يكن محدثا وإنما كان يتظاهر بذلك بعدما انسلخ من علم الحديث وأهله. وقد سبق أن ذكرنا أن الصوفية يذمون الحديث وأهله، ويُمارسون التقية في تعاملهم مع مخالفيهم عامة وأهل السنة خاصة.

والنموذج السابع يتضمن مشهدا للفسق والفجور والزنا الجماعي، على طريقة الصوفية القائمة على التمويه والرمزية والتعمية والتلبيس والنفاق. قال ابن الجوزي: ((وبإسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال: أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادي(276-371هـ) شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم عن الخطرات والوساوس، ويحضر حلقتة ألوف من الناس وأنه فاره فَهِم حاذق فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب. قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ،ولم يختلط بمأتمهن غيرهن، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت: قد تعزيت ،فقال لها: ههنا غير ،فقالت: لا غير، قال: فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنز البركات. قال: فقلن النساء إذا شئت .قال: فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم، فلما كان سحر خرجوا. قال المحسن قوله: ههنا غير ،أي ههنا غير موافق المذهب ،فقالت: لا غير أي ليس مخالف. وقوله: نترك الامتزاج ،كناية عن الممازجة في الوطء. وقوله: لتلتقي الأنوار ،عندهم أن في كل جسم نورا الهيا. وقوله: اخلافات أي يكون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن. قال المحسن: وهذا عندي عظيم ،ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن

[1952] محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 16 .

الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الإسلام .قال: وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة[1953] فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا))[1954].

لاحظ هؤلاء الصوفية مارسوا فسقهم وفجورهم بالإشارات والتلغيزات كما مارسوها في التعبير عن عقائدهم وأفكارهم المخالفة للشرع والعقل والعلم. فالقوم مُتمرسون في ممارسة التقية والتلبسيات والمغالطات في كل أحوالهم لتحقيق أهوائهم وغاياتهم.

والنموذج الثامن يتضمن مشاهد متنوعة من كسل الصوفية ولهوهم وطلبهم للدنيا زمن ابن الجوزي (ت 597 هـ)، وصفهم بقوله : ((وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب ،والغناء والرقص، يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس ،وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة. وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم، فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء البارد فأين جوع بشر وأين ورع سرى وأين جد الجنيد وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته- جبته- فغلبت عليه السوداء فيقول: حدثني قلبي عن ربي. ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه وأن قوما قرؤوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعه))[1955].

والنموذج التاسع- من مفاسد الصوفية وسلبيتهم- مفاده أن الانحرافات والمنكرات كَثُرت بين الصوفية في القرن الثامن الهجري، وكان عددهم كبيرا ، سكنوا الأربطة والزوايا وطلبوا الدنيا بالكسل والطرب والرقص. وكانوا يعقدون مجالس الغناء بالشبابات والدفوف ، مع الرجال والنساء ، والشباب والمردان ، وهي أفعال فظيعة شنيعة[1956]. وشاع بينهم أكل الحشيش المخدر، وانهمكوا في طلب الملذات ، حتى قيل فيهم : ((أكلة بطلة سطلة ، لا شغل ولا مشغلة)) ،و قيل أيضا: ((نعوذ بالله من العقرب والفار، ومن الصوفي إذا عرف الدار))[1957].

[1953] هو السلطان البويهي .

[1954] ابن الجوزي: تلبيس لإبليس، ص: 326 .

[1955] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 217 .

[1956] الأدفوي: الطالع السعيد ،ص : 724 .

[1957] السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ص : 125 .

والنموذج العاشر يتضمن شواهد تدل على أن التصوف كما أفسد عقائد وسلوكيات أتباعه فإنه أورثهم أيضا حماقات وجهالات جعلتهم مسخرة عند الناس. منها عن يونس بن عبد الأعلى قال: ((سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق)). وعنه أيضا أنه قال: ((ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله اليه أبدا)). وأنشد الشافعي:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا ... وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف[1958].

وقال ابن الجوزي: ((عن حاتم قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو سليمان: ما رأيت صوفيا فيه خير إلا واحدا عبد الله بن مرزوق قال وأنا أرق لهم)). وعن يونس بن عبد الأعلى أنه قال: ((ما رأيت صوفيا عاقلا إلا إدريس الخولاني)) .وعن يونس بن عبد الأعلى أنه قال: ((صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلا إلا مسلم الخواص)). وعن احمد بن أبي الحواري أنه قال: حدثنا وكيع قال: ((سمعت سفيان يقول: سمعت عاصما يقول: ما زلنا نعرف الصوفية بالحُماق إلا أنهم يستترون بالحديث))[1959].

ومنها أيضا: ذكر أبو طالب المكي أن صوفيا ((ضاع ولده وكان صغيراً ثلاثة أيام لا يعرف له خبراً فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشدّ من ذهاب ولدي))[1960].

قوله هذا شاهد دامغ على أن الصوفية أقاموا تصوفهم على أحوالهم ورغباتهم وليس على الشرع من جهة ، وأنهم مجتهدون في مخالفته وجعله وراء ظهورهم من جهة ثانية، وهو شاهد قوي على جهل الرجل بالشرع ومعاندته لهم جهة ثالثة. وجوابه لا يصح من جهتين: الأول إن الناس لم يقولوا له: اعترض على الله ليرد عليك ولدك، وإنما قالوا له: اسأله ، فرده في غير محله ولا يتفق مع قول الناس له. و الجهة الثانية أن الرجل خالف الشرع ولم يفهمه أيضا. لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بسؤاله ودعائه ، ولم يقل لنا اعترضوا عليّ، ولا جعل دعاءنا له اعتراضا منا له. فنجن عندما ندعوه نكون قد أطعناه وما اعترضنا عليه . قال سبحانه: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة: 186))، و((وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ

[1958] ابن الجوزي: تلبيس لإبليس، ص: 327 .
[1959] ابن الجوزي: تلبيس لإبليس، ص: 327 .
[1960] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص : 435 .

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (النساء: 32))، و((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(غافر: 60)).

ومنها أيضا: قال الصوفي أبو الحسن الدراج: ((فتشتُ كنف أستاذي[1961] أريد مكحلة فوجدت فيه قطعة فضة فتحيرت فلما جاء قلت له: إنى وجدتُ فى كنفك قطعة . قال: قد رأيتها ردها ،ثم قال: خذها واشتر بها شيئا. فقلت له: ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك . قال ما رزقنى الله من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها فأردتُ أن أوصي أن تُشد فى كفنى فأردها إلى الله عز و جل))[1962].

وأقول: فعله هذا فيه جهل ورعونة نفس ، وشاهد دامغ على أن التصوف أسسه أصحابه حسب أحوالهم ورغباتهم لا حسب ما يأمر به الشرع . لأن الله تعالى غني عن العالمين ورَزَق البشر بالخيرات وأمرهم أن يطلبوها بالحلال وينفقونها في سبيله و يتمتعون بها وفق شرعه . ولم يأمرنا بأن نردها إليه يوم القيامة . فهذا أمر ليس من الإسلام ، والرجل يتكلم بهواه لا بالشرع ولا بالعقل **!!** .

والنموذج الأخير- الحادي عشر- : قال عبد الكريم القشيري واصفا مفاسد صوفية زمانه:((وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام. ودانوا بترك الاحترا، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان، وأصحاب السلطان. ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكامه للبشرية. وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا. ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوّحت ببعضه من هذه القصة

[1961] لم أعرفه .

[1962] الكلاباذي: التعرف لمذهب التصوف ، ص: 96.

وكنتُ لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء، أو يجد مخالف لثلبهم مساغاً، إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة))[1963].

وأقول: أولا إن ما ذكره القشيري هو وصف عام وشامل لمفاسد الصوفية في زمانه ،والتي شملت الفكر والوجدان والسلوك. وقوله شهادة من أحد كبار شيوخ الصوفية في عصره، فهي من باب: وشهد شاهد من أهلها. وواضح من كلامه أن الانحرافات والمخالفت الشرعية كانت منتشرة بين الصوفية ، لكن الرجل أشار إلى أن ذلك هو انحراف عن التصوف، وعما كان عليه أوائل الصوفية. لكن الحقيقة ليست كذلك وإنما هي أن الخلل في التصوف ذاته ولا يعود إلى أخطاء في تطبيقه ، فالتصوف فاسد من داخله، ومخالف للشرع في منطلقاته وفروعه وغاياته، وهادم للوحي والعقل والعلم كما سبق أن بيناه. مما يعني أن كل ما ظهر على الصوفية من انحرافات ومُنكرات وأباطيل وضلالات أثناء تطبيقهم للطريق الصوفي هي نتائج طبيعية وعادية بل وضرورية للتصوف. لأن بما أنه خالف الشرع أصولا وفروعا وغاية ، فلابد أن تظهر فيه كل أنواع الفساد والانحرافات الفكرية والسلوكية. فهي ليست من انحرافات ومُنكرات بعض الصوفية بسبب خطئهم في تطبيق التصوف كما أراد أن يوهمنا به القشيري، وإنما هي من صميم التصوف ولوازمه. لكن ليس من الضروري أن تظهر كل مفاسد التصوف وانحرافاته في وقت واحد ، ولا في كل الصوفية مرة واحدة، وإنما يخضع ظهورها لأحوال الصوفية، وظروفهم المحيطة بهم. وأما ما يوجد في بعض الصوفية من صلاح فهذا ليس بسب التصوف ، وإنما سببه الأساسي هو ما كان فيهم من التزام بالإسلام لا بالتصوف، أو بتأثرهم بالجوانب الشرعية الموجودة في هوامش التصوف أو أنهم في الحقيقة ليسوا صوفية، وإنما انتموا إليهم لسبب أو آخر.

وثانيا إن الراجح عندي أن القشيري لم يُنكر تلك الأفعال لأنها مخالفة للشرع ، فهي أفعال من ضروريات التصوف ، وإنما أنكرها لأنها أظهرت حقيقة الصوفية أمام المسلمين ،وكشفت لهم انحرافاتهم وضلالاتهم؛ فلم يُعجبه هذا لأنه ليس في صالح التصوف وأهله أن تنكشف حقيقتهم للمسلمين. بدليل أنه صرّح أنه لم يكن يريد الكلام فيما ظهر من مفاسد الصوفية سترا لهم لكي لا تنكشف للناس ،ولكي لا يتكلم فيهم خصومهم.

[1963] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 1 .

لكنـه أُضـطر إلـى الكـلام فـيهم ((غيـرة علـى هـذه الطريقـة أن يـذكر أهلهـا بسوء، أو يجد مخـالف لثلبهم مسـاغاً، إذ البلـوى فـي هـذه الـديار بالمخـالفين لهـذه الطريقـة والمنكـرين عليهـا شـديدة))[1964]. فالرجـل سـكت عـن مفاسـد التصـوف وأهلـه غيـرة علـيهم، وتكلـم فـيهم غيـرة علـيهم أيضـا. إنـه أخفـى مفاسدهم تقية، وأظهر جانبـا منهـا تقيـة أيضـا. فغيرتـه لـم تكـن علـى الإسـلام والمسلمين، وإنما كانت أساسا على التصوف والصوفية **!!** .

وأمـا المجموعـة الرابعـة فتتعلـق بالتصـوف كـدين مسـتقل بذاتـه لـه مقوماته وصفاته . وهذه الخاصية هي من أخطر نتائج كتابنا هذا، والشواهد والاستنتاجات الآتية تُثبتها بوضوح:

أولهـا : بمـا أنـه تبين مـن بحثنـا هذا أن التصـوف لـه مقومـات خاصـة بـه أصولا وفروعا وغاية من جهة، ومضـامينها مخالفـة لـدين الإسـلام ومُعطلـة لـه، وبعضـها هـادم لـه مـن جهـة أخـرى. فـإن هـذا يعنـي أن التصـوف لـيس مذهبا ولا تيـارا فكريـا ينتمـي إلـى ديـن الإسـلام ، ولا يصـح نسبته إليـه بـأي حال من الأحوال. وإنما هو دين أرضـي قـائم بذاتـه لـه مقوماتـه وخصـائصـه مـن ناحيـة، ولـه جـذور تاريخيـة تربطـه بالـديانات العرفانيـة والإشـراقية القديمـة، كالرهبانيـة البوذيـة والنصـرانية مـن ناحيـة ثانيـة، وتجعلـه امتـدادا ونسخة جديدة لها من ناحية ثالثة.

والثـاني: فقد اتضـح أن الإيمـان فـي الـدين الصـوفي بكـل مقوماتـه يقـوم علـى أربعـة أركـان أساسية ، هـي : الحـب الصـوفي، تـرك الـدنيا والآخـرة، التوكـل الصـوفي، والاعتقـاد بوحـدة الوجـود. وهـي أركـان مخالفـة لأركـان الإيمـان فـي الإسـلام ،وهـي : الإيمـان ب: الله ، والرسـل، والكتـب المنزلـة، والمعاد الأخروي- الحساب والجنة والنار-. وهذه الأركان ليست من أركـان العقيدة الصوفية، لأن عقيدة وحدة الوجود – الفناء في الله - تهدم كل أركـان الإيمـان فـي الإسـلام، ومـن يُـؤمن بهـا فهـو بالضـرورة سيكفر بـالله ودينـه، ورسله وكتبه ،واليوم الآخر. ومن يشك في قولي فليجرب فـي نفسـه بـأن يتصـور أنـه يعتقد بوحـدة الوجـود ، ويتتتبـع نتائجهـا . فهـل يبقـى شـيء مـن أركان الإيمان في الإسلام **؟؟ !!** .

والشـاهد الثـالث: إنـه تبين أن الـدين الصـوفي لـه أربعـة أركـان عمليـة، ذكرهـا الشـهاب السـهروردي بقولـه: ((وقـد اتفـق مشـايخ الصـوفية علـى أن

[1964] القشيري: الرسالة القشيرية ، ص: 1 .

بنـاء أمـرهم علـى أربعـة أشـياء : قلـة الطعـام ،وقلـة المنـام ،وقلـة الكـلام والاعتـزال عن النـاس...))[1965]. فهذه هـي أركـان العبـادة الصـوفية ، لكنهـا ليست هـي أركـان الإسـلام الخمسـة المذكورة فـي قول النبـي- عليـه الصـلاة والسلام -: ((« بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ،وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة ،وإيتـاء الزكـاة ،وحـج البيـت ،وصـوم رمضـان .»))[1966].

والرابع: إن التوحيد في الدين الصوفي اتخذ نفس اسم التوحيد الشرعي، لكن مضمونه هـادم للتوحيد الإسـلامي ومُنكـر لـه !! . لأن التوحيد فـي دين الإسلام يقوم على توحيد المعبود – الإله – مع إثبات تعدد الموجود- الخـالق والمخلوق- ؛ لكن التوحيد الصوفي يقوم علـى توحيد الموجود، فـلا موجود إلا الله، الذي هو الكون، والكون هو الله –وحدة الوجود- . فتوحيد الصـوفية لا يقـوم علـى توحيـد المعبـود- الله- الـذي يقـوم علـى إثبـات تعـدد الموجـود- الخـالق والمخلـوق- لأنـه لا عبـادة دون مخلـوق عابـد، وخـالق معبـود. فتوحيـدهم هـادم للتوحيـد الصـحيح الـذي جـاء بـه الشـرع، ويقـول بـه العقـل والعلم.

وذلك يعني أيضا أن الإله في الدين الصوفي ليس هو الله في دين الإسلام. لأن الله في التصوف هو عين الكون ، والكون هو عين الله . لكن الله في دين الإسلام ليس هو الكون ، وإنما هو الخـالق مقابـل المخلوقـات التـي خلقهـا الله سبحانه وتعالى.

والشاهد الخامس: إن التصوف دين لا معاد أخروي فيه، بـدليل الشـاهدين الآتيين: الأول: أقوال شيوخ الصوفية الكثيرة التي سبق ذكرها فـي الازدراء بالآخرة وعدم رغبتهم فيها. والثاني: بما أنه بينـا أن غايـة التصـوف النهائيـة هي الوصول إلى وحدة الوجود- الفناء فـي الله حسـب زعمهم- فـإن الاعتقـاد بهذه العقيد يستلزم حتمـا إنكـار يـوم القيامـة وكل أصـول الإيمـان الأخـرى . وأما ما يظهر من أقوالهم من ذكر للآخرة فهي إما أنهم يقولونها تقية وتلبيسا على الناس على طريقتهم في الأخذ بالتقية والكتمان لإخفاء حقيقة تصـوفهم عن المسلمين. وإما أنهم يقصدون بذلك الظفر بوحدة الوجود في الدنيا، فهي جنتهم ومعادهم وآخرتهم. وإمـا أنهم يقصـدون الأمـرين معـا . وكـل صـوفي

[1965] شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ،حققه عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ، ج 2 ص: 52 .

[1966] مسلم: الصحيح، ج 1 ص: 34 ، رقم: 122 .

وأي باحث موضوعي عرف حقيقة التصوف يتبين له قطعا أن التصوف هادم لأركان الدين، منها المعاد الأخروي.

والشاهد السادس: إن من خصائص الدين الصوفي أنه كفر وزندقة في ميزان الإسلام ، وهذا اعترف به الصوفية أنفسهم ولهذا تواصوا فيما بينهم على إخفاء حقيقة التصوف عن المسلمين. فمن ذلك: سُئل الشبلي؛ فقيل له: ((أخبرنا عن توحيد مجرد وبلسان حق مفرد. فقال: ويحك !! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل...))[1967].

وقال أبو طالب المكي: ((((إفشاء سرّ الربوبية كفر.وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله، أفضل من إحياء غيره، وقال بعضهم: للربوبية سرّ لو ظهر لبطلت النبوّة وللنبوّة سرّ لو كشف بطل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهره الله تعالى لبطلت الأحكام، فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرّ، به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي، الله غالب على أمره))[1968].

وقال أبو حامد الغزالي: ((ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار.ولقد قال بعض العارفين :إفشاء سر الربوبية كفر))[1969].

وكلام أبي طالب المكي والغزالي هو تكرار لما كان يعتقده الحلاج الذي كتب يقول: ((« سَتَر الله عنك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر خفي وحقيقة الكفر معرفة جلية»[1970]. وقال أيضا: ((كفرتُ بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح))[1971]. وهذا الرجل صادق مع نفسه وتصوفه لأن من يتصوف ويصل إلى الفناء – وحدة الوجود حسب زعم الصوفية – فيكفر حتما بدين الإسلام، ويُكفر من يعتقد به، وهو أيضا يصبح كافرا عند المسلمين. وبذلك تتفق نتائج بحثنا هذا مع

[1967] القشيري: الرسالة، ص: 136 .
[1968] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 2 ص: 2 .
[1969] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 3 .
[1970] ابن الساعي: أخبار الحلاج ، ص: 12 . والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 14 ص: 352 .
[1971] هذا القول موجود في ديوان الحلاج، لكني أتحصل عليه، فنقلته عن الباحث الناقد سفر عبد الرحمن الحوالي: الرد على الخرافيين ، ص:15 .

اعترافات الصوفية أنفسهم بأن القوم على دين مخالف لدين الإسلام أصولا وفروعا وغاية .

وقال أبو القاسم الجنيد:((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة. وقال مرة :لو سمعها العموم لكفروهم))[1972].
وقال أيضا: ((لا يكون الصدّيق صدِّيقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صدِّيقاً أنه زنديق، فهم يشهدون على ظاهره، مما ظهر من حاله؛ لأن الصديق يعطي الظاهر حكم الظاهر، ويعطي الباطن حكم الباطن، فلا يلبسون بالباطن على الظاهر ولا بالظاهر على الباطن، فهم يشهدون أنه زنديق ظاهراً، كما يعلمون أنه صديق باطناً، لتحققهم بذلك الحال في نفوسهم))[1973].
وأقول: قوله هذا يحتمل وجهين : الأول يعني أن الصديق عندهم هو في ظاهره زنديق لأنه ملتزم بمظاهر الشرع ، لكنه في الحقيقة صديق لأنه يُخفي العقيدة الصوفية ويُظهر العقيدة الإسلامية .

والوجه الثاني هو أن ذلك الصوفي هو زنديق عند الناس بما يظهر منه من شطحات ورقص وغناء ، ومخالفات شرعية أخرى. فهو عندهم زنديق لكنه هو في حقيقته صديق عند الصوفية بتلك الأفعال . لكن الوجه الأول هو الأصح ، لأن القول ذكر أن سبعين صديقا يشهدون عليه على أنه زنديق. بمعنى يشهدون عليه بذلك لأنه يُمارس التقية في تعامله مع الناس مع أنه لا يعتقد بما يُظهره . فهو عندهم زنديق لأنه أظهر مالا يعتقده الصوفية، وما ليس هو من التصوف. وهذا اعتراف منهم بممارستهم للتقية، وأن العبادة الصوفية هي كفر وزندقة في ميزان الإسلام .

وفي الحالتين فكلام الجنيد هو كلام مخالف للشرع ولمعنى الصديق شرعا. لأن صفات الصديقين مذكورة في القرآن ، وتجلت في الصحابة ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ، ولم يكن ظاهرهم ولا باطنهم زندقة ولا كفرا.
علما بأن كلامه صريح بأن الصوفي عندما يصل مرتبة الصديقية تظهر عليه مظاهر الزندقة إما لأنه أظهر حقيقة التصوف التي هي زندقة في

[1972] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 6 ص: 422 .
[1973] نقلا عن: عبد الروف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ، ج 1 ص: 10 .

الشرع وعند المسلمين، وإما أنه أظهر التمسك بالشرع وأخفى حقيقة التصوف ،وهذا زندقة أيضا عند الصوفية .

فتلك الأقوال هي اعترافات صريحة من هؤلاء الصوفية بأن الدين الصوفي هادم لدين الإسلام من أساسه ، وكفر بالله ودينه ورسله. وليس صحيحا أنه هو: الثورة الروحية في الإسلام على حد تعبير الباحث أبو العلاء عفيفي[1974].فهو ثورة على الإسلام وأهله، وتعطيل وهدم له من دون شك.

والشاهد السابع: إن من أخطر ما تبين في بحثنا هذا أن التصوف دين أرضي علماني- دنيوي لا أُخروي- شعاره الحب الإلهي مع التستر بالإسلام . إنه علماني بدليل المعطيات الآتية:
أولها: إن التصوف لا يلتزم بشرع الله منطلقا ولا ممارسة ولا غاية كما سبق أن بيناه. والثاني : إن التصوف مُعطل للإسلام وهادم له أثناء تستره به. والثالث: إن التصوف مُنكر للمعاد الأخروي ،ومُعتقد بمعاد آخر دنيوي.
والمُعطى الرابع: إن الغاية النهائية للتصوف هي القول بوحدة الوجود، التي تعني أن الله هو عين الكون ، والكون هو عين الله. بمعنى أنه لا موجود إلا الله، الذي هو هذه الدنيا التي نراها. والمُعطى الأخير- الخامس -: أن التصوف نتاج بشري وليست وحيا إلهيا . فالتصوف دين أرضي علماني بامتياز**!!** .

علما بأن العلمانية في أساسها وصلبها هي رفض للوحي الإلهي. فالإنسان عندما يرفض الالتزام بشريعة الله ، يكون قد جعل نفسه إلهاً، ويضع لنفسه ديانة أرضية تتفق مع منهجه الرافض للوحي الإلهي ، وقد يُخفي حقيقته بمظاهر شرعية هامشية لا تأثير لها في تغيير أصل تلك الديانة وفروعها الأساسية وغايتها النهائية. وهذا هو حال الدين الصوفي ، فهو علماني بشعار إسلامي، وليس كالعلمانية الحديثة التي هي بشعار دنيوي لا ديني غالبا. والحقيقة أن التصوف في صميمه هو رفض للوحي الصحيح، وهذا هو لب العلمانية وصميمها .

[1974] له كتاب عنوانه: التصوف الثورة الروحية في الإسلام .

والشاهد الثامن: إنه تبين من بحثنا هذا أن الدين الصوفي يُربي أتباعه بالتزام ممارسة عبادات الطريق الصوفي ، كالعزلة ،والجوع ،والسهر، ليصبحوا هم الله عندما يبلغون مقام وحدة الوجود. وبذلك يصبح كل الصوفية الواصلين أربابا وآلهة. وهذا مناقض تماما لدين الإسلام الذي يربي المسلمين بشريعة الله تعالى ليكونوا عبيدا له في الدنيا والآخرة ، ثم يُسكنهم جنات عدن خالدين فيها أبدا .

وبمعنى آخر أن الدين الصوفي لا يُعبّد العباد لرب العباد في الدنيا والآخرة، وإنما يُصرفهم عن الآخرة ويُعبدهم لأهوائهم وتلبيساتهم ليُوصلهم إلى الكفر بالله وبدينه ،وادعاء الربوبية والألوهية بدعوى وحدة الوجود .

والشاهد التاسع: إنه اتضح من كتابنا هذا أن الدين الصوفي ناقض لختم النبوة لقوله بعصمة شيوخ الصوفية ،وعلمهم للغيب وتسويتهم بالأنبياء في تلقي العلوم. فشيوخ الصوفية هم أنبياء التصوف الذين لا خاتم لهم.

والشاهد العاشر: إن الدين الصوفي يقول بِقِدَم العالم وأزليته، بدليل أنه تبين مما ذكرناه أن غاية التصوف النهائية هي بلوغ مقام وحدة الوجود. وفيها يصبح الصوفي هو الله ويعتقد أن الله هو عين الكون ، والكون هو عين الله ، فلا تعدد ولا تفريق بين الخالق والمخلوق. وهذا يعني أن الكون أزلي لا بداية له ولا نهاية بحكم أن الله تعالى أزلي .

والشاهد الحادي عشر: إن مما يشهد على أن التصوف دين قائم بذاته، هو أن من خصائصه أنه مُتضمِن للإلحاد، ثم هو والإلحاد يُمثلان عصيانا وهدما للشرع والعقل والعلم ؟ !. وتفصيل ذلك هو أن في التصوف نوعان أساسيان من الإلحاد: الأول إنه إلحاد بمعنى أنه انحراف عن الشرع وخروج عليه، وإفساد له ، وتأويل تحريفي له .

والثاني إنه إلحاد بمعنى إنه ينتهي إلى إنكار وجود الله تعالى. لأنه بما أن غاية التصوف الكبرى والنهائية هي الاعتقاد بوحدة الوجود، والتي تعني أنه لا موجود إلا الله ، وأن الكون هو عين الله ، والله هو عين الكون . وبما أن الكون هو الله، ونحن لا نحس في أنفسنا ، ولا نرى بأعيننا إلا ذواتنا،وباقي المخلوقات الأخرى المكونة للكون ، ولا نرى الله ولا نحس به ، فهذا يعني أن الله غير موجود . بمعنى أنه لا موجود إلا الكون ، ولا وجود

لله . وهذه المقولة هي نفسها مقولة الملاحدة المشهورة عنهم : لا إله ، والحياة مادة ، وهي الكون .

وأما لماذا كان التصوف والفكر المادي- الإلحاد - عصيانا وهدما للدين والعقل والعلم ؟ فتفصيل ذلك فيما يأتي:
بالنسبة للتصوف فإنه قد سبق أن بينا أنه خالف الشرع والعقل والعلم في أصوله وفروعه وغاياته من جهة، واتضح أيضا أن غايته هي الاعتقاد بخرافة وحدة الوجود من جهة ثانية. وهذا كله يعني بالضرورة أنه عصيان وهدم للدين والعقل والعلم.

وأما فيما يخص الإلحاد فإن الشرع أولا أكد مرارا على أن الله تعالى خالق الكون وأنه أرسل الأنبياء لهداية بني آدم. وثانيا إن العقل يعلم يقينا أن الإنسان مخلوق، وليس خالقا لنفسه، ولن يستطيع أن يكون خالقا، ولهذا فلابد له من خالق خلقه . وثالثا إن العلم المعاصر أثبت بأدلة كثيرة بأن الكون مخلوق وستكون له نهاية، وبما أنه كذلك فلابد له من خالق . وبما أن الأمر كذلك فإن الإلحاد أنكر تلك الحقائق، وزعم- كذبا وعنادا وتحريفا- أن الكون خلق نفسه، أو ظهر صدفة . وموقفه هذا هو عصيان وهدم للوحي والعقل والعلم من دون شك . فهو والتصوف متفقان في ذلك !! .

والشاهد الثاني عشر: إن من مميزات الدين الصوفي أن أتباعه مارسوا ثلاثة أنواع من الحرص في تعاملهم مع الإسلام : الأول: الحرص على مخالفة الإسلام في أصوله وفروعه وغايته ، والتعالي والتعالم عليه عن قصد وتعمد ، وعن سبق إصرار وترصد. حتى انتهى بهم الأمر إلى تعطيله وهدمه بوحدة الوجود.

والحرص الثاني: الحرص على التظاهر بدين الإسلام والتستر به أثناء تعاملهم مع المسلمين .

والأخير- الثالث- : الحرص على إخفاء حقيقة تصوفهم وأحوالهم تطبيقا لعقيد التقية ،ولهذا وجدنا معظمهم يُعبر عن التصوف بالإشارة لا بالعبارة. وقد مارسوها في مجالين: الأول التستر بالإسلام ، والثاني إخفاء حقيقة تصوفهم وأحوالهم عن المسلمين .

والسبب في ذلك هو أن القوم كانوا يحملون التصوف عقيدة وعبادة لتطبيقه في محيط إسلامي معارض لهم فكرا ووجدانا وسلوكا. فحملهم للدعوة التصوفية فرض عليهم مخالفة الشرع والعمل على هدمه، وخوفهم من المجتمع جعلهم يتبنون التقية وسيلة وممارسة تسترا بالإسلام وانتصارا للتصوف.

والشاهد الثالث عشر: إن مما يدل على أن التصوف دين قائم بذاته ، هو أن بدايته تقوم على حب الله من المنظور الصوفي المخالف للشرع ،وخاتمته تنتهي إلى الكفر بالله ودينه ورسله من جهة، وإدعاء الربوبية من جهة أخرى!!!!. وهذه النتيجة هي أكبر مأساة من مآسي التصوف، الذي هو أيضا جريمة في حق البشرية عامة، والصوفية خاصة، لأنهم هم الذين انكووا به قبل غيرهم ، فأخرجهم عن الصراط المستقيم، وجرهم إلى الكفر بالله بدعوى حبه، فضلوا وأضلوا !!!! .

وتلك المأساة هي قمة المكر الشيطاني بالصوفية ، لأن الملحد مثلا مَكَر به الشيطان بالكفر والعصيان والشبهات منذ البداية فكانت نتيجته معروفة ومنسجمة مع المقدمة؛ لكن الصوفي بدأ تصوفه بدعوى حب الله فانتهى به إلى الكفر به والإلحاد فيه أيضا !!!! . لأن المقدمة لم تكن صحيحة ، والمُتمثلة في أصول التصوف وطريقه المخالفة للشرع والعقل والعلم كما بيناها في الفصلين الثاني والثالث.

والشاهد الرابع عشر: إن مما يشهد على أن التصوف دين قائم بذاته ، أنه وحّد بين الأديان انطلاقا من قوله بوحدة الوجود. فبما أنه قال بها وجعل كل ما في الكون أشباح ورسوم وتجليات لله ، فإنه أزال الفوارق بين الأديان والملل والنحل، فهي عنده كلها صحيحة ومقبولة، وتجليات لله. وهذا القول هو كفر بدين الإسلام من دون شك ،بل بكل الأديان غير العرفانية لأن الأديان الأخرى هي أيضا تُكفّر من لا يُؤمن بها. لكن التصوف بحكم أنه دين قائم على وحدة الوجود فهو قد صحح كل الأديان وسوّىَ ووحد بينها، وقد صرّح بعض شيوخهم بذلك. منهم كبيرهم محي الدين ابن عربي(ت 638هـ) الذي قال :

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي*** إذا لم يكن ديني إلى دينه دانى
لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ*** فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ*** وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهتَ*** ركائبه فالدين ديني وإيماني[1975].

وعلى طريقته ومعتقده كان الصوفي جلال الدين الرومي (ت 672 هـ)- مؤسس الطريقة المولوية- ، فمن شعره الفاسد المعبر على ضلاله، قوله:
انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي ..
بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري ..
أحمل الزنار، وأحمل المخلاة ..
لا بل أحمل النور ... فلا تنأ عني لا تنأ عني ..
مسلم أنا .. ولكني نصراني وبرهمي زرادشتي ..
توكلت عليك أيها الحق الأعلى ... فلا تنأ عني لا تنأ عني..
ليس لي سوى معبد واحد ... مسجداً كان أو كنيسة أو بيت أصنام ..
ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ... فلا تنأ عني لا تنأ عني[1976].

والشاهد الخامس عشر: ومنها أيضا أنه تبين من بحثنا هذا أن عبادات ومجاهدات الطريق الصوفي هي في الدين الصوفي وسيلة ظرفية ومؤقتة يُمارسها الصوفي في مرحلة بشريته أثناء ممارسته للطريقة ، ثم يتخلص منها عندما يصل مقام كفرية وحدة الوجود، وفيه يصبح الصوفي هو الله حسب زعم الصوفية **!!** ،ولهذا روى الصوفية أن أبا يزيد البسطامي تعجب كيف يعبد العارف الله، فقال: ((عجبتُ لمن عرف الله كيف يعبده))[1977]. لأن العارف هنا أصبح هو الله، فهل يعبد الله نفسه **؟؟ !!**.

والشاهد الأخير- السادس عشر- : يتضمن ثلاث خصائص أخرى تشهد على أن التصوف دين له مميزاته التي تميزه عن الإسلام: أولها: إنه تبين أن الإيمان في الدين الصوفي قائم على التقية والتلبيس، وغير منضبط بضوابط الشرع والعقل والعلم. ولهذا وجدناه يُؤمن بالخرافات والمستحيلات، ولا يُبالي بانحرافاته وأخطائه كما سبق أن بيناه. وهذا ليس إيمانا شرعيا قطعا، لأن الإيمان الشرعي يقوم على الصدق والإخلاص والوضوح والالتزام بشريعة الله قلبا وقالبا.

[1975] الذهبي: تاريخ الإسلام ، حققه عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1987،ج 46 ص: 376 .
[1976] الزنار هو رمز للنصرانية أيضا، والمخلاة هي رمز للهندوسية . محمود عبد الرؤوف قاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية ، ج 1 ص: 146. ومحمد جميل الدين غازي: الصوفية الوجه الآخر، ص: 38 . والزنار هو ما يضعه الذمي على وسطه يتحزم به. ابن منظور: لسان العرب،ار صادر، بيروت، ج 4 ص: 320.
[1977] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 37 .

والثانية: مفادها أنه ليس للدين الصوفي مصادر يقينية يتلقى منها عقائده وسلوكياته، وقد سبق أن بينا أن الصوفية أسسوا لتصوفهم غالبا بالروايات الضعيفة والموضوعة وبأحوالهم وهلوساتهم، وبتحريفهم للشرع. وهذا خلاف دين الإسلام الذي يقوم على كتاب الله الذي تولى الله سبحانه حفظه ، وعلى السنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم.

والأخيرة- الخاصية الثالثة- : مضمونها أنه كما اتضح أن الدين الصوفي مُعطل لدين الإسلام ومُدمر له بأصوله وفروعه وغاياته من جهة، فإنه اتضح أيضا أنه دين مُدمر للعمران البشري بدعوته إلى السلبية وقوله بوحدة الوجود من جهة أخرى. فلا يبقى مع هذه الكفرية شيء، فلا وحي، ولا عقل، ولا علم، ولا عمل !! .

وأما المجموعة الخامسة فتتعلق بالتناقضات الكثيرة التي ظهرت على الصوفية بسبب تصوفهم، أذكر منها طائفة من باب التمثيل لا الحصر. منها إن الصوفية جعلوا عبادتهم لله قائمة على طلب محبته والظفر بها، لكنهم رفضوا عبادته وفق شريعته، واعترضوا عليه عندما أمرهم بطلب ما أعده لهم من نعيم في الجنة، وحذرهم من دخول جهنم إن هم عصوه. وقالوا له: نحن لا نريد ما تريده أنت منا، وإنما نريد ما نريده نحن منك . ولهذا قالوا له: نحن لا نريد جنتك ، ولا نخاف نارك وإنما نريد الظفر بك وبحبك وجمالك بعقيدة وحدة الوجود، لا بشريعة الإسلام. وهكذا طلبوه بالكفر به وبدينه ورسله ثم الإلحاد فيه !! . وهذا تناقض صارخ من دون شك ، لأن المحب لمن يحب مطيع، وهم عصوا الله وجعلوا شريعته وراء ظهورهم . فالقوم يعبدون أهواءهم ولا يعبدون خالقهم طاعة له والتزاما بما فرضه عليهم. ونسوا أو تناسوا أن العابد الحقيقي هو الذي يعبد الله كما أمره الله ،لا أن يعبده كما يريد هو من الله . علما بأن من يعبد الله وفق شرعه فإنه سيظفر بسعادة الدنيا والآخرة، وينال حب الله ورؤية وجهه الكريم. وأما الذي يعبده على طريقة الصوفية فهو عاصٍ لله ، ومنحرف عن دينه وشريعته.، ولا يظفر بمراده منه، وسينتهي إلى الكفر به.

ومنها: إنهم رفعوا شعار الخوف من الله وجعلوه من مقاماتهم[1978]. لكنهم نقضوه عندما ذكروا صراحة أنهم لا يعبدون الله خوفا من ناره، ولا طمعا في جنته !! . ونقضوه أيضا عندما رفعوا شعار الخوف من الله ولم يلتزموا

[1978] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 58 وما بعدها .

بشريعته سبحانه وتعالى، بل إنهم اجتهدوا عن سبق إصرار وترصد في مخالفتها ،ولم يتركوا جانبا من الإسلام إلا وعطلوه، أو هدموه ، أو أفسدوه، أو أدخلوا فيه ما ليس منه.

ولذلك فإن حقيقة أمرهم أنهم اعلنوا خوفهم من الله لأمرين : الأول للتستر والتمويه به على الناس بأنهم يخافون الله، ضمن تدثرهم بالإسلام وتعيشهم به بينهم . والثاني إنهم حقا كانوا يخافون ، لكن خوفهم هذا لم يكن خوفا شرعيا وإنما كان خوفا صوفيا. بمعنى أنهم لم يكونوا يخافون من الله خوفا من عصيانه وناره ، وإنما كانوا يخافون على أنفسهم من أن يفشلوا في ممارساتهم للطريق الصوفي فلا يصلون إلى غاية التصوف الأساسية وهي وحدة الوجود التي تجعلهم أربابا حسب زعمهم **!!**.

ومن تناقضاتهم أيضا: إن الصوفية أقاموا تصوفهم على الحب الإلهي حسب زعمهم لكنهم من جهة أخرى كانوا خصما عنيدا لدين الله تعالى ، فقد أسسوا دينهم على أصول وفروع وغايات ليست من دين الإسلام، بل وكانت هدما له وثورة عليه ، فعلوا ذلك عن حرص وسبق إصرار وترصد **!!**. وهذا يتناقض تماما مع دعوى الحب الإلهي، لأن المحب لمن يحب مطيع.

ومنها: إن لشيوخ الصوفية أقولا كثيرة نصوا فيها على التزامهم بالشرع، وحرصهم على الاحتكام إلى الكتاب والسنة. منها قول أبي يزيد البسطامي: ((لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحد ودوأداء الشريعة))[1979].

وقال سري السقطي:((من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط))[1980].

وقال أبو سليمان الداراني : ((ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب، والسنَّة))[1981].

[1979] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 40 .

[1980] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 121 .

[1981] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محموود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 61.

وعن أبي محمد بن سهل بن عبدالله أنه قال: ((أصولنا ستة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى والإقتداء بسنة رسول الله -صلى الله عليه و سلم- وأكل الحلال ،وكف الأذى ،واجتناب الآثام ،والتوبة ،وأداء الحقوق))[1982].

وعن أبي علي الروذباري أنه قال: ((سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات من باب البرِّ والتقربُ إلى الله عزَّ وجلَّ. فقال الجنيدِّ: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذرَّة إلا أن يحال بي دونها))[1983].

وقال الجنيد: ((الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من أقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام))[1984]. و((وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنَّة))، وعن أبي علي الروذباري عن الجنيد أنه قال: ((مذهبنا هذا: مقيَّد بأصول الكتاب والسنَّة[1985])).وقال : ((علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم))[1986].

وأقول: تلك الأقوال تتناقض جملة وتفصيلا مع تصوفهم وأقوالهم الكثيرة التي سبق أن ذكرناها، ومع ما فعلوه في الإسلام من مخالفته والحرص على تعطيله وهدمه. ولهذا فإن تلك الأقوال إما أنهم قالوها قبل تصوفهم، وإما أنها مكذوبة عليهم عن قصد ، وإما أنهم قالوها تقية وتلبيسا على المسلمين لإخفاء حقيقة تصوفهم. ولا يُمكن أن تكون عن صدق وإخلاص فيما يتعلق بالتزامهم بالشرع، لأن هؤلاء من شيوخ الصوفية الذين خالفوا الشرع وهدموه بدعوتهم للتصوف والانتصار له كما سبق أن بيناه . وإخلاصهم للتصوف يمنعهم من الإخلاص لدين الإسلام، والعكس صحيح، لأنهما دينان متناقضان، فلا يُمكن الجمع بينهما حقيقة إلا نفاقا وتقية، ولا يكون الإخلاص إلا لواحد فقط .

[1982] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 10 ص: 190 .
[1983] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 79.
[1984] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 79.
[1985] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 79.
[1986] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمودد بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 79.

علما بأن مثل تلك الأقوال كل الطوائف تقولها حتى أكثرها ضلالا وكفرا بدين الإسلام. وعليه فلا يصح التعويل عليها والاحتكام إليها ابتداءً، وإنما يجب النظر أولا إلى الأصول والفروع والغايات من جهة انطلاقها من الشرع وانسجامها معه والالتزام به . وبما أنه تبين أن أصول التصوف وفروعه وغاياته الأساسية كانت مخالفة للكتاب والسنة ، بل وهادمة لهما وحربا عليهما. فتلك الأقوال لا قيمة لها،ولا يصح تصديقها، ولا الاعتماد عليها، ولا اتخاذها شواهد على عدم مخالفة التصوف لدين الإسلام.

ومن تناقضاتهم أيضا : إن الصوفية أظهروا خوفهم من المعاصي وحذّروا منها كثيرا ، حتى أحدهم قال: ((المعاصِي بَريدُ الكُفْر، كما أَنَّ الحمَّى بريدُ الموت))[1987]، لكنهم من جهة أخرى كانوا غارقين إلى الأذقان في عصيان الله تعالى بمخالفة شرعه والتعالي عليه،وتعطيله بل وهدمه في النهاية كما بيناه سابقا!!!! . فهذا تناقض صريح وصارخ. فما تفسير ذلك ؟؟. إنه لا يُمكن رفعه إلا بأن تكون أقوالهم المُحذرة من المعاصي من باب التقية والتظاهر أم المسلمين بذلك، أو أن المعاصي التي حذروا منها ليست هي المعاصي التي حذّر منها الشرع، وإنما هي التي حذّر منها التصوف. منها الالتزام بدين الإسلام، فهو معصية في نظر التصوف وأهله.ولهذا وجدنا الصوفية حريصين على عدم الالتزام بدين الإسلام، وقد بينا أنهم خالفوه أصولا وفروعا وغاية، بل هدموه كله عن سبق إصرار وترصد، رغم تظاهرهم وتسترهم به !!. بل إن بعض شيوخ الصوفية اعترف صراحة بأن الإسلام زندقة في نظر الصوفية، وتصوفهم كفر وزندقة أيضا في ميزان الشرع وأهله[1988] !! .

ومنها أيضا: إن الصوفية أكثروا الكلام عن خُلق الصدق مع النفس والله والناس ، لكنهم نقضوا ذلك نقضا صريحا صريخا ، عندما مارسوا التقية والتغليط والتلبيس في تعاملهم مع المسلمين فأخفوا عنهم حقيقة تصوفهم، وأظهروا لهم أخذهم بالإسلام تسترا به. فالقوم لم يكونوا صادقين مع الله وشريعته، ولا مع المسلمين. ونقضوه أيضا عندما تعمدوا رواية واختلاق الروايات الضعيفة والمكذوبة والمستحيلة انتصاراً لتصوفهم ومخالفةً للإسلام وتسترا به أيضا.

1987 أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص:46 .

1988 أبو طالب المكي: قوت القلوب، ص: ج 2 ص: 2 .

ومن تناقضاتهم : إن الصوفية اهتموا كثيرا بمجاهدة النفس بدعوى تربيتها وكسر كبريائها وتطويعها وتعويدها على التواضع والالتزام بالحق[1989]. لكنهم خالفوا ذلك ونقضوه بتعمدهم ممارسة التغليط والتلبيس ورواية واختلاق المرويات الضعيفة والمكذوبة والمستحيلة. ونقضوه عندما تعالموا وتقدموا على الله وشريعته، فهو سبحانه أمرهم أن يعبدوه خوفا من ناره وطمعا في جنته ، لكنهم قالوا له: لا نعبدك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ،ولا التزاما بشريعتك **!!**.

ونقضوه أيضا عندما ازدروا بغيرهم من الناس وتكبروا عليهم وحطوا من قيمتهم. فوصفوا أنفسهم بأنهم أهل الحقيقة، وغيرهم أهل الشريعة ،وأنهم أهل الباطن وغيرهم أهل الظاهر. وأنهم أرباب القلوب وغيرهم أرباب الرسوم. وأنهم أصحاب علم الباطن وغيرهم أصحاب علم الظاهر. وأنهم يأخذون العلم مباشرة عن الحي القيوم، وغيرهم يأخذون علمهم ميتا عن ميت. مع أن أقوالهم هذه كلها مزاعم باطلة كما سبق أن بيناها .

فالقوم جاهدوا أنفسهم ليس لتطيع الله وتلتزم بدينه وإنما لتعصيه وتُعطل شريعته، وتتقدم عليه بتصوفها وسلوكياتها . ولا جاهدوها ليُربوا أنفسهم تربية إيجابية فعالة ومنتجة لعمارة الأرض وفق شريعة الله تعالى، وإنما ربوها لتكون سلبية وتعطل عمارة الأرض وتعيش عالة على الناس.

ومنها أيضا: إن الصوفية بالغوا كثيرا في مدح أنفسهم بأنهم أصحاب القلوب وأرباب اليقين ،وعلوم الباطن، والكشف والأنوار، وأن علومهم حقائق ويقين ،وعلوم غيرهم ظنون ورسوم .منها قول عبد الوهاب الشعراني: ((ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل، لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى، فتأخذ عنه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح، من غير تعب ولا نصب، ولا سهر، كما أخذه الخضر عليه السلام، فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود، لا عن نظر، وفكر، وظن، وتخمين**.** وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي -رضي الله عنه- يقول لعلماء عصره **:**أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت))[1990].

[1989] أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ص: 49 . و القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 70 .
[1990] الشعراني: طبقات الصوفية الكبرى ، ج 1 ص: 6 .

تلك المزاعم تتناقض تماما مع ما بيناه من بطلان علم الصوفية المزعوم، فقد بينا بالأدلة الدامغة أنه علم زائف وفاسد ،ومزاعم بلا رصيد صحيح ، وما هي إلا أهواء وهلوسات وتلبيسات شيطانية. بدليل أنه بينا أن التصوف بأصوله وفروعه وغايته مخالف للشرع ، بل وهادم للوحي والعقل والعلم، وأن شيوخهم وقعوا في أخطاء شرعية وعلمية وتاريخية كثيرة جدا سبق تفصيلها. فأين حكاية علم الباطن واليقين ،والكشف والأنوار ؟؟ **!!** .

ومن تناقضاتهم: إن الصوفية وصفوا شيوخهم بأمور خارقة ومستحيلة، فهم يعلمون الغيب ، ويتصرفون في الكون ، ويُكلمون الحيوانات والطيور ،ويسيرون على الماء ،ويطيرون في السماء، وغيرها من مزاعمهم الطويلة والعريضة . لكن أحوالهم وأوضاعهم في الواقع تنقض تلك المزاعم جملة وتفصيلا، وتشهد علهم بالعجز والسلبية،وأنهم كانوا يكذبون على الناس.

من ذلك أنهم كانوا عاجزين عن توفير ما يحتاجونه من أربطة وزوايا ومآكل ، فمنهم من خرج للتسول في المساجد والطرقات، ومنهم من كان يطرق الأبواب ويسأل عن الولائم ، ومنهم تقرب إلى الأغنياء والسلاطين والأمراء ليوفروا لهم ذلك **!!**.

وكانوا عاجزين أيضا عن مواجهة الكفار الذين احتلوا البلاد الإسلامية زمن الصليبيين ، والاستعمار الحديث بكل أشكاله ، بل إن كثيرا منهم تعاونوا معهم ، وأصبحوا من أتباعهم وخدامهم . فأين قُدراتهم الخارقة المزعومة ؟؟.

وكانوا يخافون من إظهار حقيقة تصوفهم بين المسلمين، فوجدنا معظمهم يخفونها ويدعون أصحابهم إلى ممارسة التقية والتظاهر بالإسلام تسترا به وخوفا من حد الردة . فلماذا هذا الخوف والدعوة إلى التسر والكتمان وممارسة التقية ؟؟. فأين قدراتهم الخارقة ليُدافعوا بها عن أنفسهم، ولينتصروا بها لتصوفهم، وليهزموا بها خصومهم ؟؟ **!!** . ولماذا لم ينقذوا بها شيوخ الصوفية الذين قتلوا بسبب الزندقة كالحلاج مثلا ؟؟ **!!**.

ومنها أيضا: إن الصوفية سبق أن ذكرنا أنهم دعوا إلى العزلة وترك التكسب بدعوى التوكل وترك الدنيا؛ لكنهم نقضوا ذلك عندما اتخذوا

مختلف الوسائل والأسباب لجلب الدنيا والتمتع بها . كالتقرب إلى الأغنياء والسلاطين والأمراء طمعا فيما عندهم، وممارسة التسول، وعقد مجالس الغناء والرقص،و والتظاهر بالتصوف والزهد جلبا للجاه والصدقات.

وربما يقول بعض الصوفية: إن هؤلاء مارسوا التسول لتربية أنفسهم وقهرها وإذلالها ، فتصبح طيعة ويتمكن الصوفي من التحكم فيها.

وأقول: أولا إن ذلك مخالف للشرع مخالفة صريحة، فقد نهانا عن التسول وسؤال الناس، وأمرنا بالعمل توفيرا لما يحتاجه الإنسان ، وإعزازا للنفس من ذل السؤال[1991]. لأن المسلم عزيز، ولا يصح أن يذل نفسه. كما أن السؤال هو نفسه ذل وضعف ،وهوان وطمع . فهو ليس تربية للنفس وإنما هو إفساد لها وتعويدها على الطمع والدناءة.

وثانيا فقد وردت أخبار عن الصوفية تشهد بأنهم لم يكونوا يتسولون لتربية أنفسهم وإنما كانوا يفعلون ذلك بسب كسلهم وتواكلهم وتركهم للعمل، وطلبا للطعام، وبما أن الغذاء ضروري للإنسان فهم كانوا يتسولون تلبية لحاجياتهم لا تربية لنفوسهم[1992]. وهذا من جهة أخرى نقض لمبدأ التوكل وترك التكسب. فهم متوكلون على التسول، ويطلبون الغذاء بتصوفهم وسُؤالهم. إنهم رضوا أن يطلبوا رزقهم بهذه الطريقة الذليلة والدنيئة، عوضا أن يطلبوه بعمل فيه عز وكرامة . فأي الطريقين أحسن لتربية النفس تربية صحيحة ؟؟. ولماذا لم يرب الصوفية أنفسهم على طلب الرزق بطريقة شرعية وإيجابية فيها عزهم وكرامتهم ؟؟.

وربما يعترض علينا بعض الصوفية فيبرر ممارسة الصوفية للتسول بدعوى أن ما فعلوه هو أنهم سألوا الخلق لحرمة الحق ، لأنهم أدركوا أن جميع ما في الدنيا من أموال بيد الله ، وان الناس وكلاء فيه . فرجعوا إلى الذين وكلهم الله في ملكه وسألوهم مما وكلهم فيه . فَلَئِن يعرض العبد حاجته على الوكيل فهو أقرب الى الاحترام والعزة من أن يعرضها على الله . فسؤالهم للوكيل هو علامة حضور مع الله ،وإقبال عليه لا علامة غيبة وإعراض عنه.

[1991] سبق أن ذكرنا النصوص الشرعية الدالة على ذلك .

[1992] سبق بيان ذلك وتوثيقه ومناقشته في الفصل الثالث .

وأقول: هذا الاعتراض تنطبق عليه مقولة: رب عذر أقبح من ذنب. وهذا هو العجز والسلبية، والتلاعب بالشرع والعقول، والضحك به على الناس بالسفسطة والتغليط .لأن تبرير تسول الصوفية بكلام مضحك وباطل، يدل على اتقان الصوفية للسفسطة بطريقتهم الخاصة. لأنه أولا إن قوله هذا مخالف للشرع مخالفة صريحة لا لُبس فيها . قال تعالى: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة : 186))، و((وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(النساء : 32))،و((يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ((البقرة: 273)) .وكذلك قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((("يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ورفعت الصحف"))[1993] . ، وفي الحديث أيضا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- نهى عن سؤال الناس إلا لمضطر[1994].

وثانيا إن ذلك الاعتراض هو دفاع عن سلبية الصوفية وكسلهم وطمعهم بطريقة سفسطائية يُخفي بها تناقض الصوفية في قولهم بالتوكل على الله في تركهم للكسب من جهة ، وفي سؤالهم للناس وتسولهم طلبا لحاجياتهم من جهة أخرى. فذلك الصوفي نقض توكل الصوفية عندما اعترف أنهم كانوا يطلبون حاجياتهم من الناس لا من الله تعالى.

وثالثا فإن الحق خلاف ما أراد أن يوهمنا به ذلك المُعترض الذي زعم أن الطلب من العامل أولى من الطلب من المالك؛ فإن الحق وهو أن الطلب من المالك أقوى وأصح وأولى من الطلب من العامل أو المُكلف. لأن هذا الأخير لا يملك حرية التصرف ،ولا يستطيع أن يعطي شيئا لم يسمح به المالك. ولا يحق له أن يعطي ما ليس له. ولهذا فإن الطلب من المالك هو الأصح والأفضل ، بل هو الأصل والمطلوب ابتداءً. ولهذا فإن سؤال الله تعالى وطلبه ورجاؤه هو الصحيح، وفيه عبادة وتذلل له سبحانه. وهذا لا يصح فعله مع الإنسان ، الذي قد يتكبر ويتجبر ويذم من يسأله . كما أن

[1993] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 4 ص: 123، رقم: 3049 .
[1994] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .

الإنسان ينفر و يكره أن يسأل إنسانا مثله . لأن اليد العليا – المتصدقة- خير وأفضل من اليد السفلى- الآخذة - . ولهذا فإن عزة السائل وقوته وكرامته ومصلحته تكون في سؤال الله تعالى لا في سؤال عباده.

وآخر تلك المتناقضات : إن الصوفية أظهروا الحرص على طاعة الله والالتزام بشرعه ، ثم نقضوه بحرصين آخرين: الأول حرص على مخالفة الشرع وتعطيله وهدمه انتصارا للتصوف. والثاني حرص على إخفاء حقيقة التصوف تمسكا به وحماية له **!!** . فهذان حرصان متناقضان مع الحرص الأول ،لأن من يحرص على الالتزام بشرع الله لا يحرص على مخالفته، ولا على إخفاء عقيدة مناقضة له **!!** . لكن الحرصين غير متناقضين فيما بينهما ، لأنهما حرصان من أجل التصوف تمسكاً به وانتصارا له، وضد الحرص الأول.

وأما المجموعة السادسة فتتعلق بما ظهر على الصوفية من انحرافات قولية وسلوكية واتهام المسلمين لهم بالكفر والزندقة، وتتضمن الشواهد الآتية:
أولها أتهام الحافظ أبي داود السجستاني(ت 275 هـ) للصوفية رابعة العدوية بالزندقة وإلحاقها بزنادقة الزّهاد[1995] . وعن ذلك يقول ابن كثير: ((فلعله بلغه عنها أمر))[1996] .
وأقول: والحقيقة أنه سبق أن ذكرنا أقوالا كثيرة لرابعة العدوية تشهد عليها بالانحراف عن الشرع وتندرج في الزندقة والضلال. بل هي من رؤوس الصوفية الذين جعلوا الشرع وراء ظهورهم وأسسوا للتصوف بأهوائهم وهلوساتهم وتلبيساتهم النفسية والشيطانية.

والشاهد الثاني يتعلق باتهام أبي حمزة الصوفي بالزندقة ، فمن ذلك ما رواه الذهبي عنه بقوله: ((فبينما هو يتكلَّم ذات يوم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة، لبَّيك لبّيك. فنسبوه إلى الزَّندقة وقالوا: حلوليّ زنديق. فشهدوا عليه، وأخرج وبيع فرسه ونودي عليه: هذا فرس الزنديق))[1997] .

[1995] ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10 ص: 201 . و أبو الخير تراسون: التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ، 1423 ، ص: 160 .
[1996] ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10 ص: 201 .
[1997] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .

ونقل الذهبي عن السراج الطوسي أن قاله: ((بلغني عن أبي حمزة أنـهّ دخل على الحارث المحاسبيّ، فصاحت الشّاة: ماع. فشـهق أبـو حمـزة شـهقة وقال: لبيّك لبيَّك يا سيّديّ. فغضب الحارث وعمد إلى السِّكّين، وقال:" إنّ لم تتب ذبحتك"[1998].

والشاهد الثالث مفاده أن جماعة من متقدمي الصوفية وأعيانهم اتهمهم المسلمون بالزندقة وتألبوا عليهم، منهم : أبو العباس بن عطـاء ، وأبـو سـعيد الخراز، وسهل بن عبد الله التستري، والحسين بن مكي الصبيحي البصري، وأبو العباس بن عطاء البغدادي، وأبو القاسم الجنيد ، الذي أُخذ عدة من مرات وشُهد عليه بالكفر والزندقة[1999]. وأشار السراج الطوسي إلى أن اتهام الصوفية بذلك ليس جديدا وإنما هو قديم[2000].

والشـاهد الأخيـر- الرابـع- : قـال الـذهبي: ((قـال السلمي فـي " محـن الصـوفية ": ذو النـون أول مـن تكلـم ببلدتـه فـي ترتيـب الاحـوال، ومقامـات الاولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء مصر. وشاع أنـه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتـى رمـوه بـالزندقة. فقـال أخـوه: إنهم يقولون: إنك زنديق))[2001].

وأقـول: إن اتهـام المسـلمين للصـوفية بـالكفر والزندقـة لـيس عجبـا ولا غريبا، بل هو من ضروريات الإسلام والتصوف معا. لأنه سبق أن بينـا أن التصوف وأهله خـالفوا الإسـلام وعطلـوه وهدموه، فهل من هذا حالـه يبقـى مسلما، أو يصح أن يُقال بأنـه مسلم ؟؟ . كلا وألف كلا ، فهذه حقيقـة يجب قولهـا والاعتـراف بهـا، ولا يصـح إنكارهـا أبـدا . ومـن جهـة أخـرى إن التصـوف نفسـه ينتهـي بالصـوفية إلـى وحـدة الوجـود وفيهـا يصبحون أربابـا وآلهة. أليس هذا اعتراف من التصوف نفسه بأنه هو أتباعه قد هدموا الشرع والعقل والعلم ؟، وهل من يقول بـذلك يكـون مسلما فـي ميـزان الإسـلام ؟؟. وهل من ينكر ذلك أيضا يبقى صوفيا في ميزان التصوف ؟؟.

علمـا بـأن المسـلمين عنـدما كفـروهم وزنـدقوهم لـم يكـذبوا علـيهم ولا ظلموهم ،لأن أحوالهم ومنكراتهم التـي أظهروهـا معروفـة عنهم وتتفق مع

[1998] الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 20 ص: 155 .
[1999] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 498 وما بعدها . و ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص: 210 .
[2000] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 498 وما بعدها .
[2001] ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص: 210 .

تصوفهم ومذكورة في كتبهم . بل إن كثيرا من شيوخ الصوفية اعترفوا صراحة بأن تصوفهم هادم للإسلام ، وهو كفر في ميزان الشرع وأهله منها أقوال أبي طالب المكي والغزالي والحلاج وابن عربي التي ذكرناها سابقا. ومنها أيضا قول أبي القاسم الجنيد شيخ الصوفيه: ((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة. وقال مرة :لو سمعها العموم لكفروهم))[2002]. وقول أبي بكر الشبلي: ((لو أن أحداً يفهم ما أقول لشُددت الزنانير))[2003].

وهذا الرجل لم يُفصح عن حقيقة الغاية الصوفية، لكنه أشار إلى أن إظهارها يُلحق صاحبها بأهل الذمة وتلبسه الزنار[2004]. بمعنى أن المسلمين سيكفرونه ويُزندقونه ويُلحقونه بأهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس. وهذا دليل دامغ واعتراف ضمني بأن الرجل كان يُخفي حقيقة عقيدته، وأنها عقيدة مخالفة لدين الإسلام، و تخرج صاحبها منه. ولا شك أنه أخفى عقيدة كفرية وحدة الوجود التي هي غاية الغايات عند الصوفية. فقوله هذا تضمن أمرين هامين: الأول اعتراف الشبلي أن الصوفية كانوا يخفون حقيقة أحوالهم عن المسلمين وذلك بممارسة التقية والكتمان. والأمر الثاني اعترافه بأن ما أخفاه عن المسلمين هو كفر عندهم.

وأشير هنا إلى أن من يدافع عن هؤلاء الصوفية ويُقرهم على ضلالاتهم، أو يعتذر لهم فهو إما أنه جاهل بالتصوف، أو أنه متعصب أعمى للتصوف. أو أنه عدو للإسلام والمسلمين ،وللعقل والعلم أيضا يريد بذلك الطعن في الإسلام إشباعا لهوائه وتعصباته. لأن بما أنه سبق أن بينا بالأدلة الدامغة أن التصوف هادم للشرع والعقل والعلم فإنه لا يصح بأي حال من الأحوال الدفاع عن التصوف وأهله. فمن الجريمة ومن الجنون الدفاع عمن يهدم الشرع والعقل والعلم .

وأما المجموعة الأخيرة – السابعة - : فتتضمن مقارنات هامة وهادفة بين التصوف وغير من عقائد أهل الأهواء والضلال.

أولها: تتعلق بتشابه موقف الصوفية والشيعة الإمامية من المرويات الحديثية والتاريخية ، فكل منهما أهمل تحقيقها، ولا حرص على تحصيل صحيحها. وكل منهما أسس لعقائده بالروايات الضعيفة والمكذوبة. وكل

[2002] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 6 ص: 422 .
[2003] السراج الطوسي: اللمع، ص: 479 .
[2004] الزنار هو ما يضعه الذمي على وسطه يتحزم به. ابن منظور: لسان العرب،ار صادر، بيروت، ج 4 ص: 320.

منهما رد بمروياته مُحكمات الشرع وأوّلها تأويلات فاسدة. وكل منهما فعل ذلك لأن دينه بأصوله وفروعه وغاياته مخالف لدين الإسلام[2005]. فكل منهما كان أمامه طريقان: إما أن يتخلى عن دينه، ويرجع إلى دين الإسلام، وإما أن يختلق المرويات ويُحرف الشرع انتصارا لدينه وتركا لدين الإسلام. فاختار كل فريق الطريق الثاني، فضلّ وأضلّ !!. ولهذا كان اختلاق الروايات وتحريف الشرع وهدمه هو من ضروريات الدينين الصوفي والإمامي !!.

والمقارنة الثانية: تتعلق بالتشابه بين الصوفية والشيعة الإمامية في التأصيل لنشأتهم التاريخية ووصلِها بالصحابة باختلاق الروايات الحديثية والتاريخية. فالصوفية بينا في الفصل الأول أنهم اعتمدوا على روايات ضعيفة ومُختلقة زعموا بها أن أهل الصُفة والخلفاء الأربعة هم أصل الصوفية وسلفهم الأول. والشيعة الإمامية فعلوا ذلك أيضا، فاعتمدوا على مرويات مكذوبة زعموا بها أن آل البيت هم أصل الإمامية وسلفهم الأول[2006].علما بأن الحقيقة ليست كما زعم الصوفية ولا الشيعة الإمامية أبدا ، فلا تصوف ولا تشيع إمامي في دين الإسلام القائم أولا على القرآن الكريم ، ثم السنة الصحيحة الموافقة له ثانيا.

والمقارنة الثالثة مفادها أن كلا من التصوف والتشيع الإمامي هو دين قائم بذاته وهادم للإسلام مع تستره وتدثره به. فالتصوف سبق أن بينا كيف هو دين مستقل بنفسه وهادم للشرع بأصوله وفروعه وغاياته. وأما التشيع الإمامي فهو بما أنه جاء بإمامة لا وجود لها في الإسلام، ويعتقد بتعرض القرآن للتحريف، وأن الصحابة قد ارتدوا بعد النبي-عليه الصلاة والسلام- ، فهذا يعني بالضرورة أن التشيع الإمامي قد عطل دين الإسلام وهدمه، وجاء بدين جديد اسمه التشيع الإمامي[2007]. فواضح من ذلك أن كلا منهما هادم للإسلام ويمثل بذاته دينا مستقلا عنه مع تدثره به **!!** .

والمقارنة الرابعة: تتعلق بالتشابه بين الصوفية والشيعة الإمامية في نقضهم لختم نبوة نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- . فالصوفية نقضوا ختم

[2005] فيما يخص التصوف سبق توثيق ما قلناه عنه. وأما فيما يتعلق بالشيعة الإمامية فانظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 ، ج 2 ص: 51 ، ج 6 ص: 215. و تفسير العياشي ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج 1 ص : 30 . وخالد كبير علال: تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام، والكتاب منشور إلكترونيا .

[2006] للتوسع في ذلك أنظر مثلا: خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى . وتناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام .

[2007] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 ، ج 2 ص: 51 ، ج 6 ص: 215. و تفسير العياشي ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج 1 ص : 30 .

النبوة عندما أثبتوا لشيوخهم العصمة، وعلم الغيب والتلقي عن الله كالأنبياء . فشيوخ الصوفية هم أنبياء بعد النبي الخاتم ، سواء سميناهم عارفين، أو أولياء، أو شيوخا ، فالعبرة بالمضمون لا بالاسم . والشيعة الإمامية نقضوا ختم النبوة بأئمتهم ، فأثبتوا لهم العصمة، وعلم الغيب، وحق التشريع، وأوجبوا طاعتهم كالأنبياء[2008] . فأئمة الشيعة هم أنبياء باسم الإمامة، وشيوخ الصوفية أنبياء باسم الوَلاية !! . لكن النتيجة واحدة، هي: نقض ختم النبوة، وتجاوز الكتاب والسنة وتعطيلهما ، ووجود أنبياء آخرين بعد خاتم الأنبياء محمد - عليه الصلاة والسلام- . وبذلك فعلى الإسلام السلام ، فقد اغتالته الإمامية والصوفية **!!**. وهذه النتيجة حتمية سواء أقر بها هؤلاء أو أنكروها، وسواء أوّلوها أو لم يُؤّلوها، فلن يستطيعوا رفعها، ولا إبعادها ، ولا حجبها **!!** . وبما أن الله تعالى تكفل بحفظ دينه وكتابه، فإن اغتيال هؤلاء للإسلام قد فشل وانقلب ضدهم ، فاغتالوا أنفسهم وضلوا وأضلوا **!!** .

والمقارنة الخامسة: تتضمن تلخيصا مقارنا للتشابه بين التصوف والتشيع الإمامي وموجباته. فأقول: لا تصوف ولا تشيع بلا تقية. ولا تصوف ولا تشيع بلا اختلاق للروايات الحديثية والتاريخية . ولا تصوف ولا تشيع بلا استخدام للتأويل الفاسد. ولا تصوف ولا تشيع دون تحريف للنصوص الشرعية. ولا تصوف ولا تشيع دون نقض لختم النبوة. ولا تصوف ولا تشيع دون إهمال لمنهج نقد الأخبار. ولا تصوف ولا تشيع دون تعطيل لدين الإسلام وهدمه .،ولا تصوف ولا تشيع دون استبعاد للقرآن الكريم والطعن فيه والتعالي عليه .

والمقارنة السادسة: تتعلق بالتشابه في مسلك التأصيل للعقائد عند الصوفية والإمامية والمعتزلة والخوارج، فكل منهم جعل الشرع وراء ظهره أولا[2009]. ثم الاعتماد على آرائهم وأهوائهم ومصالحهم ثانيا. ثم استخدام الروايات الضعيفة والمختلقة لتأصيل أفكارهم والانتصار لها ثالثا. ثم الانتقاء من الشرع ما يُوافقهم من النصوص وإغفال الباقي رابعا. ثم التسلط على الوحي الصحيح بالتأويل التحريفي ليتفق مع أهوائهم ومروياتهم خامسا[2010].

[2008] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 .
[2009] مع الاختلاف في درجة ذلك، حسب طبيعة الانحراف ودرجته .
[2010] ما ذكرته عن مسالك هؤلاء تشهد عليه عقائدهم وآراؤهم أولا، وما تبيّن لي من دراستي لمذاهبهم في كتابي عن الصوفية، وكتب أخرى ، منها: جناية المعتزلة الشرع والعقل. وتناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام . وبحوث حول الخلافة والفتنة الكبرى . و مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه.

علما بأن المنهج الصحيح في التعامل مع دين الله تعالى مخالف لمسلك هؤلاء تماما. وتتمثل خطواته كالآتي: أولا عدم التقدم على الشرع ، ولا مزاحمته ، ولا التساوي معه . وثانيا يجب أن يكون التلقي من الوحي بدون خلفيات مذهبية مُسبقة تفرض نفسها عليه ، فإذا وُجدت يجب إبعادها. وثالثا يجب أن يكون التلقي بعلم صحيح ، فلا يكون بجهل ولا بأهواء ولا بآراء فاسدة. ورابعا يجب أن نأخذ من الوحي ما يُعطيه هو لنا ، بمعنى هو الذي يُعطينا مفاهيمه ويصوغها لنا ، ولسنا نحن الذين نفرض عليه فهمنا وآراءنا.وخامسا يجب أن نحرص على تفسير القرآن بالقرآن ، ثم بالسنة الصحيحة الموافقة له، ثم بما أجمع عليه الصحابة، ثم ببدائه العقول وصريحها، ثم بحقائق العلوم وصحيحها.

والمقارنة السابعة : إن من الخصائص التي تجمع بين التصوف والاعتزال والتشيع الإمامي أن كلا منها يمثل بنفسه دينا علمانيا. لأن كلا منها خالف الشرع وأبعده وتقدم عليه وشرّع لنفسه. فالتصوف سبق أن بينا كيف عطل الشرع وهدمه وعوّضه بشريعته. والاعتزال تقدم على الوحي وعطل جانبا كبيرا منه بدعوى تقديم العقل على الشرع، فأصبح يعترض عليه، ويشرّع لنفسه حسب العقل المعتزلي لا حسب شريعة الله تعالى[2011]. وأما التشيع الإمامي فهو لما خالف الشرع في موقفه من الخلافة، وقال بتعرض القرآن الكريم للتحريف، وكفّر الصحابة ، فإنه بذلك قد خالف دين الإسلام وجاء بتشريع بشري جديد باسم الإمامة والأئمة[2012]. فكل هؤلاء ترك الوحي الإلهي وتقدم عليه وجاء بتشريع من عنده ونسبه إلى الإسلام، وهذه هي العلمانية المتسترة بالإسلام **!!** .

والمقارنة الثامنة: تتعلق بالتشابه العام في مسلك الانحراف بين الصوفية والإمامية والمعتزلة: فالصوفية باسم الحب الإلهي والاهتمام بالقلب أفسدوا الشرع والعقل والقلب والعلم، فضلوا وأضلوا. والشيعة بدعوى إمامة علي وآله حرفوا الشرع وطعنوا في القرآن وكفروا الصحابة، واختلقوا الروايات،[2013] وأفسدوا العقول والقلوب ، فضلوا وأضلوا. والمعتزلة باسم العقل والفكر قدموا عقولهم على الله ورسوله ، وبهما نفوا الصفات الإلهية ، وأفسدوا الشرع والعقل والقلب والعلم ، فضلوا وأضلوا.

[2011] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: جناية المعتزلة على العقل والشرع ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .
[2012] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 .
[2013] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 .

والمقارمــة التاسـعة: موضـوعها التشـابه فيمـا عنـد الفـرق الضـالة مـن الأحاديث النبويـة الخاصـة بهـا : يتمثل ذلك فـي أن كل طائفـة من طوائف أهل الأهـواء إلا واختصت بأحاديث مكذوبـة لا توجد إلا عنـدها ،اختلقتهـا تأسيسا لمذهبها وانتصارا له . فالصوفية انفردوا بأحاديث تتعلق بأهل الصُفة وحكاية الكشف وعلم الباطن كما بينـاه سـابقا. والمعتزلـة اختصـوا بأحاديث تمدح الاعتزال وعلم الكلام[2014]. والشيعة الإماميـة اختصـوا بأحاديث تخدم مذهبهم تتعلق بخرافة إمامة علي وأبنائه وصفات أئمتهم الخارقـة[2015]. وهذا يعنـي أن كـل تلـك الفـرق لمـا انحرفـت عـن القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة الصـحيحة الموافقـة لـه اختلقـت أحاديـث كـذبت بهـا علـى الشـرع وحرفتـه انتصارا لمذهبها. فأصبحت لكل طائفة أحاديثها الضعيفة والمكذوبة الخاصة بها.

والمقارنة العاشرة : تتعلق بأساسيات التشابه والاختلاف الموجود بين الصـوفية والمتكلمـين والفلاسـفة والشـيعة الإماميـة وإغـواء الشـيطان لهـم: فالصـوفية انحرفـوا عن الشـرع بـدعوى التصـوف ، فتسلط علـيهم الشيطان بإثارة عواطفهم وإغراقهم في التلبيسات والهلوسات والأحوال الغريبـة من جهة، ثم صـرفهم عن الـوحي الصـحيح والعقل الصـريح والعلم الصـحيح ، وأغرقهم في الفكر الخرافي من جهة ثانية. والمتكلمون والفلاسفة انحرفوا عن الشرع بدعوى الفكر والعقل والعقلانيـة، فتسلط علـيهم الشـيطان بإثـارة الشكوك والشبهات ، وكثرة الجدل والسفسطة من ناحية، وإضعاف التزامهم بالشـرع و يقينـهم القلبـي ومشـاعرهم الوجدانيـة مـن ناحيـة أخـرى. والشـيعة الإماميـة لمـا انحرفـوا عن الشـرع بـدعوى إمامـة علـي وأبنائـه تسلط علـيهم الشيطان وأوصلهم إلى القول بتعرض القرآن للتحريف، وتكفير الصـحابة واختلاق الروايـات، فأبعدهم عن الشـرع الصـحيح ، وحـرمهم مـن اليقين ، وأغرقهم في التناقضات التي لا مخرج منها، إلا بترك دينهم .

والمقارنة الأخيرة- الحاديـة عشرة- : هـي للفقيـه المُتكلم أبـي الوفـاء بـن عقيـل البغـدادي الحنبلـي(ت 513هـ) قـارن فيهـا بـين المتكلمـين والصـوفية. ومضـمونها أن المتكلمين يفسـدون عقائـد النـاس ،بتوهيمـات شـبهات العقـول

[2014] انظر مثلا: خالد كبير علال: جناية المعتزلة على العقل والشرع ، ص: 175 وما بعدها.

[2015] انظر مثلا: : الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 185، 186، 285 ، ج 2 ص: 51 ، ج 6 ص: 215. و تفسير العياشي ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج 1 ص : 30 . وخالد كبير علال: تناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام، والكتاب منشور إلكترونيا .

،والصوفية يفسدون الأعمال ،و يهدمون قوانين الأديان ،و يحبون البطالات وسماع الأصوات . وهذا مخالف لما كان عليه السلف الصالح ،فقد كانوا في العقائد عبيد تسليم ،وفي الأعمال أرباب جد[2016]. والمتكلمون أفضل من الصوفية لأنهم يزيلون الشك ، لكن الصوفية يُوهمون التشبيه في مجال الصفات[2017]. وحسب ابن تيمية أن ابن عقيل فضّل المتكلمين لغلبة علم الكلام عليه ،لأن من طغى عليه النظر العقلي كان ذمه لمنحرفة العُباد ،أكثر من ذمه لمنحرفة المتكلمين[2018]. والحقيقة أن كلا من منحرفي العُباد والمتكلمين والفلاسفة ينتهي بهم الأمر إلى الشك والحيرة والقلق والاضطراب وإن اختلفت درجة ذلك حسب أحوالهم وظروفهم. قال تعالى:((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج: 53))، و((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)(طه: 124)).

وإنهاءً لهذا المبحث أذكر هنا فائدتين هامتين: الأولى مفادها أن التصوف في صميمه لم يقم على الشرع أصلا ولا فرعا ولا غاية، وإنما قام على فكره المخالف للشرع منطلقا وتطبيقا وآثارا. فمثّل بذلك شجرة الضلال وثمارها الظلامية، والتي ينطبق عليها قوله تعالى: ((وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)(إبراهيم : 26)). ولم يُمثل أبدا شجرة الإيمان الزكية وثمارها النورانية ، التي وصفها الله تعالى بقوله :((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(ابراهيم: 24-25)).

والثانية مضمونها أن نشأة الصوفية لم تكن على أيدي علماء ، أو جماعة ملتزمة بالشرع عن وعي وفهم كامل وصحيح للدين ، ولا كانت تحمل مشروعا إسلاميا لإحياء الإسلام في نفوس المسلمين ديناً ودولة ، بعدما اغتاله طلاب الدنيا. وإنما كانت نشأة فردية تبحث عن الراحة النفسية والإيمانية لأصحابها ، ثم تجمع أصحابها، من دون حرص ولا اهتمام

[2016] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص: 416.

[2017] نفس المصدر ص :417.

[2018] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل، ج 4 ص :136 ، 137.

لتكون نشأة الصوفية شرعية صحيحة شاملة تجمع بين الدنيا والآخرة، وتفهم الإسلام فهما شموليا ، ولا كانت تعمل على أن تكون سلوكياتها منضبطة بدين الإسلام.

ثانيا: أسئلة وإجابات:

نتطرق في هذا المبحث إلى الأسباب التي أدت بالتصوف وأهله إلى الانحراف عن الشرع والعقل والعلم من جهة ، وإلى كثرة أخطائه ومنكراته من جهة أخرى؛ نتناولها بصيغة سؤال وجواب وبالله التوفيق .

أولا فبالنسبة للأسئلة، أولها: لماذا التصوف مخالف لدين الإسلام ومُعطل وهادم له ؟؟.

إن السبب الأساسي الوحيد في ذلك هو أن التصوف نشأ منذ بدايته مخالفا للشرع أصولا وفروعا وغاية كما بيناه سابقا. فماذا ننتظر منه ؟؟. فمن الضروري أن يكون التصوف مخالفا له وحربا عليه ومعطلا له. فالجواب واضح لا يحتاج إلى أكثر مما قلناه .

ولذلك فإن سبب انحراف التصوف ومخالفته للوحي والعقل والعلم لا يعود إلى أخطاء في تطبيق التصوف، وإنما يعود إلى التصوف نفسه. فهو فاسد وباطل من داخله منطلقا ووسيلة وغاية كما بيناه . ولهذا فالتصوف لا يُمكن إصلاحه وتقويمه من داخله ولا من خارجه ، وإنما لا بد من هدمه والتخلي عنه ، لأن الذي يُهدم الوحي والعقل والعلم هو الذي يجب أن يُهدم ويُعدم .

والسؤال الثاني: لماذا نشأ التصوف نشأة مخالفة لدين الإسلام ومُعطلة له؟ .

إن مرد ذلك إلى ثلاثة أسباب : الأول يرجع إلى الصوفية أنفسهم الذين أسسوا للتصوف، فالظاهر من أحوالهم أن همهم الأساسي من تصوفهم كان البحث عن الطُمأنينة الوجدانية والإيمانية، بسبب ما كانوا فيه من جفاف روحي وقلق نفسي، فطلبوا الراحة النفسية والحب الإلهي بأي طريقة كانت ومن دون اهتمام بتصحيح منهج الطلب. فكانت أحوالهم ورغباتهم هي المنطلق الأول لتحقيق مبتغاهم .

والسبب الثاني: عدم حرص هؤلاء الصوفية على الالتزام بالوحي الصحيح ، والعقل الصريح والعلم الصحيح لضبط أحوالهم ومنهجهم. وهذا

السبب والذي قبله هما اللذان مهدا للسبب الثالث ويتمثل في دور الشيطان في التلبيس عليهم والوسوسة لهم، والاحتيال عليهم ، والتزيين لهم ، ثم بعد ذلك استحوذ عليهم ، في غياب السببين الأول والثاني أو ضعف تأثيرهما. فتمكن منهم الشيطان وساقهم إلى الديانة العرفانية- الإشراقية- والمعروفة أيضا بالرهبانية. فنقلهم من دين الإسلام إلى دين الرهبانية !!. وقد ظهر تأثيره فيهم بوضوح منذ البداية، عندما أسسوا للتصوف بمخالفة الشرع واستمروا على مخالفته في الفروع والغايات حتى انتهى بهم إلى الكفر بالله ودينه ورسله عندما أوصلهم إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود. وما كان للشيطان أن يستطيع أن يفعل فيهم ذلك لو كانوا ملتزمين بالوحي الصحيح، والعقل الصريح والعلم الصحيح . قال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج: 53)). و((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)(العنكبوت: 38)).و((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)(36- 37)).

السؤال الثالث: لماذا لم يحرص الصوفية على طلب الأخبار الصحيحة، ولا حققوا الروايات التاريخية والحديثية ؟؟.

وأقول: يجب أن نعلم أن الانحراف في المنطلق والأساس في أي دين ، أو مذهب ، لا يتوقف عند الأصول وإنما يستمر مع المكونات والغايات وتتأثر به الكليات والجزئيات. وهذا الذي حدث للتصوف وينطبق عليه أيضا ، فبما أن أصول التصوف كانت مخالفة للشرع والعقل والعلم ،فلا شك أن تعامل الصوفية مع المرويات الحديثية والتاريخية ستكون غير علمية غالبا. لأنهم عندما يطلبون الأخبار الصحيحة أو يحققونها طلبا للصحيح فالغالب أنها ستخالف تصوفهم الذي هو نفسه فاسد ومخالف للشرع والعقل والعلم **!!** . وهذا ليس في صالحهم ولا لتصوفهم ، وليس أمامهم إلا طريقان: إما طلب صحيح الأخبار ، وهذا يُهدم التصوف ويُرجع الصوفية إلى الصراط المستقيم ؛ وإما إهمال تحقيق الأخبار وعدم طلب صحيحها إلا إذا كانت في صالحهم من أجل التصوف. فاختاروا الطريق الثاني، وأقبلوا على الأخبار الضعيفة، واختلاق المرويات تأسيسا للتصوف وانتصارا له، فضلوا وأضلوا **!!** .

وبذلك يتبين أن عدم حرص الصوفية على طلب الأخبار الصحيحة، ولا تحقيق الروايات لتمييز صحيحها من سقيمها يرجع أساسا إلى سببين أساسيين: الأول إن عدم القيام بذلك هو من ضروريات التصوف ، واستمرار لمنهجه في موقفه من حقائق الشرع والعقل والعلم. والثاني هو أن الصوفية اكتشفوا أن طلب الأخبار الصحيحة ليست في صالح التصوف ولا الصوفية، فأهملوها وعوضوها بالروايات الضعيفة والمكذوبة التي تتفق مع التصوف. وهذا ليس من باب التبرير لفعلهم والاعتذار لهم ،وإنما هو من باب البيان والكشف ، وإلا فإن فعلهم هذا باطل قطعا، وليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم، وإنما هو فعل أهل الأهواء ومرضى القلوب .

والسؤال الرابع: لماذا أصر الصوفية على التمسك بالتصوف رغم مخالفته للشرع و هدمه له ولعقل والعلم ؟؟.

أقول: إن مرد ذلك إلى سببين رئيسيين: الأول يرجع إلى طبيعة التصوف بذاته، فبما أن نشأته ومقوماته كانت مخالفة للوحي والعقل والعلم غالبا، فإن هذا أورث في الصوفية نفورا من علوم الشرع والعقل والعلم، وعدم الاحتكام إليها غالبا. وبما أن قلوبهم ونفوسهم مملوءة بالتصوف ، فلم يكن معظمهم قادرا على نقد التصوف من جهة قدراته العلمية، ولا كان يمتلك الشجاعة الأدبية على القيام بذلك .

والسبب الثاني: هو أن الصوفية كانوا مُخدرين نفسيا ووجدانيا ، وفيهم قلق واضطراب وحيرة من جهة؛ وفيهم تعالم وتكبر،وغرور ورعونة نفس من جهة ثانية، والشيطان قد استحوذ عليهم ،وزين لهم أعمالهم، ولبس عليهم أحوالهم من جهة ثالثة. فأورثهم ذلك أوهاما وهلوسات ، وأفسد عقولهم وتفكيرهم، وأدخلهم في عوالم لا حقيقة لها كخرافة وحدة الوجود. ومن هذا حاله لا يتراجع عن التصوف غالبا. فالقوم من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر: 72))، و((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)(الزخرف: 36)) ، و((الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)(الكهف: 104)). و((يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً)(النساء : 120)).

والسؤال الخامس: لماذا أخفى معظم الصوفية حقيقة تصوفهم ، وعبروا عنه بالإشارات المُبهمة دون العبارات الواضحة **؟!** .

أقول: إنهم أخفوا حقيقة التصوف لأنه مُخالف لدين الإسلام ومُعطل له ، وهادم له في النهاية. هذا فضلا على أنه مخالف أيضا للعقل والعلم. وأما إذا قيل: لا ، إنهم كما قال القشيري : أخفوا تصوفهم لأنه لو صار إلى الشرح والعبارة خفي وذهب رونقه[2019]. فأقول: تبريره هذا لا يصح، وهو من التقية لأن الكلام المُلغز هو الذي يصعب فهمه ويلتبس معناه فتقل الاستفادة منه، وقد يكون سببا في ضلال الناس. والدليل على عدم صحة تبريره ، وأن الصوفية لغزوا كلامهم تقية وتلبيسا على المسلمين وإخفاء للتصوف الشواهد الآتية:
أولها إن كثيرا من شيوخ الصوفية سبق أن أوردنا أقوالهم اعترفوا أن تصوفهم هو كفر وزندقة. والثاني إن بعض كبار الصوفية قد عبروا عن حقيقة التصوف ولم يخفوها كما فعل الحلاج وابن عربي، وابن سبعين ، وأظهروا صراحة قولهم بكفرية وحدة الوجود. والثالث: سبق أن بينا في كتابنا هذا أن التصوف مخالف للشرع أصولا وفروعا وغاية. والشاهد الأخير- الرابع- إنه لا يُوجد مبرر صحيح لإخفاء هؤلاء لحقيقة تصوفهم إلا أنه مخالف للشرع، لأنه لو كان موافقا له لما أخفوه ، بل لأظهروه ليُبينوا للناس أن تصوفهم من الإسلام وغير مخالف له. وبما أنهم أخفوه فهذا دليل على أنه مخالف له .

والسؤال السادس: لماذا ذم الصوفية الدنيا والآخرة ، حتى أن عبد القادر الجيلاني قال : ((يا غلام، اقرن بين الدنيا والآخرة، واجعلهما في موضع واحد، وانفرد بمولاك عز وجل عرياناً من حيث قلبك، بلا دنيا ولا آخرة ... يا غلام، لا تكن مع النفس ولا مع الهوى، ولا مع الدنيا، ولا مع الآخرة، ولا تتابع سوى الحق عز وجل))[2020].

وأقول**:** السبب الأساسي في ذلك هو أن الصوفية ذموا الآخرة وطالبيها لأن الآخرة- المعاد الأخروي- ليست من الدين الصوفي، فلا معاد أخروي فيه. وذموا الدنيا لأنها عندهم هي الحجاب الذي يمنعهم من الوصول إلى

[2019] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 51 .
[2020] عبد القادر الجيلاني: الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ص: 14، 15 .

المعـاد الصـوفي المتمثـل فـي بلـوغهم مقـام وحـدة الوجـود ، فهـي جنـتهم ومعادهم الأبدي، وفيها يصبح الصوفية أربابا وآلهة حسب زعمهم !! .

والسؤال السابع: ما هـي أسباب كثرة أخطـاء التصوف وانحرافاتـه في مواقفه من ممارسات الطريق الصوفي، وفـي نظرتـه إلـى حاجيات الإنسان وغرائزه، وفي موقفه من مصادر العلم ؟.

وأقول: تلك الانحرافات والأخطـاء الشرعية والتاريخيـة والعلميـة هـي نتيجة ضرورية لفساد أصول التصوف، فبما أنه بينا أنـه نشأ بعيدا ومخالفا للشرع والعقل والعلم من جهة، وأن أهواء الصـوفية وهلوسـاتهم وتلبيسـاتهم هـي التـي أسسـته مـن جهـة ثانيـة ، فمـن الضـروري أن تظهـر فيـه تلـك الانحرافات والأخطاء وغيرها من المنكرات والمخالفات.

السؤال الثامن: ما هي أسباب كثرة تناقضات التصوف وأهله كـالتي سبق أن ذكرناها ؟ .

أقول: إن السبب الأساسـي فـي كثرة تناقضـات الصـوفية هو أنهم كـانوا يؤمنون بـالدين الصوفي ويتظاهرون بالإسلام. فأوقعهم هذا فـي تناقضـات لا حد لهـا، فعنـدما كـانوا يُظهـرون التصـوف وينتصـرون لـه يتناقضـون مـع الإسلام وما عليه مجتمعهم. وعندما يتظـاهرون بالإسلام يتناقضون داخليا مع دينهم وخارجيا مـع سلوكياتهم الصوفية التـي أظهروهـا من قبل. فـالقوم كانوا في تناقضات دائمة ولا تتوقف غالبا ، بسبب اعتقادهم بالدين الصـوفي وتظاهرهم بدين الإسلام تسترا به.

والسؤال التاسع: مـا هـو سـبب حـرص الصـوفية علـى مخالفـة الإسـلام وتحريفه وتعطيله ثم هدمه ، مع تظاهرهم به ؟ .

أقول: إن السـبب الأساسـي فـي ذلـك هـو أن القـوم كـانوا يعتقـدون بـالدين الصـوفي باطنيا ويتظاهرون بدين الإسلام ظاهريا. فكان همهم هو التأسيس للتصوف والدفاع عنه ، والانتصار له، ولم يكن همهم الالتزام بالإسلام ولا جعله ميزانا لتصـوفهم . وبمـا أن هذا حـالهم فأصبح مـن الضـروري عنـدهم الحرص على مخالفة الإسلام أولا، ثم تعطيله ثانيا، ثم هدمه في النهاية ثالثـا ، لإحلال التصوف محله مع الحـرص الشـديد علـى ممارسـة التقيـة والتسـتر بالإسـلام أثنـاء تطبيـق خطـتهم لكـي لا ينكشـف أمـرهم و يتصـدى لهـم المسلمون.

السؤال الأخير- العاشر -: لماذا كان التصوف هادما للدين والدنيا وللعقل والعلم؟ .

إن السبب الأساسي هو أن التصوف بما أنه يمثل بنفسه دينا قائما بذاته ومقوماته ، وبما أنه سبق أن بينا أنه مخالف للشرع والعقل والعلم بأصوله وفروعه وغاياته، فلا بد أن يكون هادما للدين والعقل والعلم.

ومن جهة أخرى فالتصوف ليس هدفه عبادة الله والالتزام بدينه والدعوة إليه، ولا عمارة الأرض ،ولا اكتشاف سنن الكون وتشييد العلوم والحضارة الإنسانية؛ وإنما غايته الأساسية والوحيدة هي التحقق بخرافة وحدة الوجود- الفناء في الله- ، وفيها يصبح الصوفية أربابا وآلهة. فالكون هو الله ، والله هو الكون، والصوفي هو الله وهو الكون حسب زعمهم. وهذه الخرافة- التي يعتقدون بها- هي من دون شك تدمير وهدم للدين والدنيا، وللعقل والعلم .

ثالثا: اعتراضات وتساؤلات:

نُفرد هذا المبحث لطائفة متنوعة من الاعتراضات والتساؤلات التي قد يعترض بها علينا كثير من أهل العلم على ما قلناه في كتابنا هذا. وسنرد عليها بأدلة الشرع والعقل والعلم بحسب فهمنا وقدراتنا وبالله التوفيق .

فبالنسبة للاعتراضات ، فأولها : ربما ينتقدنا بعض أهل العلم في نقدنا لموقف الصوفية في إهمالهم نقد الأخبار ، بدعوى أن القوم كان لهم موقف من ذلك وله ما يُبرره ، لذا لا يصح انتقادهم في ذلك ، وقد بينه أبو طالب المكي بقوله: ((باب تفضيل الأخبار وبيان طريق الإرشاد وذكر الرخصة والسعة في النقل: والرواية جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من الأخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم عن الصحابة وعن التابعين وتابعيهم، رسمناه حفظاً وسقناه على المعنى إلا يسيراً اتفق وجوده في أيدينا وقرب تناوله منا من أخبار فيها طول. فإنا نقلناها من مواضعها وما بَعد علينا فلم نفقه ولم نشغل همتنا به. فما كان فيه من صواب وبيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه وقوّة تأييده، وما كان فيه من خطأ وعجلة وهوى، فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان))[2021].

[2021] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 245 .

وأقول: أولا إن كلامه هذا مقبول فيما يتعلق بالانتقادات التي وجهناها للروايات المؤسسة للتصوف . لأن تلك الروايات منها ما هو مروي عن النبي-عليه الصلاة والسلام- وهذا لا يصح التهاون فيه أبدا ، ولا يصح نسبة حديث إليه من دون تثبت لأن حديثه دين، والدين يجب أن يقوم على اليقين أو على الصحيح، ولا يصح رفع حديث إليه لم نتأكد من صحته . ومن يفعل ذلك فهو يتعمد الافتراء عليه سواء تعمد ذلك أو لم يتعمده . ومنها ما هو مروي عن الأنبياء السابقين ، وهذا أيضا يجب تحقيقه وتمحيصه قبل الأخذ به ، لأنه إذا لم نتثبت من ذلك نكون قد افترينا عليهم، وبنينا مواقفنا على روايات لم تثبت صحتها. ونفس الأمر ينطبق على أقوال الصحابة و غيرهم من الأعيان والعلماء.

وثانيا إن معظم المرويات التي اختص بها الصوفية كانت من دون تحقيق وضعيفة أيضا، أسسوا بها تصوفهم وهذا لا يصح ومرفوض أيضا، لأنها هي دين عندهم عليها تقوم أفكارهم وسلوكياتهم . ولهذا لا يصح التهاون في روايتها والأخذ بها ، وإنما يجب الحرص على تحقيقها وتمحيصها. وعليه فما ذكره الرجل غير مقبول.

وثالثا إن العقل يقول: كل من يطلب الحقيقة التاريخية يجب عليه أن يُحقق الأخبار قبل الأخذ بها لأن الثابت أن التاريخ الغالب عليه أنه مُكوّن من روايات الآحاد ، والضعيف من الأخبار ، لأنه تاريخ لعبت به الأهواء والعصبيات لغايات في نفوس مدونيه . ولهذا لا يصح القول بوجود رخصة وسعة في النقل فهذا تبرير مرفوض لأن الحقيقة التاريخية لا تتغير ،ويجب البحث عنها بنقد وتمحيص وغربلة قبل الأخذ بها . ولا يصح الاعتراض بدعوى أن التساهل له ما يُبرره في الأمور التاريخية غير المهمة. إنه لا يصح لأن الحقيقة فوق هذا التبرير ، وهو تبرير نسبي ، فقد تكون حادثة ما غير مهمة عند إنسان هي مهمة جدا عند آخر. وقد تكون غير ذات أهمية في زمان ومكان معينين ، لكنها قد تكون هامة جدا في زمان ومكان آخرين . ولهذا فمن يطلب الحقيقة التاريخية عليه أن لا يتهاون في طلبها، ويجب أن يحرص ويتشدد في النقد والتمحيص للوصول إليها.

وإذا قيل : إنه توجد أخبار تتضمن متونا مفيدة، ولا يضر عدم تحقيقها ، وتحقيقها ليس ضروريا،و لا يضيف إلى الموضوع أهمية. فأقول: نعم هذا كلام صحيح ينطبق على أكثر الحِكَم والأمثال ، والصواب في هذا الأمر هو

أن تُروى هذه المقولات من دون نسبتها إلى أصحباها ، فيُنتفع بها من دون ذكر قائلها. لأن الهدف منها هنا هو الاستفادة لا معرفة قائلها ، فيقال مثلا: كما جاء في المثل، و كما رُوي في الأثر ، أو كما قال أحد الحكماء، أو كما تقول الحكمة. لكن هذا لا ينطبق على المتون الحديثية، ولا على التي هي مرتبطة بأصحابها . بل وحتى تلك الأمثال والحِكَم إذا تناولناها من جهة البحث عن مصادرها وقائليها ، والظروف التي ظهرت فيها ، والعوامل المؤثرة في ظهورها ، فإنها هنا يجب تحقيقها وتمحيصها لمعرفة ذلك .

وبناءً على ما ذكرناه فإنه يتبين أن الأصل في التعامل مع الروايات الحديثية والتاريخية هو النقد والتمحيص لتمييز صحيحها من سقيمها ، ولا يصح التساهل في ذلك ، والاستثناء الذي ذكرناه يجب أن يبقى استثناء ومحكوما بظروفه، ولا يصح ان يصبح أصلا ولا فرعا .

علما بأن الصوفية لم يترخصوا في مروياتهم من جهة الرواية بالمعنى دون اللفظ ، وإنما ترخصوا وأهملوا تحقيقها من جهة أصلها وصحتها رغم انهم اتخذوها دينا لهم وأسسوا بها للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته .

وأما إذا قيل إن الرجل قال أيضا : ((وفي بعض ما رويناه مراسيل ومقاطع ،ومنها ما في سنده مقال ،وربما كان المقطوع والمرسل أصحّ من بعض المسند إذ رواه الأئمة .وجار لنا رسم ذلك لمعان: أحدها أنا لسنا على يقين من باطلها .والثاني إن معنا حجة بذلك ،وهو روايتنا له وأنا قد سمعنا فإن أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا... والثالث إن الأخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنّة لا يلزمنا ردّها بل فيهما ما يدل عليها. والرابع أنّا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء. والخامس أنه لا يُتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن إليه قلوبنا وتلين له أبشارنا ونرى أنه حق كما جاء في الخبر .وأيضاً فإنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا على التابعين، فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا .على أنه قد جاءت أحاديثاً ضعاف بأسانيد صِحاح. فكذلك يصلح أن نورد أحاديث صحاحاً بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روي من وجه صحيح إذ لم نحطّ بجملة العلم ،أو لأن بعض من يضعفه أهل الحديث يقوّيه بعضهم،

وبعض من يجرحه ويذمه أحد يعدّ له ويمدحه آخر، فصار مختلفاً فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله ،أو لأن بعض ما يضعف به رواة الحديث وتعلل به أحاديثهم لا يكون تعليلاً ولا جرحاً عند الفقهاء ،ولا عند العلماء بالله تعالى. مثل أن يكون الراوي مجهولاً لإيثاره الخمول، وقد ندب إليه ،أو لقلة الأتباع له إذ لم يقم لهم الأثرة عنه، أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه ،أو خصّ به دون غيره من الثقات ...))[2022].

و((قال الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - : كان يزيد بن هارون يكتب عن الرجل وهو يعلم أنه ضعيف. وكان له ذكاء وعلم بالحديث. وقال إسحاق بن راهويه: قيل للإمام أحمد بن حنبل: هذه الفوائد التي فيها المناكير ترى أن نكتب الجيد منها، فقال: المنكر أبداً منكر قيل له: فالضعفاء؟ قال: قد يُحتاج إليه في وقت ،كأنه لم يرَ بالكتابة عنهم بأساً. وقال أبو بكر المروزي عنه: إن الحديث عن الضعفاء قد يحتاج إليه ،ومما يدلك على مذهبه في التوسعة أنه أخرج حديثه كله في المسند المأثور عنه الذي رويناه عن أشياخنا عن ابنه عبد الله عنه، ولم يعتبر الصحيح منه وفيه أحاديث كثيرة يعلم الثقات أنها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم، ثم أدخلها في مسنده لأنه أراد تخريج المسند ولم يقصد تصحيح السند فاستجاز رواياتها كما سمعها))[2023].

وأقول: أولا إن قول الرجل في معظمه عليه لا له، وهو شاهد دامغ على صحة ما ذكرناه عن إهمال الصوفية تحقيق الروايات من جهة، وأخذهم بها وتأسيس تصوفهم عليها من جهة أخرى . فالرجل كان على علم أن رواياته لم تثبت صحتها ، وأنها من المنقطع والمرسل و المشكوك فيه . لكنه مع ذلك اعتمد عليها و ترخص في الأخذ بها، وهذا لا يصح ، كما سبق أن بيناه .فالأمر كان يتطلب منه تحقيق أخباره لا تبرير موقفه بكلام كان ضده. لأن طالب الحق يجب أن يحقق ويمحص ليصل إليه ، ومن أقام مذهبه، أو دينه ، أو فكره على الأخبار الظنية والضعيفة فلا شك أن الغالب عليها أنها غير صحيحة ،لأن ما بني على ضعيف فهو ضعيف ، ومشكوك فيه، ولا يمكن ان يكون يقينيا ولا صحيحا في معظم جوانبه.

[2022] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 247
[2023] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 248 .

وثانيا : إن الأخبار لا تُمحص، ولا تصبح صحيحة بالتمني والدعاء وإحسان الظن بالسلف، ولا بمدى انتشارها ، فكم من أباطيل كانت وما تزال منتشرة بين الناس وليست صحيحة ، وإنما تصح بالتحقيق والتثبت. ومنهج نقد الأخبار واحد يجمع بين نقد الأسانيد والمتون معا، ولا يصح إدخال منهج آخر لا يتفق معه يُستخدم لتحقيق الأخبار بدعوى المعرفة وعلم اليقين ، فهذا كلام لا يصح استخدامه في نقد الأخبار، ولا قيمة له هنا حتى وإن كان صحيحا، فما بالك وأن الأمر كله مزاعم ودعواى عريضة لا دليل صحيح يثبتها . قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات: 6)) ، وهذا الذي قام به كبار محققي الحديث الذين ضربوا أمثلة رائعة في الجمع والتحقيق و التثبت كالبخاري، ومسلم، وأحمد، ويحيى بن معين وغيرهم كثير .

وثالثا : لا يصح الأخذ بالأخبار لمجرد اننا لسنا على يقين ببطلانها ، لأن الخبر الذي هذا حاله يعني أنه خبر لم يثبت بطلانه ولا صحته ، فهو مشكوك فيه يحتمل الأمرين، وعليه فهو يبقى معلقا ولا يصح الأخذ به. والمنطق يقول: إذا دخل الاحتمال سقط الاستدلال . ولا يصح إقامة الدين والمذاهب على الظنيات ، فما بُني عليها فهو ظني ولا يُركن إليه ولا يعوّل عليه . ولهذا فلا يصح قوله : " والثاني أن معنا حجة بذلك وهو روايتنا له وأنا قد سمعنا فإن أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا". فلا يصح لأن الشرع أمرنا بالتحقق والتثبت في الشهادة وقبول الأخبار. و صح عن النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...))[2024]. ، وقال : ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين))[2025]. وهذا يتضمن أمرا بالحرص والتحقيق والتدقيق فيما نرويه عنه من جهة ، وخطأ من يرفع الأحاديث إليه من دون التأكد من صحتها من جهة أخرى . وعليه فلا يصح قبول الروايات الضعيفة والقول بأن ذلك ساقط علينا. فهذا يكون كذلك بعد بذل الجهد في التحقيق والتمحيص وليس قبله كما فعل الرجل الذي روى مرويات بلا تحقيق ، وكثير منها منقطع ومرسل، فهو ظاهر الضعف.بل إن هذا الفعل هو كذب متعمد على الله ورسوله والمؤمنين .

[2024] الألباني: السلسلة الصحيحة، ج 3 ص: 371، رقم: 1383 .
[2025] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 13 ، رقم: 39 .

وأما قوله : " والثالث أن الأخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنّة لا يلزمنا ردّها بل فيهما ما يدل عليها " . فهذا لا يصح ، لأن الضعيف غير المخالف للشرع لا يصح إلحاقه به، ولا التعبد به ، لأن الشرع لا يقوم إلا على اليقين أو الخبر الصحيح عن الله ورسوله . و هذا النوع إن تضمن أفكارا صحيحة فيمكن الانتفاع بها لكن لا يصح إلحاقه بالشرع ، ولا بأي جهة أخرى ، إلا من باب الظن والاحتمال حسب الظرف والحال، وقد سبق بيان هذا الأمر.

وفيما يخص قوله : ((والرابع أنّا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء)). فهذا لا يصح فيما يخص قبول الأخبار وتحقيقها ، لأن الدين من جهة أصله ووثاقته لا يقوم إلا على اليقين والصحيح من الأخبار، وهو نفسه أمرنا بالتثبت والتحقيق في التعامل مع الأخبار، ولم يأمرنا بحسن الظن في التعامل مع الروايات الضعيفة والمشبوهة . وبما أنه من الثابت قطعا أن رواياتنا الحديثية والتاريخية لعبت بها الأهواء والعصبيات في القرون الثلاثة الأولى ، وتفرغ لها رواة كثيرون لاختلاقها وتحريفها ، حتى تضخمت الروايات الضعيفة والمكذوبة ، وزادت عن الصحيحة بفارق كبير[2026]. ولهذا فإنه لا يصح أبدا قبول أية رواية لم يقم الدليل الصحيح على صحتها، ولا دَخل هنا لحسن الظن أصلا، ولا يصح إدخاله لأن مقامه ليس مكانه هنا. وحسن الظن ليس ميزانا لتحقيق الأخبار، ولا يصح إلحاقه بموازين تحقيقها. علماً بأنه ليس كل الظن ولا أكثره إثما وإنما بعضه فقط لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)(الحجرات: 12)). فالله تعالى أمرنا بتجنب كثيرا من الظن وليس أكثره، وبعضه هو الذي إثم عندما يكون في غير محله ، وهذا البعض عندما يكون في محله فهو ليس إثما وإنما مطلوبا لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات: 6))،و((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: 4)) . فسوء الظن مطلوب في مجال النقد والتحقيق للوصول إلى الحقيقة، وسوء الظن لا يعني بالضرورة الاتهام، فقد يكون من باب الحرص والاحتياط، من ذلك مثلا أن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- كان لا يقبل حديثا نبويا من صحابي

[2026] للوقوف على جانب من ذلك أنظر كتابنا : مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا.

حتى يستوثق بشهادة صحابي آخر[2027]. فسوء الظن مطلوب خاصة إذا كنا نتعامل مع مرويات الضعفاء وأهل الأهواء، فلا يصح أبدا التساهل معهم.

وبالنسبة لقوله : " والخامس أنه لا يتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن إليه قلوبنا وتلين له أبشارنا ونرى أنه حق كما جاء في الخبر. وأيضاً فإنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا على التابعين فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا " .فهذا تعليل ضعيف جدا ولا يصح ولا يقبل ، لأن الشرع أمرنا بأن نتثبت من صحة الأخبار الضعيفة والمشكوك فيها، وأن تستخدم عقولنا في التحقق منها[2028]، وهنا يجب علينا أن نستخدم كل الوسائل المادية والعقلية والعلمية للتأكد من ذلك. فإن لم نتمكن من المعاينة المباشرة نستخدم منهج نقد الخبر القائم على نقد الأسانيد والمتون معا، وهذا المنهج هو الوحيد القادر على تحقيق الأخبار ، ولا تستطيع تحقيقها الرغبات ولا التمنيات ولا حسن الظن، ولا المواجيد والأحوال.والدليل القطعي على صحة كلامنا هذا هو أن الصوفية لما أقاموا معظم تصوفهم على المرويات الضعيفة والموضوعة جاء مخالفا للشرع والعقل والعلم في كل مقوماته ، وتضمن أخطاء وانحرافات منهجية وسلوكية كثيرة جدا أشرنا إلى جانب منها فيما سبق. ولم تنفعهم في ذلك رغباتهم ولا تمنياتهم ولا مواجيدهم وأحوالهم الصوفية التي يفتخرون بها.

علماً بأن الذين كذبوا واختلقوا الروايات الحديثية والتاريخية ليسوا هم من سلفنا الصالح، وإنما هم من سلفنا الطالح كالسبئية ، والرافضة، والزنادقة وأمثالهم من أهل الأهواء والمصالح الدنيوية. فهؤلاء هم الذين تفننوا في اختلاق تلك الروايات وأدخلوها في تاريخنا ونشروها بين المسلمين، وقد رواها عنهم كثير من الصالحين من سلفنا الصالح الذين كانوا يمارسون التدليس والإرسال في رواية الأحاديث والمرويات الأخرى. حتى أن كثيرا من الصالحين كانوا ضعفاء في رواية الأحاديث النبوية، لتهاونهم ، وقلة علمهم[2029]. وبما أن الأمر هكذا فلا صح قبول أي حديث إلا بعد تحقيقه وثبوت صحته، ونفس الأمر ينطبق على الأخبار الأخرى ، لكن بدرجة أقل ، إلا إذا كان المقام يتطلب ذلك .

[2027] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب، الجزائر ، ص: 65 .

[2028] للتوسع في هذا الموضوع أنظر كتابنا: أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا.

[2029] أنظر مثلاً كتابنا: مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

ورابعا إن قوله : " على أنه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح فكذلك يصلح أن نورد أحاديث صحاحاً بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روي من وجه صحيح إذ لم نحطّ بجملة العلم أو لأن بعض من يضعفه أهل الحديث يقوّيه بعضهم ،وبعض من يجرحه ويذمه أحد يعدّ له ويمدحه آخر فصار مختلفاً فيه ...". فهو قول ضده لا له ، لأن تلك الحالات التي أشار إليها لا يثبتها ولا يحققها إلا التحقيق العلمي للخبر إسنادا ومتنا، ولا يمكن لحسن الظن ولا للرغبات أن تحل هذه الإشكالات التي هي من طبيعة منهج تحقيق الخبر من جهة، ولا يصح قبولها والاعتماد عليها وهي مُعلقة تحتمل الخطأ والصواب. وأما الرواة المجهولون فلا يصح قبول أخبارهم شرعا ولا عقلا ولا علما، لأن خبرهم يحتمل الصدق والكذب ، وليس عندنا ما يثبت لنا حالهم في التوثيق ولا في التعديل.وعليه فمن الصواب استبعادهم ومن الخطأ قبول مروياتهم خاصة إذا كانت تتلعق بالدين أو بقضايا إنسانية لها أهمية في الواقع .

وخامسا إن استشهاد الرجل بكلام أحمد ابن حنبل، وما عمله في مسنده فهو ضده وليس له . لأن أهل الحديث عندما رووا الروايات الضعيفة ودونوها في كتبهم دونوها أولا لأنهم كانوا في مرحلة الجمع والتدوين ، دونوها لتُعرف ولتُميز ولتُختبر ثانيا . لكنهم لم يدونوها للعمل بها ، فهذا لم يقله أحمد ولا غيره من نقاد أهل الحديث، فإنهم قد نصوا على أن العمل لا يكون إلا بالصحيح والحسن[2030] . وهذا لا يتحقق إلا بتحقيق الروايات وتمحيصها لتمييز صححها من سقيمها. علما بأن ذكر الإسناد لا يعني أن الخبر صحيح، وإنما هو أول خطوة في تحقيق الأسانيد، لأن عدم ذكره يحرمنا من التحقيق الإسنادي أصلا، ويصبح الخبر بلا أصل. بوجوده يُمارس التحقيق ، فقد يصح، وقد لا يصح . لكن الغالب على مرويات الصوفية رواية أخبارهم بلا أسانيد، أو روايتها منقطعة ومرسلة، والمتصل عندهم قليل بالمقارنة إلى غيره من المنقطع والمرسل، وغير المسند أصلا.

علما بأن الرجل قال كل ذلك ليس ليصحح خطأ الصوفية في إهمالهم تحقيق المرويات التي أسسوا عليها مذهبهم،والدعوة إلى الاعتماد على الصحيح، وإنما قال ذلك ليبرر خطأهم ويكرس منهجهم في تعاملهم مع الروايات الحديثية والتاريخية، مع أن الأمر كان يتطلب منه خلاف قوله.

[2030] محمود الطحان: تيسيير مصطلح الحديث، ص: 32 وما بعدها .

وهذا من أسباب انحراف القوم ومن جناياتهم على الشرع والعقل والعلم وعلى تصوفهم أيضا . فدافع عن خطأ بخطأ ،وعن انحراف بانحراف، وعن باطل بباطل ، وعن سلبية بسلبية. وهذا المنهج سار عله معظم الصوفيه في تعاملهم مع الروايات الحديثية والتاريخية.

علما بأن الصوفية قد ازدروا كل العلوم ، منها علم الحديث، ومنه منهج نقد الخبر ومقابل ذلك بالغوا في تعظيم التصوف بدعوى علم الباطن والكشف والحقيقة والمشاهدة حسب زعمهم . فإهمالهم للنقد التاريخي جاء بسبب ازدرائهم لعلوم الشرع والعقل والطبيعة ، ولأن تصوفهم ما كان له أن يقوم إلا بالروايات الضعيفة والمكذوبة، لأن التصوف أصلا كان ثورة على الشرع والعقل والعلم؛ ومن هذا حاله لا يُمكن ان يبحث عن الحقيقة التاريخية ولا الشرعية، ولا أن يستخدم منهج النقد التاريخي للوصول إليها.

علما بأن إهمال الصوفية لتحقيق الأحاديث النبوية واعتمادهم على الضعيف والموضوع هو تأسيس منهم لتصوفهم بغير ما أنزل الله ،وتشريع منهم لما يخالف شرعه تعالى، وابتعاد عنه ومنازعة له أيضا .فلا يحق للمسلم أن ينسب إلى الشرع ما ليس منه ، ولا أن يشرع لنفسه ، ولا أن يُنازع دين الله ، ولا أن يتقدم عليع، ولا أن يزاحمه ،ولا أن يتساوى معه.

والاعتراض الثاني: ربما يُقال: إن مؤلف هذا الكتاب لم يكن موضوعيا فيما قاله عن مرويات الصوفية ، لأنه ركز على الروايات الحديثية الضعيفة والموضوعة المؤسسة للتصوف، ولم يركز على الأحاديث الصحيحة التي أسست له ، فينوه بها ويُظهرها كشاهد على صحة التصوف.

وأقول: أولا سبق أن بينا أن الروايات الحديثية التي أسس بها الصوفية لأصول التصوف وفروعه وغاياته الأساسية هي إما أنها أحاديث ضعيفة أو موضوعة، وإما أنها أحاديث صحيحة مُؤوّلة تأويلات فاسدة لتتفق مع التصوف. وأما الأحاديث الصحيحة التي استخدمها الصوفية من دون تأويل فاسد لها فلم يكن لها أي دور في التأسيس للتصوف ومقوماته الأساسية، لأنها تخالفه ولا تتفق معه. لكنها اتخذت لها مكانا في هوامش التصوف وأطرافه . وهي من الإسلام وليست من التصوف، ولا يصح نسبته إليه، ولا فصلها عن الإسلام، وإنما الصوفية هم الذين أخذوه منه وألحقوها بالتصوف تقية وتسترا بالإسلام .

والاعتراض الثالث : ربما يقال: إن صاحب هذا الكتاب لم يعط للتصوف حقه في نصيبه من الإسلام ، ، بل جعله دينا قائما بذاته وهادما للإسلام ، مع أن كتب الصوفية مملوءة بأقوال الصوفية التي صرحت بانتمائهم إلى الإسلام ، ولهم فيها آيات وآحاديث كثيرة استشهدوا بها على تصوفهم. منها كتب الحارث المحاسبي، وكتاب عوارف المعارف للشهاب السهروردي، وإحياء علوم الدين للغزالي.

وأقول: سبق أن بينا أن أصول التصوف وفروعه وغاياته الأساسية مخالفة للشرع مخالفة صريحة، وأنها هادمة للإسلام ومدمرة له ولأهله.مما يعني بالضرورة أن التصوف يمثل بنفسه دينا بذاته ، سواءً نسبناه إلى الإسلام أم لا . ونحن لم نكذب على التصوف ولا حرفناه، ولا بخسناه حقه، فكل ما قلناه أيدناه بالأدلة الصحيحة والشواهد الدامغة. لكننا ذكرنا أن التصوف فيه جانب شرعي تضمن كثيرا من الآيات القرآنية والروايات الحديثية، منها قسم ساهم في التأسيس للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته ، وقسم آخر بقي في أطراف التصوف وهوامشه. والقسم الأول تضمن الروايات الضعيفة والموضوعة، والآيات والآحاديث الصحيحة المؤوّلة تأويلات فاسدة .والثاني تضمن النصوص الشرعية الصحيحة . فالتي لم تصح هي التي أسست للتصوف أصولا وفروعا، وغاية، والصحيحة ليست من التصوف وإنما هي من دين الإسلام ، ولا يصح للتصوف أن يفصلها عن دين الإسلام ، ويأخذها وينسبها إليه . فالصوفية أسسوا لدينهم بمروياتهم من جهة، وساهموا في تمزيق الإسلام ، وإخراجه من كماله وشموليته من جهة أخرى . فهم كالمعتزلة الذين أخذوا جانبا من الإسلام ، وبنوا عليه مذهبهم، وأهملوا جوانبه الأخرى ، ثم افسدوا الجانب الذي أخذوه منه بأصولهم الفاسدة. ونفس الأمر ينطبق على أهل الضلال والأهواء المنتسبين إلى الإسلام.

والاعتراض الرابع : ربما يقال: إنكم أنكرتم على الصوفية بأنهم أسسوا للتصوف بروايات اليهود والنصارى، وهذا ليس عيبا لأنه جاء في الحديث:((حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج)) [2031].

[2031] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج1 ص: 299 ، رقم: 3131 .

وأقول: أولا هذا الحديث يجب أن يُنظر إليه انطلاقا من الحديث الآخر ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ((آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا)(البقرة: 136))[2032]. وهذا يعني أن التحديث عنهم يجب أن يكون من طريق صحيح ، وإلا فلا نحدث عنهم. والطريق الصحيح إما أن يكون من حديث نبوي صحيح ، أو رواية تاريخية قام الدليل على صحتها من القرآن ، أو من العلم ،أو من التاريخ الصحيح ، أو من العقل. وإلا فلا نُحدّث عنهم لأن الحديث الثاني واضح في النهي عن التحديث عنهم ، لأنه إذا لم نكذبهم ولم نصدقهم فهذا يعني أننا لا نحدث عنهم .

وثانيا أنه قام الدليل الشرعي والعلمي[2033]. بأن كتب اليهود والنصارى تعرضت لتحريفات كثيرة ومتنوعة وعليه فلا يصح الوثوق فيها، الاحتجاج بها .

وثالثا لا يصح الاحتجاج بروايات اليهود والنصارى لأن دين الإسلام نسخ اليهودية والنصرانية وكل الأديان الأخرى، وعليه فلا يصح الاعتماد عليها ولا الأخذ بها، وإنما نأخذ من القرآن الكريم والسنة الصحيحة الموافقة له. لكن الصوفية أخذوا بها كما أخذوا بالروايات الحديثية الضعيفة والموضوعة.
ورابعا إنه سبق أن بينا أن كل روايات الصوفية من الإسرائيليات كانت منقطعة الأسانيد، ومعظم متونها غير صحيحة . وعليه فهي روايات غير صحيحة ولا يصح الأخذ بها شرعا ولا عقلا، سواء نُسبت إلى اليهود والنصارى ، أو إلى غيرهم من أهل الذمة، أو إلى الفرق الضالة من أهل القِبلة .

والاعتراض الخامس: ربما يُقال: لا يصح الحكم على رواة الصوفية والشيعة الإمامية بضعف مروياتهم بدعوى أنها ضعيفة من داخلها، مع أن الكذب وُجد في كل الطوائف، وما من جماعة إلا وظهر فيها رواة ضعفاء وكذابون.

[2032] البخاري: الصحيح ، ج 6 ص: 20 ، رقم: 4485 .

[2033] فمن الشرع قوله تعالى: ((فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ)(البقرة : 79))،و((وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(آل عمران : 78))، و((فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)(المائدة : 13)). وأما من العلم فقد بينت كثير من الدراسات الحديثة أن كتب اليهود والنصارى المقدسة قد تعرضت لكثير من التحريف ن وتضمنت أخطاء تاريخية وعلمية كثيرة. وللتوسع في هذا الموضوع أنظر مثلا: موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، دار المعارف، بيروت ، 1977.والكتاب متوفر إلككترونيا في الشبكة المعلوماتية .

وأقول: صحيح أن الكذب وُجد في كل الفرق ، وما من طائفة إلا وفيها رواة من الضعفاء والكذابين، لكن يجب أن نُفرق بين من يختلق الروايات ويتعمد الكذب عن اعتقاد وسبق إصرار وترصد بدعوى أن ما يفعله هو أمر محبوب ومطلوب شرعا انتصارا لدينه أو مذهبه الذي يأمره بذلك؛ وبين من يختلق الرواة خوفا من إنسان ، أو طمعا في دنيا، أو ضعفا أمام شهوة مع اعتقاده بأن الكذب حرام ، وأن ما يفعله لا يجوز وأن الله تعالى سيحاسبه ويُعاقبه على ما فعله. فالفرق أساسي وكبير بينهما ولا يصح التسوية بينهما. هذا هو حال رواة الصوفية والشيعة الإمامية الذين يقولون بالتقية على أنها من الدين، ويحثون على ممارستها وقد طبقوها تعبدا وعن سبق إصرا وترصد[2034] ؛ وأما حال رواة أهل السنة فهم لا يقولون بالتقية، ويُحرمون ممارستها. فكانت نتيجة ذلك أن الرواة الكذابين عند الصوفية والإمامية كان عددهم كبيرا، ومروياتهم المخالفة للقرآن والسنة الصحيحة كثيرة جدا، وعقائدهم مناقضة لدين الإسلام مناقضة صريحة. لكن هذا لم يحدث عند أهل السنة ، فعقائدهم ومروياتهم الصحيحة لا تناقض القرآن الكريم والسنة الصحيحة الموافقة له، ورواتهم من الضعفاء والكذابين عددهم قليل بالمقارنة إلى رواة الصوفية والإمامية ونوعية رواياتهم الضعيفة وخطورتها، وإلى عددهم في المجتمع[2035].

والاعتراض السادس: ربما يعترض علينا بعض أهل العلم في حكمنا على التصوف بأن غايته الأساسية والنهائية هي القول بوحدة الوجود. بدعوى أنه وجد من الصوفية من لم يقل بها، وإنما طائفة منهم قالت بها فقط . وهذا الأمر قد أشار إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وذكر أن من الذين قالوا بها : عمر بن الفارض المصر (ت 632 هـ) ، ومُحي الدين بن عربي الطائي الأندلسي (ت 638 هـ)،وقطب الدين بن سبعين الإشبيلي (ت 669 هـ، وعفيف الدين التلمساني (ت 690 هـ)[2036].

وأقول: سبق أن بينا أن القول بوحدة الوجود هو غاية التصوف وكل أصوله وفروعه من أجل وحدة الوجود، وقد عبروا عنها بعدة ألفاظ ، منها: التوحيد، والمشاهدة، والفناء في الله، والمعرفة، والوَلاية . لكن يُوجد من الصوفية من أظهر القول بها، ومنهم من أخفاها ، ومنهم من لمح إليها بإشارات الصوفية، ومنهم من كان على هامش التصوف فلم يكن على علم

[2034] سبق توثيق قول الصوفية بالتقية. وأما قول الشيعة بها فانظر مثلا: الكليني : الكافي ، ج 2 ص: 447 ، وما بعدها.

[2035] للوقوف على جانب من ذلك أنظر مثلا: خالد كبير علال: مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه . وتناقض الروايات السنية والشيعية حول تاريخ صدر الإسلام. والكتابان منشوران إلكترونيا .

[2036] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 2 ص " 131 ، 464 ، 465 .

بحقيقة وغاية التصوف في قوله بوحدة الوجود ، ولا وصل إلى مقامها، ولهذا لم يقل بها ، وقد يكون أنكر على من قال بها. لكن وجود هذا الصنف لا يغير من حقيقة التصوف، ولا يرفع عنه القول بها. وهذا الصنف متأثر بالجانب الشرعي الموجود في هامش التصوف أكثر مما هو متأثر بالتصوف حتى وإن انتسب إليه.

والاعتراض السابع: ربما يُقال : إن مؤلف هذا الكتاب بالغ جدا في انتقاد التصوف وأهله والحط عليهم، أفلم يكن لهم من إيجابيات تُذكر لهم ؟؟.

وأقول: لاشك أن الإنسان بحكم أنه مجبول على الخير والشر وله حرية الاختيار والتصرف مع نفسه ومحيطه ، فإنه مهما كان خيّرا فستقع منه أخطاء وسلبيات هي قليلة بجانب أفعاله الخيرية، ومن جهة أخرى فإن الإنسان مهما كان شريرا حريصا على الظلم وفعل المنكرات فستوجد في أعماله تصرفات خيرية وإيجابية مبعثرة بين أفعاله . ولهذا فلا شك أن في التصوف أفكارا وتصرفات صحيحة وإيجابية ، لكنها قليلة جدا، توجد في هامشه لا في أصوله وأساسيات فروعه وغاياته، لأنه سبق أن بينا فساد التصوف أصولا وفروعا وغاية. ومن ناحية أخرى فإن تلك الإيجابيات تختفي وتسقط منه بمجرد أن نعلم أن غايته هي وحدة الوجود، لأن هذه العقيدة هي كفر بالله ودينه، وهدم للدين والعقل والعلم . فماذا يبقى من حق وصواب للتصوف وأهله ؟؟ !! . وهل يصح بعدها البحث عن إيجابيات للتصوف والصوفية ؟؟ !! . وأية فائدة من هذه الإيجابيات القائمة على كفرية وحدة الوجود ؟؟ !! .

علما بأن التصوف في ذاته كدين له أصوله وفروعه وغاياته الأساسية، هو نِحلة مخالفة للإسلام جملة وتفصيلا، و مقوماته فاسدة ومدمرة للدين والدنيا معا. وتضمنه لبعض الأفكار الصحيحة لا يجعله صحيحا، ولا يرفع عنه ما قلناه فيه. لأن تلك الأفكار في التصوف هي كتروس ثانوية صغيرة في آلة كبيرة تُؤدي وظيفتها ، لكنها لا تستطيع أن تغير مسار الآلة ، ولا أن تتحكم في انتاجها. فهي أفكار صحيحة في ذاتها ، لكنها لا تستطيع أن تغيير مقومات التصوف ولا تصحيحها ، بل إنها تساعد في إبقائه على ذلك، وتكون في خدمته لتضليل الناس به . علماً بأن وجود مثل تلك الأفكار الجزئية والهامشية في التصوف، هو أمر عادي وبديهي، لأنه لا يُمكن أن

يوجد دين أو مذهب كله خطأ 100/ 100، فلا بد ان توجد فيه أفكار جزئية صحيحة مبعثرة ، وإلا ما آمن به أحد.

وأما أتباع التصوف فهم كلهم تلوثوا به لكن بنسب متفاوتة ، وهم على ثلاثة أصناف أساسية: ، صنف أخذ به قلبا وقالبا فهو ضال مُضل . وصنف توسط في الأخذ به ، فانحرافه بقدر نصيبه منه. والصنف الثالث هو أقلهم تلوثا وانحرافا موجود في هوامش التصوف ولم يتوغل فيه تأثرا وتمسكا بالجانب الإسلامي الموجود في أطراف التصوف.

والاعتراض الثامن : قد يُقال: لا يصح ذم الصوفية كلهم بما فيهم المتقدمين ، مع أن أحمد بن حنبل شهد لهم بالصلاح كمدحه لبشر الحافي ، والحارث المحاسبي . من ذلك مدحه لبشر الحافي ، روى الخطيب البغدادي بإسناده فقال: ((أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق ،حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني، حدثنا القاسم بن الحسن بن جرير ،حدثنا محمد بن أبي عتاب عن محمد بن المثنى قال: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في هذا الرجل؟ فقال لي: أي الرجال ؟ فقلت له : بشر، فقال لي: سألتني عن رابع سبعة من الأبدال ،أو عامر بن عبد قيس ما مثله عندي إلا مثل رجل ركز رمحا في الأرض ثم قعد منه على السنان فهل ترك لأحد موضعا يقعد فيه))[2037].

وأقول: هذه الرواية لا تصح إسنادا، لأن من رواتها علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم الهمذاني، هو صوفي ضعيف، ومُتهم بالكذب، والتخليط في الأخبار وقد فصلنا حاله في الفصل الخامس.

علما بأن مدح أحمد بن حنبل لبعض متقدمي الصوفية هو مدح يتعلق بأشخاصهم وبالجانب المستقيم الذي كان يظهر من أحوالهم وليس مدحا لتصوفهم ولا لكل أحوالهم. فلا يُمكن أن يمدح أحمد الصوفية على تصوفهم ، فهذا يتناقض تماما مع منهجه السلفي في التمسك بالكتاب والسنة وإتباع الصحابة والتابعين لهم.

وأما مدحه للمحاسبي وجماعته فيتعلق برواية صوفية يعترف فيها أحمد بعلم الحقائق –علم الباطن- عندما حضر مجلسا للمحاسبي ، وأعجبه كلامه

2037 الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 7 ص: 72.

لكنــه نصــح بعـدم صــحبتهم . رواهــا الخطيــب البغـدادي وغيـره، فقــال: ((أخبرنـي محمد بـن أحمد بـن يعقـوب، أنبأنـا محمد بـن نعيم الضـبي قـال: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق يعني الصبغي يقول: سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول: قال لي أحمد بـن حنبـل يومـا : يبلغنـي أن الحـارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يرانـي فاسمع كلامـه. فقلت :السمع والطاعـة لـك يـا أبـا عبـد الله وسرنـي هذا الابتداء من أبي عبد الله . فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال: يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر، وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به، وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته. فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث ،وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل ،فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة ،فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا ؛فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال: ما اعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فأني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج))[2038].

والطريق الثاني عن الحاكم كما رواه الذهبي في ميزانه وعلّق عليه: ((وقال الحاكم: سمعت أحمد بن إسحاق الصبغى: سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول: قال لى أحمد بن حنبل: يبلغني أن الحارث هذا يكثر الكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه. ففعلت، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلوا العتمة، ثم قعدوا بين يدى الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم ابتدأ رجل منهم، وسأل الحارث، فأخذ في الكلام، وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكى، ومنهم من يخن ، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة، فوجدت أحمد قد بكى حتى غشى عليه، إلى أن قال : فلما تفرقوا قال أحمد: :ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا.

[2038] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص: 215 .

وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم" . قلت: إسماعيل وثقه الدارقطني. وهذه حكاية صحيحة السند منكرة، لا تقع على قلبي، أستبعد وقوع هذا من مثل أحمد. وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه))[2039].

وأقول: الروايتان لهما إسناد واحد ، لأن محمد بن نُعيم الضبي المذكور في الرواية الأولى هو: الحاكم أبو عبد الله محمد بن عَبد الله بن محمد بن نعيم النيسابوري الحافظ"[2040]. المتوفى سنة 405 هـ ، وهو صاحب المستدرك على الصحيحين.

وإذا كان الذهبي قد حكم على الإسناد بالصحة ، والمتن بالنكارة ، فإني أرى أن الرواية كما لم تصح متنا فهي لا تصح إسنادا أيضا. لأن من رجاله: أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد النيسابوري (258-342 هـ)، وهذا الرجل معروف بأنه من أهل العلم والفضل، لكن لم أعثر على من ذكر له حالا جرحا ولا تعديلا، إلا توثيق الحاكم النيسابوري له[2041].وتوثيقه لا يُقبل منه لأنه هو ذاته لم تثبت عدالته.

والثاني أبو عبد الله الحاكم النيسابوري **(321- 450)** ، قيل فيه : ثقة ،وقال ابن طاهر: سألت أبا إسماعيل الأنصاري عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث رافضي خبيث، ثم قال ابن طاهر: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفًا عن معاوية وآله، متظاهرًا بذلك ولا يعتذر منه)) . وقال الذهبي ((قلت: أما انحرافه عن خصوم علي فظاهر، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال فهو شيعي لا رافضي))[2042].والراجح جدا عندي أن هذا الرجل شيعي إمامي كان يُمارس التقية يتعيش بها بين أهل السنة ،وإنما يُظهر بعض التسنن تسترا وتقية . علما بأن الرافضي لا يُمكن أن يكون ثقة في الحديث من الناحية العملية، وإذا كان صادقا فلن يكون رافضيا ، لأن الرفض يقوم على تكذيب الوحي الصحيح وما يُوافقه من العقل الصريح، والتاريخ الصحيح.

[2039] الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج 1 ص: 430 .

[2040] المزي: تهذيب الكمال ، تعليق المحقق بشار عواد، ج 1 ، هامش ص: 260 .

[2041] الخليلي القزويني: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ص: 3 ص: 840 .

[2042] الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 3 ص: 165-166 .

ويُؤيد ذلك أيضا أن الشيعة الإمامية أنفسهم ، جعلوا الحاكم من رجالهم ،وألحقوا مضنفاته بتراثهم ، ووصفه بعضهم بأنه من أبطال الشيعة وسدنة الشريعة[2043].

وقال الخطيب البغدادي: ((كان بن البيع- الحاكم- يميل إلى التشيع فحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموي بنيسابور - وكان شيخا صالحا فاضلا عالما - قال : جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم يلزمهما إخراجها في صحيحيهما منها حديث الطائر ، ومن كنت مولاه فعلى مولاه فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله ولا صوبوه في فعله))[2044]. ومن يفعل ذلك فهو شيعي إمامي وليس متشيعا ولا شيعيا سنيا . وفي ذلك ذَكر ابن الجوزي : ((قال ابن ناصر-عن حديث الطير- حديث موضوع، إنما جاء من سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن انس وغيره . قال ابن طاهر: فلا يخلو الحاكم من أمرين إما أنه يجهل الصحيح فلا يعتمد على ما يقوله وإما يعلمه ثم يقول خلافه فيكون معاندا كذابا))[2045].

فالحاكم ضعيف من جهة عدالته وفيه غلو في التشيع، و قد ترجم له الشيعة واثنوا عليه، وقد طعن فيه بعض محدثي أهل السنة. كما أنه ضعيف جدا من جهة ضبطه، فمن المعروف أنه متساهل جدا في التحقيق .وكتابه المستدرك مملوء بالأخطاء والروايات الباطلة، قال فيه شمس الدين الذهبي: ((ولا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه... وليته لم يصنف المستدرك فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه))[2046].وقال أيضا: ((وقطعة من الكتاب إسنادها صالح وحسن وجيد، وذلك نحو ربعه، وباقي الكتاب مناكير وعجائب، وفي غضون ذلك أحاديث نحو المئة يشهد القلب ببطلانها))[2047]. فماذا يعني هذا ؟؟!! . فالرجل ضعيف ضبطا وعدالة، ،وتوثيقه لم يثبت . فالرواية من جهته لم تصح إسنادا ولا متنا ، وربما يكون الحاكم قد سمعها من بعض الصوفية وركب لها إسنادا، أو أنه هو الذي اختلقها من أساسها لأن الرواية مدارها عليه، فلم أجد لها إسنادا آخر إلا من طريقه.

[2043] أنظر مثلا :أغا برزك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، رقم: 7300 ، ج 21 ص: 366 ، رقم: 1083 ، ج 27 ، ص: 295 . و عباس القمي: الكنى و الألقاب، ج 2 ص: 191 .

[2044] تاريخ بغداد، رقم : 3024 ، ج 5 ص: 473 .

[2045] ابن الجوزي: المنتظم ، رقم: 434 ، ج 7 ص: 274 .

[2046] الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 3 ص: 164 ، 166 .

[2047] الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 100 ، ج 17 ، ص: 175 .

وأما متنا فهو مُنكر كما قال الذهبي ، وعلامات الوضع ظاهرة عليه ، فهو خبر مختلق عن قصد لتأييد التصوف، ولا تختلف عن حكاية شيبان الراعي. فمن الشواهد على أنها موضوعة: إنها زعمت أن أحمد ابن حنبل هو الذي طلب أن يحضر مجلس الحارث المحاسبي، وهذا مستبعد جدا من أحمد لأنه كان يعرف الحارث المحاسبي جيدا ، فهو من بغداد ومن أقرانه ، وعلى علم بمكانته العلمية، وبأصحابه من المتكلمين والصوفية، ولم يكن في حاجة إلى حضور مجلسه ليعرف ما يدور فيه .

والشاهد الثاني إن زعمها بأن أحمد أُعجب بالمجلس وأُغمي عليه ، هو زعم لا يثبت ، لأن أحمد يعلم أن عقد المحاسبي لمجلسه في ذلك الوقت وبتلك الطريقة طيلة الليل ليس من سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- الذي كان يحث أصحابه على النوم بعد صلاة العشاء[2048] للنهوض فيما بعد لقيام الليل ولصلاة الفجر أيضا . فهذا كان يتطلب من أحمد الإنكار لا الاعجاب، كما أن سهرهم طول الليل ، يعني أنهم سينامون في النهار، وهذا مخالف للشرع ، قال سبحانه : ((((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)(النبأ:9-11)) ، وسيضيعون حقوق من يعولونهم . وهذا يتطلب من أحمد الانكار عليهم أيضا لا الاعجاب بهم. وبما أن الرواية زعمت أنه أُعجب بهم، فهذا دليل ضدها بعدم الصحة.

والشاهد الثالث إن زعم الرواية بأن أحمد أُعجب بالمجلس لكنه مع ذلك قال: ((وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم)) . هو قول متناقض لا يقع فيه أحمد، لأنه لوكا ما فعله هؤلاء مخالفا للشرع كان عليه أن ينكره ، بل ويتدخل لتغييره ، ولو كان موافقا للشرع ونال إعجابه-حسب الرواية- عليه أن يحث الرجل على صحبتهم لا على عدم صحبته . وبما أن الرواية زعمت أنه أُعجب بمجلسهم ، لكنه نهى عن مصاحبتهم ، فهذا لا يصح عنه ، وفيه تناقض. مما يشهد على أن الرواية مختلقة.

والشاهد الأخير-الرابع- إن قول الرواية بأن أحمد عبّر عن إعجابه بقوله : ((ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا)) . هو شاهد على أن الرواية مختلقة لأنها تضمنت مدحا للتصوف ، واستخداما لبعض مصطلحاته. وما كان أحمد صوفيا، ولا كان يُفرق بين الشريعة والحقيقة

[2048] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 117 ، رقم: 577 .

كما يزعم الصوفية. وإنما كان عالما كبيرا من أعيان علماء الحديث شديد التمسك بالكتاب والسنة، وشديدا على أهل الأهواء من المتكلمين، والشيعة، والصوفية[2049]. فوجود هذا المصطلح، ومدح التصوف به هو شاهد دامغ على أن مختلق الخبر كان يقصد تحقيق غاية صوفية في نفسه .

والاعتراض التاسع : قد يعترض علينا بعض الناس -فيما ذكرناه في نقدنا للتصوف- بقول أبي عبد الرحمن السلمي عندما قال: ((فهكذا الصوفية ، وهكذا أفعالهم ،من أنكر هذا المذهب ، فلقلة معرفته ، وقلة الاهتداء لحقائقه ، لأن الجياد قليل ، وقل من يعرفهم ، إلا أن يكون من جنسهم))[2050].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تغليط وتهرب وتلبيس على الناس .لأن معرفة الحق ، واكتشاف حقيقة أي فكر لا يتطلب بالضرورة أن يكون الناقد له من أتباعه . لأن البشر كلهم تحكمهم حقائق وبديهيات عقلية وعملية واحدة لن يستطيع أي إنسان الانفلات منها . ومن جهة أخرى فإن نقد أي فكر لا يستلزم تبنيه ، فيكفي الناقد أن يطلع عليه ويتصوّره ، ويلاحظ آثاره على أتباعه ، وبذلك يستطيع نقده والرد عليه.

علماً بأن المسلم يملك الميزان الإلهي الذي يحكم به على الأفراد والجماعات، وعلى الأفكار والأديان والمذاهب ، فبه يستطيع أن ينقد أي فكر، وأية طائفة . فالوحي هو المنطلق والمِحك والميزان، ما وافقه صحيح ، وما خالفه باطل بالضرورة . قال سبحانه : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153))، و((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40))،و((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)(الفرقان : 1))، و((يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(المائدة : 16) ، و((ثُمَّ ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18)) . ولهذا فإن قول السلمي هو من التحايل والتغليط يستخدمه كل أهل الأهواء عندما يرد عليهم أهل الحق بالشرع والعقل والعلم، يقولون ذلك بدعوى أن منتقديهم لم يفهموا دينهم، أومذهبهم .

[2049] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا : الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد ، : 241 – 500 للهجرة، لطائف لنشر الكتب والرسائل الجامعية، الكويت، 2012 ، ص: 61 وما بعدها

[2050] أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف، ص: 85 .

وهدا زعم باطل من دون شك ، وليس دليلا و لا يحمل أي شاهد على صدقه من داخله .

والاعتراض العاشر : قد يُقال: إن مؤلف هذا الكتاب اتهم الصوفية بأنهم من أكثر الفرق مخالفة للسنة النبوية الصحيحة وخروجا عنها ،مع أن الصوفية جعلوا أنفسهم من أكثر الناس التزاما بها . من ذلك قول الشهاب السهروردي: ((الصوفية أوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، وأحقهم بإحياء سنته ، والتخلق بأخلاق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من حسن الاقتداء به وإحياء سنته))[2051].

وأقول: أولا سبق أن ذكرنا أن القول بإتباع السنة والتغني بها ليس دليلا صحيحا على صحة ذلك، لأن كل الفرق المنتمية إلى الإسلام تقول ذلك بحق وبغير حق ، بل ويجب عليها أن تقوله صدقا أو نفاقا، لأنها إذا لم تقله تكون قد أظهرت ضلالها وانحرافه علانية أمام المسلمين وهذا ليس في صالحها. ولهذا فليس القول بذلك دليلا ولا يصح الأخذ به، وإنما يُترك جانبا حتى يُثبت التحقيق صحة ذلك من عدمه. والحقيقة أن الصوفية هم من أقل الفرق متابعة للسنة النبوة الصحيحة. وبما أنه بينا سابقا أن التصوف مُهدم للشرع فلا يُمكن أن يكون الصوفية متمسكين بالسنة الصحيحة ، إلا ما وافق هواهم وتصوفهم ، وهذا عليهم لا لهم . ومن لا يهتم بتحصيل السنة الصحيحة ، ولا يحرص على تحقيقها ، ومن يُقدم أحواله ورغباته عليها، لا يُمكن أن يكون كما قال الشهاب السهروردي.

والاعتراض الحادي عشر: ربما يقال: إنكم حكمتم على التصوف في أصله وفروعه الأساسية بأنه منحرف عن الشرع، مع تضمنه لجانب من دين الإسلام في هوامشه. ألا يُمكن أن نُخضع التصوف لعملية تصحيح وتقويم بالجانب الشرعي الذي يتضمنه لنخلصه من انحرافاته وأخطائه ومخالفاته الشرعية والعقلية والعلمية ؟؟ .

وأقول: إن ذلك لا يُمكن لثلاثة موانع أساسية : أولها إن الجانب الشرعي في التصوف لا يُمثل أصله ولا فروعه ولا غاياته الأساسية ، وإنما يمثل جانبا هامشيا منه. ولهذا فإن إحياءه لا يمثل التصوف، وسيكون مناقضا له،

2051 شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ج 2 ص: 56 .

لأن التصوف بمقوماته مُعطل للإسلام وهادم له . فهذا التناقض يمنع أية محاولة لتصحيح التصوف وتقويمه بالشرع ، فهما نقيضان لا يجتمعان .

والمانع الثاني : إن الجانب الشرعي منه ليس هو من التصوف، وإنما التصوف هو الذي أخذه من الإسلام ، فهو يُمثل جانبا من الإسلام ولا أصل له في التصوف. وفي هذه الحالة نجد أنفسنا نتعامل مع جزء من الإسلام يجب أن نرجعه إليه ، لا أن نَفصِله عنه. ولا يصح أن نأخذ جانبا من الإسلام ونلحقه بأصول ليست منه ثم ننسبه إليها.

والمانع الأخير-الثالث- : إن تلك العملية لا تصح أيضا لأنها عملية تجميلية زائفة للتصوف ، وتحريفية له وللإسلام معا . وهذا عمل ليس من الموضوعية ولا من العلمية في شيء، وإنما هو من التلفيق والتلبيس والتحريف.

والاعتراض الثاني عشر: ربما يُقال: انكم حكمتم على التصوف بالانحراف في أصوله وفروعه وغاياته الأساسية ،مع أنه اهتم بجانب أساسي وهام جدا من دين الإسلام هو القلب والتربية الروحية، التي هي أساس بناء الشخصية المسلمة. لقوله تعالى: ((إنها لا تعمى الأبصار ولكن))، ولقوله عليه الصلاة والسلام : ((ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب))[2052].

وأقول: صحيح أن الجانب الروحي من الإنسان له مكانة عظيمة في الإسلام . لكن لا يصح القول بأن الصوفية اهتموا بجانب أساسي وهام جدا من دين الإسلام. لأن الصوفية لم يأخذوا الجانب الروحي من الشرع، وإنما اهتموا بالجانب الروحي من الإنسان وفق الدين الصوفي، وتعاملوا معه حسب عبادات ومجاهدات الطريق الصوفي وغاياته. ولهذا انتهى بالصوفية إلى ضلالات وانحرافات وكفريات هدمت الدين والعقل والعلم. ولو كان طريقهم الصوفي من الشرع ما كانت نتائجه مدمرة للدين والدنيا ،وللفرد والمجتمع **!!**.

علما بأنه لا يُمكن أن نأتي بعلم التزكية الشرعي ونُركبه على أصول التصوف التي هي مخالفة للشرع ومُعطلة له كما سبق أن بيناه. فالدين

[2052] مسلم : الصحيح ، ج 5 ص: 50 ، رقم: 4178 .

الصوفي له منهجه في التربية الوجدانية يتفق معه ولا يقبل التزكية الشرعية ، ودين الإسلام له تزكيته التي هي جزء منه وتتطابق معه أصولا وفروعا وغاية من جهة، و مخالفة للتصوف ولا يصح إلحاقها به من جهة أخرى . وبذلك يتبين أن ذلك الاعتراض في غير محله، وتصوّره يكفي للحكم عليه بالفساد والاستحالة.

والاعتراض الثالث عشر: قد يُقال : إن مؤلف هذا الكتاب ذم شيوخا من أعيان الصوفية ، كالجنيد، وابراهيم بن أدهم كان كثير من علمائنا قد اثنوا عليهم. فما تفسير ذلك ؟؟.

وأقول: إن علماءنا الذين مدحوا هؤلاء وأثنوا عليهم أحسنوا فيهم الظن ، ونظروا إلى جانب واحد من حياتهم وتصوفهم. لكن الحقيقة هي أن هؤلاء كما أظهروا ما يُمدحون به ، فإنهم قد أظهروا أيضا ما يُذمون به. وهذا يعني أن هؤلاء كانوا يخفون حقيقتهم عن المسلمين ويجتهدون في اخفائها. و الشواهد الآتية تُثبت ذلك :

أولها إنه سبق أن ذكرنا أقوال الصوفية في قولهم بالتقية والدعوة إليها والحرص على ممارستها لإخفاء حقيقة تصوفهم. فهي شواهد دامغة على صحة قولنا.

والشاهد الثاني مفاده إن هؤلاء الصوفية ظهرت عليهم مظاهر الانحراف مبكرا، فكان بعضهم يُظهرها علانية كالحلاج والبسطامي، وأكثرهم كان يجتهد لإخفائها بإظهار التوبة أو تأويلها وحملها على وجه مُحتمل. ومع ذلك فقد ظهرت عليهم تصرفات فضحتهم مما جعل الناس يتهمونهم بالكفر والزندقة، كما حدث للجنيد، وذي النون المصري، وأبي العباس بن عطاء البغدادي وغيرهم كما بيناه سابقا .

والشاهد الثالث: سبق أن بينا أن التصوف منذ نشأته كان مخالفا للشرع ومُعطلا له وهادما للوحي والعقل والعلم، وهذا يستلزم انحراف أهله منذ ظهوره . لأنهم هم الذين أسسوه بكل مقوماته، وهم الذين طبقوه في ممارستهم للطريق الصوفي.

والأخير- الشاهد الربع -: ذكرنا سابقا أن طائفة من أعيان الصوفية الأوائل كالجنيد ، والبسطامي، والشبلي،وغيرهم أنكر عليهم المسلمون

كثيرا من أحوالهم واتهموهم بالكفر والزندقة. وهذا يعني أن أهل السنة لم يتفقوا على مدحهم ، والذين أثنوا عليهم لم يمدحوهم على تصوفهم، وإنما أثنوا عليهم لِما كانوا يُظهرونه من صلاح، وبعضهم خفيت عليهم ضلالات التصوف وأهله.

والاعتراض الرابع عشر: ربما يقال: إن المؤلف بالغ في وصف الصوفية بالسلبية والعجز والتواكل وتعطيل الإسلام ؛ مع أنه من المعروف أن بعض الصوفية كان لهم دور كبير في الجهاد ، كالأمير عبد القادر الجزائري، ومؤسس الحركة السنوسية.

وأقول: أولا بما أنه سبق أن بينا أن التصوف مخالف للشرع ومُعطل وهادم له، مع تستره به؛ فإن هذا يستلزم أن التصوف في جهاد دائم ضد الإسلام أصولا وفروعا وغاية. والصوفية أنفسهم في جهاد ضد الإسلام بإصرارهم على تطبيق التصوف فكرا ووجدانا وسلوكا، على حساب شريعة الإسلام. وفي جهاد ضده أيضا لأن كثيرا من شيوخهم وأتباعهم تعاونوا مع أعداء الإسلام والمسلمين قديما وحديثا.

وثانيا صحيح أنه وُجدت قلة من شيوخ الصوفية وأتباعهم من جاهد أعداء الإسلام والمسلمين، في الهند، والجزائر، وليبيا ، لكن جهادهم هذا ليس نابعا من صميم التصوف كعبادة وعقيدة ودين مستقل بذاته، فهذا لا يُمكن أن يحدث ؛ وإنما هو جهاد يحتمل عدة تفسيرات. منها ربما أنه فُرض الجهاد على هؤلاء فرضا ، أو أنه كان جهادا من أجل التصوف وأهله ، أو أنه كانت لهم فيه مصلحة للتصوف وأتباعه ، أو أنهم قادوه مسايرة لجماهير المسلمين وتلبيسا عليهم. أو أنه كان جهادا إسلاميا قاده بعض الصوفية لكنه ليس جهادا صوفيا وإنما هو إسلامي بقاعدته العريضة، فقادوه ليس تأثرا بالتصوف، وإنما تأثرا بالجانب الإسلامي الموجود في هوامش التصوف لا في مقوماته الأساسية .

والاعتراض الخامس عشر: ربما يُقال: إن مؤلف هذا الكتاب أبعد التصوف كلية من الشرع، مع أن الأمر ليس كذلك ،لأن كثيرا من أهل العلم خالفوا قوله وأكدوا على أن التصوف ضروري لنا، ويجب الجمع بينه

وبين الفقه الشرعي ، حتى قيل: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ،ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق.

وأقول: أولا هذا الاعتراض يريد الجمع بين التصوف والفقه وإعطاء شرعية للتصوف بدعوى أنه ضروري لنا ،ومطلوب ومعترف به. وهذا لا يصح، لأن التصوف في حقيقته دين قائم بذاته وله مقوماته ، ومنفصل تماما عن دين الإسلام . وهو دين قديم يُعرف بالعرفان ، والإشراق، والرهبانية.

كما أن ذلك التقسيم - تصوف وتفقه- ،هو نفسه التقسيم المعروف بالشريعة والحقيقة ، وهو تقسيم غير شرعي ولا يصح شرعا ولا عقلا كما سبق أن بيناه. لأن لكل دين ثلاثة جوانب أساسية: جانب فكري محله العقل. و عاطفي وجداني محله القلب. وجانب تطبيقي عملي يتعلق بأعمال الجوارح . وعليه فالتصوف يمثل بنفسه دينا له جانبه الفكري، والقلبي ، والعملي التطبيقي. وبناءً على ذلك فشريعة الإسلام بمعناها الواسع لا تحتاج إلى تصوف، ولا إلى عقيدة أخرى. فهي دين كامل شامل جمع بين الإيمان والأعمال القلبية والعملية ،و لا انفصال بينهما. قال سبحانه : ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحجرات: 14))، و((وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة: 82))، و((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)) ، و((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد: 28)). فالشرع لا يحتاج ابدا إلى التصوف،لأن الإسلام دين كامل جمع بين الدين والدنيا، وبين العقل والقلب من جهة، ومخالف للتصوف ومناقض له من جهة أخرى .. والقول بذلك الاعتراض هو طعن في الشرع بالنقص وإغفال لجانبه الروحي، وتسويق للتصوف ليتستر بالشرع .

وثانيا إذا قُصد بذلك القول بأنه على المسلم أن يجمع بين الإيمان وما يتطلبه من أعمال القلوب والجوارح، والاهتمام بالجانب الروحي والأخلاقي كما جاء في الشرع فهذا صحيح ، بل هو مطلوب شرعا وعقلا وواقعا، ولا يصح فصل الجانب الروحي من الإسلام عن جانبه التطبيقي. لكن هذا الجانب لا يصح وصفه بالتصوف، لأنه ليس تصوفا، وهو جزء لا يتجزأ

جزء من ديننا من جهة، ، والتصوف دين مناقض لدين الإسلام، ومُتستر به من جهة ثانية، والجانب الروحي من الإسلام يُسمى بعلم التزكية لا بالتصوف من جهة ثالثة.

وثالثا إن تلك المقولة: "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ،ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ". لا تصح شرعا ولا تصوفا، لأنها جمعت بين المتناقضين ،وهذا مُستحيل .وتفصيل ذلك هو أن الصوفي الحقيقي لم يصبح صوفيا إلا بعدما خالف الشرع وعطله ثم هدمه في النهاية عندما أصبح يعتقد بوحدة الوجود. والصوفي أثناء ممارسته لعبادات الطريق الصوفي بينا أن معظم عباداته مخالفة للشرع ، ومطلوب منه صوفيا أن يسعى ليتخلص من الأشباح والرسوم وعلم الظاهر ليصل إلى علم الباطن ، بمعنى عليه أن يتخلص من أحكام الشريعة لا أن يلتزم بها.

ومن جهة أخرى فإن من تفقه الفقه الشرعي بطريقة صحيحة لن يتصوف ، ،لأن الفقه في ديننا هو فقه القلوب والأفكار والجوارح والأعمال. ومن هذا حاله لا يحتاج أبدا إلى التصوف، وإذا ما تصوف فسيضل الطريق، وينقض الفقه الشرعي، وينتقل من دين الإسلام إلى دين التصوف، ومن توحيد الإسلام: لا إله إلا الله ، إلى توحيد التصوف: لا موجود إلا الله .ولهذا فإن تلك المقولة فاسدة، ومتناقضة، لأنه لا يُمكن أن يكون الصوفي الحقيقي فقيها ، ولا الفقيه الحقيقي صوفيا.

والاعتراض السادس عشر : ربما يقال: إن مؤلف هذا الكتاب بالغ في انتقاد التصوف وذمه والمبالغة في التحذير منه، مع أن حقيقته أنه منهج لتربية الروح وتهذيب الأخلاق، ودعوة للناس إلى التوبة والعودة إلى ربهم.

وأقول: إن قائل هذا الكلام إما أنه صاحب هوى يريد إخفاء خطر التصوف ليستمر في إفساده للإسلام وأهله. وإما أنه جاهل بحقيقة التصوف فهو لا يعي ما يقول . وإما أنه صاحب مصالح دنيوية متعلقة ببقاء التصوف وانتشاره بين الناس، فهو يقول ذلك حفاظا على مصالحه. لأن التصوف سبق أن بينا أنه لا يُمثل التزكية الشرعية، ولا دين الإسلام وإنما يُمثل الدين الصوفي بأصوله وفروعه وغاياته.

ومن جهة أخرى فإن التصوف لم يكتف بمخالفة التزكية الشرعية وإنما تبنى أصولا وفروعا انتهت بالتصوف وأهله إلى الكفر بالله ودينه ورسوله.فهو لم يدع الناس إلى التوبة والعودة إلى الله تعالى، وإنما دعاهم إلى الردة عن دين الإسلام، للوصول إلى كفرية وحدة الوجود، وفيها يصبح الصوفية أربابا وآلهة حسب زعمهم . فهذه العقيدة هي غاية الدين الصوفي، وليست غايته دعوة الناس إلى تزكية أنفسهم طاعة لله تعالى والتزاما بشريعته .

والاعتراض السابع عشر: ربما يقال: إنكم قلتم بأن التصوف في أصوله الأساسية لم يكن شرعيا ، ألم يكن امتدادا لحركة الزهد في القرن الأول الهجري وما بعده، وهذه الحركة هي امتداد لعصر الصحابة ؟.

وأقول:لا شك أن ظهور التصوف كان متأثرا بالأوضاع العامة للمجتمع الإسلامي التي سبقته والتي عاصرت نشأته. ومن جهة أخرى لا يصح الاحتجاج بحركة الزهاد التي سبقته وعاصرته والتي استمرت بعده أيضا. لأن حركة الزهاد كانت فيها انحرافات ومخالفات شرعية كثيرة بحكم أن زهادها لم يكونوا يُمثلون مذهبا واحدا يمثلهم وإنما كانوا تابعين لمذاهبهم وطوائفهم التي ينتمون إليها ويأخذون بها. فكان لكل طائفة زُهادها ،وعُبادها ونُساكها من أهل السنة ، والخوارج و المعتزلة، الشيعة الإمامية. فلما ظهر الصوفية أسسوا اتجاها جديدا هو التصوف بعيدا عن مذاهب هؤلاء الزهاد . أقاموه أساسا انطلاقا من أحوالهم ورغباتهم أولا ، وبما زينه لهم الشيطان بتلبيساته ثانيا ، وبما أخذوه من أهل الذمة ثالثا، ،ولم يُؤسسوه انطلاقا من الشرع ولا من مذاهب هؤلاء الزهاد وإن تأثروا بكل ذلك، لكن تأثرهم هذا كان هامشيا ، ولم يصل إلى صميم التصوف ومقوماته الأساسية. وعندما ظهر التصوف لم يختف الزهاد ، بل ظلوا موجودين متميزين عن التصوف وأهله كما هو حال زهاد أهل الحديث قديما وحديثا .وعليه فليس هؤلاء الزهاد هم سلف الصوفية من جهة، والميزان الذي يجب الاعتماد عليه في الحكم على التصوف وأهله: نشأة ومسلكا، هو الشرع وحده من جهة أخرى.

والاعتراض الثامن عشر : ربما يُقال : إن صاحب هذا الكتاب صدق الروايات التي ذكرت أن الناس اتهموا متقدمي شيوخ الصوفية بالكفر والزندقة، لما أظهروه من ضلالات وانحرافات عن الشرع. وهذا لم يثبت

في حقهم بدليل أن المؤرخ الصوفي السراج الطوسي ذكر أن الناس الذين اتهموا هؤلاء بالكفر والزندقة – كالجنيد ، والخراز، وابن عطاء- اتهموهم ظلما وعدوانا ، وحسدا وافتراءً عليهم حسب السراج[2053].

وأقول: دفاعه هذا لا يصح، لأن ما اتهم به هؤلاء الصوفية صحيح، وهو دليل دامغ على أن في الصوفية من كان يظهر جانبا من أباطيل التصوف وضلالاته ، فكان المسلمون يعترضون عليهم . لكن أكثرهم كان من أصحاب الإشارة لا العبارة، فكانوا يخفون حقيقة تصوفهم وأحوالهم. ولهذا فإن اعتراض المسلمين على هؤلاء هو شاهد دامغ على انحراف هؤلاء لا على أنهم ظلموهم . والدليل القطعي على صحة ما أقول هو أنه سبق أن بينا أن التصوف مخالف للشرع والعقل والعلم أصولا وفروعا وغاية ، بل وهادم للوحي والعقل والعلم . وقد صرّح أتباعه بوحدة الوجود قديما وحديثا . واعترف بعض كبارهم المتقدمين والمتأخرين بأن تصوفهم هو كفر وزندقة في ميزان الشرع وأهله. وبما أن الأمر هكذا فمن المنطقي والطبيعي أن تظهر على الصوفية ضلالات وانحرافات التصوف وعلى أتباعه، فينكر عليهم المسلمون ذلك. فهذا الإنكار هو دليل على انحراف الصوفية عن الشرع لا أنه دليل على ظلم المسلمين لهم.

ويبدو من أحوال هؤلاء الصوفية المُتهمين أنهم كانوا ما إن ينكر عليهم المسلمون ضلالاتهم حتى يتراجعوا عما أظهروه بممارسة التقية وإيجاد التأويلات والمخارج لانحرافاتهم التي ظهرت عليهم.. لأنهم لو أصروا عليها لأكلهم السيف كما حدث لأصحابهم الذين أصروا على إظهار أباطيلهم والقول بخرافة وحدة الوجود، كما حدث للحلاج، والسهروردي المقتول، ولسان الدين الخطيب .

وبذلك يتبين أن هؤلاء الصوفية وأمثالهم هم الذين ظلموا أنفسهم ولم يظلمهم المسلمون ، فهم الذين خالفوا الإسلام وأهله ، وأظهروا الأباطيل والكفريات ، وجعلوا الشرع والعقل والعلم وراء ظهورهم. وأي إنسان يخالف عقائد قومه ، ويتحداهم علانية، ويعمل على هدم عقائدهم ، فمن الطبيعي جدا أن يتصدوا له ، ولا يلومن إلا نفسه إن لم يصبر، وعليه أن يدفع ثمن ما فعله . فماذا ينتظر إنسان يذهب إلى البيت الأبيض الأمريكي،

[2053] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 497 ، وما بعدها .

فيدوس على علم أمريكا ، ويسب زعمائها ؟؟ . فما بالك بإنسان يذهب إلى بلاد المسلمين ويقول بوحدة الوجود ؟؟ .فماذا ينتظر؟؟، ومن هو الظالم هنا هو أم هم ؟؟. وإذا قيل: أليس من حق هؤلاء الصوفية أن يُعبروا عن عقائدهم بكل حرية ؟؟ . أقول: نعم لهم الحق في ذلك، لكن المسلمين هم أيضا لهم الحق في الدفاع عن دينهم ، ويجب عليهم أن يُدافعوا عنه وعن أهله. وإذا أصر هؤلاء الصوفية على الانتصار لدينهم بتحدي الإسلام وأهله ، فمن حق المسلمين أن يتصدوا لهم انتصارا لدينهم وللمسلمين.

ومن جهة أخرى فإذا كان من حق الفرد أن يُعبر عن معتقده بحرية، فلا يحق له أن يعتدي على الجماعة ، وإذا فعل ذلك عليه أن يتحمل تبعات عمله .ومن حق الجماعة أن تدافع عن دينها ومقدساتها ، لكن لا يحق لها أن تظلم الفرد ما لم يعتدي هو عليها، والعكس صحيح. ولهذا فإن إظهار هؤلاء الصوفية لكفرياتهم بين المسلمين هو اعتداء على الإسلام وأهله ، ومن الواجب على المسلمين التصدي لهم، وعليهم أن يتحملوا نتائج ما اظهروه.

لكن علينا أن لا ننس بأن قول السراج بأن جماعة من شيوخ الصوفية اتهموا بالزندقة ظلما وعدوانا وحسدا ، هو قول صحيح عند الصوفية انطلاقا من الدين الصوفي لا انطلاقا من دين الإسلام. فالصوفية يرون أنهم كانوا على حق ووصلوا إلى حقيقة الوجود التي هي عقيدة وحدة الوجود ، فلما أظهروها وتصدى لهم المسلمون، قال الرجل أنهم ظلموهم حسب زعمه. ودفاعه هذا لا يصح، ومرفوض في ميزان الإسلام والعقل والعلم. ويجب التصدي لهم لأن ما أظهره هؤلاء هو تعطيل للشرع ،وهدم للدين والعقل والعلم .

والاعتراض التاسع عشر : ربما يقول بعض الناس: إن مُصنف هذا الكتاب نقد التصوف وأهله وحكم على الجميع بالضلال والانحراف عن الشرع والعقل والعلم، ألم يكن فيهم المستقيمون والمعتدلون ؟؟ .

وأقول: إن نقدي للفكر الصوفي ينطبق أساسا على التصوف كدين وعقيدة ، وهذا أمر قد أثبتناه وبينا بطلان التصوف من هذا الجانب، ،وينطبق أيضا على الصوفية من جهة أخرى.وهم أصناف كلهم على انحراف عن الشرع بحكم انتمائهم إلى التصوف مع الاختلاف في درجة انحرافهم عنه حسب أحوالهم. فمنهم العوام وأنصاف العوام وهؤلاء لا

يهمنـا أمـرهم هنـا بحكـم جهلهـم بحقيقـة التصـوف وانتمـائهم إليـه تقليـدا وجهلا.فلا ينطبق عليهم إلا القليل مما انتقدنا به التصوف وأهله.

ومـنهم شـيوخ الصـوفية ، وهـم الـذين أسسـوا التصـوف ونظّـروا لـه، ومارسوا طريقه ووصلوا إلى غاياته. هذا الصنف تنطبق عليه انتقاداتنـا للتصوف وأهله، وكلهم على منهج واحد في الانحراف عن الشرع والعقل والعلم . لكن منهم من فضّل التستر وعدم إظهار حقيقته تطبيقا لمبدأ التقية لغايات في نفسه. ومنهم من أعلن صراحة عقيدته الصوفية، وجاهر بوحدة الوجود ، ورفض أن يُمارس التقية والتخفي. لكن الجميع غلاة متطرفون في النهاية.

وأما إذا وُجد علماء عُرفوا بالعلم والاستقامة على الشرع ونُسبوا إلى التصوف وأهله ، فهم في الحقيقة ليسوا صوفية، وإنما هم زهاد وعُباد نسبهم الناس إلى التصوف تجوزا ،وتساهلا ،وخطأ عندما كان التصوف مُسيطرا على المجتمع الإسلامي في القرون المتأخرة. ولهذا لا يصح نسبتهم إلى التصوف ، لأن الصوفي الحقيقي العارف بالتصوف المُلتزم بطريقه لا يُمكن أن يستقيم على الشرع ، ولا بد أن يكون حربا عليه مهما تستر بالإسلام. فهو لن يكون صوفيا عارفا إلا إذا هدم الدين والعقل والعلم.

والاعتراض العشرون : ربما يقول بعض الصوفية: إنكم اعترضتم على التصوف وأهله بأدلة الشرع والعقل والعلم ، مع أن التصوف في أصوله وروحه وغايته النهائية - وحدة الوجود- لا يُعرف إلا بالذوق والكشف، وعلم الباطن، والأنوار القلبية، ولا يستطيع أن يعرفه من يلتزم بأدلة الشرع والعقل والعلم. وهذا يعني أن انتقادكم له في غير محله.

وأقول: أولا سبق أن ناقشنا حكاية العلم الصوفي المزعوم في الفصل الخامس وبينا بطلان مزاعمه، وأقمنا الأدلة القطعية بأن علم الصوفية ليس يقينيا، وإنما هو خليط من الظنون والأهواء، والهلوسات والتلبيسات والحقائق والشبهات. وذكرنا شواهد كثيرة أثبتت وقوع شيوخ الصوفية في أخطاء شرعية وعلمية وتاريخية كثيرة جدا، مما يعني قطعا بطلان حكاية العلم الصوفي المزعوم . ومع أن قولنا هذا يكفي لرد الاعتراض وإبطاله ، إلا أننا سنتوسع في مناقشتهم وإبطال زعمهم بمزيد من الشرح والردود.

وثانيا إنه لا يصح حصر مصدر العلم في الجانب القلبي وأذواقه، لأن الحقيقة هي أن هذا المصدر هو مصدر نسبي من مصادر العلم المُتمثلة في: الشرع، والعقل، والقلب ، والطبيعة .وهناك حقائق لا يُمكن أخذها إلا من الوحي الصحيح وهو مصدر يقيني من دون شك ، لكننا قد نغلط في فهم آياته غير المحكمة إذا لم نفهمها بالمنهج الصحيح ، فيبقى فهمنا لها نسبيا.

ومما له علاقة بالجانب الوجداني فينا أنه توجد حقائق -علوم- نحس بها ونعرفها من داخلنا لأنها تتعلق بقلوبنا وعواطفنا وإحساسنا الدخلي، كإحساسنا بالحب والكره، وبالجوع والعطش، وبلذة الطعام والجنس. لكن هذا الجانب يبقى نسبيا لأنه محدود القدرات من جهة ، ولا يستطيع أن يدرك أمورا خارج نطاقه من جهة أخرى. وقد تختل موازنه لمرض نفسي أو عضوي، أو تعصب لباطل، أو لشبهات وشهوات. وهذا يعني أن أحكامه نسبية أيضا فيها الخطأ والصواب، والعلم والجهل . وبما أن كل أحاسيسنا وأعمالنا الداخلية لها آثار تنعكس في الواقع فيجب أن نُخضعها للنقد والتمحيص لنتأكد من صحتها من خلال مقارنتها بأحاسيس الآخرين من جهة ، ومن خلال التأكد من آثارها بتمحيصها بحقائق الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى.

وبناءً على ذلك فنحن هنا سنرد على احتجاج الصوفية بأذواقهم ونبين بطلان احتجاجهم بها بتمحيص آثارها ، وبالاحتكام إلى مصادر العلم التي ذكرناها أعلاه . منها الاحتكام إلى أذواقنا ومواجيدنا كما هم يحتجون بأحوالهم وأذواقهم. من ذلك مثلا : لو كانت مواجيدهم وأذواقهم التي خالفوا بها الشرع والعقل والعلم صحيحة لأحسسنا نحن بها أيضا بحكم أن الطبيعة البشرية واحدة، فبما أننا لم نحس بها ولا تذوقناها ، فدل هذا على فساد أذواقهم وما تضمنته من مواجيد.

فإن قيل: إنه لا يُمكنكم إحساس ما نحس نحن به لأنكم لم تسلكوا طريق الصوفية ، وهذا يضعف اعتراضكم علينا بل يُبطله.

فأقول: لا بل إن أذواقكم هي الفاسدة ، وأذواقنا هي الصحيحة لأنها قائمة على الفطرة السليمة وبدائه العقول والوحي الصحيح. وهذا هو الأصل في خلقة البشر. لكن أذواقكم فاسدة لأنها لم تكن ثمرة الفطرة والبديهة ، وإنما كانت ثمرة فاسدة لمجاهداتكم التي أفسدتم بها الفطرة السليمة وبدائه

العقول. وخالفتم بها الشرع والعقل والعلم وهذا أمر سبق أن بيناه بأمثلة كثيرة جدا.

ومن ذلك أيضا إننا نرد أذواق هؤلاء الصوفية ونحكم بفاسدها بأذواقنا الإيمانية والربانية . فكما أن تصوفكم أورثكم أذواقا وأحوالا ومواجيد، فكذلك أورثنا إيماننا بدين الإسلام والتزامنا به أحوالا وأذواقا ومواجيد إيمانية ربانية ، سبق أن فصلنا أحوالها. منها قوله تعالى: ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) فنحن عندنا نور إيماني رباني قرآني سني نرد به أذواق ومواجيد الصوفية وأمثالهم من أهل الأهواء. وهذا النور يشهد قطعا ببطلان الأذواق والأحوال التي تميز بها الصوفية وخالفوا بها الشرع والعقل والعلم. فأحوالنا وأذواقنا إسلامية نورانية ربانية قرآنية سنية. وأحوالكم وأذواقكم نفسانية وهمية هلوسية، وتلبيسية شيطانية. فشتان بيننا وبينكم . فالمسلم التقي الملتزم بالشرع من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) ، لكن الصوفي من الذين يصدق عليهم قوله سبحانه: ((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)(الزخرف: 36 - 37)).

ومن ذلك أيضا إننا نرد أذواق الصوفية وأحوالهم ومعارفهم المخالفة للشرع بعرضها على دين الإسلام . فهو دين الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل أبدا ، والذي فرضه الله علينا وجعله منهجه الذي أوجب علينا اتباعه . فهو كله حقائق وعلوم ، وما خالفه فهو باطل بالضرورة سواء تعلق بأحوالنا الباطنية ،أو الخارجية ،أو بالطبيعة كلها. فهو كما يتحكم في سلوكياتنا الظاهرة فإنه يتحكم أيضا في أحاسيسنا وعواطفنا وقلوبنا ، ويجب إخضاعها له . قال سبحانه : ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))) ، و((وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال: 24))، و ((في ((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة : 10))،و ((فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ

هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص: 50)). وبما أن أحوال الصوفية وأذواقهم وأفكارهم معظمها مخالفة للشرع فهي فاسدة قطعا ولا يُمكن أن تكون صحيحة ولا حكما عليه .

ولذلك فالشرع يوجب علينا أن نمحص أفكارنا وعواطفنا و مواجيدنا وسلوكياتنا بميزان الشرع والعقل والعلم ، لقوله سبحانه: ((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65))،)))))، و((أن ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج : 8))، و((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)(الملك: 10)).

ومن ذلك أيضا إننا نرد أذواق الصوفية وأحوالهم ومعارفهم الفاسدة بالاحتكام إلى العقل الصريح- البديهي، الفطري- ، فقد سبق أن بينا أن أكثر ما في التصوف وما عليه أتباعه من أذواق ومواجيد، مخالفة للعقل الصريح، وهذا وحده يكفي للحكم عليها بالبطلان والفساد، كحكمه على بطلان القول بوحدة الوجود ، لأن القول بها يخالف العقل والواقع مخالفة صريحة ، ومن ثم فهي باطلة قطعا.

ومنها أيضا أننا نرد أذواقهم بالاحتكام إلى العلم الصحيح ، فبما أن أذواق وأحوال الصوفية ومعارفهم كانت لها آثار وشواهد دلت عليها ، فيجب إخضاعها وتمحيصها بميزان العلم الصحيح، فما وافقه صحيح ، وما خالفه باطل. من ذلك قولهم بوحدة الوجود، التي تعني أن الكون هو الله ، والله هو الكون ، ومن ثم فإن الكون أزلي. وهذا باطل في ميزان العلم الذي أثبت أن الكون مخلوق له بداية وستكون له نهاية. وهذا يعني قطعا أن الموجود موجودان لا موجود واحد، هما: الخالق والمخلوق. وهذا دليل قطعي على بطلان القول بوحدة الوجود التي زعم أصحابها أنهم عرفوها بأذواقهم ومواجيدهم فهي أحوال باطلة وفاسدة قطعا.

وربما يقول بعضهم: إن في مباحث التصوف ما لا تدركها العقول ، كالقول بوحدة الوجود . فأقول: هذا تغليط وسفسطة وتلبيس على الناس، لأن كل مباحث الصوفية ومنها وحدة الوجود يُمكن إخضاعها للنقد والتمحيص

بكل وسائل المعرفة كما بيناه أعلاه . ومبحث وحدة الوجود هو أكثر أصول التصوف وضوحا من جهة سهولة إثبات بطلانه ، ليس لأنه فوق النقد والتمحيص ولا يُمكن إخضاعه لذلك ، وإنما لسهولة نقده وإثبات بطلانه بالشرع والفطرة والعقل والعلم.

وبذلك يتبين أن الصوفية تركوا أدلة الشرع والفطرة ،والعقل والعلم وراء ظهورهم وتمسكوا بأوهام وهلوسات وأحوال نفسانية وتلبيسات شيطانية وزعموا أنها علوم يقينية !!.ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون دينه صحيحا أصولا، ولا تطبيقا، ولا نتيجة، ولا يُمكن أن يكون علمه المزعوم علما صحيحا.

والاعتراض والواحد والعشرون: ربما يُقال: لا يصح اتهام الصوفية بأنهم خالفوا الشرع وعطلوه وهدموه، لأنهم اتصفوا بصفات تنفي عنهم ذلك. فقد كانوا من أهل الإيمان واليقين ، ولو كان منحرفين ما اتصفوا بذلك، ولا يستطيع الكافر ولا المنافق أن يتصف بما اتصفوا به. والدليل على ذلك ما ذكره الصوفي أبو طالب المكي في وصفه للصوفية ودفاعه عنهم. فقال : ((اعلم أن كلّ علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك إذا رغب فيه وحرص عليه لأنه نتيجة الذهن وثمرة العقل إلا علم الإيمان واليقين فإنه لا يتأتى ظهور مشاهدته والكلام في حقائقه إلا لمؤمن موقن من قبل أن ذلك تقرير مزيد الإيمان وحقيقة العلم والإيمان، فهو آيات اللّه تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين إذ في ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك في اليقين الذي هو محجة المخلصين والذين هم بقية الله من عباده واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره))[2054].

وأقول: إن كلام الرجل فيه حق وباطل، وتغليط وتلبيس، لأن الأحوال الوجدانية هي جزء أساسي من الأجزاء الأساسية المكونة للإنسان، لأنه يتكون من ثلاثة جوانب أساسية ، هي: القلب ، و العقل ، والبدن . وكل جانب منها يحتاج إلى تربية وغذاء واهتمام لتنميته . فمن اهتم بها كلها

[2054] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 242 .

بالطريق الصحيح القائم على الشرع والعقل والعلم يكون أسعد الناس. ومن أهملها كلها أو جانبا منها فيكون حاله مضطربا مخلطا جامعا بين الحق والباطل ، والصواب والخطأ حسب قربه وبعده من المنهج الصحيح.

ومن يهتم منهم بالجانب الوجداني فستُثمر مجاهداته أحوالا ومواجيد بغض النظر عن عقيدته وملته . فإن كان كافرا فتكون أحواله خليطا من مواجيده النفسية والشيطانية . وهذا يشهد به التاريخ والواقع ويُلاحظ على زهاد ونساك الأديان والمذاهب الباطلة، كما هو حال نساك البوذية والهندوسية، و النصرانية و اليهودية . وهؤلاء لهم أحوال ومواقف ، ولهم اطمئنان داخلي وليد علومهم واجتهاداتهم . قال تعالى: ((إَنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ)(يونس: 7))، و ((تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل: 63)). و((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة : 10)). وكذلك حال العباد والنساك والصوفية من المسلمين لهم أيضا أحوال ومواجيد هي خليط من أحوالهم النفسية و الشيطانية، ولهم نصيب من المواجيد الصحيحة بقدر الصحيح الذي عندهم من الشرع . وعليه فلا يصح الاحتجاج بتلك الأحوال الفاسدة مع أنها وفرت لأصحابها جانبا من الإيمان والاطمئنان... .ويستطيع أي ناسك من أي دين أن يقول: أنا على صواب، لأني أجد في قلبي راحة واطمئنانا و سكونا ، ولذة وحلاوة، وأجد فيه شواهد على صحة ديني ومذهبي . وهنا تتشابه الأحوال والمواجيد ، وتتكافأ الأدلة والاحتجاجات. ويكون الإيمان اليقيني الوجداني وحده عاجزا عن الفصل بين هؤلاء. فمن هو الحَكم هنا ؟؟. إن الحكم هنا هو ضرورة توفر معطيات وأدلة وبراهين موضوعية محسوسة يمكن التأكد من صدقها وبها نحكم على ما يدعيه هؤلاء. وهذه المعطيات والبراهين الصحيحة نأخذها إما من وحي صحيح، أو عقل صريح، أو علم صحيح، أو منها كلها . ولهذا وجدنا الله تعالى مع أنه رزق أنبياءه بالإيمان القوي، والوجدان النقي والمؤثر ، إلا أنه ارسلهم بالبينات والكتب الملموسة لتكون أدلة مشهودة دامغة مفحمة لا يُنكرها إلا متكبر معاند ليس عنده دليل مقبول ولا معقول في إنكاره وعناده، وإنما هو متبع لأهوائه وظنونه، وحاله مكشوف معروف للناس. وهو من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(النمل : 14)) ، و((قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ

يَجْحَدُونَ)(الأنعام : 33)) ، و((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(البقرة : 146)) ، و((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)(آل عمران : 71)) .

ولذالك لا يصح الاحتجاج بتلك الأحوال والمواجيد بدعوى الإيمان واليقين، فكل هؤلاء كان لهم إيمان ويقين واطمأنوا به. لكن من الذي عنده الأحوال الصحيحة والمواجيد الشرعية؟؟، إنه المسلم التقي الملتزم بالشرع قلبا وقالبا، هو الذي عنده اليقين والإيمان الصحيح. علما بأنه يجب التفريق بين الأحوال والمواجيد التي يجدها أي ناسك وعابد ممارسته لرياضاته وطقوسه بحكم انعكاس تلك الممارسات على نفسية صاحبها، كما تنعكس الممارسات البدنية على الرياضيين، وتنعكس النشاطات العقلية على المفكرين ، وبين الأحوال والأذواق والأنوار الربانية الصحيحة التي ينالها المسلم التقي المخلص . فهذه لا ينالها إلا هو ، وهي أنوار ربانية رحمانية نقية صافية صحيحة لا شطحات فيها ولا ضلالات . بدليل قوله سبحانه : ((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)). ، و((((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) ، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) ، و((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تقشعر مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)) .

وبناءً على ذلك فإن ما يحصل في القلوب هو نفسه ما يحصل في العقول، وليس يقينيا ـ وإنما هو ظني، فقد يكون من النفس، أو من الشيطان، أو الرحمن. فكل من القلب والعقل نسبي في أحكامه ومواقفه وأحواله، جامعا بين الحق والباطل، والخطأ والصواب ولا يُمكن أن يكون أي منهما معصوما في مواقفه وأحكامه .

وأما قوله : ((مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين إذ في ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك في اليقين الذي هو محجة المخلصين والذين هم بقية الله من عباده واشتباه الباطل بالحق الذي هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره))[2055]. فهذا كلام لا يحمل دليلا على صدقه، ويمكن أن يقوله أي ناسك من نساك الاديان الأخرى، ويتهم غيره من مخالفيه بأنهم من أهل الاضلال والانحراف، لأنه ولا واحد من هؤلاء له برهان ملموس يمكن التأكد منه والاحتكام إليه، ليثبت لنا المصيب من هؤلاء.

وليس صحيحا أنه لا وجد للفساق والكفار، فهذا كلام بلا علم، ولا يصح، لأن كل النساك وأصحاب الأهواء لهم وجد في بواطنهم ويُمكنهم ان يقولوا كما يقول الصوفية. قال سبحانه: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر : 72))، و((تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فـ((تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63)) ،و ((يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً)(النساء: 120))، و((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة : 10)). فزادهم))، و((ليجعل ما يلقي الشيطان))، و((و((إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ)(يونس: 7))،و((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الزمر: 45)) . فالقوم لهم أحوال ومواجيد هي خليط من وساوس وتلبيسات الشياطين وأهواء أنفسهم، فهم هنا كالصوفية تماما.

ولو كانت الأحوال والمواجيد كافية لإقامة البراهين على صدق دين الله تعالى ما أرسل الله نعالى أنبياءه بالبينات والكتب لتكون حججا دامغة على صدق أنبيائه. ولاشك أن العلم بالله، وعلم اليقين أفضل العلوم، لكن هذه العلوم ليست منفصلة عن العلوم الأخرى كما سبق أن بيناه، وغير كافية لتعمير الأرض ، ولا يصح فصلها عنها ، لأن فصلها مخالف للشرع. ويجب أن يكون العلم بالله هو المنطلق الذي تقوم عليه العبادة بمعناها الشامل. ولهذا جعل الله تعالى كتابه جامعا لعلوم الدنيا والآخرة، وللعلم به

[2055] أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج 1، ص: 242 .

وبأنبيائه وبعلوم العمران والطبيعة معا. ولا يصح أخذ العلم بالله وفصله عن العلوم الأخرى والانفراد به كما يزعم الصوفية. لأن هذا مخالف للشرع مخالفة صريحة ولا يكفي لإقامة شرع الله كله وعمارة الأرض انطلاقا منه ولأجله .

ومما يضعف كلامه أيضا هو أنه سبق أن بينا جوانب كثيرة من انحرافات التصوف وأهله ومخالفتهم للشرع والعقل والعلم، فلو كانت مواجيدهم مقياسا للحقيقة وقادرة على التمييز بين الحق والباطل ما وقعوا في تلك الانحرافات والأخطاء الشرعية والعقلية والعلمية الكثيرة والمتنوعة. فلماذا لم تعصمهم أحوالهم وأذواقهم مما وقعوا فيه من تلك الانحرافات والأخطاء ؟؟!! . بل قد أقمنا الأدلة القطعية على أن التصوف وأهله خالفوا الشرع وعطلوها وهدموه حتى انتهى بهم الأمر إلى الكفر بالله ودينه ورسله!! . فهل من هذا حاله كان ملتزما بشريعة الله تعالى ، أم كان معطلا وهادما لها ؟؟.

لذلك فإن ما فعله أبو طالب المكي هو عمل تحريفي تغليطي ماكر، إنه جاء بصفات المؤمنين المذكورين في القرآن الكريم والمشهود لهم بالإيمان والعمل الصالح ، والقبول والرضوان من الله تعالى ووصف بها الصوفية وألحقها بهم، مع أنهم من أبعد الناس عن ذلك، وهم من معطلي الدين وهادميه. فالرجل قام بعملية سطو وتضليل وتحريف ، وهي تندرج ضمن ممارسة الصوفية للتقية تسترا بالإسلام ،وانتصارا للتصوف ،وتلبيسا على المسلمين ومكرا بهم .

والاعتراض الثاني والعشرون: ربما يقال: لماذا لا يُعتذر لشيوخ الصوفية فيما أظهروه من شطحات وضلالات، وطامات وانحرافات تتعلق بالتصوف عامة ووحدة الوجود خاصة، بدلا من انتقادهم وذمهم والحط عليهم، فربما كانوا في حالة ضعف وعدم وعي. كما قال الذهبي عن الشبلي: ((كان يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول أشياء يعتذر عنه))[2056].

وأقول: إن الاعتذار لهم لا يصح لخمسة موانع أساسية: أولها إن ما أظهره شيوخ الصوفية في قولهم بوحدة الوجود، وفيما وقعوا فيه من ضلالات سلوكية وفكرية هو من صميم مذهبهم ، وقد سبق أن بينا ذلك

[2056] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 15 ص: 367 .

بالأدلة الدامغة من أحوالهم وأقوالهم . وبعضهم قال بذلك صراحة، وبعضهم أشار إليه بإشارات تلغيزية تمويهية تضمنت القول بوحدة الوجود.

والمانع الثاني مفاده أن هؤلاء قالوا صراحة أن علومهم ومكاشفاتهم هي حقائق يقينية وصلوا إليه بالطريق الصوفي. وهذا يعني أن ما أظهروه من شطحات وضلالات ومخالفات فعلوه عن وعي وتثبت، ، وليس عن ضعف ونقص وعجز.

والمانع الثالث: إنه من الثابت أن الصوفية كانوا يُمارسون التقية، وبرعوا في ممارستها بإشاراتهم التي سميت بهم. ولهم إشارات كثيرة جدا عبروا فيها عن أحوالهم ومعتقداتهم بمقولات إشارية لا يفهمها إلا هم ، أو من له إطلاع صحيح على مذهبهم. وقد ذكرنا أقوالا كثيرة من إشاراتهم عبروا فيها عن وحدة الوجود بتعابير دقيقة وذكية ملغزة ومُدلسة ومقصودة عبروا بها عن معتقداتهم. ومن يفعل ذلك لا بد ان يكون في كامل وعيه ، يقوله عن سبق إصرار وترصد. مما يعني أن شطحات الصوفية وضلالاتهم كانت عن وعي وقصد ، لا عن ضعف وغلبة.

والمانع الرابع : إنه من المعروف أن الصوفية كانوا يُمارسون التقية في أكثر أحوالهم عندما يكونون مع غيرهم. فيستخدمون الإشارة بدلا من العبارة. بمعنى أنهم يستخدمون التعمية والتلغيز والتمويه في التعبير عن أفكارهم وأحوالهم، حتى أنه يصعب فهم مقولاتهم، ولا يستخدمون الكلام الواضح الذي لا يحتمل التأويلات.وبما أن الأمر كذلك، والشطحات ليست من الإشارات ، لأنها لو كانت منها ما فهمها غيرهم ، ولا كانت واضحة الفساد والبطلان، ولا يفهمها إلا أصحابها ومن له خبرة بأقوالهم. فهذا يعني أن شطحاتهم وضلالاتهم كانت من العبارات الواضحة لا من الإشارات المُلغزة ، قالوها عن قصد ووعي بما يقولون، مما يعني أنه لا يصح الاعتذار لهم فيها.

والمانع الأخير- الخامس -: إن الاعتذار لهؤلاء الصوفية يتنافى مع مزاعمهم بأنهم وصلوا إلى الحقيقة ، وأنهم أرباب الكشف واليقين وعلوم الباطن والاتصال بالله والملائكة. فمن يكون هذا حاله يجب أن يكون ثابتا واعيا لا ضعيفا ولا مغلوبا ولا سكرانا.

وحتى إذا اعتذرنا لهم جدلا ، فهذا يعني أن القوم كانوا في حالة مرضية لا صحية، وفي حالة غياب الفهم والوعي. وهذا يستلزم أن ما قاله هؤلاء باطل ويجب رفضه، وذمهم عليه. لكن الصوفية يرفضون هذا وجعلوا أوهامهم وتلبيسات شياطينهم كشفا وعلما باطنيا، وجمعوها في كتبهم وشرحوها ، وجعلوها من الكنوز المضنون بها على غير أهلها **!!** . فهم إما أن يرموا بما جاؤوا به ويجعلونه أوهاما وخرافات وهلوسات وتلبيسات شيطانية ولا قيمة له وهنا يصح الاعتذار لهم ،وإما أن يجعلوها علوما باطنية يقينية. وبما أنهم جعلوها كشوفا وكنوزا وعلوما ربانية، وتمسكوا بها ، فهذا يعني أن القوم لم يكونوا مغلوبين عن أمرهم ، وإنما كانوا في كامل قدراتهم العقلية، وأظهروا أحوالهم، وكتبوا مؤلفاتهم عن وعي تام انتصارا لعقيدتهم ونشرا لها. وبما أن الأمر هكذا فلا يصح الاعتذار لهم ولا البحث لهم عن مبررات لضلالاتهم وكفرياتهم وانحرافاتهم، وإنما يجب ذمهم والرد عليهم، وتحميلهم مسؤولية ما قالوه وما أظهروه ، ودعوتهم إلى الخروج من الضلال الذي هم فيه والعودة إلى دين الإسلام عودة صحيحة من دون تقية ولا تستر ولا تلاعب.

علما بأن الحالات التي كانوا يمرون بها هي من أساسيات الطريق الصوفي يجب على الصوفي أن يمر بها ليصل إلى الفناء في الله- وحدة الوجود حسب زعمهم- فهذه ليست أخطاء لكي يُعتذر فيها للشبلي وأمثاله ، وإنما هي من غايات وضروريات التصوف، لها أصولها وفروعها وغاياتها. ولهذا يجب الإنكار على القوم في كل تصوفهم ، ولا يُعتذر لهم فيه، ولا في بعض انحرافاته وأباطيله.

والاعتراض الثالث والعشرون : ربما يُقال: نعم قد ظهرت على الصوفية انحرافات وضلالات ،وأحوال وسلوكيات غريبة ، لكن ألا يُمكن الاعتذار لهم بسبب قوة الوارد الوجداني من داخل نفوسهم وخارجها .

وأقول: إنه لا يصح الاعتذار لهم عن انحرافاتهم وأخطائهم بدعوى قوة الوارد الوجداني.لأن ما حدث لهم هو نتيجة حتمية لفساد التصوف وانحرافه عن الشرع. فقوة الوارد الصوفي سببه فساد التصوف وانحرافه عن الوحي ، وقوة تعامل الصوفية معه والتزامهم به. فأدى هذا إلى قوة واردهم ، فكان واردا نفسيا شيطانيا لا رحمانيا ، فأضلهم وأهلكهم. فواردهم هذا يندرج ضمن قوله تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))،

و((تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63)). فهم يتحملون مسؤولية ما أقدموا عليه، وما وصلوا إليه، ويجب عليهم ترك التصوف والعودة سريعا إلى الشرع قلبا وقالبا .

وذلك الوارد خلاف الوارد الإيماني الصحيح القائم على الشرع، فهو وارد رباني نوراني رحماني خالص يزداد قوة بالثبات والإخلاص والالتزام. وكلما ازداد المؤمن إخلاصا وثباتا وطاعة ازداد وارده الإيماني قوة وعمقا وتمكنا. ولا يُمكن أن يُؤدي الوارد الإيماني الشرعي إلى الانحراف عن الشرع، وقوته ليست عيبا ولا نقصا ولا خطرا على الإنسان ، وهذا خلاف الوارد الصوفي. قال تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)). فشتان بين الوارد الصوفي الشيطاني، وبين الوارد الشرعي الرحماني !!.

علما بأن الوارد الإيماني الشرعي لا يناله إلا المخلصون وليس من السهل الحصول عليه، فلن يناله إلا من آمن وأخلص والتزم بالشرع قلبا وقالبا، وهنا يصبح اهلا له فيُكرمه الله تعالى به. وهذا الوارد وصف الله تعالى صفاته وأهله ، كما في قوله سبحانه: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) و ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) .

وأما أهل الأهواء فهم محرمون من ذلك ، فلا يستحقونه ، ولا يستطيعون الوصول إليه، قال تعالى: ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 146))، و((وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً)(الأنعام: 25)). لكنهم من جهة أخرى يتفاعلون بقوة وبسرعة مع أهوائهم وعقائدهم وتؤزهم الشياطين إليها أزا، قال سبحانه : ((لِيَجْعَلَ ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ

الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63))، و((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر: 72)). فيُولد هذا فيهم مواجيد وأحوالا تزديهم قلقا واضطرابا وانحرافا عن الشرع .

علما بأن كل طائفة أو ملة إلا ولها أحوالها ومواجيدها تظهر عليها عندما تتفاعل وجدانيا مع أفكارها وعقائدها وأهوائها. فهي ليست خاصة بالصوفية، ولا بالمسلمين الأتقياء. بل إنها تظهر أيضا على أصحاب اللهو والطرب وطلاب الدنيا على اختلاف طوائفهم ،فتحركهم اهتماماتهم وتدفعهم إلى الصراخ والتطبيل والتصفير، وتمزيق الثياب كالصوفية في سماعهم ، تعبيرا عن مواجيدهم وطربهم ، كما هو حال جمهور الرياضة وحفلات الرقص والغناء. فالقوم سكارى بما هم فيه من وجد وطرب، وحماس وتعصب لأفكارهم وأهوائهم. لكن شتان بين مواجيد الإيمان والإخلاص والعمل الصالح، وبين مواجيد الضلال واللهو والأهواء!! .

والاعتراض الرابع والعشرون : ربما يُقال: إن مؤلف هذا الكتاب بالغ كثيرا في وصفه للتصوف بأنه من أكبر مكائد الشيطان التي كاد بها بني آدم ،لأنه انتهي بأصحابه إلى الإلحاد. مع أننا نعرف علماء صوفية كثيرين قديما وحديثا عرفوا بالاستقامة والصلاح ، ولم يظهر عليهم ذلك !!.

وأقول: أولا من حقي أن أدافع عن موقفي ، فأنا لم أكن مغاليا ولا متطرفا في نقدي للتصوف والحكم عليه . فكل ما قلته له أدلته من التصوف نفسه، وكل الاستنتاجات التي توصلتُ إليها تجد شواهدها في التصوف بطريقة صحيحة وواضحة، وهذا أمر قد بيناه ووثقناه.

وثانيا: إن كتابنا هذا ركز على حقيقة التصوف كفكر ومفاهيم ومقومات، ، وأصول وفروع وغايات ،بحكم أنه يُمثل بنفسه دينا قائما بذاته. فهو بهذا ينطبق عليه كل ما قلناه في نقدنا له . لكن هذا ليس بالضرورة أنه ينطبق على كل أتباعه ، فمنهم من انتمى إليه ولا علم له به أصلان ولا التزم بطريقه، فهذا لاشك أنه لا يظهر عليه ما ذكرناه في نقدنا للتصوف. ومنهم من انتمى إلى التصوف وبقي في هامشه، فهو جامع بين مظاهر من التصوف والشرع ، ولا علم له بحقيقة التصوف. ومنهم من له معرفة نظرية بحقيقة التصوف لكنه لم يسلك طريقه، فهو يعرف مخاطره ومخالفته للشرع دون بلوغ مقاماته عمليا. ومنهم من مارس عبادت الطريق الصوفي

فلما ظهرت لـه مخالفتـه للشرع والعقل والعلم توقف ولم يواصل الطريق وتمسك بأساسيات الشرع والعقل والعلم ولم ينزلق إلى أباطيل التصوف وضلالاته الموصلة إلى وحدة الوجود. وهذا الصنف من الصوفية منهم من تاب عن التصوف وانقلب عليه وعاد إلى دين الإسلام عودة صحيحة، ومنهم بقي على تصوفه وأخفى حقيقته ومخاطره على الشرع والعباد. والصنف الأخير هو الذي ينطبق عليه قولنا انطباقا كاملا، إنه سلك الطريق الصوفي إلى نهايته وبلغ الفناء في الله، الذي يعنى وحدة الوجود ، فبدأ بطلب حب الله وعبادته ، وانتهى به تصوفه إلى الكفر بالله والإلحاد فيه، وهنا تكمن مأساة التصوف **!!**.

والاعتراض الخامس والعشرون: ربما يُقال : إن المؤلف بالغ في انتقاده للصوفية في عدم حرصهم على طلب الأخبار الصحيحة، وعدم تحقيقهم لمروياتهم ، لأن هؤلاء الصوفية ربما يُعتذر لهم بأنهم لم يكونوا نقادا للأخبار ولا مختصين في علم الجرح والتعديل.

وأقول: هذا تبرير غير مقبول ولا يصح ، لأنه وُجد فيهم محدثون كانوا قادرين على تحقيق أخبارهم، كابن طاهر المقدسي،و أبي نعيم الأصبهاني، فهو حافظ مشهور. وحتى إذا فرضنا جدلا أنه لم يكن من بينهم من يحقق لهم مروياتهم فكان عليهم أن يجتهدوا لتعلم علم نقد الخبر كما تعلموا العلوم الأخرى ، وكما جاهدوا أنفسهم وتفننوا في تعذيبها وتجويعها. وكان في مقدورهم أن يستعينوا بنقاد أهل الحديث في نقد مروياتهم . لكنهم لم يفعلوا ذلك ، وأدخلوا مروياتهم في مذهبهم وأسسوه بها. إنهم فعلوا ذلك لأنهم كانوا يعلمون أن معظمها غير صحيح ، وأن تحقيقها وعدم الأخذ بها هو تقويض للتصوف الذي أقاموه عليها . من ذلك مثلا أن أبا نعيم الأصبهاني مع أنه محدث وحافظ مشهور فإنه ملأ كتابه حلية الأولياء بالروايات الضعيفة والموضوعة ، وسكت عن معظمها ولم يُحققها، مع علمه بعدم صحتها. فهذا عمل غير علمي، وإنما هو عمل نفعي ذرائعي أقاموه على مقولة : الغاية تبرر الوسيلة. وهذا سلوك مرفوض شرعا وعقلا وعلما، ولا يصح استخدامه في طلب العلم الصحيح .

والاعتراض الأخير- السادس والعشرون- : قد يُقال : إن مُصنف هذا الكتاب ربما لم يفهم الصوفية ولم يتذوق مواجيدهم ولهذا أخطأ في انتقاده لهم ولتصوفهم.

وأقول: أولا إن الحق له الشواهد التي تدل عليه من الشرع والعقل والعلم والوجدان . والصوفية هم بشر كغيرهم من بني آدم وعليه فهم لا يختلفون عنهم في مصادر أخذ العلم ، ولا يحق لهم ولا لغيرهم أن يزعموا بأنهم ينفردون عن البشر بحاسة من الحواس ، أو بمصدر من مصادر المعرفة التي ليست عند باقي البشر، فهذا مستحيل أن يحدث ، ومن يقول به فهو إما أنه جاهل لا يعي ما يقول ، أو أنه صاحب هوى قاله لغاية في نفسه.

علما بأن الأحوال الباطنية لها آثار خارجية تدل عليها، فإن كانت فاسدة دلت على فساد باطنها، وإن كانت صحيحة دلت على صحة باطنها. لأن الفساد في الخارج دليل على الفساد في الداخل، والفوضى في الخارج دليل على الفوضى في الداخل، والعكس صحيح . وعليه فإن ما ظهر من سلوكيات الصوفية المخالفة للشرع والعقل والعلم هي أدلة قطعية على فساد بواطنهم .

وثانيا إن الله تعالى فصّل لنا في شرعه الأحوال الوجدانية للمؤمنين والمنافقين والكفار وغيرهم من أهل الأهواء من جهة ، ورزق عباده المؤمنين بأحوال إيمانية ربانية نورانية يستطيع المؤمن أن ينقد بها كل الأحوال المخالفة للأحوال الصحيحة من جهة أخرى. فكما للصوفية وغيرهم من أهل الأهواء مواجيد فاسدة ، فكذلك المسلمون الملتزمون بالشرع لهم أحوال ومواجيد ربانية ليست عند غيرهم، بها يُميزون صحيح الأفكار والأحوال من سقيمها. بدليل قوله تعالى: ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) .فالمسلم الملتزم بالشرع قلبا وقالبا هو صاحب النور الحقيقي وأما غيره من أهل الأهواء فهم في ظلماتهم يتخبطون حتى وإن أدعوا أنهم أصحاب وجدان وأذواق ربانية!!.

وثالثا إلى جانب تمتع المؤمن بالنور الرباني من الشرع فهو أيضا يملك نور العقل الصريح والعلم الصحيح فيلقحهما بالوحي الصحيح ، وهنا يستطيع بقوة وجدارة أن ينقد أي دين، وأي مذهب، وأي عقيدة ،كالتصوف وغيره، ويُبين صحيحه من سقيمه.علماً بأن التصوف له أصول وفروع معروفة كغيره من العقائد والأديان ومنها يُنقد كما يُنقد أي فكر من التيارات الفكرية . والشاهد على ذلك هو نقدنا للتصوف في تعامله مع الروايات

الحديثية والتاريخية ،وهذا علم موضوعي له منهجه ومنطلقاته وفروعه وقوانينه تَخضع له الروايات الصوفية وغيرها من مرويات التاريخ. وقد أقمنا الأدلة الأدمغة على أن الصوفية لم يُحققوا معظم أخبارهم وبنوا تصوفهم على أخبار غالبها غير صحيح.

ورابعا-أخيرا- وبما أنه أقمنا الأدلة الدامغة على فساد أصول التصوف وفروعه وغاياته الأساسية فهذا يعني أن الصوفية لم يكن لهم منهج يعصمهم من الأخطاء والانحرافات في تأسيسهم للتصوف. وأن حكاية علم الباطن والحقائق ما هي إلا حديث خرافة، وأن القوم استخدموا ذلك للتضليل والتغليط والتلبيس على الناس في تأسيسهم لتصوفهم كما بيناه سابقا. وأنهم كغيرهم من أهل العلم عليهم أن يلتزموا بالشرع والعقل والعلم إن كانوا صادقين في طلب الحقيقة، وإلا فهم عندما عطلوا ذلك فلا يختلفون عن أهل الأهواء في ممارستهم للتحريف والتغليط لتحقيق غايات في نفوسهم خططوا لها سلفا.لأن أهل الأهواء كل طائفة منهم اتخذت لنفسها شبكة تناسبها تصطاد بها وتحقق من خلالها غاياتها . فالقوم على منهج واحد لكن شِباكهم تختلف. فالنور الإلهي واحد و سبل الشيطان والظلمات متعددة وكثيرة. قال سبحانه : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)). و ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)(الرعد : 16)).

وأما بالنسبة للتساؤلات ، فأولها: ربما يُقال: بما أنكم ذكرتم أن التصوف هادم للشرع والعقل والعلم، ومُفسد للفرد والمجتمع، فكيف نتعامل معه كتراث صوفي ؟.

وأقول: حسب قناعتي إنه يجب على المسلمين شرعا وعقلا وعلما التخلص من التصوف تماما ولا يأخذون منه شيئا إلا أن يعتبروا به وبأهله وما جره على الإسلام والمسلمين من دمار وهلاك ،وضلال وويلات. فلا نحتاج أن نأخذ منه شيئا ، والصحيح القليل الموجود فيه يُمكن الاستغناء عنه تماما لكي نبتعد عن مفاسده وضلالاته وشركياته. وهذا الصحيح القليل الذي فيه مأخوذ أصلا من الإسلام ، وموجود في ديننا وزيادة، و في سيرة السلف الصالح الملتزم بالشرع . ويُمكن الحصول عليه بممارساتنا القائمة على الوحي الصحيح، والعقل الصريح، والعلم الصحيح. فنكّون تراثا روحيا أخلاقيا تربويا بعيدا عن التصوف. وهذا التراث موجود قسم معتبر منه في

تراث علمائنا الربانيين الملتزمين بالشرع ، منها ما كتبه ابن المبارك وأحمد ابن حنبل في الزهد ، وما كتبه ابن تيمية وابن قيم الجوزية في التزكية الشرعية، ولهم في ذلك مصنفات قيمة. فهذه الأعمال العلمية تمثل القاعدة الأساسية لتراثنا الفكري المتعلق بالتزكية الروحية.

والتساؤل الثاني: هل مخالفة الصوفية للشرع وهدمهم له بتصوفهم وسلوكياتهم كان عن خطأ أم عن قصد ؟؟.

وأقول: إن مخالفة التصوف وأهله للشرع: أصولا وفروعا وغاية ، ليست من باب الخطأ وإنما هي مخالفة مُتعمدة عن سبق إصرار وترصد وتعمد: بدليل الشواهد الثلاثة الآتية: أولها إن التصوف خالف الشرع وانحرف عنه بكل مفاهيمه ومقوماته الأساسية، مع أن أصول الشرع وفروعه وغاياته واضحة وهي من محكمات الكتاب، ولا تقبل المخالفة ولا الخروج عليها لوضوحها وإحكامها، لكن مع أن هذا حالها فإن التصوف وأهله خالفوها وانحرفوا عنها.

والشاهد الثاني مفاده أن تلك المخالفات لو كانت من الخطأ لحدثت مرة أو مرتين بشكل مُتقطع في جوانب مُلتبسة من الدين ولا تكون كثيرة ، ولا مُستمرة على طول الخط بلا توقف من جهة، ولا تمس كل جوانب الدين بأصوله وفروعه وغاياته من جهة أخرى.

والشاهد الثالث لو كانت مخالفات التصوف وانحرافاته وأباطيله خطأ وليست قصدا ما كان التصوف معطلا للدين وهادما له ، وما كان حريصا على تحقيق ذلك عن سبق إصرار وترصد ، وما كان مُصرا على استخدام التقية تسترا بالإسلام وانتصارا للتصوف .

والشاهد الأخير- الرابع- بما أنه بينا أن التصوف كان دينا قائما بذاته، فالصوفية لم يكونوا مجرد زهاد ، وإنما كانوا أصحاب دين وعقيدة يحملونها في صدورهم ويطبقونها بسلوكياتهم ، ولهذا وجدناهم يخفونها ويحرصون على تطبيقها ومخالفة الإسلام وتعطيله من أجلها، ولم يرجعوا عنها رغم أنها مدمرة لدين الإسلام، وتصدى لهم كثير من المسلمين. فالقوم كانوا أصحاب دين جاهدوا من أجله ، وهذا يعني أن كل ما فعلوه كان عن سبق إصرار وترصد وتعمد.

والتساؤل الثالث: بما أنه تبين أن التصوف مخالف للشرع ومُعطل له، فهل بقي فيه شيء من الإسلام ؟؟.

وأقول: إن قولنا بأن التصوف مُعطل لدين الإسلام وهادم له ، لا يعني أنه انفصل عنه تماما، فهذا لم يحدث، لأن التصوف وأهله تستروا بالإسلام قديما وحديثا، وبقي التصوف متقاطعا مع الشرع في جوانب لا تمس مقوماته كدين مُستقل بنفسه. منها أولا ليس في التصوف من دين الإسلام من جهة مقوماته الأساسية أصولا وفروعا وغاية إلا الأسماء الإسلامية من دون مضامين شرعية.

وثانيا في التصوف جوانب من الإسلام تتعلق برسوم التصوف ومظاهره كالحج والصلاة والوضوء، والصوم .وثالثا إن الجانب الإسلامي في التصوف كله يوجد في هوامشه وأطرافه دون مقوماته، أدخلها الصوفية فيه لغايات في نفوسهم . وهذا الجانب الإسلامي الموجود في التصوف مع أنه من رسومه وأشباحه ويوجد في أطرافه فإنه من جهة أخرى مهدوم ومُدمر بغايات التصوف ، كوحدة الوجود، والقول بعصمة شيوخ الصوفية وعلمهم للغيب.لأن القول بها يستلزم حتما نقض دين الإسلام وهدمه.

والتساؤل الرابع: بما أنكم انتقدتم التصوف ورفضتموه ، فهل يوجد تصوف شرعي ؟ .

وأقول: لا شك أنه توجد في دين الإسلام التزكية الشرعية، بأصولها وأحوالها وتطبيقاتها العملية في القرآن الكريم ،والسنة النبوية ، وأحوال الصحابة. وهي ما تزال تظهر على المؤمنين الاتقياء في زماننا هذا بدرجات متفاوتة حسب قوة إيمانهم وإخلاصهم . وأحسن من كتب في التزكية الشرعية – حسب علمي - هما الشيخان الجليلان : تقي الدين بن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية . والتلميذ قد توسع في الموضوع أكثر من شيخه في كتبه ، منها: مدارج السالكين ، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين .

لكن لا يصح وصف التزكية الشرعية بالتصوف ، لأن الفرق بينهما كبير وأساسي، ولا يصح تسميته بذلك أيضاً. لأن الحقيقة هي أننا أمام دينين متناقضين لكل منهما تربيته الروحية، ولهذا لا يصح نسبة التربية الصوفية إلى الإسلام ولا العكس. فقد بينا أن التزكية الشرعية هي جزء من دين الإسلام الذي يقوم كله على المفهوم الشامل لمعنى العبادة التي خلقنا الله

تعالى من أجلها ، وفرضها علينا وأمرنا بإتباعها وفق شريعته. لكن التصوف بينا أنه دين قائم بذاته ومقوماته ومخالف للشرع وهادم له.

ولا يصح تسمية التزكية الشرعية بالتصوف ، لأن الله تعالى لم يسمها تصوفا وإنما سماها تزكية، فتسميتها بالتصوف هو تعمد في التحريف ومخالفة الشرع ، وهذا لا يصح ولا يليق. ولأن كلمة: التزكية ، هي عبارة شرعية صحيحة ومعبرة وتوحي بالطهارة . قال سبحانه: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة : 103))، و((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(النور : 21)). لكن عبارة التصوف لا تحمل ذلك المفهوم ، وتحتمل أكثر من معنى . فهي ترمز للخشونة ، وللبرد ، وللعرق ، للوسخ، وللنظافة. وهذا خلاف كلمة : التزكية ، فهي تحمل معنى واحدا محبوبا ، جيدا ،نظيفا ،منعشا ،مطهرا ،مزكيا .قال سبحانه : ((ونفسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7- 10)) . وخلاصة ما قلناه: لا تصوف في الإسلام، ولا يصح تسمية التزكية الشرعية تصوفا .

والتساؤل الخامس: بناءً على ما تبين في هذا البحث، فهل يوجد في التصوف ما يُعرف بالتصوف السني ؟؟.

وأقول: انطلاقاً مما بيناه من أصول التصوف ومفاهيمه ومقوماته، فإنه لا يُوجد إلا تصوف واحد له أصول وفروع وغاية واحدة، وإن اختلفت بعض أشكاله ، لكن أصولها وصُلبها وغايتها واحدة. ولهذا لا يوجد إلا تصوف واحد، ومن الخطأ القول بوجود تصوف سني، أو شيعي، أو معتزلي، أو خارجي، أو أنه يوجد صوفية معتدلون وآخرون غلاة، فهذا لا يصح لأن الكل يجمعهم أصل واحد ، غير أن بعضهم كان يُخفي حاله بالتقية ويرمز لحقيقته بالإشارة، وبعضهم عبر عن حقيقة التصوف وأهله بصراحة دون تقية، فكشف نفسه وأصحابه الذين أخفوا عقيدتهم الصوفية. ومنهم من لا يصل إلى غايات التصوف ، لكن هذا لا يُغير من حقيقة التصوف شيئا.

والشاهد على ذلك أيضا أنه أوردنا في كتابانا هذا أقوالا كثيرة لشيوخ الصوفية المُنتسبين إلى أهل السنة، وتبين منها أنهم كانوا منحرفين عن الشرع ولا يختلفون عن الغلاة في حقيقة تصوفهم وأمرهم . فالكل كانوا

على تصوف واحد مخالف للشرع منطلقا وممارسة وغاية . بل إن تصوف صوفية المسلمين لا يختلف في أصوله وفروعه وغايته الأساسية عن تصوف باقي صوفية الأديان الأخرى . والكل يندرج ضمن ما يُعرف بالعرفان والإشراق والرهبانية . وبما أن الأمر كذلك أليس من الجريمة ومن الافتراء على الشرع والحقيقة القول بوجود تصوف سني ؟؟!! . لهذا فإن من يقول ذلك فهو إما أنه جاهل بحقيقة التصوف، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى قاله لغاية في نفسه.

وأما يقوله بعض الناس بوجود تصوف سني لأن رجاله من المعتدلين ، فهذا لا يصح لأن التصوف سبق أن بينا أنه واحد في أصوله وفروعه وغايته ويُمثل دينا قائما بذاته، فمن أين جاء هذا التصوف المعتدل، أو السني ؟؟، وأين هو ؟؟، فلا وجود لهذا التصوف السني المزعوم. لأن شيوخ الصوفية الذين يُقال بأنهم كانوا معتدلين كابن أدهم ، والداراني، والجنيد ، والشبلي، والتُستري، والجيلاني، هم في الحقيقة يتبعون تصوفا واحدا وهو نفسه الذي اتبعه الحلاج ،والبسطامي ،وابن سبعين، وابن عربي، لكن الفرق بينهم أن الجماعة الأولى مارست التقية في تعاملها مع المسلمين ، فأخفت حقيقة التصوف وعلى رأسه الاعتقاد بوحدة الوجود ، وعبرت عنها بالإشارات والتلغيزات والتمويهات كما سبق أن بيناه.والطائفة الثانية عبرت عنها بالكلام الواضح المكشوف . فهذا هو الفرق الأساسي بين الجماعتين . فالقوم كلهم على تصوف واحد بنفس الأصول والفروع والغايات. ولا يصح وصف من أخفى قوله بوحدة الوجود بأنه يُمثل التصوف السني، ولا الشرعي، ولا الإسلامي حتى وإن كان أقل غلوا من الطائفة الثانية.

والتساؤل السادس : هل تصح تسمية التصوف بأنه تصوف إسلامي لانتسابه إلى الإسلام والمسلمين، تمييزا له عن تصوف أديان وشعوب أخرى.

وأقول: بما أنه بينا أن التصوف مخالف للشرع وهادم له ، فلا تصح نسبته إلى الإسلام كدين مضمونا ولا تمييزا له عن غيره من أنواع التصوف عند الأمم والشعوب الأخرى . والصحيح أن يُسمى مثلا: تصوف صوفية المسلمين.

وأما لماذا لا تصح نسبة التصوف إلى الإسلام ؟، فالسبب هو أن قولنا: تصوف الإسلام ، يحتمل معنى واحدا ، هو أن للإسلام تصوف. وهذا لا يصح ، لأن للإسلام تزكيته الشرعية، ولا له تصوف، ولا تصوّف فيه، ولا تصح نسبة التصوف إليه.

وقولنا: التصوف الإسلامي ، هو كقولنا: الفقه الإسلامي، ويعني أمرين: أنه منسوب إلى الإسلام فهو جزء لا يتجزأ منه. وهذا يصدق على الفقه الإسلامي لأنه مأخوذ من الإسلام، ولا يصدق على التصوف لما قلناه أعلاه . والأمر الثاني أنه يعني أن هذا الفقه هو إسلامي بأصوله وفروعه ، مع تضمنه لكثير من اجتهادات الفقهاء، التي قد تتضمن مواقف مخالفة للإسلام . وهذا يصح أن نسميه فقها إسلاميا لأصوله ورجاله الإسلاميين . ، لكن هذا الأمر- الثاني- لا يصدق على التصوف، لأنه سبق أن بينا أنه مخالف للشرع ومُعطل له ، ورجاله هم الذين أسسوا للتصوف بما يُخالف الإسلام، وهم الذين طبقوا الطريق الصوفي بما يُعطل الإسلام ويُهدمه . فلا التصوف إسلامي، ولا رجاله إسلاميون ، وإنما نحن أمام: تصوف وصوفية .
وأما قولنا: تصوف صوفية المسلمين، أو تصوف صوفية الحضارة الإسلامية، أو تصوف صوفية التاريخ الإسلامي. فهنا النسبة ليست إلى الإسلام كدين ، وإنما إلى المسلمين وأعمالهم وتاريخهم ، وهي ليست بالضرورة موافقة للإسلام. فهي نسبة صحيحة ويُمكن إطلاقها على التصوف وأهله.
وأما من يقول بوجود تصوف سني، أو شرعي أو إسلامي بمعنى أنه من دين الإسلام لا أنه ظهر بين المسلمين وفي العصر الإسلامي، فهو إما لا معرفة صحيحة له بالتصوف ولا بالإسلام ، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه قال ذلك لغاية في نفسه . وبما أنه سبق أن بينا أن التصوف له أصوله وفروعه وغايته ، وأنه مخالف للشرع في ذلك فهو يُمثل بنفسه دينا مستقلا بذاته ، وليس مذهبا ولا اتجاها إسلاميا . وهذا يعني أن التصوف هو تصوف واحد ولا يتعدد ، وإن تنوعت بعض مظاهره الشكلية من جهة؛ وأن أتباعه هم أيضا يُمثلون بأنفسهم طائفة مُتميزة فكرا وسلوكا من جهة أخرى. وهذا الأمر اعترف به بعض شيوخ الصوفية، منهم الجنيد ، قال: ((الصوفية أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم))[2057]. وقال الصوفي ابن البنا السرقسطي:

[2057] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 20 .

مَذاهبُ الناس على اختلاف **ومذاهب القوم على ائتلاف[2058].
وبما أن ذلك هو حال التصوف وأهله فلا يصح تسميته تصوفا سنيا ، ولا شرعيا ، ولا إسلاميا .

والتساؤل الأخير- السابع - : بما أنه تبين من هذا الكتاب أن التصوف دين قائم بذاته ، وهادم لدين الإسلام، وينتهي بأصحابه إلى الكفر بالله ودينه ورسله، فهل هذا ينطبق على أتباعه أيضا ؟؟.

وأقول: أُذكّر هنا بأن كتابنا هذا مُخصص لنقد الرويات والأفكار المؤسسة للتصوف كدين وعبادة وعقيدة مخالفة للشرع وهادمة له وللعقل والعلم. فأحكامنا تنطبق عليه قطعا لكن لا تصدق بالضرورة على أتباعه، لأن ربما غالبية أتباعه لا عِلم لهم بحقيقة التصوف، ولا لهم معرفة بما ذكرناه في نقده ، ولا يعرفون منه إلا قبورياته وشركياته،ومجالس لهوه، لكن أكثرهم على علم بجانب من انحرافاته ومخالفات للشرع. لكنها- أي تلك الأحكام- تنطبق على الذين يعرفون حقيقة التصوف من منظريه وشيوخه وطلبته المطلعين عليه، تنطبق عليهم إن هم أصروا على إتباعه ومخالفة الشرع والعقل والعلم انتصارا للتصوف ودفاعا عنه.

وختاما لهذا الفصل- السادس والأخير- يُستنتج منه أن التصوف دين قائم بذاته مُتستر بالإسلام ومُدمر له، وهادم للوحي والعقل والعلم. وأنه دين أرضي علماني قام أساسا على أحوال الصوفية وهلوساتهم وتلبيساتهم النفسية والشيطانية.فأنتهى بالملتزمين به إلى الكفر بالله ودينه ورسله !!.

....

[2058] ابن عجيبة: البحر المديد، ج 3 ص: 252 .

الخاتمة

أظهر كتابنا هذا حقائق مُذهلة، وتوصل إلى نتائج واستنتاجات كثيرة وخطيرة جدا تتعلق بروايات التصوف وأفكاره المؤسسة له. منها أولا تبين أن التصوف منذ بدايته نشأ نشأة معاندة للشرع وحريصة على مخالفته وتعطيله. فالتصوف لم يكن شرعيا في نشأته ولا في أصوله ولا في فروعه، ولا في غاياته . ولا كان يحمل الإسلام مشروعا لإحيائه واستعادة الخلافة الشرعية- الخلافة الراشدة- .ولا كان يحمل مشروعا جهاديا لنشر الإسلام في مختلف جهات العالم التي لم يصلها الإسلام . وإنما كان يحمل مشروعا صوفيا غايته النهائية هدم الإسلام والعقل والعلم، والدعوة إلى السلبية ووحدة الوجود ليصبح الصوفية أربابا وآلهة حسب زعمهم .

وثانيا فقد اتضح أن الصوفية عندما ضيعوا أصول العبادة الشرعية حُرموا ثمارها، ولما قدموا عليها التصوف ابتلوا به وعُوقبوا بنتائجه المدمرة لتصوفهم وأنفسهم . وأن حقيقة تصوفهم أنه لا يلتزم بشرع، ولا يُريد آخرة، ولا يخاف نارا، ولا يرجوا جنة، ولا له معاد أخروي، غايته النهائية الوصول إلى مقام وحدة الوجود في الدنيا ، مما يعني أن التصوف في حقيقته النهائية أنه دين أرضي علماني إلحادي.

وثالثا اتضح أن الصوفية أقاموا تصوفهم بكل مقوماته بالاعتماد على أربع مصادر : الأول أساسي تمثل في أحوال شيوخ الصوفية ورغباتهم ومروياتهم واجتهاداتهم، فهذه الآثار هي المؤسس الحقيقي للتصوف. والثاني : روايات أهل الذمة من اليهود والنصارى، والبوذيين والصابئة، وهذا المصدر يأتي بعد الأول من جهة مدى تأثيره في التأسيس للتصوف. والمصدر الثالث: الروايات الحديثية الضعيفة والموضوعة، وهي من اختلاق الصوفية وأمثالهم اعتمد عليها الصوفية اعتمادا كبيرا في التأسيس للتصوف، ويساوي المصدر الثاني من جهة تأثيره في تكوين التصوف. والمصدر الأخير- : القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، هذا المصدر لم يعتمد عليه الصوفية في التأسيس للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته الأساسية، لأنها كانت تتناقض معه كما سبق أن بيناه. ولهذا فإن هذا المصدر كان تأثيره ضعيفا واقتصر على هوامش التصوف وأطرافه، بحيث

يُمكن الاستغناء عنه ويبقى التصوف قائما كما هو، وهذا لا يصدق على المصادر الأخرى مع الاختلاف في درجة اعتماده عليها. علما بأنهم أسسوا لتصوفهم ومارسوه وحافظوا عليه باسم الإسلام تسترا وتظاهرا به من جهة ، وكانوا حربا عليه بتصوفهم من جهة أخرى **!!** .

فكانت نتيجة ذلك أنه تبين أن التصوف لم يقم على علم ولا على فكر صحيح ، ، وإنما قام على فكر زائف خليط من الظنون والخرافات، والحقائق والأباطيل، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية . وفكر هذا حاله لا يُمكن أن يكون علما يقينيا ولا نورانيا ربانيا كما يزعم الصوفية. وقد أقمنا الأدلة القطعية على فساده لمخالفته الشرع والعقل والعلم.

ورابعا فقد ظهر أن ذم الصوفية لعلم الحديث ورجاله لم يكن رفضا للمرويات الحديثية مطلقا ، وإنما رفضا لمنهج نقد الخبر ورواياته الصحيحة التي تضمنها علم الحديث . لأن منهجه النقدي يكشف زيف وبطلان معظم رواياتهم المؤسسة لتصوفهم من جهة ،وأحاديثه الصحيحة تكشف مخالفتهم للسنة النبوية وهدي الصحابة من جهة أخرى. ولذلك وجدناهم قد داسوا على منهج نقد الخبر في تأسيسهم لتصوفهم، وقذفوه بعيدا عنهم، وجعلوا الأحاديث الصحيحة المخالفة لفكرهم وراء ظهورهم ، لكنهم لم يرموا الروايات الحديثية الضعيفة والموضوعة ، فقد تمسكوا بها وأسسوا بها للتصوف بكل مقوماته، فهي من المصادر الأساسية التي أصلوا بها للتصوف .

وخامسا فقد تبين أن إهمال الصوفية لعلوم الشرع والإنسان والطبيعة بدعوى حكاية الكشف وعلم الباطن أفقدهم الميزان الصحيح الذي يضبطون به أفكارهم وأوهامهم ، وأحوالهم وسلوكياتهم . فوجدوا أنفسهم غارقين في الانحرافات والمخالفات، والأخطاء الشرعية والعقلية والعلمية من جهة، ومُكبلين بالشبهات والشهوات، والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية من جهة أخرى.

وأخيرا – سادسا- إن من أخطر ما تبين في بحثنا هذا أن الصوفي يبدأ طريقه في عبادته لله بالحب والتوكل الصوفيين ثم ينتهي به طريقه إلى الكفر بالله ودينه ورسله، بل إلى إنكار وجود الله أصلا، وهذا قمة المكر الشيطاني بالصوفية **!!** .

تم الكتاب ولله الحمد أو وأخيرا

أ، د: خالد كبير علال

الجزائر: ربيع الأول/1435 هـ – جانفي/ 2014 م

من مصادر الكتاب ومراجعه:

1- القرآن الكريم .
2- ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ط 1، دار إحياء التراث العربي – بيروت 1271 هـ - 1952 م .
3- ابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، إدارة العلوم الأثرية، باكستان ، 1981 .
4 -ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ط1 ، دار الفكر، بيروت ، 1984 .
5- ابن حجر: لسان الميزان ، ط1 ، مؤسسة الأعلمي، 1971 .
6- ابن حجر: فتح الباري ، بيروت ، دار المعرفة، 1379 .
7- ابن حجر: مقدمة فتح الباري ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ا لمعرفة ، بيروت، 1379 .
8- ابن حجر : تقريب التهذيب ، ط1، دار الرشيد، حلب، 1406.
9- ابن حجر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة،ار البشائر، بيروت، 1996 .
10- ابن حجر: مقدمة فتح الباري ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت، 1379.
11- ابن حجر: طبقات المدلسين، مكتبة المنار، الأردن .
12- ابن حزم: الفصل في الملل و الأهواء و النحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.
13- ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة ، حققه محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970.
14- ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ،حققه محمد رشاد سالم، ط 1، مؤسسة قرطبة، 1406 هـ .
15- ابن تيمية : مجموع الفتاوى، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/ 1995 م.
16 - ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل، حققه رشاد سالم، ار الكنوز الأدبية، الرياض .
17- ابن تيمية : الزّهد و الورع ، الجزائر دار الشهاب .
18- ابن تيمية: الاستقامة، جامعة اللإمام محمد بن سعود ، المدينة المنورة.
19- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986،

20- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1973
21 - ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، حققه مصطفى العلوي، و محمد البكري، مؤسسة قرطبة .
22 - ابن عدي: الكامل في الضعفاء ، دون معلومات نشر .
23- ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، دار المعرفة، بيروت.
24- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي، بيروت .
25- ابن قيم الجوزية : المنار المنيف، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب .
26 - ابن حبان : صحيح ابن حبان،ط 2 ، حققه شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
27- ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، دار الفكر، بيروت، 2001 .
28 -ابن الجوزي :صيد الخاطر، دون معلومات نشر .
29- ابن داود الحلي : رجال ابن داود ، منشورات المطبعة الحيدرية ، 1972 .
30- ابن كثير : البداية ، مكتبة المعارف، بيروت .
31- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، : دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1999 .
32-ابن العجمي: التبيين لأسماء المدلسين ،ار الريان ، بيروت، 1994 .
33-ابن ماجة : السنن ، حققه فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت .
34-ابن الملقن: طبقات الأولياء، دون معلومات نشر .
35-ابن خلكان: وفيات الأعيان ، دار صادر، بيروت .
36-ابن عربي: الفتوحات المكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992
37-ابن عجيبة: ايقاظ الهمم شرح متن الحكم ، دون معلومات نشر .
38-ابن عجيبة : البحر المديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 .
39- أبو جعفر الطوسي : جال الطوسي، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين، قم إيران، 1415 .
40-أبو الحسن بن عراق الكناني: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
41-أبو سعد الآبي : نثر الدرر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 .

42- أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، دون معلومات نشر .
43- ابو بكر الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، حققه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، 1993 .
44- أبو بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر، بيروت .
45- أبو زرعة العراقي: كتاب المدلسين، ط1، دار الوفاء .
46- أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل .
47- أبو طاهر المقدسي: صفوة التصوف، ط 1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1995 .
48- أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، حققه مصطفى عبد القادر عطا ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 .
49- أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف وحقيقته ، حققه يوسف زيدان ، مكتبة الكليات الأزهرية .
50- أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، دار الكتاب العربي، بيروت .
51- أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية ، دون معلومات نشر .
52- أبو عبد الرحمن السلمي: المقدمة في التصوف وحقيقته ، حققه يوسف زيدان ، مكتبة الكليات الأزهرية .
53- أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ، ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس، ط 1 ، دار المدى، دمشق ، بيروت ، 2004 .
54- أحمد بن عبد العزيز القصير : عقيدة الصوفية : وحدة الوجود الخفية ، ط 1 ، مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ .
55- أحمد بن حنبل: المسند، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، خرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط .
56- أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد في الجرح والتعديل ، دون معلومات نشر .
57- ألكسندر بوربلي: أسرار النوم، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، 1992 .
58- الأنصاري الهروي: منازل السائرين،ار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988.

59- البِقاعي: مصرع التصوف ، حققه عبد الرحمن الوكيل ، مكة المكرمة.
60- البيهقي: السنن الكبرى ، دائرة المعارف النظامية، الهند ، 1344 هـ .
61- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، حققه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت.
62- الألباني: صحيح ابن ماجة ، دون معلومات نشر .
63- الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت.
64- الألباني : سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، ط1 ، دار المعارف، الرياض ، 1992
65- الألباني: السلسة الصحيحة، مكتبة المعارف ، الرياض.
66- الألباني: صحيح الأدب المفرد، ط1 ، دار الصديق، 1421هـ .
67- البخاري : الصحيح ، حققه محمد زهير الناصر، ط1 ، دار طوق النجاة، 1422هـ .
68- الترمذي : السنن ، حققه أحمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
69- الذهبي: ميزان الاعتدال ، دار المعرفة ، بيروت .
70- الذهبي : الكاشف ، دار القبلة ، جدة .
71- الذهبي: سير أعلام النبلاء تحت إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت .
72- الذهبي: تاريخ الإسلام ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987
73- الذهبي: تذكرة الحفاظ و ذيوله ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1998.
74-الذهبي: من تُكلم فيه و هو موثق أو صالح الحديث ، حققه محمود شكور، ط1 ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ، 1986.
75- رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مكتبة لبنان، بيروت ، ص: 6 .
76- سبط ابن العجمي: التبيين لاسماء المدلسين، دون معلومات نشر .
77- السخاوي: المقاصد الحسنة ، دار الكتاب العربي، بيروت.
78- السبكي : معيد النعم ومبيد ، دون معلومات نشر .
79- سعد أحمد حلابو : الغذاء ومكوناته ، مؤسسة الشروق الدولية، 2008.
80- الشعراني: طبقات الصوفية الكبرى ، دون معلومات نشر.
81- شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ، ملحق بكتاب إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، 1982.

82- شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف ،حققه عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة
83- الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، المكتب الإسلامي، بيروت.
84- الطاهر المعمودي : الغزالي و علماء المغرب . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990 .
85- الطبراني: المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.
86- الطبراني: المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل .
87- الطبراني: مسند الشاميين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت .
88- الطبري : تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية، بيروت .
89- عبد الله تومسك: البوذية، تاريخها، وعقائدها ، وعلاقتها بالتصوف ، ط 1 ، أضواء السلف ، الرياض.
90- عبد المجيد الشرنوبي: شرح الحكم العطائية ، دون معلومات نشر .
عبد الله الرحيلي، ط1 ، مكتبة المدينة الرقمية، 2005 .
91-عبد القادر الجيلاني: الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، القاهرة .
92- عبد القادر الجيلاني: فتوح الغيب ، دون معلومات نشر.
93- عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق، دار صادر، بيروت.
94-عبد القادر الجيلاني: الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، القاهرة .
95- عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب ، الجزائر.
96- عمرو بن أبي عاصم: كتاب السنة ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993 .
97- عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير ، دار الكتب العلمية، بيروت.
98 - العقيلي : الضعفاء الكبير ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1418هـ ، 1998.
علي بن طاووس: التحصين، مؤسسة دار الكتاب، إيران، 1413 16 .
99 - عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، مكتبة ابن تيمية، الكويت .
100- الغزي العامري: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، دار ابن حزم، بيروت .
101- الغزالي: مشكاة الأنوار، دون معلومات نشر .

102- الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
103- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت .
104- القشيري: ترتيب السلوك في طريق الله تعالى، حققه ابراهيم بسيوني.
105- القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة .
106- قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان، دون معلومان نشر.
107- الكليني: الأصول من الكافي، ظ 3 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران، 1388 هـ .
108- لسان الدين ابن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، حققه عبد القادر احمد عطا ، دار الفكر العربي، القاهرة.
109- محمد النفري : المواقف والمخاطبات في التصوف، دون معلومات نشر.
110- محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1989 .
111- مسلم : الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت .
112- الماليني: الأربعون في شيوخ الصوفية، دون معلومات نشر.
113- المحاسبي: الوصايا ، حققه عبد القادر أحمد عطا، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1986 .
114- محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث، مكتبة رحاب، الجزائر .
115- مرعي بن يوسف الكري المقدسي: الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ،دار الوراق
116- محمد بن درويش الحوت: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، دار الكتب العلمية، بيروت،
117- المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دون معلومات نشر.
118- المحاسبي: الوصايا ، حققه عبد القادر أحمد عطا، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، .1986
119- النسائي : السنن الكبرى ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991 .

120- الهجويري: كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، مكتبة الأسكندرية ، 1974.
121- وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر الفكر، دمشق .
122- اليافعي : مراه الجنان و عبرة اليقظان ط2 بيروت ،منشورات الأعلمي ،1970 .
123- يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، جمع وتعليق سعيد عاشور، مكتبة الآداب ن القاهرة، 2002 .

فهرس المحتويات

مصنفات للمؤلف:

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .
2-الداروينية في ميزان الإسلام والعلم .
3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل
4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل-
5- مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .
6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح و التعديل
7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .
8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة
9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون
10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- -دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-
11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم
12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-
13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل-
14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .
15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، وهشام جعيط ، و أمثالهم- .
16- تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .
17- جنايات أرسطو في حق العقل و العلم .
18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .
19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-
20- قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي .
21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - مظاهره ، آثاره ، أسبابه-
22- جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها –
23- الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد (من القرن: 3 إلى الخامس الهجري)

24- الحركة العلمية الحنبلة و أثرها في المشرق الإسلامي(ق: 6 إلى 7 الهجري)
25- نقض كتاب بسط التجربة النبوية للباحث الإيراني عبد الكريم سروش.
26- نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية- مظاهرها وآثارها ، مصادرها و أسبابها-
27- المرويات التاريخية عند المسلمين: أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها- مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 1431هـ/ 2010 .
28- نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف-- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته -